الوزير لسان الدين بن الخطيب

روضة التعريف
بالحب الشريف

تحقيق وتعليق وتقديم
عبد القادر أحمد عطا

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

الوزير لسان الدين بن الخطيب

روضة التعريف بالحب الشريف

«الكتاب الذي أثار ضجة ضد الصوفية في المغرب، وراح ضحيتها لسان الدين بن الخطيب»

تحقيق وتعليق وتقديم
عبد القادر أحمد عطا
عبد الستار

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ .

[صدق الله العظيم]

تصدير الكتاب

بقلم

حضرة صاحب الفضيلة ، أستاذنا الحبيب ،

العارف بالله تعالى العلامة ، سيدى الأستاذ

الشيخ مصطفى عبد الخالق الشبراوى

الخلوتى ، الشاذلى ، النقشبندى

بسم الله الرحمن الرحيم

— ١ —

يخطىء من يظن أن التصوف أمر غريب أو مبتدع ، أو أضيف إلى الدين الإسلامى ، وإنما هو فى حقيقته جزء جوهرى من الرسالة المحمدية ، ونهج أصيل فى الإسلام الذى ارتضاه الله ديناً للبشرية عامة .

ذلك لأنه يستمد أصوله مباشرة من منابع الإسلام الصافية ، ومصادره الأصيلة : كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسنة النبوية الطاهرة ، وما كان صاحبها صلوات الله وسلامه عليه ينطق عن الهوى .

فالتصوف الإسلامى هو الكمال فى الإسلام ، والكمال فى الإيمان ، والكمال فى الإحسان ، والكمال فى العمل ، والكمال فى كل شأن من شئون الحياة .

هو لب الدين ، وحقيقة الايمان ، وثمرة اليقين .

إنه الأفق الأعلى للفكرة الإسلامية ، والوجه الأكمل المشرق لآدابها ومثلها العليا .

إنه أسمى صور الايمان فى العقيدة الاسلامية ، يعيش صاحبه فى ظل التوحيد الحق ، فيرى الله فى كل شىء ، ويقصد الله فى كل أمر من أموره ، ويراقب الله فى كل حركاته وسكناته ، بل يراقبه فى كل نفس من أنفاسه ، مراقبة ذكر قلبى تحيا به الأرواح ، وتطمئن القلوب ، لأنه تعالى يعلم خواطر النفس ، وهمسات القلب ، وخائنة الأعين ، وما تخفى الصدور : « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

* * *

وإلى هذه الصورة الوضيئة دعا سيدنا ومولانا رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وهو المبعوث للعالمين شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا .

وورثها أصحابه ، رضوان الله عليهم أجمعين ، ومنهم كثير اقتفى أثره ولزم نهجه ، وتابعه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى أقواله وأفعاله وأحواله ، وفى التخلق بأخلاقه الربانية ، والتكمل بكمالاته النفسية .

وتبعهم فى هذا السلوك جمع كبير من التابعين ، وتابعى التابعين ، رضوان الله عليهم ، يدعون إليه ، ولا يحيدون عنه ، مستمدين من الكتاب والسنة ، مع خلوص النية ، وصدق الاخلاص فى العمل .

* * *

وهؤلاء جميعاً هم قادة التصوف الاسلامى ، قبل أن يطلق اسم « الصوفية » عليهم ، وإن كان قد أطلق على المتأخرين منهم اسم « العباد » أو « الزهاد » .

ومن هنا كان وجود التصوف سابقاً لهذه التسمية بقرن على الأقل ، ولاحقا من عهد الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ومن بعده .

— ٢ —

ولما اتسعت الفتوحات ، وانفسحت رقعة العالم الاسلامى ، واختلط العرب بالعجم ، وتعددت شعوب الاسلام وأممه ، وترجمت كتب اليونان والفرس ، وتسربت فلسفتهم إلى المسلمين ، وقد بعد ما بينهم وبين الوحى وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودخلت الدنيا بزخرفها على الناس ، وأخذت الشهوات والنزوات والأهواء والمطامع تلعب دورها ، وتنحرف بالقلوب عن عقيدتها .

لما كان ذلك كذلك هب فريق من الزهاد والعباد يبقون على حدود الله ، ويحفظون جوهر الإسلام وروح العبادة ، ويدعون إلى المثل العليا ، والعقيدة الصافية ، كما ورثوها عن أسلافهم الصالحين .

وعرف هؤلاء بالطائفة الصوفية ، وتميزوا بهذا الاسم قبل تمام المائتين من الهجرة النبوية ، وقد قاموا على طريق الحق ، وهدفوا إلى تزكية النفوس ، وتصفية الأخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الاسلامية الرفيعة ، والمحبة الصادقة لله ، والاشتغال به عمن سواه .

ومن هنا استقرت مدارس التصوف فى عواصم الاسلام ، فقامت مدرسة البصرة بريادة الامام الصوفى الجليل « الحسن البصرى » رضى الله عنه ، الذى أخذ عن الصحابى الجليل سيدنا « حذيفة بن اليمان » رضى الله عنه ، وتخرج على يديه جمع من فحول التصوف منهم : مالك بن دينار ، وأيوب السختيانى ، ومحمد بن واسع ، وثابت البنانى وغيرهم رضى الله عنهم .

وقامت فى بغداد مدرسة أخرى بريادة التابعى الجليل « سعيد ابن المسيب » رضى الله عنه .

كما قامت مدرسة خراسان على مشيخة إبراهيم بن أدهم رضى الله عنهم أجمعين .

وعن هذه الطائفة الطاهرة وعلمهم يقول ابن خلدون فى مقدمته عن التصوف :

« هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد فى الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده . وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة » .

* * *

ولقد كان للتصوف وأهله أكبر الأثر فى سيادة الايمان ، وصيانة العقيدة ، حين ماجت الحياة الاسلامية بالفلسفات الوافدة الدخيلة .

واستطاع إبان ازدهاره أن ينشر الدعوة الاسلامية بلا غزو أو سلاح ، فما من شك فى أن الصوفية هم الذين حملوا نور الاسلام وهداه إلى إفريقيا وأقطارها التى لم تفتحها الجيوش الاسلامية : وكان لهم القسط الوافر فى نشر تعاليمه بين ربوع آسيا فى الهند ، وأندونيسيا ، والفلبين ، والصين وغيرها من الأقطار النائية ، وينشرونه بالقدوة الطيبة ، والخلق الاسلامى الزكى ، ولا زلنا فى عصرنا هذا فى أمس الحاجة إلى إتاحة فرصة لرجال التصوف المخلصين ليعرفوا بالاسلام تلك الملايين التى تجهله جهلا تاما فى بلاد أوربا وأمريكا ، بل وفى كثير من أقطار إفريقيا ، بل إن من هؤلاء من عرفوا الاسلام فى صورة غير صورته الأصيلة ، التى تفيض بالسماحة والجمال فى كل حقيقة ومظهر .

لقد كان الكثير من المرابطين الذين يعيشون على الحدود الاسلامية يدافعون عنها ، ويصدون غارات الأعداء .

والتصوف هو الذى وقف ثابتاً فى وجه تيارات الالحاد ، وغزوات الانحلال ، وهو الذى وقف حصنا منيعاً يدفع عن شعوب الاسلام وأممه وثنية التتار ، وعصبية الصليبين ، وطغيان الاستعمار .

فهذا صاحب « تاريخ بغداد » يقرر أن المتوكل العباسى حينما عصفت الحروب بالدولة نادى أهل الفتوة الصوفية ، فهرعوا إليه من كل مكان ، فكانوا جيشه الكبير المنتصر الذى حمى ديار الاسلام ، وصان حدوده .

وهذا الشيخ الأكبر « محي الدين بن عربى » رضى الله عنه يكتب إلى الملك الكامل ، حينما لم يصمد للصليبيين : « إنك دنىء الهمة . . . فانهض للقتال ، أو نقاتلك كما نقاتلهم » .

وهذا سلطان العلماء ، والصوفى الكبير الشيخ عز الدين بن عبد السلام

يفتى بالقبض على المماليك ، وبيعهم فى الأسواق ، وضم أثمانهم إلى بيت مال المسلمين ، لأنهم خانوا أمانة المسلمين ولأن صلاح الدين لم يعتقهم .

والجبرتى يؤكد أن هزيمة الفرنسيين فى مصر إنما كانت على أيدى رجال المقاومة الشعبية من أبناء الصوفية وشيوخها .

ومن قبل ذلك كان للصوفية الفضل الأكبر فى هزيمة التتار فى عين جالوت ، وفى كسر شوكة الصليبيين فى حطين ، وأسر قائدهم « لويس التاسع » فى دار ابن لقمان على أرض مصر .

وحينما تحرج موقف المسلمين بالأندلس كتب الإمام الغزالى رضى الله عنه إلى « يوسف بن تاشفين » ملك المغرب يقول : « إما أن تحمل سيفك فى سبيل الله لنجدة إخوانك بالأندلس ، وإما أن تعتزل إمارة المسلمين حتى ينهض بحقهم سواك » .

ولا يزال التصوف إلى الآن - بحمد الله - يحمل ميراث النبوة المحمدية أمينا عليها ، يفتح القلوب ، وينير البصائر ، ويدعو إلى صدق العبودية لله رب العالمين ، ويقف على أهبة الاستعداد لخوض المعارك الدامية فى سبيل الله .

— ٣ —

ولقد أثار التصوف الإسلامى منذ تميز جدلا وحوارا - ولا يزال - فى الفكر الاسلامى ، والحياة الاسلامية ، وثارت ضده خصومات - ولا تزال - تنكر منهجه فى التربية والسلوك .

وفى الحق أن ذلك ليس بدعا ولا غريبا ، فالأمر فيه كما يقول ابن السبكى فى طبقاته : الناس أعداء ما جهلوا ، فكل فريق من الناس يخاصم من الآراء الرأى الذى لم يعرفه ، والعلم الذى لم يتذوقه » .

وهذا قول حق ، فأهل السنة الذين يقولون : إن الدين نص تفسره أسباب النزول واللغة والرواية . والمعتزلة الذين يقولون : إن الدين نص يفسره العقل ويوضحه . هما قوتان إسلاميتان تصطرعان وتتنازعان قبل

أن تتحدد مدارس الصفوف وتتميز كعلم وعمل ، وكلتاهما تنكر على الأخرى مسلكها ومنهجها، وهما معا تنكران على الصوفية منهجهم ومسلكهم حين أصبحوا القوة الإسلامية الثالثة ، التى لا هى نصية فقط كأهل السنة ، ولا هى عقلية فقط كالمعتزلة ، ولكنها إلى جانب هذا وذاك بصيرة وضاءة وروح صافية وشهود حق فى حق بحق ، وانكشاف يجلى كل خفى فى الأكوان، وكمال فى مقام الإيمان ، وكمال فى مقام الاحسان، فلم تعاد هذه ولا تلك ، ولم تشترك فى صراعهما ، وصانت جوهرها من أن يفنى فى حوار طائفى ما كان أغنانا نحن المسلمين عنه .

— ٤ —

وكما كان لهؤلاء وهؤلاء مدارس علم وتدوين، وكما نشأت مدارس الحديث ، ومدارس التفسير ، ومدارس الفقه ، ومدارس علم الكلام ، ودونت قواعدها وأصولها وفروعها مستمدة من الكتاب ، نشأت كذلك مدارس للتصوف ، واجتهد رجاله ، ودونوا معارفهم فى العبادات والأخلاق ، مناهجهم فى السلوك وعلل النفوس ، ونوازع الخير والشر وأنوار الذكر ، ومقومات الشخصية الإسلامية الكاملة ، وكان مستمدهم فى ذلك أيضاً الكتاب والسنة ، وحسن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى ميراثه الروحى ، لا يزيغون فيه ، ولا يحيدون عنه .

يقول الجنيد سيد هذه الطائفة وإمامهم كما يصفه القشيرى :

« من لم يحفظ القرآن ، ويكتب الحديث ، لا يقتدى به فى هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة » .

وقال :

« الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، واتبع سنته ، ولزم طريقته » .

ويقول سهل التسترى ، معبراً عن أصول التصوف :

« أصول طريقنا سبعة : التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة ،

وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب المعاصى ، ولزوم التوبة ، وأداء الحقوق » .

— ٥ —

ولسان الدين بن الخطيب عرف بين المفكرين بالأدب والشعر ، ولم يعرف بينهم بالدراسات الصوفية .

ولكنه كان مع دراساته الصوفية الواسعة فقيهاً أصوليا مؤرخا طبيبا ، كان رجلا متعدد المواهب ، ولكن الشيء الذى لا يعرفه أكثر الدارسين هو أنه كان متصوفاً أكثر منه شاعراً وأديباً كما يبدو من كتابه « روضة التعريف بالحب الشريف » .

لاشك فى أن لسان الدين قد سلك طريق التصوف ، وأخلص سلوكه ، وإن كنا لم نقف على سلسلة شيوخه فى الطريق ، فنحن مع ذلك نرجح أن يكون شيخه فى الطريق هو « ابن الحاج » صاحب المدخل ، وتبدو ملامح سلوكه من حديثه عن الروحانية الصوفية ، وأنوار الذكر ، حديث الذائق لا حديث الدارس لمجرد الدراسة فحسب ، وأما خفاء شيوخه فيرجع إلى أن سلوك هذا الطريق كما ذكرنا فى آخر كتابه كان عزيزاً ، ولم يكن بين المدعين للسلوك مخلص منهم ، ولعل هذا مع اضطراب الدولة ، وحرصه على العودة بها إلى نهجها الدينى القويم فى جو تسوده نزعات النفاق والانتهازية ، هو الذى جعل لسان الدين يضطرب هو الآخر فى سلوكه السياسى حتى عالج الدهاء بدهاء مثله ، وانحرف به الدهاء فأقصى منافسيه ولم يعتزل السياسة كما اعتزلها الشيخ الأكبر « محى الدين بن عربى » حينما وجد الظروف غير ملائمة لسيادة مذهب الروح على المادية الطاغية .

ولقد كان ابن الخطيب غريباً فى تبويبه لكتابه هذا ، حتى عد بحق من أمهات الكتب التى عرضت للتصوف فى معينه الأول وهو الحب الإلهى عرضاً فريداً من نوعه ، يتجلى فيه الذوق الأدبى الرفيع مع الذوق الروحى العميق . والالمام العلمى الشامل ، فكان الكتاب ذخراً لا بد أن

تحظى به المكتبة العربية بعد طول رقاد فى الخزائن الخاصة والعامة .

والكتاب من الكتب التى افتقدتها المكتبات فى الجمهورية العربية المتحدة ، وقد حاول المستشرق « ماسينيون » أن يحفز همم تلاميذه إلى تحقيقه ، ولكنهم لم يفعلوا ، ولعل ذلك كان راجعاً إلى اضطراب النسخ الموجودة منه وعدم تكاملها ، حتى رفق الله ولدنا السيد الكامل : الأستاذ عبد القادر أحمد عطا ، إلى العثور على نسخة كاملة من الكتاب أثناء وجوده بالمدينة المنورة ، فعكف على تحقيقه وإخراجه ، مجلياً ما دق فهمه ، واستغلق معناه ، وبذل من ذات نفسه فى سبيل ذلك جهداً ملموساً محموداً مشكوراً .

* * *

وقضية كتاب روضة التعريف ، هى قضية الإنكار على الصوفية بوجه عام .

ذلك أن من ذاق عرف ، ومن لم يذق لم يعرف ، ومن هنا نجد من لم يتذوقوا علم التصوف ، ولم تتهيأ استعداداتهم لفهم حقيقته يرمون المتصوفين بادعاءات باطلة فى أذواقهم ومشاربهم ، وفى علومهم ومعارفهم ، وفى مواجيدهم وأحوالهم ، فيما بينهم وبين ربهم ، وفى نظراتهم السامية العميقة فى هذا الوجود ، وفى أسرار الملكوت ، كما يدق عليهم فهم كثير من عباراتهم التى يرمزون بها إلى معان كريمة لا تخرج عن دائرة التوحيد الصافى ، والتنزيه المطلق .

ولو أن هؤلاء المنكرين قد أخذوا أنفسهم بمثل ما أخذ به الصوفية أنفسهم من تربية وسلوك ، واتقوا الله حق تقاته ، وعبدوا الله كعبادة من يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، لو أنهم فعلوا ذلك ما أنكروا على القوم شيئاً ، وما رموهم بما يرمونهم به .

وحسبنا دفاعا فى قضية هذا الكتاب ما فند به محققه براهين القضاة المالكية الذين حكموا على ابن الخطيب بالزندقة ، وحسبنا دفاعاً عن الصوفية

بوجه عام ما قاله الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، وهو أكثر أئمتهم حظاً من الاتهامات الباطلة إذ يقول :

« لقد أجمع أهل التصوف جميعاً على أنه لا تحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله ، وخاتم النبيين ، صلوات الله عليه ، وإنما هو فهم فى القرآن يعطى لرجال الله كما ثبت من حديث على بن أبى طالب : وفيض من العلم يهبه الله لمن أطاعه ، فألهمه وجعل له نوراً ... » .

ولقد جمع الشيخ الكبير سيدى أحمد زروق أسباب الإنكار على الصوفية فى قواعد ، فقال فى القاعدة (٢٠٨) .

« دواعى الإنكار على القوم خمسة :

أولها : النظر لكمال طريقهم ، فإذا تعلقوا برخصة ، أو أتوا بإساءة أدب ، أو تساهلوا فى أمر ، أو بدر منهم نقص أسرع الناس للإنكار عليهم ، لأن النظيف يظهر فيه أقل عيب ، ولا يخلو العبد من عيب ، ما لم تكن له من الله عصمة أو حفظ .

الثانى : رقة المدارك ، ومنه وقع الطعن على علومهم فى أحوالهم ، إذ النفس مسرعة لانكار ما لم يتقدم لها علمه .

الثالث : كثرة المبطلين فى الدعاوى ، والطالبين للأغراض بالديانة ؛ وذلك سبب إنكار حال من ظهر منهم بدعوى ، وإن أقام عليها الدليل لاشتباهه .

الرابع : خوف الضلال على العامة باتباع الباطن دون اعتبار لظاهر الشريعة ، كما اتفق لكثير من الجاهلين .

الخامس : شحة النفوس بمراتبها ، إذ ظهور الحقيقة مبطل الحقيقة ، ومن ثم أولع الناس بالصوفية أكثر من سواهم ، وتسلط عليهم أصحاب المراتب أكثر من سواهم ، وكل الوجوه المذكورة صاحبها مأجور أو معذور إلا الأخير والله أعلم .

* * *

لقد كان الشيخ ابن الخطيب مؤرخ التصوف ومذاهب الحب الإلهى ، والوصلة بين ذوق الشاعر وذوق الصوفى يقرب بين مشاربها حتى لم يبق إلا تصفية النفوس من شوائبها فإذا الكل من هواة الحب الإلهى الأسمى ، وكان إنكار الساسة عليه زحفا ماديا جارفا كان لابد أن تصاب به الدولة الاسلامية آنذاك ، ليمحص الله الذين آمنوا ، ويعدهم بقوة الايمان لخوض معركة العزة الممنوحة من الله لرسوله وللمؤمنين .

— ٦ —

ومن الانصاف أن نعترف بأن التصوف الاسلامى قد دخل عليه ـ فى عصوره الأخيرة ـ ما ليس منه ، وانتسب إلى المتصوفة كثير من الأدعياء ، وطاف حول مناهجه الأصيلة ضباب وغبـــار ، وأصابه ما أصاب مناحى الحياة الاسلامية من جمود وضعف ، وعادات وتقاليد لا تتفق مع جلاله وكماله ورسالته ، ومن هنا نشأ لدى البعض جهل بالتصوف وبمكانته فى دنيا الإسلام .

* * *

وإن الأمة العربية وشعوب الإسلام قد استيقظت من سباتها ، وأخذت تنفض عن معدنها غبار ماض بغيض ، فرضه عليها طغيان الاستعمار ، وبغى اليهود ، وتعصب الصليبية .

وإنها فى بعثها الجديد لفى أشد الحاجة إلى أن تتسلح بزاد الإيمان ، وقوة اليقين ، ولباس التقوى ، وروح الاسلام ، وعزيمة الجهاد .

وجماع ذلك كله التصوف ، فهو الايمان فى أسمى إشراقاته ، والخلق فى أرفع مثله ، والعلم فى أصفى موارده ، والجهاد فى أعلا ذراه .

وتلك هى الأسس التى ارتكزت عليها دولة الإسلام فى نهضتها ، واستندت إليها شعوبه فى ثباتها ، وهى الملامح الاصيلة لأعظم قوة روحية عرفها العالم ، وأسمى دعوة إنسانية وعاها التاريخ .

* * *

وقامت ثورة الثالث والعشرين من يوليو ، عام ١٩٥٢ ، وجاء معها البعث والتوثب ، وأشرق الغد بنور الأمل ، وانبعث الغافى للجهاد والعمل .

ومشت روح جديدة تحرك القوى ، وتوقظ الأحلام ، والتفتت الجماهير الإسلامية إلى ماضيها ، توقظ آمالها ، وتحيي تراثها ، وكان للتصوف حظه من ذلك ، فما كان له – وهو العنوان الخالد لمجد الإسلام وقوته الروحية الدافعة – أن يتخلف عن موكب النهضة ، بل كان كما عهدته الدنيا سباقا يتقدم الصفوف ، فأشرق نوره يغمر الحياة فى رزانة وقوة وإصرار .

ومن ذلك أن صدرت مجلات تنشر مبادىء التصوف ، وتجلى للناس آدابه ومثله ، وتدعو إليها ، كما نشرت رسائل فى مفاهيمه وتعاليمه ومناهجه .

وهذا الكتاب الذى اختاره ولدنا « الأستاذ عبد القادر أحمد عطا » هو واحد من أعمال قام بها فى مجال التصوف ، وفى سبيل تنمية الوعى الروحى بين المسلمين .

والله المسئول أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به الناس ، وأن يجزى صاحبه من الفضل كفاء ما بذل .

والله ولى التوفيق ؟

مصطفى عبد الخالق الشبراوى

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

ابن الخطيب ونشأته

هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن على بن أحمد السلمانى ، المعروف « بلسان الدين بن الخطيب » . ولد فى « لوشة » ، على عشرة فراسخ من «غرناطة» ، فى الخامس والعشرين من رجب ، عام سبعمائة وثلاث عشرة من الهجرة .

وينسب إلى « سلمان » ، وهو حى من « مراد » من عرب اليمن ، انتقل إلى الشام ، ثم هاجر إلى الأندلس ، فسكن « قرطبة » أولا ، ثم « طليطلة » ، ثم « لوشة » ، وأخيرا استقر فى غرناطة [1] .

ولا يمكن القطع بالوقت الذى هاجرت فيه هذه الأسرة من اليمن إلى الشام ، ثم من الشام إلى الأندلس ، لكن الظاهر أن الهجرتين كانتا تبعا للموجتين الماثلتين التى كانت الأولى منهما إلى الشام فى حكم الأمويين ، حيث كان لليمنيين فى دمشق ـ حاضرة العرب والإسلام آنذاك ـ مركز ممتاز ، وكانت الثانية . إلى الأندلس ، بعد أن فتحها العرب ، وأسسوا فيها مملكة زاهرة رغدة العيش ، فأسرع إليها الناس من كل فج ، وخاصة من الشام ، بدليل تسميتهم بعض بقاع الأندلس بأسماء البقاع الشامية [2] .

كان بيت لسان الدين بيت علم ونفوذ وسيادة ، وكان يعرف قديما « ببيت الوزير » ، حتى ظهر « سعيد » الجد الأعلى للسان الدين ، وكان من أهل العلم والدين ، وكان خطيبا فى لوشة ، وهو أول من استوطنها منهم ، فعرف هذا البيت حينئذ « ببيت الخطيب » .

وكان جده الأدنى سعيد من أهل القرآن والخط والحساب والأدب ، وتوفى عام ثلاث وثمانين وستمائة من الهجرة .

---

(١) ترجمة لسان الدين لنفسه فى آخر « الإحاطة فى أخبار غرناطة » وانظر « نفح الطيب ٢/٣ » .

(٢) راجع مقدمة « اللمحة البدرية للسان الدين » نشر « محب الدين الخطيب » ط القاهرة

وأبوه « عبد الله » كان أول من انتقل من هذا البيت إلى « غرناطة » وخدم ملوك بنى الأحمر ، واستُعمل على مخازن الطعام ، وكان من العلماء بالأدب والطب ، وقرأ على « أبى الحسن البلوطى » ، و « أبى جعفر ابن الوزير » ، وغيرهما ، وأجازه طائفة من أهل المشرق ، وتوفى شهيدا بطريف ، عام واحد وأربعين وسبعمائة من الهجرة .

فى هذا الوسط العلمى نشأ لسان الدين « محمد » فكان من الطبيعى أن يتجه إلى ما اتجه إليه أسلافه من تحصيل العلم ، والكلف به ، وساعده على تنمية مواهبه الموروثة كثرة العلماء من حوله ، وسهولة التحصيل ، وعناية أهل العصر بالعلم والعلماء ، واستعداده الشخصى ، وطموحه الذى يبدو فى كل مرحلة من مراحل سيرته .

قرأ القرآن الكريم على « أبى عبد الله بن عبد المولى العواد » فأتقنه كتابة وحفظا وتجويدا ، وقرأه كذلك على « أبى الحسن القيجاطى » وأخذ عنه العربية ، وقرأ على الخطيب « أبى القاسم » والشيخ « ابن الحاج » صاحب المدخل ، ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الإمام « أبى عبد الله الفخار الألبيرى » شيخ النحويين فى عهده ، وقرأ على قاضى الجماعة « أبى عبد الله بن بكر » ، وتأدب بالرئيس « أبى الحسن بن الجياب » سلفه فى الوزارة ، وأخذ الطب وصناعة التعديل عن الإمام « أبى زكريا بن يحيى بن هذيل » ولازمه وألف فى هذين العلمين .

مصنفاته ومنزلته :

لابن الخطيب مصنفات كثيرة فى علوم مختلفة تدل على سعة اطلاعه ، وجودة استيعابه ، وتعدد جوانب عظمته ، إذا أخذنا فى اعتبارنا ماكان يحيط به من مشاكل السياسة فى عصره ومن هذه المصنفات :

١ ـ الإحاطة فى أخبار غرناطة .

٢ ـ الإماطة عن وجه الإحاطة فيما أمكن من تاريخ غرناطة .

٣ ـ اللمحة البدرية فى الدولة النصرية .

٤ ـ طرفة العصر فى دولة بنى نصر .

٥ ـ رقم الحلل فى نظم الدول .

٦ ـ الكتيبة الكامنة فى أدباء المائة الثامنة .

٧ ـ إعلام الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام .

٨ ـ بستان الدول (أتم منه ثلاثين سفرا) .

٩ ـ نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب

١٠ـ خطرة الصيف ورحلة الشتاء والصيف .

١١ـ مفاضلة بين مالقة وسلا .

١٢ـ معيار الأخبار .

١٣ـ التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى .

١٤ـ الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر .

١٥ـ ريحانة الكتاب .

١٦ـ السحر والشعر .

١٧ـ جيش التوشيح .

١٨ـ الصيب والجهام (ديوان شعره) .

١٩ـ النثر فى غرض السلطانيات .

٢٠ـ عائد الصلة .

٢١ـ النفاية بعد الكفاية .

٢٢ـ المختصر فى الطريقة الفقهية

٢٣ـ الألفية فى أصول الفقه .

٢٤- روضة التعريف بالحب الشريف (وقد قتل بسبب هذا الكتاب).

٢٥- المسائل الطبية .

٢٦- اليوسفى فى الطب .

٢٧- عمل من طب لمن حب .

٢٨- استنزال اللطف الموجود فى أسر الوجود . وقد ذكره المقرى باسم استنزال اللطف الموجود فى سر الوجود(١) .

وليس أدل على منزلة ابن الخطيب فى الأدب من شهادة رجل كان صديقا له وكان خصما له يزاحمه على المنصب والشهرة فى الوقت نفسه ، هو العلامة « عبد الرحمن بن خلدون » حين يقول « وكان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله فى النظم والنثر ، والمعارف والأدب ، لايساجل مداه ، ولايهتدى فيها بمثل هداه »(٢) .

وقد برع كما هو واضح من فهرس مصنفاته فى التاريخ والأدب والفقه والأصول والطب والتصوف ، وهو منهج ليس غريبا بين علماء القرون الماضية الذين لايؤمنون بقضية التخصص فى فرع واحد من فروع العلم ، تلك القضية التى لازال يؤيدها بعض المفكرين فى العصر الحديث ، ولها فى جانبيها أنصار وخصوم .

فى ميدان السياسة :

كثر الوزراء الأدباء فى العصور الأولى للإسلام ، بل كان النبوغ فى الأدب هو المؤهل الأول للوزارة ، ولكن الوزير الأديب العالم الفقيه الأصولى

(١) نفح الطيب : ٢٤٤/٤ . راجع أيضا [بروكلمان ٢٦٢/٢ ، والملحق ٣٧٢/٢] . حيث ذكر المراجع عنه ومؤلفاته .

(٢) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا » لابن خلدون ، ١٥٥ ط القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

الطبيب الصوفى هو النموذج الذى يقل بين وزراء التاريخ الإسلامى .

وقد كانت حاجة الأندلس إلى هذا اللون الموسوعى من الوزراء ماسة بمقدار مافى التيارات المهاجمة من قوة ، فقد انقسمت الأندلس إلى دويلات ، واشتد الهجوم عليها حربيا وفكريا من أجناس ليست عربية ولا إسلامية ، وكانت الأسلحة الفكرية تختلف باختلاف الميدان الذى تلعب فيه دورها ، فهى بين العامة تشكيك وهدم و بين العلماء اتهام بالزندقة والإلحاد ، وكان كثير من العلماء يؤثرون الكسب الرخيص على الصالح العام ، ولذلك كان العلم والأدب والسياسة ضريبة لازمة على من يتولى الوزارة فى تلك الأيام ، لا سيما وأنه لم يخل الجو الإسلامى الخالص من نزعات المزاحمة وما تتطلبه من تجريح ودس ونفاق ، شأن الدول المضطربة التى تقترب من النهاية .

كان ابن الخطيب من هذا اللون الذى حذق العلم والأدب والسياسة ، وحذق لذلك الاستبداد بالدولة والتحكم فى سائر أحوالها ، وكان الاستبداد فى ذلك الوقت لازماً لزوم بقاء الدولة الفاتحة المهددة بالسقوط . وحياة الدين الجديد فى هذه الأصقاع . وإن كان هذا اللون من سياسة الدول فى حاجة إلى ضمير وعدل كان مفتقدا حتى فى بطلنا هذا .

لقد تسلل ابن خلدون إلى السلطان فاشتمله فترة من الزمن حتى ارتمض ابن الخطيب لذلك [1] وأدرك ما يجول فى صدر صديقه من الميل إلى التصدر الذى يؤديه احتراف السياسة ، ويستلزم فى الوقت نفسه إقصاء المنافس على غفلة وغرة ، وشعر الداهية ابن خلدون بمشاعر ابن الخطيب ، فلم يرد أن يمان خبيئة نفسه ، بل عالج الأمر علاجا سياسيا ، قد يؤدى فى كثير من الأحوال إلى تجريح الخصم واستدرار العطف نحو الخادم المضطهد الدخيل . فاستأذن السلطان

---

(١) « التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ٨٤ ، ٩٣ » .

فى السفر إلى صاحب « بجاية » فبارك ابن الخطيب تلك الرحلة ، وسر لها فى أعماقه . ومع ذلك فقد كتب إلى ابن خلدون بعد رحيله يتشوق إليه على طريقة الدهاة من الساسة حيث يقول :

إذا ما دعا داع من القوم باسمه　　وثبت وما استثبت شيمة هيان
وتا الله ما أصغيت فيه لعاذل　　تحاميته حتى ارعوى وتحامانى

بدأ ابن الخطيب حياته السياسية فى عهد السلطان « أبى الحجاج » سابع ملوك بنى نصر المعروفين ببنى الأحمر ، فالتحق بديوان الكتابة مرءوسا بأستاذه « ابن الجياب » شيخ المدونين فى النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية ، واستقل « ابن الجياب » برئاسة ديوان الكتابة إلى أن هلك بالطاعون عام تسع وأربعين وسبعمائة من الهجرة ، فخلا الجو لابن الخطيب ، فولاه السلطان رئاسة ديوان الكتابة ، وثناها بالوزارة ، ولقبه بها ، ثم داخله السلطان فى تولية العمال على يديه بالمشارطات ، فجمع له بها أموالا طائلة ، وبلغ به من المخالصة إلى حيث لم يبلغ بأحد من قبله .

وسفر ابن الخطيب عن « أبى الحجاج » إلى السلطان « أبى عنان » ملك بنى مرين بالعدوة ، فجلى فى أغراض سفارته ، حتى قتل « أبو الحجاج » يوم العيد ، وبويع ابنه « محمد » فأفرد « ابن الخطيب » بوزارته ، كما كان لأبيه واتخذ للكتابة غيره ، وجعله رديفا له ، وبعثه إلى « أبى عنان » مرة أخرى مستمديا له على العدو ، فلما مثل بين يديه أنشد قصيدة طويلة قبل أن يسلم عليه جاء فيها :

ودافعت عنك كف قدرته　　ما ليس يستطيع دفعه البشر
والناس طرا بأرض أندلس　　لولاك ما أوطنوا ولا عمروا

فاهتز السلطان ، وأذن له بالجلوس وقال : ما ترجع إليهم إلا بجميع عطائهم ،

وفى ذلك يقول القاضى . . « أبو القاسم الشريف » : إنه لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا .

ثم بدأ نجمه فى الأفول بسقوط سلطانه ، وتضييق المتغلب عليه فى محبسه ، حتى سفر له أحد أصدقائه عند ملك المغرب ، فشفع فيه وأطلقه .

كان ابن الخطيب من السياسيين المستبدين الذين لا يحبون من الحقائق أن نظيراً له يمكن أن يتحدث الناس عن مواهبه وأن يلهجوا باسمه ، ولذلك كان بارعا فى إقصاء منافسيه على الاستقلال بالسلطان ، شأنه فى ذلك شأن كبار الموظفين الذين يعملون فى الخفاء ضد كل عبقرية تلمع ، أو مقدرة تظهر ، فهم لأنفسهم ولو حطموا فى سبيل ذلك العبقريات ، وداسوا القدرات ، لا يحبون أن يشاركهم فى الهواء المحيط بالسلطان إنسان ولا حيوان .

كان « عثمان بن يحيى » مقدم القوم فى « غرناطة » فلما أعاد السلطان « ابن الخطيب » إلى مكانه من الدولة ، أدركته الغيرة من عثمان ، وأنكر على السلطان الاكتفاء به وخوفه على ملكه من أمثاله ، واشتد نكيره حتى نكبه السلطان وأباه وإخوته فى رمضان عام أربع وستين وسبعمائة من الهجرة .

وخلا الجو لابن الخطيب ، وغشى بابه الخاصة والكافة ، فأصيب بالوشاة الحاقدين كذلك ، وتوافق منافسوه على السعاية به ، وأصم السلطان أذنيه عن هؤلاء ، وعلم ابن الخطيب بذلك ، فجرد همته فى الإيقاع بهم .

وكان « عبد الرحمن بن أبى يفلوس » ابن عم «أبى الحسن» ملك العدوة شيخا للغزاة فى الأندلس ، وكان بارعا ، فأغرى ابن الخطيب سلطانه عليه وعلى « ابن ماسى » فقبض عليهما .

وكان أمر حاسديه قد اشتد لكثرتهم وتوافقهم ، فأوجس ابن الخطيب منهم ، وأجمع أمره على التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان

فى تفقد الثغور الغربية ، وسار إليها فى لمة من فرسانه ، فلما حاذى « جبل الفتح » اضطر إلى اجتياز العدوة ، فخرج قائد الخيل لتلقيه ، وأجازه إلى (سبتة) فسار يقصد السلطان ، عام ثلاث وسبعين وسبعمائة من الهجرة ، بمقامه من (تلمسان) فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطان خاصته لتلقيه ، وأرسل يطلب أهل ابن الخطيب وولده فجاءوا على أكرم حال .

ولغط المنافسون فى شأنه ، وأغروا بتتبع عثراته ، وشاع على ألسنة أعدائه كلمات من الزندقة أحصوها عليه ، ونسبوها إليه ، ورفعت إلى قاضى الحضرة « الحسن بن الحسن » فاستدعاه ، وسجل عليه بالزندقة ، وأرسل إلى السلطان « عبد العزيز » فى الانتقام منه ، فأبى السلطان أن يخفر جواره .

ولما مات السلطان عبد العزيز ، ورجع بنو مرين إلى المغرب ، وتركوا تلمسان ، سار هو فى ركاب الوزير « أبى بكر بن غازى » فنزل بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنق فى بناء المساكن ، واغتراس الجنات .

ولما أستولى أبو العباس على (البلد الجديد) أوائل عام ست وسبعين وسبعمائة من الهجرة . ثار الدخان حول ابن الخطيب ، فدسوا له عند السلطان ، بأنه كان يغرى السلطان عبد العزيز بملك الأندلس ، وانتهى الأمر بنجاح سليمان بن داود فى القبض على ابن الخطيب ، وإحضاره فى مجلس الشورى ، وعرضوا عليه كلمات وقعت له فى كتابه (روضة التعريف بالحب الشريف) الذى نقدم له ، وعظم عليه النكير فيها ، ونكل به وامتحن بالعذاب ، ثم تشاوروا فى قتله ، وأفتى بعض العلماء بذلك ، ولكن سليمان بن داود ، أسرع فدس له بعض الأوغاد من حاشيته فدخلوا عليه سجنه ليلا وخنقوه ، وأضرموا النار حول جثته حتى احترق شعره واسودت بشرته . ثم أودع حفرته .

وكان لسان الدين يتوقع نكبته فى سجنه فيبكى نفسه ويقول :

بعدنا وإن جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما وكنا نقوت فها نحن قوت

إلى أن يقول :

فقل للعدا ذهب ابن الخطيب وفات ومن ذا الذى لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له فقل يفرح اليوم من لا يموت

ويروى « التنبكتى » فى « كفاية المحتاج فيمن ليس فى الديباج »[1] أنه رثى نفسه بقوله :

قف لترى مغرب شمس الضحى بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله قتيلا بها كان إمام العصر فى المغرب

ويعلق على ذلك بقوله : وكان قتله والحكم بكفره وصمة فى جبين قضاة المالكية بالمغرب ، حيث كانت فتوى بلا برهان .

كتاب روضة التعريف بالحب الشريف :

المخطوطة التى عثرت عليها بالمدينة المنورة لهذا الكتاب تم نسخها فى ضحوة الخميس ، حادى عشر من شوال ، عام ألف ومائة وتسع عشر من الهجرة ، بالمدينة المنورة ، على يد الشيخ « محمد بن مصطفى بن عمر الأسكدارى ثم المدنى[2] » وتقع فى مائة وثلاثين ورقة ، ومسطراتها ثلاث وثلاثون سطرا ، وهى بخط نسخى

(١) من مخطوطات مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة المنورة وقد وقفت عليه أثناء وجودى هناك .

(٢) حدثنى علامة المدينة المنورة المرحوم الشيخ « أحمد يس الخيارى » رضى الله عنه بالمدينة المنورة عام ١٩٦٠ ميلادية أن هذا الناسخ كان أحد كبار العلماء بالمدينة المنورة وكان يقرأ الفتوحات المكية على طلابه بالحرم النبوى الشريف .

جميل جداً ، وعليها تقييدات بخطوط مختلفة ، ونقول من كتب الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ، ومن كتب الشيخ العارف عبد الوهاب الشعراني وغيرهما.

وقد دخلت النسخة في نوبة الشيخ علي بن عثمان المدني ، المعروف بمفتي زاده ، عام «ألف ومائة وثلاث وعشرين من الهجرة» ، وفي أسفل صحيفة العنوان كتب « حلمي بك عاصم » ، خادم السلطنة بدار الهجرة ، أنه استعار هذا الكتاب من صاحبه المذكور وأخذه معه إلى استامبول لنسخه وإعادته .

والنسخة جيدة الخط مشكولة الحروف، وبها تحريف قليل ، وسقط أكثر قليلا من التحريف ، فاتخذتها أساسا للتحقيق ، لاسيما وأنها مراجعة على نسخة ثانية ، وأثبت مراجعها بعض الفروق على الهامش ، ولم أجد لهذا الكتاب نسخة خطية أخرى ، غير اختصار له بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية، ولذلك قمت بتصوير أقدم النسخ من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

١ ـ نسخة الظاهرية بدمشق :

صورت من نسخة خطية بالظاهرية وتقع في ١٢٤ ورقة ، ومسطرتها ثلاثة وعشرون سطراً ، وتم نسخها في يوم ، الأحد سابع شهر رمضان المعظم سنة خمس وخمسين وثمانمائة من الهجرة ، على يد « عمر بن عبدالله بن محمد المظراوي» وخطها جيد ، ولكنها رديئة جدا ، وكثيرة التحريف والسقط والتصحيف ، ولكنا استفدنا منها في إضافة كثير مما سقط من الأصل ، وليس عليها تقييدات ويبدو أنها ونسخة أسعد أفندي تنتميان إلى أصل واحد لاتفاقهما غالبا في السقط والتحريف . وهي فيلم مصور بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية .

٢ ـ نسخة أسعد افندى بتركيا :

كتبها : أحمد بن عمر بن عبد القادر الشربيني . وفرغ من كتابتها يوم الخميس المبارك عاشر شهر شعبان المكرم سنة أربع وخمسين وثمانمائة من الهجرة ، وتقع فى ٢٨١ ورقة ، ومسطرتها واحد وعشرون سطرا ، وهى بخط نسخى جميل جدا ، وليس عليها تقييدات .

وهى قليلة التحريف بالنسبة إلى نسخة الظاهرية ، ولكن بها بعض السقط وقد اتفقت مع نسخة الظاهرية فى كثير من مواضع التصحيف ، وقليل من مواضع السقط .

ولكنها تعتبر من النسخ الجيدة . وهى من مصورات معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية كذلك .

منهج الكتاب ومزاياه :

ألف ابن الخطيب كتابه هذا معارضا به «ديوان الصبابة» لابن أبى حجلة التلمسانى ، ويقول عنه فى رسالة بعثها لابن خلدون : إن كتابا وقع للسلطان من تصنيف « أبى حجلة » من المشارقة ، فأشار الأصحاب بمعارضته ، فعارضته وجعلت الموضوع أشرف ، وهو محبة الله تعالى ، فجاء كتابا ادعى الأصحاب غرابته ، وقد وجه إلى المشرق صحبة تاريخ غرناطه، وتعرف تحبيسه بخانقاه سعيد السعداء [1] . ولا وجود لهذه النسخة ولا لصورة منسوخة منها ، ولعلها نهبت إلى مكتبة خاصة أو فقدت . ونرجح أن تكون هى أصل النسخة المدنية لكثرة المهاجرين للمجاورة من مصر إلى المدينة المنورة من العلماء ، ونشاط التصوف فى الحرمين الشريفين فى تلك الأزمان . ولأن أغلب المهاجرين للمجاورة كانوا من صوفية العلماء الذين كان يعج بهم خانقاه سعيد السعداء ، فمن القريب إلى

(١) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا : ١٢١ ط القاهرة

العقل أن تكون قد نسخت على يد أحد الصوفية الذين صحبوها معهم إلى دار الهجرة المباركة .

أما نسخة أسعد افندى ونسخة الظاهرية فنرجح أن تكونا ترأمين من أصل تركى .

ويقول لسان الدين فى مقدمة كتابه : إن السلطان هو الذى أمره بمعارضة الكتاب ، ولا غرابة فى اختلاف كلامه الموجه لابن خلدون وكلامه المذكور فى المقدمة ، فقد يكون السلطان أمره بالمعارضة بناء على رغبة الأصحاب .

ومنهج الكتاب غريب فى بابه ، فهو منهج لم يتفق لمؤلف قبله ، ويعتبر بحق خطوة فى سبيل التجديد الصوفى لم يسبق إليها ، فهو يقول فى المقدمة « وقد ذهبت فى ترتيبه أغرب المذاهب ، وجعلته شجرة وأرضا ، فالشجرة المحبة مناسبة وتشبيها ، وإشارة لما ورد فى الكتب المنزلة وتنبيها ، والأرض النفوس التى تغرس فيها ، والأغصان أقسامه التى تستوفيها ، والأوراق حكاياتها التى تحكيها ، وأزهارها أشعارها التى تجليها ، والوصول إلى الله ثمرتها التى ندخرها ونقتنيها .

ويقول كذلك « إنه لم يترك فنا إلا جمع بينه وبين مناسبه ، ولا نوعا إلا ضمه إلى ما يليق به ، فاستكثر من الشعر لأنه من الشجرة بمنزلة النسيم الذى يحرك عذبات أفنانها ، وهو المزمار الذى ينفخ الشوق فى يراعته ، واجتلب الكثير من الحكايات لأنها وسائد مجالس الرقائق ، ومراوح النفوس من كد الأفكار ، ونقل شواهد من الحديث والخبر تجرى صحاحها مجرى الزكاة من الأموال ، ويجرى ما سواها من غير الصحيح مجرى الأمثال » .

فالكتاب على هذا كما يقول مؤلفه « مسرح للفاره وغيره ، يجد فيه كل ميدانا لسيره ، وملقطا لطيره ، ومحكا لغيره ، فمن فاق كلف بأصوله ، ومن قصر قنع بفصوله » .

ولم يهمل المؤلف مسائل الحب غير الإلهى ، لامن جهة الأسباب ولا من جهة الغايات وهو وإن لم يبوب عليه أصلا ، فإنه أدرجه ولم يهمله ، بل استحث فى كثير من المواضع طوائف المحبين لغير الله أن ينطلقوا من حبهم المقيد إلى جنات الحب المطلق ، حتى ينبته الله النبات الحسن ، فتنتشر فى إيالة القلب دعامته ، ويظهر فى أقطار الروح سلطانه ، ويقود جنوده التفكر ، ويأخذ بيمنه الإخلاص ، وترفع جنايبه المحاسبة ، وتقرر أحكامه العزيمة ، ويقرب إليه الشهود ، ويحقق زينته الفناء ، وتظفر باستخلافه الولاية .

ويرى المؤلف أن الحب الإلهى هو أصل طريق التصوف ، وأساس الوعى الروحى ، وأن الأرض التى يغرس فيها الحب الإلهى وهى النفس لابدمن تنظيفها من الشكوك ، ثم إروائها من جداول العقل والنقل ، بعد تمييز ما يصلح منها لاغتراس الحب الإلهى ومالا يصلح .

ثم يتحدث عن أسباب المحبة ، ويبدأ بتحقيق الفرق بين المحبة والمعرفة ، وأيهما شرط لازم لصاحبه ، ويخلص إلى أن المعرفة العامة تسبق الحب ، وتتبعه المعرفة الخاصة . وأسباب الحب عنده النبوة ، والإيمان ، واليقظة ، والتوبة ، والتفكر ، ومعرفة الجمال والكمال .

والسلوك إلى الحب بالذكر ، وبالسيمياء التى عفن بعضها وبقى الانتفاع ببعضها ، وبعد ذلك يتحدث عن المحبة وأنواعها واشتقاقاتها

ثم بعد ذلك يتحدث عن العارف وأوصافه وعلومه ، ثم عن البدايات ، والأبواب والمعاملات ، والأخلاق ، والأصول ، والأودية ، والأحوال ، والولايات ، والحقائق ، والنهايات .

ثم يتحدث عن أنواع المحبوبات . ثم عن المحبين من الفلاسفة الأقدمين

والإشراقيين والإسلاميين والمكاملين ، وأهل الوحدة المطلقة ، والصوفية سادة المسلمين .

ثم يتحدث عن علامات المحبة ، مايرجع من ذلك إلى حقوق المحبوب ، أو إلى ظاهر الحب ، أو باطنه ، ثم عن أخبار المحبين ، ثم عن جوائح الشجرة ثم عن تغريد الطائر الصادح فى أعلا الشجرة ، أى شجرة الحب الشريف .

وأنت ترى مدى غرابة تبويب الكتاب، وتأثره بالذوق الأندلسى الرفيق حتى جاء على عمقه فى العلم آية من آيات الإبداع والسهولة ويسر الفهم ، اختلط فيه الذوق الأدبى بالحقائق العلمية ، فساغ النظر فيه ، وخف على العقل ، واستراحت له النفوس ، واجتلب إليه الكثيرين من القراء ، وتلطف فى جذب البعيدين إلى حضرة القرب .

ومادة الكتاب العلمية دلالة واضحة على سعة أفق المؤلف العلمى ، وإلمامه بالمذاهب الفلسفية المختلفة ، وقضايا الكلام والتصوف ، ولانستطيع أن نقول إنه ثمرة درس خال من السلوك ، لأن التصوف العلمى يمكن تمييزه عن التصوف العملى من اللهجة العامة ، والذوق الرقيق ، والإشعاعات التى تغمر القلب من قول السالك الحق : وهو مانجده فى كل سطر من سطور الكتاب، ولعله درس أصول التصوف على شيخه « ابن الحاج » صاحب المدخل ، فقد كان صوفيا متشرعا ، لأننا لم نستطيع الوقوف على سلسلة مشايخ المؤلف فى التصوف ، مع البحث الطويل ولقد أيد القول بسلوك ابن الخطيب للطريق أستاذنا العلامة الصوفى الكبير سيدى الأستاذ الشيخ مصطفى عبدالخالق الشبراوى ، ولايطعن عليه فى سلوكه اشتغاله بالسياسة ، فلعله كان يريد أن يسود التصوف ميادين السياسة ، كما حاول الشيخ الأكبر « محيي الدين بن عربى » وإن لم ينجح مسعاه .

وللكتاب مزايا ينفرد بها وأهمها مايأتى :

١ — جاء سجلا جامعا لمذاهب المحبة عند مختلف المذاهب والطوائف ما كان منها على هدى ، وما كان منها فى ضلال مبين ، بل وبين مظاهر الكون بعضها مع بعض ، وبين الأفلاك والأكوان ، وبين الألحان الموسيقية ، وهو مالم يستقل به تأليف قبله .

٢ — جاء سجلا جامعا كذلك لكل مايحتاج إليه الإنسان لتقويم وعيه الدينى ، من التشريع ومسائل الكلام والعقيدة ، وترقية الذوق ، وتطهير النفس ، وتصفية الروح .

٣ — يعرض القضايا العلمية فى صورة أدبية محببة للنفس بحيث لا يمل قارئه ، بل ينساق معه حتى نهايته ، دون ملل ولا توقف . ولكل نوع من العلماء فيه مجال .

٤ — الكتاب عرض شامل لمذهب التصوف ، وتحديد دقيق لاتجاهاته ، وأحواله ، ومقاماته ، وثمراته ، وحقائقه . وقل أن نجد كتابا جامعا لذلك كله .

٥ — يغنى الباحث عن كتب كثيرة ، فهو يضع أمام القارىء مذاهب شتى فى موضوع واحد فتسهل المقارنة بينها .

٦ — يقرر للغة العربية أصالة الذوق الأدبى فى عالم المعانى ، فهو يربط بين أقوال الشعراء فى المعانى المقاربة لمعانى الصوفية ، فلم يبق إلا توجيه قليل يصبح بعده جميع الناطقين بالعربية من رواد الوعى الروحى .

هذا إلى كثير من المزايا الفرعية ، كتحقيق لفظ المحبة ، وأنواعها ونقد المذاهب المضلة ، وغير ذلك ، وإن كان فى كثير من مواضعه قد اقتبس من كتب الأقدمين مثل « حكمة الإشراق للسهروردى ، وشرحها الشيرازى ،

وفصوص الحكم للشيخ الأكبر، والتدبيرات الإلهية له أيضا ولم ينبه على اقتباسه بينما نبه على ذلك فى تقوله عن فلاسفة اليونان وغيرهم غالبا .

قضية الكتاب :

قتل ابن الخطيب بسبب هذا الكتاب ، أو كان هو السبب المباشر لقتله وإن كانت الأسباب تضرب بجذورها إلى الحقد والسياسة . وقيل فى سببه ذلك : إنه يقرر فى كتابه مذهب الوحدة المطلقة الذى يجر إلى القول بالحلول والاتحاد ، وغير ذلك من أقاويل الزندقة والإلحاد .

ولا أدرى كيف حكم القضاة المالكيون على الرجل بالقول بالوحدة المطلقة إلا إن كانوا قد استقوا هذه التهمة من أفواه أعدائه ، دون رجوع إلى أصول الكتاب ، وتلك سابقة غير حميدة فى القضاء المالكى بالمغرب .

وسواء رجعوا إلى أصول الكتاب أم لم يرجعوا ، فالحكم على الرجل بسبب كتابه هذا لا يبرئ قضاة المالكية من تحطيم سور العدالة وانتهاك حرمة الدين ، لا لشىء إلا لأن هذا الكتاب يخلو تماما من التهمة التى وجهت إلى مؤلفه بالمعنى الذى يريده القانون والعدل ، لا بالمعنى الذى تريده السياسة والكسب الرخيص آنذاك .

١ ـ لقد عرض المؤلف لمذاهب المحبين كما أسلفنا . وعرض من جملتها مذهب أهل الوحدة المطلقة ، بل مذهب الطبيعيين ، وعرض المذاهب لا يحتمل القول باعتناق المؤلف لها والحكم عليه من أجل عرضها .

٢ ـ فى حديثه عن « جدرة الحلول والاتحاد » يقول : « وهما من مقالات النصارى . . . وهو باطل » . ثم ساق الأدلة على بطلانهما عقلا ونقلا ، ثم قال : « وما يلزم ذلك من غلاة الصوفية فهو يوهم هذا الباب وليس به » . . .

وليس مرادهم أن شيئين صارا واحداً ، إنما مرادهم : أن التوحيد الحقيقى هو التخلص من ضيق عالم الحدوث ، إلى فسحة القدم ، وهو ثلاث درجات :

الأولى: العرفان التام المترجم عنه «بأنا» وليس إلا لله حقيقة وللسالك وهما، لاحت للعارف منهم حالة فى نفسه ليس فى الدلالة اللسانية مايدل عليها ، فساق أقرب الألفاظ الدالة عليها ، مع علمه فى الحال بأن الله لايتحد به شىء ولا يحل فى شىء .

الثانية : مقام الحاضر فى مقام المكاشفة ، الغائب عن الغيرية ، وترجمته «أنت » ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنت كما أثنيت على نفسك » .

الثالثة : مقام الغائب المستدل بالأثر ، المحجوب عن العيان بالخبر ، وترجمته « هو » .

فمن زعم أنه اتحد بالله بعد أن كان غيره ، وصار معه شيئا واحدا لم يكن من الصوفية المحققين فى شىء ، وهو إلى الهذيان أقرب .

ومن زعم أنه تلاشت رسومه ، وفنى عن وجوده ، وأدرك عند ذلك حقيقة ذاته ، وفنى من لم يكن ، وبقى من لم يزل ، ترك وتوقف فيه . لأنها لا تعلم حقيقتها بالبرهان ، ومدعيها من أهل الاستقامة ، ولا يصح الحكم على مالا يعرف ، إنما مستند هذه الدعوى الوجدان ، وهى من باب خرق العوائد ، لكن ينبغى ألا يصدق فيها كل مدع ، وأسرار الله لا ينكر فيها الغامض والأغمض

٣ — ويقول المؤلف فى حديثه عن مراتب الذكر : « ومن ليس له قدم ثابتة أوهم الجحد ، ثم يفنى بعد ذلك الفناء الثانى ، ثم أبقى بالشريعة ، ويعبر عنه بمقام : كنت سمعه و بصره ، وكثير من الطوائف تدعى الحلول والاتحاد ، والكل متفقون على أنه لا يبقى فى ذلك المقام إلا الله ، ومن كلف الحادثات

العبارة عن هذا المقام فقد ظلمه وعرضه للفضيحة الدائرة بين الكفر والحماقة ».

٤ — ثم يقول بعد ذلك « وإن كانت نفسه فى رتبة النفس الكلية أدرك العقل الكلى والأول وهو ذاته ، فما بقى له ذات يعاين بها ذات الله ، وإنما يدرك ذات نفسه ، فلا يدرك ذات الله إلا الله ».

---

٥ — وأورد فى نهاية مذهب أهل الأنوار من الأقدمين عدة أدلة على بطلان الاتحاد .

وقال فى نهاية حديثه عن مذهب أهل الوحدة المطلقة : « قلت و واهر الكثير من هذه الألفاظ توهم معارضة الشرائع ، ومنشأ هذا الرأى على الاتحاد، وقد تبين بطلانه ، وفضلاء نحلتهم يتراوغون عنه » . ثم يقول : « وهم محسوبون من المحبين ، فمن طمح إلى شىء ، وتهالك فى الوصول إليه ، وتأكد إليه ميله، وفى التوحد به طمعه ، وعظم إليه اشتياقه ، فهو محب من غير نزاع ، ميزانه فى المحبة راجح بزعمه » .

هذه أقوال المؤلف التى اتهم بالزندقة من أجلها ، فهل هو زنديق حقا ؟

الحق أنه يخالف مذهب الوحدة والحلول والاتحاد ، فهو يعد من زعم أنه اتحد بالله بعد أن كان غيره ، وصار معه شيئاً واحداً إلى الهذيان أقرب منه إلى مذهب الصوفية ؛ بل هو من الغلاة الذين ضلوا وأضلوا .

وأما توقفه فيمن زعم أنه تلاشت رسومه وفنى عن وجوده . . . ولم يبق إلا الله ، فلا يلزمه دعوى الزندقة بأى حال . وقد أقام الدبلى القاطع على جواز التوقف فى حق هذا النوع ، لأن البراهين العقلية لا تثبت هذا النوع من المسائل ، بل إن الوجدان الشخصى هو مستند هذه الدعوى ، وحيث كان الوجدان الشخصى لا يمكن كشفه بدليل ، فالتوقف جائز بل واجب لأنه

أولى من تكفير المسلم بشبهة . لاسيما وأن أصل حال المسلم مبنى على الصلاح والستر ، ولا يجوز العدول عنه إلا بمرجح ، فإذا انعدم المرجح بقى الأصل على حاله .

وفتاوى أهل السنة من العلماء لا تحكم بتكفير الصوفى إذا نطق بألفاظ غامضة غير مألوفة ، فضلا عن تكفير من أبدى رأيه فيها دون أن ينطق بها .

جاء فى « باب الردة » من شرح الروض لشيخ الإسلام «زكريا الأنصارى» رضى الله عنه : « والصوفية كلهم أخيار ، وكلامهم جار على اصطلاحهم ، وهو حقيقة عندهم فى مرادهم ، وإن افتقر عند غيرهم إلى التأويل ، واللفظ المصطلح عليه حقيقة فى معناه الاصطلاحى مجاز فى غيره ، فاعتقادهم بمعناه اعتقاد صحيح . . . لأنه قد يصدر من العارف بالله تعالى إذا استغرق فى بحار التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان الحالة التى ترقى إليها ، وليس منها بشىء » .

وذكر مثل ذلك القاضى البيضاوى ، والحافظ ابن حجر ، والتقى السبكى ، والسراج البلقينى وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام[1]

وقد شهد « ابن مفلح المقدسى الحنبلى » بما شهد به الشيخ الأنصارى وغيره ، وهو من تلاميذ الشيخ ابن تيمية الذى كان يقوم الصوفية بجهده كله . قال: « يخطر بقلوب العلماء نوع يقظة، فإذا نطقوا بها و بحكمها نفرت منهم قلوب غيرهم من العلماء . . . كقول بعضهم : لست أجد الرقيب والعتيد حشمة . فظاهر هذا كفر لأنه تهوين بحفظة الله ، وكشف السر عن ذلك : أنه يريد : غلبت على هيبة ربى ومن يشهدنى فسقط من عينى حشمة من يشهد على وكفت

---

(١) البرهان الأزهر فى مناقب الشيخ الأكبر .

تأجد الحشمة لها لغفلة أعقبها صحو . . . فاحذر من الإقدام على الطعن على العلماء مع عدم بلوغك إلى مقاماتهم ، واختلاف أحوالهم ، حتى أنهم فى حال كشخص ، وفى حال آخر كشخص آخر ، فمن علم أن الخلق لا يستوون فى الأحوال ولا فى المقال فلا يعقد الظن ببادرة الواقع فيقع ناقصا[1] » .

ولم يقل أحد من أهل العلم بتكفير هؤلاء العلماء الذين برأوا ساحة الصوفية ، فكيف يقال بكفر ابن الخطيب الذى توقف ولم يزد على قوله « وأسرار الله لا ينكر فيها الغامض والأغمض » ، وكان حريصا كل الحرص فقال : « ولا يصدق فى هذه الدعوى كل أحد » . وحكم صراحة على أهل الوحدة المطلقة بالانحراف .

أعتقد بعد ذلك أن ساحة ابن الخطيب بريئة ، وأن الحكم بكفره كان دعوى بلا برهان ، وكان وصمة فى جبين قضاة المالكية فى المغرب لن يغتفرها الله ولا التاريخ . فقد كانت تلك الدعوى سببا فى حبس هذا الكتاب عن الظهور فترة طويلة من الزمن ، وكانت السياسة هى المسئولة عن تلك الجريمة وأمثالها ، كما كانت فى الوقت نفسه صورة للأمم التى تتأهب للسقوط من قمة الحضارة ، ودليلا على اضطهاد الوعى الروحى فى أخريات الدولة الأندلسية .

حاجتنا إلى مثل هذه الكتب :

كان الوعى الروحى فى صدر الإسلام نشطا كل النشاط ، ولذلك سادت مذاهب الورع والزهد والضمير الحى ، ولم يكن المجتمع فى حاجة إلى سيف السلطان إلا فى حالات نادرة لا تخلو منها أمة من الأمم . وكان الإيثار مبدأ سائدا بين الناس ، فاعتدل المنحرف ، واستقر الأمن والنظام ، واستراح القاضى

(١) الآداب الشرعية ١/ ٣١٤

وعمل الكل فى سبيل الله والوطن دون تقييم مادى للأعمال ، فالتأم شمل الأمة وقوى بنيانها ، واندفع هؤلاء السادة إلى خارج الجزيرة ، وتوجوا التاريخ كله بتاج العز والفخر ، وركزوا راية العدل فى الأمم المفتوحة ، ونشروا الدين الجديد فى أصقاع بعيدة .

وجاء العصر الأموى ، فتهاون الحكام مع أنصارهم ، وأقاموا الحدود على معارضيهم وبدأت المادية فى السيطرة على الروحية ، فاختل النظام ، وآذن الأمة شر وليد ، واعتزل أمثال سعيد بن المسيب رضى الله عنه بعد ماضاعت صرخات أمثاله بين رنين الذهب ، وبهرج المادة الزائف . أما من هلع من أنصار الوعى الروحى من الزحف المادى المدمر فقد لجأوا إلى المغارات وقلل الجبال والخلوات ، يقيمون مذهبهم فى خاصة أنفسهم ، وفيمن أرادهم من الناس ، وبدأت سيوف الحكام تجتز رقاب هؤلاء الأعلام واحداً بعد الآخر ، وقد نبه الشعرانى رضى الله عنه فى طبقاته على كثير من هؤلاء الشهداء الذين أهريقت دماءهم ، لا لذنب إلا لأنهم صرخوا وسط الجماهير أن عودوا إلى الإيثار وقاوموا سلطان المال ، يعد لكم مجدكم ، وتكونوا بحق خير أمة أخرجت للناس . كان هؤلاء يسيرون على نهج الزحف المقدس إلى الأمة العالمية التى يسودفيها الإسلام الإبراهيمى المحمدى كل العالم تحقيقا لوعد القرآن حتى : « لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » وكان الماديون يشدون الشعوب إلى الأرض وإلى استكانة وذلة ذاق المسلمون أهوالها منذ هذا التاريخ حتى صحوة المسلمين بعد احتلال اليهود لفلسطين ، كان الوعى الروحى صمام الأمن من الانحدار ، وكانت المادية هى الانحدار بعينه . كانت الروحية راحة الشعوب ، وكانت المادية بؤس الشعوب .

وجاءت الدولة العباسية ، فارسية الأصل عربية الظاهر ، واستحكم سلطان المال بين الناس ، وجر عليهم من الموبقات المخجلات الشىء الكثير ، ونشط

العلم فى روحانياته وماديانه وإلحادياته ، واضطرب الناس أمام هذه الأكداس الماثلة من التراث وتغلبت نزعة الشر لأنها أقرب إلى الطبائع البشرية ، وأسرع فى السيادة من النزعات الخيرة ، و إن لم يخل المجتمع من حملة مشاعل الوعى الروحى الأقوياء .

ثم انحلت الدولة الإسلامية بأسرها ، وانقض عليها أخلاط من القراصنة وشيوخ المذاهب الهدامة ، واشتد شأن الفرق الضالة ، وخمدت شعلة العلم ، وصار التراث الإسلامى آثارا محفوظة إلى نهاية العصر التركى حيث استنامت العقول تماما عن كل نشاط بناء .

بل لقد انحدر التراث العربى إذ ذاك إلى الأوفاق والأزياج والطلسمات والسحر ، ومخاطبة الأرواح والاستعانة بالساقط منها على حل مشاكل الأمة ، فأعاد هذا التراث إلى الذاكرة غضبة الله على كنعان ، حينما تمت جريمتهم ، وهلكت حضارتهم ، كما أعاد إلى الذاكرة وصايا موسى لبنى إسرائيل حينما عدلهم جرائم كنعان محذرا إياهم من التردى فى مثلها .

ولم يكن من فارق سوى غفران قد سبق للمحمدين ، ولعنة سبقت على كنعان وإسرائيل .

وانتقلت قيادة الفكر من أيدى العرب إلى أيدى الأوربيين ، ولكنه كان فكرا ماديا إلحاديا لا أثر فيه للروح . وانتقلت تلك الأفكار المادية إلى المسلمين والمسيحيين فى الشرق حتى صارت وسيلة من وسائل الشهرة فى يوم من الأيام ، فأخذ محترفوا الشهرة من مختلف الطبقات والمستويات .

وجاء القرن العشرون ونشطت المعامل وسهر العلماء على المادة يسبرون أغوارها ، فأفلتت من أيديهم ، وظهر زيفها فعاد العلماء هناك إلى الروحانية والإيمان العميق .

ولم يخجل محترفوا الشهرة فى الشرق، بل ساروا على نهجهم دون أن يظهر جديد من هؤلاء المحترفين إلا أوشاب لا تبدئ فى عالم الفكر ولا تعيد.

ونحن أصحاب التراث الذى عاد إليه علماء أوربا فى العصر الحديث، وقد جر بنا خيره العميم على المجتمع الإسلامى فى عصر زاهر حبيب إلى كل نفس مؤمنة، ونحن الذين نعانى من ويلات الشره والأثرة والجشع شرور الايعلم مداها إلا الله والحكام الذين ضاقوا بعلاجها.

ومع ذلك ينادى كثير من المثقفين ضد الوعى الروحى الذى يعتبر الملاذ الأخير لإصلاح مثمر بناء. وكثير من هؤلاء يقلدون غيرهم فى الدعوة ضد الفلسفة الروحية، دون أن يعملوا نظرا، أو يقرأوا كتابا، و بعضهم قرأ ودرس وتبوأ مناصب الأستاذية، ولكنه لا زال يؤمن بخرافة التجديد التى كانت سائدة فى القرن التاسع عشر لدى الأوروبيين. فهل علم أن أساتذته من الأوروبيين هجروا تلك الخرافة، واتجهوا اتجاها روحيا كنا نحن أولى بالسبق فيه ؟!!

وبعضهم مدفوع بإغراء المال. فكان ولاؤه لهيئات أجنبية لها أهداف خافية، يحاولون إظهارها باسم الدين والحفاظ عليه، كما كانت تعمل فروع « الوهابية » فى العالم الإسلامى، وفروع « اليهوبين[1] » فى العالم المسيحى الشرقى.

وكذلك ما تفعله فروع « الأدفنتست » فى العالم الشرقى عامة والمسيحى

---

(١) جماعة تسمى باسم «شهود يهوة» أو «برج المراقبة للكتاب المقدس والكراريس» مسيحية الظاهر، يهودية الأهداف، ولهم مجلة واسعة الإنتشار باسم «برج المراقبة» وتطبع بما يزيد على ثلاثين لغة، ومطبوعات كثيرة مختلفة المناهج (راجع من منشوراتهم كتاب: الحق يحرركم. وكتاب: ليكن الحق صادقاً) وكان لها فرع بالقاهرة.

صنه خاصة وما ساست به «الماسونية» للمفكرين فى العالم كله، والشرق خاصة، تلك الجماعة التى تعتبر بحق أساسا خطيرا من أسس اضطراب الفكر ، وقيادته فى مهارة وسرية وخفاء نحو أهدافهم المزعجة فى العالم كله ، ولا سيما العالم الإسلامى ، الذى استعصت عليهم عقيدته ، فلم يستطيعوا تحريفها كما حرفوا غيرها .

وقد أثبت تحقيق كثير من علماء الدين والفلسفة فى الغرب أن صلة مقيتة بين الماسونية واليهودية العالمية ، و بينهما و بين الانحراف الفكرى، والانحلال الدينى ، والفكر المادى ، وانخفاض مستوى النبوغ فى الشرق[1] .

وقد تأثر بها كثير من قادة الفكر فى هذا العصر ، فوجهوا الأجيال ، نحو تحرير جوارحهم وعقولهم من كل قيد ، غافلين عن التخريب الذى يحدثه فرس جامح لا يضبطه لجام ولا قائد .

لقد غزت هذه الجماعة الخطيرة ميادين العلم فى العالم كله ، ولا زال كثير من مذاهب اليهود الهدامة يدرس باعتزاز فى جامعات الشرق مثل نظريات الطبيب النمسوى اليهودى « فرويد » .

---

(١) راجع . الخطر اليهودى . أو بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة الأستاذ محمد خليفة التونسى ، والسر المصون فى شيعة الفرمسون ، للأب لويس شيخو اليسوعى . وهذه هى الماسونية . ترجمة بهيج شعبان ط بيروت . ومؤلفات إدريس راغب عن الماسونية.

وانظر . لمعرفة الروابط بين الإسماعيلية والماسونية . عقائد الباطنيه ، لليمانى نشر عزت العطار ومنشورات اسماعيلية ، نشر . د . عادل العوا . ط دمشق .

والنظر لمعرفة الروابط بين البهائية والماسونية واليهودية العالمية . كتاب « البيان » الذى ادعى بهاء الله إيحاء الله تعالى إليه به . ، ومحاورات عبد البهاء . ، والحجج البهية لأبى الفضائل الجرفادقانى ورسائل البهاء فى مفتاح باب الأبواب . والأبواب .

ويجب ملاحظة أن شهود يهوه ، والبهائية ، والإسماعيلية ، يقوم سلوكها على درجات تتراوح بين سبع درجات واثنتى عشرة درجة . وأن الماسونية أسبق إلى هذا الترتيب وأحكم سياسة له .

لقد اتجهت حركة الهدم الموجه ضد الإسلام إلى الأساس الذى قام عليه بناء العالم الإسلامى ، وهو العقيدة ، فزلزلوه بالمال ، والطقوس الماسونية العجيبة التى تضرب بجذورها إلى عهد « سليمان بن داود » عليه السلام ، وبالتعاون الأخوى إلى أقصى الحدود ، وبإشباع نواحى النقص فى كل مفكر ، ثم استخدامه فى تأسيس مبدأ الانحلال ، منذ نشأة الفرق إلى الآن .

لقد أجمع علماء الغرب الآن على تأثر الأدب والفكر عندهم بعلماء التصوف المسلمين ، فقد تأثر « دانتى الأجيرى » بقصة المعراج النبوى الشريف ، و « ريموندلال » بالشيخ الأكبر « ابن عربى » ، واتجهوا كذلك إلى الاستفادة من هذا التراث العزيز فى دراساتهم وأبحاثهم ، كما نشطوا فى نشر التراث الصوفى منذ زمن طويل وفهارس المكتبات خير شاهد على ذلك .

لقد نشط المستشرقون فى كل ذلك ، ونحن لا زلنا نردد أن التراث الصوفى دخيل على الإسلام . ولئن كان اتجاه الإنكار إلى كلمة « التصوف » فما أيسر أن نمحوها من قاموس الثقافة الإسلامية ، ولكننا لن نستطيع ، ولن يستطيع التاريخ أن يمحو خلوة النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى غار منعزل بظاهر مكة ، ولا أنه ربط الحجر على بطنه من ألم الجوع من غير قلة ، ولا أنه قام الليل حتى تورمت قدماه الشريفتين من غير حاجة إلى هذا الجهد العنيف ، فقد غفر الله تعالى ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأذهب الرجس عن أهل بيته وطهرهم تطهيرا ، ولا يستطيع التاريخ كذلك أن يمحو تلك المآثر الجليلة التى زخرت كتب الحديث والشمائل ، والتى تعتبر أساسا لتلك الرياضة الروحية التى تؤهل المسلمين لأرقى المكانات فى سلم التطور التاريخى ، تلك الرياضة التى أطلق عليها اسم « التصوف » فقوبلت بالإنكار والتجريح :

يجب أن نترفق بعقول ناشئتنا ، ونوجهها نحو روحانية الإسلام القويمة .

الخلاقة ، حتى يكون لهم من وعيهم ما يميزون به خبيث القول من طيبه ، وغث العلم من سمينه ، وحتى يكونوا جيلا مأمونا على تار يخهم ونهضتهم .

كما يجب أن ينهض رجال التصوف لإزاحة ذلك الركام الذى غطى على معالم مذهبهم ، فلم يتبين الناظر فيه حقا من باطل ، ولم يأنس بقلبه إلى تلك الكثرة من المدعين والمرتزقة ، وحينئذ تتلاءم الأسس السليمة مع الدين الحنيف ، فلا جدال بعد ذلك ، بل ترابط ووئام ، وصلى الله على خاتم رسله ، سيدنا محمد وآله وسلم .

الحب الإلهي وبناء المجتمع

قدم وفد من بني أبذى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : يا رسول الله ، قدمنا إليك بزكاة أموالنا ، قال : هلا رددتموها على فقرائكم ؟ قالوا : ما قدمنا إلا بما فضل عن فقرائنا ، فقال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه : يارسول الله ، ما رأيت وفدا كهذا . فقال صلى الله عليه وسلم : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وأقام الوفد أياما ، ضيوفا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأجازهم بما يجيز به الوفود ، ثم قال : هل بقي منكم أحد ؟ قالوا : غلام حدث خلفناه على رحالنا ، قال : أرسلوه إلينا . فجاء الغلام إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فأجازه بما أجاز به الوفد ، فقال الغلام : يارسول الله ، ادع الله لي أن يغفر لي ، ويرحمني ، ويجعل غناي في قلبي . فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، اللهم اجعل غناه في قلبه .

وفي العام التالي جاء الوفد مرة أخرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، نحن بنو أبذى الذين أتوك آنفا . قال : ما فعل الغلام الذي كان معكم ؟ . قالوا : والله إنه لأزهدنا في الدنيا ، وأرغبنا في الآخرة ، وإنه يذكرنا بأمر ديننا ، حتى لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر إليها ، ولا التفت نحوها ، فقال صلى الله عليه وسلم : الحمد لله ، إني لأرجو أن يموت جميعا . قالوا : أو ليس يموت الرجل منا جميعا يا رسول الله ؟ قال : تتفرق أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا ، فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية ، فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك .

هذا اللون من التربية النبوية السامية يهيب بنا أن نحفظ أنفسنا من التخبط في أودية الدنيا، فلا نوغل فيها بأهوائنا ونحب زينتها وجاهها، وفتنتها، وسحرها. ويهيب بنا كذلك إلى وحدة الفكر التي تنبع من الكلمة النبوية الشريفة الجامعة : إني لأرجو أن يموت جميعا .

أي أن تتجمع الأحاسيس الإنسانية كلها ، وتتبلور في إحساس واحد بعيد عن المحسوسات ، ألا وهو الحب الإلهي ، الذي يعصم الإنسان من الزلل حينما يزاول أمور دنياه ، فلا خوف عليه ولا حزن . ذلك الحب الذي حدا بالشهيد الحلاج رضي الله عنه إلى أن يقول :

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبك مقرون بأنفاسي
ولا جلست إلى قوم أحدثهم إلا وأنت حديثي بين جلاسي
مالي وللناس كي يلحونني سفها ديني لنفسي ودين الناس للناس

وحدة الإحساس بالحب ، ووحدة الحب نفسه هي الغاية القصوى للتربية الإسلامية ، كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم ، وكما سلك الصوفية رضي الله عنهم اقتداء بحضرته ، وبصحابته وتابعيه ، ومن أجل ذلك عملوا في الحياة وأنتجوا في جميع المجالات دون أن تضطرب نفوسهم ، ومن ثم دون أن يضطرب بناء المجتمع كله .

ولقد توسع لسان الدين بن الخطيب في الحديث عن الحب الإلهي ووسائله وغاياته وثمراته توسعا لم يسبق به ولم يلحق ، ولكننا نريد أن نوضح ناحية هامة في الموضوع لم يتعرض لها لسان الدين ، لأنها لم تكن من مواضيع الساعة في عصره ؛ تلك هي صلة الحب الإلهي بوحدة المجتمع المحلي . ثم وحدة المجتمع القومي ، ثم وحدة المجتمع العالمي . تلك الفكرة التي تعمل لها جهات عليا في السياسات العالمية على هدى التعاليم اليهودية التي تتطلب سيادة جذع « يسى »

من الأسباط على العالم كله ، أى سيادة « المسيا » وارث ملك سليمان بن داود ابن يسى على الكرة الأرضية كلها .

إن مظاهر الحب الإلهى ودلائله العملية لاتقوم إلا فى الوحدة والشمول ، ولاتتبدد وتتلاشى إلا فى الاضطراب والكثرة ، فمن أجل الوحدة شرع الحب الإلهى مركزا فى الرسالة السماوية الواحدة ، والعمل الإيمانى الواحد الشامل ، والمجتمع المتآخى الواحد ، ثم الدولة العالمية الواحدة .

تلك فكرة تكمن فى شريعة الحب الإلهى وإن لم يفطن إليها باحث من من قبل ، ولكننا سنحاول أن نوضح فى عجالة سريعة مافصلنا الحديث عنه فى كتاب مستقل نرجو أن يظهر للقراء قريبا ، إذ هو موضوع الساعة الذى يجب أن يدركه المسلمون وأهل الكتاب جميعا فى هذه الساعات الحرجة من تاريخ العالم ، التى تشبه ساعة المخاض ، حيث تولد فكرة العالمية الإبراهيمية المحمدية، على أنقاض الإلحادية المادية المعروفة بالحضارة الغربية .

وحدة الرسالة السماوية منذ ابراهيم حتى محمد عليهما السلام :

الإسلام هو الرسالة الإلهية التى بعث من أجلها أبو الأنبياء ابراهيم الخليل عليه السلام ، مافى ذلك جدال ولا نقاش .

وهو الرسالة التى جاء من بعده الأنبياء جميعا يبشرون باقتراب شمولها وسيادتها على العالم كله ، مافى ذلك شك لدى أى دارس بصير .

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو القائم على تنفيذ تلك السيادة العالمية ، مافى ذلك كلام لأى مكابر .

حينما أراد ابراهيم أن يعتزل عزلة الإيمان صحب معه ابن أخيه « لوط » عليه السلام ، ولكنه فضل ألا يصحب عمه ابراهيم فى عزلته ، وآثر أن يعيش حياة رغدة فى سهول الأردن ، فقال له ابراهيم « اعتزل عنى » ، فأقام

لوط خيمته فى مواجهة « سدوم » ومضى الخليل فى عزلته لله وفى سبيل الحب الإلهى ، وأراد الله أن يكشف له عن المستقبل فأوحى إليه : « قم امش فى الأرض طولها وعرضها ، لأنى لك أعطيها » .

وعد عجيب ، وامتحان قاس للإيمان والحب العميق لله ، اقترن بوعدين آخرين هما أقرب تحقيقا من هذا الوعد الذى يتطلب أجيالا وأحقابا طويلة .

أما أولهما فولد من صلبه ، لم يحققه الله لابراهيم إلا بعد عشرين عاما ، ولكن إبراهيم لم يفقد إيمانه وحبه العميق لله خلال تلك السنوات العشرين التى يتحول إيمان العامة فيها إلى كفر وتكذيب لطول الزمن بين الوعد وتحقيقه .

وأما ثانيهما فوعد لنسل إبراهيم بأن يعبر الأردن فيملكوا الأرض من النيل إلى الفرات ، ولم تعبر إسرائيل الأردن فى محاولة لتحقيق هذا الوعد إلا بعد أربعة أجيال من صدور هذا الوعد الإلهى ، فكم جيلا يمكن أن تمضى حتى يتم فتح الأرض كلها تحت لواء إبراهيم الخليل ؟

عشرون عاما مضت حتى حقق الله وعده لإبراهيم بولد من صلبه، وأربعة أجيال كاملة حتى بدأ يشوع بن نون ينفذ وعد الله بامتلاك الأرض من النيل إلى الفرات ، وهى بقعة إذا قيست نسبيا للعالم كله كان الزمن الذى يستغرقه تحقيق الوعد بإقامة دين ابراهيم على الأرض كلها يزيد بكثير على خمسة آلاف سنة ، كان تدريب العالم فيها تدريبا محليا على أيدى عدد كبير من الأنبياء حتى نضجوا على سلم الحب الإلهى وتهيأوا لقمتها فى الدعوة المحمدية الشاملة ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم هو أولى الناس بدعوة أبيه ابراهيم . الخليل عليه السلام بكل ما تحمله الكلمة من أغوار وأبعاد :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » .

ولقد دعا ربه أن يحفظ الإسلام على ذريته وهو يرفع قواعد البيت مع ولده اسماعيل .

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » .

وقد استجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعاءه ، وحذر من الانحراف عن دعوته ، أو تسميتها بغير اسمها الذى أعلنه فقال :

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم ، قال : أسلمت لله رب العالمين » .

وأكد ابراهيم دعوة الإسلام لله ، وهو الحب الإلهى بعينه فى صورة وصية وصى بها « بنيه ويعقوب : إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

ونفذ يعقوب وصية الخليل فاحتفظ بالإسلام دينا ، ولم ينس أن يذكر أبناءه بتلك الدعوة السامية ، وذلك الوعد الإلهى للمنوح لإبراهيم وأولى الناس به محمد صلوات الله وسلامه عليه ، لئلا يسلبهم طول الزمن حبهم لله وإيمانهم بصدق وعده ، فجمعهم وهو يحتضر ، وسألهم : « ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب إلها واحداً ونحن له مسلمون » .

ولكن أسباط بنى إسرائيل الذين وصفتهم التوراة بالصلف وغلظ الرقبة تناسوا هذه الوصاية ، وأرادوا أن يبدلوا كلام الله بعد ماعقلوه ، فابتكروها دعوة خبيثة غيروا بها المقاييس الإلهية للرسالات ، وادعوا أن ابن الجارية (اسماعيل) لا يكون منه نبى أبدا ، وأنه « لا يبقى فى البيت إلى الأبد » .

كانت قيمة الإله العلى الذى ليس كمثله شيء ، قد هبطت عندهم إلى أنه

مجرد إله شعبي وضيع تمثله « البعليم » وغيرها من الآلهة المنزلية .

لقد تعهدوا تحت سفح جبل سيناء « بأن يفعلوا كل ماتكلم به الرب » على يد موسى ، ثم عادوا بعد ستة أسابيع من هذا العهد ، ورقصوا حول العجل الذهبي رقصا خليعا في غيبة موسى ، ثم عادوا ووقفوا مع يشوع بن نون خليفة موسى ونسوا سقطات الماضي ، وهزأوا بمخاوفه التي افترضها هذا النبي البطل من إمكان ارتدادهم مرة أخرى وصرخوا قائلين : « لا ، بل نعبد الرب » .

كانت عبادة الآلهة المنزلية قد تفشت بين هذا الشعب منذ تاريخهم الطويل الذي يحفظ لنا : كيف سرقت « راحيل » بعض الآلهة من بيت أبيها «لابان» وكيف أن يعقوب قد جمع كل تلك الآلهة المنزلية ، والأقراط الذهبية فطمرها تحت البطمة التي عند«شكيم»[١] وكيف أنهم بعد انتصارات يشوع وتأكيداته وتحذيراته فعلوا الشر في عيني الرب ، وعبدوا « البعليم » ، وتركوا الرب إله آبائهم[٢]. ولذلك ذكرهم«أشعياء» بتاريخهم لعلهم يخجلون منه، ويعودون إلى شرعة أبيهم إبراهيم عليه السلام فقال : « فانظروا ياإسرائيل إلى الصخر الذي منه قطعتم ، وإلى نقرة الجب التي منها حفرتم »[٣] ، ثم نودي في وسطهم نداء الاستعداد لتحقيق وعد الله للخليل عليه السلام فقال : « صوت صارخ في البرية ، أعدوا طريق الرب ، قوموا سبيله»[٤] « لكي يؤسس الله سلطانا أبديا لايزول ، وملكا لا ينقرض »[٥] ذلك الملك الذي يحيا الناس فيه في سلام ووئام ، حيث « يسكن الحق في البرية ، والعدل في البستان يقيم ، ويكون صنع العدل

---

(١) سفر التكوين : ٣٥/٢-٤ .

(٢) سفر يشوع /٢٤

(٣) أشعياء : ٥١/١ .

(٤) أشعياء : ٤٠/٣ .

(٥) دانيال : ٧/١٣، ١٤ .

سلاما ، وعمل العدل سكونا وطمأنينة إلى الأبد،ويصير السراب أجما، والمتعطشة ينابيع ماء »[١] .

ونفس الإنذارات والتبشيرات باقتراب تحقيق ملكوت الله الدائم الشامل العالمي جاءت على لسان المسيح عليه السلام ، إذا كان « يكرز ببشارة الإنجيل ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل »[٢] .

ثم جاء سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بعد كل ذلك يعلن : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » وكانت الأوامر الإلهية قد صدرت إليه بقهر العالم على وحدة شاملة تتحقق فيها الصفات التي أعلنت من قبل على لسان أشعياء ودانيال والمعمدان والمسيح عليهم السلام :«وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله» .

سحق الفتنة ، وتحقيق العدل والسلام ، والملك الإلهي الذي يعيش الناس في ظله في سلام ووئام ، لم يتحقق إلا في التجربة الأولى التي نفذها محمد صلى الله عليه وسلم وسار على هديها أصحابه ، ثم انحدرت ولم تفشل لهدف تربوي سام حتى يقوم الله وسط جنده الغالبين بعد احتلال اليهود لفلسطين في عام ١٩٤٨ ، في تلك الدورة الجديدة التي نهض فيها العرب والمسلمون لتحقيق أسمى وعد وعد الله به الخليل وأولى الناس به محمد صلى الله عليه وسلم[٣] .

تلك رسالة واحدة باسمها وهدفها غيرها بنو إسرائيل ، وضللوا في سبيل هذا التحريف أهل الكتاب جميعا فوقفوا عند نصوص لم يتجاوزوها إلى غيرها ،

(١) أشعياء : ٣٢/١٦و١٧وانظر ٣٥/٧

(٢) إنجيل مرقس : ١٤/١٠

(٣) تفصيل ذلك في كتابنا « الدولة العالمية في القرآن » تحت الطبع، وكذلك انظر مقدمة كتابنا « الصلاة مدرسة الوعي الحضاري » ط مكتبة القاهرة بالأزهر .

ولم تكن لهم تلك النظرة الشاملة ، ففقدوا الحب الإلهي الشامل وقنعوا بحب مقيد ، ولكن الله تعالى أعلن للمحمديين أن يصبروا حتى يحقق الله على أيديهم وحدة العالم فى حرب ميدانية شاملة :

« ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسداً من عند أنفسهم ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ، إن الله على كل شىء قدير » .

وحدة الإيمان وشمول العمل :

عقد الإيمان المبرم بين كل إبراهيمى محمدى وبين الله يلزم كل قابل له بالجهاد فى سبيل الله بالمال وبالنفس ، وتلك أقصى درجات الحب التى فصلها لسان الدين فى كتابه روضة التعريف ، وهو مع ذلك عقد يتسم بسمة الإيجابية فى العمل، التى انفردت بها سياسة الإسلام من دون السياسات العالمية فى أحقاب التاريخ السابقة واللاحقة .

فما هو معلوم أن سبيل الله الذى طولب المحمديون بالجهاد من أجله هو العمل على الإصلاح فى الأرض وفى مصلحة ساكنيها بصفة شاملة لاتختص بمكان دون مكان ،لا كما كان الحال فى جميع الرسالات السابقة التى كانت تنحصر فى نطاق القبيلة أو المكان المحدود ، إذ أرسل الله صالحا إلى ثمود، وهودا إلى عاد ، وشعيبا إلى مدين ، وهكذا جميع الرسالات .

أما الرسالة المحمدية فهى النهج التنفيذى لرسالة إبراهيم التى وعد فيها بامتلاك الأرض كلها ، ومن أجل ذلك كان منهاج العمل المحمدى غير مقيد بمكان ولازمان : « وأرسلناك للناس كافة » .

وقد فصل القرآن مسألة الجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس على النحو الذى أوضحناه ، والذى يلزم المسلمين بنشر العدل ومقاومة الفساد فى قوله تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون فى سبيل الله بأموالـكم وأنفسكم » فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صفة إيجابية فى العمل على الإصلاح، وقمع الفساد تنفرد بها سياسة القرآن للفرد والمجتمع المحلى ، والمجتمع العالمى بصفة شاملة تحقق انقراض الفتنة كما جاء فى القرآن ، و إحلال الرغد والطمأنينة فى الأرض كما جاء فى نبوءات بنى إسرائيل عن ملـكوت الله الإبراهيمى الحمدى العالمى .

ولابد من تضحيات يقدمها المؤمن إذا جاهد بنفسه أو بماله فى هذا السبيل، إذ أن المؤمن لابد أن يكافح نزوات نفسه ، و يقمع شهواتها ، ويقف موقفا روحيا من مواقف الحب الإلهى ، تفنى معه تلك النزوات والشرور من النفس ، ليحل مكانها الحب الإلهى الذى يُبقى الفانى ، ويهدى الضال ، و يغنى العائل ، و يؤوى اليتيم ، وحينئذ يمكن أن يقال : إن الفتنة قدقضت نحبها داخل نفس هذا المؤمن ، وأصبح روحانيا يحيى النفوس الموات ، ويحرك الروح الخاملة بمجرد النظر ، أو بمجرد كلمات تنساب من قلبه إلى مسامع الناس .

وليتمكن الإنسان من الحصول على هذه المنزلة لابد أن يتنازل عن كثير من شهوات نفسه ، تلك الشهوات التى تسبب المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، وتوقف ركب الصعود كما هو مشاهد ملموس .

إن الضمير الذى يحصل عليه المجاهد لنفسه فى سبيل الله يندر أن يتهيأ لأصحاب الدراسة النظرية والتهذيب الخطابى . بل يكاد يستحيل . والضمير هو الحارس الأمين الذى يدفع بالأمم نحو غاياتها فى سرعة وأمان .

ولا هدف للإبراهيمى الحمدى من تلك التضحيات سوى أن يعمل فى إخلاص عميق من أجل الله الذى أحبه ففنى فى حبه ، وأطاع الأمر لمجرد الأمر

لا لحكمة الأمر ، وهو حينئذ أصلح مخلوق فى المجتمع لهداية غيره من أجل الحفاظ على وحدة البشرية فى مجتمعه .

والحفاظ على وحدة المجتمع فى سلام وعدل يتطلب الإيمان الذى هو القاعدة الأولى لبناء صرح الجهاد بالنفس والمال فى سبيل الله .

وليس الإيمان مجرد تعريفات كلامية كالتى قضينا فى دراستها العمر دون جدوى ، بل هى عمل فى بضع وسبعين شعبة أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .

هذا هو الإيمان كما عرفه الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا كما عرفه زيد وعمر من المجتهدين . بضع وسبعون خلقا وعملا لابد أن يحصيها المؤمن ويعمل بها جهد المستطاع ، وما تلك الشعب إلا رباط الحب بين الجميع ، أى إنها الانعكاس العملى للحب الإلهى المطلق فى صورة بشرية مقيدة .

الرحمة ، الشفقة على المحروم ، إطعام الجائع ، الإيثار ، التواضع ، تفقد الجار ، احترام الفقير ، صلة الرحم ، ضغط الاستهلاك من أجل الآخرين ، وهكذا تسير الشعب البضع والتسعون ، تصنع كل شعبة منها رباطا من الحب والتعاطف والتراحم والأخوة التى طولب بها المسلمون : « إنما المؤمنون إخوة » . وما الأخوة إلا ذروة الحب المقيد المنعكس عن الحب الإلهى المطلق ، النابع من قمع شرور النفس والتضحية بها من أجل حب الواحد الأحد القاهر .

لا احتكار ، لا استبداد ، لا استغلال ، لا تبعية ، لا فقر ، لا ذل ، كل تلك المآسى الاجتماعية التى تجهد الحكومات أجهزتها فى سبيل القضاء عليها تفنى وحدها فى نطاق الحب الإلهى ، وتعود تلك النفوس التى قد كانت شريرة بالأمس عونا للحاكم دافعا له إلى قمة التاريخ .

ولكن الحكومات ليست مطالبة بأن تقوم وحدها ببعث تلك الأخلاق

فى المجتمع ، وإلا فإن رجل الحـكم يضطر فى هذه الحالة إلى سوق الأمة نحو الأخلاق قهرا ، ومع ضرورة هذا العمل فإن الله لا يريده من عباده ، بل يريد أن يكونوا على خلق الإيمان العظيم عن ذوق وحب ، ولـكن إذا جد الجد وتدلل الإنسان ، وهرب من نطاق الإيمان العاطف الحانى ، فإن سوقه وقهره وتجريده من آلات الفساد أمر لازم محتوم يأثم ولى الأمر وتأثم الأمة بالتهاون فيه .

لقد مَثل عثمان بن عفان فى مجلس الخلافة ليحقق معه الخليفة الصديق رضى الله عنه ، إذ أنه لم يرد على عمر رضى الله عنه السلام . وجاء عثمان بعذره إذ لم يكن قد سمع السلام من عمر لفنائه فى فـكرة ذوقية استولت عليه[1] . فهل يترك اللص الأثيم الذى يمتص دماء المسلمين دون أن يدفعه سيف السلطان ؟

ومن هذا المجتمع المثالى تتسع القاعدة حتى تشمل أهل الـكتاب رفقا بهم ، وتبصيراً لهم بمبادىء ابراهيم الخليل عليه السلام ، الذى وضع أساس العمل من أجل الله منذ آلاف السنين . وقفى على أثره خاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أما التبصير لهم بالإسلام فإنه يدخل تحت قاعدة تأليف القلوب بمعناها الواسع ، فقد روى الإمام «أبو يوسف» صاحب الإمام الأعظم[2] : أن سيدنا «عمر» مرّ فى شوارع المدينة فرأى يهوديا يسأل الناس على الأبواب ، فأخذه إلى بيته ، ورضخ له بشىء ، ثم استدعى خازن بيت المال ، وعنّفه على وجود تلك الحالة الشاذة بين المجتمع الإسلامى ، أى وجود إنسان جائع بين المسلمين ، وكان مما قاله : أ كلنا شبيبته صغيرا وتركناه كبيرا . ودافع خازن بيت المال عن نفسه : بأن هذا السائل يهودى . وأجاب إمام المجتهدين قائلا : « إنما

---

(١) راجع باب فضل « السلام فى « حياة القلوب » لابن طرخان « السنوبى » مخطوط فى الحديث نسخة خاصة .

(٢) كتاب الخراج : ١٥٦ .

الصدقات للفقراء والمساكين . والفقراء من المسلمين ، والمساكين من أهل الكتاب » ، والسلوك المحمدى فى هذا المجال أكثر من أن يحصى .

وأما أنه عمل حق لوجه الحق بمعنى أنه عمل لا يقصد عليه أجر ، ولا يهدف إلى تحقيق منفعة شخصية ؛ بل إنه إسهام فى بناء مجتمع العدل الذى يريده الله من العباد ، فذلك منهج إبراهيم الخليل ، وخاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليهما .

فحينما اعتزل « لوط » عن عمه « إبراهيم » ، وأقام خيمته فى مواجهة « سدوم » كان ملك « عيلام » وهو « كدر لعومر » قد تحالف مع ثلاثة ملوك آخرين[1] ، وأعدوا جيشا ضخماً كامل العتاد والعدة ، وهجموا على « سدوم » وأسروا ممن أسروا « لوطا » وأهله جميعا ، وكر الخليل صلوات الله عليه مع تلك المجموعة القليلة من الناس الذين كانوا معه بأسلحتهم الهزيلة ، وتعقبوا «العيلاميين» وخلفاءهم حتى أسوار دمشق القديمة ، وهزموهم واستردوا الأسرى والغنائم كلها .

وكانت دهشة ملك سدوم بالغة لهذا النصر العجيب فى تاريخ الحروب ، فاستدعى الخليل عليه السلام ، وعرض عليه أن يسترد منه نفوس الأسرى ، أما الغنائم فتكون للخليل وصحبه جزاء ما صنعوا . فقال الخليل:

« رفعت يدى إلى الرب الإله العلى ، مالك السموات والأرض ، لا آخذن خيطا ولا شراك نعل ، ولا بد من كل ما هو لك ، لئلا تقول : أنا أغنيت أبرام »[2] .

---

(١) تحالف كدر لعومر ملك عيلام مع ملك « شنعار » وملك « الاسار » وملك « جوim » انظر سفر التكوين ١٤ .

(٢) سفر التكوين ١٤ :

وهو نفس السلوك الذى أعلنه سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، حينما ازدحم الصحابة عليه عند تقسيم غنائم حنين إذ أمسك بوبرة من وبر الجمال بين سبابته ووسطاه ، وقال : « والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة ، وإنما هو الخمس وهو مردود فيكم » . وهو السلوك الذى امتدح القرآن من أجله الإمام عليا كرم الله وجهه إذ يقول تعالى : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » .

ومن أجل أن تتسع قاعدة العمل الإيمانى الشامل لشعبه كلها بحيث تشمل أهل الكتاب والمسلمين صدر هذا البيان الأوسع فى قول الله تعالى :

« وكونوا عباد الله إخوانا » .

فإذا أحكمنا العمل على المستوى القومى هكذا فإن القاعدة القرآنية الخاتمة لجميع القواعد السياسية تتجه نحو المجتمع العالمى بصورة واضحة فى قوله تعالى :

« من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » .

وتلك هى ذروة الوحدة العالمية الآمنة العادلة التى وصفها القرآن الكريم بأنها وحدة لا فتنة فيها ، ووصفتها التوراة بأنها وحدة العدل والحق ، ووصفها الإنجيل بأنها « ملكوت الله » الذى بشر المسيح عليه السلام باقتراب تحقيقه .

ومن أجل توطيد دعائم الحب بين الجميع انعكاساً عن ذوق الحب الإلهى المطلق كان الإسلام إيجابيا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فشرع التزامات يلتزم بها الإنسان نحو الإنسان فى سبيل الحفاظ على توازنه النفسى ، وعلى كرامته الإنسانية ، والعمل على بقاء روحه المعنوية فى حالة تسمح له بالعمل فى عزة وإباء ، ولم يدع هذه التبعة ملقاة على كواهل أولى الأمر وحدهم لئلا

يفقد المجتمع تفاعله فيما بين بعضه والبعض ، ولئلا تفتر جذوة الحب السارية بين أوصاله .

تلك الجذوة التى شرعت من أجل بقائها تلك الالتزامات المفروضة فى صورة الزكاة ، والالتزامات المندوبة والمسنونة فى صورة العلاقات الودية بين الجميع ، متمثلة فى الصدقة الحرة ، وفى اللقاء الباسم ، والكلمة الطيبة ، مع الحفاظ على كرامة المسلم : « لا تحقرن من المعروف شيئا » :

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » .

« لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ومن هنا نجد المجتمع كله ملتزما بالكلمة الطيبة ، وباللقاء الباسم ، وبجميع متطلبات الأخوة الإيمانية ، ونجد الطبقة الموسرة ملتزمة لمن هم أدنى منهم قدرا فى المال بالتزامات تحفظ كرامتهم من أن تنهار تحت وطأة الجوع .

وهكذا نرى شمول عقد الإيمان يتدرج من المجتمع المحلى ، إلى المجتمع القومى ، إلى المجتمع العالمى على هذه الصورة الشاملة التى أوضحناها ، والتى لم تشرع إلا لتحقيق الدولة الإبراهيمية المحمدية الموعوة فى التوراة والإنجيل والقرآن ، والتى صدر الإذن الإلهى بها فى تصريحات قرآنية متعددة ، منها :

« ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون » .

« وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » .

« وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين » .

والقاعدة التى يقوم عليها بناء هذه الوحدة العالمية هى الحب للجميع ،

والحب الجميع قبس من الحب الإلهى ممنوح للمؤمنين ، والمؤمنون ليسوا هم المصلون الصائمون المؤتون الزكاة ، الحاجون عند الاستطاعة ، الشاهدون لله وللرسول فحسب ، بل هم المتكافلون المتراحمون المتحابون المتراصون فى وحدة متماسكة قوية ، الرحماء فيما بينهم ، والأشداء على كل هادم لصرح الإصلاح الإيمانى الشامل .

وهذا الحب المنعكس عن الحب الإلهى هو الحل الأمثل لجميع المشكلات البشرية التى تعانى منها المجتمعات النامية والقوية على السواء .

الملكية لا تكون مشكلة ، مادام التعاطف والتراحم والحب والاحترام المتبادل .

العبودية لا تشكل مشكلة مادام الخطأ الذى يرتكبه المؤمن يجعل من عتق الرقيق شرطا أساسيا لقبول التوبة . الاستغلال لا يشكل مشكلة ، لأن الإيثار هو مذهب المحبين لله ، لأنهم آثروا على أنفسهم ، والخلق عبيد الله يؤثرونهم كذلك على أنفسهم ، من أجل الحب فى الله لا من أجل مطمح شخصى من مطامح النفس ، لأن النفس حينئذ أصبحت لا تطمح إلى مافى يد الغير ، ولكنها تطمح فى إتقان العمل ، والإخلاص فيه ، ونشر مبادىء المحبة العالمية على هدى الشريعة التى لا تهادن الفساد فى أى صورة من صوره مهما قل شأنها بين الناس ، قياسا على استجواب الخليفة الثانى لعثمان بن عفان كما أسلفنا الحديث عن تلك الواقعة .

فالمحبون لله هم طليعة الوحدة العالمية ، لأنهم ورثة القرآن الذى أمر بقمع الفتنة على وجه الأرض كلها ، وسيادة الاستسلام لله ، ولا يتهاون المحبون لله فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأنهما قوام العمل على قمع الفتنة بين صفوف المسلمين الإبراهيميين .

هكذا يبنى الحب الإلهى المجتمعات ، وهكذا يقوم شيوخ التصوف على إنماء هذه العاطفة فى الإنسان ، حتى لقد طالعنا التاريخ الصوفى بروائع الإيثار والتسامح ، وهما قوام الإيمان الرحيم .

والصوفية كما أشار حضرة أستاذنا ، شيخ الشيوخ العلامة سيدى الأستاذ الشيخ مصطفى الشبراوى لا تشغل وقتها بمهاترات كلامية ، ولا جدل عقيم ، بل إنها كما قال فضيلته : تصون جوهرها من كل ما يعكر صفو الإخلاص والحب السارى من الله إلى أهلها ، باعتبارهم أنابيب الرحمة على وجه الأرض تصل إلى الخلائق ، وتدفع الطالب إلى آفاق السمو الروحى العامل اليقظ البناء .

الصوفى عامل بناء فى مجتمعه على هدى الحب الإلهى ، لأنه وارث أخلاق السلف منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعهد صحابته وتابعيه ، والحافظ لسنته ، وليس فى هذا المذهب تواكل ولا تعطل ، ولا تكفف للناس ، ولا انقطاع للمشيخة على حساب الآخرين ، كان الكل عاملا فى الصدر الأول جنوداً محاربين ، وعاملين فى كسب أقواتهم ، حتى لقد خرج الصديق إلى السوق كعادته ليبيع ثيابا يكتسب منها قوت يوم ، لولا أن منعه الصحابة من ذلك ، لا جلالا لهيبته فحسب ، وإنما كانت الحجة الأولى : أن الناس محتاجون إليه فى كل وقت .

هذا هو الإيمان الصوفى الذى يبارك العمل ، ويحظى بفيض عميم من حب الله : « يحبهم ويحبونه » . والصوفى لا يجزع من البلية ، لأنه ذاق من سعادة الحب الإلهى وفيضه ما مكنه من احتمال المظالم ، لأنها بلاء من محبوب هو الله ، ولأن الله يلهمه فى البلايا من العلوم والمعارف والمشاهد ما تتلاشى فيه البلية

بحيث تصبح فى ذوقه نعمة من نعم العلم والمشاهدة ، تقصر دونها آمال الفحول من علماء السطور .

والصوفى يبالغ فى الحفاظ على وحدة صفوف المجتمع ، ووحدة كلمتهم ، ووحدة اتجاههم ، لأن الإسلام فى طقوسه اليومية تدريب خمس مرات على وحدة الاتجاه ، ووحدة المشاعر ، ووحدة الصفوف واستقامتها ، فى الصلاة المكتوبة ، لأن السنة النبوية حثت على المحافظة على وحدة الشعب من الاختلاف .

قال سيدى أحمد مرزوق فى القاعدة « ٨٩ » من قواعده ، وهو الصوفى الذى يعتبر بحق واضع أصول المجتمع الصوفى الحق :

« حفظ النظام واجب ، ومراعاة المصلحة العامة لازم ، فلذلك أجمعوا على تحريم الخروج على الإمام بقول أو فعل ، حتى انجر إجماعهم إلى الصلاة خلف كل بر وفاجر من الولاة وغيرهم ، ما لم يكن فسقه فى عين الصلاة ، وكذا يرون الجهاد مع كل أمير من المسلمين ، وإن كان فاجرا ، لا غيره . وزعم ابن مجاهد إجماع المسلمين ، وأنكره ابن حزم ، وفيه كلام لما والقول عليه المنع بكل حال ، فلقد قال صلى الله علية وسلم : « ما سبَّ قوم أميرهم إلا حرموا خيره » . وقال : « المؤمن لا يذل نفسه » . قال ابن عباس : يتعرض للسلطان وليس له منه النصف ... ويجمعه قوله عليه السلام : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ، والقوم أبعد الناس عما لا يعنيهم » .

تلك نظرة فاحصة بالغة العمق حقا . فلا يخلق المشاكل فى المجتمع شىء غير دخول الناس فيما لا يعنيهم ، وتركهم ما يعنيهم ، يشغل وقته فى إشاعة الفتنة بين الناس ، وخلق بذور الكراهية بين الشعب وحكامه ، فيعطل العمل الذى

وكافته الدولة للقيام عليه ، ويستغل أموال الدولة فى العمل ضدها ، ولو قام كل إنسان بعمله الذى يعنيه ، وأضرب عما سواه ، فإن مجتمعا تسوده هذه الروح لا يمكن أن يشكو من أى لون من المتاعب .

هذه نظرة إيجابية لا سلبية كما يبدو من ظاهرها ، لأنها تشغل الوقت كله فيما يعنى الإنسان ، لافيما يعنى غيره .

إن الصوفية ترفع شعارها المجيد من قوله تعالى :

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره . والله لايهدى القوم الفاسقين » .

دور الشيوخ فى زيادة الحب الإلهى

طالما سمعنا وعظ المنابر والحلقات يدعو به الداعون إلى الحب الإلهى ، وامتثال أمر الله تنفيذاً لعقد الحب ، ولكننا لا نحس استجابة فعلية لهذا الوعظ إلا فى حالات نادرة .

وطالما وقعت أنظارنا على السمت العام لأحد العارفين من شيوخ التصوف فذابت شهواتنا ، وتلاشت نزواتنا ، وعشنا فى تيار رقيق من الإحساس المشرق ، ينفتح له القلب ، ويغمره لون من الحبور تقصر دونه الأقلام والأفكار .

ولكننا لن نعجب من الفارق بين الحالين ، فالصوفية كما يقول سيدى « بشر الحافى » « تحيا القلوب بذكرهم » ، فكيف برآهم ، وكيف بمجالسهم . وقد يكون غيرهم من الداعين إلى الله كما يقول بشر الحافى أيضا ممن « تموت القلوب برؤياهم » .

لا ينكر أحد منا مطلقا أن لأى إنسان سحنة توحى بأحاسيس معينة إلى قلب رائية أو محدثة ، فنحن نكتئب غاية الاكتئاب بمجرد وقوع أنظارنا على شخص ، ونسر غاية السرور بمرآى إنسان آخر ، بل لقد تنهار القوى البشرية العاقلة أحيانا لدى بعض الناس أمام الجمال البشرى بصورة لا تدع شكا فى أن شخصية الإنسان العامة هى قوام نجاحه فى هداية الآخرين أو إضلالهم ، أو تجميد مشاعرهم على ما هى عليه .

فإذا افتقر الإنسان من عوامل التأثير هذه افتقر سامعوه والناظرون إليه من التأثر به إيجابا أو سلبا ، وإذا أثرى الإنسان من عوامل التأثير فى الآخرين ، فإما أن تكون عوامل التأثير فيه خيرة باطنية ، أى غير محسوسة بإحدى

الحواس الخمس الظاهرة ، وفى هذه الحالة تنقمع جميع الغرائز والنزوات لمرآى هذا الإنسان ، أو المثول فى مجلسه ويبرز الإحساس الروحى العميق . وأما إذا كانت عوامل التأثير لديه ظاهرة ملموسة فهى الفتنة التى تطبق القلوب ظلاما ، والمجتمع حيرة واضطرابا .

فتنة المال ، فتنة المظهر ، فتنة الشهوة ، وكلها فتن تقضى فى الحال على الأحاسيس الروحية ، وتوقظ الغرائز والنزوات فى صورة طائشة بشعة تعيث فى الأرض الفساد ، وفى القلوب التخريب والجمود . فإذا كان هذا اللون من الناس ضالا بطبيعته فهو الوبال الماحق على الفرد والمجتمع ، وهو النفاق والتعدى لحدود الله ، والإجرام بين الناس .

هو هتك العرض ، واستغلال الإنسان للإنسان ، وإذلاله له ، واحتقار المثل العليا ، والدعوة إلى الفساد على الصورة التى لا يجهلها إنسان فى أى مجتمع من المجتمعات .

ومن السهل أن تثور الغرائز ، ويستشرى خطرها بين الناس ، ومن الصعب أن تقمع هذه الغرائز ، وتخضع لحكم الروح ، فلا يصدر عنها إلا العقل الكامل لكل الأمور .

والمناهج النفسية النظرية التى ندرسها لتحقيق التكامل الشخصى فى داخل الإنسان ربما كانت صحيحة فى بعض نظرياتها ، ولكن الصحيح منها يفقد العنصر الفعال فى تقويم النفس ، ألا وهو التكامل الشخصى ، والقدوة الحسنة العملية عند كثير من مروضى النفوس على المنهج النظرى الفلسفى المسمى بالحديث .

شخصية المروض مشحونة بالغرور ، شاعرة بالنقص لأنها لا تستقل بعلم ، بل هى شخصية راوية لا تزيد شيئا عن جهاز التسجيل ، ومن أجل هذا تصنع لنفسها قناعا من الغرور الزائف تحسبه عظمة ، ثم تؤازر النفس تلك الشخصية ،

فتخدعها ، وتزين لها القناع بالحركات والسكنات ، والمظهر الفارغ المؤسف المبكى .

هذا هو حال الأكثرين من أطباء النفوس على المنهج المسمى بالحديث ، وإن كنا لا ننكر أن لبعضهم نوعا من التكامل الشخصى ربما نقصته التأملات السحيقة فى حال تشبه حال الفناء الصوفى ، حيث يتفجر ينبوع البصيرة والكشف الصادق .

وتأثير هذا النوع المغرور فى تلاميذه معروف مشهور : عجز وتميع فى تطبيق النظريات ، ويأس من تحقيق نجاح ذى قيمة ، ثم عودة إلى الصفة النظرية ، وإغراق فيها ، والتواء فى المنطق ، بل وربما تميع فى المظهر نفسه .

أما شيخ التصوف فهو لايعنى من مظاهره إلا بما يحقق الشريعة الإبراهيمية المحمدية ، لا بما يحقق للعرف كيانه ، لأن الشريعة فاقت العرف اتزانا وسلاما وفاعلية ، وعملا .

النظافة ، الطهارة ، الطيب ، التواضع ، سكن الله فى القلب بصفة دائمة ، الأدب فى الحديث ، التبرؤ من الحول والقوة ، السخاء ، المراقبة الدائمة لله دون تعطل عن العمل ، الإخلاص فى العمل لوجه الله ، عدم التدخل فيما لا يعنى ، إلى غير ذلك من الأخلاق الإبراهيمية المحمدية التى يحارب أكثرها العرف ، فلا يجوز لذلك أن يخضع الشيخ للعرف ، لأنه يهدف إلى سيادة العرف الأخلاقى الشرعى على كل عرف ، وهى القاعدة المشهورة فى السلوك « بخرق العوائد » ، ومن خرق عوائد نفسه انفعلت له الأكوان .

الشيخ لا يرجو من عمله أجرا ، ولا يقيد عمله بروتين معين ، ولا بوقت ولا زمان ، فهو يزاول تربيته لمريديه فى البيت ، وفى الطريق ، وفى المسجد ، وفى كلمات بسيطه نقية ، لا تقول فيها ولا تعقيد ، ولا يشعر مريده بكلفة الاستماع ، وروتين المدارس .

ثم هو ينظر إلى البشرية كلها كوحدة لا اختلاف بين أجزائها ، فإلى الله تصير الأمور ، والكل على الطريق إلى الله طائعين أو كارهين ، وكل مايفرقه بين الناس هو أن هذا درج على سلم الصعود ، وجاهد بنفسه فى سبيل الله حتى وصل إلى درجة معينة من العرفان ، بينما تخلف عنه الكثيرون ، لأنهم يتعثرون فى السير ، أو تنقصهم الهمة الحافزة لهم على السير والتملى ، هؤلاء ضعفاء لا ينالون من شيخ التصوف سوى الرحمة بهم ، والتلطف بنفوسهم حتى يمكن إخضاعها لسلطان الروح ، بينما يحظون من أبطال الدراسات الحديثة بنظرة احتقار عابرة .

الكل فى مجلس شيخ التصوف سواسية ، فهو لايخجل من جليس ، ويفتخر بآخر إلا فى مجال القدوة الحسنة ، أما المظهر فلا اعتبار له لديه .

ثم إن هناك ناحية هامة جدا فى تأثير شيوخ الطريق فى المريدين، لايمكن إدراكها إلا بالتجربة ، وإن أمكن تقريبها للأذهان بعض الشيء ، تلك هى نفس الأحاسيس التى تنطلق من قلب الشيخ وروحه إلى روح المريد وقلبه ، وهى التى شرحها لسان الدين بن الخطيب فى كتابه حين تحدث عن أنوار الذكر .

إنها إشعاعات رقيقة نشطة ، هادئة جارفة ، يختلط فيها الحبور بالهيبة الآمنة ، وتنطلق من قلب الشيخ العارف المحقق الباقى مع الله ، إنها القبس الوضيء من حب الله الذى عمر به قلب الشيخ الحق ، حتى صار نبعا صافيا للحب يتدفق فى كل اتجاه ، ليتلقاه قلب مستعد جاذب ألمعى ، هذا القلب هو قلب المريد الحق .

ومن هنا كان الأدب والاستسلام ، وحبس الحواس الظاهرة وإغلاقها تماما ، والتوجه الكلى الباطنى نحو روح الشيخ المربى ، حتى تتسلل تلك

الأنوار إلى القلب فى يسر ، وتعمل عملها فى النفس فى نجاح .

إن الحبور الذى يحصل عليه المريد هنا يحول اتجاهه فجأة إلى الاستزادة من هذا الفيض ، والحياة فى تلك السعادة الغامرة ، والزهد فى كل لذة زائفة ، والرحمة بالمترد ين فى أوحال تلك اللذات والرذائل ، وتنعكس تلك الأحاسيس على ظاهر المريد تواضعاً وأدبا وعزة إيمانية تنبع من التفاعل بينه وبين الناس فى التعاون على البر والتقوى .

وهنا يجد المريد نفسه متعشقاً لمجلس أستاذه ، مستزيدا من هذه الخاصة الجديدة ، مجربا للاستمداد على البعد بنفس التوجه الباطنى ، كما يشعر بالأبوة الحانية من شيخه ، فيتعلق به ؛ ويسلم إليه قياد نفسه ليربيها ، ويدفعها إلى أسمى ذرا الإيمان والاحسان .

وهنا تبرز أهمية الشيخ وخبراته فهو لا يوجه مريدا بما يوجه به مريداً آخر ، لأن لكل إنسان ميوله المستقلة عن ميول الآخرين .

فالشيخ يعالج مناطق النفور من نفس المريد ، مستغلا هذا الحب العارم ، فيكلفه بأذكار وصلوات ، وأدعية هى من صميم القرآن والسنة ، وفى أوقات مختلفة ، تتيح للمريد العمل فى معاشه على هدى المراقبة لله ، كما تعصمه من الملل والسآمة ، وقسوة التكليف .

ويحس المريد نور عمله فيملأ قلبه منه ، ويستحث روحه على النهضة ، لأن الحال نتيجة للعمل بالعلم . وهذا الحال هو شعور راض يعتبر بمنزلة الحادى الذى يحدو الروح إلى غايتها السامية .

وقد يجد الشيخ من مريده قوة ، فيكلفه ساعة من السحر ينعم فيها بسحر الجمال المتجلى فى الأكوان . وهى ساعات مباركة للسالك والثمرات ، حث الله عليها :

« وبالأسحار هم يستغفرون » .

« تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم » .

« ومن الليل فتهجد به نافلة لك » .

وهكذا يسير الشيخ بمريده يبصره بآفات النفس ، ويوقظه إذا كسل ، ويؤازره إذا ابتلاه الله ، فيشهده النعمة فى البلية ، نعمة العلم ، والتعرفات الإلهية السامية.

فإذا نضج ، واجتاز امتحانات الله لإيمانه ، فاضت عليه المعارف وشهد من الخفيات مالا يشهده غيره من الدارسين . الأمر الذى قال فيه الصوفية : « تصل بالشيخ فى لحظات إلى مالا تصل إليه بدونه فى سنين » .

ولذلك كان الحب هو دين الصوفية ، الحب لله والفناء فى أمره ، والصبر على ابتلائه ، والسعادة بهذا الابتلاء .

ثم الحب لإخوانهم من السالكين إلى الله والعارفين به ، قياسا على حب الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم ، ذلك الذى يظهر واضحا فى التبرك بآثاره فى حياته ، إذ كانوا يتقاسمون شعره الشريف إذا حلق ، حتى لقد كانوا يقترعون على الشعرة الواحدة .

يعتبر هذا السلوك الذى وضعه الشيوخ للمجتمع الصوفى فيما بين بعضهم وبعض تدريباً على إنكار الذات إنكارا تاما للوصول بالأعمال كلها إلى المحبوب سبحانه وتعالى .

إنهم يدربون تلاميذهم على الحب ، بادئين بتوجيه حب المريد نحو الشيخ نفسه ، ثم نحو إخوانه ، ثم نحو المجتمع المحيط به كله ، ثم نحو الحيوان والنبات والجماد ، أى نحو كل ما يتصل بحياة الإنسان نفسه ، وهو الكون كله حيث

لا يستغنى إنسان فى الوجود عن أى شىء فى الوجود . وفى ذلك يقولون :
« إذا فرت القطة خوفا منك فأنت سىء الخلق » .

ولا يفرض الشيخ على مريده أن يحبه لغرض فى نفسه ، بل إن الأمر لا يعدو تدريب المريد على الحب والطاعة فحسب ، ولذلك نجد المريد الصوفى يصطدم دائما بعقبة شديدة جدا حينما يقترب من نهايات السلوك ، وذلك لأنه يقيم على تعلقه بشيخه ، وحبه إياه حبا يملك عليه كل قلبه فى الوقت الذى ينازل فيه مقام الحب الإلهى ، وخطأ المريد هنا أن يفرق بين حبه لشيخه وحبه لله ، فلا يحس أن حبه لشيخه إنما هو لله ، ومن أجل أنه دليله إلى الله ، وأنبوبة الفيض من الله إليه ، وزارع شجرة الحب الإلهى فى قلبه . بل إنه يحسب فى شيخه ومن شيخه صفاء الكشف ، وصدق الفراسة ، وسطوع الكرامة ، واجتماع سراة الناس وعامتهم إليه ، والدعاء المجاب إلى غير ذلك مما فيه هوى النفس ، وشوائب الغيرية والشرك الخفى .

والمحققون العارفون من الشيوخ العلماء لا يقيمون تلاميذهم فى هذا المشهد أبداً ، لأنهم لا يقبلون أن يحتملوا مغبة بعث الشرك الخفى فى قلوب المؤمنين ، وإفساد عقائدهم ، وخلطها بفلسفات الحلول والاتحاد وغيرها . بينما يشجع الجهلاء من مدعى التصوف هذه النزعة ، ويشجعون دعاتها بين المريدين لحاجات فى نفس يعقوب ، والصوفية والتصوف منهم براء .

ويختلف المحققون العارفون من الشيوخ العلماء فى علاج المريدين من هذه الورطة ، ومعاونتهم على اجتياز هذه العقبة . ولكنهم جميعا يتفقون على أن يظهروا لهذا اللون من المريدين بوجه يخالف معتقدهم فيهم ، إذ يكررون أمامهم خطأ الفراسة والكشف ، ويظهرون بمظهر الضعف والعبودية والافتقار إلى الله ، والرجاء منه وحده ، والعجز عن التصرف . وقد يلجأ بعضهم من

« الملامتية » إلى إسقاط الجاه بما هو مباح من الأعمال ، كالأكل فى الطريق والجلوس فيه ، وبذالة الملبس والمظهر وغير ذلك مما يوقف المريد على حقيقة الشيخ ، ولا يوقعه فى أوحال الشرك الجلى والخفى على السواء . فإذا المريد محب لله وحده ، محب لطريقه ، محب لدليل طريقه وهو الشيخ من حيث أنه دليل على الله ، لا من حيث بشريته ، وظاهره المهيب ، وجاهه العريض .

لا شرك فى شرعة التصوف على الإطلاق كما يتوهم بعض الناس ، لأن مجتمع التصوف هو المجتمع الذى تنفى فيه كل الوجهات إلا الوجهة إلى الله ، إذ تتحد النيات لله فى كل أعمال الحياة .

لا عمل إلا لله ، ولا عمل من أجل مخلوق ، بل إنه لا عمل من أجل الثواب ، ولا ترك العمل من أجل الخوف من العقاب ، فليس فى شريعة الحب خوف من عقاب ، ولا رغبة فى ثواب . والخوف والرجاء عندهم مستقلان عن العمل تمام الاستقلال . أى إنهم يعملون لا لشىء سوى الله . ويرجون ويخافون لا لشىء من الأعمال .

ومن أجل ذلك كان مجتمع الصوفية هو مجتمع السلام والأمن والعمل .

الصوفية فى مجال السياسة

يؤمن الصوفية بصفة مبدئية بأن كل ما يتوجه من الله على العباد فإنما هو لحكمة يعلمونها تماما ، فهم يصبرون إذا تجلى عليهم الحق بثوب الجلال ، ويشكرون إذا تجلى عليهم بثوب الجمال ، ولا ينازعونه سبحانه شيئا مما خص به نفسه ، وهو ملك الكون دون شريك .

ليس لأنفسهم حظ من الحياة سوى أن يجدوا فى العمل الشامل ابتغاء وجه الله ، لا لتحقيق أهداف نفسية خاصة ، وكل ما فيه رائحة النفس وهواها

فهو خطأ وفشل فى سلوك طريق العبودية لله ، ولهذا كان الصوفى بريئا من استغلال الإنسان لأى غرض فى نفسه ، أو لتحقيق نفع خاص ، لأنه يؤمن بالجماعية فى العمل ، كما يؤمن بالفردية والتوحيد لله وحده .

وهناك ظواهر فى التاريخ تؤيد فكرتنا عن الصوفية تمام التأييد .

فالصوفية تضطهد دائما حينما يقبل الإقطاع السياسى والمادى والفكرى والفردية ، وتدبر الشورى والتعاونية والإخلاص .

فلقد قتل الحجاج كثيرا من الصوفية فى عهد الأمويين ، وتعقب العباسيون كبارهم بالقتل والجلد والتشريد . ولا شك أن هذين العصرين كانا مرحلتين من مراحل التحول من تعاونية الإسلام إلى فردية النفس الفاسدة لدى أى مستبصر فى البحث ، دقيق النظرة للتاريخ .

ولم يتحدث التاريخ مطلقا عن أى تكتلات قام بها الصوفية فى هذين العصرين لمقاومة نظام الحكم وإسقاطه عن كرسى جبروته الفارغ . ولم يؤثر عن الصوفية المحققين تكوين سرى لأى جماعة من جماعات الاغتيال رغم قسوة رجال الحكم ضدهم ، وبشاعة الفظائع التى ارتكبت معهم ، والتمثيل بجثثهم على مرأى من الجميع (١) فى الوقت الذى كان يمكنهم فيه بسهولة أن يردوا الصاع صواعا . ولكن إخلاصهم البالغ لربهم ولطريق حبه يزجرهم عن الانتقام للنفس ، لأن فى ذلك منازعة لله فى شأن من شئونه ، وحجتهم فى ذلك متواترة مشهورة ، إذ كان الصديق رضى الله عنـــه فى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاعتدى عليه أحد الجالسين بالقول ، فسكت والرسول يبتسم ، فلما رد الصديق عن نفسه غاضت البسمة فى وجه الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) راجع الجزء الأول من طبقات الشعرانى . ففيه الكثير من أخبارهم فى هذا المجال .

فلما استفسر منه الصديق قرر له القاعدة التى سار عليها الصوفية ولا يزالون يسيرون على هداها : وهى أن ملائكة السماء كانوا مع الصديق حينما كان صامتا ، فلما رد عن نفسه فارقوه .

إنكار الذات هو أساس مذهب الصوفية الذى هو امتياح من فيض النبوة ، فإذا برزت الذات بأهاجيسها النفسية ، وكدر أغراضها فلا صوفية ولا تصوف ، ولذلك لم يلجأوا فى أى عصر من العصور إلى تكوين الخلايا السياسية ، ومناهضة نظام الحكم ، لاسيما وأن حفظ النظام واجب عندهم فى المجال السياسى كما قرر الشيخ أحمد زروق فى قواعده ، وذكرناه آنفاً .

ولكنهم مع ذلك لم يهملوا جانب النصح لولى الأمر . ولم يسكتوا على منكر رأوه ، ولا شاركوا فى مخالفة صريحة لقواعد الحياة الاجتماعية فى الإسلام .

فهذا سعيد بن المسيب رضى الله عنه يهمل شأن الخليفة الأموى ولا يقوم لتحيته ، ويرسل إليه الخليفة قدرا من المال ليستعين به على الحياة ، فيرده عليه قائلا : إن هناك من هو أحق منه وهو الأمة كلها ، أما هو فلا حاجة له بدنانير الخليفة .

وقصص بكاء الخلفاء بين يدى وعظ الصوفية لهم أشهر من أن يعاد سردها ، وقصص احتفاظهم بكيانهم أن تجترفه الزحوف المادية ، كذلك أكثر وأشهر من تعاد[1] شأنها شأن قصص الإيمان بالمبدأ واحترامه ، وعدم التضحية به من أجل أى إنسان .

---

(١) راجع طبقات الشعرانى . وطبقات الصوفية للسلمى ، وصفوة الصفوة لابن الجوزى ، وحلية الأولياء لأبى نعيم .

وقد يقول قائل : إن ثورة « البكتاشية » فى تركيا ، وخروج « الحسن الصباح » زعيم جماعة « الحشاشين » على الدولة ، وهو من تلاميذ الشيخ الصوفى الجليل « موفق النيسابورى » كل ذلك ينقض تلك الدعوى .

ونقول : إن « البكتاشية » ليسوا من الصوفية فى قليل ولا كثير ؛ فهم من غلاة الشيعة أولا ، وقد تستروا بالتصوف حتى يأنس إليهم الناس ، وهم مع ذلك فى موضع التهمة الشنعاء إذا قرأنا أدعيتهم وأورادهم فوجدنا فيها لعنا صريحا للخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل ، وهو أمر مدون مشهور فى كتبهم ، فوق أنه أمر يخرج تلك الجماعة عن الإسلام .

أما « حسن الصباح » فقد تنبأ له شيخه بالفشل فى سلوك الطريق ، وبالخروج عن الإسلام إلى الإلحاد . كما تنبأ لنظام الملك بالبروز فى ميدان السياسة والحكم . وما كان فى الصوفية ولا فى الإسلام ادعاء الألوهية ، ولا ادعاء القيام على الخلق بالثواب والعقاب ، ولا تخدير المسلمين بالحشيش لإيهامهم بالخيالات والأباطيل ، وتلك بعض خلال « الصباح » إذ نعف عن ذكر مستبشعاتها .

كل ما فيه تحقيق للمطامع الشخصية محظور فى شرعة التصوف ، والسكوت عن المنكر محظور كذلك فى سلوك التصوف ، ولذلك اكتفى الصوفية بالنصيحة ، وآثروا حفظ النظام كما آثروا صيانة النفس عن أن تدنسها الفردية المخربة الطائشة .

أما الثورات الدينية السياسة التى قامت بها جماعات سرية وعلنية فى التاريخ فإن غاياتها هى تحقيق المطامع الشخصية ، وحب التسلط والسيطرة والسيادة الفردية مما يشهد له التاريخ فى جميع العصور ، ومما ينفر منه التصوف كل النفور فى الوقت نفسه .

والصوفية لا يهملون — مع ذلك — دورهم فى إصلاح المجتمع كما ذكرنا ، ولكنهم لا يطالبون الحكام بالإصلاح بقدر ما يطالبون به أنفسهم ، فهم يجهدون أنفسهم فى العمل على القضاء على الفقر والجهل ، وهما آفة المجتمع الأولى ، فيطعمون الطعام ، و يمدون يد العون لكل محتاج ، و يحثون أبناءهم على هذا العمل ، كما يقضون على الجهالة فى مجتمعاتهم الطليقة من قيود الروتين ، كما يقفون فى الصفوف الأولى لجيش الإسلام إذا أغار على بلاده مغير ، دون أن يطلبوا أجرا على جهادهم إلا الشهادة فى سبيل الله .

والصوفية يستندون فى مسلكهم هذا إلى القرآن أولا ، وإلى السنة ثانيا ، وإلى سلوك الصحابة ثالثا ، فالقرآن يقول : « أطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منكم » .

والسنة تقول : « اسمعوا وأطيعوا و إن ولى عليكم عبد حبشى . . . » .

وعثمان رضى الله عنه أبى أن أن يثير حربا مسلحة للدفاع عن نفسه ، والجند من حوله مستعدون لتلبية أى إشارة ، وآثر أن يحقن دماء المسلمين بدمه المهراق الزكى .

ولا يخفى ما أحدثته الثورة ضد سيدنا عثمان من اضطرابات و بلبلة فى الصف الإسلامى لا زلنا نعانى منها إلى الآن ، كما لا يخفى أنها كانت دسيسة يهودية تزعمها « السبئية » ومن نحا نحوهم .

أقول : يجب أن نفرق بين شهداء الصوفية ، و بين قتلى المذاهب المنحرفة ، فإذا ضحى خالد القسرى بالجعد بن درهم الملحد يوم العيد تحت المنبر فى المسجد ، فإنما كان ذلك لصيانة الأمة من المذاهب الدخيلة الهادمة ، ولا يجوز أن يقاس على هذا وأمثاله قضية شهداء الصوفية فى العصرين الأموى والعباسى ، ولا قضية لسان الدين بن الخطيب شهيد الصوفية بالمغرب .

إن قتل المعطلين لقضية الإيمان ، البناء الشامل لجميع نواحى الإصلاح ، وأنصار المذاهب الهدامة الدخيلة التى تؤكد الفردية والانعزالية التى يأباها الإيمان ، والعاملين على فصم عروة الأخوة بين طبقات الدولة ، قتل كل أولئك لا يقاس عليه قتل لسان الدين بن الخطيب وأمثاله من الصوفية فى العصر الأموى والعباسى ، وهما أحفل العصور بدماء الصوفية الطاهرة .

وهناك نوع من الصوفية قتل فى أحداث فردية كالحلاج ، والسهروردى المقتول صاحب « حكمة الإشراق » وغيرهما ، وقتل هؤلاء ما كان اضطهاداً للتصوف وأهله ، وإنما كان لأنهم قد تكلموا فى عناصر من التوحيد لا يجوز الحديث بها بين العامة ، لأنها بالنسبة لهم قد تكون من أخطر الأمور على العقيدة نفسها ، حتى أن الإمام الصوفى أبا القاسم الجنيد أقر قتل ابن أخته الشهيد الحلاج .

كلمة أخيرة :

وإننا إذ نقدم كتاب « روضة التعريف بالحب الشريف » فى طبعته الأولى للجمهور نقدم أعظم سجل لمذاهب الحب الإلهى يمكننا من الموازنة بسهولة بين الاتجاه الصوفى ، والاتجاه غير الصوفى ، كما أنه يستبطن نماذج كثيرة من كتاب مجهول لم نقف عليه لأبى القاسم البغدادى اسمه كتاب « السياسة » وقد أطال ابن الخطيب النقل عنه ، كما يوقفنا على كثير من الشعر الصوفى لابن الخطيب نفسه .

اللهم اجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت ، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك ، والإساءة لا تضر مع الحب منك .

اللهم خلص أعمالنا من الرياء، وطهر قلوبنا من رجس البغضاء، واجعل حبك سابقا منك إلينا، ليكون حبنا تابعا إليك منا.

ونسألك عز الدنيا والآخرة كما سألكه رسولك محمد صلى الله عليه وسلم. عز الدنيا بالإيمان والمعرفة، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة.

إنك سميع قريب مجيب ؟

حدائق شبرا، في { ١١ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦ هـ
٢٦ من سبتمبر سنة ١٩٦٦ م }

عبد القادر أحمد عطا

الرموز المستعملة فى التحقيق

س :	نسخة مدرسة أسعد أفندى بتركيا
ظ :	نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق
[ ] :	كلمات أضيفت لتوضيح المعنى
( ) :	كلمات أو عبارات ساقطة من أحد الأصول

كتاب

روضة التعريف

بالحب الشريف

للوزير : محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني
المعروف بلسان الدين بن الخطيب

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(١) . (قال الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، والبحر الفهامة ، وحيددهره ، وفريدعصره ، لسان العرب ، وحجة الأدب ، لسان الدين محمد بن عبد الله الخطيب لطف الله به وأعلقه بسببه)(٢) .

اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا الناشقة ، وعلل بجريال حبك جوانح أرواحنا العاشقة ، واستخدم فى تدوين حمدك شبا أقلامنا الماشقة ، ودل على حضرة قدسك خطوات خواطرنا(٣) الذائقة ، وأبن لنا سبل السعادة التى جعلت فيها الكمال الأخير لهذه الأنفس الناطقة ، واصرفنا عند سلوكها عن القواطع العائقة(٤) ، حتى نأمن مخاوف جبالها الشاهقة ، وأحزابها(٥) المنافقة ، وأوهامها(٦) الطارئة الطارقة ، وبرازخها الغاشية الغاسقة(٧) ، فلا تسرق بضائعنا العوائد السارية السارقة(٨) ، ولا تحجبنا عنك(٩) العوارض الجسمية اللاحقة ، ولا الأنوار المغلطة

---

(١) فى « س » (وصلواته على محمد) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س .

وفى « ظ » بدل كلمة البحر « الحبر » وبعد حجة الأدب « إمام الأئمة الأعلام وشمس الأنام » وبدل « لطف الله به وأعلقه بسببه » تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته .

(٣) فى « ظ » خطواتنا .

(٤) فى « ظ » (العابقة) .

(٥) فى « ظ » (أجزائها)

(٦) فى «س و ظ » (أوهامنا) .

(٧) فى « س و ظ » (القاسية) وفى الأصل الفاسقة وقد رجحنا ما على هامش الأصل من نسخة ثانية .

(٨) فى «ط» (السارقة) .

(٩) فى « ط » (عند) .

البارقة ، ولا العقول المفارقة ، يا من له الحكمة البالغة والعناية السابقة ، وصل على عبدك ورسولك (سيدنا(١)) محمد درة عقود أحبابك المتناسقة ، وجالب بضائع توحيدك النافقة ، المؤيد بالبراهين الساطعة والمعجزات الخارقة ، ما أطلعت أدواح الأفلاك(٢) زهر أزهارها الرائقة ، وحدت(٣) قطار السحاب حداة رعودها السائقة ، وجمعت ريح الصبا بين قدود غصونها(٤) المتعانقة .

أما بعد :

فإنه لما ورد على هذه البلاد الأندلسية المحروسة بحدود الله حدودها ، الصادقة بنصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة(٥) وعودها . وصل الله عوائد صنعه الجميل لديها ، وأبقاها دار إيمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . « ديوان الصبابة(٦) » وهو الموضوع الذى اشتمل من أبطال العشاق على الكثير ، واستوعب من أقوالهم (القديمة) (٧) والحديثة كل نظيم ونثير ، وأسدى فى غزْل غزَلهم(٨) وألحم ، ودل على مصارع شهدائهم من وقف وترحم ، فصدق الخبر والمخبر ، وطمت اللجة التى لا تعبر ، وتأرج من مسراه المسك والعنبر . وقالت العشاق عند طلوع قمره « الله أكبر » :

مررت بالعشاق قد كبروا وكان بالقرب صبي كريم

---

(١) ساقطة من « س و ظ » .

(٢) فى « س و ظ » (أفلاك الأدواح) والأصل أرجح .

(٣) فى « س » (وجدت)

(٤) فى « س و ظ » (أغصانها) .

(٥) يشير إلى قوله تعالى « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » .

(٦) لأبى العباس أحمد بن يحى بن أبى بكر بن أبى حجلة التلمسانى الأديب الصوفى . وكان يكثر الحط على أهل الوحدة المطلقة وعارض ديوان ابن الفارض بقصائد نبوية وامتحن لذلك وقد طبع ديوان الصبابة بمصر ١٣٠٢ هـ .

(٧) ساقطة من « ظ » وفى « س » (الحديثة والقديمة) .

(٨) فى « س و ظ » (غزله) .

فقلت له ما بالهم قال لى   ألقى للحب كتاب كريم

لاغرو أن قام بهذه الآفاق أسواق الأشواق ، وزاحم الزفرات فى مسالك الأطواق ، وأسال جواهر المدامع من بين أطباق تلك الحقاق وفتك (١) نسيمه الضعيف (٢) العهد والميثاق بالنفوس الرقاق :

جنى النسيم علينـــا   وما تبينت عذره
إذ صير الأرض نجدا   والخلق أبناء عُذره

فوقع للمحبة (٣) المصرية التسليم ، وقالت ألسنة الأقلام معربة عن ألسنة الأقاليم :

سلمت لمصر فى الهوى من بلد   يهديه هوى لذّ فى استنشاقه (٤)
من ينكر دعواى فقل عنى له   يكفى امرأة العزيز من عشاقه

فعمر المحافل والمجالس ، واستجلس الراكب واستركب الجالس ، يدعو الأدباء [١ ا] إلى مأدبته فلا تتوقف ، ويلقى عصا سحره المصرى فتلقف ، ماشئت من ترتيب غريب ، وتطريب من بيان (٥) أريب ، يشير إلى الشعر فتنقاد إليه عيونه ، ويصيح بالأدب النثر (٦) فتلبيه فنونه ، (ويلم بالحديث العذب فتثير الشجون شجونه (٧)) وأنهى خبره إلى العلوم (الشريفة (٨)) المقدسة ، ومدارك العز الموطدة المؤسسة ، وسما به الجد صعدا إلى المجلس السلطانى ، مقر الكمال ، ومطمح (٩) الأبصار والآمال ، حيث رفارف

---

(١) فى « ظ » (قتل) .
(٢) فى « ظ » (ضعيف العهد) .
(٣) فى « س ، ظ » (المحبة) .
(٤) فى « س و ظ » (يهديه هواه لدى أستنشاقه) .
(٥) فى « س ، ظ »(بنان) .
(٦) فى « ظ » (بالأدب الشد) تحريف .
(٧) مابين الحاصرتين ساقط من« س ، ظ » .
(٨) ساقطة من « س ، ظ » .
(٩) فى « ط» (مطمع) .

العز قد انسدلت ، وموازين القسط قد عدلت ، وفصول الفضل قد اعتدلت ، وورق أوراق المحامد (والممادح [١]) قد هدلت ، مجلس السلطان المجاهد ، الفاتح الماهد ، المتحلى فى ريعان العمر الجديد ، والملك [٢] السعيد ، بحلى القانت الزاهد ، شمس أفق الملة ، (وفخر)[٣] الخلفاء الجلة ، بدر هالات السروج [٤] المجاهدة ، أسد الأبطال البارزة ، إلى حومة الهياج الناهدة ممشى الأبصار المشاهدة ، مظهر رضى الله عن هذه الأمة الغريبة [٥] عن الأمصار والأقطار ، من وراء أمواج البحر الزخار ، باختياره لها واعتيامه ، وملبسها برد الأمن واليمن [٦] ببركة أيامه ، ومن أطلع الله أنوار الجمال من أفق جبينه ، وأنشأ أمطار السماح من غمائم يمينه ، وأجرى فى الأرض المثل السائر (بفضله [٧]) وحلمه ، وبسالته ودينه ، أمين الله على عهدة الإسلام بهذا القطر وابن أمينه [٨] ، فخر الأقطار والأمصار ، مطمح الأيدى وملمح الأبصار ، وسلالة سعد بن عبادة سيد (ولد)[٩] الأنصار ، من لو نطق الدين الحنيف لحياه وفداه ، أو تمثل الكمال صورة ماتعداه ، مولانا السلطان الإمام العالم العامل المجاهد أمير المسلمين أبو عبد الله بن مولانا السلطان الإمام المجاهد المقدس[١٠] أبى الحجاج[١١] يوسف بن مولانا الإمام المجاهد المقدس : أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر الأنصارى

---

(١) ساقطة من « س ، ظ » .
(٢) فى « س » (هو الملك) .
(٣) ساقطة من (ظ » .
(٤) فى « ظ » (السيوخ) ولعلها : السيوف ، يريد أنه سيد الفرسان .
(٥) فى « ظ ، س » (الغربية) .
(٦) فى « س ، ظ » (اليمن والأمان)
(٧) ساقطة من « ظ » .
(٨) فى « س ، ظ » (وابن ابن أمينة) .
(٩) ساقطة من الأصل ، ظ
(١٠) بدل هذه العبارة فى ألقاب السلطان فى « س ، ظ » (مولانا أمير المسلمين) فقط
(١١) فى الأصل « أبو الحجاج »

الخزرجى جعل الله ثغر الثغر مبتسما عن شنب نصـــره ، والفتح المبين مذخورا (١) لعصره ، كما قصر آداب الدين والدنيا على مقاصير قصره ، وسوغه من أشتات مواهب الكمال ما تعجز الألسنة عن حصره ، ولا زالت أفنان أقلامه تتحف الأقاليم بجنى فنون فخره ، فخصته عين استحسانه - أبقاه الله - بلحظة لحظ وما يلقاها إلا ذو حظ ، فصدرت (٢) إلى منه الإشارة الكريمة بالإملاء فى فنه ، والمنادمة على بنت دنه ، وحسب الشحم (٣) والله يجعلنى عند حسن ظنه ، ومتى قورن المثرى بالمترب ، أو وزن المشرق بالمغرب ، شتان بين من تجلى الشمس منه فوق منصتها ، وبين من يشره (٤) أفقه المغربى لابتلاع قرصتها ؛ لكننى (٥) امتثلت ورشت ونثلت (٦) ، ومكرها لابطلا مثلت (٧) ، وكيف يتفرغ للتأليف ويتبرع بالوفاء بهذا التكليف ، من حمل الدنيا فى سن الكهولة على كاهله ، وحمى طير الكرى عن مناهله ، وركض طرف الهوى بين معارفه ومجاهله ، واشترى السهر بالنوم (٨) ، واستنفد سواد الليل وبياض اليوم ، فى بعث يجهز ، وفرصة تنتهز ، وثغر للدين يشد ، وأزر للملك يشد ، وقصة ترفع ووساطة [١ ب] تنفع ، وعدل يحرص على بذله ، (وهوى يجهد فى عذله) (٩) وكريم قوم ينصف من نذله ، ودين تزاح الشوائب عن سبله وسياسة تشهد للسلطان بنبله ، وإصابة نبله ، ما بين سيف وقلم ، وراحة وألم ، وحرب وسلم

---

(١) فى « س ، ط » (مدخورا) بالدال المهملة .

(٢) فى « س ، ط » (وصدرت)

(٣) تورية بقوله أبى تمام أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

(٤) الشره أشد الحرص وأسوؤه .

(٥) فى « س » لكنى .

(٦) يريد : أكملت إستعدادى للتألف كما يستعد الرامى بإعداد سهامه وقوسه .

(٧) تورية بالمثل « مكره أخاك لابطل » .

(٨) تورية بقول الشاعر :

ألا من يشترى سهرا بنوم   سعيد من يبيت قرير عين

(٩) مابين الحاصرتين ساقط من « س » .

ونشر (١) علم أو عَلَم ، وجيش يعرض ، وعطاء يفرض ، وقرض حسن لله يقرض ، فى وطن توفر العدو على حصره ، ودار به دور السوار على خصره وملك قصر الصبر والتوكل على قصره ، وعدد نسبته من العدد العظيم الإطاقة (٢) الشديد الإضاقة ، تشبة الشعرة من جلد الناقة ، وبالله نستدفع المكروه وإليه نمد الأيدى ونصرف الوجوه ، وسألت منه أيده الله القنوع بما يسره (٣) الوقت ، مما لا يناله المقت ، والذهاب بهذا الغرض لما يليق بالترتيب والسن ، ويؤمن من اعتراض الإنس والجن ، وما كنت ممن آثر الجد على الهزل ، واعتاض من الغزل الرقيق الغزل بشيمة (٤) الجزل ، ولا آنف من ذكر الهوى بعد أن خضت غماره واجتنيت ثماره ، وأقمت مناسكه ورميت جماره ، وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة ، فالهوى أول تميمة قلدتنى الداية ، والترب التى عرفتها فى البداية ، وأنا الذى عن عروته نبت ، وأنا الذى (٥) ، بعثت إلى الرصافة (٦) لأرق فذبت (٧) ، إلى أن تبين الرشد من الغى ، وصار النشر إلى الطى ، وتشايخ ولدان الحى ، (وتذكر القحم لأيام الرى) (٨) كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم .

جزى الله عنى زاجر الشيب خير ما   جزى ناصحا فازت يداى (٩) بخيره

---

(١) فى « ظ » ونشد علم .

(٢) فى « س ، ظ » (الطاقة) .

(٣) فى « ظ »(يسده) .

(٤) فى « س ، ظ » (بسيمة) . والجزل . القوى . أى إنى لازلت أهوى الغزل الرقيق .

(٥) ساقطة من « س ، ط » .

(٦) قصر بناه عبد الرحمن الداخل شمال غرب قرطبة ونقل إليه من الشام كثيرا من أشجار الفاكهة والأزهار وسماه باسم رصافة جده هشام بن عبد الملك [معجم البلدان ٤/٢٥٧]

(٧) يقصد على بن الجهم الشاعر العباسى لما كان خشن اللفظ بدوى اللهجة فأقاموه بالرصافة فرق شعره وعذب .

(٨) ساقطة من « س » وفى «ظ» (وتذكر القمم لأيام الرى) والقمم الأرض المنعطشة :

(٩) فى « م » (يداه)

ألفت طريق الحب حتى إذا نهى   تعوضت حب الله عن حب غيره

حال السواد فحال(١) الفؤاد ، وصوح المرعى فانقطع الرواد(٢) ، ونهانى ازورار خيال الزوارا ، والتفات عاذل الشيب عن المقلة الحورا ، وكيف الأمان وقد طلع منه النذير العريان ، يدل على الخبر بخبره . ويتقرر بهاذم اللذات على أثره ، ولله در القائل :

دعتنى عيناك نحو الصبا   دعاء يردد فى كل ساعة [٢ ا]

فلولا وحقك عنـد المشيـ   ـب لقلت لعينيك سمعاً وطاعة

ولولا أن طيف هـذا الـكتاب الوارد طرق مضجعى وقد كاد يبدو (الحاجب) ويضيع(٣) من الغرض الواجب، ويعجب من نوم الغفلة العاجب(٤) لجريت معه فى ميدانه وعقدت بنانى ببنانه، وتركت شانى ـ وإن رغم الشانى ـ لشانه(٥) ، وقلت معتذراً عن التهويم(٦) فى بعض أحيانه :

أهلا بطيفك زائراً أو عائداً   تفديك نفسى غائباً أو شاهداً

يامن على طيف الخيال أحالنى   أتظن جفنى مثل جفنك راقداً

ما نمت لـكن الخيـال يلم بى   فيجله طرفى فيطرق ساجـداً

ومن العصمة ألا تجد . هلا قبل المشيب ، ومع الزمان(٧) القشيب(٨). وقبل أن تمخض القربة ، وتبنى الخانقة(٩) والتربة ، وتؤنس بالله الغربة وعلى ذلك فقد أثر، ويا قلبى المعتز اللهم لا أكثر .

---

(١) فى « س ، ظ » (بحال الفؤاد) أى ذهب سواد شعرى فتاب قلبى عن هواه

(٢) فى « ط » (فانقطعت الدودا) وهو خطأ .

(٣) ساقطة من « ظ » .

(٤) فى « س ، ظ » (الواجب) والمقصود واجب الوجود سبحانه.

(٥) فى ط « لسانه » .

(٦) التهويم أى العودة أحياناً إلى خلق الشباب .

(٧) فى « س ، ظ » مع الزمن .

(٨) الجديد .

(٩) الخانقة ــ والخانكة . بيت العباد المنقطعين للعبادة .

وبداله من بعد ما اندمل الهوى
برق تألق موهنا لمعـــانه
يبدو كحاشيه الرداء ودونه صعب الردى متمنع أركانه
(فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق نظراً إليه ورده أشجانه)(١)
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمحت به أجفانه

وجعلت الإملاء على حمل مؤازرته أيده الله علاوة ، وبعد الفراق من ألوان ذلك الخوان حلاوة ، وقلت أخاطب مؤلف كتاب الصبابة بما يتغمده جانب إنصافه ، ويغضى عن (٢) نقص إن وقع فيه كمال أوصافه .

(يامن أدار من الصبابة بيننا قدحا ينم المسك من رياه)(٣)
وأتى بريحان الحديث فكلما صبح النديم براحــه حياه
أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى لكن أهيم بذكر من أحياه[٢ب]

وعن لى أن أذهب بهذا الحب المذهب المنادى إلى البقا(٤) ، الموصل إلى ذروة السعادة فى معارج(٥) الارتقا ، الذى غايته نعيم لا ينقضى أمده . ولا ينفد مدده ، ولا يفصل وصله ، ولا يفارق الفرع أصله ، حب الله الموصل إلى قربه المستدعى لرضاه وحبه ، المؤثر(٦) بالنظر إلى وجهه ، ويالها من غاية ، تلقى رحل المتصف بها بعد قطع بحار الفنا على ساحل الولاية(٧) ، وكنت وقفت من الكتب المؤلفة فى المحبة على جملة منها كتاب شيذله(٨)

---

(١) البيت ساقط من «الأصل» .
(٢) فى « س ، ظ » (ويغطى على نقص) .
(٣) البيت ساقط من « ظ » .
(٤) فى « س ، ظ » (معراج) .
(٥) فالحب عند الصوفية يدفع إلى الفناء فى المحبوب ، ثم الفناء عن الفناء ، ثم البقاء .
(٦) فى « ظ » (المؤبد) .
(٧) أى إن الحب الإلهى يصل بصاحبه إلى الولاية بعد فناء نفسه وأهوائها .
(٨) هو عزيزى بن عبد الملك الشافعى انظر ــ تاج العروس .

له ، كتاب يشهده العوام ، ويستحسنه(١) العوام ورسالة ابن واطل(٢) ، رسالة مهداره ، تطفر من دارة إلى دارة ، فى مطاردة هرة(٣) وفارة ، وكتاب ابن الدباغ القيروانى ، كتاب مفرقع . ووجه المقصود فيه متبرقع ، وكتاب ابن خلصون . وهو أعدلها لولا بداوة(٤) تسم الخرطوم ، وتناسب الجمل المخطوم . فكنت بما ذكر لا أقنع . وأقول ما أصنع ، الله يعطى ويمنع .

قلت للساخر الذى رفع الأنف واعتلى
أنت لم تأمن الهوى لا تعيب(٥) فتبتلى
وعذلت أهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

ومن المنقول : لا تظهر الشماتة بأخيك ، فيعافيه الله ويبتليك(٦) .

بلانى الحب فيك بما بلانى فشانى أن تفيض غروب شانى

أجل . بلانى بالغرض الذى هو من القلوب (محل)(٧) سر أسرارها . ومن أفنان الأذهان بمنزلة أزهارها ، ومن الموجودات وأطوارها(٨) قطب مدارها ، ليكون كتابى هذا المقدم على الماذق المملك ، المشبع(٩) بما لا يملك ، وإن لم يقع الانصاف ، فعسى أن يشفع الإنصاف ، والاقتراف يدرأه الاعتراف ، أنا عند المنكسرة قلوبهم(١٠) ولا تجود يد إلا بما تجد ، وكل ينفق مما آتاه الله ، [٣ ا]

وابن اللبون إذا ما لز فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

---

(١) فى « ظ » (ويستحقه) .

(٢) فى الأصل (ابن أبى واطيل) .

(٣) فى « س ، ظ » هر وفأرة

(٤) فى « ظ » (بداية) .

(٥) فى « ظ » (تعين) .

(٦) هذا من قواعد الحب المتبادل بين المسلمين ، ومن دلالات الإيمان الصحيح .

(٧) ساقطة من « س ، ظ » .

(٨) فى « ظ » (وأطوانها) .

(٩) فى « س ، ط » (المتشبع) والماذق : غير المستساغ .

(١٠) من حديث قدسى [راجع الانوار للشيخ الاكبر ابن عربى]

وعسى الذى أنطق شوقاً أن يُنطق ذوقا ، والذى حرك سفلا أن يحرك فوقا ، والذى يسره مقالا ، أن يكيفه حالا ، فأول الغيث طلٌ ثم ينسكب

الحرب أول ما تكون لجاجة   وإن الحرب أولها(١) الكلام

ونحمد الله على الكلف بهذه الطريقة ، فلا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، وللأرض نصيب من كأس الكريم .

أليس قليل نظرة إن نظرتها   إليك وكلا ليس منك قليل

فاتنى أن أرى الديار بطرفى   فلعلى(٢) أرى الديار بسمعى

وعلى ذلك فذهبت فى ترتيبه أغرب المذاهب ، وقرعت فى التماس الاعانة [٣ ب] باب الجواد(٣) الواهب ، وأطلعت فصوله فى ليل [الخير] طلوع نجوم الغياهب(٤) ، وعرضت كتائب العزائم عرضا(٥) . وأقرضت الله قرضا . وجعلته شجرة وأرضا ، فالشجرة المحبة مناسبة وتشبيها ، وإشارة لما ورد فى الكتب المنزلة وتنبيها(٦) ، والأرض النفوس التى تغرس فيها ، والأغصان أقسامها التى تستوفيها ، والأوراق حكاياتها التى تحكيها ، وأزهارها أشعارها التى نجنيها ، والوصول إلى الله ثمرتها التى ندخرها(٧) بفضل الله ونقتنيها(٨) شجرة لعمر الله يانعة ، وعلى الزعازع ممانعة . ظلها ظليل ، والطرف عن مداها كليل ، والفائز بجناها قليل . رست فى التخوم ، وسمت إلى النجوم ، وتنزهت عن أعراض الجسوم ، والرياح الحسوم ، وسقيت بالعلوم ، وغذيت بالفهوم ، وحملت كمائمها بالزهر المكتوم ، ووفت ثمرتها بالغرض المروم ، فاز من استأثر بجناها(٩) ، وتغنى من غنى بلفظها دون معناها ،

---

(١) فى الأصل : أوله .

(٢) فى « س ، ظ » (فلعلى أن أرى الديار) وهو خطأ . (٣) فى الأصل « (الجود) .

(٤) العبارة فى « ظ » (وأطلعت فصوله فى ليل طلوع الغائب نجوم الغياهب) وفى «س» . وأطلعت فصوله فى ليل طلوع نجوم الغياهب) وهما غاية فى الاضطراب .

(٥) فى « س ، ظ » (وعرضت كتائب العزيمة عوضا) .

(٦) فى قوله تعالى « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء » .

(٧) فى « ظ » (ندخرها) .

(٨) فى ظ « وتقتفيها » .

(٩) فى « ظ » يجنانها » .

فمن استصبح بدهنها استضاء بسناها ، ما أبعدها وما أدناها ، عينا(١) ملأت الأكف بغناها ، كم بين (أوراقها من) (٢) قلب مقلب ، وفى هوائها من هوى مغلب ، وكم فوق أفنانها(٣) من صادح ، وكم فى التماس سقيطها من كادح ، وكم دونها من خطب فادح ، ولأربابها من هاج ومادح ، تنوعت أسماؤها، ولم تتنوع أرضها ولا سماؤها . فسميت نخلة تهز وتجنى ، وزيتونة مباركة يستصبح بزيتها الأسنى ، وسدرة إليها ينتهى المعنى ، أصلها للوجود أصل ، وليس لها كالشجر جنس ولا فصل ، وتربتها روح ونفس وقلب وعقل ، وشرفها يعضده(٤) بديهة ونقل ، يحط الهائمون بفنائها ، ويصعد السالكون فوق بنائها ،[٤ ا] تخترق السبع الطباق ببراقها ، وتمحوا ظلم الحس بنور إشراقها ، فسبحان الذى جعلها قطب الأفلاك ، ومتنافس(٥) الأضواء والأحلاك ، ومغرد طيور الأملاك ، وسبب انتظام هذه الأسلاك ، لم يتحل بها طريد بعيد ، ولا اتصف بصفاتها إلا سعيد ، ولا تعلق(٦) بأوجها هاوٍ فى حضيض ولا تمحض لبرهانها متخبط فى شرك نقيض ، ولا تعرض لشيم (٧) بوارقها متسم بسمة بغيض : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . ومنه نستزيد(٨) الاستغراق فى بحارها ، والاستنشاق لنواسم (٩) أسحارها (١٠) والاستدلال بذرى

---

(١) فى « الاصل » عيناء .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل وفى « ظ » كم من بين أوراقها .

(٣) فى « ظ » أقنائها تحريف .

(٤) فى « س ، ط » (يقصده) تحريف .

(٥) فى « س » (ومدافن) وفى « ظ » (ومسافن) تحريف .

(٦) فى س ، ط (ولا اعتلق) .

(٧) فى الأصل . (لشميم بوارقها) .

(٨) على هامش الاصل ، (ونسترفد) من نسخة ثانية .

(٩) فى « ظ » (لمواسم) .

(١٠) فى « ظ » (أشجارها) .

أفنانها عليه ، والوصول بسببها إليه ، إنه ولى ذلك سبحانه ، فطاب لعمرى المنبت والنابت ، وسمى الفرع الباسق ورسى الأصل الثابت ، تفاوت الأفنان ، وزخرفت الجنان ، وتعددت الأوراق والزهرات والأغصان ، ولم أترك فنا إلا جمعت بينه وبين مناسبه ، ولا نوعاً إلا ضممته إلى ما يليق به ، واستكثرت من الشعر لكونه من الشجرة بمنزلة النسيم الذى يحرك عذبات أفنانها ، ويؤدى إلى الأنوف روائح ريحانها(١) ، وهو المزمار الذى ينفخ الشوق فى يراعته ، والعزيمه التى تنطق بجنون الوجد من ساعته ، وسلعة ألسن العشاق ، وترجمان ضمير الأشواق ، ومجلى صور المعانى الرقاق [٤ ب] ومكامن قنائص الأذواق ، به عبر الواجدون عن وجدهم ، وأشار (٢) المحبون إلى قصدهم ، وهو رسول الاستلطاف ، ومتنزل (٣) الألطاف ، اشتمل على الوزن المطرب ، والخيال (٤) المعجب المغرب ، وكان للألحان مركبا ، ولانفعال النفوس سببا ، فلا شيء أنسب منه للحديث فى المحبة ، ولا أقرب للنفوس الصبة ، واجتلبت (٥) الكثير من الحكايات وهى نوافل فروض الحقائق ، ووسائد مجالس الرقائق ، ومراوح النفوس من كد الأفكار ، وإحماض (٦) مسارح الأخبار ، وحظ جارحة السمع من منح الاعتبار ، وبعض الجواذب لنفوس المحبين ، والبواعث لهمم السالكين ، وحجتها واضحة بقوله تعالى «وكلا نقص عليك فى القرآن المبين»(٧) ونقلت شواهد من الحديث والخبر تجرى صحاحها مجرى الزكاة من الأموال ، والخواطر من الأحوال ، ويجرى ماسواها من غير الصحيح مجرى الأمثال

---

(١) فى « س ، ظ » (بستانها) .
(٢) فى « س ، ظ » (وأمشا) .
(٣) فى « س ، ظ » (ومنزل) .
(٤) فى « س ، ظ » (والخيال) .
(٥) فى « س ، ط » (واجتليت) .
(٦) يريد أن الحكايات تخفف من شدة الاخبار كما يخفف الحمص من حدة الدسم .
(٧) يشير إلى قيمة القصة فى التربية الشرعية والذوقية .

ليكون هذا الكتاب بعموم خيره مسرحا للفاره وغيره، ويجد كل ميدانا لسيره، وملقطا لطيره، ومحكا لغيره، فمن فاق كاف بأصوله، ومن قصر قنع بفصوله، ومن وصل حمد الله على وصوله، وسميته «روضة التعريف بالحب الشريف»، ويحتوى على أرض زكية، وشجرات فلكية، وثمرات ملكية، وعيون غير بكية، والحب حياة النفوس الموات، وعله امتزاج المركبات، وسبب ازدواج الحيوان والنبات، وسر قوله عز وجل «أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات» ليس كالحب الذى دون فيه المدونون، ولعبت بكراة أقياسه صوالج الجنون وقاد الهوى أهله بحبل الهون، وساقت فيه المنى للمنون، حين نظرت النفس من سفلى الجنتين (١)، ورضيت الأثر عن العين، وباعت الحق بالمين، ولم تحصل إلا على خفى حنين، وارحمتا لعشاق الصـــورة (٢)، وسباق ملاعب الهوى والهورة (٣)، لقد أكلفوا بالزخارف الحائنة الحائلة، والمحاسن الرائقة الزائلة، وسلع الجبانة، وبضائع الإهانة (وفضائح الميضات، ومنـازف الحيضـات، وظروف القذا، وتعلات الغذا، ونفساء بيوت الأذى)(٤) أزمان التمتع بهم قصيرة، والأنـكاد عليهم مغيرة، فتراهم ما بين طعين بعامل قد، ومضرج بدم خد، وأسير ثغر قد أعوزه فداؤه، وسقيم طرف سقيم قد أعضل داؤه، وماشئت من ليل يسهر، وندابة تجهر، وجيوب تشق، وبصائر تخطف أبصارها إذا لمع البرق، ونواسم تحمل التحيات، وخلع أمل تتلقى بخلع الأريحيات (٥)،

---

(١) سفلى الجنتان هى جنة الدنيا .

(٢) فى س ، ظ (الصور) .

(٣) فى س ، ظ (الهور) وهى من التهور والاندفاع .

(٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من « س ، ط » .

(٥) فى « ظ » (الأرجيات) .

وربما اشتد الحبل ، وأصاب النبل ، فكان الخبل ، قلوب اشتغلت عن الله فشغلها الله بغيره ، وهب أن (١) الحب الجسماني لا تبعث عليه [ه ا] شهوة بهيمية ، ولا تدعو إليه قوة وهمية ، أليست الداعية مرتفعة والباعثة منقطعة ، وصورة الحسن داثرة ، وأجزاؤه المتناظمة متناثرة أليس الجزء العنصري عائدا إلى أصله ، أليس الجنس مقارنا لفصله ، ولله در القائل :

(لا تلتفت بالله يا ناظري	لأهيف كالغصن الناضر
ياقلب واصرف عنك وهم النقا	وخل عن سرب حمى حاجر
ما السرب ما البان وما لعلع	ما الخيف ماظبي بني عامر
جمال من سميته داثر	ما حاجة العاقل بالداثر
وإنما مطلبه في الذي	هام الورى في حسنه الباهر
أفاد للشمس سناك الذي	أعاره للقمر الزاهر
فالشعث فالغبر كشلي أنا	أني من اجل الأول الآخر
أصبحت فيه مغرما حائرا	لله در المغرم الحائر) (٢)

وقال أمير المؤمنين على رضي الله عنه (٣) وقد نظر إلى قدح الماء لما أراد أن يشرب وعن الاعتبارات أعرب ، فقال : كم فيك من خد أسيل وطرف كحيل ، فأواه مكررة مرددة ، والهفاه معادة مجددة ، على قلب أصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا ، وحسبنا مرارة الفراق ذلا ، وفقر الفقد قلا ، والغفلة عن الله شقاء محتوما ، والكآبة على الفائت شؤما .

صدني عن حلاوة التشييع	اتقائي مرارة التوديع
لم يقم أنس ذا بوحشة هذا	فرأيت الصواب ترك الجميع

وإن كانت الشهوة فأخسس بها داعية ، وإلى الفضيحة ساعية ، حسبك

---

(١) ساقطة من « س ، ظ » .

(٢) الأبيات كلها ساقطة من « س ، ظ » .

(٣) في س ، ظ (ولله در على رضي الله) .

من حمار يعلو بنداء المحبة نهاقه ، ويقذفه على السياق اهتياجه إلى السفاد واشتياقه ، أسير خيال (١) وصريع مبال ، أولى له ثم أولى له ، لو تأمل محاسن الجسوم ما أكذب رائدها المطرى وأخبث زخرفها المغرى ، وأقصر مدة استمتاعها ، وأكثر المساوىء تحت قناعها .

على وجه مى مسحة من ملاحة … وتحت الثياب العار لو كان باديا

مائم إلا أنفاس تركد وتخبث ، وعلل تنشأ ثم تحدث (٢) ، وزخارف حسن تعهد ثم تنكث ، وتركيب يطلبه التحليل بدينه ، ويأخذ أثره بعد عينه ، وأنس بفقد (٣) ، واجتماع (كأن لم يعقد) (٤) ، وفراق إن لم يكن فكأن قد .

ومن سره ألا يرى مايسوءه … فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

منغص العيش لا يأوى إلى دعة … من كان ذا بلد أو كان ذا ولد .

والساكن النفس من لم ترض همته … سكنى مكان ولم يسكن إلى أحد

وقلت (٥) وقد مات سكن عزيز على أيام التغرب ، أسلى عظم جزعى عليه

ياقلب كم هذا الجفا (٦) والخفوت … ذماك استبق لئلا يفوت

فقال لاقول ولا حول (٧) لى … قد كان ما كان فحسبى السكوت [٥ب]

فارقنى الرشد وفارقته … لما تعلقت بشىء يموت

والزمان لا يعتبر ، وحاصله خبر (٨) ، والحازم من نظر فى العواقب ، نظر المراقب وعرف الإضاعة ، ولم يجعل الحلم بضاعة ، إنما الحب الحقيق

---

(١) فى س ظ (خيال) .
(٢) فى « ط » (وتحدث) .
(٣) فى ظ (يعقد) .
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : ط .
(٥) فى س ، ط (قلت) .
(٦) فى « س ، ظ » (الجوى) .
(٧) فى س ، ط (الاحول ولاقول) .
(٨) على هامش « الأصل » : (وحاصله أثر) من نسخة ثانية .

حب يصعدك ويرقيك ، ويخلدك ويبقيك ، ويطعمك ويسقيك ، ويخلصك إلى ما فيه (١) السعادة ممن يشقيك ، ويجعل لك الكون روضا ، وشرب الحق حوضا ، ويجنيك زهر المنى ، ويغنيك من أهل الفقر (٢) والغنا ، ويخضع التيجان لنعلك . ويجعل الكون متصرف فعلك (٣) . ليس إلا الحب ثم الوصل والقرب . ثم الشهود ثم البقا . بعد ما اضمحل الوجود فشفيت الآلام وسقط الملام . وذهبت الأضغاث والأحلام . واختصر الكلام ، ومحيت الرسوم وخفيت الأعلام . ولمن الملك والسلام (٤) . فالحذر الحذر أن يعجل للنفس سيرها ، ويفارق القفص طيرها . وهي بالعرض (٥) الفاني (٦) متشبطة . وبثاء الثقيل مرتبطة وبصحبة الفاني مغتبطة . (فالمرء مع من أحب . يموت المرء على ما عاش عليه(٧)) أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين) وفي مثل ذلك قلت :

أعشاق غير الواحد الأحد الباقي	جنونكم والله أعيت على الراقي
جننتم بما يفنى ويبقى مضاضة	تعذب بعد البين مهجة مشتاق
وتربط بالأجسام نفسا حياتها	مباينة الأجسام بالجوهر الراقي
فلا هي فازت بالذي علقت به	ولا رأس مال كان ينفعها باقي
فراق وقسر وانقطاع وظلمة	فما البعد عن عين (٨) السعادة ياواقي

(١) في « س ، ظ » (إلى فئة) .
(٢) في « س » (الفقد) .
(٣) يرى الصوفية أن العارف تنفعل له الأكوان بإذن الله كرامة له .
(٤) إشارة إلى قوله تعالى يخاطب الخلائق يوم الجمع « لمن الملك اليوم ؟ » فلما خمدت الأصوات وعنت الوجوه . أجاب سبحانه نفسه بقوله « لله الواحد القهار » .
(٥) في س ، (الفرض) .
(٦) في ظ . (الثاني) .
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من : « س ، ظ » وهما مما ورد في الاحاديث .
(٨) في س ، ظ (من نيل) .

كأنى(١) بها من بعدما انكشف الغطا صريعة أحزاب لذيعة أشواق
تقلب كفيها بخيط موصل وثيقة قد دون سبعة أطباق
فلا تطعموها السم فى الشهد ضلة فذاك سم لايداوى بدرياق
بما اكتسبت تسعى إلى مستقرها فإما بوفر محسب أو بإملاق
وليس لها بعد التفرق حيلة سوى ندم يذرى مدامع آماق
ولو كان مرمى الحزن منها إلى مدى لهان الأسى ما بين وخذ(٢) وإعناق
فجدوا فإن الأمر جد وشمروا
بفضل ارتياض أو بإصلاح أخلاق
ولا تطلقوا فى الحسن(٣) ثنى عنانها
وشيموا لها(٤) للحق لمحة إشراق
ودسوا لها المعنى رويدا وأيقظوا
بصيرتها من بعد نوم وإغراق
ومهما أفاقت فافتحوا لاعتبارها
مصاريع أبواب وإقفال أغلاق
وعاقبة الفانى اشرحوا وتلطفوا
بأخلاقها المرضى تلطف إشفاق
فإن سكرت واستشرفت عند سكرها
لماهية السقيا ومعرفة الساقى
أطيلوا على روض الجمال خطورها
إلى أن يقوم الحب(٥) فيها على ساق
وخلوا لهيب الشوق يطوى بها الفلا
إلى الوجد فى مسرى رموز وأذواق [٦ ا]

---

(١) فى « م » (كأن) .
(٢) فى ظ (وجد) . والوخد والإعناق ضربان من السير .
(٣) فى ظ (فى الحس) وفى « س » (فى الحق) .
(٤) فى س، ظ (بها) .
(٥) فى س ، ظ (الوجد) .

فما هو إلا أن تحط رحالها
بمثوى (١) التجلى والشهود بإطلاق
وتفنى إذا ما شاهدت من شهودها
وقد فنى الفانى وقد بقى الباقى
هنالك تلقى العيش تصفو ظلاله
وتنعم من عين الحياة برقراق
وما قسم الأرزاق إلا عجيبة
فلا تطرد السؤال يا خير رزاق

أخذ الكلام فى هذا الافتتاح حده ، وبلغ النهر مده ، فلنأخذ (٢) إثر هذا الذى سردت ، فى تقرير ما أردت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

فنقول : ينقسم هذا الموضوع إلى أرض وشجر غض ، كل منها ميسور حدة وفن على حدة ، ماشئت من مرآى ومستمع فمن شاء أفرد ومن شاء جمع(٣)، فنبدأ بالأرض والفلاحة . والتكسير والمساحة ،وتعيين حدود تلك المساحة ، ثم نأتى بالشجرة التى نؤمل جناها وننظر إناها ، ونجعل الزاد مبلغ(٤)معناها .قل بفضل الله وبرحمته (فبذلك فليفرحوا(٥)) هو خير مما يجمعون .

---

(١) فى ط (بمثى والمراد تجلى الاسم والصفة معا والمراد بما فى «الأصل» مكان التجلى الذى يقيم فيه المشاهد .

(٢) فى س ، ط (فلاخذ) .

(٣) يورى بإفراد الحج عن العمرة أو الجمع بينهما فى نية واحدة .

(٤) فى س ، ظ (المبلغ) .

(٥) ساقطة من « ظ » .

برنامج هذا الكتاب

الذى يحصر [1] الأجناس والفصول ، ويرد الفروع إلى الأصول ، وييسير للباحث عن مسائله سبب [2] الوصول بحول الله وقوته .

(١) فى ظ (يحضر) تحريف .
(٢) و ظ (بسبب) .

خطبة الأعراس وتوطئة الغراس

وتنحصر فى جملتين .

الجملة الأولى :

فى صفة الأرض وأجزائها وجعل الاختيار بإزائها وفيها رتب .

الرتبة الأولى[1]

رتبه الأطباق المعروضة والاعتبارات المعروضة وفيه مقدمة وأطباق

المقدمة :

فى تعيين الأرض المذكورة .

الطبق الأول :

طبق القلب .

الطبق الثانى:

طبق الروح .

الطبق الثالث :

طبق العقل

الطبق الرابع :

طبق النفس (٢) .

الرتبة الثانية :

رتبة العروق الباطنة والشعب الكامنة وفيها فصول .

الفصل الأول :

فى العروق المعدنية .

---

(١) ساقطة من (ظ) .

(٢) فى س و ط (الطبق الثالث طبق النفس ، الطبق الرابع طبق العقل) .

الفصل الثانى :

فى التقريرات[1] العينية .

الفصل الثالث :

فى المدبرات البدنية .

الفصل الرابع :

فى البحوث البرهانية .

الجملة الثانية :

فى صفة الفلاحة والعمل ، المتكفل فيها بنيل الأمل ، وفيها اختيارات :

الاختيار الأول :

فيما يصلح للاعتمار من هذه الأرض وفيه فصول .

الفصل الأول : فى أرض النفس المطمئنة .

الفصل الثانى : فى أرض النفس الأمارة .

الفصل الثالث : فى أرض النفس اللوامة .

الاختيار الثانى : فى محركات العزيمة لاعتمار هذه الأرض الكريمة وفيه فصول :

الفصل الأول : فى الجذبة وما يتعلق بذلك .

الفصل الثانى : فى الوعظ المثمر فى اليقظة .

الفصل الثالث : فى ذم الكسل .

الاختيار الثالث : يشتمل على جلب الماء لسقى هذه الأرض من عين العلم فى حدود النقل المحرر والعقل المقرر ، وفيه مقدمة فى فضل العلم وأجناسه وفيه فصول :

الفصل الأول : فى جدول العقل

الفصل الثانى : فى جدول النقل

---

(١) فى : س ، ظ (التقررات) .

الفصل الثالث : فى مقدار الماء المجلوب (للفلح المطلوب[١])

الفصل الرابع : فى غبار التكرين وسبب التلوين .

الاختيار الرابع : فى الحرث وإخراج ابن هذه [٦ ب] الفلاحة من بين الفرث والدم[٢] وفيه أقسام

أولها : القليب الأول .

ثانيها : القليب الثانى الذى عليه المعول .

ثالثها : فى سكة الازدراع والتعمير ، وهو مظنة التثمير[٣]

الاختيار الخامس : فى تنظيف الأرض المعتمرة من الأرض الخبيثة ، والجدر[٤] المعترضة المذمومة . وفيه فصول :

الفصل الأول : فى إزالة شكوك تسبق إلى المعتقد غالبا .

الفصل الثانى : فى قلع الشجر الذى يضر بهذه الشجرة ويعاديها بالطبع .

الاختيار السادس : فى أمور ضرورية تلزم هذه الفلاحة ، وفيه فصول :

الفصل الأول : فى أمراض يشرع فى علاجها ، مما يرجع لطبع الأرض ومزاجها .

الفصل الثانى : فى اختيار أعوانها وأجزائها .

الفصل الثالث : فى أقوال تليق بأخاص الفلاح وأصحاره[٥] ، عند ملاحظة عجائب الكون وآثاره .

الفصل الرابع : فى الوقت المختار للغراسة

---

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) فى س ، ظ (العرم والغرث) تحريف .

(٣) فى جميع الأصول : مظنة التشمير . وما أثبتناه على هامش الأصل من نسخة ثانية .

(٤) فى ظ (والجدال) .

(٥) على هامش « الأصل » (وأضجاره) من نسخة ثانية وكذا فى س . وفى ظ (وأصراجه) والإصحار السير فى الصحراء .

الأسباب فى اخب اللباب

وتنحصر فى مقدمة علمية ، وجرثومة جرمية .

المقدمة العلمية : فى ترتيب المحبة والمعرفة .

والجرثومة الجرمية : تنقسم إلى بيان يعطى الصورة ، ويشرح الضرورة ، وإلى بطن وظهر ، وسر وجهر ، وباسط وبرزخ واسط .

فالباطن : الشرع والنقل وينقسم إلى أصول :

الأصل الأول : الكلام فى النبوة من حيث العقل

(الأصل الثانى : الكلام فيها من حيث النقل(١))

الأصل الثالث : الكلام فى الإيمان والاعتبار العامى

الأصل الرابع : الكلام فيما يتبع ذلك من اليقظة والتوبة فى حق(٢) المحتاج إلى ذلك

الأصل الخامس : الكلام وتقرير العناية والتوفيق فى حق غير المحتاج إلى ذلك .

الأصل السادس : فى الموعظة والسماع من حيث تهذيب الجميع

والظاهر : الطبع والعقل وينقسم إلى أصول :

الأصل الأول جزء الفلسفة العلمى والعملى .

الأصل الثانى فى سلامة الفطرة فى حق المستغنى عن ذلك

الأصل الثالث فى السلوك بالفكر والتشبه بالمبدع الأول

الأصل الرابع فى الاعتبار الخاص

الأصل الخامس فى معرفة الجمال والكمال(٣)

---

(١) ساقطة من الأصل وتغير لذلك ترتيب الأصول .

(٢) فى س ، ظ (فى حق غير المحتاج إلى ذلك) .

(٣) فى س ، ظ (وضع الأصل الخامس مكان الثالث والثالث مكان الخامس .

والباسط والبرزخ الواسط الصاعد من التخوم إلى النجوم . وهو من أخص الأشياء بباطن الشجرة المعتبرة ويشتمل على ثلاثة أصول :

الأصل الأول : أصل الأدعية والأذكار وله عشر شعب .

الأصل الثانى : أصل الأسماء وهى أصول الأرض والسماء وله تسع وتسعون شعبة .

الأصل الثالث أصل السيمياء وهو الذى عفن بعضه وبقى الانتفاع ببعضه .

العمود المشتمل على القشر والعود والجنى الموعود : ينقسم قسمين قشر وخشب ودر مخشلب ، والقشر ظاهر يكسو ويحذو ، وباطن ينمى ويغذو ، فظاهره الذى يكسو ويحذو يتضمن الكلام فى المحبة من حيث اللسان ، لا من حيث الإنسان ، وباطنه الذى ينمى ويغذو يتضمن الثناء(١) على المحبة طبعا وعقلا وشرعا ونقلا .

الخشب الذى يتخذ منه النشب . ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول [١٧] فى الحدود والمعرفات والأسماء الدالة عليها والصفات .

القسم الثانى فى معقول معناها المتجلى فى نورسناها(٢)

القسم الثالث ارتباطها بالمقامات واختصاصها فيها بالكرامات .

القسم الرابع تبيين ضرورتها(٣) وإيضاح مزيتها

الفرع الصاعد فى الهواء على خط الاستواء من رأس العمود القائم إلى منتهى الوجود الدائم .

ويشتمل على قشر لطيف وجرم شريف .

القشر : الحدود المعرفة والرسوم وخواص العارف التى هو المعروف بها والموسوم وينقسم إلى فصول :

---

(١) فى ظ (والثناء) تحريف .

(٢) فى س ، ط (فيه نور سناها) .

(٣) س ، ط (ضروريتها) .

الفصل الأول : (فى حدود(١)) المعرفة ورسومها وما قيل فيها .
الفصل الثانى : فى أوصاف العارف .
الفصل الثالث : فى تفصيل العارف .
الفصل الرابع : فى علوم العارف .

والجرم الشريف من الفرع المنيف : ينقسم إلى ظاهر وباطن وقلب فالظاهر ينقسم إلى أقسام : الكلام فى الأخلاق ومنشئها وطباعها بحسب القوى النفسانية وإفراطها وتفريطها واعتدالها وعلاجها وفيه المجاهدات .

والباطن : يتضمن الكلام فى أن النظر إلى وجه الله هو السعادة الكبرى بكل نظر واعتبار .

والقلب : قلب الغصن يتضمن الرياضة والسلوك على المقامات كلها ويتفرع منه عشرة غصون

الغصن الأول غصن فروع البدايات
الغصن الثانى غصن فروع الأبواب
الغصن الثالث غصن فروع المعاملات
الغصن الرابع غصن فروع الأخلاق
الغصن الخامس غصن فروع الأصول
الغصن السادس غصن فروع الأودية
الغصن السابع غصن فروع الأحوال
الغصن الثامن غصن فروع الولايات
الغصن التاسع غصن فروع الحقائق
الغصن العاشر غصن فروع النهايات

ولكل فرع أوراق ويلحق به صورة السلوك بالذكر حتى يتأتى الوصول وعلى المقصود الحصول ، والكلام على زهرات الطوالع واللوائح

---

(١) (ساقطة من س ، ظ) .

والبواده والواردات ونختم بالجنى المقترن بنيل المنى (من بعد العنا واقتحام الظبا والقنا)(١) وهى الولاية .

تفرع(٢) ضخام الغصون من شجرة السر المصون . وهى غصن المحبوبات وأقسامها المكتوبات .

وتنقسم إلى أربعة أفنان :

الفن الأول فن الرب المحبوب .
الفن الثانى فن العبد المحبوب .
الفن الثالث فن الدنيا المحبوبة .
الفن الرابع فن الآخرة المحبوبة .

غصن المحبين وأصنافهم المقربين(٣) : ينقسم إلى مقدمة بيان وستة أفنان .
الفن الأول فى رأى الفلاسفة الأقدمين .
الفن الثانى فى رأى أهل الأنوار والإشراقيين
الفن الثالث فى رأى الحكماء الإسلاميين

الفن الرابع فى رأى المكلمين بزعمهم المتممين(٤) .
الفن الخامس فى رأى أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين
الفن السادس فى ذكر الصوفية سادة المسلمين (نفع الله بهم أجمعين)(٥)

غصن علامات المحبة وشواهد النفوس الصبة : وينقسم إلى ثلاثة أفنان

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من (س ، ظ) .
(٢) فى ظ (تفريع) .
(٣) فى س ، ظ ، المرتبين وكذا على هامش « الأصل » من نسخة ثانية .
(٤) فى ظ (المتهمين) .
(٥) ساقطة من ا س ، ط) .

الفن الأول فيما يرجع إلى حقوق المحبوب .

الفن الثانى فيما يرجع إلى باطن المحب .

الفن الثالث فيما يرجع إلى ظاهره

غصن أخبار(١) المحبين فى ميدان جهادهم وتباين أحوال أفرادهم : وهو(٢) ثلاثة أفنان

الفن الأول فى المجاهد(٣) الصريح [٧ ب] .

الفن الثانى فى المثبت الجريح(٤)

الفن(٥) الثالث فى الصريع الطريح

جوائح الشجرة ومضار فلاحتها المعتبرة : وتنقسم إلى جوائح من نسبتها بالنظر إلى مائها وتربتها وإلى ماهو راجع إلى الخواطر وهى على عدد الرياح وإلى ما سببه غفلة الفلاح .

عذر الطائر الصادح على فرض القادح ووجود الهاجى والمادح

صورة الشجرة ذات الحسن الباهر والجنى والأزاهر وآثارها للحس الظاهر بفضل الله المؤيد(٦) القاهر لا إله إلا هو الملك القادر .

---

(١) فى س ، ظ (اختيار) .

(٢) فى ظ (وهى) .

(٣) فى س (فنن) وفى ظ (فن) .

(٤) فى ، ظ(استعملت كلمة الفن بدلا من الفنن فى الفهرس كله) .

(٥) فى س (فنن) وفى ط (فن) .

(٦) فى س ، ظ ، هامش الأصل المريد .

خطبة الأعراس، وتوطئة الغراس

وتنقسم على جملتين :

الجملة الأولى : فى صفة الأرض وأجزائها، وجعل الاختيار بإزائها

الجملة الثانية : فى صفة الفلاحة والعمل ، المتكفل فيها بنيل الأمل

الجملة الأولى

من كتاب روضة التعريف بالحب الشريف

في صفة الأرض [٨ ا] وأجزائها وجعل الاختيار بإزائها، وفيها مراتب

الرتبة الأولى

رتبة الأطباق المفروضة والاعتبارات المعروضة، وفيها مقدمة وأطباق

المقـــدمة

قال المؤلف رحمه الله (١)

وإذ لابد لكل شجرة من أرض، عليها يستقل عمودها، ويرتكز لواؤها، وبثراها تستفلك جرثومتها، وبمغرسها تثبت أصولها وشعبها فوجب (٢) أن تكون الأرض المختصة بشجرة الحب، الشجرة الشماء، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء [هي] الأجزاء الناطقة والمقومات الفاعلة والأقدار المميزة من عالم الإنسان المفضل بخصوصيتها، المعلم بمزيتها وحليتها. والمميز بشريف اسمها، ومنيف (٣) رسمها « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على

---

(١) في ظ (رضي الله عنه) وسقط من « س ».

(٢) في س، ظ (بواجب).

(٣) في الأصل « حنيف » والتصحيح على الهامش من نسخة ثانية وكذلك في (س، ظ).

كثير ممن خلقنا تفضيلا » ، وهى الجواهر الروحانية (١) المشار إليها بالقلب والروح والنفس (والعقل (٢)) .

---

(١) فى ظ (الريحانية) . والجوهر ماهية إذا وجدت فى الأعيان كانت لا فى موضوع، وينحصر فى خمسة : هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل . وينقسم الى : بسيط روحانى كالعقول والنفوس المجردة ، والى بسيط جسمانى كالعناصر ، والى مركب فى العقل دون الخارج، كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفعل ، والى مركب منهما كالموالدات الثلاثة .

(٢) ساقطة من « س ، ظ » .

الأطباق المفروضة

وكما أن الأرض تطلق على ما اختلفت أنواعه فى البقعة الواحدة من رمل وجص وقلموليا [١] ودمث وغراز [٢] ورخو ومعدنى وصالح للفلاحة ، فكذلك أرض هذه الشجرة [٣] ، ينقسم الكلام فيها إلى أطباق ، من قلب ، وروح ، ونفس ، وعقل .

ولما كانت مدلولات هذه الأسماء مظاهر للطائف ، وكلها وإن تعددت الأسماء إدراكات نور واحد ، والخلاف اللفظى لا يعارض غرضنا [٤] ، ورأينا أرباب هذه الطرق كثيرا ما يأخذون [٥] بعضها مكان بعض ، جعلناها بمعنى واحد ، ونسبنا الأرض المذكورة للنفس من تلك الأقسام لكثرة دورها على ألسن القدماء والمتأخرين ، وإن كان إصطلاح الصوفية فيها يقتضى خلاف ذلك [٦] ، وتكلمنا على كل واحد بعد استعانة الله القوى المعين سبحانه :

الطبق الأول طبق القلب

قال المؤلف رحمه الله [٧] : القلب يطلق على معنيين :

الأول منهما الشكل اللحمى الصنوبرى الحسى المعلق فى الصدر ، وهو معروف . وهو معدن الروح الحيوانى لكل حيوان ، من إنسان وغيره .

---

(١) فى ظ (وينموليا)
(٢) فى ظ (وعزنا) وهو خطأ .
(٣) فى « س ، ظ » (فكذلك هذه الأرض) .
(٤) فى « س ، ظ » (عرضا) .
(٥) على الهامش فى الأصل « يحدون » من نسخة ثانية .
(٦) كل ما كان بالنفس عند الصوفية لا يعتد به ولا يعول عليه ، وأول مرتبة يعتد بها عندهم مرتبة القلب وتليها مرتبة الروح وتليها مرتبة السر ، ثم سر السر ثم الخفاء ، الأخفى .
(٧) فى « س ، ظ » (رضى الله عنه)

والثانى : لطيفة ربانية من العالم الروحانى ، هى حقيقة الإنسان ، والشىء العالم العارف المدرك منه ، قال الله عز وجل : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها [١] » وهو المعنى المثاب المعاقب، والمخاطب والمخاطب ، وله العلاقه بالقلب الجسدانى ، وحده لطيفة روحانية ربانية لها بالقلب الجسدانى تعلق ، وفى رأى الحكماء من الإشراقيين (فى القسم الذى يتضمن أقسام المحبين من هذا الكتاب) [٢] يتضح الأمر فيه بحول الله وقوته .

وحيث ورد فى القرآن والسنة القلب فالمراد به المعنى الذى يفقه من الإنسان . ويعرف حقيقة الأشياء . (والكلام فى القلب بهذا المعنى إنما جارينا فيه المتصوفة الذين يعدون القلب والروح والسر [٣] . وهو كله عند المتقدمين فى ضمن العقل والنفس [٤]) ويكنى عنه بالعنصر المسمى قلبا للعلاقة به . قال الشاعر :

كان لى قلب أعيش به ضاع منى فى تقلبه
رب وارده على فقد عيل صبرى فى تطلبه

الطبق الثانى طبق الروح

قال المؤلف رحمه الله [٥] : تطلق الروح على معنيين :

أحدهما : يراد به جسم لطيف بخارى يتكون من لطافة الأخلاط تكون الأعضاء عن كثافتها [٦] . ومنبعه من أيسر تجويفى العضو الصنوبرى اللحمى المسمى بالقلب . وهو مركب السر الإلهى الأمرى

---

(١) سورة :
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل
(٣) أى يعدون كلا منها على حدة .
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من « س ، ظ » .
(٥) فى س ، ط .. (رضى الله عنه) .
(٦) فى « س ، ط » (من كثافتها) .

ومتعلقه ، والذى استعد لقبوله لاعتداله ، [١٨] وقربه من العوالم السماوية حتى اتصل به ، ومنه ينتشر بواسطة العروق إلى سائر أجزاء البدن فيفيده الحياة ، ويفيض عليه أنوارها .

والثانى : الروح المتقرر العلاقة بهذا (١) الروح الأول . وحده : لطيفة ربانية عالمة مدركة (٢) من الإنسان . وإذا ركبت الروح المذكورة . وسرت فى البدن . كانت فى العين بصرا . وفى اللسان ذوقا . وفى الأذن سمعا . وفى الأنف شما وفى الجلد لمسا . ظاهرة عليها صفات المبدأ [الإلهى] الذى هو مع كل شىء بصورة ذلك الشىء . وليس له هو صورة تقيده ، ولو كانت له صورة تقيده لكان مع تلك الصورة فقط .

عجبت منى وأمرى كله عجب خذ شاهدى فهو المغنى عن الخبر
ظهرت مع كل موجود بصورته ولم أقف مع مفروض من الصور

وهذه اللطيفة هى الأمر العجيب الذى تعجز العقول والأفهام عن إدراك حقيقته ، وباب البحث مسدود عنه شرعا . قال الله عز وجل : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (٣) » . ومن الناس من عد ذلك جوابا كالإمام أبى حامد (الغزالى (٤)) . فالروح الأول هو الروح الحيوانى والروح الثانى هو الروح الأمرى .

وقال بعض الخائضين فى ذلك : حار الناس فى أمر الروح . فأدركوا وجوده . وجهلوا كنهه . فلم يعرف حقيقته إلا من عرف الله . وثبت أنه ليس داخل الجسم ولا خارج الجسم .

---

(١) فى «س» (من الروح) وفى « ظ » (بهذا من الروح)
(٢) فى « ظ » (مذكرة)
(٣) سورة .
(٤) ساقطة من (س ، ظ)

قال : وهذا عند المحققين فيه عين الخبر . وقال فى قوله تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (١) » معناه أن من أوتى منه كثيرا أدركه وعرفه (٢) .

الطبق الثالث طبق العقل :

قال المؤلف رحمه الله (٣) : العقل ينطلق بالاشتراك على معان ، فلا يشمل الحد الواحد جميع معانيه .

أما بحسب اللسان . فعلى تعقل الأشياء ، وبمعنى إدراكها وضبطها . وأصله من عقل الناقة إذ كان يعقل العلوم . وقيل : يعقل النفس عن الشهوات .

وأما بحسب استعمال أهل الصنائع العلمية ، والأنظار الحكمية ، فيطلقونه على أنحاء ، منها : العقل الفعال ، وهو أول موجود أوجده الله

وقال بعض الشيوخ المتأخرين : فيه شعاع الحقيقة . وحده : « جوهر بسيط روحانى يحيط بالأشياء كلها إحاطة روحانية » وهو عندهم الكلمة المرددة ، والآنية المنفصلة ، وولد النفس . وصاحب الوجهين إذا أفاد أو استفاد . أى بنظره إلى البارى وإلى الأشياء .

قال بعضهم فى قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » . المشكاة هى النفس الكبرى المشرقة من نور الله (٤) . وهو العقل الكلى المبدع الأول ، وهو المصباح ، والزجاجة الهيولى الأولى الشفافة والكوكب الدرى الصورة المجردة . والشجرة المباركة نفس الكل ذات الفروع . لاشرقية

---

(١) لأن علم الانسان محدود لايتصف بالشمول الذى يتصف به العلم الإلهى .

(٢) وهذا يوضح رأى الإمام الغزالى .

(٣) س ، ظ (رضى الله عنه)

(٤) فى س ، ظ « من نوره »

ولا غريبة ، ولا مؤلفة ولا مركبة ، ولا ذات حية [١] .

وقال [٢] آخرون فى قوله : ظل الله يوم لاظل إلا ظله ، هو العقل الأول ، والعالم ظل ذلك العقل . قالوا : واليه الإشارة بقوله تعالى : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا » وإن حركته إنما هى طلبه لكمال الصمدية ، وهى السكون والشبه بالمبدأ الأول الذى لاحركة فيه ولا شوق [٣] ، وكل شىء يتحرك مشتاق اليه سبحانه .

تنبيه [٨ ب]

ومتى ما ذكر أهل هذه الطريقة السر ، كنوا به عن العقل ، أو كأنه باطنه الذى هو محل المشاهدة ، كما أن الأرواح محل المحبة ، والقلوب محل المعرفة .

وقالوا : سر السر ، وبينه وبين السر فرق ، فإن السر ما لك عليه إشراف ، وسر السر مالا اطلاع عليه لغير الحق .

وقال الحكيم [٤] فى كتاب البرهان . العقول ثمانية :

أحدها : التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة ، والعقل النظرى والعقلى . والأول قوة للنفس تقبل بها ماهيات الأمور الكلية ، والثانى قوة مبدأ لتحريك القوة الشوقية إلى ما يختار من الجزئيات لأجل

---

(١) أوضح من هذا التفسير فى باب التفسير الرمزى قول أبى القاسم القشيرى « مثل نوره كمشكاة » . أراد بهذا نور قلب المؤمن وهو معرفته . فشبه صدره بالمشكاة وشبه قلبه فى صدره بالقنديل فى المشكاة وشبه معرفته بالمصباح فى القنديل وشبه القنديل الذى هو قلبه بالكوكب الدرى ، وشبه إمداده لمعرفته بالزيت الصافى الذى يمد السراج فى الاشتعال . . . . [لطائف الإشارات فى أسرار التنزيل مخطوط ٢٦٦ تفسير دار الكتب المصرية]

(٢) فى الأصل « فقال »

(٣) فى ط (ولاشرق) تحريف .

(٤) ابن سينا فى كتابه « البرهان من كتاب الشفا »

غايات مظنونة ، ويقال لقوى كثيرة من العقل النظرى عقل . فمن ذلك العقل الهيولانى، وهو قوة للنفس مستعدة لقبول الأشياء مجردة عن المادة ، والعقل بالملكة ، وهو استكمال هذه القوى (١) حتى تصير قوة قريبة من العقل ، ومنها العقل بالفعل ، وهو استكمال النفس (٢) بصورة ما ، ومنها العقل المستفاد ، وهو ما هية مجردة عن المادة مرتسمة فى النفس على سبيل الحصول من خارج ، والعقل الذى يطلق على العقول الفعالة ، وهى كل ماهية مجردة عن المادة ، والذى نجلبه إلى هذا الغرض هو الوصف الذى تميز به الإنسان من البهيمية ، واستعد لقبول العلوم النظرية ، وحل الاجناس إلى أشخاصها ، وركب الأشخاص إلى أجناسها ودبر الصنائع ، وصرف الفكر والروية ، وحده : غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية ، وفى هذا الطبق مباحث فى بقائه وفى جوهره وفى أنواعه ، ونحن نجتزىء عن ذلك بمثله من المباحث فى النفس لكونه مشترك الإلزام

الطبق الرابع طبق النفس

(قال المؤلف رحمه (٣) الله : وهو الذى نفرده بمعنى الجميع، ونجعله بحكم التسامح ارض هذه الشجرة ، وليس من جعل قسما للكل ، ولكنه بمنزلة اللف لما نشر ، والإجمال لما فسر ، فقد قيل إن العقل والروح والنفس والقلب بمعنى واحد ، ورد هذه المعانى(٤) إلى معنى واحد فى هذا العرض الذى قصدنا اليه لا يخل(٥) بشىء منه إن شاء الله .

وأرض الشجرة فى الحقيقة إنما هى النفس، وماذكرناه من الأطباق مندرج فيها إن شاء الله، ومامثال(٦) النفس والعقل والقلب والروح إلا كملك مدينة

(١) فى ط ، س (القوة)
(٢) فى س ، ط (للنفس)
(٣) ما بين الحاصر ساقط (من س ، ظ .)
(٤) فى . س (الأمور)
(٥) فى س ، ظ (لا يخل)
(٦) فى « س ، ط » (مثل)

سكن - لأول استيلائه عليها وتدبيره إياها - داراً فتوسطها ، كثيرة الحجب والأصونة والمسالك المفضية إلى نواحيها ، وله بأعلاها قلعة سامية ، جامعة لمعانى الملك ، (وبها الخزائن والحفاظ والكتاب)[١] ، وإليها تقصد البرد بالأخبار ، وأمره ونهيه بها قائم ، وقد عمر أمره المكانين . وأفرد الزمانين وصار فى الكل عين العين ، وله بأعلى رتبتها ، وأشرف مستشرفاتها (وأصونتها)[٢] مرآة يبصر بها وجهه ، ويدرك ماخفى عنه ، فوجوده فى القلب يسمى روحا[٣] ، وفى الدماغ يسمى نفسا ، وفى المرآة الماثلة بألطف أبهائه عقلا ، ومجموع هذه المعانى المتعددة من قلب وروح ونفس وعقل هو « الملك » وهو السر الذى ينزل بأمر الله سبحانه :

تعددت الأسماء واتحد المعنى　　وأصبح فردا مامررت به مثنى
وعادت لعين الجمع وهى كثيرة　　مما كل فرق[٤] يجتلى وجهك الأسنى[٩ا]
تعبدت الأفكار آثارك العلى　　وقيدت الأبصار روضتك الغنا
وقصرت الألفاظ عن نيل غاية　　ببعض الذى أبدته ذاتك من معنى

فإذا أفاد الحياة ، ونفذت فى أقطار المدنية طاعته ، وجرت أفعاله[٥] فيها تامة من غير عائق ، سمى (روحا)[٦] .

وإذا أدت إليه الطلائع والبرد الأخبار (فنقشها)[٧] وتأملها واستحفظ الحفظة والخزان بعضها ، وكاف الآخرين تعاهدها وذكرها ، وحرك الحرسة والجيوش من أجلها ، سمى نفسا .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من «س» .
(٢) ساقطة من « س»
(٣) أى الروح بالمعنى الأول وهو « الجسم اللطيف البخارى المتكون من لطافة الأخلاط كما تتكون الأعضاء عن كثافتها كما سبق فى طبق الروح .
(٤) فى س ، ط « برق » .
(٥) فى س « أفاعله » .
(٦) أى الروح بالمعنى الثانى وهو « لطيفة ربانية عالمة مدركة من الإنسان » . [راجع طبق الروح] والكلمة ساقطة من الأصل
(٧) فى ط وس « بنفسها » .

فإذا انفرد بها مجردة ، وحلل في معانيها وركّب ، واتحد بها في مرآة نصحه ، وميزان عدله[١] سمي عقلا .

وإذا تقرر هذا فما الفائدة في التعداد ، وتسخيم خدود القراطيس بدموع المداد ؟ ولذلك جعلنا[٢] الكل موضوع المحبة على سبيل المسامحة ، وسميناه «نفسا» فالنفس تربة هذه الشجرة[٣] التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ولم نراع[٤] الترتيب في هذه الأطباق ابتغاء الأنسب لغرضنا بحول الله فنقول :

النفس لفظ مشترك يقال على أشياء ، كما تقال العين على الذهب والماء والجارحة ، وهي في اللسان حقيقة الشيء ، وعين ذاته ، تقول جاءني زيد نفسه ، قال :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الجود والإقداما

وفي استعمال أهل التصوف الخلق . الأصل[٥] الجامع للصفات الذميمة من الإنسان ، ولذلك قالوا : مجاهدة النفس . وفي الحديث : «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» .

وفي استعمال القدماء والمتأخرين من الحكماء : جوهر نوراني حي إلهي لا تبيد قواها ولا تنقطع ، وهي كلية وجزئية على خلاف بينهم فيه .

فالكلية نفس العالم بأسره ، وهي التي لا تبيد قواها ولا تتعطل أفعالها ، لصدورها عن الموجود الأعظم ، أول صادر عن إبداع الله ، وهو العقل ،

---

(١) في س ، ظ «عقله» .

(٢) في الأصل ، س ، ط «ماجعلنا» ولا يستقيم بها المعنى على ما قرره المؤلف .

(٣) أي باعتبار بدء غراسها وإلا فلا يعتبر الحب عند الصوفية ما لم يكن بالروح وبما هو أرق من الروح من الملكات كالسر وسر السر .

(٤) في الأصل «ولنراع» والتصحيح من س ، ظ .

(٥) في الأصل : الأصلي . والتصحيح من س ، ظ .

وقبولها منه الفيض المتصل المتاخ من بحر نور الله ، وهى محيطة بالفلك المحيط ، وقوتها سارية فى جميع أجزاء العالم وأشخاصه بالتدبير والصنعة والإحكام ، نافذة فى كل ما تحويه من الأجسام ، ولها قوتان : إحداهما : علاّمة تكمل بها ذاتها ، بما تبرز من حد القوة إلى حد الفعل من العلوم الخفية[1] والآراء الصحيحة ، والصنائع المحكمة[2] ، والأخرى فعالة بها تتم الأجسام ، وتكملها بما ينتقش فيها من الصور والأشكال والهيآت والزينة والجمال ، يسرى ذلك منها فيما دونها من الفلك المحيط إلى مركز كرة الأرض ، كسريان ضوء الشمس فى جميع أجزاء الهواء ، والعقل الفعال يمدها بالقوة[3] والنور دائماً بحسب استمداده من خالقه وخالقها الذى هو سبب وجود كل شيء .

والجزئية : نفس شخص (شخص)[4] من أشخاص العالم كالكواكب والأفلاك ، وهى التى تفيده الحياة ، وتدبره بتدبير[5] النفس الكلية ، إذ هى صادرة عنها صدور[6] الكلية عن العقل ، ولكل جسم حى متحرك نفس ، والمقصود المجتلب هى النفس الناطقة التى تخص الإنسان وهى صورته وحقيقته ، وسر الحياة والحركة والإرادة والفكر والروية ، والمعنى المتصل منه بالعوالم الإلهية [٩ ا ب] .

وحدها الذى اختاره المعلم الأول هو : تمام لجسم طبيعى ذى حياة بالقوة . وفيه نظر . ولم يكشف فيه قناعا ولا أفاد إقناعا ، غير أنها تمام لشيء ،

---

(١) فى ظ « الحفيفة » تحريف

(٢) فى س « الحكمية »

(٣) فى س ، ظ « القوة » تحريف

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) فى س « تدبير »

(٦) فى س ، ظ (صدر) تحريف

ولم يشرح حقيقته ذلك التام (على اختياره) [١] (وتطرقت بهذا الحد[٢] إليها شكوك مع اتفاقهم على اختياره)[٣].

قال بعض غلاة الصوفية وهى كرتبهم المتلقفة، وغانيتهم المثقفة : جوهر النفس مجهول الذات ينقسم إلى ثلاثة أقسام : من عالم الأمر أمر بمعنى الكلمة وهى المفيدة الوجود لكل موجود، وأمر بمعنى المفارق المادة، وهو كل ذات لا تتصل بجسم ، ولا هى جسم ، ولا فى جسم . وأمر هو أجنبى طرفه عند الولى ، ومنتهاه المشيئة الأولى الواجبة ، وغايتها الوتر[٤] .

وقالت طائفة أخرى منهم : جوهر النفس معنى يعلم ولا يفهم ، ويعلم ولا يعلم ، وجهله بذاته وجوده فى عالم الملك ، ومعرفته بذاته وجوده فى عالم الملكوت وخروجه عن جهاته حلوله فى الجبروت ، وزواله عن جميع ذلك ، وموته الذى يعقل منه ما يعقل من العدم المطلق وصوله لغايته . وهذا يشم من قدره رائحة مطبخ الوحدة المطلقة ، وهذا الكتاب ليس بكتاب استقصاء لهذا الغرض ، وهو مما لا نعلم حقيقته إلا بنور من الله، ومن عرف نفسه عرف ربه ،

قال المؤلف رحمه الله ورضى عنه[٥] : وتعذر إدراك حقيقة هذا الجوهر الذى احتجب بحجاب سفوره ، وخفى لشدة ظهوره ، كونه أثر النور الذى مثل نوره ، ومولى القوم منهم[٦] .

ملك إذا عاينت نور جبينه فارقته والنور فوق جبينى
وإذا لثمت يمينه وخرجت من أبوابه لثم الملوك يمينى

---

(١) ساقطة من الأصل ، ظ

(٢) فى ظ (الحديث)

(٣) ما بين الحاصرتين ساقطة من « س »

(٤) فى س ، ط « الوتد » وهو خطأ

(٥) فى س ، ظ (رضى الله عنه)

(٦) المولى من أسماء الأضداد يطلق على العبد والسيد . وهناك « مولى الموالاة » ، وهو أن شخصا مجهول النسب آخى معروف النسب ووالى معه فقال : إن جنت يدى جناية فيجب ديتها على عاقلتك ، وإن حصل لى مال فهو لك بعد موتى ، فقبل المولى هذا القول . ويسمى هذا القول موالاة ، والشخص المعروف مولى الموالاة .

الرتبة الثانية من الجملة الأولى

رتبة العروق (الباطنة)[1] والشعب الكامنة

وفيها فصول، قال المؤلف رحمه الله ورضى عنه :[2] ولهذه (الأرض) [3] النفسانية التى تغرس فيها شجرة المحبة عروق معدنية، ومقررات عينية، ومدبرات بدنية، وبحوث برهانية، حتى لا تعثر فيها آلة الإثارة، ولا يتوقف ماعون العمارة، فعروقها المعدنية قواها، وبحوثها البرهانية ماسواها .

الفصل الأول فى العروق المعدنية

وتشتمل على عدة قوى منها الحواس الخمس، وهى : السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وقوة الخيال، وقوة الفكر، وقوة الحفظ، وقوة الصنع، وقوة الوهم، وقوة النزوع .

أما حاسة اللمس : فقوة تدرك من الملموسات سطوحها من خشانة وملاسة، وكيفيتها من حر أو برد ومثل ذلك، والملموسات كثيرة وأجناسها محصورة، وبحاسة اللمس وحصولها يكون الحيوان حيواناً، وهى له بالإضافة إلى القوى الأخرى قوة مقومة لوجوده، إن فقدت ارتفع عنه معنى الحيوانية، إذ بها يصير حساساً وهو فصله من الجماد، ومحل هذه القوة الجلد، وأعدله جلد الراحة .

وأما حاسة الذوق: فهى تدرك المطعومات، وموضوع الطعم الرطوبة، ولذلك متى فقدت الرطوبة إذا يبست المطعومات فقدت، ومحلها اللسان، وأجناس مدركات هذه الحاسة من الطعوم على الأكثر الحلاوة، والمرارة،

---

(١) ساقطة من « ظ » .

(٢) فى س « رضى الله عنه » وغير واضحة فى « ظ » .

(٣) ساقطة من : ظ .

والملوحة ، والدسومة والحموضة ، والحرافة ، والعفوصة ، والعذوبة ، والقبوضة ، وهي موجودة في أكثر الحيوان أو كله ، وضرورية في معناه

وأما حاسة الشم [١٠ ا] ففي أكثر الحيوان ذي الاستنشاق والرئة ، ومحلها الخياشيم والأنف، فإن وافق المحسوس(١) مزاج الحاس(٢) قيل للرائحة طيبة(٣) ، أو بالعكس قيل خبيثة ، وهذه الحاسة في بعض الحيوان . هي لمعاشه (كالنملة فإن طريق غذائها من حاسة الشم) (٤) وهي في غير الناطق أقوى ، وهي تقوم له مقام التمييز (فينا) (٥) .

وكتب الحكيم إلى الإسكندر : عليك يا اسكندر باللباس(٦) الحسن والأكل(٧) المتوسط ، والمشموم الطيب ، فاللباس (الحسن)(٨) يحفظ بدنك ويزينك ، ويقيم جاهك ، والأكل المعتدل يدبر بدنك ، وهو الطبيب لك ، والرائحة الطيبة تقوى نفسك ، وتشوقك لعالمك ، كما يفعل المسموع الحسن .

وأما حاسة البصر : فالبصر الكمال الأول للعين الباصرة ، وكمالها الأخير الإبصار . ومحلها الرطوبة الجليديه ، (٩) ويدرك من الموجودات الألوان وسطوح الأجسام (بذواتها)(١٠) وشكل كل جسم على صورته ، والأبعاد والنور والظلمة ، وحركات الجسم وسكونه ، وهيآتها ووضعها ، والمدرك الحقيقي الذي يظهر بذاته ، وتظهر به الأشياء هو النور لا غير ، ولا ندرك هذه

---

(١) في : س ، ظ (المحمول) .
(٢) في : س (الحامل) .
(٣) في : ظ (قيل الرائحة طيبة) .
(٤) مابين الحاصرتين ساقط من س ، ظ ولم نقف على صحة هذه الدعوى .
(٥) ساقطة من : س ، ظ
(٦) في س ، ظ (بالملبس) .
(٧) ساقطة من الأصل .
(٨) ساقطة من : س ، ظ .
(٩) في ظ (الجلدية) .
(١٠) ساقطة من : س ، ظ .

الحاسة إلا بواسطة الهواء ، والمبصر : المدرك من خارج بانطباع الشكل فى العين .

(وأما)[١] حاسة السمع ، ففعلها إدراك التغيير الحادث فى الهواء عن تصادم جسمين وتموجهما ، ومحلها الصماخ من الأذن ، ومدركات هذه الحاسة (أصوات ذوات أرواح ، وتصادم جمادات ، وهذه الحاسة)[٢] وحاسة البصر تفارق مدركها ، وسائرها تدركه بمماسه[٣] ، وهى المفيدة للحيوان العاقل تعلم العلوم .

تنبيه :

وما من حاسة من هذه الحواس إلا ولها من نفسها على مبدعها الحق الواجب الوجود دلالة ، سيما السمع والبصر ، إذ لا تتزاحم فيها المدركات - وإن ملأت الآفاق - فى خروت[٤] ضيقه ، ومنافذ حرجة ، وإدراك ماقرب منها ونآى فى غير زمان[٥] « وهو الذى خلق لكم السمع والأبصار ، والأفئدة قليلا ماتشكرون » .

أراك الحمى قل بل بأى وسيلة توسلت حتى قبلتك ثغورها

(توسلت بالقوم الذين صدورهم إذا إستودعوا الأسرار فهى قبورها)[٦]

والقوى الباطنة : أولها الحس المشترك المسمى « فنطاسياً » وهى قوه مرتبة فى التجويف الأول من الدماغ ، تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة فى الحواس الخمس متأدية إليها .

---

(١) ساقطة من : ظ

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : س

(٣) بل السمع والبصر كذلك يدركان مدركاتهما بمماسة الموجات الصوتية لصماخ الأذن والخيوط الضوئية لشبكة العين ولعله يقصد المفارقه . بمعنى الملاصقة لمصدر الاحساس .

(٤) الخروت : الثقوب

(٥) بل أثبت العلم الحديث زمانا وسرعة لسير الضوء والصوت

(٦) البيت ساقط من « س ، ظ »

والقوة الخيالية والمصورة : وهى قوة مرتبة أيضاً فى آخر التجويف المقدم ، لحفظ ماقبله الحس المشترك من الحواس الجزئية ، وتبقى فيه بعد غيبة المحسوسات ، فكأن الخيال باطن الحس المشترك ، وهى لكثير من الحيوان غير الناطق، وللناطق(١) متممة ، وشأنها أن تدفع الموجود الذى أدته إليها الحواس فى العصبات المتصلة (٢) من مقدم الدماغ بأصول الحواس إلى القوة المفكرة .

والقوة المفكرة : قوة من قوى النفس الناطقة ، تجول فى الأشياء ، وتمحض الوجود من حيز الإجمال، وتحققه فى النفس، ومنها يقع الانفعال فى القوة النزوعية . والقوة المفكرة هى العلة الفاعلة لصورة المعلوم فى نفس العالم ، والخيالية المادة ، وهى الباحثة المقومة المتممة ، والمقومة للشىء هى أسبابه .

والقوة الذاكرة : تذكر الأشياء الكامنة فى النفس بالبحث والطلب، والتذكر طلب القوة المفكرة اجتلاب الأشياء المغيبة بانبعاث فى القوة المفكرة ، والقوة الذاكرة خادمة للقوة المفكرة، ومتأخرة عنها [١٠ ب] وجودا ، ومحلها فى مقدم الدماغ .

والقوة الحافظة هى : ثبوت الصورة فى النفس على ما هى عليه فى الخارج من الذهن وداخله ، ومحلها فى المؤخر من الدماغ . وكأنها والذاكرة من المتلائمات .

والقوة الصانعة : أثر النفس المتأخرة عن غيرها من القوى ، كما تريد النفس الناطقة أن تعلم بالعلوم التى تحصلت لها نفسا أخرى ، فتؤلف الألفاظ

---

(١) فى : س ، ظ (الناطق)

(٢) فى س ، ط (المستقلة) تحريف

من الحروف التى تتوصل بها إلى الأشياء بوساطة(١) الصوت ، ثم ترى أن حقائقها لا تثبت ، فتجعل(٢) تلك الألفاظ فى موضوع يقيدها ، وهى صناعة الكتابة ، فقيل لها صانعة ، لأنها صنعت لها من الحروف(٣) أشكالا تبقى ، وكذلك الحكم فى كل صناعة تحتاج أن يعلم بها الغير .

والقوة الوهمية : قوة مرتبة فى نهاية التجويف الأوسط من الدماغ ، تدرك المعانى غير المحسوسة ، الموجودة فى المحسوسات الجزئية ، كالقوة الموجودة فى النشأة الحاكمة بأن الذئب مهروب منه ، والخروف معطوف عليه ، وجعلها هؤلاء الإلهيون فى الترتيب تالية لقوة الخيال .

والقوة النزوعية الشوقية : هى القوة التى إذا ارتسم فى التخييل صورة مطلوب أو مهروب عنه حملت القوة المتحركة على التحريك بتشنيج العضلات ، وإرسال الأعضاء ، فرارا أو التماسا ، ولها شعبتان : شعبة تسمى « قوة شهوانية » ، وشعبة تسمى « قوة غضبية » (فالقوة الشهوانية تبعث على تحريك يقرب من الأشياء المتخيلة ضارة كانت أو نافعة طلبا للذة)(٤) .

والقوة الغضبية(٥) تبعث على تحريك يدفع به الشىء المتخيل ضارا كان أو نافعا(٦) ، طلبا للغلبة ، وهذه القوى الباطنة قد أتينا بأكثرها وإن كان ما يحتمل أكثر .

تنبيه :

والفرق بين الحواس وبين هذه القوى : أن الحواس لا تدرك

---

(١) فى الاصل ، ظ (بواسطة) والترجيح من س .
(٢) فى . س (فتحصل) تحريف .
(٣) فى . س (صنعت من الحروف لها) .
(٤) ما بين الحاصرين ساقط من « س » .
(٥) فى . س (الشهوانية) خطأ .
(٦) فى . س . (أو مفسدا) وهو خطأ .

المحسوسات إلا فى الهيولى(١) ، وإدراك هذه القوى رسوم المعلومات يكون إدراكا روحانيا من غير هيولى .

ومنزلة الجميع من القوة المفكرة بمنزلة الملك من خدامه . فالحواس أرباب الأخبار ، وخدام البريد فى نواحى المملكة ، ودون ماوردوا به من الكتب إلى صاحب الخريطة ، ومستقر الرقاع وهو الخيال ، ثم يطالع بها القوة المفكرة ، (وهى الملك)(٢) ، فيدفعها إلى القوة الحافظة ، وهى الخازن ، (ويطلبها إذا احتاج إليها)(٣) فيجلبها إليه من الخزانة خادم الذكر ، وهى القوة الذاكرة ، ويحكم سائر القوى ، فسبحان الحكيم العليم .

---

(١) الهيولى لفظ يونانى معناه : الاصل والمادة ، وفى الاصطلاح : هى جوهر فى الجسم ، قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال ، محل للصورتين الجسمية والنوعية .

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من . س

(٣) فى س ، ط (فتطلبها إذا تحتاج إليها) .

الفصل الثانى

فى التقريرات العينية

وللنفس رتب متعددة ، منها ما فتح لها الباب فى اكتسابه ، ومنها ما وقع المنع من طور جنابه .

فالنفس قبل أن تكتسب العلوم الضرورية ، والقضايا الوجدانية ، تسمى نفسا بسيطة ساذجة .

وعقلا غريزيا إذا حصل لها كمال التبيين ، وتمام الحواس ، واستقامت فكرتها ورويتها ، وحققت المعانى الكليه ، وعقلا بالملكة إذا حصل لها التصرف فى الموجودات على اختلافها (علما)(١) ، وربطت الأسباب بمسبباتها ، وفصلت القبيح من ضده ، ونظمت القياس البرهانى ، (واقتنصت النتائج من الحدود الوسطى ، وخلصت من البرهان)(٢) من الشكوك(٣)

وعقلا مكتسبا إذا تعشقت بالحكمة [١١ ا] وكلفت بالكمال ، وقهرت الطباع . وحصلت على استيفاء معنى الإنسانية .

وعقلا بالفعل إذا حصلت لها المعلومات الإلهية الكلية ، وتوحدت بها ، ولم يتميز علمها من معلومها(٤) ، وتصورت الأمور الروحانية ، والجواهر المفارقة ، وأحاطت بذلك كله .

تنويع الانسان :

نبات بكونه ينمو ويتغذى وتتباعد أقطاره ويتحرك .

وحيوان بهيمى من حيث يحس ويشتهى ويتخيل .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من . س ، ط

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من س

(٣) فى الاصل (على الشكوك) وكذا فى . س ، ط

(٤) أى صار علمها بالله ومن الله « واتقوا الله ويعلمكم الله » والصوفية لايسمونها فى هذه الحالة عقلا بل روحا منقادة لبارئها لاحول لها ولا قوة إلا به تعالى .

ونفس ناطقة من حيث يعلم الأمور المرتبة على أسبابها ، ومتفقها ومختلفها ، ويسأل فيجيب على حد السؤال ، ويستعمل الفكر والروية .

ونفس صالحة من حيث يشتاق إلى الكمال ويقلق من النقص ، ويحرص على الخير ، ويهتم بالنجاة ، ولا ينهض(١) لغير ذلك .

ونفس حكمية من حيث نظره فى أجناس العلوم ، ومعرفته بالمذاهب ، ويسبح فى بحر التوحيد ، مهتدياً بنجوم الاستدلال ، ويحقق مفهوم الصفات ، وسر الوحدانية ، ويستكشف معنى السعادة ، ويحقق (معنى)(٢) الاصطلاح(٣) من حيث يتكلم فى الهوية(٤) والوحدة ، الإلهية(٥) المطلقة ، والجواهر الروحانية الملكية الصادرة عن الذات ، ومادونها من مدبرات الطبيعة ، ويباحث المحققين فى الكلمة الصادرة ، وكيف نشأت منها جميع الجواهر ، [وفى] سريانها فى العوالم الروحانية والكونية(٦) ، (الصادرة عن الذات وما دونها من مدبرات الطبيعة ، ويباحث المحققين فى الكلمة والكونية)(٧) ، وأمثال هذا مما تقف عليه بعد فى آراء فرق المحبين .

ونفس نبوية . من حيث يأتى بالمثل على السعادة ، ويقيم البراهين السهلة والمفهومة ، ويخاطب بالخطابة الملائمة ، ويتحدى بالمعجزة ، ويكشف القناع ، ويقطع المعارض ، ويرد عليه الوارد من الغيب ، ويتلقى وحى الله من الملك ، ويرجع من بعد الوصول إلى الهداية(٨) ، ويسوق الكافة بعصى النصيحة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن إلى الله ،

---

(١) فى . س ، ظ (ولا ينقص) تحريف
(٢) ساقطة من . ظ
(٣) فى الأصل ، ظ (ومحقق إصطلاح) والتصحيح من « س »
(٤) الهوية : الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة فى الغيب المطلق
(٥) فى الأصل (الالهية)
(٦) فى . ظ (الروحانية الملكية)
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الاصل ومن « س »
(٨) أى يرجع إلى الخلق بعد فنائه فى الحق .

وشروط كثيرة معروفة ، وما وراء هذه المرتبة مرمى ، ومرقاها النفس الكلية عندهم فى الخاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه ، وما دونها من النفوس الجزئية الفلكية لغيره من الأنبياء ، وهو العلة المتممة فى الجميع .

وجميع هذه المراتب مما يكتسب إلا رتبة النفس النبوية ، فإنها محجورة ممنوعة ، لا طمع فيها بسلوك ولا رياضة ولا غير ذلك(٥) ، وهو مما عدمه الإنسان ، وهو فى طبع نوعه ، فإن النفس النبوية كأنها كلى من الكليات ومبدأ من المبادىء .

وتبين أن محركات الإنسان جملة ، منها النفس النباتيه ، والنفس الحيوانية ، والنفس الناطقة ، والنفس الشوقية ، والنفس الحكمية العارفة ، والنفس النبوية ، وأن النفس النبوية منها هى الروح القائم به حقائق الأرواح ، وهى عندهم مستوى الأسماء المخزونة القدسية ، والألواح التى فى ضمنها علم الأولين والآخرين ، وبرياضتها تتجرد سائر النفوس من المواد ، وبفتحها تتصل بالعوالم المجردة ، وسعادتها بقدر قربها من الله ، ولذتها بقدر حبها له ومن استولى على النفس النبوية من المخصوصين باصطفاء الله تناول ماشاء من حيث شاء ، وقام من مجلسه من حيث شاء ، وأطاعه بالله معقول التصريف .

تنبيه :

والفرق بين [١١ ب] النفس النبوية والحق افتقارها (١) فى إيجادها (إليه) وعدم اتصافها (بالاتصال) (٢) والانفصال (٣) وأن كلام الحق(٤) لا يدخل تحت الزمان ، ومثل ذلك (مما)(٥) جلبناه ردعا للغلاة ، والكلام فى هذا الباب يدعو إلى الإطالة والغرض هنا غيره .

---

(١) فى الأصل (افتقارها) أى افتقار النفس النبوية للحق

(٢) ساقط من ظ . أى عدم اتصاف النفس النبوية بالاتصال بالله اتصال حلول أو اتحاد .

(٣) فى «س» (بالانفصال والاتصال)

(٤) فى ظ (كلا منها) ، وفى الاصل (وان كلامها) واستقامة المعنى تقتضى ما أثبتناه

(٥) ساقطة من الاصل

الفصل الثالث

فى البحوث البرهانية

وأما بحوثها البرهانية فنلمع منها ببعض للضرورة ، حتى يكون الكتاب مناهبة فى عيون ، ومتمتعا فى شئون .

البحث الأول :

فى أن النفس جوهر غير جسم ، تقريره : كل جسم فهو ذو جهات ، وليس يمكن الجسم أن يتحرك إلى جهاته الست (١) دفعة واحدة ، وكل جسم يتحرك إلى جهة دون جهة فلسبب ، فظهر أن السبب جوهر آخر غير الجسم ليس بجسم ولا فى جسم ، وقولنا : جوهر آخر. لأن العرض لافعل له ، والجسم قد تبين أنه لايفعل ولا يتحرك إلا بغيره .

البحث الثانى :

فى أن النفس باقية بعد الموت ، لاتفسد بفساد الجسد .

تقريره : إذا فارقت النفس الجسد ، فهى فى التقدير ، إما حية وإما أن تدثر (٢) .

فإن كانت باقية بعد فراقها الجسد ، فلا محالة أنها باقية لاتموت .

وإن كانت دائرة فلا فرق بينها وبين الجسد ، ولابد حينئذ من ثالث (كان) (٣) يربط بينها وبين الجسد فى حال الحياة ، فإن الذى هو حى بالقوة

---

(١) فى س ظ (الاربع) .
(٢) أى تندثر س ونبيد .
(٣) ساقطة من س ، ظ .

أخرج حياته من القوة إلى الفعل ، ما كان وجوده إما بالقوة وإما بالفعل ، فإن كان المخرج موجودا بالقوة لم يقدر على إخراجها ، إذ هو والجسد سواء فى ذلك ، فلم يبق من القسمة العقلية إلا أنه بالفعل وهى النفس . فالنفس حية بالفعل ، والجسد حياته بالقوة ، والحياة للنفس بالذات ، والحياة للجسم بالعرض .

آخر من البرهان :

على أنها لا تفسد بفساد الجسد أن لها أفعالا خارجة عن ذات الجسم فى المواضع النائية عن الجسم ، من سياسة وإدراك أشياء نائية عن الجسم ، فلا محالة أن جوهرها باق بعد فساد الجسم ، وإلا كان فعلها أشرف من جوهرها ، وهذا قبيح .

البحث الثالث :

فى أنها ليست صورة ملازمة للجسم . إن كانت النفس صورة لازمة للجسم غير مفارقة كالصورة الطبيعية ، فكيف تجول عند النوم ، وتفارق البدن بلا مباينة ، وتعقل الأشياء التى تحصل لها منها تقدمة المعرفة ، فتبشر[(١)] (البدن)[(٢)] وتنذر ، وكذلك فعلها فى اليقظة إذا رجعت إلى ذاتها ، ورفضت عنها الأمور الجسدانية ، ولو كانت تماما للبدن لما فارقته ، ولما علمت[(٣)] الشىء البعيد ، ولكانت لا تعلم إلا الشىء (الحاضر)[(٤)] كالحواس ، ولو كانت صورة تمامية للبدن لم تخالفه فى حياته .

البحث الرابع :

فى الرد على من قال هى صورة المزاج ، حدثت عند وجوده ، وتفنى

---

(١) فى : (فتنشر)

(٢) ساقطة من س ، ظ .

(٣) فى س (ولا علمت) .

(٤) ساقطة من الأصل.

بانحلال بسائطه . وتقريره : أن النفس موجودة قبل الائتلاف ، وهى التى أبدعت الائتلاف فى البدن ، وهى القيمة عليه ، وهى التى تقمعه وتمنعه عن كثير الأفاعيل الخسيسة .

وأما الائتلاف فلا يفعل شيئا ، فالنفوس جوهر ، والائتلاف ليس بجوهر ، والائتلاف إنما يحدث من امتزاج الأجرام ، وإذا كان حسنا متقنا فإنما تعرض منه الصحة فقط ، من غير أن يعرض منه حس أو وهم أو علم ألبتة .

آخر :

الجسم قد علم منه أنه يتحرك إلى الوسط ، أو على الوسط [١٢ - ا] أو من الوسط . فالنار[1] والفلك والإنسان مجموع من جسوم تتحرك من الوسط ، وإلى الوسط ، فلو كانت النفس من امتزاج الطبائع لوجب أن يكون نازلا طالعا فى زمان واحد ، ونحن نجده يتحرك الحركات الإرادية الاختيارية ، ويقهر الجسم عن طبعه ، فصح أن الذى يقهره ويرد عن طبعه شىء ليس بجسم ولا عرض .

آخر :

لو كانت مركبة ، أو حدثت عن مركب ، لكان الجزء منها يعقل ، وإن جعلنا أجزاءها متساوية لزمنا ما تقدم من عدم الحياة فى الجسم ، وإن جعلناها روحانية وقلنا فيها مركبة ، لزمنا التناقض ، لأن الروحانى مفارق للمادة ، فالنفس ليست بمركبة ، ولا بمزاج ، ولا ماحدث عن مزاج .

البحث الخامس :

فى تعقب حدها المشهور . إن قيل : اتفق الأفاضل على أن النفس كمال

---

(١) فى ظ (كالنار) .

البدن الطبيعى ، والكمال ليس بجوهر ، فالنفس ليست بجوهر ؛ لأن تمام الشىء ليس من جوهر الشىء . قلنا : الكمال نوعان : تمام مفارق ، وتمام غير مفارق . التمام المفارق كالملاح للسفينة ، والراكب للفرس ، وهو (الذى)(١) يفسد إذا فارق الموضوع ، والتمام غير المفارق كحرارة النار ، وبرد الثلج . فالنفس للجسم الطبيعى تمام مفارق ، فلا يدخلها الفساد بدخوله على الجسم .

البحث السادس :

فى سبب نزول النفس إلى هذا العالم ، وإن كان غير برهانى ، اختلف القدماء فيه على وجوه :

فقيل : إن علة هبوطها إلى هذا العالم سقوط رئاستها ، يعنى نقصها نقصاً لا يكمل إلا بإهباطها . فإذا ارتأست ارتقت إلى عالمها الأول الحق .

وقال بعض القدماء : إن منها ما أهبط لخطيئة أخطأتها ، فهى تجازى فى هذا العالم وتعاقب على خطيئتها وسيئتها ، وهو باطن حديث آدم .

وقال الحكيم فى كتاب « ثولوجيا » فى هذا المعنى : وليس كل نفس وردت إلى عالم الكون تكون محبوسة فيه ، كما أنه (٢) ليس كل من دخل السجن يكون محبوسا فيه ، فإنه ربما دخله من أخرج إخراج المسجونين ؛ وإنما وردت النفوس النبوية إلى عالم الكون والفساد لاستنقاذ النفوس المحبوسة فى سجن الطبيعة ، الغريقة فى سجن الهيولى ، الأسيرة فى الشهوات الجسمانية .

وقيل : إن النفس إنما صارت فى هذا العالم من قبل البارى ، ليكون العالم حيا دائما ذا عقل ، كما جعل العالم الأعلى ذا عقل ، لأنه وجب فى

---

(١) ساقطه من « س و ظ » .
(٢) فى س « أن » .

إحكامه وإتقانه أن يكون ذا عقل ، ولم يكن ذلك من دون نفس ، فأرسلها إليه ، وأسكنها فيه ، ثم أرسل النفوس وربطها بالجسم [إذ] يقبل منها كل بحسبه ، ففي النبات قليل ، وفي الحيوان أكثر ، وفي الإنسان أكثرها ، ليكون العالم تاما كاملا ، ولئلا تكون غير شبيهة بالعالم العقلي الأول ، إذ هي ظله .

وإلى أنها أهبطت لتعلم ما لم تكن تعلمه ، (بسيطة) [١] عند هبوطها ، أشار الرئيس الحكيم أبو علي بن سينا في أبياته (الشهيرة) [٢] التي أولها وفيها(٣) :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
إن كان أهبطها الإله لحكمة خفيت على الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها لا شك ضربة لازب لتكون سامعة لما[٤] لم تسمع

ويرحم الله الشاعر حيث يقول : [١٢ ب]

هواي مع الركب اليمانين مصعده جنيب وجثماني بمكة موثق
عجبت لمسراها وأنى تخلصت إلي وباب السجن دوني مغلق
ألمت فحيت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت الروح تزهق

---

(١) ساقطة من الأصل .
(٢) ساقطة من « س ، ط » .
(٣) ساقطة من « س » وفي ط « يقول فيها » .
(٤) في س « ما » وهو خطأ .

الفصل الرابع

فى المدبرات البدنية

وأما مدبراتها البدنية ، وهى الكلام على الجسد بالانجرار والاستتباع ، فنقول : لما كان الجسد من هذه النفس مركز دورها ، ومن هذه الأرض بمنزلة ثورها[1] ، ومن العوالم منتهى طورها ، وقرارة غورها ، ثم منبت نورها ، رأينا الإلمام نحوه (٢) بالإشارة ، والتعريج (٣) على طلله البائد بعابر العبارة ، حتى يلتقى طرفا الدائرة بعد الافتراق ، وتصير من الديل(٤) إلى أقصى العراق ، والخليع إذا استنفد السكر ، شرب العسكر ، قال المؤلف (رحمه الله)(٥) ورضى عنه(٦) :

أحب لحبها جملى ورحلى ... وعزى والقتادة (٧) والطريقا
ومن أخشاه من سبع ولص ... فكيف فريقها سلموا فريقا
وكيف أخص باسم الحب إن لم ... أحب لأجلها إلا صديقا

فاعلم أنه لما كان اسم الإنسان يقع على المجموع من نفس وروح وجسد ، وهو جملتها ، كان للنفس بمنزلة البيت ، وإن كانت لا تحل فى شىء ،

---

(١) لعله يقصد أن الجسد آلة إصلاح النفس ، أو أن الجسد كالثور الذى يحمل الأرض ، إذ كانت فكرة سائدة عند كثير من العلماء فى العصور الغابرة ، ولكننا نجل رجاحة عقل ابن الخطيب عن ذلك .

(٢) فى : س (بجده) تحريف .

(٣) فى الأصل (التصريج) .

(٤) فى : س ، ظ (الذيل) .

(٥) ساقطة من : س ، ظ .

(٦) فى : س ، ظ (رضى الله عنه)

(٧) القتاد : الشوك .

وهو مع ذلك لا يتصف بالشرف ولا بالخسة ، ولا بالسعادة ولا بغيرها ، والكلام فيه من وظائف (صنائع(١)) أخر ، لأن النظر فى عجائبه ومقاصده المعلومات بغاياتها(٢) أشد فاتح لباب الأغيار(٣) .

قال المؤلف رحمه الله (٤) : ويجرى فى هذه الأوضاع أن الإنسان نسخة من العالم ، وأنه عالم صغير ، حتى يقول الشاعر :

إذا كنت كرسيا وعرشا وجنة ... ونارا وأفلاكا تدور وأحلاكا
وكنت من الكلى نسخة كله ... وأدركت هذا بالحقيقة إدراكا
ففيم التأنى فى الخصيص مثبطا ... مقيما مع الأسرى أما آن مسراكا

وقلت من قصيدة :

أنا نسخة الأكوان أدمج خطها ... فسر ذوى التحقيق فى طى أوراقى
فمن عالم الأشباح ليلى وظلمتى ... ومن عالم الأرواح نورى وإشراقى

ونحن نبين شيئا من ذلك ونجعله من الاعتبار الخاصى فنقول : العالم الكونى كله من البداية البشرية إلى النهاية الترابية مجموع أمرين : من ظاهر وباطن .

أما الباطن فيعبر عنه بالأمر ، وأما الظاهر فيعبر عنه بالخلق ، قال الله سبحانه وتعالى : « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين »

فعالم الأمر مجموع خمسة عوالم : عالم السر ، وعالم العقل ، عالم الروح ، وعالم الصورة . وانتهى الأمر إلى باطن العرش المجيد .

وعالم الخلق أيضا مجموع خمسة عوالم : عالم الطبيعة ، وعالم الأفلاك ،

---

(١) ساقطة من : ط .
(٢) فى : س (بغايتها) .
(٣) فى الأصل(الاعتبار) ، لأن الباحث عن شرف الإنسان قد يمنع عن السلوك وليس ذلك ما يرجوه الصوفية .
(٤) فى : ط (رضى الله عنه) وسقطت من : س .

وعالم الكرسى ، وعالم اللوح ، وعالم القلم(١) وانتهى الخلق إلى ظاهر العرش المجيد .

فأما عوالم الأمر فهى روحانيات ، وأما عوالم الخلق فهى جسمانيات .

والعرش روحانى من حيث باطنه المتصل بالروحانيات ، وجسمانى من حيث [١٣ ا] ظاهره المتصل بالجسمانيات ، وتفاصيل كل عالم منها لا يعلمها إلا الله .

وإن الله عز وجل خاطب هذه العوالم بخطاب يليق بكل جزء من أجزائها ، بصلاح حالها ، ودوام بقائها ، فخاطب عالم السر بخاصية العلم « إنه يعلم السر وأخفى » . وخاطب العقل بالأمر والنهى « أقبل وأدبر » ، وخاطب عالم الروح « قل الروح من أمر ربى » ، وخاطب النفس بالوعد والوعيد « يا أيها النفس المطمئنة » و« إن النفس لأمارة بالسوء » وخاطب الصورة بما تسعه الإحاطة « وسعنى(٢) قلب عبدى المؤمن » وخاطب العرش بالتوحيد . « إذا قال العبد لا إله إلا الله اهتز له العرش » . وخاطب القلم بحقيقة العلم « اكتب علمى فى خلقى » وخاطب اللوح بالحفظ « فى لوح محفوظ » وخاطب عالم الكرسى « وسع كرسيه السموات والأرض » ، وخاطب الأفلاك بالتصريف « كل فى فلك يسبحون » وخاطب الطبيعة بالكون والفساد « كل من عليها فان » .

فما من عالم علوى أو سفلى إلا والله عز وجل يخاطبه بخطاب على الجملة ، وخطاب على التفصيل ، والإنسان يخاطب بهذه المخاطبات كلها ، فإذا كان العالم جملة من تفاصيل(٣) الإنسان فهو العلة ، وماسواه معلول له ، والنور الآدمى حقيقة الإنسان ، والنور المحمدى علة هذه الحقيقة ، وبه وصارت حقيقة ،

---

(١) فى الأصل (الحلو) والتصحيح من : س ، ظ .
(٢) فى الأصل (ويسعى) وكذا فى « س و ظ » .
(٣) فى س ، ظ (تفاصيله) والأصل أرجح لأن الإنسان هو العالم الصغير وقد انطوى فيه العالم الأكبر فهو المجمل والعوالم تفاصيل له .

وهذا النور هو حقيقة الرسالة ، وسر القرآن ، والرحمة المنزلة ، وهى العناية فى الدنيا ، وسر الإيجاد ، ومقتضى الإرادة العلية ، ومعنى الكون، وعميز الشهادة من الغيب « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » .

ونزيد المطلب إيضاحا وتفسيرا فنقول : الكون المعتنى به عالمان : كبير ، وصغير جزئى ، والجزئى فى قوة الكلى .

أما العالم الكلى فهو ذات يطلق عليها الوجود . ومجموعها أرواح مجردة وأنوار مجسمة ، وأجسام منورة ، وأجسام مظلمة . أما الأرواح المجردة فأربعة : عالم العقل الفعال ، وعالم الروح الكلى ، وعالم النفس المطلقة ، وعالم الصورة الفياضة . وأما الأنوار المجسمة فأربعة : العرش المجيد ، والكرسى الوسيع ، والقلم الرفيع ، واللوح المحفوظ . والأجسام المنورة والأفلاك السبعة ، والفلك المكوكب الثامن ، وهى عالم الجنان (١) عندهم ، وأما الأجسام المظلمة فعالم الطبيعة ، والنار ، والهواء ، والماء ، والتراب ؛ فهذه العوالم عشرون .

ونرجع إلى العالم الجزئى فنقول : هو ذات يطلق عليها الإنسان

---

(١) فى : س ، ط (الجنات)

(١) فصل هذا الموضوع «سيدى محمد وفا» فى كتاب « نفائس العرفان من أنفاس الرحمن» مخطوط تحت رقم «٢٢٣» تصوف . كذلك أنظر علم القلوب للمكى طبع القاهرة ، باب التوحيد والتفريد . « والتنزلات الإلهية على ثلاث أقسام : بالذات ، والصفات ، والأفعال ، فلما أظهر الرحمن مراتب الأكوان وأحكمها فى أحسن تقويم ، وأعدل ميزان ، استخلص منها خلاصة كل مرتبة ، وسريرة كل موجود ، فجمعها فى آدم ، فتفرعت الأكوان من الأسرار الإلهية ، والتجليات الربانية ، والحضرات الرحمانية ، وصارت الى الحضرات الإنسانية ، واستقرت فى البنية الإنسانية ، وكذلك سجد لها الساجدون ، وسجد لها ما فى الأفلاك من الخلق أجمعين ، ثم تنزلت فى النبويات . . . وحتى التتمة الختامية ، ظهر الجامع الأعظم ، والوجه الكريم الأكرم ، واجتمعت إليه الأرواح النبوية بما فيها من الأسرار الإلهية ، والحضرات الرحمانية ، والمظاهر الربانية فتفرعت الملل والنحل ، « ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » .

مجموعها عقل وروح ونفس وفكر وتصور وذكر وضغط وحس ودماغ وطحال ومرارة ومعى ورئة وكليتان وكبد وصفراء ودم وسوداء وبلغم . عشرون عالما وفقا للعوالم المتقدمة. يجمعها الجسم والروح ، وتطبيق ذلك هو المقصود.

أما العقل فجزء من العقل الفعال. وهذا الجزء هو المقصود من الخطاب الأول بأقبل وأدبر .

وأما الروح فجزء من الروح الكلى ، وهذا الجزء هو محل الفهم عن الله بالمحل الأمرى الإلهى ، الاختصاصى « قل الروح من أمر ربى » .

وأما النفس فجزء من النفس المطلقة ، وهذا الجزء هو المخاطب ، بيأيتها النفس .

وأما القلب فهو فيض من الصورة الفياضة ، وهذا الفيض هو القابل لفيض [١٢ ب] العقل والروح والنفس .

وأما محل الفكر وهى الخزانة فى مقدم الدماغ ، وسلطانه فى الطبقة القلبية ، وهى البضعة المعبر عنها بإذا صلحت صلح الجسد ، وفيها السر القلبى ، فذلك المحل يشبه العرش المجيد .

وأما محل التصور(١) وهى الخزانة الوسطى من الدماغ وسلطانه فى الطبقة الفؤادية الوسطى من البضعة التى فيها السر الفؤادى ، (وذلك المحل يشبه الكرسى الواسع .

وأما محل الذكر فهو الخزانة المؤخرة من الدماغ ، وسلطانه فى الطبقة السويدائية من البضعة المذكورة . وهى السفلى التى فيها السويدائية)(٢) وذلك المحل هو شبه القلم .

وأما محل الحفظ ، وهو برزخ بين خزانتى الفكر والتصوير من الدماغ وسلطانه فى البرزخ الذى بين الطبقة القلبية والفؤادية ، وذلك المحل يشبه اللوح(٣) المحفوظ .

---

(١) فى : ط (التصوير)

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من « ظ » ولايخفى ما أخطأ فيه من تشبيه محل التصور بالقلم

(٣) فى ط (الروح)

وأما محل الحس ، وهو فى الجوارح الخمس ، وهو توليد[1] ماتقدم من الخزائن والطبقات ، فيشبه الفلك الثامن المكوكب ، والطحال يشبه فلك زحل ، والدماغ يشبه فلك المشترى ، والكبد يشبه فلك المريخ ، والقلب يشبه فلك الشمس، والكلية تشبه فلك الزهرة ، والمرارة تشبه فلك عطارد، والرئة تشبه فلك القمر ، والصفراء تشبه كرة النار ، والدم يشبه كرة الهواء ، والبلغم يشبه كرة الماء ، والسوداء تشبه كرة الأرض، فهذه النسبة الثانية هى المقصود من العالم وهى علته الأولى ، ولا تفارق معلولها ، وهذه العلة الثانية معلولة بمحمد صلوت الله وسلامه عليه . أصل الوجود وسبب الكون ، وعين الرحمة المنزلة من المائة (٢) ، قال الله سبحانه وتعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، ثم تفصل هذه المطابقة عندهم إلى جزئيات : فتتعين للأعضاء الباقية خطوط من البروج ، فتبين ما أردناه من شرح قولهم : « الإنسان نسخة من الأعلى » . ولولا التطويل لزدناه بيانا .

---

(١) فى ط (نولية)

(٢) يشير إلى الحديث مامعناه . «إن لله مائة رحمة ، جعل عنده تسعا وتسعين رحمه ، وجعل فى الارض رحمه واحدة ».

الجملة الثانية

فى فلاحة هذه الأرض ، وعلاجها ، وعمارتها لإيداعها شجرة المحبة

وكما أن الأرض لاتصلح لإيداع البذور(١) واختيار الغراسة إلا بعلاج يثيرها ، وتنظيف يطهرها ، وسقى يأخذ صلابتها بالتليين ، وتحريك يهيء للتكوين ، وإزالة العشب العائد على غلتها بالضرر المبين ، قال الله عز وجل: « فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم » . قد علم كل مشربه ، وهيأ له الاستعداد أربه ، فللإنسان من هذه الشجرة رطب منثاله(٢)، وللبهيمة(٣) ورق أو حثالة .

على قدرك الصهباء تعطيك نشوة   وليس على قدر السلاف تصاب
ولو أنها تعطيك يوما بقدرها   لضاقت بك الأكوان وهى رحاب

وهذه الجملة تشتمل على اختيارات ستة :

---

(١) فى : س ، ظ (البذر) .
(٢) فى : س ، ظ (مثاله) .
(٣) فى : ط (والبهيمة) وفى . س (فى البهيمة) .

الاختيار الأول من الجملة الثانية

فيما يصلح للاعتمار، وغرس الأشجار، من أنواع هذه الأرض

وفيه فصول

الفصل الأول

(من الاختيار الأول)(١) من الجملة الثانية

فى النفس المطمئنة

قال الله عز وجل: «يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى [١٣ ب] عبادى وادخلى جنتى».

مما يتقرر فى هذا الفصل أن النفس التى وصفها الله عز وجل هى نفس رضى عنها، وخلقها صافية مقدسة مستيقظة، مقبلة عليه من ذاتها، معرضة عن غيره، وهى نفوس الأنبياء والخواص من الأولياء، وأهل الجذبة (٢) أشرق عليها نور الحق فقبلته لصفائها، وورونق جلائها، وهى بمنزلة الجسد الصحيح (شديد)(٣) البنيـة، القوى التركيب، المعتدل المزاج، الذى لايعرف العلل، ولايحتاج إلى العلاج، ولايخاف عليه من سوء التدبير، سبقت لها الحسنى (٤)، وارتضيت الزلفى، وسهل لها طريق (٥) الرجعى، فلايغرس فيها مانحن بسبيله، فإنها معمورة بالفلح، محرزة بالنجح(٦)، قد

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من: س

(٢) الذين ينفتح عليهم قبل السلوك أو بلا سلوك ولكل من النوعين أحكام مبسوطة فى موسوعات السلوك.

(٣) ساقطة من س، ط

(٤) سبقت لها العناية فى الأزل والقبول على مقتضى الحب الإلهى السابق.

(٥) فى س، «سبيل»

(٦) فى س، ط «للنجح»

آتت أكلها ، وشربت نهلها وعللها[١] ، وأخرج الله عشبها المؤذية وسلها ، وهي التي تنظر من الجنبة العليا فقط ، ويتمحض انحيازها إلى جهة الوجود « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ، « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده »

(ما أحسن الجود بلا علة　　　وأكرم العفو مع الذنب
يارب حقق فيك ظني ولا　　　تخيب الآمال يارب)[٢]

---

(١) النهل الشرب أولا والعلل الشرب ثانيا .
(٢) البيتان سقطان من « س ، ط » .

الفصل الثانى (١)

فى النفس الأمارة

قال الله عز وجل : « إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى »

والنفس الأمارة هى التى أعرضت عن الله بالكلية ، ولم تؤت حظا من نوره ، فغلب عليها حب المحسوسات وشهوات الأجسام، وضلت فى ظلمات الأوهام ، وأنكرت اللذات الروحانية ، والعوالم العقلية ، وأعضل داؤها على أطباء الله ، وأرباب رسالته ، فيئسوا من صحتها وقطعوا بهلاكها ، وتكاثفت الحجب بينها وبين الحق ، وأفسد الصدأ صفح مرآتها ، حتى استأصل جوهرها ، وأيأسها من إصلاح الصقال ، ولم تتعين لها جنبة تنظر إليها ، إلا الجنبة السفلى ، فهى هاوية أبدا ، منتكسة مطرودة عن جناب الله ، لامطمع فى نجاتها بحال . نعوذ بالله من سوء قضائه ، وهى أنفس الأشقياء المرادين بقوله : « لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط »

وهذه النفس لايقع عليها الاختيار فإنها حجر صلد ، غير قابلة للفلح ولا مائلة لشمس الحق .

تنبيه :

إن قيل : كيف يطلق هذا الحكم على النفس الأمارة والصديق يقول فى نصه المشهور (٢) ، « إن النفس لأمارة بالسوء » .

الجواب : وقع الخلاف بين المفسرين هل ذلك من كلام الصديق ، أو

---

(١) فى : ظ « الأول » وهو خطأ .

(٢) فى : ظ « فى قصصه المشهورة » والمراد يوسف عليه السلام .

من كلام المرأة ، فعلى كونه من كلام المرأة نفسها [فـ] لا كبير حذر . وعلى كونه من كلام الصديق ، فقد قال صاحب كتاب الكشاف أراد الجنس أى أن هذا الجنس يأمر بالسوء و يحمل عليه (١) بما فيه من الشهوات « إلا مارحم ربى » [أى] إلا البعض الذى رحمه بالعصمة .

---

(١) فى : « س ، ط » (ويحمله عليه بما فيه)

الفصل الثالث

فى النفس اللوامة

وهى التى تلوم صاحبها على التقصير فى معاملة الله . قال تعالى : «لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة»(١) وهى التى أقبلت على لذات المحسوسات، إقبالا وسطا وبقى فيها حظ من اليقظة والفطنة ، تدرك به المعانى العقلية ، وهى موضوع (٢) الرياضة (٣) ، والمرجو لها الخلاص ، إذ ماتقدم ذكره قد ارتفع الكلام فيه حصولا أو يأسا .

ولهذه النفس جنبتان ونظران : نظر إلى الأعلا ، بما فيها من اليقظة ، ونظر إلى الأسفل بما فيها من الأعراض الطبيعية . وهى وإن [١٤ - ا] كانت محجوبة عن الكثير من الأنوار الإلهية ، ففى قوتها أن تتزكى بالرياضة وتستضىء فى ظلماتها بنور الهداية (٤) النبوية ، وتلتحق برتبة السعادة على قدر ماتوصلها إليه الرياضة من معارج الكمال .

فمنها ماتعلق بأولى عرى الفوز ، وتعدى درج الشقوة ، واستقر فى حيز النجاة . قال (الله)(٥) تعالى : «فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز» .

ومنها من(٦) أمعنت به المعارج إلى الدرجات العلى . قال الله تعالى : «فأولئك لهم الدرجات العلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»

---

(١) سورة القيامة ١ ، ٢ .

(٢) فى ظ (موضع) .

(٣) الرياضة تهذيب الأخلاق النفسية ، وتمحيصها عن خالطات الطبع ونزعاته ، بوسائل أهمها : الصمت ، والجوع والسهر ، والعزلة [راجع رسالة الخلوة . ورسالة حلية الابدال . للشيخ الأكبر محي الدين بن عربى] .

(٤) فى : س ، ظ (الهدايات) .

(٥) ساقطه من : س ، ط .

(٦) فى س ، ظ (ب) .

ومنهم من تخطى الكثير من مراتب أهل السعادة إلى الغاية من النظر إلى وجه الله والتنعم بتجليات نوره قال تعالى : «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» .

فتعين أن مطلوب الرياضة إنما هو فى حق هذا القسم الثالث الممكن علاجه ، لأن الأصل للنفس الزكاة والنور وما حصل من الظلمة طارئ عليها ، والطارئ يمكن زواله مالم يستحكم[1] كالأمراض والصدأ الذى يفسد جوهر المرآة .

وعلاجها بالتشويق إلى مطالعة الجمال الكلى ، ومشاهدة الأنوار الخفية[2] حتى تحصل لها المحبة ؛ وتستلزم المحبة القرب ، ويستلزم القرب السعادة والسناء ، وعلى هذه الأرض بخصوص وقع الاختيار ، وفيها تكون الفلاحة والاعثمار ، وعلى مثلها تستقل الأشجار ، فى رسالة العمل ، وفضل الله كفيل بالأمل ، سبحانه لاقوة إلا بالله[3] .

---

(١) ف « ظ » (تستحكم) .

(٢) ف « ظ » (الحقيقية) .

(٣) ف ظ (لا إلا إله هو) .

الاختيار الثانى

فى محركات العزيمة للفلاحة الكريمة ، من جذب ويقظة

وفيه فصول

الفصل الأول

فى الجذبة وما يتصل بذلك

ومحرك الجذبة لايعلل ، وهى توقد مصباح الهمة ، فى ديجور الغفلة المدلهمة ، وترفع جميع القواطع المؤلمة (١) الملمة ، وتولى الوجه شطر المقصود ، وترفع بصر البصيرة على نجم الشهود ، إلا أن صاحب الجذبة إذا وقعت (له) (٢) المعرفة ، كان حقا عليه الاجتهاد فيما ينقل الخطا ، ويضاعف العطا « ياداود أعنى على نفسك بكثرة السجود » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلا أكون عبدا شكورا » . وهناك تتضاعف المعارج وتطول المراحل والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ممن استأثر بهم الجذب ، وأوصلتهم العناية ، وكثير من الأولياء .

قال أبو الفرج (٣) : لما سبق الاجتبا لأقوام ، جذبوا بعد الزلق فى هوة الهوى ، إلى نجوة النجاة .

يا عمر كيف حالك ؟ . قال : كنت مشغولا بهبل ، فسمعت هاتف « ففروا إلى الله » فعرجت على المنادى ، فإذا أنا فى دار الخيزران .

---

(١) فى ظ (المؤملة) تحريف .

(٢) ساقطة من « س »

(٣) هو أبو الفرج بن الطيب البغدادى صاحب كتاب (السياسة) الذى ينقل عنه المؤلف كثيرا جدا ولم أقف على هذا الكتاب فى الفهارس .

يافضيل ، من أنت؟ قال: أخذت فى قطع الطريق فأخذت فى قطع الطريق[١].

يا عتبة الغلام من أنت ؟ قال : كنت عبد الهوى ، فقصدت مجلس[٢] عبد الواحد فصرت عبد الواحد .

يا سبتى من أنت ؟ قال : كنت ابن الرشيد ، فعرض لى رأى رشيد ، فإذا عزمى قد أخذ المرُّ ومر .

يا ابن أدهم من أنت ؟ قال : أخذنى حبه من منظرتى[٣] فجعلنى ناطور[٤] البساتين .

يارابعة من أنت؟ قالت : كنت أضرب الدف بالطبل ، فما سمع غيرى:

بالله يا ريح الصبا مرى على تلك الربى
وبلغى رسالتى بنصها أهل قبا
واحربا وهل يرد فائتنا واحربا

قال العماد الأصفهانى[٥] [١٤ب] فى الإشادة[٦] ، بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنبياء : وكلهم من أهل الجذبة والاختصاص ، فمن كان فى روض القرآن سرح[٧] ، ظهر له الفضل بين رب اشرح لى[٨] وألم نشرح[٩] .

---

(١) أى قطع طريق الصوفية بالسلوك وقطع الطريق الأولى ضرب من اللصوصية الجريئة.

(٢) على هامش الأصل (أمر) من نسخة ثانية .

(٣) فى س ، ظ . من (منظرى) .

(٤) الناطور: ماينصب فى البستان من شبه إنسان لإخافة الطيور والوحوش والحيوانات المتلفة للزرع .

(٥) فى « ظ » الأصبهانى ، وهو صاحب « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » .

(٦) فى الأصل (الإشارة) .

(٧) « فى ظ ، س » (اشرح) تحريف .

(٨) فى « ظ » (له) خطأ .

(٩) يريد بذلك قول موسى عليه السلام « رب اشرح لى صدرى » وقول الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « ألم نشرح لك صدرك ؟ » على سبيل الاستفهام التقريرى . فموسى عليه السلام طلب من ربه ما من به سبحانه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث شرح له صدره دون دعاء منه بذلك .

الفصل الثاني

من محركات العزيمة وهو اليقظة[1]

قلت . والمحركات المشتركات فى باعث اليقظة كثيرة ، منها الوعظ السائق بمقود الشارد عن الله ، إلى مربط التوبة . ومحرك العزيمة الوعظ يردد[2] أذانه على نوام أهل الكهف ، وقد ضرب نوم الغفلة على آذانهم ، حتى يحول بينهم وبين شأنهم ، ويركبهم ظهر الرياضة التى تلحقهم بالمجذوبين من إخوانهم ، ولما كان[3] حب الدنيا هو المانع عن الشروع فى إطلاق العمل ، والقاطع له بعده . لم تجد أساة خبل[4] الهوى ، وجنون الكسل أنجع من رقى العذل والتأنيب ، وتقبيح المحبوب ، سيما إذا انزعجت نبال نبله ، عن حنيات ضلوع الصدق . قال بعضهم : الكلام إذا خرج من القلب دخل القلب .

أوقد النـــار من رسالة ليلى　　　واحذر السيل بعدها من دموعى

ولا كعذل الواعظ البليغ باللسان الفصيح ، والقلب القريح ، فإذا رأيت الأرض قد اهتزت وربت ، وهضاب القلوب القاسية قد تقلبت ، فشمر للغراس والزراع عن الذراع ، واغتنم (خفقـــان)[5] الشراع ، والإسراع الإسراع .

إذا هبت رياحك فاغتنمها　　　فإن لكل خافقة[6] سكونا

حقر لهـا ما فى يديها بدأة　　　واضمن لها عوضا وإن لم يحضر

(١) اليقظة هى الفهم عن الله تعالى ماهو المقصود من زجره [التعريفات للجرجانى] .

(٢) فى : الأصل ، ظ (يرد) .

(٣) فى الأصل (كانت) .

(٤) فى س ، ظ (خيل) والأصل أرجح .

(٥) ساقطة من س ، ويقصد خفقان شراع السفينة التى تسير بالسالك إلى شاطىء المحبة

(٦) فى « ظ » (عاصفة) .

واربأ بنفسك عن تسامح بائع   واغنم إذا سامتك شهوة مشترى

قالوا : الوعظ يضرب وجه النفس عن البسط(١) فى بساط اللذات ، وينقل خطوانا عن خطو فى ملعب الخطيئات ، ويمثل لها المصير عيانا ، ويبين العواقب المحجوبة بيانا ، وينشىء سحاب الحزن فى أجواف أجوائها ، ويذكرها(٢) بمآلها وانتهائها ، ويعرض عليها مصارع فنائها(٣) ، وخراب بنائها ، وفراق حبائها ، وأبنائها ، عند نزول هاذم اللذات بفنائها ، فترجع إلى الله بحكم الاضطرار أفكارها ، وتخشع من خيفة الله وجلاله أبصارها .

والواعظ يكون بلسانين ، ويوجد فنين : لسان حال ، ولسان مقال ، وربما كان لسان الحال أبلغ ، وهو يسمع من القبور الموحشة ، والقصور الخالية ، والعظام البالية ، وفيه حكايات وأخبار ، ولسان مثال كقوله تعالى : « وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال » . وهو سبيل الله التى بعث بها النبيين ، وضمن فصولها الكتاب المبين ، والسوط الذى يحمل على الأوبة ، ويسوق ذود المتطهرين إلى غدير التوبة ، ونحن نجعله هينمة بين يدى الغراسة ، ومظنة لتزكية النفوس إن صدقت الفراسة (ونجتزىء بيسيره عن كثيره ، ونجلب منه ما يطمع فى تأثيره)(٤) .

فمن ذلك ما صور عن لسان واعظ :

الحمد لله الولى الحميد ، المبدىء المعيد ، البعيد فى قربه من البعيد ، القريب فى بعده فهو أقرب إليه من حبل الوريد ، محيي ربوع العارفين (بحياة

---

(١) ف : س (التنشيط) وفى « ط » (التثبت) .
(٢) فى الأصل (ويذكر) .
(٣) فى الأصل (ثوائها) .
(٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من « س ، ظ » .

تجليات)(١) التوحيد ، ومغنى نفوس الزاهدين بكنوز احتقار الافتقار إلى العرض الزهيد ، ومخلص [١١٥] خواطر المحققين من سجون رهون التقييد ، إلى فسيح التجريد(٢) .

نحمده وله الحمد المنتظمة درره فى سلوك الدوام ، وسموط التأييد ، حمد منزه أحكام وحدانيته ، وأعلام فردانيته ، عن مرابط التقليد(٣) ، ومخابط(٤) الطبع البليد .

ونشكره شكر من افتتح بشكره أبواب المزيد ، ونشهد أنه الله الذى لا إله إلا هو شهادة نتخطى بها معالم الخلق(٥) إلى حضرة الحق على كبد التفريد(٦) ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله قلادة الجيد المجيد ، وهلال العيد ، وفذلكة الحساب وبيت القصيد ، المخصوص بمنشور الإدلال(٧) ، وإقطاع الكمال بين مقام المراد ومقام المريد(٨) الذى جعله السبب

---

(١) سقطت من : س .

(٢) إخلاص التوحيد لله فى الاسم والصفة والفعل .

(٣) أى نحمده حمد العارفين به لا حمد المقلدين لغيرهم .

(٤) أى ما يتخبط فيه البليد من حمد الله على نعمه فقط دون حمده على الضراء .

(٥) أى شهادة لله بوحدانيته واستحقاقه للعبادة بعد الفناء عن مظاهر الخلق وتخليص الفكر من كل الصور النفسية .

(٦) التجريد : ألا يرى الموحد فاعلا فى الوجود غير الله ، ويقف بالحق فى هذا المقام ، وكأن الحق هو قوى العبد بقوله صلى الله عليه وسلم : « كنت سمعه وبصره . . » الحديث .

(٧) فى « ط » (الإذلال) وهو خطأ .

(٨) مقام الإدلال مقام يتجلى الله فيه على عبده بالحب بحيث يكون له ما شاء عنده ، فهو فى هذه الحالة مراد ولكن النبى صلى الله عليه وسلم مع مقامه هذا آثر الكمال فى العبودية وهو مقام المريد ووقف بينهما . لأن الوقوف مع الإدلال وحده دون العبودية سوء فى الطريق الصوفى .

والمريد هو المنقطع إلى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته إذا علم أنه مايقع فى الكون إلا مايريده تعالى ، لا مايريد غيره ، فيمحو إرادته فى إرادة الله ، فلا يريد إلا مايريده الحق .

والمراد هو المجذوب عن إرادته ومن خصائص المحبوب ألا يبتلى بالشدائد والمشاق فى =

الأوصل فى نجاة الناجى وسعادة السعيد ، وخاطب الخلائق على لسانه الصادق بحجتى الوعد والوعيد ، فكان مما أوحى به إليه ، وأنزل الملك به عليه من الذكر الحميد ، ليأخذ بالحجز والأطواق من العذاب الشديد . ولا أوعظ من كتاب الله جل جلاله الذى يدير القرائح بصدقه ، وينشىء سحائب المدامع وميض برقه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)(١) : « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد . ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ؛ (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » . وقال : « شوبوا أمانيكم بذكر مكدر اللذات » ، وقال : « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا » ، وقال : « كفى بالموت واعظاً »)(٢) صلى الله عليه وعلى آله (وأصحابه)(٣) صلاة تقوم ببعض حقه الأكيد ، وتسرى إلى تربته الزكية من طهور المواجد الحيية على البريد :

قعدت لتذكير ولو كنت منصفا لذكرت نفسى فهى أحوج للذكرى
إذا لم يكن منى لنفسى واعظ فياليت شعرى كيف أفعل فى أخرى

= أحواله فإن ابتلى فذلك محب لا غير . أما ما وقع للنبى صلى الله عليه وسلم مما ظاهره ابتلاء فهو إبتلاء فى نظرنا ، ولكنه فى الحقيقة قمة النعمة ، إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يفزع من كل ذلك ولا يجد فى صدره حرجا مما قضى الله .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من « س ، ظ » .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من « س ، ظ » .
(٣) ساقطة من الأصل و س ، وزيدت من ظ .

آه . آه . . أى وعظ بعد وعظ الله يا أحبابنا يسمع ، وفيماذا وقد تبين الرشد من الغى يطمع ، يامن يعطى ويمنع ، إن لم تقم الصنيعة فماذا نصنع ، أجمعنا بقلوبنا يا من يفرق ويجمع ، وألن حديدها بنار خشيتك ، فقد استعاذ نبيك من قلب لا يخشع ، ومن عين لا تدمع .

اعلموا يرحمكم الله أن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الأقوال والأحوال ، ومن الجماد والحيوان ، وألسنة الملوان ، فإن الحق نور لا يضره أن يصدر من الخامل ، ولا يقصر بمحموله احتقار الحامل ، وأنتم تدرون أنكم فى أطوار سفر لا تستقر لها دون الغاية رحلة ، ولا يتأتى معها إقامة ولا مهلة ، من الأصلاب إلى الأرحام ، إلى الوجود إلى القبور إلى النشور ، إلى إحدى دارى البقا ، أفى الله شك ؟ ، فلو أبصرتم مسافراً فى البرية يبنى ويغرس ، ويمهد ويفرش ، ألم تكونوا تضحكون من جهله ، وتعجبون من ركاكة(١) عقله ، والله ما أموالكم ولا أولادكم وشواغلكم عن الله التى فيها اجتهادكم إلا بناء سفر فى قفر(٢) ، أو إعراس فى ليلة نفر(٣) ، كأنكم بها مطروحة تعبر فيها(٤) المواشى ، وتنبو العيون عن(٥) خبرها المتلاشى ، إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ، ما بعد المقيل إلا الرحيل ، ولا بعد الرحيل إلا المنزل الوبيل ، وإنكم تستقبلون أهوالا سكرات الموات بواكر حسابها ، وعتب أبوابها ، فلو كشف الغطاء منها عن ذرة لذهلت العقول ، وطاشت الأحلام(٧) ،

---

(١) فى « ظ » (وكالة) وهو خطأ .

(٢) فى الأصل (بناء فى سفر قفر) .

(٣) أى كالدخول بالزوجة فى ليلة النفر من عرفات إلى منى فى الحج وهو مبطل للحج شرعا ، ويجوز أن يكون المعنى ، زواج فى ليلة نفرة للحرب . فهى أفراح مشوبة بأتراح .

(٤) فى الأصل) تصرفها) والتصحيح من س ، ظ » .

(٥) فى : ظ (فى) .

(٦) فى : س ، (الألباب) .

وما كل حقيقة يشرحها الكلام .

(ذكر أن عمر بن عبد العزيز شيع جنازة ، فلما توسط القبور بكى ثم قال : إن الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، وشابها هرم ، وحيها ميت ، فلا تغرنكم بآمالها ، مع معرفتكم بزوالها ، المغرور من اغتر بها ، أين سكانها الذين شيدوا مدائنها ، واغترسوا أشجارها ؛ واقتطفوا ثمارها ، واغتروا بصحتهم ، وكانوا بها مغبوطين(١) ليت شعرى ! ما صنع التراب بأبدانهم ، والديدان بأوصالهم ، إذا مررت بهم فانظر إلى تقارب منازلهم ، وسل عنهم ما لقى غنيهم من غناه ، وفقيرهم من فقره ، وسل عن الألسن الذى كانوا بها يتكلمون ، والأعين التى كانوا بها للذات ينظرون ، وعن الجلود الرقيقة ، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة ، ما فعل بها البلى ، فمحى الألوان ، وأكل اللحان ، وعفر الوجوه ، ومزق الأشلاء ، وأين حجابهم وخدمهم وقبابهم ، والله ما زودوهم فراشا ولا وضعوا لهم متكأ ، أليسوا فى منازل الخلوات والفلوات ؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء ، قد تزوجت نساؤهم ، وترددت فى الطرق أبناؤهم ، واقتسمت أموالهم وضاعت آمالهم ، وتوزعت القرابات ديارهم وآثارهم)(٢) .

يأيها الناس إن وعد الله حق [١٥ ب] فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . أفلا أعددتم لهذه الورطة حيلة ، وأظهرتم للاهتمام بها مخيلة ، أتعويلا على عفوه مع المقاطعة ، وهو القائل : « إن عذابى لشديد » . أأمنا من مكره مع المنابذه ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . أطمعا فى رحمته مع المخالفة وهو يقول : « سأكتبها للذين يتقون » . أو مشاقة ومعاندة « ومن يشاق الله ورسوله فإن الله شديد

---

(١) الغبطة أن يرجو العبد لنفسه نعمه مثل نعمة غيره ولا يرجو زوالها عن الغير .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من « س ، ظ » .

العقاب » . أشكا فيه فتعالوا نعيد الحساب ، ونقرر العقد ونتصف بدعوة الحق أو غيرها من اليوم ، تفقدوا عقد العقائد عند التساهل بالوعيد ، فالعامى يدهن الإصبع الوجعة ، والعارف يضمد لها مبدأ العصب .

هكذا هكذا يكون التعامى هكذا هكذا يكون الغرور

« يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون » وما عدا عما بدا ، ورسولكم الحريص عليكم ، الرءوف الرحيم يقول لكم ، « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » ، فعلام بعد هذا المعول ، وماذا يتأول .

اتقوا الله فى نفوسكم وانصحوها ، واغتنموا فرص الحياة واربحوها(١) ، «أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين». (وتنادى أخرى « هل إلى مرد من سبيل » « ياليتنا نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل »)(٢) وتقول أخرى «رب ارجعون » ، وتستغيث أخرى « هل إلى مرد من سبيل » ، فرحم الله من نظر لنفسه قبل غروب نفسه ، وقدم لغده من أمسه .

واعلم(٣) أن الحياة تجر(٤) إلى الموت ، والغفلة تجر(٥) إلى الفوت ، والصحة مركب الألم ، والشبيبة سفينة تقطع إلى ساحل الهرم .

وإن شاء قال بعد الخطبة : إخوانى . ماهذا التوانى ، والكلف بالوجود الفانى ، عن الدائم الباقى ، والدهر يقطع بالأمانى ، وهاذم اللذات(٦) قد

---

(١) فى : ظ (وارتجوها) .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من س ، ظ .
(٣) فى : ظ (وعلم) تحريف .
(٤) فى : س ، ظ (تجرى) .
(٥) فى : س ، ط(تقود) .
(٦) كناية عن الموت .

شرع فى نقض المبانى ، ألا معتبر فى معالم هذه المعانى ، ألا مرتحل عن مغانى هذه المغانى :

ألا أذن تصغى إلى سميعـــة أحدثها بالصدق ما صنع الموت
مددت لـكم صوتى فأواه حسرة على ما بدا منـكم فلم يسمع الصوت
هو الغرر الآتى على كل أمة فتوبوا سراعا قبل أن يقع الفوت

يا كلفا بما لا يدوم ، يا مفتونا بغرور الموجود المعدوم ، يا صريع جدار الأجل المهدوم ، يا مشتغلا ببنيان الطرق قد ظهر المنهاج (١) وقرب القدوم ، يا غريقا فى بحار الأمل ، ما عساك تقوم ، يا ملك (٢) الطعام والشراب ولمع السراب لا بد أن تهجر المشروب وتترك المطعوم ، دخل سارق الأجل بيت عمرك فسلب النشاط وأنت تنظر ، وطوى البساط وأنت تـكذب ، واقتلع جواهر الجوارح وقد وقع بك البهت ، ولم يبق إلا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد :

لو خفف الوجد عنى دعوت طالب ثأرى

كلا إنها كلمة هو قائلها ، كيف التراخى ، والموت مع الأنفاس ينتظر ، كيف الأمان وهاجم الموت لا يبقى ولا يذر ، كيف الركون إلى الطمع الفاضح وقد صح الخبر ، من فكر فى كرب الخمار تنغصت عنده لذة النبيذ ، من أحس بلفظ الحريق فوق جداره لم يضع السمعة إلى نغمة العود ، من تيقن بذل العزلة هان عنده عن الولاية .

ما قام خيرك يا زمان بشره أولى لنا ما قل منك وما كفى

أوحى الله إلى موسى صلوات الله (على نبينا وعليه)(٣) : أن ضع يدك على متن ثور ، فبقدر ما حازته من شعره تعيش سنين ، فقال : يارب وبعد

(١) فى س . (المناخ) .
(٢) على هامش الأصل (ياممللُ) من نسخة ثانية ، وكـذا فى س ، ظ .
(٣) فى س « بدل هذه العبارة (وسلامه عليه) وفى ظ (صلوات الله عليه) .

ذلك ، قال أتموت (قال : يارب . فالآن(١)

رأى الأمر يفضى إلى آخر فصير آخر أولا)(٢)

إذا شعرت نفسك بالميل إلى شيء ، فأعرض عليها غصة فراقه ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة ، فالمفروح به هو المحزون عليه ، أين الأحباب مروا ، فياليت شعرى أين استقروا ، استكانوا والله واضطروا ، واستغاثوا بأوليائهم ففروا ، وليتهم إذ لم ينفعوا ما ضروا ، فالمنازل من بعدهم خالية خاوية ، والعروش ذابلة ذاوية(٣) ، والعظام من بعد التفاضل(٤) متشابهة متساوية ، والمساكن تندب فى أطلالها الذئاب العاوية .

صحت بالربع فلم يستجيبوا ليت شعرى أين يمضى الغريب

وبجنب الديار(٥) قبر جديد منه يستسق المكان الجديب

غاض قلبى فيه عند التماحى قلت هـــذا القبر فيه الحبيب

لا تسلنى(٦) عن رجعتى كيف كانت إن يوماً للبين(٧) يوم عصيب

باقترابى للموت(٨) عللت نفسى بعـــد إنى كل آت قريب

أين المعمر الخالد ، أين الولد أين الوالد ، أين الطارف أين التالد ، أين المجادل أين المخالد(٩) هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً .

وجوه علاهن الثرى وصحائف تنص وأعمال على الله تعرض

---

(١) أى : فالآن أريد الموت .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٣) ى : ظ (ذاوية ذابلة) .

(٤) ى : س (التفاصل) .

(٥) ى : س ، ط (الدار) .

(٦) فى « س » (لاتسل) وفى «ظ» (لا تسأل) .

(٧) فى س (يوم البين) وفى الأصل (يوم للبين) .

(٨) فى س ، ظ (باقتراب الموت) .

(٩) المجالد : المحارب .

بحث الزهاد والعباد ، والعارفون والأوتاد (١) ، والأنبياء الذين تهتدى بهم العباد عن سبب الشقاء الذى لاسعادة بعده . فلم يجدوا إلا البعد عن الله ، وسببه حب الدنيا . لن تجمع أمتى على ضلاله :

هجرت حبائبى من أجل ليلى   فمالى بعـــد ليلى من حبيب
وماذا أرتجى من وصـــل ليلى   ستجزى بالقطيعة عن قريب

وقالوا: ما أورد النفس الموارد وفتح عليها باب الحتف إلا الأمل(٢) ، كلما قومتها مثاقب(٣) الحدود ، فتح لها أركان الرخص(٤) ، كلما عقدت صوم العزيمة(٥) ، أهداها طرف الغرور فى أطباق حتى ، وإذا ، ولكن ، وربما . فأفرط القلب فى تقليبها حتى أفطر :

ما أوبق الأنفس إلا الأمل   وهو غرور ما عليه عمل
يفرض منه الشخص وهما ماله   حال ولا ماض ولا مستقبل
ما فوق وجه الأرض نفس حية   إلا قد انقض عليها أجل
لو أنهم من غيرها قد كونوا   لامتلأ السهل بهم والجبل
ما ثم إلا لقم قـــد هيئت   للموت(٧) وهو الآكل المستعجل

---

(١) الأوتاد عند الصوفية : عبارة عن أربع رجال منازلهم على منازل الأربعة الأركان من العالم . الشرق والغرب والشمال والجنوب ، كل واحد منهم مقامه فى تلك الجهة (تعريفات الجرجانى ٢٧ وتعريفات ابن عربى ٢) .

(٢) الأمل المحظور شرعا هو الأمل الذى يلهى عن العبادة والتأمل قال تعالى « ذرهم يخوضو ويلعبوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » أما الأمل المقترن بالعباده والفكر فلاغبار عليه راجع (التنوير فى إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندرى) فكله فى هذا الباب .

(٣) آلات تعدل بها قوائم الرماح .

(٤) الرخص ما شرع للتيسير على من يشق عليهم العمل كالفطر للمسافر .

(٥) العزيمة ما شرع للأقوياء فى العبادة كالصوم للمسافر .

(٦) جمع طرفة وهى ما يهدى الناس بعضهم لبعض والمراد أن الأمل يحل عقد العزيمة بين العبد وربه بهذه الألفاظ « حتى . إذا . لكن . ربما » يعزم العبد على التوكل وعلى إلقاء مقاليده لربه ، فيحل الأمل هذا العزم بقول غريب هو: ولكن الله خلق العقل لندبر به معاشنا والحق أن العقل خلق لتدبير شأن العبادة : ولا يخفى مافى أسلوب المؤلف من تورية بمصطلحات العلوم فقد كان مغرما بذلك .

(٧) فى الأصل (لقم للموت قد هيئت) .

والوعد حق والورى فى غفلة | قد خدعوا بعاجل وضللوا [١٦ ا]
أين الذين شيدوا واغـــترسوا | ومهدوا(١) وفرشوا وظللوا
أين ذوو والراحات زادت حسرة | إذ جنبوا إلى الثرى وانتقلوا(٢)
لم تدفع الأحباب عنهم غير أن | بكوا على فرقهم وأعولوا
الله فى نفسك أولى من له | ذخرت(٤) نصحا أو عتابا يقبل
لا تتركنها فى عمى وحـــيرة | عن هول ما بين يديها تعقل
حقر لها الفانى وحاول زهدها | فيه وشوقها لما يستقبل
وقد إلى الله بها مضطرة | حتى ترى السير عليها يسهل
هو الفناء والبقاء بعده | والله عن حكمته لا يسأل
يا قرة العين ويا حسرتها | يوم يوفى الناس ما قد عملوا

يا طرداء المخالفة إنكم مدركون ، فاستبقوا باب التوبة فإن رب تلك الدار يجير ولا يجار عليه ، « فإذا أمنتم فاذكروا الله كما هداكم » ، ياطفيلية الهمة دسوا انفسكم بزمر التائبين وقد دعوا إلى دعوة الحبيب فإن (لم)(٥) يكن أكل فلا أمل من طيب الوليمة .

قال بعض العارفين : إذا عقد التائبون الصلح مع الله انتشرت رعايا الطاعة فى عمالة الأعمال ، وأشرقت الأرض بنور بها ووضع الكتاب معاقى هذا المجلس والله نسيم سحر إذا انتشقه مخمور الغفلة أفاق ، سوط(٦) هذا الوعظ ينفض إن شاء الله ركة(٧) البطالة ، إن الذى أنزل الداء أنزل

---

(١) فى س(وافترشوا) .
(٢) فى الاصل (وانتهلوا) .
(٣) فى : س (ترمع) .
(٤) فى : س : دخرت .
(٥) ساقطه من : ظ .
(٦) فى : ظ ، (سقوط) وهو تحريف .
(٧) أى أكداس من البطالة .

الدواء ، إكسير هذا العتاب ، يقلب بحكمة جابر القلوب المنكسرة(١) ، عين من كان له قلب(٢) ، « إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله » .

إلهى دلها من حيرة تضل فيها إن هويت الدليل ، وأجلها(٣) من غمرة ، وكيف إلا بإعانتك السبيل ، نفوس صدىء على مر الأزمان منها الصقيل ، وبنا بحومتهـا (٤) عن الحق المقيل ، وآذان أهبطهـا (٥) القول الثقيل ، وعثرات لا يقيلها إلا أنت يا مقيل العثار يا مقيل ، أنت حسبنا ونعم الوكيل.

ومما صدر أيضاً عن المؤلف فى هذا الغرض :

إخوانى : صمت الآذان والنداء جهير ، وكذب العيان والمشار إليه شهير أين الملك وأين الظهير ، أين الخاصة وأين الجماهير ، أين القبيل والعشير ، أين كسرى أين أزدشير ، صدق والله الناعى وكذب البشير ، وغش المستشار واتهم المشير (٦) ، وسئل عن الكل (٧) فأشار إلى التراب المشير .

خذ من حياتك للمات الآتى　　وبدار مادام الزمان موانى
لا تغترر فهو السراب بقيعة　　قد خودع(٨) الماضى به والآتى
يامن يؤمل واعظا ومذكرا　　يوما ليوقظه من الغفلات

---

(١) إشارة إلى الحديث القدسى . أنا عند المنكسرة قلوبهم .
(٢) إشارة إلى قوله تعالى : إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .
(٣) ف : س : (أخلها) وهو تحريف .
(٤) ف . س . (يحنونها) ، وهو تحريف .
(٥) ف : س ، ط . (أنهقها) تحريف .
(٦) ف : ط (المستشير) .
(٧) فى الأصل (عن التراب) .
(٨) فى الأصل (خدع) والترجيح من : س ، ط : ورجحناها لكمال التفعيلة العروضية.

هلا اعتبرت ويالها من عبرة ... بمدافن الآباء والأمات
قف بالبقيع وناد فى عرصاته ... فلكم بها من خيرة (١) ولدات
درجوا وليس (٢) بخالد من بعدهم ... متميز عنهم بوصف حياة
والله ما استهللت (٣) حيا صارخا ... إلا وأنت تعد فى الأموات
لافوت عن درك الحمام لهارب ... والناس صرعى معرك الآفات [٦١ ب]
كيف الحياة لدارج متكاف ... سنة الكرى بمدارج الحيات
أسفا علينا معشر الأموات لا ... ننفك عن شغل بهاك وهات
ويغرنا لمع السراب فنغتدى ... فى غفلة عن هاذم اللذات
والله ما نصح امرأ من غشه ... والحق ليس بخافت المشكاة

يامن غدا وراح ، وألف المزاح ، يامن شرب الراح ، ممزوجة بالعذب القراح ، وقعد لعيان صروف الزمان مقعد الأقتراح ، كأنك والله باختلاف الرياح ، وسماع الصياح ، وهجوم غارة الأجتياح ، فأديل الخفوت من الارتياح ونسيت (٤) أصوات الغناء برنات كالنباح (٥) ، وعوضت غرر النوب القباح (٦) من غرر الوجوه الصباح ، (وتناولت الجسوم الناعمة أيدى الاضطراح ، وتنوسيت العهود الكريمة بمر المساء عليها والصباح (٧)) ، وأصبحت كماة النطاح من تحت البطاح ، وحملت المهندة والرماح كليلة (٨) من بعد الجماح .

لو كان هول الموت لاشىء بعده ... لهان علينا الأمر واحتقر الهول

(١) فى الاصل : (حرة) .
(٢) فى : س ، ظ (ولست) .
(٣) فى : ظ (استهلكت) وهو تحريف .
(٤) فى الاصل (منيت) تحريف .
(٥) فى : س ، ظ (كالنياح) :
(٦) أى البلايا العظيمة .
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٨) فى : س ، ظ . (ذليلة) .

ولكنه حشر ونشر وجنة ونار وما لا يستقل به القول

يامشتغلا بداره ، ورم جداره ، عن إسراعه إلى النجاة وبداره ، يامن صاح بإنذاره شيب عذاره ، يامن صرف عن اعتذاره بأقذائه وأقذاره ، يامن قطعه [١] بعد مزاره ، وثقل أوزاره ، يامتعلقا [٢] ينتظر [٣] هجوم جزاره ، يامختلسا للأمانة ، يرتقب مفتش ماتحت إزاره ، يامن أمعن فى خمر الهوى خفف من إسكاره ، يامن خالف مولى رقه خفف من إنكاره ، ياكلفا بعارية ترد ، ويامفتونا بأنفاس تعد ، يامعولا على الأقامة والرحال تشد ، كأن بك وقد أوثق الشد ، والتصق بالوساد الخد ، والرجل تقبض والأخرى تمد ، واللسان يقول « ياليتنا نرد » .

إنا إلى الله وإنا له ما أشغل الإنسان عن شأنه
يرتاح للأثواب [٤] يزهى بها والخيط مغزول لأكفانه [٥]
ويخزن الفلس لوراثه مستنفذا مبلغ أكوانه
قوض عن الفانى [٦] رحال امرئ مد إليه عين عرفانه
ما ثم إلا موقف زاهر [٧] قد وكل العدل بميزانه
مفرط يشقى بتفريطه ومحسن يجزى بإحسانه

ياهذا خفى عليك مرض اعتقادك ، فالتبس الشحم بالورم ، جهلت قيم

---

(١) فى الأصل (قطع) .
(٢) فى : س ، ظ (معتلقا) .
(٣) فى : س ، ظ (ينطر) .
(٤) فى : ظ (للثواب) تحريف .
(٥) فى : ظ لأنقايه تحريف .
(٦) فى : ظ (حال) تحريف .
(٧) فى الأصل (دهى)

المعادن فبعث الشبه(١) بالذهب . فسد حس ذوقك فتفكهت بحنظلة ، أين حرصك من أجلك ، أين قولك من عملك ، يدركك الحياء من الطفل فتتحامى(٢) حمى الفاحشة فى البيت بسببه ، ثم توافعها بعين خالق العين ، ومقدر الكيف(٣) والأين ، (٤) بالله(٥) مافعل فعلك بمعبوده من قطع بوجوده ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم » ، تعود عليك مساعى الجوارح التى سخرها لك ، بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة [١٧ ا] فتبخل منها فى سبيله بفلس ، وأحد الأمرين لازم ، إما التكذيب وإما الحماقة ، وجمعك بين الحالين (٦) عجيب ، برزقك السنين العديدة من غير حق وجب لك وتسيء الظن به فى يوم يوجب (الظن)(٧) الحسن ، وتعتذر بالغفلة ، فما بال التمادى ، تعترف بالذنب فما الحجة فى الإصرار ، « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه . والذى خبث لايخرج إلا نكدا » ، أيا مدعى النسيان ماذا فعلت من بعد التذكير ، يامعتذرا بالغفلة أين ثمرة التنبيه ، يامن قطع بالرحيل أين الزاد ، ياذبابة الحرص كم ذا تلجج فى ورطة الشهد ، ياناثما ملء عينيه حذار الأجل قد أنذر ، ياثمل الاغترار قرب خمار الندم ، تدعى الحذق بالصنائع وتجهل هذا القدر . تبذل النصح لغيرك وتغش نفسك بهذا الغش ، اندمل جرح توبتك على عظم ، قام بناء عرشك(٨) على رمل ، نبتت

---

(١) الجواهر المزيفة .

(٢) فى : ط (فتتحامى) تحريف .

(٣) الكيف هيئة قارة فى النفس لاتقتضى قسمة ولا نسبة للذات .

(٤) الأين حالة تعرض للشيء بسبب حصوله فى المكان [راجع تعريفات الجرجانى] .

(٥) فى : س (تالله) .

(٦) فى : س ، ط (الحالتين) .

(٧) ساقطة من الأصل ، س .

(٨) فى الأصل (عزمك).

خضراء دعوتك على دمنة ، عقدت كفك من الحق على قبضة ماء ، «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ، فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء» وإذا عام جوهر المجلس ، وابتدأ رش غمام(١) الدموع ، قالت النفس الأمارة حوالينا لا علينا فدالت(٢) رياح الغفلة وسحاب الصيف هفاف ، كلما شد(٣) طفل العزيمة على درة التوبة صانعته ظئر(٤) الشهوة عن(٥) ذلك بعصفور إذا ضيق الخوف فسحة المهل سرق الأمل حدود الجار ، قال بعض الفضلاء : كانوا إذا فقدوا قلوبهم تفقدوا مطلوبهم . ولو صدق الواعظ لأثر ، اللهم لا أكثر ، طبيب يداوى الناس وهو عليل ، والخطب جليل ، والمتفطن قليل فهل إلى الخلاص سبيل . اللهم انظر إلينا بعين رحمتك التى وسعت الأشياء وشملت الأموات والأحياء ، يادليل الحائرين دلنا ، ياعزيز وارحم(٦) ذلنا ، ياولى من لا ولى له كن لنا كلنا ، إن اعرضت عنا فمن لنا ، نحن المذنبون وأنت غفار الذنوب ، فقلب قلوبنا يامقلب القلوب ، واستر عيوبنا ياستار العيوب ، يا أمل الطالب ، وياغاية المطلوب (يا أرحم الراحمين (٧)) ، وخاطب المؤلف من استدعى منه الموعظة (٨) (بقوله (٩)) .

إذا لم أنح يوما على نفسى التى لجرائها (١٠) أحببت(١١) كل حبيب

---

(١) فى الأصل (عموم) .

(٢) فى : ظ ، س (فنالت) .

(٣) فى : ط (اشتد) .

(٤) فى : ظ ، س (طير) والظئر : المرضع .

(٥) فى : ظ (على) .

(٦) فى : س ، ط (ارحم) .

(٧) مابين الحاصرتين : ساقط من : ط .

(٨) على هامش الأصل « وخاطبت من استدعى منى الموعظة بقولى » من نسخة ثانية . وكذا فى ظ

(٩) ساقطة من : س ، ظ

(١٠) فى : س ، ط (بجرائها)

(١١) فى : س ، ط أحببت) .

وقد صح عندى ان عادية لردى(١) تدب لها والله كل دبيب
فمن ذا الذى يبكى عليها بأدمعى إذا كنت موصوفا برأى لبيب

كم قد نظرت إلى حبيب ، تغار من ارسال طرفك بكتاب الهوى إلى إنسانه وقد ذبلت بالسقم نرجسة لحظه ، وذوت وردة خده ، واصفرت لمغيب الفراق شمس حسنه ، وهو يجود بنفسه التى كان يبخل من وصلها بالنفس ، يخاطبك لسان حاله (٢) مسترحما ، وليت الفجل يهضم نفسه (٣) ، وأنت على أثر مسحبه الى دست الحكم(٤) ، وما أدرى مايفعل بى ولا بكم ، تالله لو لم يكن الخبر صادقا ، لنشبت (٥) بحلق العيش بعده شوكة الشك .

ولو أنا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حى [١٧ب]
ولكنا اذا متنا بعثنا ونسأل بعد ذا (٦) عن كل شى

فالحازم من بتر الأمل طوعا وقال « بيدى لا بيد عمر » . يأيها الناس ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور ، قال أمير الوعاظ رحمه الله : وبضدها تتبين الأشياء ، يامقتولا ماله طالب (ثار(٧)) بريد(٨) الموت مطلق الأعنة فى طلبك ، وما يحميك حصن ، ثوب حياتك منسوج من طاقات أنفاسك ، والأنفاس تستلب ذرات ذاتك ، وحركات الزمان قوية فى النسج الضعيف ، فياسرعة التمزق ، يارابطا مناه بخيط الأمل انه ضعيف الفتل ، صياد التلف قد بث الصقور ، وأرسل العقبان ، ونصب

---

(١) فى . ظ (الروى) وهو تحريف .
(٢) فى : س ، ظ (يخاطب بلسان حاله) .
(٣) أى إنه سيصبح جيفة كالعجل غير المهضوم .
(٤) أى مسوق إلى الحساب أمام الحكم العدل سبحانه وتعالى .
(٥) فى : س ، ظ (لنشب) .
(٦) فى : س ظ (بعده) .
(٧) ساقطة من : س ، ظ .
(٨) فى : ظ (يريد) وهو تحريف .

الأشراك وقطع الموارد(١) فكيف السلامة ؟ تهيأ لسرعة الموت ، وأشد منه تقليب القلب(٢) ليت شعرى لما يؤول [إليه] الأمر .

فوالله ما أدرى أيغلبنى الهوى إذا جد جد البين أو أنا غالبه
فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذى لاقيت يغلب صاحبه

مركب الحياة تجرى فى بحر البدن ، برخاء الأنفاس ، ولابد من عاصف قاصف يفككه ، ويغرق الركاب :

فاقضوا مآربكم عجالا إنما أعماركم سفر من الأسفار

(وقال) :(٣) كأنك بحرب التلف قد قامت على ساق ، وانهزمت جيوش الأمل ، وإذا بملك الموت قد بارز الروح ، يجتذبها(٤) بخطاطيف الشدائد من بنان العروق ، وقد شد كتاف الذبيح ، وحار البصر لشدة الهول ، وملائكة الرحمة عن اليمين قد فتحوا أبواب الجنة ، وملائكة (العذاب)(٥) عن الشمال (٦) قد فتحوا أبواب النار وجميع الخلائق (٧) تستوكف الخبر ، والكون كله قد قام على صيحة ، سعد فلان أو شقى (فلان)(٨) ، فهناك تنجلى أبصار الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى ، ويحك ! تهيأ لتلك الساعة ، حصل زادا قبل العوز (٩) .

تزود من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

---

(١) فى : س ، ظ (المواد)

(٢) فى جميع الأصول : (قلب القلب) وما أثبتناه أوضح . وهو يشير إلى الحديث المشهور « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبهما كيف يشاء » .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) فى : س ، ظ (يجذبها) .

(٥) ساقطة من : ظ .

(٦) فى : س ، ظ (اليسار) .

(٧) فى : س (المخلوقات) وفى : ظ (الموكوفات) .

(٨) ساقطة من ظ وقد تأثر المؤلف هنا بكتاب التوهم للحارث بن أسد المحاسبى .

(٩) فى : س ، ظ (العور) تحريف .

وقال أبو العتاهية :

خانك الطرف الطموح (١) أيها القلب الجموح
لدواعي (٢) الخير والشر دنو ونزوح
كيف إصلاح قلوب إنما هن قروح
أحسن الله بنا أن الخطايا لاتفوح
فإذا المستور (٣) منا بين ثوبيه فضوح
كم رأينا من عزيز طويت عنه الكشوح
صاح منه برحيل طائر الدهر الصدوح
سيصير المرء يوما جسدا مافيه روح
بين عيني كل حي علم الموت يلوح
لبني الدنيا من الد نيا غبوق (٤) وصبوح (٥)
رحن في الوشي وأصبحن عليهن المسوح (٦)
كل نطاح من الده ر له يوما نطوح
نح عن نفسك يامسكين إن كنت تنوح
لتنوحن وإن (٧) عمرت ماعمر نوح

(وقال في المعنى) (٨)

لمن طلل أسائله معطلة مناهله (٩)

---

(١) في : ظ (الجموح) خطأ .
(٢) في الأصل (فدواعي) تحريف .
(٣) في الأصل (فإذا المشهور) .
(٤) الغبوق : شراب المساء من الخمر .
(٥) الصبوح : شراب الصباح من الخمر .
(٦) المسوح : لباس الرهبان .
(٧) في : س ، ظ : (ولو) .
(٨) ساقطة من الأصل . وزيدت من : س ، ظ .
(٩) في : ظ (مناهله) تحريف .

غداة رأيتة تنفى أعاليه أسافله
وكنت أراه مأهولا(١) ولكن باد آهله
وكل لاعتساف الدهـ ـر معرضة مقاتله [١٨ ا]
(وما)(٢) من مسلك إلا وريب الدهر شامله
فيصرع من يصارعه وينضل من يناضله
ينازل من يهم به وأحيانا يخاتله(٣)
وأحيانا يؤخره وتارات يعاجله
كفاك به إذا نزلت على قوم كلاكله(٤)
وكم قد عز من ملك تحف به قبائله
(تخاف الناس صولته ويرجى منه نائله)(٥)
ويثنى عطفه مرحا وتعجبه شمائله
فلما أن أتاه الحق ولى عنه باطله
فغمض عينه للموت واسترخت مفاصله
فما لبث السياق به إلى أن جاء غاسله
فجهزه إلى جدث سيكثر(٦) فيه خاذله
ويصبح شاحط المثوى(٧) مفجعة ثواكله
مخمشة نوادبه مسلبة خلائله
وكم قد طال من أمل فلم يدركه آمله
رأيت الحق لايخفى ولا تخفى شواكله

---

(١) فى : ظ . (مأمولا) خطأ .
(٢) ساقطة من : ظ ، س .
(٣) يخاله : يأخذه على غرة وغفلة .
(٤) الكلاكل : جمع كلكل وهو فى صدر الجمل يشبه الخف .
(٥) البيت ساقط من : س .
(٦) فى ظ : (سكن) . وهو تحريف والجدث : القبر .
(٧) شاحط المثوى : بعيد مكان الإقامة .

ألا فانظر لنفسك أى زاد أنت حامله
لمنزل وحدة بين الـ منازل أنت نازله
قصير السمك قد رصت عليك به جنادله
بعيد تزاور الجيران ضيقة مداخله
أأيتها المقابر فيـ ك من كنا نناوله
ومن كنا نتاجره ومن كنا نعامله
ومن كنا نعاشره ومن كنا نداخله
ومن كنا نشاربه ومن كنا نؤاكله
(ومن كنا نفاخره ومن كنا نطاوله
ومن كنا نراقبه ومن كنا نراسله
ومن كنا نكارمه ومن كنا نجامله
ومن كنا له إلفا قليلا ما نزايله (١)
ومن كنا له بالأمس إخوانا نواصله)(٢)
لكل محلة من حلها صرمت حبائله
ألا ن المنية منهل والخلق ناهله
أواخر من نرى يفنى كما فنيت أوائله
لعمرك ما استوى فى الأمر عالمه وجاهله
ليعلم كل ذى عمل بأن الله سائله
فأسرع فائز بالخير قائله وفاعله

وهذا الغرض بحر، ويكفى من جوانبه عرض، ومن بيت ماله قرض إن شاء الله.

تنبيـــه:

يشتمل هذا القصد على سؤالين: أحدهما أن يقال: الوعظ غير مناسب

(١) فى: س، ظ (نزاوله).
(٢) مابين الحاصرتين ساقط من: س.

المحبة إذ لا تحصل إلا بعد الفراغ واليقظة ، وثانيها(١) أن يقال : عظمتم الحسرة لفراق عالم الحس ، وأطلتم فى القشور (٢) ، فنجيب عن الأول ، بأننا لم نجلب الوعظ إلا بين يدى تأميل حصول المحبة ، فكأنه يجرى مجرى الأسباب ، فإن الغرض منه (٣) صرف وجهة النفس من جو السرور واللعب بالزور ، إلى جو الحزن والارتماض(٤). ومن هنا لك تأخذ بخطامها أيدى الاضطرار ، فتحصل اليقظة ثم التوبة ، ومنها يستقيم الطريق فى منازل السائرين إلى الحق .

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

وعند ذلك يطوى بساط الزجر والوعظ ، ويمد بساط الاعتبار والحب. إن شاء الله - فإنها كالثكلى بطبعها ، لما فارقته من عنصر نور الله (٥) ، والعوالم الروحانية التى هى الشعار والدثار ، والأهل (٦) والدار ، والحياة والجمال ، والجود (٧) والكمال ، وإن كانت لا تشعر بالسبب ، ولا تستحضر ذكر العلة ، فإذا ذكر الفراق أنت ، أو نوشدت الآثار حنت ، ويطرقها الحزن عند الألحان الشجية ، وتحس بعض الأحيان بالمواجد العشقية .

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى بالدكادك (٨)
فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى دعونى فهذا كله قبر مالك [١٨ ب]

وعن الثانى : أن كثيرا من النفوس لا تشعر بوجود عالم الحس فضلا

---

(١) فى : ظ ، س . ١ والثانى) .
(٢) فى ظ ، س . (قشور) .
(٣) فى الأصل « به » ، وكذا فى : س ، ظ .
(٤) الأرتماض : الاحتراق من الألم والحزن .
(٥) فى : ظ (من نور عنصر نور الله) وهو تحريف .
(٦) فى : ظ ، س (والأمل) .
(٧) فى : ظ ، س (والوجود) .
(٨) اللوى والدكادك مكانان .

عن النظر فيه ، وإن شعرت بذلك عد منها نبلا ، ومن كان بهذه المثابة ، لاسبيل لندائه إلا من باب القشور « أولئك ينادون من مكان بعيد » ، إلى أن يأتى النداء من باب اللب (١) بفضل (الله) (٢) .

فالنفوس الشخصية ، غير متساوية ، وهى فى مهوى الهوى هاوية ، فالقريب منها يجذب بالأنامل ، والبعيد بالجدل الكوامل ، وعلى قدر المحمول ، تكون قوة الحامل ، يضع المبيت (٣) مواضع النقب (٤) .

يكفى اللبيب إشارة مكتومة   وسواه يدعى بالنداء العالى
وسواهما بالزجر من قبل العصا   ثم العصا هى رابع الأحوال

---

(١) فى . س . الله .
(٢) ساقطة من الأصل .
(٣) فى : س ، ط . الهنا . والمعنى معه غريب .
(٤) النقب الخرق فى الجدار . والمقصود أن الواعظ يصنع الشىء فى موضعه .

الفصل الثالث

فى ذم الكسل

الذى يشغب (١) عن إجابة ما يرغب ، ونحن نجلب بعض الأمثال فى ذمه بما يسهل حفظه ، ويجب لحظه .

فمن ذلك : الكسل مزلقة الربح (٢) ومسخرة الصبح ، إذا رقدت النفس فى فراش الكسل استغرقها نوم الغفلة ، لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير (٣) ، المندمة (٤) فى الكسل كالسم فى العسل ، الكسل آفة (٥) الصنائع ، وأرضة فى البضائع ، والعجز والكسل ينتجان الحول (٦) ولا تسل ، الفلاح إذا مل الحركة عدم البركة .

ظهران لا يبلغان المرء إن ركبا باب السعادة ظهر العجز والكسل

وفى أغتنام الأيام : من أضاع الفرصة تجرع الغصة ، إن كان لك من زمانك شىء فالحال وما سواه محال ، تارك أمره إلى غد لا يفلح أبدا ، الإنسان ابن ساعة ، فليحفظها من الإضاعة ، التسويف سم الأعمال ، وعدو الكمال . لم يحرم المبادر إلا فى النادر . مادرجت أفراخ عز إلا من وكر طاعة (٧) ، ولا بسقت (٨) فروع ندم إلا من جرثومة إضاعة . العزم سوق

---

(١) أى يمنع من نيل المطلوب .

(٢) فى : س ، ظ : الربح .

(٣) سورة تبارك .

(٤) فى ظ (الندمة) .

(٥) فى ظ (آفات) .

(٦) فى ظ (يفتحان الحول) ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل .

(٧) على هامش الأصل (مادرجت أفراخ ذل إلا من وكر طاعة) من نسخة ثانية ، وكذا فى : ط .

(٨) فى ظ (سبقت) تحريف .

والتاجر الجسور مرزوق . من وثق بعهد الزمان علقت يداه بحبل الحرمان. الربح فى ضمن الجسارة ، والمضيع أولى بالخسارة .

ومن أمثالهم فى فى نظر الإنسان لنفسه قبل غروب شمسه قولهم : اعلم إن كل حكيم صانع إذا فكر فى أمره ، ونظر فى العواقب ، علم أنه لابد يوما أن يخرب دكانه الذى هو محل صناعتـه ، وتنحل أنقاضه وتنكل أدواته وتضعف قوة بدنه ، وتذهب أيام شبابه . فمن بادر واجتهد قبل خراب الدكان ، واستغنى عن السعى ، فإنه لا يحتاج بعد ذلك إلى دكان آخر ، ولا إلى أدوات مجـددة فليجتزىء بما أنشأه ، ويشتغل بالانتفاع والالتذاذ بما اكتسب ، وهذه حالة النفس بعد خراب الجسد ، فبادر واجتهد ، واحرص واستعجل وتزود قبـل خراب دكانك ، وهدم بيتك[1] فإن خـير الزاد التقوى . قال حسان :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... وأبصرت بعد اليوم[2] من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كمثـله ... ولم تترصد[3] مثل ما كان أرصدا

وقال أبو الفرج بن الطيب البغدادى[4] فى كتابه فى السياسة : والآراء الفاضلة يجب[5] أن تقيد وتمثل ، فإن الفكر مضطرب متشوش بكثرة نوازع النفس واختـلاف قواها ، والعمى فى بعض الأوقات ، فإذا سنح للنفس وقت فاضل بصفاء جوهرها ، وأبرمت قانونا أو صورة متوسطة فاضلة ، يجب أن تقيد بذلك فى وقت سعد [١٩ ا] ربما لا يعاد أو يعاود[6]

---

(١) فى : س ، ط (بيته) .
(٢) على هامش الأصل من نسخة ثانية « الموت» .
(٣) فى : ط (متوصل) تحريف .
(٤) لم نعثر على كتابه فى الفهارس
(٥) فى ظ (تجب) تصحيف .
(٦) فى : ظ (لا يعاود أو يغادر)

الاختيار الثالث

يشتمل على جلب الماء لسقى هذه الأرض الموصوفة ، من عيون العلم في جدولى العقل المقرر ، والنقل المحرر

(وفيه)(1) مقدمة وفصول

المقدمة

فى شىء من فضل العلم ، وتعدد أجناسه

قال المؤلف (رحمه الله ورضى عنه)(2) ، العلم وصف كمال لله عز وجل ، وبه شرف الملائكة والأنبياء ، وهو جامع بين سعادة الدنيا والآخرة .

أما الدنيا فبإفادته الإجلال من الملوك والسوقة(3) ، وظهور الفضل ووجوب الاحترام ، وهذا - إذا اعتبرته - حظ فان ، ومجنى ثمرة حرمان .

وأما الآخرة ، فأعظم الأشياء رتبة فى حق الآدمى السعادة الأبدية ، وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إلى نيلها ، ولا يتوصل إليها على سبيل الاكتساب إلا بالعلم والعمل ، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل(4) ، فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة العلم .

---

(1) ساقطة من : ظ

(2) فى : س ، ط (رضى الله عنه)

(3) فى : س ظ (السوق) جمع سوقة

(4) وعلى ذلك جاء تفسير حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقد رجح أبو طالب المكى أن المراد طلب علم الأركان الخمسة وكيفية أدائها وشروطها وأركانها وهكذا رأى الحارث المحاسبى [علم القلوب للمكى من تحقيقنا] طبع القاهرة باب معنى قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة . . . الحديث . والنصائح الدينية للمحاسبى . مخطوط رقم ٤٢٣ . تصوف دار الكتب المصرية وقد حققناه وننشره محمد على صبيح .

إلا أن الفلاح لايحتاج(١) من العلم إلا لمـا ينفعه ، فيما هو بسبيله ، والماء الذى تحتاج إليه هذه الأرض المباركة وهو (العلم(٢)) قليل لغناها وغبطها ودسمها ونداوة ثراها(٣) ، وتمام القول فى هذا الغرض ينظر فى فصل المقدار . وفضل العلم من كثرة القول وتبحره ، وشهرته بحيث لايحسن أن نطول به .

وأجناس العلوم إلى زماننا هذا لمن تشوف(٤) بكمال استعداده إلى تحصيلها ، هى المشهورة بين عالم الإنسان بحسبه مطلقا (أو بحسبه)(٥) ، مقيدا ، مابين قديمها وحديثها تحصيلا يحسب به من أهلها ، ويصح له الاتصاف بها ، وهى درجة ذوى الملكة العامة من النظار ، المتبحرين كالرئيس أبى على وأمثاله . فقد حكى من سيرته مايدل على ذلك ، ولا يبعد عنه غيره ، وكالقاضى (أبى الوليد)(٦) بن رشد وأمثالهما .

وأجناس العلوم منها لسانية أدبية ، كصناعة النحو ، وهى التى تنظر فى أحكام العوامل(٧) وأحكام تصريف الكلمات ، وما يتعلق بذلك . واللغة وهى علم مدلول مفردات لسان العرب ، والشعر وهو(٨) عندالعرب الكلام الموزون ، والعروض ميزانه الذى ترجع إليه أجزاؤه ، وهو من أجزاء صناعة اللحون ، مقيدا ببعض الألسنة والأغراض . والقوافى وهى أحكام فى بعض فن الشعر من جهة اللسان . والكتابة وهى تصريف

---

(١) فى : ها (مايحتاج)
(٢) ساقطة من : س ، ظ
(٣) فى : س ، ط (صراها) وقد أسس الشيخ الأكبر طريقة على العلم. وتحدث عن فضله حديثا رائعا فى أول كتابة « مواقع النجوم »
(٤) فى الأصل (تشرف) وفى ظ (تشوق)
(٥) ساقطة من : الأصل
(٦) ساقطة من : س
(٧) فى : ط (العوالم) تحريف
(٨) فى : ط (هو)

الـكلام المسجع والمرسل فى الأغراض خبرا واستخبارا ، وطلبا وغيره. بشروط ذلك ، ويتعلق به علم البيان ، وهو ينظر فى أحوال المعانى من الفنين. وصنعة البديع وتنظر فى أحوال الألفاظ ومايعرض لهـا عند الإضافات والتركيبات التماسا لـكمال واجتنابا لضده ، والتاريخ وهو الأخبار الماضية ويتعلق به النسب والسير ، وحسبه بعض الناس من علوم الأدب . والزجر ، وهو الاستدلال بالألفاظ وحركات الحيوان على أمور مستقبلة . والسحر وهو الحيلة على استمالة النفوس حتى يقع التصريف . والسيميا من هذا القبيل . والعزائم رقى يداوى بها الجنون الذى يلم بالإنسان(١) . والحيل والنارنجيات إما مغاليط أو خواص . والشرعية كتاب الله وعلم مدلوله من قصص وأحكام [١٩ ب] وموعظة وقراءات وناسخ ومنسوخ(٢) وهذا هو علم التفسير . وعلم الحديث . وهو المعرفة بالمتون والأسانيد والأغربة والناسخ(٣) والرجال . وعلم أصول الدين وهو (علم(٤)) الـكلام ، وهو الاستدلال على ما يحتاج فى العقد إلى الاستدلال من أمور المعبود وصفاته والنبوة والمعاد ، وعلم أصول الفقه . وهو الـكلام فى الأحـكام الشرعية عن الأدلة والفروع ، وهى الآراء المستنبطة من الأصول فى الأحـكام الجزئية . وعلم الوعظ وهو التزهيد فى الدنيا ، والترغيب فى الآخرة . وعلم التخلق ، (وهو)(٥) مكارم الأخلاق طرائق أهل الصوفية . وعلم المنامات . وما يدل عليه أصنافها ، وهو علم العبارة للرؤيا . والعلوم القديمة

---

(١) فى جميع الأصول . التى تنسب إلمامها بالإنسان .

(٢) النسخ فى اصطلاح الأصوليين إنهاء حكم شرعى . وإحلال حكم آخر بدله بنص شرعى جاء دليلا على انتهاء الحكم الأول . والناسخ هو النص الأخير الذى ارتفع الحكم الأول بمقتضاه وهو يلغى النص السابق . والحـكم الملغى هو المنسوخ .

(٣) فى الأصل (والمنسوخ) .

(٤) ساقطة من : ظ .

(٥) ساقطة من : س ، ط .

المنسوبة إلى الفلسفة . تشتمل على طبيعيات ورياضيات ، ومابعد الطبيعة فالطبيعيات وهو الأسفل وينظر (فيه)(١) فى الآثار العلوية الكائنة فى الجو من البروق والرعود وغيرها ، (ويعطى)(٢) أسبابها(٣) ، الكائنة فى الأرض ، والعلم بالنبات والحيوان ، ويدخل فيه الطب والبيطرة والبزدرة والفلاحة، والرياضيات وهو الأوسط ، فينظر (٤) فيه فى العدد وهو الحساب وخواصه (وحيله وفى الهندسة وهو المقادير والسطوح)(٥) والجسمات وفيه المساحة والتنجيم والهيئة وصناعة الألحان . والعلم الأعلى وهو مابعد الطبيعة ، والعلم الإلهى ينظر فيه فى وحدانية الله وما يوصف به ، وكيف صدر عنه الخلق ، وفى السياسات من ذات ومنزل ومدينة ، ويستعمل فى جميع أنحاء الفلسفة صناعة المنطق وصناعة المنطق تشتمل على قوانين(٦) إذا روعيت حصل بها اليقين فى كل صناعة أو علم :

---

(١) ساقطة من الأصل
(٢) ساقطة من : س ، ط
(٣) فى ط (أسبابهما)
(٤) فى س ، ظ (ينظر)
(٥) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل
(٦) ى : ط (قولين) وهو تحريف

الفصل الأول

جدول النقل (١)

وفيه مذنبان(٢)

شرط الوجوب ، وشرط الكمال :

فشرط الكمال أن يعلم بعض هذه العلوم ، فيعلم من علم الكلام مسائل يناظر بها عن اعتقاده ، كوجوب وجود الله عز وجل ، وإثبات الصفات واعتقاد رأى الأشعرية فيها ، وحدوث العالم وصدق النبوة والمعاد مستدلا على ذلك ، ومن فروع الفقه مايضطر إليه فى العبادات ويخص بخلته ومعاشه من قسم المعاملات ، ويعرف تأويل مايجب تأويله من كتاب الله ، ويحفظ كثيراً منه من المفصل فمادونه لصلاته ، وأن يحفظ من السنة شيئاً لآدابه ، ونهج سبيل اقتدائه ، ومن النحو ولو شيئاً من المبادىء ومن اللغة كذلك لكونهما آلة لهذه البضاعه ، ويترك باطنه فسيحا لما به علم الآخرة .

وشرط الوجوب من جدول النقل أن يعلم كلمتى الشهادة ، ويفهم معناهما ، ويحقق مدلولهما ، وهو قول « لا إله إلا الله محمد رسول » مريحا نفسه عن كشف ذلك لنفسه بالنظر والاستدلال وإقامة البرهان ، بل إعتقاده إياه ، وتصديقه به قطعاً ويقينا من غير شك ولاريب ولا تردد نفس ، فإن هذا [الكشف] يحصل للمؤمنين بمجرد التقليد والسماع ، من غير بحث ولابرهان . ويلحق بذلك كلمتا الإيمان ، الإيمان بالجنة والنار

---

(١) فى س ، ظ (البقل) . تصحيف .

(٢) هذا الفصل مؤخر على الفصل التالى له فى س ، ظ

والنشر والحشر ، حتى يؤمن بذلك ، إذ يلزمه من تصديق الرسول فهم المعنى من رسالته التي جاء بها وبلغها ، وأن من أطاع الرسول له الجنة ، ومن عصاه فله النار ، [٢٠ ا] .

ثم علم الطهارة والصلاة جميعا ، وإتقان ذلك مع سائر الأركان حسبما يتحصل من اختيار الحرث ، وفيه الأعمال ، وهذا القدر كاف مع مداومة العمل ، وإمحاض الوجهة إلى الله سبحانه ، ورفض الشواغل البدنية ، والترقي إلى الورع ، والانسلاخ من رق عالم الشهادة ، وما يضطر إليه من علم بعد هذا يحصل له نتيجة عن التقوى حسبما وعد الله إذ يقول : « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

الفصل الثاني

جدول العقل

وفيه مذنبان

شرط كمال ، وشرط وجوب .

فشرط الكمال فيه أن يعلم وجود ذات الله وقدمه وبقاءه ، وأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، ولا تتعين له جهة ، ولا يستقر في مكان ، وأنه واحد وأنه مرئى فى الآخرة ، ويعلم أنه حى عالم قادر سميع بصير متكلم ، منزه عن طروق الحوادث وإرادته كل ذلك قديم ، وأن أفعال عباده مخلوقة له . وأنها مرادة(١) له ، ومكتسبة لعباده(٢) وأن خلقه الخلق على سبيل التفضل وأنه يفعل ما يريد . ويكلف ما لا يطاق ، ولا يلزمه مراعاة الأصلح ، وأنه لا واجب إلا بالشرع وأن بعث الأنبياء من الجائزات ، وأن نبوة رسول الله (محمد)(٣) صلى الله عليه وسلم بنوة صحيحة ، ثابتة مؤيدة بالمعجزات ، وأن الحشر والنشر وعذاب القبور وسؤال الملكين ، والميزان والصراط ، وخلق الجنة والنار كل ذلك حق ثابت ، وإن اكتسب(٤) الاستدلال على ذلك أو أكثره كان إبراء له من مراعاة اعتقاد وجود الله وصفاته لايخلص فيه التقليد ، ويسمى كمال الكمال .

مثل أن يستدل على حدوث العالم بأن أجسامه لابد أن تكون ساكنة أو متحركة ، ولا يعقل جسم ببديهة العقل إلا ساكنا أو متحركا ، والحركة

---

(١) ق : س ، ط (مراد)

(٢) ق : ظ (عبادنه) تحريف

(٣) ساقطة من : س

(٤) ق : ط (الكسب) وهو تحريف

والسكون حادثان مما تبين ، وما لايخلو من الحوادث فهو حادث .

وعلى وجود الله : بأن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه ، وقد تبين أن العالم حادث ، فإذا لايستغنى فى حدوثه عن سبب .

وعلى قدمه بأنه لوكان حادثا لافتقر إلى محدث والمحدث إلى محدث ، ولزم التسلسل (١) وهو محال .

وعلى أزليته وأبديته (٢) وأنه يعدم ، فلو جاز أن يعدم شىء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد بنفسه . فكما (٣) احتاج حصول الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج حصول العدم لسبب ، ولا ينعدم بمعدوم (٤) يضاده لأنه لو كان قديما لاستحال وجوده معه ، وقد ثبت القدم ، وإن كان الضد حادثا كان محالا ، إذ ليس الحادث فى مضادته للقديم (٥) - حتى يقطع وجوده - بأولى من القديم فى مضادته للحادث برفع وجوده ، والقديم أقوى (٦) من الحادث .

[و] على كونه ليس بجوهر ولا متحيز ، أن كل جوهر متحيز مختص بحيزه ، ولابد أن يكون ساكنا فيه أومتحركا عنه ، فلابد من الحركة أو السكون وهما حادثان ، وما لايخلو من الحوادث فهو حادث .

---

(١) هو ترتيب أمور غير متناهية ، وأقسامه أربعة . لأنه إما أن يكون فى الآحاد المجتمعة فى الوجود أو لايكون فيها كالتسلسل فى الحوادث والأول إما أن يكون فيها ترتيب أولا . الثانى كالتسلسل فى النفوس الناطقة والأول إما أن يكون ذلك الترتيب طبيعيا كالتسلسل فى العلل والمعلولات والصفات والموصوفات أو وصفيا كالتسلسل فى الأجسام ، والأخيران دون الأولين (تعريفات الجرجانى ٣٩)

(٢) الأزل استمرار الوجود فى أزمنة مقدرة غير متناهية فى جانب الماضى والأبد استمرار الوجود فى أزمنة مقدرة فى جانب المستقبل . والأزلى مالا يكون مسبوقا بالعدم .

(٣) فى س ، ط (فلما)

(٤) فى س ، ظ : (بمعدم)

(٥) فى ظ (القديم)

(٦) فى ظ (أولى)

وعلى أنه ليس بجسم مؤلف من جواهر(١) ، إذ الجسم عبارة (٢) عن المؤتلف من الجواهر ، وإذا بطل كونه جوهرا مختصا بحيز ، بطل كونه جسما .

وعلى أنه ليس بعرض(٣) قائم بجسم : ولا حال فى محل ، أن العرض ما يحل فى الجسم ، وكل جسم فهو حادث ، ويكون محدثه موجودا قبله ، فكيف يكون حالا فى الجسم ، وقد كان موجودا فى الأزل وحده وما معه غيره ، ثم أحدث الأجسام ، والأعراض بعدها .

وعلى أنه عالم قدير [٢٠ ب] وهذه مستحيلة على الأعراض ، وقد تحصل من هذه الأصول أنه مستقل بذاته ليس بجوهر ولا عرض .

وعلى تنزيهه عن الاختصاص بالجهة : أن المعقول من كونه بجهة أنه مختص بالحيز أو مختص بالجوهر اختصاص العرض ، وقد استحال ذلك ، وعلى تنزيهه عن المكان ، وأن الاستواء على العرش بطريق القهر والاستيلاء ، وقد استوى بشر على العراق ، فلو نزل على التمكين والاستقرار لزم كونه جسما مماسا للعرش وهو محال .

وعلى كونه (٤) مرئيا بالبصر فى الآخرة . كما جاز(٥) أن يعلم من غير كيفية ولا صورة جاز أن يرى كذلك .

وعلى أنه واحد قوله : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .

---

(١) سبق التعريف بالجواهر

(٢) فى : س ، ط (من المؤتلف)

(٣) العرض ما يعرض فى الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق واللمس وغيره مما يستحيل بقاؤه بعد وجوده .

(٤) فى : ط « لونه » وهو تحريف »

(٥) فى ط « جاء » وهو تحريف

وعلى أنه قادر أنه من رأى ثوبا حسن الرقم ، ثم توهم أن يتجه صدوره عن ميت ، أو إنسان من غير قدرة لم يعد من العقلاء .

وعلى أنه عالم . لا دليل أقرب من قوله : « ألا يعلم من خلق » فقد أرشدنا إلى الاستدلال بالخلق على العلم :

وعلى أنه حى . من ثبت علمه (وقدرته)[١] ثبتت حياته .

وعلى كونه مريدا لأفعاله . أن كل فعل صدر عنه أمكن صدور ضده . وما لاضد له أمكن أن يصدر ضد (٢) ذلك منه بعينه قبله أو بعده ، والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة ، فلابد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين .

وعلى أنه سميع بصير . بأن السمع والبصر كمال ، فكيف يكون المخلوق أكمل (من خالقه) (٣) وعلى أنه متكلم بكلام هو وصف قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت . الكلام فى الحقيقة كلام النفس ، والأصوات قطعت الحروف للدلالة . وقال الشاعر :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن قال لسانى حادث، ومايحدث فيه بقدرته الحادثة قديم ظاهر الجهل .

وعلى أن كلامه القائم بنفسه قديم ، وكذلك جميع صفاته ، فإنه يستحيل أن يكون محلا للحوادث (بل يجب لصفاته من نعت القديم مايجب لذاته . لأن محل الحوادث)[٤] لايخلو عنها وما لايخلو عن الحوادث فهو حادث وإنما يثبت نعت الحدثان للأجسام .

---

(١) ساقطة من الأصل

(٢) فى : ظ « ضده »

(٣) ساقطة من : س ، ظ

(٤) مابين الحاصرتين ساقط من : س

ويتفرع من هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث الأصوات الدالة عليه .

وعلى أن علمه قديم ، وأنه لم يزل عالمـا بذاته وبما يحدثه . وبه حدثت المخلوقات ، وهى متشوقة له قبل حدوثها . إذ لو خلق لنا العلم بقدم زيد عند الفجر ، ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلع الفجر ، لـكان قدوم زيد عند طلوعه معلوما بذلك العلم من غير تجدد علم آخر .

وعلى أن إرادته قديمة متعلقة فى القدم بإحداث الحادثات فى أوقاتها ، على مقتضى العلم ، أنها لو كانت حادثة بذاته لصار محلا للحوادث ، وفى غير ذاته لم يكن هو مريدا بها ، ويفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى ، ثم أخرى ويتسلسل .

وعلى أنه حى بحياة ، وعالم بعلم ، وكذلك جميع الصفات ، بأن قول القائل عالم بلا علم وحى بلا حياة ، كقوله سخاء بلا مال ، وعلم بلا عالم ، وهو غير متصور ، فإنها متلازمات ولا يتصور فعل بلا فاعل ، ولا فرق بين جواز انفكاك العلم عن العالم ، وانفكاكه عن المعلوم .

وعلى أن كل حادث فى العالم اختراعه ، وكل فعل لخلقه فهو فعله ، إن قدرته تامة [٢١ أ] متعلقة بحركة أبدان العباد ، والحركات متقابلة ، وتعلق القدرة بها لذاتها ، فما الذى قصر تعلق القدرة على بعض الحركات ؟ وإحكام بعض الحيوان للصنائع مـع كونها ليست ذوات فكر ولا روية من الدلائل[1] .

وعلى كونه متفضلا بالإيجاد من غير وجوب . أن المراد بالواجب ، إما الفعل الذى فى تركه ضرر ، إما آجل ، كما يقال يجب على العبد طاعة مولاه ، أو عاجل ، كما يقال يجب على العطشان أن يشرب الماء حتى لا يموت

---

(١) لأن مناط الاختراع عند المخالفين وهو العقل مفقود عندها فلم يبق إلا التسيير بالإلهام الإلهى ، وذلك مثل إحكام الطيور لأعشاشها ، واهتداء سمك السالمون لوطنه بعد إبعاده عنه

أو يراد به الذى عدمه يؤدى إلى محال ، كما يقال وجود المعلوم واجب ، إذ عدمه يؤدى المحال ، فإن أراد بأن الخالق واجب عليه بالمعنى الأول فقد عرضه الأضرار[١] أو الثانى فهو مسلم ، إذ بعد سبق العلم لابد من وجود المعلوم ، (أو الثالث فهو غير مفهوم)[٢] ، فإن قال يجب لمصلحة عباده فهو فاسد ، لأنه إذا لم يتصور ترك مصلحة العباد لم يكن للوجود[٣] فى حقه معنى .

وعلى جواز تكليف مالايطاق عليه . أنه لو لم يجز لاستحال سؤال رفعه[٤] ، وقد سئل فى القرآن ، وأخبر الله نبيه (صلى الله عليه وسلم)[٥] بأن أبا جهل لايصدقه ، ثم أمره أن يصدقه . وعلى أن له إيلام الخلق من غير جرم سابق ، فإنه متصرف فى ملكه ولايتصور أن يعدو ملكه ، والظلم التصرف فى ملك الغير ، وهو محال عليه ، ولايسئل عما يفعل ، لأنه لا يجب عليه شىء ، ولا يعقل فى حقه الوجوب .

وعلى أن معرفة الله وطاعة واجبة بإيجاب الله والشرع لابالعقل . أن العقل إن أوجب الطاعة . فلغير فائدة . وهو محال . إذ العقل لا يعبث ، او لفائدة . فيرجع [العوض] إلى المعبود ، وهو منزه عن الأعواض والفوائد ، أو للعبد[٦] وهو لا غرض له فى الحال بما يتعبه ويصدفه[٧] عن شهواته وليس فى المال إلا ثواب وعقاب . ولم يميز ذلك إلا الشرع .

---

(١) فى : س « للضرار » .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من « ظ » أما عدم فهم، فلأنه تحصيل حاصل وهوالوجوب العقلى لأن عدم وجود المعلوم يؤدى إلى المحال

(٣) فى الأصل « الوجود » والتصحيح من « س ، ظ » .

(٤) فى « س، ظ » (دفعه) ولا تحملنا مالاطاقة لنا به

(٥) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل « وزيد من . س » .

(٦) فى : س . والعبد .

(٧) فى : س : (ويصرفه) والمقصود أنه لافائدة تعود على العبد عاجلا من ترك الشهوات ومن المجاهدة فى العبادة .

وعلى أنه لا يستحيل بعث الأنبياء لكون العقل مندوحة عنهم ، أن العقل لا يهتدى إلى الأفعال المنجية فى الآخرة ، فإن العقل كما لا يهتدى للأدوية المنجية من المرض ، كذلك لا يهتدى المنجية فى الآخرة سواء . فالنبى طبيب يعرف صدقه بالمعجزة ، كما يعرف صدق الطبيب بالتجربة .

وعلى أن الله نسخ بشريعة نبينا (محمد)[١] صلى الله عليه وسلم الشرائع وختم به النبيين ، المعجزات[٢] ، ونطق الجمادات[٣] ، والقرآن الذى قطع به معارضة العرب فى عنفوان البلاغة ، وعصمته مع الإجماع على قتله ، وإتيانه بالحكم ، وإنباؤه بالغيب مع الأمية[٤] ، ووجه دلالة المعجزة على صدقه : أن كل ما عجز عنه البشر ؛ لا يمكن أن يكون فعله إلا لله ، فمهما كان مقرونا بتحدى النبى ، نزل بمنزلة قوله صدقت . كقول[٥] من يخاطب الرعية عن الملك بين يديه ويقول : إن كنت صادقا قم عن[٦] سريرك ثلاثاً واقعد . فإنه إن فعل الملك ذلك ، حصل العلم الضرورى أن فعله بمنزلة قوله صدقت .

وعلى صدق ما أخبر به من حشر ونشر . إمكانه عقلا . ومعناه الإعادة : أنه مقدور له كابتداء الإنشاء ، والإعادة ابتداء ثان ، فهو ممكن كالابتداء الأول .

وعلى فتنة القبر والملكين : بأنه ممكن ، إذ ليس يستدعى إلا إعادة[٧] (الحياة)[٨] بجزء من الأجزاء يفهم به الخطاب . وهو ممكن إذ النائم

---

(١) ساقطة من : س ، ظ
(٢) فى الأصل « بالمعجزات »
(٣) فى : س « الجماد »
(٤) فى : ط « الأئمة » تحريف
(٥) فى : ط « لنول » تحريف
(٦) فى : ظ ، « إلى سريرك »
(٧) فى : س ، ظ . « الإعارة »
(٨) ساقطة من : س ، ظ

ساكن بظاهره، وهو يدرك الآلام بباطنه، ويحس بأثر هذا[١] عند (التنبه)[٢] وعلى الميزان والصراط أن (الله)[٣] القادر على الإيجاد، قادر أن يحدث في الأعمال وزنا تصير به [٢١ ب] معلومة. وكما يسير الطير في الهواء، يسير[٤] الإنسان على صراط.

وعلى خلق الجنة والنار، إجراء قوله « أعددت » على الظاهر؛ فهذه تفاصيل من[٥] البرهان والإقناع، وماوراء ذلك من إقامة القواعد فهي من السمعيات، وشأنه منه شأن غيره؛ ولو وجدنا أقرب إلى النفوس العامية مما جلبنا لجلبناه، فكتابنا مقصوده غير هذا، ولو فرغناه للكلاميات لاجتهدنا واخترنا وانتقينا؛ والإحاطة لله.

وشرط الوجيز في هذا الجدول مع الاختصار؛ هو لباب (ما)[٦] تقرر من هذه المسائل الجارية مجرى الاستدلال؛ وترك ما يقع فيه التوقيف إلى التوفيق[٧]؛ والقصد به إلى الأهم فالأهم؛ والله ولي الإرشاد سبحانه (لا إله إلا هو)[٨] (رب العرش العظيم)[٩].

---

(١) في : ظ . بأثرها ، وفي س . ويحس بها

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من س ، ظ

(٣) ساقطة من : س ، ظ

(٤) في : ط . بصير

(٥) في الأصل : بين . والترجيح من : س ، ط

(٦) ساقطة من : ظ

(٧) في : ط ، س . التوقيف خطأ

(٨) ساقطة من : ط

(٩) ساقطة من : س ، ظ

الفصل الثالث

فى المقدار المحتاج إليه من هذا الماء

قال المؤلف (رحمه الله) (١)

ولما كانت حركات الفلاحة فى غرس الأشجار، وبذر أصناف النبات يحصرها زمان محدود، وفصل موجود، يسمى العمل فى أوله مبادرة وتبكيرا وفى وسطه توسطا واعتدالا، وفى آخره تأخيرا وتفويتا، وإن أفرط سمى خسارا وتضييعا وإن فرط (٢) خرج الوقت، ولم ينظر فى الإسم ولا فى المسمى، ولا يمكن رد الوقت، ووقع الندم، وتقطعت الأسباب، وصفرت الكف

وكذلك هذه الفلاحة، فصلها المقدر لها العمر. بين (٣) إثارة مدره واجتناء ثمره، ولم يتبين حده، ولا تعين غرضه.

ومباشرها وهو الفلاح بتوقع الفوت، وخروج الفصل مع الأنفاس، فإن تشاغل صاحب هذه المهنة باستعظام المياه ووزنها، والاستكثار من تعرف أوصافها، والنظر فى المياه بحكم الانجرار: من أجاج وملح، وعذب مشروب، وزعاف متروك، وإحصاء المنافع وهيآتها (٤)، ونسبتها إلى الأماكن، وذكر ماتمر به فى جداولها من الأحواز، وما تنبته حافاتها من العشب على اختلاف، ([ف] قد) (٥) ضاع له الوقت فى غير فائدة،

---

(١) فى: س، ط، (رضى الله عنه)
(٢) فى جميع الأصول (وإن ز د خرج الوقت) وما أثبتناه أوضح.
(٣) فى: ط (من إثارة مدره)
(٤) فى: ط (ومسآتها) وهو تحريف. وفى: س (وحياتها)
(٥) ساقطة من: ظ، س

وكذلك إن جلب من هذا الماء (مقدارا[١]) فوق الحاجة مع غنى هذه الأرض وودكها[٢] وكرمها، ساء أثره، وأفسد المسالك والمشارب إكثاره، وغمر، طبيعة الأرض برده، وحشد[٣] الخصب كثيره، ومرج الأرض نفعه، وكثر العشب إغراقه[٤] وركوده، وتعذر على الفلاح عند الضجر به قطعه، وأعياه من شدة ردمه، وكان بعلاجه عن ضرورات الفلاحة شغله، وضايقه فى مصلحة الأرض همه به وفكره، ولله در القائل.

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى

والاستصحاب[٥] عند خوف الإفساد مشروع، ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم «حوالينا لا علينا» معروف، وقوله «نافعا غير ضار» مشهور، ولا حاجة بصاحب الفلاحة إلى علم ما لا يفيد عمل الفلاحة، من حيث كونه فلاحا، وما لا يحقق[٦] به أصولها وفصولها، وبقدر[٧] توافر اقتدائه بمشيختها، أولى الشهرة وأعلام الاقتداء، الذين أثروا من كدها، واستغنوا عن محاولتها[٨] تكون قرة عينه، وصلاح غلته، وزكاء ريعه، إذا وافق مشيئة ربه.

وقد قطع كثير من الناس فى زماننا وقبله الاشتغال بعلم هذه الفلاحة عن عملها فى المدن والمجتمعات، فكانت لهم الشهرة [١٢٢] بالكلام

---

(١) ساقطة من : س . وفى : ظ (كذا فوق الحاجة)

(٢) الودك دسم اللحم واستعير هنا للأرض الخصبة

(٣) فى : ظ «حشر» تحريف

(٤) فى : س ، ظ : وكثر العشب إغداقه

(٥) أى استصحاب العلم المناسب للفلاحة والأدعية . وفى : ط . الاستحضار

(٦) فى الأصل « تحقق » تصحيف

(٧) فى ظ : « بقدر » تصحيف

(٨) فى الأصل « عن مخاولتها »

فى الآلات ، وأوصاف السائمة ، وتفصيل الحبوب[١]، وتقدير الشروب والمهارة فى معرفة الأنواء والتراوس على الزارعين ، وكانوا عند فوز العاملين بنتائج كدهم ،وفوائد إيمانهم عالة يقفون[٢] بين يدى الفائز بالجنى ، العائد من نصيب الكد بنيل المنى ، ينادون «تصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين » ولا يجمل بذى المروءة أن يكون كلا على غيره ، ولا يحك جلد أحد مثل ظفره .[٣] جعلنا الله عن أرشد سعيه ، ووفق قصده .

وعند أخذ الكفاية من السقى ، وصرف الوكد[٤] ، إلى رعى مصلحة الأرض وتحليه ما بينها وبين شمس تجلى الحق ، ألقت ما فيها بإذن ربها جل جلاله ، فلاحت العجائب الغائبة ، ووقع الانتقال من درجات المعاملة إلى الكشف ، ثم اعتلقت اليد بالعروة الوثقى ، « والله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب » .

---

(١) فى الأصل « المحبوب » .

(٢) فى الأصل « يفقهون »

(٣) شير إلى قول الشاعر :

ما حك جلدك مثل ظفرك   فتول أنت جميع أمرك

(٤) فى : ط « الولد » تحريف .

الفصل الرابع

فى غبار التكوين، وسبب التكييف والتلوين

قال المؤلف (رحمه الله)[1]

وبحسب دمن هذه الأرض يكون ريعها .

وهو قسمان :

حلال يزكى الفلاحة وينفعها ، وحرام يذهب البركة ويرفعها ، فمنزلة الحلال لديها منزلة إدمانها بما جرب غبطه ، وخبر نفعه . وظهر على الخضر سره ، ومنزلة الحرام منها منزلة إدمانها بالرماد والجيار ، وذريع البحار[2] يملأ الأرض سما ، ويوسعها ضرا ، ويقطع منها النبات رأسا .

وثم غرض ثالث : وهو مانخل[3] من قشم[4] الحلال بمنخل الورع حتى لم يبق فيه العلاج حجرا صلدا ، ولا عظما صلبا ، ولا بذرا مضرا ، وأرض هذه الشجرة بخصوص لاتحتاج من هذا الغرض إلا بلغة يسيرة ، مما عولج بمنخل الورع ، فهى لزكاتها عنه غنية ، وبالزهد فيه كريمة سنية ، والتشوف إلى أصنافه محال على كتب الفقه فلينظره فيها من أراد .

---

(١) فى : س ، ظ «رضى الله عنه » .

(٢) ما يجلبه الماء المالح من فساد الزرع

(٣) فى : ط (يخل) تحريف .

(٤) من معانى القشم تنقية الطعام الردىء من الجيد والمراد هنا تصفية المباح مما فيه شبهة بميزان الورع ، وهو تحرى الحلال الخالص من شبهة الحرمة ، ولو كان مباحا .

الاختيار الرابع

فى الحرث وإخراج لبن هذه الفلاحة من بين الدم والفرث

وينقسم إلى ثلاثة أقسام

القسم الأول من الاختيار الرابع

فى القليب الأول

قال الله عز وجل :

« من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب » .

وهذا القليب هو شق الأرض بمحراث التكليف ، وتهيئتها لما يراد منها من إيداع بذر ، وغرس نواة، والمقصود به الطهارة من الأحداث الظاهرة ، والأحداث والنجاسات من [تناول] جماد أوحيوان أوأجزائهما ، حسبما فصل فى كتب العبادات من الفقه .

والمستعمل فى إزالتها جامد كالحجر ، ومائع وهو الماء الذى لم يفاحش تغيره ، وصورة الطهارة تنظيف الجوارح الخاصة ، ثم تنظيف البدن على العموم ، من استنجاء ، ووضوء ، وطهارة كبرى[1]،وكل مالا يتوصل إلى واجب العبادة إلا به .

وصورة التيمم النائب عن الماء إذا تعذر ،كل ذلك متداول معلوم

---

(١) هى الغسل من الجنابة .

الشروط والأركان ، معروف المظان من كتاب ، ومعلم أهل الأسواق كثير الوجود والحمد لله .

ثم الصلاة ، وحركاتها ، وكونها من نية وتكبير وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود وتشهد معروف أيضا [٢٢ ا] ، واختلافها فى العدد والسر والجهر بحسب ليل ونهار وجمعة وعيد وجنازة وخوف واستسقاء ونافلة معروف ، [وما] يتخللها من آداب ومنهيات ، وإصلاح علل ، وإرقاع خلل ، ودعوات ووسائل كثير ، وموجود مشهور ، معقود الخلق مفتح الفاق .

ثم الزكاة ، وأنواع الزكاة من النعم السائمة ، والنقدين(١) ، والتجارة ، والمعادن ، والركاز ، والمعشرات(٢) ، وزكاة الفطر ، وشروطها من الملك والنصاب ، وحئول الحول ، وتحقيق نوع المزكى ، وجعل ذلك فى الأصناف الثمانية المذكورة فى القرآن(٣) .

ثم الصوم ، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والمواقعة من(٤) فجر اليوم المصوم (فيه)(٥) ، إلى مغيب شمسه(٦) بشروط ذلك : من رؤية(٧) الأهلة فى الفرض ، والنية والإمساك عمدا ، و[ما] يتبعه من الفضائل سحورا وسواكا ، واعتكافا وكفا للسان ، ويلحق به من التطوع والأوراد ماهو أيضا معروف والحمد لله .

---

(١) فى الأصل (النقدان) خطأ .

(٢) الركاز المال المدفون . والمعشرات ما يجب فيه العشر أو ربع العشر .

(٣) جمعت هذه الأصناف فى قوله تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

(٤) فى : ظ (فى) تحريف .

(٥) ساقطة من : ط ، س .

(٦) فى : ظ ، س (شفقه) .

(٧) فى : ظ (رواية) تحريف .

ثم الحج وما يشتمل عليه من ركن وشرط ، بحسب مراعاة حجة الإسلام وغيرها ، كالوقت والدين والبلوغ والحرية والعقل والاستطاعة والإحرام والسعي والطواف والحلق ، وأحكام العمرة وما يتبع ذلك كله من أدب ونسك ودعاء ونية ، ثم كال زيادة ، وهذا أيضا كله مقرر معروف ، حتى لا يخلو مصر من حاج قد تعلمه ، ومن رفقاء[١] تعلمه[٢] ، والحمد لله .

ويكون هذا القليب الأول لنظر ناظر الإسلام ، ولنقتصر منه على هذا القدر .

---

(١) في الأصل (رفقائه) .
(٢) في الأصول (تسلمه) . وما أثبتناه أوضح .

القسم الثانى ، وهو إعادة السكة(١)

وهو فى الطهارة وتطهير الجوارح من الجرائم والآثام ، بكفها عما ينكر شرعا من وظائف أذن وعين ولسان وفم ويد وفرج ورجل ، ولكل واحد من هذه الأعضاء تصرفات تخصه .

ثم فى الصلاة ، وهى تحصيل المعانى التى تتم بها حياة الصلاة ، من الحضور بالقلب ، والتفهم للذكر ، والتعظيم لله ، والهيبة لمناجاة الله ، والحياء من الله.

ثم فى الزكاة . وهى أن تعلم أن الزكاة تمام للوفاء بكلمة التوحيد ، للاستهانة بالمحبوب للنفس وهو المال ، فى سبيل المحبوب الموحد ، وتطهير النفس من صفات البخل ، وشكر نعمة المال وأمثال ذلك .

ثم فى الصوم كف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الآثام كما تقدم .

وفى الحج بجعل الوجهة إليه أنموذجا من القدوم على الله ، ومفارقة الأهل بقصد السفر بمفارقتهم برحلة الموت (والزاد ، إشارة إلى زاد التقوى ، والراحلة الموت)(٢) إلى الدار الآخرة ، وهى الجنازة المقطوع بركوبها ، والثوب غير المخيط للإحرام الكفن ، ولفه فيه ارتداؤه ، وأمثال ذلك من التلبية ، وإجابة أذان الله ، وإقبال الخلق من كل فج عميق حشرهم وازدحامهم فى عرصات القيامة ، والطواف بالبيت حال الملائكة الحافين من حول العرش(٣) ، والنظر إلى البيت النظر إلى صاحب البيت جل جلاله ، وأمثال هذا . ويكون هذا الحرث الثانى لنظر ناظر الإيمان .

---

(١) السكة : أى المرة من حرث الأرض ، والمراد تعاهد النفس بالتربية والترقية مرة بعد مرة .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٣) فى : س . (بعرش الله) وفى الأصل ء ظ . (بحول العرش) وما أثبتناه أوضح

القسم الثالث ، فى الطهارة

[وهى] تطهير القلب عما سوى الله ، ووضوؤه(١) تنقيته(٢) عن الأخلاق المذمومة ، والشهوات الممقوته .

وفى الصلاة صحة وجهته [٢٣ ا] ، وانتصابه فى قبلة التوحيد .

وفى الزكاة خروجه عن قنية عوائده .

وفى الصوم صومه عما سوى الله ثم صومه عن رؤية صومه(٣)، ويحصل الفطر من هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله .

وفى الحج بخروجه عن نفسه إلى مقام التجريد عن أهواء(٤)(نفسه)(٥) وموته عن عوالم عوائده .

وبالجملة فى الجميع تطهير السر عن السوى ، وصرف وجهة(٦) الهمة إلى الحق ، وبذل كل محبوب سواه ، والصوم عن رؤية الصوم ، والحج إلى فضاء الشهود(٧) ، ويكون هذا الحرث الثالث لنظر ناظر الإحسان .

وهذه العمارة منها ما يتقدم الغرس، ومنها ما يتأخر عنه ، ويتخلل هذه الأعمال من نكت(٨) العمل، ونوافل الخير ، ودواعى تأكيد الميل، وتحرك قوى المحبة كثير ، والله عنده حسن المآب .

---

(١) فى الأصل (وضوئه) .

(٢) فى الأصل ، س ، ظ (وتنقيته) .

(٣) أى نسيان صومه . وعدم النظر فيه على أنه عبادة لله ، بعد عقد النية ابتداء . وذلك هو الفناء عن العمل .

(٤) فى : س . (وأهوائه) .

(٥) ساقطة من: س .

(٦) فى : ظ (وجه الهمة) .

(٧) أى أن العابد يجب أن ينسى أعمال العبادة ويتوجه أثنا ها إلى الشهود اللانهائى الخالى من التشبيه والتمثيل .

(٨) فى : ظ (من نكث العمل) تحريف .

وعند تمام العمل ، وفوز اليد بالغلة ، والنظر إلى هذه الفلاحة بعين الجمع(١) يتجلى له سر قوله تعالى :« أفرأيتم ماتحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون »، وتمام الإشارة يلمح من طاق أقسام المحبة إن بلغنا الله إليه(٣).

(قال)(٤) أبو الفرج : إذا استصلح القدر أرض قلب ، قلبها بمحراث الخوف ، وبذر فيها حب المحبة ، وأدار فيها دولاب العلم(٥)، وأقام ناطور المراقبة ، فاستوى زرع التقى على سوقه .

تنبيه :

ولا يعارض إحكام عمل الفلاحة كون مايغرس(٦) شجرة لاحبوبا ، ففلاحة الأرض أصل لما يزرع(٧) ، ثم إننا نجعل عوض العشب الذميم عشبا كريما ، ولا بد فى هذا كله من الإثارة ، وتتميم عمل الفلاحة .

---

(١) الجمع يستدعى الكلام عن التفرقة ، والفرق مانسب إليك ، والجمع ماسلب عنك ؛ ومعناه أن ما يكون كسبا للعبد من إقامة وظائف العبودية ، وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق . وما يكون من قبل الحق من إبداء معان ، وإبتداء لطف وإحسان فهو جمع . ولا بد للعبد منهما . فمن لاتفرقة له فلا عبودية له ، ومن لا جمع فلا معرفة له ، وقد جمع بينهما فى قوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فالفرق بداية الإرادة والجمع نهايتها . الجمع هو شهود الأشياء بالله والتبرى من الحول والقوة إلا بالله . وأما جمع الجمع فهو الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله وهو مرتبة الأحدية .

(٢) سورة الواقعة .

(٣) فى : ظ « به » .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

(٥) فى جميع الأصول « دولاب العين » وما أثبتناه أوضح . والمراد بإدارة دولاب العين نزف الدموع . التى تقوم مقام عين الماء للزرع .

(٦) فى : ظ ، س « يغرسه » ،

(٧) فى : ظ ، س « يغرس » .

الاختيار الخامس

فى تنظيف الأرض المعتمرة ، من الأصول الخبيثة والحجارة المعترضة ، والعشب المذموم

وفيه فصول

الفصل الأول

فى قلع الأصول المفسدة

وهى جدرة [١] قدم [٢] العالم ، وجدرة أن الله لا يعلم الجزئيات ، وجدرة الاتحاد والحلول ، وجدرة الكسب والجبر والقدر ، وجدرة التناسخ ، وجدرة الإباحة .

وهذه هى أمهات الشكوك ، التى تعارض السكة أصولها ، وتضايق الشجرة جرائيمها ، فإذا نقيت الأرض منها وجدت عروق الشجرة مسارب [٣] فى الأرض فسيحة ، ومسالك فى الترب نافذة ، فليحل الفلاح عليها أنوس الأدلة ، ويجتهد فى الإراحة من هذه العلة .

جدرة قدم العالم [٤] يخرجها من الأدلة العقلية تقدير أن جميع العالم جائز الوجود لا واجبه ، بدليل جواز الآحاد ، والجمل متركبة منها ، ولأن العقل بنظره [٥] لا يحيل انتفاء كونه (ثم) وجود [٦] الآحاد على اختلاف صفات

---

(١) الجدرة الواحدة من النبات .

(٢) فى : س ، ظ (حدث العالم) وهو خطأ لأن اعتقاد حدوث العالم ليس من أمهات الشكوك . كما قرر المؤلف .

(٣) فى: س (مشارب) .

(٤) فى الأصل : جدرة حدوث قدم العالم . وفى س، ظ حدوث العالم .

(٥) فى : ظ (ينظر).

(٦) ساقطة من ظ، س .

وأحوال وأوقات دليل على أنه (١) متخصص باختيار ، والمتخصص بالاختيار يلزم فى العقل أن يكون فعل فاعل مختار ، فثبت بهذا حدوثه ووجود محدث مريد قادر .

ومن السمعية : «إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض» . «الله خالق كل شىء» . «إنا كل شىء خلقناه بقدر» . «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا» . «والله خلقكم وما تعملون» .

ومن الحديث «كان الله ولا شىء معه» وهو معنى اسمه الأول . «وهو الأول والآخر» .

واتفقت الشرائع أن مبدأ نوع الإنسان : إنسان هو أبو البشر كلهم : آدم .

جدرة علم الله الجزئيات ، خلافا لمن ذهب إلى إنكار ذلك [٢٣ ب] .

يخرجها من الأدلة العقلية : تقدير أن اختلاف آحاد العالم بالصفات والأحوال والأوقات يستلزم فى العقل تخصيصا بإرادة ، والمراد يجب أن يكون معلوما ، إذ لا يتوجه القصد إلا على ما يدخل فى العلم ، فلا يقع من المقدور جزء ما(٢) إلا مخصصا بالإرادة التابعة للعلم .

ومن السمعية «إن الله بكل شىء عليم» . «وأن الله قد أحاط بكل شىء علما» ، «وأحصى كل شىء عددا» ، «وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، [ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين] » ، «وهو بكل خلق عليم» «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» .

---

(١) أى العلم .
(٢) فى : ظ ، س (جزاما) تحريف .

تنبيـــه :

فإن قيل : ما لا يتناهى من الممكنات لايصح دخوله فى الوجود . لأن وجود المخلوق متناه . فكيف يصح فى العلم وهو حاصر المعلوم ، والحصر تناه (١) . قيل : هذا نظر فى كيفية تناول العلم القديم لمعلومه ، وذلك مجاوز للعقل (٢) ، وهكذا فى جميع الكيفيات المضافة إلى القديم ، ولا قياس فى العلم القديم الذى لا يتناهى ، على العلم الحادث المتناهى ، لاسيما والعلم المخلوق قاصر متعدد بتعدد المعلومات ، والعلم القديم واحد عام (٣) ، فهو تعالى يعلم مالا يتناهى بعلم لايتناهى .

وقول من قال فى العلم القديم : إنه يتعلق بالكليات . إن أرادوا بالكليات نسبة جامعة لجزئيات المعلومات ، فلم يخالفوا . وإن أرادوا أن الآحاد والجزئيات غير معلومة ، فإن كانت مما سيوجد فيلزم أن تتعلق بها(٤) الإرادة بالكون ، ولايصح فى العقل أن يراد ما لايعلم ، وإن كانت مما لايوجد ـ وتلك النسبة أمر عام ـ فهذا غير معقول . إذ لايعقل أن تعلم نسبة جامعة لحقائق (٥) إلا مع العلم بتلك الحقائق .

---

(١) أى كيف يصح دخول مالايتناهى فى العلم بينما العلم يحصر المعلوم والحصر تنـاه فى الوجود والأعتراض جدلى صرف كما ترى..

(٢) فى الأصل (مجاز العقل) وكذا فى . س وفى: ظ (مجاوز العقل) .

(٣) أى محيط إحاطة شاملة أزلية أبدية . فمثلا . إذا رأينا نخلة فأن حدود علمنا . أنها زرعت سنة كذا وجلبت فسيلتها من مكان معلوم وزرعها فلان ويبيع بعض ثمرها فى سوق كذا ويهدى بعضه ويأكل بعضه . أما علم الله تعالى فيتوغل فى الأزل فى نسبها . ويعلم من الأزل إلى الأبد تحديد كل ثمرة ومن سيأ كلها ونواها ومايزرع منه وزارعه والأرض التى تزرع فيها وعدد ماينبت منها من نخل وما يطعم منها من حيوان أو يداس فى الوحل ، ومايصنع منها من أدوات . وكل مايتصل بها يعلمه الله قبل أن يوجد .

(٤) فى الأصل (به) .

(٥) أى نسبة عدم الوجود للجزئيات التى لاتوجد لايمكن أن تعلم هذه النسبة أو هذا الحكم بعدم الوجود . إلا بعد العلم بتلك الحقائق التى حكم عليها بعدم الوجود .

جذور الاتحاد والحلول:

وهما من مقالات النصارى، وأن الإلهية حلت فى عيسى أو اتحدت به ، وبذلك كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ، وهذا لايكون إلا بالقدرة القديمة (١) وهو باطل .

ومن أدلته العقلية : أما الحلول فيلزم منه الافتقار والحاجة إلى محل ، والمماسة (٢) والانتقال ، وهذه صفات الأجسام .

و [أما] الاتحاد فتقرير الرد عليه : أن الثنوية إذا اجتمعت ، إن هى بقيت فلم تتحد ، وإن زالت فلم تجتمع ، (٣) وإن أرادوا أن الصفة التى هى القدرة القديمة حلت أو اتحدت ، فزايلة الصفة القديمة لموصوفها محال فى العقل ، ولا يصح عليها حلول ولا اتحاد بجسم ، ولا انتقال للجسوم .

وأدلة السمع فى هذا الباب كثيرة واضحة ، قال الله تعالى : ورسولا إلى بنى إسرائيل . . الآية ، وإنما(٤) فعل الله ذلك آية ومعجزة . وقوله « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم » .

---

(١) أى القدرة القديمة الحالة فى عيسى بزعمهم .

(٢) فى الأصل « والمجامسة » . تحريف .

(٣) نقل الشعرانى فى اليواقيت والجواهر عن الشيخ الأكبر قوله : « أعظم دليل على نفى الحلول والاتحاد الذى يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شىء وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها وإنما كان القمر مجلى لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شىء ولا حل فيه ... والمراد بالاتحاد حيث ورد فى كلام القوم فناء مراد العبد فى مراد الحق كما يقال بين فلان وفلان اتحاد إذا عمل كل منهما بمراد صاحبه .

وعلمك أن كل الأمر أمرى   هو المعنى المسمى باتحاد

[راجع أيضا . اللمع للطوسى مطبوعة نيكلسون : ٤٣٣]

(٤) الاتحاد لايكون إلا بين اثنين أو أكثر . فإن بقيت الثنوية أو الثالوث بقاء بالإسم . لم تتحد ، وإن زالت الثنويه أو الثالوث فليس هناك اجتماع وعليه فلا اتحاد .

(٥) فى : ظ « كأنما » .

تنبيـــه :

ولو جاز أن يحل فى شىء أو يتحد به لأمكن ذلك فى زيد وعمرو وذبابة ونملة .

فإن قالوا : إنما قلنا ذلك فى عيسى لوجود الدليل من الإبراء والإحياء فيقال : لايلزم من عدم الدليل (١) عدم المدلول ، بل ينتفى التجويز لما صح فى العقول . تعالى الله علوا كبيرا .

ومايلزم من ذلك غلاة الصوفية (٢) فهو يوهم هذا الباب وليس (به)(٣) إذ هم قسمان :

(قسم زعم أنه تلاشت رسومه) (٤) ، وقسم تدرج فى المراتب غير المكانية ولا الزمانية يبتغى القرب من الله حتى صح أن [ذلك] حقيقته العدم ، يعنى أن خلق الله صفته ، فالأشياء سواه أفعاله [٢٤ ا] وصفاته مع وجود الله عدم . وأنه إنما يتعين وجود وجوده بإدراكه ، وإدراكه بالله لابذاته . وفى ذلك أنشدوا :

تمنى المحب يرى علوة ... وقد شاع فى حبه وصفها
أعارته طرفا يراها به ... فكان البصير لها طرفها

ويظهر ذلك عند حب الله إياه ، وأنه سمعه وبصره ويده ، فإذن : ليس ثم إلا الله وأن الخلق له ، ثم به ، ثم لاشىء إلا الله فى الوجود . ألا كل

---

(١) أى من عدم الدليل على الحلول فى النمل والذباب وزيد وعمر ، ووجود الدليل فى عيسى بزعمهم فعدم الدليل فى الحالة الأولى لايلزم منه عدم المدلول أى عدم الحلول فى الذباب وغيره فيلزمهم لذلك القول بالحلول فى كل المخلوقات وهو محال .

(٢) من أئمة الصوفية الذين دار حولهم الحديث فى هذا المعنى . ابن عربى ، والجيلى . صاحب الإنسان الكامل ، ومحمد بن عبد الجبار النفرى . صاحب المواقف ، والحلاج ، وجلال الدين الرومى صاحب المثنوى .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) مابين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

شيء ماخلا الله باطل (١) ، وليس مرادهم أن شيئين صارا واحدا ، إنما مرادهم أن التوحيد الحقيق ، هو التخلص من ضيق عالم الحدوث ، إلى فسحة القدم ، وهو ثلاث درجات :

[الأولى] : العرفان التام المترجم عنه بأنا ، وليس إلا لله حقيقة وللسالك وهما (٢) لما استترت البشرية فى نور المعرفة ، واتحد العاقل والمعقول ، والعالم والمعلوم ، لاحت للعارف منهم حالة فى نفسه ، ليس فى الدلالة اللسانية مايدل عليها ، فساق أقرب الألفاظ الدالة [عليها] ، مع علمه فى الحال (الثابت) (٣) بأ (ن الله) (٤) لايتحد به شيء ، ولا يحل فيه .

والثانية : مقام الحاضر فى مقامات المكاشفة والمشاهدة ، الغائب عن الغيرية ، وترجمته : أنت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا احصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

والثالثة (مقام) (٥) الغائب المستدل بالأثر، المحجوب عن العيان بالخبر وترجمته : هو. وهو خطاب الجمهور « هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو » فمن زعم أنه اتحد بالله بعد أن كان غيره وصار معه شيئا واحدا لم يكن من الصوفية والمحققين فى شيء ، وهو إلى الهذيان أقرب .

---

(١) يشير إلى قول لبيد :

ألا كل شيء ماخلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل

(٢) أجمع الصوفية على أن الخلق لايجوز أن يكون فى رتبة الحق أبداً كما لايصح أن يكون المعلول فى رتبة العلة .

(٣) ساقطة من الأصل . وفى : س . الحال الثابتة .

(٤) ساقطة من الأصل

(٥) ساقطة من : ظ .

[القسم الثانى]:

ومن زعم أنه تلاشت رسومه ، وفنى عن وجوده ، ثم فنى عن فنائه ، وأدرك عند ذلك حقيقة ذاته ، [الإنسانية] وفنى من لم يكن ، وبقى من لم يزل(١) . ترك وتوقف فيه ، إذ الحكم لا يسع على تلك(٢) الحال برد ولا إثبات(٣) لأنها لا تعلم حقيقتها بالبرهان ولا بالنقل ، ومدعيها من أهل الاستقامة ، ولا يصح الحكم على ما لا يعرف ، إنما مستند هذه الدعوى الوجدان ، وهى من باب خرق العوائد ، لكن ينبغى ألا يصدق فى دعواها كل مدع وأسرار الله لا ينكر فيها الغامض والأغمض ، وهو على كل شىء قدير ، وكان حق هذا الفصل أن يجعل مع الثمرة ، لكن استدعته جرثومة الاتحاد ، ويتم الكلام عليه فى محله إن شاء الله .

جدرة الجبر والكسب(٤) والقدر :

وتقرير الحق فيه . أما الكسب فهو فعل يخلقه الله تعالى فى العبد ، مقرونا بما يخلقه له ، أى متعلقا بذلك الفعل ، من قدرة وإرادة وعلم ، وعلى محاذاتها ، فيضاف ذلك الفعل إلى الله خلقا ، لأنه خالق ذلك كله له ، ويضاف إلى العبد كسبا ، لأنه محله الذى قام به ، ومتعلق صفته ، وعلى

---

(١) ليس هذا من كمال العبودية عند الصوفية . قال الشيخ الأكبر فى لواقح الأنوار .. من كمال العرفان شهود عبد ورب ، وكل عارف فى شهود العبد فى وقت ما ليس هو بعارف وإنما هو فى ذلك الوقت صاحب حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده .

(٢) فى : ظ ، س « ذلك » .

(٣) يظهر أن النقاد لم يتفهموا تلك المسألة جيدا . فمن فنى عن وجوده ، ثم فنى عن فنائه وفنى من لم يكن ، وبقى من لم يزل لا يرى نفسه متحدا بالله تعالى إلا إذا كان زنديقا . بل هو يرى أن وجوده المستعار لا يحكم عليه بحقيقة الوجود ، بل حقيقة الوجود لله تعالى فلا موجود على الحقيقة إلا الله ، أما حال اللاشى التى يحسها فهى مزلة الأقدام ، فمن وفق فى سلوكه ، شهد فى حال التلاشى آثار الأسماء والصفات فى أخفى مراتبها ومن المناطق التى لا تصل إليها إلا الأرواح النافذة ، ومع ذلك لا تصل إلى الذات بأى حال من الأحوال ولا يمكن فهم هذه الحالة إلا سلوكا وذوقا .

(٤) فى : س « والكسر » خطأ .

محاذاتها ، وإذا كانت العرب تقول : حركت القضيب فتحرك ، فتجعل الحركة بين فاعلين : حركة المتحرك ، [و] ، فعلا(١) للمحرك ، وذلك(٢) أقرب لمكان القصد والعلم والقدرة .

ثم الطاعة والمعصية للعبد من حيث الكسب ، ولا طاعة ولا معصية من حيث الخلق(٣) ، وما للعبد من الكسب ، لا يجوز أن يضاف إلى الرب من الوجه الذى يضاف إلى العبد ، [٢٤ ب] لأنه من ذلك الوجه نقص ، إذ هو محل له ، مطيع له أو عاص ، وما لله من الخلق ، لا يصح أن يضاف إلى العبد ، لأنه إيجاد من عدم ، والفعل موجود بالقدرة القديمة ، لعموم تعلقها ، لا بالقدرة الحادثة ، فالحادثة تتعلق ولا تؤثر ، وهى تصلح للتأثير لولا الممانعة ، وهى بالمنع أحق من القدرة القديمة عند التوارد ، وكلتاهما متعلقة به ، ولا نكير فى قدرة متعلقة ولا تؤثر ، فإن القدرة القديمة فى الأزل متعلقة بالممكنات كلها ، ولا أثر فى الأزل لها .

وهذه الطريقة السنية جمعت الدلائل السمعية قال تعالى فى الخلق : « الله خالق كل شىء » . « إنا كل شىء خلقناه بقدر » « والله خلقكم وما تعلمون » . وفى مخاطبة العباد بحسب حظهم « تعملون » . « تفعلون » . « تكسبون » . « تصفون » . وأخبر عنهم [فقال] « من يعمل من

---

(١) فى : س ، ظ . كررت كلمة « فعلا » مرتين

(٢) فى الأصل « بذلك » وكذا فى : س ، ظ

(٣) حينما خلق الله الذهب والفضة ، لم يكن يجرى عليهما حكم الحلال والحرام ، أو الطاعة والمعصية ، بل هما من حيث الخلق يجردان من الحكم بأحدهما فلما وجد الناس وتكاثروا حكم على من يكنز الذهب بالمعصية ، وعلى من يسرف فيه بالمعصية وعلى من يعتدل وينفق بالطاعة ونفس إمساك الذهب وأقتنائه لا يحكم عليه بطاعة ولامعصية ، ولكن الطاعة والمعصية من حيث سياسة العبد للذهب والفضة . ولا يقال إن الله بخل على يد فلان ، ولكن يقل : إن فلانا بخل بما أعطاه الله حلالا فصار معصية ببخله هو .

الصالحات » « ومن يكسب خطيئة أو إثما » . « فاتقو الله ما استطعتم » . « لمن شاء منكم أن يستقيم » .

وأما الجبر فنفى الكسب وإثبات الخلق(١) ، وأن العبد فى قبضة القدر كالميت بين يدى الغاسل لاعلم له ولا اختيار ولاقدرة . هذا مذهب الجبرية . جحدوا الضرورة ، وخالفوا الأدلة المسموعة ، تقريره : أما جحدهم الضرورة فلأن الإنسان منا(٢) يفرق من نفسه بطريق الوجدان بين حركة اختيار واضطرار ، فحركة المختار تباين حركة المرتعش . فجحدوا بما

---

(١) وخلاصة مذهب الصوفية فى الكسب .. أن العباد لايتحركون ولا يتنفسون إلا بقوة يحدثها الله تعالى فيهم ، واستطاعة يخلقها لهم مع أفعالهم ، لا تتقدم ولاتتأخر من الفعل ، وللعبد كسب يثاب عليه ويعاقب ، وهو مناط التكليف ومعناه أن يفعل بقوة محدثة ويرى بعضهم أن الكسب أن يفعل لجر منفعة أو دفع مضرة لقوله تعالى : لها ما كسبت . وعليها ماأكتسبت . وأجمعوا على أن الناس مختارون لاكتسابهم مريدون له وليسوا بمحمولين ولا مستكرهين ولا مجبرين ، ومعنى أنهم مختارون عندهم أن الله خالق لنا اختيارا فانتفى الإكراه فى الأفعال وليس ذلك على التفويض . وفى ذلك يقول الحسن بن على رضى الله عنهما .. « إن الله لايطاع بإكراه ولا يعصى بغلبة ولا يهمل العباد من المملكة » ويقول سهل التسترى رضى الله عنه .. « إن الله تعالى لم يقو الأبرار بالجبر إنما قواهم باليقين » ويقول بعضهم « من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن أحال المعاصى على الله فقد فجر » وجمهورهم على أن الجبر مستحيل ، قالوا إن الجبر لا يكون إلا بين المتنعين ، وهو أن يأمر الآمر ويمتنع المأمور فيجبره الآمر عليه ، ومعنى الإجبار أن يستكره العامل على إتيان فعل هو له كاره ، ولغيره مؤثر ، فيختار المجبر إتيان مايكرهه ، وبترك الذى يحبه ، ولولا إكراهه له وإجباره إياه لفعل المتروك وترك المفعول ، ولم نجد هذه الصفة فى اكتسابهم الإيمان والكفر والطاعة والمعصية ، بل اختار المؤمن الإيمان وأحبه واستحسنه وأراده وآثره على ضده ، وكره الكفر وأبغضه واستقبحه ولم يرده ، وآثر عليه ضده ، والله خلق الإختيار والاستحسان ، والإرادة للايمان والبغض والكراهة والاستقباح للكفر . قال تعالى « حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان » واختار الكافر الكفر واستحسنه وأحبه وأراده وآثره على ضده وكره الإيمان وأبغضه واستقبحه ولم يرده وآثر عليه ضده والله خلق ذلك كله قال تعالى « كذلك زين لكل أمة عملهم » وقال « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا » وليس أحدهما بممنوع من ضد مااختاره وبمحمول على ما اكتسبه ولذلك وجبت حجة الله عليهم [التعرف للكلاباذى القاهرة ص ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩] .

(٢) ن : س ، ظ (مايفرق) . تحريف .

ذهبوا إليه ضرورة الوجدان ، وأما مخالفة السمعيات : فإنهم أخذوا بآيات الخلق ، وأهملوا آيات الكسب ، وما أثبت الله من الصفات للعبد ، وساووا بين شرب الرجل الخمر وإبحارها(١) فى حلقة ، وهما فى حكم الشرع مختلفان ، وفيما يرجع إلى الحس والوجدان متباينان .

وأما القدر فبروز الأشياء للوجود على قدر ما سبق فى علم الله ، لسبق العلم بها(٢) أزلا . قال سهل : علم الله الأشياء وكتبها بالكتاب « يمحو الله ما يشاء ويثبت » .

والقضاء هو الحكم المثبت ، والقدر الشىء الواقع ، لأنه على قدر ما علم وكتب ، والعلم قد أتى على ذلك كله ، ويشهد لما قاله فى القضاء والقدر قوله تعالى : « إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون » وقوله : « إنا كل شىء خلقناه بقدر » . فجعل القضاء قبل الكون والقدر بعده .

ومن الدليل السمعى أيضا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل لما فسر الإيمان قال : « وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

وأنكرت القدرية القدر وزعمت أن الأمر آنف ، أى مستأنف لم يسبق به علم ولا كتاب ، وإنما يعلم عند كونه ، ولا خبر له قبل ذلك .

والقدرية يرون أن العباد يستقلون بخلق أفعالهم ، فأهملوا ما جاء من السمعيات فى عموم الخلق إلى الله ، « والله خلقكم وما تعملون » ، « الله خالق كل شىء » .

وقد دلت رؤيا النوم من ناحية الحس والوجود على سبق العلم من حيث المحاذاة والموافقة قبل الوقوع ، وثبوت الرأى متواتر ، وهو دليل وجدانى .

---

(١) فى : س ، ظ (إبجازها) .
(٢) فى : س ، ظ (به) .

وجدرة مذهب الإباحية: وهى طائفة أباحت الأشياء كلها ، وماحرمت شيئاً منها ، وربما استدلوا بقوله تعالى : «خلق لكم مافى الأرض جميعاً » . « وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » .

وهم ثلاثة أصناف : صنف لم يبال بالتكليفات ، وأهمل تحريم المحرمات ، وقال قائلهم . الخبيث نحن جميع من . [٢٥ ا] بنى آدم . لا يحرم الورد على الآس ، وهذا كفر صراح ، بجحد ما علم من دين الأمة قطعا ، ولا معارضة بما ذكر من الآى ، لأنها فى معرض الامتنان على الجملة ، أو يكون خلق لكم ذلك ، أى لتتناولوه نعمة إما مشكورة وإما مكفورة . والكافر أنعمت عليه النعمة ليتناولها ولا يشكرها .

وصنف يتأول ما ورد من السمعيات فى الواجبات والمحرمات ، وهم قوم من الباطنية[1] . كما يقول بعضهم فى إقامة الصلاة ، معناها إقامة وجهة القلب خاصة ، والاجتزاء بذلك ، وفى إيتاء الزكاة أن يحمل الإنسان غيره على إقامة الوجهة القلبية مثلا ، وهكذا يفسرون آى القرآن بوجوه من الهذيان ، فهؤلاء جمعوا إلى جحد ما علم من دين الأمة ، ومن بيان صاحب الشريعة ، الافتراء على الله سبحانه وتعالى ، وإخراج القرآن عن أسلوب لسان العرب الذى به أنزل .

وصنف حملوا التكاليف على أحوال البدايات ، وأسقطوها عند النهايات ، وقالوا : يتطوق المكلف طوق التكليف فيفعل ما يجب ، ويترك ما يحرم ، حتى إذا طالت المدة به ، وبرز فى أعمال القربة ، خلع ،

---

(١) انحدر هؤلاء حتى قالوا بأن الإمام يملك إسقاط التكاليف الشرعية [راجع عقائد الباطنية للبمانى] القاهرة — وقالوا إن الإمام هو المثيب المعاقب يوم القيامة ويطلق عليه اسم الإله [راجع منشورات إسماعلية نشر عادل العوا] دمشق وكذلك [منشورات درزية] دمشق .

تلك الربقة ، وسقطت عنه الكلفة ، فالذى يصطفيه الملك صاحب المخالصة[1] ومحل الحظوة .

وربما اغتر هؤلاء بقوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا » ، فوضعوها غير موضعها ، وصرفوا وبدلوا فى فهمها ، وحملوا آيات التكليف على لفيف من الناس وأهل البدايات ، وهذا ضلال بعيد[2] . فإن آيات التكليف لا دلالة فيها على ذلك التخصيص .

وقد علم من دين الأمة ضرورة خلاف مذهبهم ، إذ كان الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام أخشى الخلق لله ، وأعلمهم بما يتقى ، وهو كان أقرب الخلق إلى الله ، وقام حتى تورمت قدماه ، وكان عمله ديمة ، كما أخبرت عائشة (رضى الله عنها)[3] . ثم إن أصحابه (بعده)[4] ، والتابعين بعدهم لم يذكر عنهم[5] جنوح إلى الدعة ، ولا تقصير فى الطاعة ، بل كانوا فى ازدياد وجد واجتهاد ، حتى لقوا الله تعالى .

= وقد قرر سيدى أحمد زروق : أن التأويل هو أصل الانحراف الذى وقع فيه الباطنية عامة وأن الفرق بينهم وبين الصوفيه أن الصوفية أثبتوا معانى الكتاب والسنة وحققوا مبانيهما وأخذوا الإشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى ، وأما الباطنية فحملوا الكل على الإشارة فلم يثبتوا معنى ولا عبارة فخرجوا عن الله ورفضوا الدين كله [قواعد التصوف ص ٢٧ القاهرة] .

(١) فى : س ، ط « المخالسه » .

(٢) ماورد مما يوهم ذلك فى كلام أئمة التصوف كإسقاط الكلفة لا يراد به إسقاط التكاليف الشرعية ، بل المراد أنهم أحبوا الله تعالى فأطاعوه بقلوبهم ووجدانهم ، فلم يشعروا بمشقة فى مجاهداتهم الشاقة بينما كانوا فى بداياتهم تشق عليهم هذه الأعمال .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س ، ظ .

(٤) ساقطة من . س .

(٥) فى الأصل « عنه »

والآية التى تأولوها على غير تأويلها ، محملها عند المفسرين على ماجاء من أنه لما أنزل تحريم الخمر ،قال قوم من الصحابة : يارسول الله . كيف بمن مات منا وهو يشربها ، ويأكل الميسر ، ونحو هذا من القول ، فيما كان حلالا ثم حرم . فأخبر الله فى الآية ، أن الذم والجناح إنما يلحق من جهة المعاصى ، فمن اتقى الله ، واستعمل الحلال فلاجناح عليه فيه ، وإن حرم بعد ذلك . وقال عمر رضى الله عنه : « إنك إذا اتقيت الله ، اجتنبت ماحرم الله » .

جذرة القول بالتناسخ :

ومعناه انتقال النفس من جسد الى جسد آخر ، وقد نفاه أهل السنة ، وأثبته من الروافض الغلاة ، ومنع منه كبار الفلاسفة .

والمثبتون مختلفون : فمنهم المجوز ، ومنهم الملزم .

ثم اختلفوا أيضا (اختلافا آخر) [1] ، فمنهم من يقول : لابد من حفظ الصورة النوعية فى الأشخاص، فلا تنتقل من شخص الإنسان إلا إلى شخص إنسان .

ويسمى هذا الانتقال عندهم : « نسخا » .

ومنهم من لايرى ذلك [٢٥ ب] بل قد يكون الانتقال من صورة إنسان إلى غيرها (من صور الحيوان) [2] ويسمى ذلك : « مسخا » .

ومنهم من جوز الانتقال منها إلى النبات ويسمى : « فسخا » .

ومنهم من جوزه إلى سائر الجمادات وسماه : « رسخا » .

والذين التزموا حفظ الصورة النوعية قالوا : إن كانت من النفوس [3]

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٢) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٣) فى : س « النفس » .

الجاهلة الخبيثة المؤذية ، تعلقت ببدن دنىء . ثم قالوا : إن النفوس(١) لاتزال تنتقل من جسد إلى جسد إلى أن تكمل النفس فتصير طاهرة عن جميع العلائق الجسمانية ، فحينئذ تتخلص(٢) إلى عالم القدس والطهارة الثابتة(٣) .

ومن قال بانتقالها إلى البهائم من الحيوان ، قال: ذلك عذاب لها ، لأنها تكون هنالك فى نهاية الظلمة والشدة ، وهذا كله خبط كثير ، وتخليط طويل من غير أصل يستند إليه ، ولا دليل ، بل هو تحكم على الله (فى خلقه)(٤) وتقول عليه فيما هو من غيبه ، لاسيما وهو إخبار عن أمر وقوعى يطلب فيه من الأدلة مايقتضى الجزم ، ولايكفى مايفيد الظن ، بخلاف العمليات فى باب التكليفات ، فإنه يكفى فيه الظنيات .

وبرهان كتاب الشفاء الذى عول عليه الرئيس ، وإن كان فيه بعض الطول . قال بعد أن أثبت أن النفس الإنسانية لاتفسد : وقد أوضحنا أن الأنفس إنما حدثت وتكثرت مع تهيؤ من الأبدان ، على أن تهيؤ الأبدان موجب أن يفيض(٥) وجود النفس لها من العلل المفارقة ، وظهر من ذلك أن هذا لايكون على سبيل الاتفاق البحت ، حتى يكون وجود النفس الحادثة ليس لاستحقاق هذا المجاز نفسا حادثة تدبره ، ولكن قد كان وجدت نفس ، واتفق أن وجد معها بدن فتعلق بها ، فإن مثل هذا لايكون علة ذاتية ألبتة للتكثير ، بل عسى أن تكون عرضية .

وقد عرفنا أن العلل الذاتية هى التى يجب أن تكون أولا ، ثم مايليها

---

(١) فى : س « النفس » .
(٢) فى الأصل « تتعو » .
(٣) فى : س ، ط « الثانية » .
(٤) مابين الحاصرتين ساقط من : ط ، س .
(٥) فى : ط « يقتضى » .

[من] العرضية ، فإن كان ذلك كذلك ، فكل بدن يستحق مع وجود مزاج هادته حدوث نفس له ، وليس بدن يستحقه ، وبدن لا يستحقه ، فإذن أشخاص الأنواع لا تختلف فى الأمور التى بها تتقوم ، وليس(١) يجوز أن يكون بدن إنسان يستحق نفسا بها يكمل ، وبدن آخر هو فى حكم مزاجه بالنوع ولا يستحق ذلك ، بل إن اتفق كان ، وإن لم يتفق لم يكن . فإن هذا حينئذ لا يكون من نوعه ، فإذا فرضنا أن نفسا (تناسختها أبدان . وكل بدن فإنه بذاته يستحق نفسا)(٢) تحدث له(٣) وتتعلق به ، فيكون البدن الواحد فيه نفسان معا . ثم العلاقة بين النفس والبدن ليس هو على سبيل الانطباع فيه كما بينا مرارا . بل العلاقة التى بينهما هى علاقة الاشتغال من النفس بالبدن ، حتى تشعر النفس بذلك البدن ، وينفعل البدن عن تلك النفس ، وكل حيوان فانه يستشعر نفسه نفسا واحدة ، وهى المصرفة والمدبرة للبدن الذى له ، فإن كان هناك نفس أخرى لا يشعر الحيوان بها ، ولا هى(٥) نفسه ولا تشتغل(٦) بالبدن فليست له علاقة مع البدن ، لأن العلاقة (٧) لم تكن إلا بهذا النحو ، فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه .

---

(١) فى : س ، « ولا يجوز » .
(٢) مابين الحاصرتين ، ساقط من : س .
(٣) فى : س ، ظ « تحدث معه » .
(٤) فى : س ، ظ « للبدن » .
(٥) فى : س ، ط « ولا هو نفسه » .
(٦) فى : س « يستقل » .
(٧) فى : ط « لاتمكن » تحريف .

الفصل الثانى

فى إزالة العشب التى تضر بالشجرة المغترسة بالطبع [٢٦ ا] وتعاديها بالجوهر

وهى الخلق الذميم(١) ، والعشب التى تضر مجاورتها بغراس المحبة هى التى جعل الله بينها وبين تلك الشجرة منافرة طبيعية ، كما يقع بين الحيوان والنبات من المضادة الجوهرية ، إما معلومة السبب ، وإما منسوبة إلى باب الخواص .

فما زعم أرباب الفلاحة فيه ، وقوع العداوة بين الآس والورد ، وأنه إن اغترس الورد حوالى الآس أفسده . وشجرة الكرنب تفسد شجرة العنب (قالوا إن أغصان شجرة العنب) (٢) تفرعنها(٣)، وإن أجزاء الكرنب إذا وضع فى الخمر أسرع إليه (٤) التخليل ، وذلك لذهاب روحها به ، فنقسم عشب الأخلاق المذمومة ـ التى تضر بشجرة الحب ولا تصلح إلا مع إزالتها ، وتنقية أرضها منها ، لكى يأمن الفلاح من عودتها ـ إلى ثلاثة أقسام : سبعية ، وبهيمية ، وشيطانية . وكل واحدة منها لا يثق الفلاح بالراحة منها ، ولا يأمن (٥) استئناف نباتها ، حتى يزرع عوضا من كل عشب اقتلعه منها عشبا نافعا ، يكون بينه وبين شجرة الحب من المودة والوفاق ضد ما كان بينها وبين المقتلع ، تقدير العزيز العليم ، خالق الخلق والأخلاق ، الذى أرانا آياته فى الآفاق ، وفيما مع الآفاق .

---

(١) فى : س « الذميمة » .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من : س .

(٣) فى : س « بفرعيها » تحريف .

(٤) فى : س ، ط « إليها » .

(٥) فى : س ، ظ « ويأمن » .

قسم العشب البهيمية :

الراجع إلى نوع القوة الشهوانية . يشتمل على مثل الوقاحة ، والخبث ، والتبذير ، والتقتير ، والسكر ، والنهم ، والشبق ، والهتكة . والزنا بأنواعه(١) وما فى معناه ، والمجانة ، والعبث ، والحرص ، والجشع ، والملق ، والحسد ، والشماتة ، فإذا قلع ذلك بآلة العزم واليقين والتوفيق المشحوذة (٢) ، فى رحى العقل ، غرس مكانه طبيعيا(٣) أو كسبا أضداده التى تعمر مكانه ، وتخلف وجوده ، وتذهب عينه ، وتقطع نسله (من)(٤) العشب الشريفة ، كالعفة ، والقناعة ، والهدوء ، والزهد ، والورع ، والتقوى ، والانبساط ، وحسن الهيئة ، والظرف ، والحياء ، والمساعدة ، وأمثال ذلك .

وقسم العشب السبعية :

الراجع إلى بذر القوة الغضبية ، فكالتهور ، والبذالة (٥) ، والبذخ ، والصلف ، والاستشاطة ، والكبر ، والعجب ، والاستهزاء ، والاستخفاف ، واحتقار الخلق ، وإرادة الشر ، وشهوة الظلم ، وما اشبه ذلك ، ويغرس مكانه مايعفى على أثره ، ويطهر الأرض من ضرر أصوله ، ويمنع من عودته ، مثل عشب الشجاعة ، والكرم ، والنجدة ، وضبط النفس ، والصبر ، والحلم ، والاحتمال ، والعفو والثبات ، والنبل ، والشهامة ، والوقار ، والرعى .

وقسم العشب الشيطانية :

الراجع(٦) إلى بذر مشترك من القوتين ، مثل عشب المكر والخديعة ،

---

(١) ق : س « وأنواعه » .
(٢) ق : ظ « المحشوذة » .
(٣) الأصل « طبيعة » وكذا ق : س .
(٤) ساقطة من : ط .
(٥) ق : ط و« النذالة » .
(٦) ق : ظ ، « الراجعة » .

والحيلة، والغدر، والنكث. والدهاء، والجربزة، والتلبس، والتضريب[1]، والغش، والكذب، ويغرس مكان ذلك الصفات الربانية، من العلم، والحكمة، (والمعرفة)[2] والإحاطة بحقائق الأشياء.

تتميم:

وأصول هذه العشب المجتلبة الحميدة واصلة قواها إلى حبة هذه الشجرة، وإلى أصلها وجرثومتها، ومعهـــا تسرى إليها قوى شمس الحق، واعتدال حد الحكمة(٣)، وهى التى تحيط عليها نداوة سقى العلم.

ويجب على متولى الفلح، أن يتعاهد ماغرس، فكثيرا ماتطرقه قبل أن تعلق العوائق بشوب(٤) بذر ضده، [٢٦ ب] وجرثومة عدوه (مكانه، ومن أمثال أولى الفلاحة فى الثناء على ذوى نجابتها)(٥): أنه لايفتر إذا نزل لحاجة الإنسان عن اقتلاع العشب بيديه، تشاغلا بشأنه، ونشاطا فى خدمة بستانه(٦).

---

(١) فى: س «والتصريف».

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) على هامش الأصل من نسخة ثانية «جو الحكمة» وكذا فى: س.

(٤) أى بشوب من الخلق الحميد الذى يحل محل الذمم.

(٥) مابين الحاصرتين ساقط من: س.

(٦) وفى الفلاحة النفسية يشمل أوقاته كلها بتفقد أحواله وهو المعبر عنه عند الصوفية بمحاسبة النفس فقد تواتر عن كثير من كبارهم أنهم كانوا يخلون بأنفسهم كل يوم لاستعراض أعمالهم، وكثيراً ماذرفوا الدمع على مخالفة الأولى.

الاختيار السادس

في أمور ضرورية تلزم هذه الفلاحة ، من بعد الإلاحة

وفيه فصول

الفصل الأول

من الاختيار السادس ، فى أمور تطرأ على الأرض من جهة
الطبع والمزاج ومايقصد به من العلاج

قال المؤلف رحمه الله(١) : وكما أن الأرض تتصف بكيفيات ، من حر والتهاب ، وجمود ، واعتدال هو واسطة بين طرفين . فكذلك هذه الأرض التى نفرضها القلب والنفس ، تتصف بكيفيات الخواطر ، والخواطر هى المؤثرات فى القلب التى تكيفه(٢) ، بعد أن يكون غافلا ، وهى محركاته لإرادته .

فمبدأ أفعاله خواطر ، وتحرك الخواطر الرغبة ، ويحرك الرغبة العزم ، ثم يحرك العزم الثبات ، ويحرك الثبات الأعضاء .

وهى تنقسم إلى مايدعو إلى الشر على اختلافه ، وهو ما اتصف(٣) به الطرفان الخارجان عن طبيعة الاعتدال ويضر فى العاقبة ، ويسمى وسواسا ، ويسمى سببه شيطانيا . وإلى ما يدعو إلى الخير على اختلافه ، ويتصف به الوسط المعتدل ، وينفع فى الآخرة ، ويسمى إلهاما ، ويسمى سببه ملكيا . وهى حال مزدوجة اقتضتها حكمة مالك تلك الأرض ،

---

(١) فى س ، ظ « رضى الله عنه » .
(٢) فى : س ، ط « التى ، كفبه » .
(٣) فى : ط « النضف » تحريف .

الذى(١) يملك باطنها وظاهرها ، بخلاف غيره من الملاك ، فى بعض آراء الفقه. طبعها(٢) على ذلك(٣) لما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها . وهذا المزاج الذى تهيأت به الأرض المذكورة لغلبة أحد الطرفين المنحرفين عليها (يسمى إغراء وخذلانا ، والمزاج الذى تهيأت به لغلبة الوسط المعتدل) (٤). يسمى توفيقا : « ومن يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فما له من هاد » . وفيهما قال الحسن رحمه الله : « إنما هما همان يجولان فى القلب : هم من الله تعالى ، وهم من العدو ، فرحم الله عبدا وقف عند همه ، فما كان لله أمضاه ، وما كان من عدوه جاهده » .

فيجب على متولى فلاحة هذه الأرض أن يلاحظها ملاحظة الطبيب الماهر ، ويصرف فى ذلك قصدى الطب(٥) : من حفظ الصحة على المزاج المعتدل ، حتى لايميل إلى طرف من الأطراف المنحرفة ، ومعالجة المرض من رد الطرف المنحرف إلى الاعتدال ، الذى خرج منه .

قالوا : وإلى الحالة الأولى من الجهاد ، فى ثبوت حالة الاعتدال ، الإشارة بقوله : « وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » . وإلى الثانية الإشارة بقوله « لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » . ودواء ذلك وعلاجه العام المجرب ، هو الذكر ، ونبين أقسامه وفوائده وصورة استعماله فى دكان الأسباب(٦) ، الذى نحكم فيه (صيدلته ، إن)(٧) أعان الله على ذلك بحوله وقوته .

---

(١) فى الأصل ، س ، ط « التى » .
(٢) فى : س « طبعا » .
(٣) فى : س « على تلك الأرض » .
(٤) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ورد من : س ، ظ .
(٥) فى : ظ « الطلب » .
(٨) فى : س « الأنساب) خطأ .
(٧) ساقطة من . ط .

فإذا ذهب الفلاح الذى هو طبيب هذه المدرة والشجرة هذه المذاهب(١)، فسقى عند الإحساس باللهيب ، وأعطش عند الإحساس بضرر التبريد والترطيب ، ومثل هذا من اللحظ العجيب ، والفلح النجيب ، كان جديرا بالعيش الخصيب ، والرأى المصيب ، إن شاء الله (تعالى)(٢) .

---

(١) ق س ، ظ « هذا المذهب » .
(٢) ساقطة من : س ، ظ .

الفصل الثانى

فى اختيار أعوان(١) هذه الفلاحة وأجزائها ، ورجال خدمتها وآرائها ، من تلخيص [١٢٧] السياسة

الصديق بإطلاق : المشارك فى حاله لصديقه . والصداقة ثلاثة أقسام : أحدها مشاركة فهم وعلم وتعليم ، وثانيها : الراحة ، وثالثها : المنفعة. ولكل قسم شرط يصحب به .

فصديق الفهم والعلم والتعليم(٢) ، يحتاج منه(٣) إلى حسن الفهم متعلما ، وحسن البيان معلما ، أو مقارنا(٤) ، وألا يكون محبا للغلبة والظهور ، ولا حسودا متلونا ، ولا متملقا ، ولا خبيثا . وشرها الحسد ، وحب الغلبة .

وصديق الراحة : أن يكون ظريفا ، حسن الخلق ، مساعدا .

وصديق المنفعة : أن يكون أمينا ، ناصحا ، مجتهداً (مخبرا (٥)) مميزا بنوع المنتفع به ، ويعم الجميع جملة واحدة : اطراح الحسد ، والخبث ، والعداوة ، وسوء النية . وسوء الظن ، وحب الإضرار ، والبغى ، والمطالبة ، والاستنقاص ، وحب الغلبة .

والأصل المتفرع عنه هذه الطباع المذمومة حب(٦) النفس وشرها بالطبع .

والذى يعامل (به)(٧) واحد واحد من الأصناف : [أن] صديق العلم .

---

(١) فى : ظ « أنواع » خطأ .

(٢) فى : س ، ط « العلم » والأصل أرجح اتباعا لفروع القسم الأول من الصداقة .

(٣) فى الأصل « فيه » .

(٤) و ط « مقارفا » وفى : س « مفارقا » .

(٥) ساقطة من : س ، ط .

(٦) فى الأصل « خبث النفس » .

(٧) ساقطة من : ظ .

يستعمل معه حركات العلم من غير انبساط وانهماك فى أسرار العلم الإلهى ، وصديق اللهو استعمل معه ما إن قيل عنك لم تبال به ، وصديق المنفعة اطرح معه قوى النفس (جملة)(١) ، والقه متوقرا ، وشاركه فى أمور الدنيا(٢) ، بمثل ما يشاركك به ولا تزد ، والمعارف تبنى المعاملة(٣) على اختلافهم ، فنهم الشرير الخبيث الفاسد النفس ، وهذا يدارى بالسلام . ولا يخالط ، فإن ألم عالج بالوقار من غير كبر ، والسكون حتى تثقل عليه جهتك ، وأثن عليه الجميل ، وتحيل عليه فى عدم لقائه ، حتى ينساك . ويشتغل بغيرك . وسائر المعارف بالسلام ، والسؤال عن أحوالهم ، والبشاشة فى اللقاء ، وترك المخالطة جملة ، إلا من شورك فى شيء من الأغراض المذكورة ، وسائر العوام بالوقار من غير تكبر ، والسكوت والسكون ، حتى لا يطلع أحدهم على مذهب ولا طريقة ولا حركة .

ومن اختيار المؤلف (رحمه الله (٤)) قال :

ينقسم إلى أغراض : من يصاحب فى الله ، ومن يجتنب فيه ، وصور الصحبة .

الأول : من يصاحب فى الله ، ممن يكون (عاقلا)(٥) حسن الخلق ، غير فاسق ، ولا مبتدع ، ولا حريص على الدنيا . هذه هى الأصول [و] على قدر اعتناء المصاحب فيها ، والإمعان فى معانيها ، والتعلق فى

---

(١) ساقطة من س ، ظ .

(٢) فى : س ، « من أمور الدنيا » .

(٣) فى س (تى المعاملة) وفى ط (شىء المعاملة) تحريف .

(٤) ساقطة من س ، ظ

(٥) ساقطة من الأصل .

أجزائها (١) وتوابعها(٢) يكون النفور عن صحبته . ومن يجتنب أضداد هذه ، من كافر أو مبتدع داع إلى بدعته ، أو قاصر عن ذلك ، أو فاسق فى نفسه بشرب خمر ، أو ترك واجب ، أو مقارفة محظور .

وقال سهل بن عبد الله : « اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس : الجبارين الغافلين ، والقراء(٣) المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين » .

و[الثالث] حقوق الصحبة . واطلب بها نفسك أولا ، والتمسها فى سواك ، وكمل فى الأول ، واقتنع فى الثانى . وهى على جهتين . بحسب الصحبة مطلقا ، فى المال والنفس واللسان والقلب . فا[لمال با] لمساهمة فى السراء والضراء (والشدائد (٤)) والنفس بالمشاركة فى الضرائر والشدائد ، واللسان (٥) بالصمت عما يكره ، وبالعكس تحت قانون الشرائع ، والقلب بالرحمة (٦) والشفقة ، والعفو عن الزلات ، والتخفيف(٧) [٢٧ ب] وترك التكليف ، وبحسب الإسلام . أن تبدأه بالسلام ، وتجيبه إن دعاك ، وتعوده إن مرض ، وتشمته إن عطس ، وتبر قسمه (إن حلف)(٨) وتحضر جنازته إن مات ، وتنصحه حيا ، وترعاه ميتا ، وتحفظه بظهر الغيب ، وتحب له ما تحب لنفسك .

فصـــــل

الأصحاب الذين يستعين بهم الفلاح على إثارة أرضه ، وزراعة بذره ، ومعالجة شجرته وحبه ، من يكون مشارا إليه فى معرفة الفلح ، جلدا على

---

(١) فى : س ، ظ « والتماق من أجزائها » .
(٢) فى : ط « وبباعها » تحريف .
(٣) فى : س ، ط « العواة » .
(٤) ساقطة من : س ، ط .
(٥) فى : س ، ظ « وباللسان الصمت » .
(٦) فى : س ، ظ « وبالقلب الرحمه » .
(٧) فى : س ، ظ « وتخفيف » .
(٨) ساقطة فى س ، ط .

العمل فيه ، قوى البنية فى أهله ، ناصحا فى عمله . مغتبطا (متخبطا)[١] به معينا عليه .

وقال عمر رضى الله عنه : «عليك بإخوان الصدق ، تعش فى أكنافهم، فإنهم زينة فى الرخاء . وعدة فى البلاء » .

وقال ابن أبى الحوارى : « قال لى أستاذى : لاتصحب إلا أحد رجلين : رجلا تنتفع به فى دنياك ، أو رجلا تزيد معه وتنتفع به فى آخرتك ، والاشتغال بغير هذين حمق كبير » .

آخر :

« اصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك ، وإن قعدت بك مؤنة مانك » .

«اصحب من إذا قلت صدق قولك ، وإن نازعته آثرك ، وإن سكت ابتدأك ، وإن نزلت بك فاقة واساك ، ممن يجمع الإعانة بنفسه (لك)[٢] مقدما حوائجك على ما يختص به ، ومن يسكت عن ذكر عيوبك غيبا ومشهدا ، ويتكلم بمحاسنك من غير إطراء ، ويعفو عن زلاتك ، ولايخونك فى حياتك ومماتك » .

قال بعضهم فى تقييد الجوارح بحقوق الإخوان : مايختص بالنظر أولا . بأن ينظر الرجل إلى إخوانه نظر الرحمة التى يعرفونها من عينيه ، ومايختص بالسمع ، فالالتذاذ(٣) بما يسمع من كلامهم ، والاستبشار به ، وإعفاؤهم(٤) من القواطع[٥] والمرادة[٦] ، والاعتذار إن عاق عائق عن

---

(١) ساقطة من الأصل .
(٢) ساقطه من : ظ .
(٣) فى : ظ « والالتذاذ » تحريف .
(٤) فى : ظ « وإعفاؤه » تحريف .
(٥) فى : س ، ظ « من القطع » .
(٦) فى : ظ « والموادة » تحريف .

توفية الحق ، وألا يسمعهم مايكرهون . واليد . ببسطها فى كل ماتتعاطاه إعانتهم ، والرجل . بالمشى خلفهم تبعا ، والقيام إذا أقبلوا ، فإذا انفتق رتق الإخاء طويت بسط التكليف ، حتى تكون المؤاخاة فى الله ، ثم الله ، ثم بالله .

وبالجملة فإخوان الآخرة هم أصحاب هذه الفلاحة ، ويجتنب الكسل (عن العمل)(١) الماد لحبال الأمل ، فإن الطباع تسرق العوائد ، فيجتنب الكافر ، والمبتدع ، والعاصى(٢) المصر ، وظالم سواه ، من غاصب ، وشاهد زور . ومعروف بغيبة ، ومشاء بنميمة ، أو ظالم نفسه بشرب حرام ، أو أكله ، أو ترك واجب ، أو مباشرة محظور ، وأمر هؤلاء أخف . والغافل بكليته عن الله تعالى(٣) ، والمستولى عليه العجز والكسل فى حقوق الله ، قال الله عز وجل : « فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى » والرفق والنظر إلى العصاة بعين الرحمة ، من حيث الاستبصار بأسرار القدر [وهذا] من شيم العارفين . وفى قسم تنظيف الأرض من العشب الذميمة ، ينظر الغالب عن من يصاحب (أومن يجانب)(٤) إن شاء الله تعالى .

خاتمة :

سعيد بن اسماعيل النيسابورى : « الصحبة مع الله بحسن الأدب ، ودوام الهيبة والمراقبة (والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالاتباع ولزوم ظاهر العلم)(٦) . والصحبة مع أولياء الله (تعالى)(٧) بالاحترام والخدمة . والصحبة مع الأهل بحسن الخلق ، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر ، والصحبة مع الجهال بالدعاء [٢٨ ا] لهم والرحمة » .

---

(١) ساقطة من الأصل .
(٢) فى : ظ « والعامى » .
(٣) فى : ظ « تولى » تحريف .
(٤) مابين الحاصرتين . ساقط من . س .
(٥) مابين الحاصرتين . ساقط من الأصل ، ظ .
(٦) ساقطة من : س ، ط .

الفصل الثالث

في الأدعية (التي تليق)(١) بأخاص(٢) الفلاح وأصحاره، عندما يشاهد من عجائب السكون وآثاره(٣)

قال المؤلف (رحمه الله) (٤) ولما كان الفلاح مفصحا أكثر زمانه عن بيوت الغفلة، وسور الاستغراق، ومشتغلا بما يعينه أكثر أمره، ومباشرا من الآثار العلوية مالايباشره غيره، بروقا وطوالع وشموسا، وابتلاء في عمله، واستبطاء لموعد (٥) نجحه، وإصابة في مآله(٦)، كان من الواجب عليه، أن يجعل من الدعاء بإزاء كل لائحة فنا، وأمام كل طالعة ذكرا.

وأن يقول عند رؤية الأهلة إذا بدت بآفاق أرضه: «اللهم أهله علينا بالإيمان والأمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله. هلال(٧) رشد وخير»، ويكبر ثلاثا.

وعند ابتلاج (٨) فجر(٩) الحقائق وطلوع شمس السعود(١٠): «اللهم

---

(١) ساقطة من: ظ.
(٢) في: س، ط. «بأضجار».
(٣) في: ظ «فآثاره».
(٤) في: س. ظ «رضي الله عنه».
(٥) في: ظ «بالموعد».
(٦) في: ظ «وإصابة ماله».
(٧) في: ط «خلال» تحريف.
(٨) في: ظ «انبلاج».
(٩) في: ظ «بحر» تحريف.
(١٠) في: س، ط «الشهود» ورجحنا الأصل. لأن الدعاء لايناسب مقام الشهود ـ

فالق الإصباح ، وجاعل الليل سكنا ، والشمس القمر حسبانا ، أسألك خير هذا اليوم ، وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شره ، وشر ما فيه ، وباسم الله ماشاء الله (لاقوة إلا بالله ، كل نعمة فمن الله ، ماشاء الله)(١)، الخير كله بيد الله ، ماشاء الله)(١) لا يصرف السوء إلا الله، رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير .

وإذا غربت قال متأسفا ، وعلى ماذهب متلهفاً : أعوذ بكلمات الله التامات ، وأسمائه كلها ، من شر ما ذرأ وبرأ ، ومن شر كل (ذى)(٢) شر ومن شر كل دابة (أنت)(٣) ربى آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم . وانظر الاستعاذة من الشرور والظلمات ، والإشفاق من غروب شمس الذات .

وعند هبوب رياح المواجد(٤) : اللهم إنى أسألك خير هـــذه الريح ، وخير مافيها ، وخير ما أرسلت به ، ونعوذ بك من شرها ، وشر مافيها ، وشر ما أرسلت به .

وعند رعد الخوف : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

وعند صواعق الصعق(٥) : اللهم لاتقتلنا بغضبك ، ولاتهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك .

وعند النظر فى سماء التجريد(٦) من أقصى نجوم التقييد : ربنا ماخلقت

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من : الأصل ، وفى : س . س «لاقوة إلا بالله ، كل نعمة فمن الله ، ماشاء الله » .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) ساقطة من : س وفى : ظ « ربى أنت » .

(٤) المواجد : مايجده السالك فى قلبه من نتائج المجاهدات البدنية والروحية

(٥) فى : س : الطعن.

(٦) التجريد ألا يأخذ السالك من عرض الدنيا سيئا ولا يطلب على ماترك منها عوضا من عاجل أو آجل بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا لعلة غيره ولا لسبب سواه ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التى يحلها والأحوال التى ينازلها [التعرف ١١١] .

هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار : « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا [وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا] » .

وعند قطر الأنس[١] : اللهم سيبا هيناً ، وغيثا نافعا : اجعله سيب رحمة ، ولا تجعله سيب عذاب .

وإذا زأرت سباع الخوف يقول : اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم .

فإذا أحس بغيم الفيض[٢] قال : لا إله إلا الله (الحليم العليم)[٣] ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع (والأرض)[٤] ورب العرش العظيم .

وإذا خسر شيئا من عشب جنته قال : عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون .

فإذا ابتدأ الغراسة قال : ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا .

وإن أبطأ جواب دعائه ، قال : الحمد لله على كل حال .

فإذا رأى ثمرة الاستجابة ، فليقل : الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات . وهذه كلمات مجربات مشهورات ، وعن أهل هـــذه الفلاحة [٨، ب] الزكية مذكورات ، وربما تقدمت أسباب هذه الأدعية الغراسة[٥] أو تأخرت عنها فيجدها إن شاء الله (سبحانه وتعالى)[٦] ميسرة[٧] .

---

(١) الأنس عند الجنيد رضى الله عنه ارتفاع الحشمه مع وجود الهيبة ومعنى ارتفاع الحشمة أن يكون الرجاء أغلب من الخوف ، وعند الشبلى الوحشة من المحبوب . وعند ذى النون المصرى: أدنى مقامات الأنس أن يلقى السالك فى النار فلا يغيب عمن أنس به [التعرف ١٠٧] .

(٢) فى الأصل « القبض » تحريف .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س ، ظ .

(٤) ساقطة من : س .

(٥) ق : « للخراسة » تحريف .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٧) فى : ط « مفسرة » تحريف .

الفصل الرابع

فى اختيار الوقت للغرس

وأفضلها ثلث[١] الليل الأخير إلى الفجر، ويتفق الاستدلال على فضل الوقت المشار إليه من وجوه سمع، ووجوه عقل.

من العقلى: أن قوى الإنسان الخيالية والفكرية، وما تباطن عنهما من الغضبية والشهوانية، تكون أول الليل[٢] مملوءة بخيالات قضايا اليوم لقرب عهدها بالانتقاش، وغصاصة متأدياتها إلى الحس المشترك.

فاذا انغمرت القوى بالنوم، وانضمت الأرواح إلى مركزها عند غشيان الليل، بعد[٣] بها عهدها، ونفت كثيرا من شوائبها، وعادت بعد اقتضاء[٤] النوم نشيطة[٥] صافية، فكان ذلك الوقت لباب أوقاتها، وأبعدها عن الأكدار.

وإلى ذلك فإن أكثر الخلق يعمرون أوائل الليل بما يفضل عن بياض الأمس من الأعمال والمهن[٦] والحساب والآراء والراحات، وفى آخر الليل يستوى الكل فى راحة النوم، إلا من تعينت راحتهم فى غير ذلك وهم القليل، فيحصل على تهنى الخلوة والتمتع بنفسه.

ومن ذلك أن تكون الأرواح الطبيعية والحيوانية، وهى مراكب

---

(١) كررت «ثلث الليل» مرتين فى: ظ. وما يغرس فيها هو كل ما يوصل الى حب الله تعالى
(٢) فى: ظ «النهار» خطأ.
(٣) فى ظ «بعدها».
(٤) فى الأصل: «انقضاء».
(٥) فى: س، ط «نشطة».
(٦) فى: س، «والمتين» تحريف.

الأرواح الإلهية . قد أخذت أقواتها من المواد الغذائية بدلا مما تحلل فى الزمن الماضى اليومى ، وهو(١)ظرف الحركة كما تقدم ، واتصلت بحصصها ، كما تأخذ السرج أقواتها من الدهن ، وذلك لايتم غالباً إلا فى ذلك الوقت ، لتمام الهضم بسبب النوم .

ومنها : لما يهب فيه (٢) من النواسم اللطيفة التى تعدل القلوب ببردها ، إذ الشمس تترك سطح الأرض سخنا لانعكاس أشعتها ، ففى ذلك الوقت يكمل اعتدال سطح الأرض ورجوعه إلى طبعه ، وارتفاع ماتركت به شمس الأمس من السخانة ، فيمر به النسيم ، فيكسب بردا وعذوبة ، وإن (كان)(٣) هذا باعتبار الأكثر وفيه نظر (٤).

ومن الدليل على تأثير النفوس فيه ، وارتياحها (٥) عنـده الحال فى الحيوان ، [فـ] بأنه تشتشعر أرواحه المستوحشة من طبيعة الظلام باقتراب شروق النير الأعظم ، الذى يحدث الليل بمغيبه (٦) ، وحئول جرم(٧) الأرض بينه وبين السطح المعمور منها ، فيكون الليل الظل ، ولايزال يدور بدورانه حتى يصير مقابل النير وممدودا على مالاحجب عن نوره ، فترتاح إليه وتستبشر لقربه ، وتهتز إلى لقائه متحركة بالتغريد ، والصهيل ، والشهيق(٨) ، (والفحيح (٩)) والنهاق ، والبغام ، (والنعاق(١٠)) ، والزئير ، والرغاء ،

---

(١) فى الأصل « وهى » .

(٢) فى الأصل « فيها » .

(٣) ساقطة من : س ، ط .

(٤) لأن الشتاء والربيع لايصلح فيهما هذا التعليل .

(٥) فى : ط « وارتجاحها »

(٦) فى الأصل ظ ، «مغيبه » على أنها فاعل ليحدث .

(٧) فى : ظ ، س « وجدول جزم » تحريف .

(٨) سقطت من س ، ظ .

(٩) فى الأصل « الشجيج » وفى : س ، ط « التنحنح » تحريف .

(١٠) فى : ظ « اليعار » تحريف .

والصراخ ، والزقاء ، والشعر ، والحداء ، والتسبيح [١] .

كل كنى عن شوقه بلغاته ولربما أبكى الفصيح الأعجم

وقال الشاعر :

جمالك مطبوع على كل سكة وذكرك منقوش على كل خاتم
ورياك منشوق على كل نفحة وورك معشوق إلى كل حائم
ـــ (ومن اعتاض قربه من حبيب علق الوهم بالخيال السارى) [٢]

ولا كالديكة فى الشعور به وترجيل ركابه . قال أبو الفرج : يا نائما طول الليل أما تحس [٣] ببرد السحر ؟ لقد نم النسيم على الزهر ، ودلت أغاريد الحمام على دنو الفجر [٢٩ ا] ، وصاح الديك فلم تنتبه ، فأعاد فلم تفق ، فصفق بضرب الجناحين لطما على غفلتك .

صفق إما ارتياحا لسنى الفجـــر وإما على الدجى أسفا

ولا تعرا الأنفس الإنسانية عن هذه المواجد ، فترق وتترنم (٤) ، وتنشد الأشعار وتسبح وتستغفر ، مع أنها أغنى الجميع عنه ، لتوفر الأنوار ببواطنها ، ولكونها تعتاض عنه كثيرا بالعلاج ، فتستصبح وتستضىء بالأنوار ، والأشعة من السرج والمصابيح والنيرين ، فسبحان الحكيم العليم الملهم ، نور السموات والأرض ، لا إله إلا هو .

ومن السمعيات التى تعضد ماتقدم . قال الله عز وجل : « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » ، ولا شك أنها تعود عودا جديدا صافيا ،

---

(١) جاءت أسماء الاصوات هذه فى س ، ظ على غير هذا الترتيب .
(٢) البيت كله ساقط من : س ، ظ .
(٣) فى : ظ « تخشى » .
(٤) فى : ظ . وس « وتتلو »

وأن إدراكاتها (تكون)(١) عند ذلك غير مشوبة . ونقل فى بعض الأخبار أن (لله)(٢) ريحا تسمى الصبحية(٣) ، مخزونة تحت العرش، تهب(٤) عند الأسحار(٥) ، فتحمل الأنين والاستغفار .

قال الشاعر :

يانسيم الريح من كاظمة شد ماهجت الأسى والبرحا
الصبا إن كان لابد الصبا إنها كانت لقلبي أروحا
اذكروا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا

وقد ورد فى ذكر هذا الوقت من الأخبار التى تعرف بتنزل الله إلى السماء الدنيا فيه . تنزل (أمر)(٦) ورحمة ، لاتنزل مسافة ، وقوله : هل من سائل ؟ ماهو معروف . وانصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار(٧) وغير ذلك كما فى حديث التعاقب .

قال الشاعر :

أتى زائرا من غير وعد وقال لى أجلك عن تعليق قلبك بالوعد
خليلى هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من مولى تمشى إلى عبد

وقال فى معنى حديث التنزل :

وافى فأشرقت البلاد بنوره حسنا وأرسل بالشفاء(٨) رسولا
ماكنت أحسب أن بدراً قبلها نقل الخطا شرفا وزار عليلا

---

(١) ساقطة من : ط، س .
(٢) ساقطة من : ط .
(٣) فى : س « تسمى ريح الصبحة » .
(٤) فى : ط « تهبت » خطأ .
(٥) فى ظ « الأسجار » خطأ . والحس الدقيق بالتجاوب الروحى فى ذلك الوقت يصدق ذلك الخبر .
(٦) ساقطة من الأصل .
(٧) إشارة إلى الحديث ، يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .
(٨) فى : س « بالنهار » وفى : ط «بالشار» .

ياعلة زار الحبيب لأجلها ... لله أنت لقد شفيت غليلا (١)
كيف السبيل إلى إزاحة علة ... وبها وجدت إلى الحبيب سبيلا

وقال الآخر :

كم قلت ما أجفى محبا غافلا ... حتى ابتليت فقلت ما أجفانى
زار الحبيب ولم يجدنى باسطا ... لقدومه خدى ولا أجفانى

وقال الآخر :

لو عرفنا بجيئكم لفرشنا ... مهج القلب أو سواد العيون
وجعلنا من الجفون طريقا ... ليكون الممر (٢) فوق الجفون

ففى هذا الوقت يشتغل الفلاح بغراس شجرة المحبة إن شاء الله اختيارا كاليا ، إذ الأوقات كلها صالحة لذلك والحمد لله ، إلا أن هذا الوقت مظنة صفو ، وخلو (٣) قلب ، وهدوء شغب . ثم يحمد الله وينشد بأعلى صوته عند الفراغ مسمعا [٢٩ ب] من بجواره (٤) :

غرست لكم شجرات الهوى ... بأرض أثار ثراها الجوى
و [أ] سقيتها بدموع الجفو ... ن فقد أينع الغرس لما ارتوى
ولما ترعرع منها البسو ... ق وأجمع ريعانها واستوى
نويت الجنى قبل يوم النوى ... وكل امرىء فله مانوى (٥)

ثم يعيده (٦) بعد صلاة العيد :

غرس الحب بقلبى شجرا ... بعد أن نقى بجهد حجره

---

(١) فى : ط « عليلا » تصحيف .
(٢) فى : س ، ظ « من فوق » خطأ .
(٣) فى : ط « وخلوة » .
(٤) فى : س « بحذائه » .
(٥) يورى بالحديث الشريف : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى » .
(٦) فى : س ، ظ « يعيد » .

وسقاها إثر ما أودعهـا كبد الأرض بدمع فجره
ومتى أبصر[1] طيرا مفسدا حائما حول حماها زجره
فأنا اليوم مـلىء بجنى هجر السعد مكانا هجره
نمت فى ظل ظليل تحتهـا روح القلب ونحى ضجره
ثم بايعت حبيبى وكذا بيعة الرضوان تحت الشجرة[2]

ثم يخاطب سره من خوخة باب الجمع[3] قائلا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وما رميت إذ رميت ولـكن الله رمى[4] ، وينفض كيه وينصرف راشدا منجحا .

(١) فى : ظ « أفسد » خطأ .

(٢) تورية بقوله تعالى « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة »

(٣) الجمع . اصطلاح صوفى . معناه : ملاحظة الرب فى كل مظهر وجودى والفناء عن هذه المظاهر وردها إلى أصل العلم حتى لايلاحظ الجامع إلا الله .

(٤) ويريد المؤلف بهذا الإنشاء وتلك المخاطبات : مايناجى به العبد ربه وقت السحر من صلوات وأوراد . ولعله قد تأثر فى اختياره هذا بورد السحر لسيدى مصطفى البكرى رضى الله عنه .

الأسباب فى الحب اللباب

ويشتمل على مقدمة علمية ، وجرثومة جرمية :

المقدمة العلمية : فى ترتيب المعرفة والمحبة ، ونسبة كل واحدة منهما إلى الأخرى ، بما يرفع عارض الشك ، ويسبك عويص العبارة أحسن السبك .

والجرثومة الجرمية : وهى السبب القريب لهذه الشجرة بكونها [1] كرسى عمودها ، ومغرز لوائها ، وخزانة إمدادها[2] ، والواسطة بين الفرع والأصل ، ومخرج ما فى القوة منها إلى الفعل ، فنقدم[3] فيها بيان (ما)[4] يعطى الصورة ، ويشرح الضرورة .

ثم ينقسم بعدها إلى : بطن وظهر ، وسر ، وجهر ، وباسط ، وبرزخ واسط ، يشتمل على شعب ووشائج ، ومقدمات تأتى بعدها نتائج .

والبيان الذى يشرح الجرثومة السببية للشجرة الحبية [5] نقرر أن ظاهرها العقل وينقسم إلى أصول ، وباطنها الشرع والنقل ، وينقسم إلى أصول .

والباسط والبرزخ الواسط الصاعد بالجميع إلى الجو الرفيع ، ينقسم إلى ثلاثة أصول .

---

(١) فى : س ، ظ « بونكه » تحريف .

(٢) فى : ظ « أغرسها » وفى : س « إمداسبا » تحريف .

(٣) فى : س ؛ ط « يتقدم » .

(٤) ساقطة من : س ، ظ .

(٥) فى : س « المحبة » تحريف .

المقدمة العلمية

من جرثومة الأسباب فى الحب اللباب

قال المؤلف(١) (رحمه الله تعالى)(٢) : هذه الجرثومة أول ماتتكلم فيها فيما خاض الناس فيه فى شأن المحبة والمعرفة . و [قد] تكلم أهل هذه الطائفة فى المعرفة والمحبة .

فقالت طائفة : المعرفة تتقدم على المحبة بالذات ، إذ لايعقل حب شيء إلا بعد معرفته ، فالمحبة للشيء أو الكراهية له ـ ما لم يكن ذلك طبيعيا كما فى الحيوان ـ ناشئتان (٣) عن معرفة الشيء ، فالمعرفة سبب فى المحبة .

وقالت طائفة أخرى : المحبة تتقدم (على) (٤) المعرفة ، فإن المعرفة على ماقرروا غاية بعيدة ، وما بعد معرفة الله شيء . وقد طوى العارف المقامات والأحوال، ولم يقع ذلك إلا بباعث الإرادة والمحبة . ولو لم تكن الإرادة والمحبة متقدمة ، لم يقع ولم تتأت (٥)، فتوقفت حقيقة كل واحدة منهما على الأخرى . ولم أقف فى ذلك على مايرفع الإشكال [٣٠ ا] فنهم من جعل المعرفة سببا ، ومنهم من جعل الإرادة ، كالرئيس أبى على (٦) ابن سينا إذ قال : أول درجات العارفين مايسمى عندهم «الإرادة» ، وقوله: عندهم . يثبت أنها إرادة الاصطلاح [الصوفى] .

وعسى أن يرتفع الإشكال بماظهر لنا ، وهو أن نقول : هذا الخلاف

---

(١) فى : ط « المصنف » .

(٢) فى : س « رضى الله عنه » وفى : ظ : سقطت العبارة كلها .

(٣) على هامش الأصل « ناشئتان » من نسخة ثانية . وكذا فى : س ، ظ .

(٤) ساقطة من : س ، ظ .

(٥) فى : ظ ، س « ولا يتأتى » .

(٦) فى الأصل « كالرئيس بن على » خطأ .

نشأ من اشتراك اللفظ ، فإن المعرفة لفظ مشترك يطلق على المعنى اللغوى ، وهو تمييز الشيء من غيره ، وسبوق العلم به ببعض الموصلات (١) ، من عين أو وصف على غيبة ، أو نائب مناب لسان ، من كتابة خاصة . وبحسب ما يعطيه ذلك المعنى من البيان تكون المعرفة بالشيء ، وبهذه السبل عرفت الأشياء ، أى حكم لها بالوجود والأنية . وله الإشارة فى قول النظار : المعرفات ، والتعريف التام ، والناقص ، وغيره .

وتقع أيضاً المعرفة على معنى اصطلاحى : وهو مقام من مقامات الصوفية ، شهير محسوب من الثمرات ، أو هو الثمرة قد حاز (٢) المحبة (٣).

قال الشيخ أبو القاسم (٤) رحمه الله : « المعرفة صفة من عرف الحق بأسمائه (وصفاته) (٥) ، ثم صدق فى معاملاته ، ثم تنقى من أخلاقه الردية وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ، ودام بالقلب اعتكافه (وعكوفه) (٦) ، فحظى من الله بجميل إقباله . وصدق الله فى جميع أحواله ، وقطع الله عنه هواجس نفسه ، (ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره ، فإذا صار من الخلق أجنبيا ، ومن آفات نفسه) (٧) بريئا ، ومن المساكنات والملاحظات نقيا ، ودام فى السر مع الله مناجاته ، وتحقق فى كل لحظة إليه رجوعه ، وصار محدثا من قبل الحق بتعريف أسراره ، فيما يجريه من تصاريف أقداره ، سمى عارفا ويسمى حاله معرفة (٨) .

(١) فى الأصل « الموصولات » .
(٢) فى : ط ، س « حاز » .
(٣) أى إن المعرفة فى اصطلاح الصوفية حازت المحبة وتضمنتها .
(٤) هو أبو القاسم الجنيد البغدادى . تلميذ سرى السقطى والمحاسبى وغيرهم . إمام شهير من أئمة التصوف ، تنتهى إليه غالب الطرق الصوفية
(٥) ساقطة من الأصل .
(٦) ساقطة من : ط ، س.
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .
(٨) من هذا القول يتبين أن المعرفة هى الحب وصفات العارف هى صفات المحب ، وذلك مذهب الصوفية.

وذكرها الهروى (١) متأخرة عن المحبة بمقامات. فمن قال(٢) المعرفة متقدمة على المحبة ، فإنما أراد المعرفة الأولى اللغوية التخاطبية ، وهى إضافة تحصل بين المعروف و (بين)(٣) من عرفه بواسطة لفظ أو ماينوب منابه ، وبحسب (٤) كمال ذلك أو تقصيره يكون العلم به .

ومن قال المحبة متقدمة على المعرفة عنى بالمعرفة المعرفة الثانية ، وهى المقام المعروف بمعرفة الله ، الذى لم يحصل إلا بباعث محبته ، ولولا المحبة ماصح ، إذ المحبة هى الميل الأكيد للشىء ، والحركة إلى التماس الكمال لقربه ، فتكون المعرفة اللغوية سبباً أولا للمحبة ، والمحبة وما قبلها سببا للمعرفة الاصطلاحية ، وإذا ثبت هذا فلنجعل المعرفة الأولى بما لها سببا للمحبة ، وجرثومة لها ، ونفرع عنها الأصول ، ونجعل الثانية من الثمرات ، أو الجزء المباشر للثمرة ، حسبما يأتى إن شاء الله تعالى .

---

(١) صاحب منازل السائرين .
(٢) فى ط : « فما قال » تحريف .
(٣) ساقطة من : ظ .
(٤) فى : ط « وبكسب » .

البيان الذى يشرح الجرثومة ويفصلها

ويقرر منها القواعد ويؤصلها

قال المؤلف (رحمه الله [١]) : وإذ قد افتتحنا هذه الأسباب بالمعرفة[٢] التى تتقدم (على[٣]) المحبة ، وبينا ما المراد بها [٤] ، فنقول بعد ذلك : والأسباب القصوى تنحصر من هذه الجرثومة فى باطن هوالشرع والنقل ، وظاهر هو الطبع والعقل .

أولها : نبوة ترشد[٥] إلى سبيل ، وتهدى بمنار دليل ، وشأنها أن تبلغ ماتلقته من العالم الأعلى من الهدى [٣٠ب] القولى والعملى ، وتبينه بالهدى الفعلى ، تصريحا فى الأول ، ومفهوما وفعلا أو إقرارا له فى الثانى ، أخذاً أو تركا ، وجعل الوعد والوعيد فى ذلك حسابا ، فمن انقاد كفى مؤنة الاستدلال ، ومن استراب كحلت بصيرته بميل المعجزة ، ومن أيأس من نفسه [هدد] بالوعيد ، أو لعنة مصاحبة إلى عين الوعيد ، ومن أساء أوذن[٦] بحرب مريقة للدم ، أومسترقة للرقبة ، مالم يتق بمجن الكلمتين[٧]. فإن ناصح فيهما نفسه (فلها[٨]) ، وإن غشها فيهما فعليها ، « اليوم أكملت لكم دينكم » .

والمنحاز إلى فئة الهدى ، إما مقتصر على قلادة العقد بحسب عقله وتلقيه ،

---

(١) فى : س ، ط (رضى الله عنه) .
(٢) فى : ط ، س (فالمعرفة) تحريف .
(٣) ساقطه من : ط ، س .
(٤) فى : ظ ، س (مايرادبها) .
(٥) فى ظ (رشد) .
(٦) فى : ظ (أذن) .
(٧) أى الشهادتين .
(٨) ساقطة من : ظ .

وفى نجاته نظر ، وحصولها ببعض الاعتبارات[١] راجح بفضل الله . أو باحث عما فى يده ، ومنزلة الأول وهذا الثانى منزلة رجلين ، أصابا لقطتى جوهر نفيس ، وياقوت رفيع ، وكلاهما جاهل[٢] بجنس ذلك ، فأحدهما لم يوجب لما أصاب حقا ، ولا قدر له قدرا ، ولا أقام له وزنا ، ولا تهدد به فقرا ، ولا أوجب له مزية ، فهو بصدد أن يثقله فيطرحه ، أو ينساه فيفقده ، أو يطرف به وليدة جاره . أو يساوم فيه بلقمة ، فيرى أنه قد قمر[٣] (ذلك[٤]) المسام[٥] ، وصاحبه كان أنبل منه ، فرأى ذلك الشىء يفضل ما بين يديه وما خلفه من الحصا والحجارة بخواص كثيرة ، وأوصاف عديدة ، منها الندور والانفراد ، والهيئة[٦] وأثر الصنعة ، ومخايل الاغتباط ، ونوهه[٧] فى نفسه وجود الشف واللألاء ، فضنت به يده ، وقوى عنه سؤاله ، وفيه بحثه ، فظهر له مع استبراء حاله قدر ماتحصل بيده فأثرى ، ورآه استغنى ، وحسنت حاله ، وعز جنابه . كذلك من تسلم الدعوة ، بين من سار مكباً على وجهه ، نافراً عن دعوة ربه ، فكان ما اتصل به من دعوة الحق كالبذر الواقع فى الرمال اليابسة ، والقفار الغامرة . ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ، وبين من لم يقبل ولا أصغى ، ولاسالم ولا أعنى ، وهو الذى كذب وتولى ، وحارب وآذى ، « فأخذه الله نكال الآخرة والأولى[٨] » ، « أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين » .

---

(١) كالتوكل والإخلاص والنية الحسنة ، ولعل الخفى .
(٢) ى : ط . (جس) .
(٣) أى قامره بما أخذ من ثمن فإما كسب المشترى وإما خسر .
(٤) ساقطة من : ط ، س .
(٥) ى : ظ (الستام) .
(٦) ى : ظ ، س (الهيئة) .
(٧) أى نوه وجود الشف وغيره من الصفات عن قيمة الجوهر ونفاسته .
(٨) سورة النازعات .

ومنهم من سمع شيئا فكان اهتداؤه بمقدار ماسمع ، واقتداؤه على حسب مافيه طمع ، : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »[١] .

ومنهم من كانت جوارحه مسامع هدى ، فأنبت الله فى قلبه حبة الإيمان النبات الحسن ، : « والله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب » حتى إذا استقر وتأصل ، وتوشج جذر اليقين ، ووسمت[٢] السعادة وجوه الذين كتب فى قلوبهم الإيمان ، عرض الخبر على حذق الفطرة ، واختبر الحاصل بميزان الفكر والروية . ثم هاجر من ضيقة[٣] الهواجس[٤] والشواغب ، وبقايا الشكوك[٥] الخفية ، إلى فضاء الاعتبار ، بعد مشاهدة أدلته ، والوقوف على عجائبه فشفيت العلل ، وتدورك الخلل ، : « ويزداد الذين آمنوا إيمانا » .

فمن كان مستصحب الاستقامة ، ولزيم التوفيق ، وحليف العناية ، ومعين الجذبة ، فهو على بصيرة من أمره ، [١٣١ ا] : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا »[٦] .

ومن كان صريع غفلة ، أو ضالا على علم وبينة ، أخذ بحجزته ، وأوصل[٧] نفس اليقظة إلى قلبه ، وغرزت شوكة الصيحة فى مبدأ حسه ،

---

(١) سورة الزلزلة .
(٢) فى : ط (وسمت) . تحريف .
(٣) فى : ظ ، س (صنيعة) .
(٤) فى : ط (الهواجيس) .
(٥) فى : ط ، س (وكنى بالنكوك) تحريف .
(٦) من كلام سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه .
(٧) فى : س (وأوكل) .

فأفاق وبادر سنات[١] نومه ، بسكب مياه التوبة على وجهه ، وضرب[٢] وجهة نفسه المنتكسة [٣] إلى قبلة ربه ، وولى شطر النجاة صفحة عزمه ، واستمسك بالعروة الوثق لحينه ، وعلى قدر العناية به ، وقبول قصده ، يكون ما يفتح الله به على قلبه من أبواب الحق ، وبواطن الأمر ، وتقريب الطرق ، حتى يتأدى إلى جادة المعرفة فى العاجل ، وثمرتها فى الآجل ، : « وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

فإذا تحصلت اليقظة ، ثم التوبة ، قبضت اليد على زمام راحلة المحبة ، ووقعت بين العبد والرب وصلة المعاملة ، « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . وإذا سبقت محبة الله ، تبعتها محبة العبد[٤] ، فإنها سبب الهداية ، فاستقام فى طريق المحبة الوخد والزميل ، والإعناق والهملجة والركض[٥] ، فمن سائر بسير ضعيف ، ومن راكض ملء عنانه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

وثانيهما[٦] : عقل يهدى ، وفطرة سليمة إلى الصواب تؤدى ، وشأنه (بحسب)[٧] ما فاض على محل[٨] استعداده ، وهو القوابل العنصرية من فيض العلل القصوى ، وساطة عن نور المبدأ الذى لا حياة لشيء إلا به ، ووفور قسمه[٩] من نوره وعنايته ، حتى يظهر ما فى القوة من الاستنتاج ، وإدراك

---

(١) فى : ظ (سمات) تحريف ، وفى الأصل (سبات) والترجيح من . س .
(٢) فى : س (وصرف) .
(٣) فى : ظ (المستنكة) تحريف .
(٤) يحبهم ويحبونه فحبة الله للعبد سبب محبة العبد لله ، كما فى التوبة . فتاب عليهم ليتوبوا .
(٥) أنواع من السير تختلف فى السرعة والبطء .
(٦) ثانى الأسباب القصوى التى تتقدم المحبة .
(٧) ساقطة من : س .
(٨) فى : ظ (من يحمل) .
(٩) فى : ظ (نسمه) .

الحقائق والمطلب عن الحدود الوسطى ، وبروزها إلى الفعل ، إذ يزعمون أن ذلك فى قوة النفس الزكية ، وأنها لاتحتاج إلى قانون البرهان إذا صفت وفارقت(١) . لو تعلق العلم بالثريا لنـا له رجال من هؤلاء .

أو يستعمل جزئى الحـكمة قوليها وهو الأمس ، وفعليها وهو دون ذلك حتى يدرك الصواب بقانون الصناعة ، فى كل صناعة وعلم ، وعند ذلك يجعل مصحف الاعتبار بين يديه ، فيحق الله الحق ويقطع دابر الـكافرين ، فيأخذ بأزمة أيدى الآثار ، حتى تقف بين يدى المؤثر ، فإذا انقشع ضباب الشك ، وصدق الخبر دعوى الخبر ، واتصلت العين بالعين ، وحصحص لسان الحق ، أخذت صفات الله إقطاعها من أرض الإنبات ، وظهر عالم الخلق مستويا ، وعالم الأمر(٢) فى العلم القديم مكتوبا(٣) ، وتجلى وجه التوحيد من ثنيه التفريد(٤) لامستتراً ولامحجوباً ، وجال طرف الاستدلال على الصانع ، وبرهن الشاهد على الغائب ، وظهر انبثاث الأنوار من عنصرها ، وانسكاب العيون من منبعها ، وكلما أينعت العشبة ، أدت إلى الأصل ، أو سئلت القوة أخبرت بالـكل ، واستقرئت البنية أدت إلى الأم ، وأن إلى ربك المنتهى ، وأن إلى ربك الرجعى ، وله الآخرة والأولى ، ووجد العقل [٣١ ب] الجزئى سبب النور بينه وبين

---

(١) فى : ط وفاقت : أى فارقت مألوفاتها المـادية وفاقت غيرها وسيطرت عليها الروح فانطلقت بعيـداً عن المحسوسات وعادت حيث لاتؤمن بالآلام التى تعوق عن الحب وتمـددت وجهتها إلى الله ، وأحكمت الاستفاضة من الفيض الألهى وليس ذلك زعما وإنمـا هو حقيقة . فقد ظهر من الأمين المتصوفين علمـاء أجلاء . كالدباغ ، والخواص ، وعجم بنت النفيس البغدادية رضى عنهم .

(٢) عالم الخلق ظهور المخلوقات فى صورها المـادية وعالم الأمر وجودها فى العلم العديم قبل بروزها إلى الوجود الحسى .

(٣) فى : الأصل ، س ظ . « مكتوما » .

(٤) التوحيد هو الإيمـان بالله تعـالى وحده والتفريد اعتزال الناس والخلوة للأمر النهى والمتهذون بذكر الله تعالى [راجع : باب التوزيد والتفريد من كتاب « علم القلوب » لأبى طالب المـكى ، ط القاهرة ١٩٦٤] .

العلل القصوى ممتدا ، ووسيلة الروح[١] ، بالروح الأمرى متصلة المعنى ، فقال : من هنا نسبح ، ومن هذا البيت نرحل[٢]، فألقته رواحل الفكر فى حلل الجمال الجزئى ، ثم نقلته إلى حضرة الجمال الكلى، ثم أسرى به فأشرف على فضاء الجمال المطلق ، وعند الصباح يحمد القوم السرى .

وإذا حصل الاستشراف إلى هذا العالم الذى هو إقطاع النبوة ، وقع الافتقار إلى تهذيبها ، والتماس إذنها ، فإن كان فى الرفقة من يتلطف لذلك انقلبت الأخفاف قدما ، وخيض البحر ، وربح التجر ، وإن عدم منه العين والأثر ، انقطع السير ، ووقع البهت . وبحسب المخالفة والموافقة(٣)، والمقاربة والمنابذة ، وتقدم الحجة ، وابتغاء الوسيلة ، وظهور المقدرة ، تكون مواهب الشفقة واللطف فى منازل البعد ، وانتشاق نواسم الرحمة على النأى ، « أولئك لهم نصيب مما اكتسبوا والله سريع الحساب » .

فباطن الجرثومة[٤] وهو[٥] الشرع والنقل ، ينقسم إلى أصل الكلام فى النبوة من حيث الشرع ، وإلى أصل الإيمان والاعتبار العامى ، وأصل اليقظة والتوبة فى حق المحتاج لذلك ، وأصل العناية والتوفيق فى حق المستغنى عنه ، وأصل السماع والموعظة فى حق الكل ، والتهذيب للجميع[٦] .

وظاهرها وهو الطبع والعقل ، ينقسم إلى أصل جزء الفلسفة فى حق المحتاج إليه ، وإلى أصل سلامة الفطرة فى حق المستغنى عنها ، وإلى أصل

---

(١) فى : ط « الدوحة » .
(٢) على الهامش فى الأصل « من هنا نهج ومن هذه الثنية نرحل .. من نسخة ثانية » .
(٣) فى : ط . « والمفارقة » .
(٤) فى : ط « الجرثومة فباطن » تقديم وتأخير .
(٥) فى الأصل «وهى» وكذا فى : س .
(٦) فى الأصل . لتهذيب الجميع .

النبوة من حيث النظر ، وإلى أصل الاعتبار الخاصى فى حق الجميع ، وإلى أصل معرفة الجمال ، ثم أصل التشبه[1] بالخير المحض ، والفكر الموصل إلى الاتحاد[2] بالجواهر الباقية ، ليبقى المتحد بها والذى بجوهرها ، وكان إياها بالفعل ببقائها ، ويقع تداخل هذه العروق ، فى إثبات الفاعل الذى لافاعل له ، والأول والآخر ، الذى لا أول له ولا آخر ، والاعتراف بالعجز عن إدراكه والإحاطة به ، وأن السعادة فى حبه ، ثم فى القرب منه ، ثم فى مشاهدته ، ثم فى البقاء به ، ويخرج من هذه الجرثومة ، بين هذين الأصلين ، باسط ، وبرزخ واسط ، له ثلاثة أصول . أصل الأذكار ، وفيه عشر شعب ، [و] أصل الأسماء ، وله تسع وتسعون شعبة ، [و] أصل السيمياء ، وهو الذى عفن بعضه ، وكان حق هذا الباسط ، أن يكون فى فصول الرياضة ، لأن كل من يريد محبة الله ، لايجد طريقا أقرب إلى غرضه من ذكره ، وهو مشترك لكل طالب ، قدس الله تعالى ، من صاحب عقل ، أو نقل ، [و] جعلناه فى الأسباب ، وكلنا شكل الأصول ، ومثل هذا لايخل بالغرض بحول الله ، وليت هذا الموضوع (المروح)[3] لم يكن فيه إلا هذا القدر ، قال الشاعر :

كفى المرء فضلا أن تعد معايبه .

---

(١) فى : ظ « النسبة » .

(٢) فى : ط « الايجاد » .

(٣) ساقطة من الأصل .

الأصل الأول من الباطن

فى الكلام على النبوة من حيث الشريعة والنقل

قال المؤلف (رحمه الله)(١) ومذهب أهل الحق : أن معرفة الله وطاعته واجبة بإيجاب الله وشرعه لا بالعقل ، وبيانه : أن العقل إن أوجب الطاعة فإما [٣٢ ا] أن يوجبها لغير فائدة وهو محال ، أو لفائدة ولا بد أن ترجع إلى الله ، وهو محال ، (أو للعبد)(٢) وهو محال؛ لأنه لا غرض له فى ذلك عاجلا، بل هو تعب له ، ومنع عن لذاته وشهواته ، والمآل ليس فيه (إلا الثواب)(٣) أو العقاب ، ومن أين يعلم أن الله يثيب على الطاعة ولا يعاقب عليها ، والطاعة والمعصية متساويتان فى حقه ، لا ميل له إلى إحداهما ولا اختصاص (به)(٤) ، وإنما عرف ذلك بالشرع ، وأن الله عز وجل إنما بعث الأنبياء هداة الخلق ، ورعاة الهمل ، وأطباء النفوس ، ودعاة الله إلى السعادة الدائمة ، وأدلاء العباد على سبيل الله ، والدار الآخرة ، لطفا منه ورحمة ، وفضلا ونعمة ، بعد أن أخذ ميثاقهم فى عالم الذر والهباء فى ظهر آدم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا .

(ثم نسوا بعد ذلك الذكرى ، وشغلوا بالحياة الدنيا عن الأخرى ، وطال عليهم العهد ، وقطعهم عن الله القواطع والحجب ، وغمرت نفوسهم الشهوات ، واستدرجتهم الآمال ، واستحوذ عليهم الشيطان ، وأضلهم تقليد الآباء ، واتباع الأهواء ، وجهلوا طريق النجاة ، وتاهوا فى بيداء الضلالات ، وتنوسيت)(٥) تلك الفطرة التى فطروا عليها، وتدورست

---

(١) فى : س ، ظ « رضى الله عنه » .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من : ظ .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) ساقطة من : ط

(٥) مابين الحاصرتين ساقط من : س

تلك السبل التى أمروا بسلوكها ، وإليه الإشارة بقوله : «ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين » . وقوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم دريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا) [١] أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه هما اللذان يهودانه ، أو ينصرانه [٢] ، أو يمجسانه » .

فعند ذلك استقبلتهم رحمته ، وتوجه إليهم لطفه ، فأرسل الأنبياء يدعونهم إلى النجاة ، ويذكرونهم عهده ، ويدلونهم على طريق الآخرة ، ويوضحون لهم حجة الله ، ويأخذون بأيديهم وحجزهم عن النار .

قال الله عز وجل : «كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» . وقال : « قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير (فقد جاءكم بشير ونذير) [٣] » ، (فنصحوا) وبلغوا ، وبينوا حجج الله ، وأوضحوا صادعين [٤] بأمره ، مشيدين بوحيه ، مكنونين بعصمته ، متحدين بالمعجزات الدالة على صدقهم ، عندما علم سبحانه وتعالى أن العقل

---

(١) يرى بعض الصوفية أن المجيبين لله حين قال ألست بربكم إما أن يكونوا قد أجابوا عن سماع حق إجابة إيمان ، وإما أن يكونوا قد أجابوا تقليدا عن سمع بالحق ، فمن سمع فهو عائد إلى أصله من الإيمان ولو انحرف عن الطريق فى أثناء حياته ، والمقلد عائد إلى ضلاله مهما سلك طريق الصلاح فى أثناء حياته . [راجع تفصيل الموضوع فى باب التوحيد من « علم القلوب » لأبى طالب المكى ، ط القاهرة ١٩٦٤] .

(٢) فى الأصل « وينظرنه » . تحريف

(٣) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٤) فى : ظ « صاعدين » تحريف .

كما لا يهدى إلى الأودية المفيدة للصحة ، والعشب (النـافعة) من الأمراض فـكذلك لا يهدى إلى الأفعال المنجية فى الآخرة .

وأن حاجة الخلق إلى الأنبيـاء كحاجتهم إلى الأطباء ، لـكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ، وصدق الرسول(١) بالمعجزة كما تقرر .

وتبين (٢) أن النفوس التى أخذ عهدها لما أسكنها الأرض ، وغربها عن كريم جواره ، [٣٢ ب] ، وبعدت عن عنصر النور والـكون والعوالم الروحانية ، ومجال الملائكة ، وتعشقت بالزخرف ، وغرقت فى الشهوات ، حدث بها مايحـدث بالحيوان إذا نقل عن بلاده التى ألفهـا ، [وألف] هواءها وماءها (٣) اللذين اعتادهما من الأمراض والأسقام ، فأصابتهـا الأوباء الشاملة ، والأمراض العامة ، فكاد يستأصلها الهلاك ، وتفنيها تلك الأمراض ؛ فبعث الله أطباءه(٤) المهرة بعلاج النفوس . من علل الذنوب وأسقام الغفلات ، وزمانات الشرك والإلحاد . فنصحوا المرضى واجتهدوا فى طلب الشفاء ، وحذروا وبلغوا ، وبشروا وأنذروا ، فكان قليلها ـ وهو البعيد من الاستعداد لقبول فساد الأهوية والمياه ـ فى حيز السلامة ، وهم بعث الجنة ، وأكثرها هالكة فى سبيل الموتان .

فالأنبياء الهداة(٥) أولوا العزم ، وغيرهم من أرباب الصحـــائف والهدايات وورائهم ، هم تلاميذ الأطباء المهرة ، ليحيى من حى عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة .

---

(١) فى هامش الأصل « النبى » فى نسخة ثانية .

(٢) فى : ها « تبين » .

(٣) فى : س « ومائهما » تحريف .

(٤) فى : ظ « أطباء المعجزة » .

(٥) على هامش الأصل « الحداة » فى نسخة ثانية :

ثم قفى على آثارهم بخاتم أطباء القلوب ، واخر أساة النفوس ، ومسيطر أولئك الأطباء ، المثبت الماحى ، الناسخ لنسخها ، المقرر اصفاتها[1] ، ثم من بعده من خليفة وبدل وقطب ؛ وتفاوت الكل فى العلاج ، بحسب الإمداد والعناية والفتح والسابقة ؛ من قبل من[2] أنزل الداء وأنزل الدواء ، فقعدوا للناس يوقظونهم من نوم الغفلة : « ادع إلى سبيل ربك بالموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » بادئين بتقرير وجود الله ، ثم بتقرير وحدانيته ، ثم بآثاره فى العالم ، ثم بأحكام آثاره ، مصدقين أخبارهم بالمعجزة ، ثم خوفوا من عقاب الله ، ورغبوا فى ثوابه (بكل)[3] ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فمن الناس من آمن بالغيب ، ومنهم من آمن بالمعجزة ، ومنهم من لم يؤمن : فريقا هدى وفريقا حقت عليهم الضلالة . قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين .

وكان من بعدهم من طوائف الهداة ، والقادة إلى الله ، وأولى الاتباع يتفاضلون فى المعرفة بالعلل ، بحسب ماسرى إليهم من أولئك الأطباء ، وبمقتضى اجتهادهم وتوفيقهم .

---

(١) فى : الأصل « لصفاتها » .

(٢) فى : س ، ظ « الذى » .

(٣) ساقطة من ، ظ وفى : س « بما لا عين رأت » .

الأصل الثانى من الباطن

فى الإيمان وما يتبعه من الاعتبار العامى

قال المؤلف (رحمه الله) (١)

الإيمان عبارة عن التصديق ، قال الله عز وجل : « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » . أى بمصدق ، وخصصه العرف بتصديق النبوة ، وكأنه نور أشرق فى القلوب بوساطة النبى .

والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام للعمل (٢) التكليفى ، والانقياد له بالجوارح ، ولأن (٣) الإيمان أشرف أجزاء الإسلام ، فكل إيمان إسلام ولا ينعكس . ولذلك ما كانت درجة الجمهور والمقنوع به منهم [إلا] الإسلام: «أمرت أن أقاتل الناس على ما هم عليه حتى يقولوا لا إله إلا الله». ثم درجة الخاصة الإيمان : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » . ثم درجة خاصة الخاصة الإحسان وهو قوله صلى الله عليه وسلم « أن تعبد الله كأنك تراه » [٣٣ ا] .

وعلى هذه المقامات بنى (٤) الناس المقامات وبين الأئمة فى ذلك خلاف أغنانا اشتهاره وشهرة الحديث الصحيح فيه عن الإعادة ؛ وعلى ما تقرر الاعتماد عليه إن شاء الله .

---

(١) فى : س ، ظ « رضى الله عنه » .

(٢) فى : س ، ط (العمل) وعليه أى الاستسلام هو العمل التكليفى : والأصل أرجح .

(٣) فى الأصل ، ط « وكأن » .

(٤) فى : ظ « فى » تحريف .

فمعنى الإسلام : دخول الناس فيما دعاهم إليه الرسول (صلى الله عليه وسلم)(١) من انقيادهم وقيامهم به : بنى الإسلام على خمس . وفى كون الإيمان يزيد بزيادة العمل ، وينقص بنقصانه ، وغير ذلك من أحواله ، كلام ينظره فى محله من تشوق إليه(٢)

وأما ماينبع ذلك من الاعتبار العامى ، فنقول : قال الله عز وجل : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ، وماخلق الله من شىء » . وقال : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض . ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » . وقال : سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » . قوله : أو لم يكف بربك . إشارة إلى أن الأولى معرفة الأشياء بالله ، لامعرفة الله من الأشياء(٣) .

فالتفكر الذى يتقدم الاعتبار ؛ هو إحضار معرفتين فى القلب ، ليستثمر منها معرفة واحدة . وتلك المعرفتان : إما أن يتلقاهما ويصححهما من نفسه ، وإما أن يتلقاهما من غيره مقلدا إياه فى صحتهما ، كما يقال : زيد وعمرو غنيان ، ذويا مال كثير(٤) ، إلا أن زيدا ينفق المال فى

---

(١) مابين الحاصرين ساقط من : ظ .

(٢) الذى تستريح إليه النفس هو أن الزيادة والنقص فى الإيمان يمكن تصويرها بالشجرة بين حالتى الشرب والعطش فلا نقص فى أصولها إن عطشت ، ولا زيادة فى أصولها إن رويت ، ومع ذلك فالريانة أزيد فى المعنى من العطشى .

(٣) ولذلك انتقض الصوفيه جميع المتكلمين فى استدلالهم على وجود الصانع بوجود الصنعة وقالوا الله دليل على وجود خلقه وأبطلوا العكس واستدلوا لصحة القول بأن الأصل دليل على الفرع بقوله تعالى « وجعلنا الشمس عليه دليلا » فالظل متفرع عن وجود الشمس والأصل وهو الشمس دليل على وجود الظل . والواجب وهو الله تعالى أصل لوجود والممكن وهو الإنسان فرع الوجود ، فالواجب دليل على وجود الممكن . وفى : ظ . لا معرفة الأشياء من الله . تحريف

(٤) فى : س ، ط « كبير » .

فى سبيل الله ، ومنفق المال فى سبيل الله أفضل من ممسكه[١] فزيد أفضل من عمر . فإحضار المقدمتين فى النفس بهذا الاستنتاج . يسمى تفكرا ، ويسمى اعتبارا ، ويسمى تذكرا ، ويسمى تأملا وتدبرا . فمنها مترادفة كالتأمل والتدبر والتفكر[٢] ، وسائرها يقع بينها الفرق ، فالاعتبار يقع على إحضار المعرفتين من حيث أنه يقتنص منهما المعرفة بالله مثلا ، فإن لم يقع الاقتناص ، ولم يكن إلا حضور المعرفتين ، سمى تذكرا فقط .

وفائدة التفكر تكثير المعلومات[٣] ، واستجلاب معارف ليست حاصلة ، وكلما ازدوجت المعارف على ترتيب مخصوص أثمر كل مزدوج منها ثالثا ، إلى غير نهاية ، إلى أن ينفصل تدبير النفس للبدن ، والتذكر ثان عن[٤] التفكر . وهو ثمرته ، ويتضمن : الإنابة . قال الله تعالى : «وما يتذكر إلا من ينيب . والاعتبار هو : دليل الله على نفسه ، الذى لا يحتاج إلى غيره[٥] فيه ، وفائدته فى هذا الباب هى المعتبرة بكونها أقوى أسباب المعرفة التخاطبية والمقامية .

فإن من وقف على مصنوع بديع ، أو موضوع شريف ، أو مخترع عجيب ملئت نفسه تشوقا إلى اجتلاء صانعه ، ورؤية واضعه . وجل بعينيه ، وحلا[٦] بقلبه ، بمقدار (٧) ما أدركه من مصنوعه ،

---

(١) فى : ظ « مسكه » .

(٢) فى : س « كالتدبر والتأمل والتفكر » وفى : ظ . « كالتدبر والتفكر والتأمل » وليست هذه الألفاظ مرادفة ، فالتدبر يكون فى القرآن والحديث وفقه الشريعة . أفلا يتدبرون القرآن . والتأمل مرحلة تسبق التفكر . والتفكر يكون فى الأمور المسخرة للانسان والتى لا دخل له فى عملها كالسحاب والشمس والقمر والنجوم أما التأمل فيكون فيما للانسان فيه دخل وماليس له فيه دخل .

(٣) فى : ط ، س « معلومات » .

(٤) فى : ظ « جا التفكر » :

(٥) فى . س « غيرية » .

(٥) وفى س « وجل فى عينه وحلا »

(٦) فى : ظ « مقدار » .

وفاض(١) عليه من حكمته ، وتفطن له من إتقانه وإحكامه ، وعظم تشوقه إلى لقائه وتأدية حقه ، والنباهة بمعرفته ، سيما إذا تأدى إليه سابق إنعامه(٢) ، وأن كل حبيب إليه هو الذى يسره وأحكمه ، (وكل مكروه إليه هو الذى أفاده الحذر منه وألهمه)(٣) وأنه مالك موته وحياته ، [٣٣ ب] الذى لاملجأ منه إلا إليه ، اللطيف به المتكفل بأمره

ونحن إذا أطلقنا أعنة الاعتبار لم نقف عند غاية ، ولا أحصينا فى يوم ما أدركنا من عجائب ذرة : « قل لوكان البحر مداد الكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مددا » . «ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، ما نفدت كلمات الله ».

مايتهى نظرى منكم إلى رتب
فى الحسن إلا ولاحت فوقها رتب
وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحـــد

فنلمح من ذلك ببارقة فى الأنفس والآفاق ، كما قال الله سبحانه وتعالى ، تلهم الأنفس إلى بدها (ونفعها)(٤) إذا طمحت عند حدها ، ونجعل ذلك فى الآفاق فنقول :

ومن نظر إلى السماء وقد أخضر أديمها ، واستقلت على غير عمد قبتها ، وعمت نطاق كرة الأرض طنبها(٥) سقفا مرفوعا ، وسمكا(٦) لا معتمدا ولا مدعوما ، قد أشرقت بها مصابيح النجوم بادية ، وفى الظلمات هادية ، مختلفة الأجرام والألوان والأبعاد والحركات ، كل بإزاء معنى غريب ،

---

(١) الأصل ، س وغاص .
(٢) فى : ط « إنعامه إليه » وفى : س « إنعامه عليه » .
(٣) مابين الحاصرتين . ساقط من : س .
(٤) ساقطة من الأصل .
(٥) فى : ط « طيها » .
(٦) فى : ط « وسمكها » .

وحكمة باهرة[١] . ولا كالشمس والقمر إذ يسبحان فى لجتها[٢] ، فيربيان المولدات ، وينتجان الحكمة البالغة ، بين الحر والرطوبة والبرد واليبوسة ، تسخن الشمس وتيبس مارطبه وبرده القمر ، ويرطب القمر ويبرد ما سخنته الشمس ، ويطوف كراهما بالأرض ، فيحدث لمغيبها ومن ظلها الليل ، لسكن[٣] الحيوان ، وتحلل أرواح النبات ، ويتعين بتدرجها فى مدارج الميل فصول الزمان ، من ربيع معتدل ، لينشىء[٤] النبات ، ويقيم قسطاس الطبائع[٥] ، وصيف يهيج الكلأ ، وينضج حب الحصيد ، ويبلغ عالم العشب إلى غايته[٦] ، وخريف يكسر من سورته ، ويتلقف جنى الفواكه من يد صولته ، ويكون فاصلا (ومدرجا بينه)[٧] وبين ضده . شتاء يهيء الأرض لقبول الفلح ، ويشوق أرحامها لجنين البذر .

وقد وكل الغيث بالفصل المعتدل يغذو ويربى ، وأمسك[٨] فى الحر إعانة على ضم الأقوات ، وتيبيس[٩] الغلات ، وقدر فى الخريف تعديلا لسورة القيظ . واستكثر منه فى الشتاء سقيا للحرث ، وتيسيرا للإثارة والفلح وعدة فى مخازن الجبال .

وقد تعين من هذا الجود الفياض رزق النملة فما فوقها ، وغذاء الورقة فما دونها : « وإن من شىء إلا عندنا خزائنه » ، « ولا رطب ولا يابس إلا

---

(١) فى : ظ « بالغة » .
(٢) فى : ط « لجبهما » .
(٣) فى الأصل « لسكن » وفى : س « السكون » والترجيح من : ط .
(٤) فى : س « ينشىء » .
(٥) فى : س ، ط « الصنائع » .
(٦) فى : ط « غاية » .
(٧) ساقطة من : س .
(٨) فى الأصل « وعـك » .
(٩) فى : ط « ونيبس » .

فى كتاب مبين» ، والاستغناء عنه فى القطر الذى يفيض به النيل ترفعا عن فعل العبث[١] أحق بالاعتبار[٢] ، قد اطرد ذلك قانونا لايعتريه الفتور ، ولا يطرقه الاختلال[٣].

ثم نقول : ومن نظر إلى عالم النبات واختلاف أنوعه ، وتباين ألوانه وشتى طعومه وروائحه ، مع المنابت[٤] القريبة[٥] ، والبقع المتحدة ، تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل . وإسقاطها الرياش [١٣٤] والأوراق فى فصل الشتاء ، عند الفراغ من تدبير الثمرات وستر أجنة الفواكه ، واستئنافها[٦] الزينة ، ومعاودتها الكسوة ، عند حلول النير[٧]» الأعظم بالمنقلب الربيعى الاعتدالى ، كأنها تنتظر وعده ، وترتقب أمره ، فتلقح وتنفطر[٨] ، وتخرج السندس والاستبرق من تلك الخزائن ، بتقدير الحكيم العليم ، متباينة القوى بين غذاء ، ودواء ، وضار ونافع وذى خواص[٩] ، مما يقبل الإلقاح والتذكير ، والعلاج والتدبير ، وقال الشاعر :

انظر إلى الأغصان فى حركاتها أشكرها أم سكرها تتأود
فتقول أرباب البطالة تنثنى وتقول أرباب الحقيقة تسجد
وإذا رجعت إلى اليقين فإنها فى شكر خالقها تقوم وتقعد

---

(١) فى: س ، ظ . العيث .
(٢) فى : ظ «حق كالاعبار » .
(٣) فى : ظ « الإخلال ».
(٤) فى س ، ظ « المباينة » .
(٥) فى : ظ « الغربه » .
(٦) فى : س ، ط « واشتياقها » .
(٧) فى : ظ « البنل » تحريف :
(٨) فى : س « وننتظر» .
(٩) فى : س ، ظ « وجنى خواص » .

وهذا الاعتبار هو العامى المتقدم على المحبة .

ثم نقول : ومن نظر إلى الحيوان وأصنافه . بين الطائر والماشى ، والمنساب والسائح ، قد أفرغت فى قوالب(١) الشبه أنواعها ، وظللت(٢) سطوحها المعرضة إلى الجو بالرياش والأشعار والأوبار ، والقشور والأخزاف ، وتممت مآربها قبل خلقها وإنشائها ، وهيئت(٣) مصالحها قبل اختراعها وإبدائها ، فكانت بجزئياتها ـ التى لا تنطق ـ مختصرة آلات الأصوات من المزامير والأعناق ، وساكنة الأرض خلدا(٤) لا تبصر ، ومنتجعة الغدران بحرا ، فيه الأنامل . طويلة الأرجل . وسباعها مخطفة المناقير متيسرة للنهش ، ولقطة الحبوب صلبتها للكسر ، وحفرة الأرض كمعاول(٥) الحفر ، ومصوتها(٦) مختلفة الأصوات بحسب (التنفس)(٧) والتنقير والسفاله ، ومنسوبة إلى الخف (٨) والتنقل(٩) إلى أحوازها الطبيعية من ماء وهواء وسهل وجبل يجدد لباسها فى كل سنة بتدريج لطيف ، لئلا تقدم آلة الحركات دفعة ، مقدرا لها ذلك فى فصول الدفء(١٠) وقر الليـــل تسببا(١١) للإعانة ، محصنة بالأنياب وآلات الدفاع . ومن لم يصلح ذلك فيــــه عوض(١٢) بسرعة العدو وشدة الجرى فتراها محصنة بالقرون للدفاع ، منعلة بالحوافر والأظلاف ، لئلا يسحجها قرع الصفا والغراز وما صلب من الأرض .

(١) فى : س ، ظ . قواليب .
(٢) فى : ظ ، س « ضللت » تحريف
(٣) فى : س ، ظ « وهبت » تحريف .
(٤) أى التى تسكن جحور الأرض خالدة إلى سطح الأرض ولا يبصرها الناس .
(٥) فى الأصل « كمعاون » وكذا فى : س ، ط .
(٦) فى الأصل « ومصوتها » .
(٧) فى .) ساقطة من : ظ . وفى : س « التنقر » .
(٨) فى : س ، ظ « منسوبة الخف » .
(٩) فى : س ، ظ « والنعل » .
(١٠) فى : ظ « فصول الرعى » وفى . س « كطول النهار » .
(١١) فى : س ، ظ « سببا » .
(١٢) فى : س ، ظ « عورض » .

مستورة المخارج بالأذناب إخفاء للعورات والقذر، وصونا عن ضرر الرياح، ذابة مؤذى الذباب بالأذيال، مميزة نافع العشب من ضاره بقوة التوهم، وقد ألهمها جل وتعالى جميع ماتفتقر إليه حياتها، وأشربت قلوبها الرحمة لصغارها، والتمييز لنتاجها، والنفار من أعدائها، حتى يعرض الكلب(١) عن فرخ السنور قبل أن يفتح عينيه ويبصر، فتبدو عليه النفرة والتأفف(٢) والاقشعرار، ويبيض الطائر البيضة البكر أشبه شيء بالحصاة التي عهدها في الأودية والرمال، فيعكف عليها، يرجى الغائب وينتظر القادم، كأنه أودع فيها الفرخ، أو كشف له عما في القوة. فسبحان المنعم الملهم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

ثم الإنسان وانتصاب قامته طالبة(٣) بنية العلو، وجعل عينيه طليعة في أعلى رأسه منه [٣٤ ب]، وحركة يديه ورجليه إلى جهتيهما، وصونهما بأطباق الجفون، وتهذيبهما بهداب(٤) الأشفار، وجعل(٥) الحاجبين فوقهما رفرفا واقيا عما ينزل من الأعلى، وتهيئة آلات الغذاء إذا كان منبثا على الأرض؛ بخلاف النبات. فجعل له الفم تمضى(٦) منه الأغذية إلى جميع أجزائه ورتب فيه عظامه على اختلافها من آلة قطع ورض وكسر وطواحن تهيء المطعوم؛ واللسان يقلبه فوق الطواحن، واللعاب المتفجر من جانبيه يهيء له الإبتلاع، ولا تنبت له إلا عند الضرورة من فطام الرضاع، وتناول المطعومات بالتدريج، وأعجب من ذلك حال التوالد(٧) واستقرار بذره في حرث الرحم برراوة النسل؛ مشوقا إلى ذلك باللذة، مستدرجا بالشبق؛ وقد اشتمل البذر على كل جوهر موجود

---

(١) في الأصل: على فرخ السنور.
(٢) ف: س « والعاقب » تحريف.
(٣) ف: ط « طالب ».
(٤) ف: س « بأهداب ».
(٥) ف: س، « يجعل ».
(٦) ف: س، ظ « تقضى ».
(٧) ف: س « التوليد » وف: ظ « التولية » تحريف.

فى الأب ، تبرزه القوة المصورة من القوة إلى الفعل ، وتهيئه أطوار الكون إلى قبول روح الأمر (١) من جانب الخالق البارى المصور . فإذا برز إلى الوجود ، تحولت مادة غذائه فى الرحم دما ، و إلى الثدى لبنا ، واستخلفت الألطاف(٢) الإلهية عليه شفقة الأم تحذو فيه حذوها صونا وتنمية ، ورحمة من غير (ابتغاء)(٣) عوض إلى أن يستقل . فسبحان الله عما يصفون .

ولا كعجائب(٤) ماظهر به من أثر النفس العالم الشريف (الإلهى)(٥) المتجلى من مشاعر الحواس ، فترى الروح يقبض(٦) من إنسان ، ويدخل إليه من (خرت)(٧) أصغر من العدسة صور مابين السماء والأرض .

(يامن على السر قد عثر لاتتركن نظم ما انتثر
حتى إذا عينه بدت لاتترك العين بالأثر)(٨)

وكذلك المسموعات . تتصل بها من ثقب الأذن ، والكل يستقر لديه فى لوح الخيال ، فلا تتزاحم له المرئيات والمسموعات ، ولا ماتدركه القوى النفسانية من المدركات ، فيدرك ماوراء الحجب الكثيفة ، ويتصل بها مع سكون الجثة ، ويستحضر البلاد والعباد وهو فى كن بيته ، وفوق أريكة ، إدراكا مباينا لجسده ، ومعلوما لامن وظيفة جرمه ، إنما هو منوط بنور من نفخ (فيه)(٩) من روحه ، فكيف لاتهتم النفوس فى سبيل التقرب إلى هذا الحكيم العليم ، الذى إليه الرجعى ، وله الآخرة والأولى ،

---

(١) فى : س ، ظ « لأمن » .
(٢) فى الأصل ، س ، ط « ألطاف » .
(٣) ساقطة من : س ، ط .
(٤) فى : ظ « كعجائبه » .
(٥) ساقطة من : س .
(٦) فى الأصل « ينص » تحريف .
(٧) الخروت الثقوب . وفى . ظ « خزب » تحريف .
(٨) البيتان ساقطان من : س ، ظ .
(٩) ساقطة من الأصل .

فهذا وأمثاله مما يفتح (عين)(١) اليقظة(٢)، وينبه من نوم الغفلة، ويذكر بالبدأة والرجعة، ويقدح فى القلب البليد ذبال(٣) الفطنة.

فإذا سالت أودية الفكر بقدرها، واحتمل السيل زبد (الشك)(٤)، وأقصى إلى بحر الهيمان (فى عالم الأمر)(٥)، نبت فى خميلته حب المحبة بفضل الله، فأخرج منها المرعى، وجعله غثاء أحوى(٦).

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث(٧) بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

خاتمة:

قال (٨) أبو الفرج: لما كان الصانع عليا(٩) عن الإحساس، سطرت قدرته فى ألواح التكوين عجائب الكائنات، ثم وضعت الألواح فى حجور العقول، لتقرأها أذهان أطفال الطباع، فإذا حذق الصبيان، وحفظ المكتوب، محى اللوح: «إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت»(١٠).

---

(١) ساقطة من الأصل.
(٢) على هامش الأصل «جفن اليقظة» من نسخة ثانية. وكذا فى س، ظ.
(٣) فى. ظ «بال الفطنة».
(٤) ساقطة من: ظ.
(٥) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل.
(٦) سورة الليل.
(٧) فى: ظ «الحديث» تحريف.
(٨) فى: ط «قول».
(٩) فى: س؛ ظ «غائبا».
(١٠) سورة التكوير.

الأصل الثالث من الباطن

فيما يتبع ذلك من اليقظة والتوبة والرجاء :

اليقظة :

قال المؤلف رحمه الله[1] : ومن هذه الثنية أعز ... الاعتبار تشام بوارق اليقظة . قال الله عز وجل : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله » . والقومة لله : اليقظة من سنة الغفلة ، والنهوض من ورطة [٣٥ ا] الفترة ، وهو أول ماينير[2] قلب العبد بالحياة لرؤية نور الثنية . وجعل آخرون مراتبها لحظ القلب إلى النعمة ، على اليأس من عدها ، والعلم بالتقصير في حقها ، ومطالعة الجنايات معها .

إلهى لك الحمد الذى أنت أهله على نعم ما كنت قط لها أهلا
إذا ازددت تقصيرا تزدنى تفضلا كأنى بالتقصير أستوجب الفضلا

والتشمير مع ذلك للتدارك[3] ، وطلب النجاة لتمحيصها ، ثم الانتباه للأيام ، والاعتذار من إضاعتها ، وصرف الوكد إلى الضنانة [بها] ، وتدارك الفائدة منها ، وتتميم ذلك كله بنور العقل ونظر المنة ، والاعتبار بما ابتلى [به] ومعرفة النفس[4] ، وتعظيم الحق ، وتصديق الخبر ، وسماع العلم ، وصحبة الصالحين ، وزمام ذلك كله خلع العوائد .

التوبة :

وحجة جعل التوبة سببا من أسباب المحبة قول الله عز وجل :

---

(١) ق : س ، ظ « رضى الله عنه » .
(٢) فى الأصل « يستنير » وكذا فى : س ، ظ .
(٣) فى : س ، ظ « للتدرك » .
(٤) فى : س « النفوس » .

«إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»(١) . فجعل التوبة من سبب حبه لعبده . ومن المحال أن يحصل حبه للعبد — وهو كناية عن عنايته ، وسابقة اختصاصه بقربه ورحمته — ولا يكون محبا من حيث السابقة ، وحبه ثمرة السابقة والاختصاص ، فصح أن التوبة سبب فاعل فى محبة الله تعالى من حيث السابقة ، وسبب متمم من حيث ارتباطه بالظاهر .

والتوبة : الرجوع . يقال : تاب أى رجع عما كان مذموما فى الشرع إلى ما هو محمود فيه ، وقال بعضهم : أهم مقامات قسم البدايات مقام التوبة . وهى : الرجوع من المخالفة إلى الموافقة ، ومن الطبع إلى الشرع ، ومن الظاهر إلى الباطن ، ومن الخلق إلى الحق . وتدخل فيها اليقظة ، والإنابة ، والمحاسبة ، بين متقدم ومصاحب وتابع ، وليس بينهما كبير مهلة ، وقال الشيخ (أبو القاسم)(٢) : هى عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أشياء ، يوجب أولها الثانى ، وثانيها الثالث : علم ، وحال ، وفعل . العلم معرفة الذنوب وضررها ، والحال الندم ، والفعل العزم والإقلاع . ودلائل وجوبها قوله تعالى: « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ». وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا » . والنصوح : الخالص . ووجوبها على الفور لا يستراب فيه ، قال الله عز وجل : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب» . وقال صلى الله عليه وسلم : « أتبع السيئة الحسنة تمحها » .

---

(١) لا تقدح المعصية فى المحبة مطلقا . فهذا نعيمان رضى الله عنه كان فيه مزاح ، وربما كان يبتسم الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه . رفع إليه وقد شرب لحده ورفع إليه ثانية ثم ثالثة فلعنه بعض القوم فى الرابعة، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله» وسئل ذو النون المصرى عن الرجل يعصى ويحب الله فقال « هذا رجل عاص يحب الله » .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقطة من : س ، ظ .

ودلائل قبولها . قوله : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات » . وقوله : « غافر الذنب وقابل التوب[١] » . وقال [صلى الله عليه وسلم] : « إن الله يبسط يده بالتوبة » . وبسط اليد كناية عن الطلب ، (قاله الإمام أبو حامد)[٢] . وشروطها : الندم ، والإقلاع ، والعزم على ألا يعود ، ورد المظالم .

ودرجاتها : التوبة من الذنب ، ثم التوبة من استكثار الطاعة ، ثم التوبة من استقلال المعصية ، ثم التوبة من تضييع الوقت ، ثم التوبة مما دون الحق (من)[٣] التوبة[٤] وغيرها[٥] .

وأنواع المتوب[٦] منه قسمان : قسم بين الله وبين عبده ، وقسم فيما بينه وبين مثله . الأول : كترك الواجبات المتعينة عليه ، والثانى : كقتل النفس ، وأخذ المال ، وتناول [٣٥ ب] الأعراض ، والأمر الثانى أغلظ[٧] . وفى الأول ما لم يكن شركا أسهل[٨] . والكبيرة كل ما نهى الله عنه ، وما سواه فصغيرة .

---

(١) سورة غافر .
(٢) مابين الحاصرتين : ساقط من : س ، ظ .
(٣) ساقطة من : س ، ظ .
(٤) أى التوبة من التوبة . ومعنى ذلك أن يلاحظ التائب أن التوبة قد سبقت له من الله تعالى قبل أن ينطق بها بلسانه ، ويعزم عليها بقلبه ، لقوله تعالى : فتاب عليهم ليتوبوا . فالتائب لم يتب فى الحقيقة ، إنما الله هو الذى تاب عليه ويسرها له ، فيجب على العبد أن يتوب من اعتقاده أنه تاب إلى الله ورجع إليه ، ويجب أن يرد التوبة إلى أصلها وهو الله تعالى .
(٥) أى جميع أعمال التوبة ودرجاتها ، يتوب منها العبد كما تاب من فعله للتوبة وأسندها إلى موجدها الأول والسابق بها إليه ، وهو الله تعالى وكذلك جميع العبادات والأعمال الظاهرة والباطنة التى يقوم بها العبد تجرى على هذا السنن المعبر عنه عند الصوفية بالفناء عن العمل . ثم الفناء عن الفناء فيه .
(٦) فى : س ، ظ « المتوبات » .
(٧) لأنه مخالفتان : مخالفة أمر الله . والاعتداء على حق العبد وتعلقه به .
(٨) لأن الله يدع حقوقه بالاستغفار والندم والصدقة .

وعلاج مرض التوبة — وهو : أن يجرى على التائب الذنب المتروك — أن يدرأ بالحسنة السيئة لتمحوها[١] ، فيكون ممن خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً[٢]. وجنس الحسنة يدرأ السيئة بالقلب ، أو باللسان ، أو بالجوارح ، وأن يكون فى محل السيئة أوجب . فالقلب بالتضرع إلى الله فى قبول العفو ، وإضمار الخير للناس ، والعزم على الطاعة[٣] ، واللسان بالاعتراف بالظلم ، والاستغفار[٤] ، وبالجوارح كالطاعات من أنواع الحركات العبادية ، صدقة وغيرها .

قال أبو الفرج : إذا خرجت القلوب بالتوبة من حبس الهوى إلى بيداء الإنابة ، جرت خيول الدمع فى حلبات الوجد كالمرسلات عرفا ، وإذا[٥] استقام زرع الفكر قامت العبرات تسقى ، ونهضت الزفرات تحصد ، ودارت رحى التحير تطحن ، واضطرمت نار القلق تنضج ، فحصلت للقلب ملة يتقوتها فى سفر الحب .

والتوبة مما يتقدم المحبة ، وربما تتأخر[٦] عنها ، وكثيرا ما ينقدح على أثرها زناد الرجاء فيورى ، وتؤيده الاستقامة ، وهى : استصحاب حال التوبة ، فيضىء فى بيت الله — وهو القلب — نور المحبة ، لتأنس النفس بشروعها فى رفع الحجب ، وصحو جو المعاملة ، وفى ضده قال[٧] الشاعر :

إذ ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق ما يعتاده من توهم

---

(١) فى : س ، ظ « فيمحوها » .
(٢) خلط العمل الصالح والسىء فيه إحتمال عفو الله . قال تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا . عسى الله أن يتوب عليهم » .
(٣) والذكر الخفى . والتأمل والتدبر والتذكر .
(٤) فى ، ظ « بالظلم الاستغفار الجوارح » تحريف .
(٥) فى : س ، ظ « إذا استقام » .
(٦) فى : س ، ظ « تأخرت » .
(٧) فى : س ، ظ « يقول » .

وعادى محبيه لقـول عـداته فأصبح فى ليل من الشك مظلم

وحقيقة الرجاء :

ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده بعد تردد فيه . والفرق بينه وبين المنى والانتظار : أنه إن كان قد حصلت له بعض أسبابه سمى[١] « رجاء »، وإن كانت الأسباب منخرمة أو مضادة سمى «غرورا » ، أو مجهولة سمى « تمنيا » ، فتعريف الرجاء : ارتياح القلب لانتظار محبوب تمهدت أسبابه الداخلة تحت الاختيار ، كرجاء الغلة من بعد تسبب[٢] الفلاحة ، والتمنى كقول العاجز .

لعـــل الله يأتينى[٣] بسلمى فيطرحهـا ويلقينى عليهـــا

والغرور : كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأحمق من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى » .

وقال الله سبحانه : « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ، يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويقولون سيغفر لنا » .

ومن دلائل فضله على الكفة الأخرى وهى[٤] الخوف . قالوا : « العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف »[٥]. ومن محركاته . قال الله عز وجل :

---

(١) ى : س ظ « تمنى رجاء » تحريف .

(٢) ى : ط « تسبيب ».

(٣) ى : س ، ظ « يأتى » تحريف .

(٤) ى : ظ « وهو » .

(٥) الرأى الصحيح عند الصوفية : أن يستوى الخوف والرجاء بحيث يكون العابد بينهما كالطائر بين جناحيه . وقالوا : إذا مال أحد جناحى الطائر عرض نفسه للسقوط ، فكذلك الخوف والرجاء لايجوز أن يغلب أحدهما الآخر . أما قولهم : العمل على الرجاء أعلى من العمل على الخوف . فهو يناسب البادئين فى سلوك الطريق الى الله ، كما أن الخوف يناسب كبار العارفين ، والأولياء دائما يقبضون على مقام الخوف .

وى : ظ « العمل على الرجال على منه على الخوف » تحريف .

« يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » . وقال : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » . وفى الحديث : « لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها ، ما استغفرنى ورجانى » . وقوله : « إن لله مائة رحمة ، ادخر منها تسعا وتسعين ، وأظهر منها فى الدنيا واحدة ، بها يتراحم[1] الخلق ، فتمن الوالدة على ولدها ، وتعطف البهيمة على ولدها ، فإذا كان يوم القيامة . ضم هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين [٣٦ ا] فبسطها على جميع خلقه » .

ومن شواهد ارتباطه بالمحبة ما جاء فى الخبر : أن الله أوحى إلى داود : يا داود ، أحبنى وأحب من يحبنى ، وحببنى إلى خلقى . فقال : يا رب كيف أحببك إلى خلقك ؟ قال : اذكرنى بالحسن الجميل ، واذكر آلائى وإحسانى[2] . وذكرهم بذلك[3] . وروى أن «عثمان بن أبان» كان يكثر ذكر أبواب الرجاء ، فقيل له : ماذا لقيت؟ فقال : أوقفنى بين يديه ، وقال : ما فعلت ؟ فقلت : أدرت أن أحببك إلى خلقك ، فقال : قد غفرت لك . فإذا أشربت[4] النفس معنى[5] الرجاء ، وعلقت آمالها بجود الله ، انقدحت فيها أنوار حبه وأنست ، وكان الرجاء أقوى أسباب المحبة . ومن أمثال العامة ، قيل للفقير : لأى شىء تحب الغنى ؟ أو تعظم الغنىّ ؟ فقال : لأن محبوبى[6] عنده وهو الدنيا . وكثيرا مايصاحب النفس اللجاج

---

(١) ى : ظ « تراحم » .

(٢) ى : ظ « وأحيانى » .

(٣) ى : ظ « ذلك » .

(٤) ى : س ، ظ « أشرفت » تحريف .

(٥) ى : ط « جاء معنى الرجاء » .

(٦) ى : ط « يحبونه » تحريف .

مع شدة الخوف ، وظلام اليأس(١) ؛ فأنها(٢) كالصبي لا يستنزل عن اللقمة فى يده إلا بالمباسطة والرغبة والحيلة ، ولا تستخلص منه بالعنف إلا عن مشقة .

---

(١) فى ظ : « وكلامه الناس » تحريف .

(٢) فى الأصل « بأنها كالصبي » تحريف .

الأصل الرابع من الباطن

فى تقرير العناية والتوفيق فى حق المستغنى عن ذلك من المستقيمين

قال المؤلف رحمه الله[١] : أما العناية فإنها[٢] راجعة إلى القابلية الأولى للتجلى الغيبى الباطنى ، ومنها سرى حكم السابقة المعبر عنها بالعناية الأزلية ، المشار (إليها) [٣] بقوله : « لهم قدم صدق عند ربهم » . وذلك فى الشخص بحسب قلة ميل حقيقته من الحضرة البرزخية إلى الحقيقة الإمكانية ، أو بحكم عدم ميلها[٤] . إذ بمقدار البعد عن الطرف[٥] الإمكانى فى حضرة العماء تكون العناية والسعادة ، ثم بعد ذلك يقع الجذب عن المحبة[٦] والأحكام ، ويخلص السر الوجودى[٧] المفاض على الحقيقة إلى أصله بحكم ظهور أثره[٨] . قبل من قبل لا لعلة ، وأعطى من أعطى لا لقلة ، وبموجب جذبه من جذبات الحق توازى عمل الثقلين .

---

(١) فى : س ، ظ « رضى الله عنه » .

(٢) فى : ظ « وأنها » .

(٣) ساقطة من : س .

(٤) فى : ظ (مثلها) .

(٥) فى : ظ (الطرق) تحريف .

(٦) فى : ط (فى الحجب) وفى : س . (من الحجبة) .

(٧) على الهامش (الأوحدى) فى نسخة ثانية .

(٨) : الحضرة العمائية . هى حضرة الغيب المطلق الذى لا تميز فيه ، والحضرة الإمكانية : هى حضرة ظهور المعلومات العمائية الغيبية إلى الحس . والحضرة البرزجية هى الخط الوهمى الفاصل بينهما . تشرف على العماء بوجه الغيب ، وعلى الإمكان بوجه الظهور ، فبمقدار بعد السالك عن حضرة الحس ، وقربه من حضرة البرزخ الفاصل بين العماء والإمكان يكون استعداده لتلقى الفيض والجذب الحبى من الله تعالى . فيعود سر الوجود إلى أصله ويتعلق به ويخلص توجهه إليه .

وهذا الباب مما التقى فيه ناظر العقل بجانب(١) النقل ، وتأنى(٢) فى مناخ العجز عن تفهم العلة فى العناية . وقال الشيخ تاج العارفين أبو مدين : رأيت الحق عن يمينه نور ، وعن يساره أسودة . فقال: ياشعيب . ماترى ؟ فقلت : يارب هذا عطاؤك ، وهذا قضاؤك ، فاجعله حيث شئت « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » . « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده » .

سبق الحكم والجميع سواء شبح ماثل ونفس وروح
ليس كل الأمور تدرى ولا ما يفعل الحاكم العزيز يلوح .

فالمجذوب إن ترك آب(٣) ، وإن دعى أجاب ، وهو العروس الذى خطبته المحبة ، « وجبت لى النبوة وآدم بين الماء والطين »(٤) . والتوفيق مثل العناية . وقال بعضهم : التوفيق هو العناية التى للعبد عند الله قبل كونه ، المتفضل به عليه عند إيجاده إياه ، وتعلق خطابه به ، وقال تعالى : « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » فصحت لهم هذه القدم قبل كونهم ، حيث لاقبل فى علم الله تعالى ، خصوصية منه [٣٦ ب] جل وعلا لهم ، وهى الرحمة التى كتبها على نفسه ، فلما أوجدهم فى أعيانهم بصفة الجود ، وأبرزهم فى الوجود ، تولاهم بلطفه ، فحققهم بحقائق التوفيق ، وبين لهم

---

(١) فى الأصل (بجالب) .
(٢) فى الأصل (وتأبى) .
(٣) فى : س ، (إن حرك تاب) .
(٤) نص الحديث : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » قال الفتنى فى تذكرة الموضوعات : ولم نقف عليه بهذا اللفظ فضلا عن زيادة (وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين) وقال شيخنا : الزيادة ضعيفة ، والذى قبلها قوى ، وقال الصغانى : موضوع . وصححه الحاكم بلفظ (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) وورد الحديث بلفظ (كنت أول النبيين فى الخلق ، وآخرهم فى البعث) ، وله شاهد فى تاريخ البخارى . وهو من حديث سعيد بن بشير . قالوا لابأس به وقيل ليس بقوى .

طريق النجاة الموصلة إليه ، بينة(١) لأنبيائه بوساطة ملائكته ، ولأوليائه بوساطة أنبيائه ، وللملائكة بالجملة التى أوجدهم عليها ، فاهتدوا على أوضح منهاج ، وعرجوا على أنجح معراج ، فما زال التوفيق يصحبهم فى كل حال ، ويقودهم إلى كل عمل مقرب إلى الله من أعمال القلوب والنفوس والمعاملة المتوجهة على الحواس ، حتى استولى عليهم(٢) فوق الهمم ، وأنزلهم فى حضرة الجود والكرم ، فغرقوا فى بحار المنن والآلاء ، من نعيم جنان ، ومضاهاة استواء ، على قدر ما أراد أن يمنحهم من نعماه ، ويهبهم من رحماه ، فعاينوا عند ذلك تولى الحق لهم فى ذلك ، ولم يكونوا شيئاً مذكوراً ، ثم استصحاب التولى لهم فى محل الدعاوى ، بتقدسهم عنها ، فأرادوا الشكر (والحمد مع غاية الجد فى ذلك والجهد ، ووقفوا فى موقف الحيرة لما رأوا الحال فوق الثناء)(٣) فمنعتهم الحقيقة ، فكان الشاكر هو المشكور ، والذاكر هو المذكور ، فعجز العبيد عن الثناء ، ثم رأوا أن الذى حصل لهم من الثناء عليه إنما هو من عنده ، أثنى على نفسه بفعله ، فقال عز من قائل : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . والقليل معار عندنا ، وهبناه(٤) عناية منه ، والكثير لم نصل إليه ، فليس لنا (شيء)(٥) ندعيه . فالمحقق شبح منحوت إلا أنه مبخوت ، وصاحب الدعوى ممقوت ، وإلى هذا أشار الصادق صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » . وينظر تمام هذا الفصل فى غيره ، فقد استوفى فيه .

(١) فى : ظ : . بكه . تحريف .

(٢) فى : ظ . بهم . تحريف

(٣) ما بين الحاصرتين من : ظ ، وفى : س . جاء بعد قوله : الذاكر هو المذكور

(٤) فى س ، ط . وهبنا .

(٥) ساقطة من : ظ .

الأصل الخامس [من الباطن]

فى السماع والموعظة فى حق الجميع ممن ذكروا أو يذكروا(١)

قال المؤلف رحمه الله(٢) : وهو فى طريق(٣) القوم معروف ، وفى الجواذب إلى المحبة معدود. تقول العرب: «حرك لها حوارها تحن». والسماع من أكبر مصائد النفوس ، والدواعى إلى رقتها(٤) وحنيتها(٥)، وإذا رقت

---

(١) فى : ظ ، س . ممن ذكر أو يذكر .

(٢) فى س ، ظ . رضى الله عنه .

(٣) فى : ظ . وهى طريقة القوم . تحريف

(٤) فى س رفقها .

(٥) قال سيدى محي الدين بن عربى: السماع سر من أسرار الله تعالى فى الوجود [التدبيرات ص ٢٢٣ ليدن] والصوفية لا يسمعون كما يسمع الناس ، وإنما يسيرون على قاعدة بالغة الدقة والخفاء سأحاول تقريبها جهد الطاقة : كل ما فى السكون ينطق بلحن صامت خاص به لا تسمعه إلا الروح البالغة النشاط على سلم التطور الروحى ، وتتقابل الأنغام كلها فى لحن السكون الأعظم ، الذى يفوق كل ما يتصوره البشر ، والصوفى يشغل وقته كله بالسير على هذا السلم الروحى حتى يبلغ مدى ما تبلغه أرقى الأرواح وأسماها ، ينصت إلى السكون بعد أن يقضى على الألم، فالآلام التى تصيب البشر فى الحقيقة هى التى تعوقهم على تلك اللذة العظمى، لذة الاستماع إلى لحن السكون الأعظم، فهم يتعلون من تلك الآلام ، ويحفظون أنغامها ويردونها إلى نظائرها من أنغام الروح السحيقة العمق، فتصبح الآلام بعد ذلك عندهم بلا ألم، وحينئذ يطرق سمعه لحن السكون حيث أيقظه القضاء على الألم ، وتنزاح الحجب حجابا بعد حجاب حينما يحمل ذلك الصمت فى لحن السكون إلى الروح العلم ، لأن ذلك العلم سيلقى ضوءا على حقيقة الحياة ويلقى على معضلاتها النور . وهكذا يعود العارف من السماع بروح رائدة ، وفتح جديد ، حيث يرى العالم كله امتدادا لنفسه هو ، ويحاول قراءة تلك الأحجية العظمى ويتصدى لمشيخة الطريق . وقد سمع أحد العارفين المعاصرين طول الحرب وأنغام الحصباء فى « بدر » فى المكان الذى جرت فيه أول معركة بين الإسلام والشرك حينما أقام فيها بعض الوقت، وسماع الألحان من محركات الروح نحو هذا الهدف، وإذا أراد الصوفى أن يوجه روحه نحو اللحن المسموع فإنه يركز بصره وبصيرته وجميع حواسه على قلبه ، ويحاول طرح بدنه بإخماد كل حواسه وبتركيز روحه على القلب ، والصبر على ذلك دون حركة ظاهرة أو باطنة ، وحينما تتصل روحه بعالمها فإن راحة الروح ستضفى على البدن هدوءا شاملا وسكونا عميقا ، ومن هنا يكون سماع العارف ولدقة هذا الطريق وخوف الزلل فيه كره السماع جماعة من الصوفية . وقد أجاد سلطان العاشقين فى بيان مسموعات العارفين .

فيرقص قلبي وارتعاش مفاصلي ... يصفق كالشادى وروحى قينتى

عشقت . ومن لوازمه فى البداية الوجد والحزن ، وهى مزعجان من مزعجات العشاق . وإذا اقترن بألحانه المناسبة لقوة النطق الحبيبة للنفس من الأقوال الشعرية ، المتضمنة لذكر الهوى ، وأوصاف المحبين ومواجدهم ، وأحوالهم التى بلغ بهم إليها الكلف ووسائلهم ، برز الكامن ، وذاعت الأسرار ، سيما فى أرباب البدايات . فهم همل لعصا راعيه ، ولحم على وضم لشدة صولته . وتأثيره(١) حتى فى النفوس غير الإنسانية من الطير والبهائم معروف ، فالطير قد شوهد تدليه من الغصون على أرباب الوترية والمنشدين أولى النغمات الفائقة والجمال ، يقتلها(٢) (الحنين عند الحداء)(٣) ، فتأثر النفوس (٤) الإنسانية أحق وأولى .

نعم لولاك ما ذكر العقيق ... ولا جابت له الفلوات(٥) نوق

نعم أسعى إليك على جفونى ... تدانى الحى(٦) أو بعد الطريق

إذا كانت تحن (لك)(٧) المطايا ... فماذا يفعل القلب المشوق

ولذلك اتفق كثير من الأمم على اتخاذ آلة الموسيقى فى متعبداتهم لتلطيف الأسرار [٢٧ ا] وتهذيب النفوس . وجعلت الحكماء صناعة الألحان فى ترتيب العلوم الرياضية متصلة بالعلم الإلهى . ويحكى عن نبى الله داود ومزاميره ، وحنين(٨) الطير والوحوش ما هو معروف . ومن مثل

---

(١) فى : س (وتأثير) تحريف .

(٢) فى : ط) فقبلها . تحريف .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٤) فى : س (فتوثر فبالنفوس) تحريف .

(٥) : ط (ولا حانث لم فى الفلوات) تحريف .

(٦) فى الأصل (الحب)

(٧) ساقطة من : ط

(٨ فى : ظ (حـن) . تحريف :

الإنجيل : غنينا لكم فلم تطربوا ، وزمرنا(١) لكم فلم ترقصوا . أى شوقنا كم بذكر الله فلم تشتاقوا . سئل (أبو على)(٢) الروذبادى عن حقيقة السماع فقال: المنطق الذى ظهر الحق به ، ونطق به فى الأزل ، صار كامناً فى نفوس الخلق حين خاطبهم الحق بقوله : «ألست بربكم ؟ قالوا : بلى» . فبقيت حلاوة الخطاب فى الأسرار ، فما كان فى القلوب من رقة ووجد وحقيقة فهو من تلك الحلاوة التى خاطب بها فى النشء الأول ، لأن الأعضاء كلها ناطقة بذكره مستطيبة لاسمه .

تنبيه :

السماع محرك الحب على الإطلاق فما دام فى هذه الرتبة عد سبباً ، وإذا حصل الحب اختلفت فيه أحوال العشاق بحسب ضعفهم وتمكينهم ، فمنهم من يكون فى حقه معدلا(٤) ، ومنهم من يكون فى حقه مغرياً أو مهلكا ، فإذا حصل الرسوخ والتمكين لم يكن (به)(٥) إحساس(٦) . وقسمه الهروى ،

(١) فى : ظ (ومزمرنا) .

(٢) ساقط من : ظ .

(٣) فى : ط (ترتيب) وفى س (ترتية) .

(٤) فى ظ (معدولا) .

(٥) ساقطه من : ظ .

(٦) قال سيدى أحمد زروق «الواجد إن لاحظ معنى فى وجده أفاده علما أو عملا أو قولا مع ميله للسكون والاستلقاء ظاهرا فوجده من الحقيقة والمعنى ،وإن لاحظ الوزن والألحان فطبيعى سيما إن وقع اضطراب واحتراق فى النفس ، وإن لاحظ نفس الحركة فشيطانى لاسيما إن أعقبه اضطراب وهوشة فى البدن واشتعال نارى ،فلزم اعتبار ذلك بوجه من التحقيق تام . وإلا فترك سببه أولى (قواعد التصوف ص ٥٠ القاهرة) وقال سيدى محى الدين بن عربى إن سماع النفس لا يأتى بعلم ألبته وسماع العقل لا تكون معه حركة ، فمن جمع بين الحركة والعلم فهو كاذب جاهل بالحقائق (التدبيرات الالهية ص ٢٢٤ ليدن) .

وروى الكلاباذى عن أبى القاسم البغدادى :أن الحركة عند السماع لا تقدح فى التحقق بالسماع إذا كانت الحركة بعد أن تمتلئ الروح من قوتها وهو النغمة فتشرف على مقامها الأصلى فتعرض عن تدبير الجسم ، فيظهر عليه الاضطراب والحركة [التعرف ١٦١] وعن سيدى أحمد زروق: أن صاحب هذا الحال من المحانين وأسقط اعتبار أفعاله ولم يجر عليه الأحكام إن تحقق وجود الحالة منه وألزمه باستدراك الفائت كالسكران ، لتسببه فى الأصل ، [القواعد : ٤٩] وجمعا بين الآراء فالمتحرك فى السماع وسط بين الجاهل والعارف .

إلى سماع العامة والخاصة وخاصة الخاصة ، ويحسب منه الترجيع بالتلاوة والأذكار ، إلا أن أثر السماع أفشى. ومن آدابه أن تكون أقواله مما لا تنكرها الحشمة ، ولا يمنع منه الدين ، وآلته مما لا تناله خسة العادة ولا ضعة الاستعمال، (واستعماله) (١) وأغراضه مما لا يثير (٢) محظور الشهوات . وزبدة آدابه أن يكون المطلوب منه تلطيف السر ، والاستجذاب لقوى النفس ، وتهيئتها لعفيف العشق ، واستعمال ما يليق بالمريدين المحبين المسلوبين (٣) ، المتأثرين بسماع العتاب والخطاب ، والرد والقبول ، والوصل والهجر ، وأمثال هذه الأحوال التي لابد أن يوافق بعضها حال المريد فتهجم عليه لأجل ذلك الأحوال ، وتطرقه (٤) المواجد (٥) ، ثم يفضى به الأمر إلى سماع الواله المستغرق ، كالذى سمع البيت فقام يعدو على أجمة قصب محصود كالأسنة ليلة حتى تقطعت رجلاه ولا شعور لديه بذلك :

لو يسمعون كما سمعت كلامها   خروا لعزة ركعا وسجودا

وهو من الأسباب التى توصل ولا تقطع (٦) ، وقوابله البدايات ، ومن تستفزه الغواشى ، ثم يبطل فى النهايات أثره . وأخبار العشاق ومصارعهم فى السماع تذكر عند ذكر أخبار المحبين .

تنبيه :

زعم بعضهم أن السماع أدعى للوجد من التلاوة ، وأظهر تأثيرا .

---

(١) ـ ساقطة ـ من : س و ظ .

(٢) فى س ؛ ظ (ييسير) .

(٣) فى س (المبتدئين) وفى ـ ظ (المستلزمين) .

(٤) فى : ظ (وتطرفه) .

(٥) وصغار المريدين لاتطرقهم المواجد ، والسماع لهم جامع لشتات خواطرهم ، ومحدد لوجهتهم ، وعاصم لهم من التفرق فى شئون الدنيا ، حتى تنضج مداركهم الروحية بعناية الله وتوجيه الأستاذ .

(٦) فى : ظ (ولاتنقطع) .

والحجة عن ذلك : أن جلال القرآن لا تحتمله القوة البشرية المحدثة ، ولا تحمله صفاتها المخلوقة ، ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت وتصدعت وتحيرت ، والألحان مناسبة للطباع بنسبة الحظوظ ، وإذا علقت الألحان بالشعر كانت خفيفة على الطباع ، لمشاكلة المخلوق للمخلوق ، مادامت البشرية باقية . قاله أبو نصر السراج .

إحالة : وينظر الوعظ وما يناسب فيما مر من الكتاب .

ظاهر الجرثومة

ينقسم إلى أصول

الأصل الأول

جزء الفلسفة العلمى والعملى

أو القولى والفعلى . والحكمة القولية هى التى يجدها الإنسان بالعقل الأول ، وما يخص الحد والرسم وما يلزم عن ذلك من صور البراهين [٣٧ ب] والبحوث العقلية ، ولوازم الاستقراء . والحكمة الفعلية أو العملية : هى(١) التى يستعملها الحكيم لغاية ، إما ليعمل(٢) بها فقط ، (أو ليعلم فقط)(٣)ويسمى القسم العملى الخير ، والقسم العلمى(٤) الحق .

وعلوم الحكمة : طبيعى ، وهو الذى يطلب فيه تعلم كيف(٥) الشىء ، وموضوعه الجسم ، ومسائله عن أحوال الجسم من حيث هو جسم . ورياضى ، وهو الذى يطلب فيه تعلم كم(٦) الشىء ، والكم منه متصل ، كالسطوح، والجسمات ، والأبعاد . ومنفصل كالأعداد، وموضوعه الأبعاد والمقادير . والإلهى : وهو الذى يطلب فيه تعلم ما الشىء(٧) . وموضوعه الوجود المطلق ، ومسائله البحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود . ويكون تحصيل الجزء العلمى فى المطلوب شرط (وجوب .

---

(١) فى : س (حتى) تحريف وعلى الهامش . لعله . (هى) .

(٢) فى : س ، ظ (ليعمل به) .

(٣) مابين الحاصرتين ساقط من : س ، ظ .

(٤) فى : س ، ظ (العقلى) .

(٥) الكيف : هيئة قارة فى الشىء لا تقتضى قسمة ولا نسبة لذاته وهو إما محسوس ، أو نفسانى ، أو مختص بالكميات أو استعدادى [تعريفات الجرجانى ١٢٧] .

(٦) الكم : هو العرض الذى يقتضى الانقسام لذاته . [تعريفات الجرجانى ١٢٦] .

(٧) فى : س (للشىء) .

والعملي شرط)(١) كمال . وإذا جمع عندهم بين الحكمة والمضطلع(٢)[بها] بوجه أفضل ، وكان على بينة من أمر ربه ، وقام على لواحق الدين وأسبابه ، ووجد الغايات التى لأجلها كان . قريب ذلك وبعيده ، ثم كان على بينة من كل علم وقع فى أيام العالم ، ثم ما يدرك من الذوات الأزلية ، وشعر بغير المتعارف المألوف ، و [كانت] له فطر عديدة متفاضلة ، غير ما حصره الموضوع الطبيعى ، والأسرار والفضائل المطلقة تحت ملكته ، كان الكامل (٣)والوارث(٤) والقطب(٥) والخاتم(٦) .

---

(١) مابين الحاصرتين . ساقط من : س .

(٢) على هامش الأصل : (والمصطلح) من نسخة ثانية .

(٣) الكامل : الجامع للحقائق من بنى آدم. وهو من حيث روحه وعقله كتاب عقلى مسمى بأم الكتاب ، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات [تعريفات الجرجانى ٢٥]

(٤) الوارث : من يرث النبي صلى الله عليه وسلم فى حاله

(٥) القطب : وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه وهو عبارة عن الواحد الذى هو موضع نظر الله فى كل زمان . أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسرى فى الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح فى الجسد . . . والقطبية الكبرى مرتبة قطب الأقطاب : وهى باطن نبوة محمد عليه السلام . ولا تكون إلا لورائة لاختصاصه بالأكملية (تعريفات الجرجانى ١١٩)

(٦) الخاتم: من تختم به مرتبة من المراتب ، أو تختم به المراتب جميعاً ولا يكون إلا محمدياً لاختصاصه بختم النبوة صلى الله عليه وسلم .

الأصل الثانى من الظاهر

فى سلامة الفطرة وجواز الاستغناء عن الصنائع والعلوم ومعرفة الله دون ذلك كله

قال المؤلف رحمه الله(١) : ورأى بعض الناس أن فطرة الإنسان كافية لدرك الحق فى البراهين المنطقية ، ولا حاجة بها إليها ، وكافية لمعرفة الله فلا يحتاج إلى بعث الرسل ، وقد تقرر الرد على المذهبين فى محله . وأن المنطق وصناعة البرهان لم يتما بفكر واحد ، ولا عقل واحد ، وما كان كذلك فليس بحاصل على التمام فى فطرة واحدة . وأن العقل لا يهدى إلى الأدوية النافعة فى الأمراض ، فكذلك لا يهدى إلى الأعمال والأقوال التى تهدى إلى النفع فى الذنوب .

وبالجملة : فاعتقدوا أن الفطرة كافية ، وأن معرفة الله مركوزة(٢) فى الغرائز . فإذا صحت واعتدلت ، وزكت ، جاهدت الأخلاق المذمومة ، وتحرزت(٣) الملاذ ، واستعملت الأفكار ، وصرفت الروية ، وطلبت العقل بالتحليل والتركيب ، وارتباط الأسباب بمسبباتها ، وأدركت الحدود الوسطى بسلامتها ، واستقامة إدراكها ، كانت غنية عن السبيل التعلمى ، لكونها(٤) كافية [لأن] تدرك الحق . ومثلها كمن عثر بصفحة حديد ، أو قطعة سيف ، أو مرآة قد خالطت التراب ، وألفت الصدأ ، فنزعت نفسه إلى جلائها ، وإزالة ما علاها بالأحجار والأمور التى من شأنها ذلك . فلم

---

(١) فى س ظ (رضى الله عنه)

(٢) فى ط (مذكوره) تحريف .

(٣) فى س ، ظ (وتحررت)

(٤) فى الأصل ، ظ (بكونها)

يكن إلا أن حصل لها جلاء وصقال ، فلاحت فيها صورته وصور(١) الأشياء التي تقابلها دفعة ، وكذلك النفس فيها معرفة الله ومعرفة الأشياء كامنة . وتخرجها(٢) إما هداية إن اتفق ، أو اجتماع منها تدور(٣) به على ذاتها غير معوقة بالشواغل ، ولا مزاحمة القوى النورانية بكدورات الحواس ، وأن الآلة والسلم [١٢٨ ا] لذلك(٤) [هو] الفطرة السليمة خاصة ، وذكروا حكاية حي بن يقظان ، وهو الذي أشار إليه(٥) أبو الحسن الششتري بقوله :

ولابن طفيل وابن رشد يتقظ رسالة يقظان اقتضت فتحه الجفنا

وفي بعض رواياتها : أن أرضا ببعض الأقاليم المعتدلة ، حصلت لها هيئة من جميع الوجوه مكانا ومسامتة الأشعة ، وهبوبا للرياح ، وأوضاعا(٦) لا يسعها الحصر . فتخمرت فيها طينة طيبة ندية(٧) معتدلة ، وخالطت الهواء لحدث فيها نفاخة هوائية ، [و] حمل تجويفها هواء معتدلا مناسبا للروح الحيواني المعتدل ، المتعلق به الروح الأمري في الإنسان ، وألطفه الاستعداد ، إلى أن تعلق به الروح الأمري ، وتبعته القوة المصورة .

(ولبست(٨) مادته الصورة الإنسانية)(٩) ، وحين انفتق رتقه ، استهل كالصبي صارخا ، فسمعت به ظبية(١٠) قد فقدت ولدا ابن يومه

---

(١) في ظ . (وصورة) .
(٢) في : ظ (ومخوجها . وفي : س (وبخرجها)
(٣) في: س (بدور) .
(٤) في : ط (كذلك) تحريف
(٥) في الأصل « بها » .
(٦) في : ظ « وأرضاءا » .
(٧) في : س ، ظ « لدنة » .
(٨) في : ظ « وليست » تحريف .
(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س .
(١٠) في : ظ « خطبية » تحريف .

ببعض السباع والعوائق ، فظنته إياه فقصدت إليه ، وطافت به ، وتنزلت له حتى ألقمته حلمة ثديها ، وتحيلت على إرضاعه ، ولازمته مربيه[١] مرضعة ، إلى أن تمكن له اتباعها ، ثم شب واقتدى بالحيوان فى التمعش[٢] ، وتشبه به فى الرياش والتستر ، إلى أن مرضت الظبية وهو يباشر حركة روحها فى التنفس ونور العين ، ثم ماتت الظبية وسكنت ، فلم يطق إيقاظها ، فشعر بأن داهية طرقتها أسكنت المتحرك (وأذهبته ، وأن معناها الذى كان يؤنس به ويتمتع ويضر فيها كان الشىء المتحرك)[٣] ، والأمر الزائد على الجسد العديم الحركة المشارك للجماد ، فاحتال لينظر حيث كان محله قبل رحيله ، فشق صدرها ، ووقف منه على هيئة القلب ، ورأى رجوع الأجزاء الجسدانية إليه ، واستمدادها منه . فعلم أن ذاك المصباح كان موقد ذلك النور الذى ظعن عنها ، والسر الذى بعد[٤] منها ، ولم يزل يبحث فاتشا حتى علم ذلك السر ، واستدل عليه بالعلويات وعليها ، واستدل بعد بالأثر على المؤثر ، حتى عرف نفسه ، وكان عارفا بالله واصلا إليه . وهدى الخلق ودعاهم[٥] إليه فى حكاية شهيرة ، وكأنها عندهم باطن حديث آدم .

وربما يرد البحث المذكور أن الإنسان من بين المولدات[٦] الحيوانية (يكون) تكونه[٧] على غير سبيل التوالد (بين رجل وامرأة) بعيد فى العقل ، لبعده عن البساطة[٨] ، وما يلزم من ترتيبه ، بخلاف الدود والحشرات .

---

(١) فى الأصل « مؤنثة » تحريف .
(٢) التمعش : وسائل العيش .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، ص .
(٤) فى الأصل . فقه منها .
(٥) فى : ظ « وداعيهم » تحريف .
(٦) فى : ظ « المؤكدات » تحريف .
(٧) فى : ظ (بكونه) .
(٨) فى : ظ (الباسطه) تحريف .

وقال بعض الحكماء بإمكانه ، إلا أن الطباع لا تفعل العبث ، ولا تذهب بأفعالها(١) إلا إلى الأسهل والأوجب . ولما فتح الفتاح العليم باب التوليد ، وسلكته(٢) حكمته ، كان السكون على غير سبيله عبثا ، بمنزلة من يعدل عن(٣) النهر العذب الذى(٤) يشرب منه متى شاء ، ويحفر الساقية العميقة ، ويدير عليها الفلك ، لإخراج الماء بإزائه . والحق ألا يوصل إلى الله إلا نور النبوة .

---

(١) فى : ظ ا بأفاعلها) .
(٢) فى : ظ (وملكته) .
(٣) فى الأصل . (يقول على) تحريف .
(٤) فى الأصل (التى .) .

الأصل الثالث

من الظاهر فى الكلام فى النبوة من حيث النظر

قال المؤلف رحمه الله(١) : اتفق كثير من الأقدمين وحكماء الملة على أن بارىء النسم ومخترع العالم ، جعل الكثير من أجزائه(٢) ، وأجزاء أجزائه ، معلولا بالغاية ، كأن(٣) يخلق الظفر [لحاجة الإنسان](٤) إلى حك جسده ، أو نزع ما ينشب به من شوك أو غيره ، وتناول الأمور الدقيقة(٥) ، كما يتناول الصواغ بآلة اللقط ، والاستعاضة بها من المدى والسكاكين فى كثير من الشق والفصل ، [٢٨ ب] وأن تكون فى أطراف الأنامل بمنزلة الأسنة والنصال ، لأن يلقى [بها] الأمور الجارحة والأجسام الصلبة ، وإلى ذلك ما يحصل بها من الزينة ، وهذا كله لم تقع الحاجة إليه فى الخارج إلا بعد ما هيىء وعلم ورتب فى الباطن ، واستقر على أكمل أحواله فى العلم القديم ، فى علم مقدر المصالح ، ومعلق(٦) بعضها ببعض حتى لا ينسب(٧) للحكمة القصور ، ولا للعناية الفتور .

وكيف يهمل بعث الأنبياء الذى لا يستقيم أمر البشر إلا به . وبيانه : أن الإنسان يفارق سائر الحيوان ، فإنه لا تستقيم معيشته مع انفراده وتوليه أمر نفسه من غير شريك يعينه على ضرورياته ، حتى

---

(١) فى : س ، ظ : رضى الله عنه .

(٢) فى جميع الأصول : (ومخترع العالم الذى جعل الكثير من أجزائه) . ولقد رجحنا حذف اسم الموصول لغموض خبر إن مع إثباته .

(٣) فى : ظ (حتى يخلق) .

(٤) فى الأصل . ظ ، س (لئلا تدعو الإنسان الحاجة) وهو ظاهر الاضطراب .

(٥) فى : ظ (الأمور الرفيعة) .

(٦) فى : الأصل (ويتعلق) . والراجح ما فى ظ ، س للسياق .

(٧) فى : ظ ، س (ينتسب) .

يكون مكفيا بآخر من نوعه ، بعضه مع بعض . إذ لابد من غطاء وغذاء[١] وكن[٢] ، فيكون هذا يخيط وهذا يخبز ، وهذا يصيد وهذا يزرع وهذا ينسج وهذا يبنى وهذا يتجر . ولهذا اضطروا إلى التمدن[٣] والاجتماع ، فكان الإنسان مدنيا بالطبع . وبحسب[٤] استجادته لما يضطر إليه ، ويتزيد فيه ، أو بعده من الكمالات الإنسانية ، يكون شفوف تمدنه[٥] على غيره .

وإذا كان ذلك كذلك ، فلابد فى بقائه وحياته من مشاركة (غيره ، ولا تتم تلك المشاركة إلا بمعاملة وأخذ ، وإعطاء واتفاق ، واستجادة ومشاركة)[٦] فيما يستفاد بالحيلة والكد . ولم يكن فى تلك المعاملة بد من حدود يوقف عندها ، وشروط وعدل وسنة يوضع فيها ، ولابد لتلك السنة والحكم والعدل من بيان[٧] ومعدل[٨] يلزم فيه ما يليق بذلك من صدق . ومن شروطه أن يكون من جملتهم ، ليخاطبهم[٩] ويريهم بقوله وفعله ، ولا يتركهم وآراءهم فيختلفوا ، ويدعى كل منهم ماله عدلا ، وما عليه غيره جورا .

قالوا : فالحاجة إلى هذا الإنسان فى أن يبقى نوع الإنسان[١٠]

---

(١) فى : الأصل ، (عذء وغطاء) والترجيح من : ظ للسياق .
(٢) فى : ظ (ولكن) تحريف .
(٣) فى : ظ (التمرن) .
(٤) فى : (وتحسب) تحريف .
(٥) فى : ظ (بتمرنه) .
(٧) فى الأصل (من شأن) .
(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من: س .
(٨) فى : س (والمعدل) .
(٩) فى الأصل (الآن يخاطبهم) خطأ .
(١٠) فى : س (نوع الناس) .

ويحفظ[1] وجوده أعظم من الحاجة التي دعتها العناية الأولى فى الظفر وإنبات شعر الحاجبين ، ليكون رفرفا فوق العين يقى ما تحته منها . وأخمص الرجل لاستوائه فوق الأرض واعتماده فى المشى ، وغير ذلك من منافع الأعضاء التى ليست بضرورية فى البقاء ، بل أكثر ما لها أن تنفع فى البقاء ، ووجود مثل هذا الإنسان يصلح ، ويسن السنن ، ويربط التمدن ويعدل ممكن أيضا . فلا يجوز أن تكون العناية الإلهية تقتضى مثل تلك[2] المنافع غير الضرورية فى البقاء ولا تقتضى هذه التى هى أسها ، من حيث صلاح النوع وبقائه[3] وانتظامه ، ولا أن يكون البارى سبحانه . والملائكة تعلم تلك المنافع المذكورة ولا تعلم[4] هذه .

فواجب أن يوجد نبى ، وأن يكون إنسانا ، وأن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس، تدعو إلى تصديقه والإذعان له، وأن وراءه مددا من الله ، فتكون له المعجزات التى تدل على صدقه ، فإذا وجد هذا الانسان وجب أن يسن للناس (سنة)[5] أمورهم سنفا بأمر الله ووحيه الذى ينزل به على نفسه الروح المقدس ، فيكون الأصل الأول فيما يبينه للناس أن يعرفهم أن لهم إلها واحدا قادرا عالما بالسر والعلانية ، وأنه من حقه أن يطاع ، إذ يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق ، ويخبرهم أنه قد أعد لمن أطاعه المعاد المسعد ، ولمن عصاه المعاد المسيء ، حتى [١٣٩ ا] يتلقى الجمهور رسمه المنزل عليه من ربه بالسمع والطاعة ، من غير أن يفتح لهم[6] أبواب

---

(١) فى . ظ (ويعظم) .

(٢) فى : ظ (ذلك) .

(٣) فى : ظ (بقاؤه) خطأ .

(٤) أى تعلم تلك المنافع غير الضرورية لبقاء النوع ولا تعلم المنافع اللازمة لبقاء النوع .

(٥) ساقطة من : س .

(٦) فى : ظ (يفتح له) .

البحث فتوبقهم[١] أفكارهم وآراؤهم فيما لا مخلص لهم منه ، إلا من يندر ويشذ وجوده ، فإنهم لا يمكنهم أن يتصوروا الأمور على وجوهها إلا بكد وطريق تعليمي عزيز ، لا يمكن [أن يسلكه] إلا القليل ، ولا يلبثو [ن] أن يكون [ذلك الطريق] أثقل هذه الوجوه[٢] ، وينصرفون إلى الأقيسة والمباحث والآراء التي تخالف صلاح المرتبة بالشكوك والشبه ، إذ ليست الحكمة الإلهية ميسرة[٣] لكل نفس .

فيعرفهم جلالة الله[٤] وعظمته برموز وأمثلة هي أثيرة لديهم[٥] ومقبولة في خيالاتهم ، من غير أن يبدو عليه أن عنده حقيقة يكتمها [عن] العامة ، ولا يرخص في [ال]تعرض [لـ]شيء من ذلك ، ويقرر عندهم أمر المعاد على وجه يتصورونه وتسكن إليه نفوسهم ، ويضرب لهم الأمثال في السعادة والشقاوة بما يفهمونه .

وأما الحقيقة في ذلك فلا يلوح منها إلا بالأمور المجملة ، وأنه لا عين رأته ، ولا أذن سمعته ، ولا خطر على قلب بشر في جهتي الثواب والعقاب. قالوا : ولا بأس[٦] أن يشتمل خطابه على إشارة تستدعي المستعدين[٧] بالفطرة السليمة إلى النظر[٨] والبحث[٩] الحكمي .

ثم إنه يلزمه أن يرتب فيما يسنه ترتيبا يستمر بعده من أقوال وأفعال

---

(١) توبقهم أي تهلكهم .
(٢) في الأصل (فلا يلبثوا أن يكونوا بمثل هذه الوجوه) .
(٣) في : ظ (مسيرة) تحريف .
(٤) في : (جلال الله) .
(٥) في : ظ (لربهم) .
(٦) في : ط (يأمن) تحريف .
(٧) في : ظ (المستدعين) .
(٨) في : ظ ، س (للنظر) .
(٩) في الأصل (إلى البحث) .

وحركات متكررات [لـ] تحفظ التذكر[١] ، و تعصم من النسيان ، وهى العبادات ، وربما كان منها تروك كالصوم ، ورئيسيات وأشراف يفرض متوليها أنه مناج فيها الله[٢] ، وآخذ نفسه بما يأخذ به الناس أنفسهم عادة عند لقاء الملوك ، من الطهارة ، والتنظيف ، والخشوع ، وغض الطرف ، وقبض الأطراف ، وترك الاضطراب والالتفات ، وغير ذلك من العبادات التي تنفع الجمهور فى رسوخ ذكر الله ، واستمرارهم على معرفتهم بالصانع والمعاد ، فيدوم لهم بذلك التشبث بالسنن والشرائع لأجل هذه المذاكرات ، ولا يتناسوها مع انقضاء الأجيال[٣] والأحقاب .

وقالوا : لو فعل فاعل هذه الأفعال من غير أن يعتقد أنها من عند الله ، وكان يلزمه فى كل فعل منها أن يذكر الله ، لـكان زكيا سعيدا ، فكيف إذا استعملها من يعلم أن النبي[٤] من عند الله ، وواجب فى حكمته إرساله . وأن جميع ما بينه من عند الله ، وأنه فرض عليه من عند الله أن يفرض (على عباده)[٥] عبادته ، فقد حصل من هذا شرف هذا المظهر المبلغ عن الله الذى هو أصل السعادة فى الدنيا والآخرة .

---

(١) فى الأصل : (تحفظ التذكير) .
(٢) فى : ظ ، س . « مباح فيها لله » . تحريف .
(٣) فى الأصل (الأجدال) وفى : س . (الآجال) والترجيح من : ظ .
(٤) فى : ظ « شىء » تحريف .
(٥) مابين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

الأصل الرابع

من ظاهر الجرثومة . فى الاعتبار الخاصى

قال المؤلف رحمه الله(١) : والاعتبار(٢) الذى هو سبب من أسباب المعرفة ثم المحبة ، ثم المعرفة(٣) ، ثم القرب ، ثم الشهود ، ثم الغاية قسمان : عامى وقد جئنا بنبذة منه تدل على بحر لا ينفذ من عجائب صنع الفعال لما يريد ، وتثمر مراقبته ورجاء ما لديه ، وخوف نكيره(٤) ، وفيها كفاية . . وخاصى وهو أغمض وأبطن ، لا يقع فيه ويسبح فى لجنه إلا من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد تبين به أن الإنسان عالم المثال ، وأنه نسخة [٢٩ ب] من العالم العلوى بما اشتمل عليه ، وأنه علته ، وتفصيل بجمله ، وقد مر من ذلك ما تكون إعادته مخلة بالوضع ، ونحن نحيل عليه ، ولا نكلف والحمد لله شططا ، إذ هو مما يقع عليه قفل باب هذا الروض بحول الله .

---

(١) فى : س ، ظ « رضى الله عنه » .
(٢) فى الأصل « والاعتبار الخاصى » والسياق يقتضى حذفها .
(٣) فى : س « ثم بيان النوعين من المعرفة » .
(٤) فى ظ : « تكبيره » . تحريف .

الأصل الخامس

من ظاهر الجرثومة ، فى معنى الجمال ، وفى سر الجمال والكمال الذى التماح هو السبب فى المحبة

قال المؤلف رحمه الله(١): مما يتقرر أن الوجود (الممكن)(٢) كله ظلمة لولا نور الله الذى أشرق عليه ، ولا نور إلا نور الله قال الله سبحانه : «الله نور السموات والأرض»(٣) فليس فيهما نور إلا الله ، ونوره القدسى هو سر الوجود والحياة والجمال والكمال ، وهو الذى أشرق على العالم فأشرق على العوالم الروحانية ، وهم الملائكة فصارت سرجا منيرة ، مستمدة (من)(٤) نوره ، مستمدا منها من دونها بجود الله ، ثم سرى النور إلى عالم النفوس الإنسانية ، ثم طرحته النفوس على صفحات الجسوم ، فكل ماوقعت عليه حواس الإدراك مما يقيدها جذبه أو يثير (تعجبها)(٥) جماله أو يبهرها نوره ، أو يسوقها حبه ، أو يروقها تناسبه وحكمته ، ليس إلا(٦) نور الله السارى إلى الشىء(٧) منه ، بقدر قبوله ، ووسع استعداده ، ورحب تلقيه ، واعتدال الصفحات التى تنعكس فيها أشعته عند الانتهاء إلى عالم الجسوم ، وعنده ينتهى سريان نور الجمال القدسى المشوق(٨) للنفوس .

---

(١) فى : س ، ظ « رضى الله عنه » .
(٢) ساقطة من : ظ ، س .
(٣) سورة النور :
(٤) ساقطة من : ظ ، س .
(٥) فى الأصل (نفحتها) وهى ساقطة من : ط
(٦) فى : ظ (إلا ليس تحريف) .
(٧) فى : ظ (إلى البى) .
(٨) فى : ظ (المتشوق) .

والنفوس الجزئية إذا لمحته على صفحات المدركات هامت[1] واشتد ولوعها . إذ أصلها وقوامها وعللها وعنصرها هو . فهى تحن إليه حنين الشيء إلى أصله . [قال الشاعر]

رآها ناظرى فصبا إليها　　وشبه الشيء منجذب إليه

[وقال]

أجارتنا إنا غريبان هنا　　وكل غريب للغريب نسيب

[وقال]

أحب الحمى من أجل من سكن الحمى　　حديث حديث فى الهوى وقديم

[وقال]

بينى وبينك يا جفون قرابة　　والجار يرعى منه حق جواره

أنتن مرضى والمتيم ممرض　　أفلا تكن اليوم من عواده[2]

وهذا[3] النور القدسى وإن كان واحدا فلا يختلف ولا ينقص ولا يضمحل ، وتختلف آثاره فى الذاوت بحسب قبولها إياه ، وتتصف منه بأوصاف تناسب استعدادها ، فمنها ما قبل صفات الوجود والحياة والجمال[4] والنطق والمعرفة ، (وهى النفوس العارفة ، ومنها ماقبل الوجود والحياة والجمال والنطق .)[5] وهى [النفوس] التى تدبرها النفوس العارفة. ومنها ما لم تقبل[6] إلا الوجود والحياة وهى الحيوان والنبات . ومنها مالم يقبل إلا الوجود فقط ، وهى الجمادات ولكل شيء اتصل به النور القدسى،

---

(١) فى الأصل (هاجت به)

(٢) فى : ظ ، س . (من زواره) .

(٣) فى : ظ (وهو) .

(٤) فى : ظ ، س . جاءت كلمة : الجمال . بعد كلمة . المعرفة هكذا « والنطق والمعرفة والجمال » .

(٥) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س . وتريد من : ظ

(٦) فى : س . ومنها ماقبلم الوجود والحياة .

وأشرق عليه كمال وجمال يخصه ؛ والكمال مظهر الجمال ، ومجلى[١] له و [هو] كالمادة لصورته[٢] .

فالكمال جميع الصفات المحمودة لذلك الشيء ، إما ظاهرا وإما باطنا ، ويختلف باختلاف الذوات . أما ظاهره فكمال كل ذات بحسب مايليق بها على سبيل إضافى ، فيكمل شيء بما لايكمل به غيره ، فكمال[٣] صورة الإنسان ظاهرا فى تناسب (٤٠ أ) الشكل ، واستواء البنية ، وحسن اللون ، وكذلك للحيوان[٤] والنبات أحوال فى كمالها الظاهر[٥] . وهذا الكمال (هو)[٦] مظهر الجمال الروحانى ومجلاه ، والنفوس الإنسانية مؤلفة به ، واقعة عنده ، كلفة باستحسانه ، والميل إليه ، وربما تتعداه إلى مظاهر الجمال المبدد على صفحات الموجودات ، من المياه والخضر والبساتين (والفحوص)[٧] (والروائح الطيبة)[٨] والأصوات اللحينة .

تراه إن غاب عنى[٩] كل جارحة   فى كل معنى لطيف رائق بهج
فى نغمة العود والناى[١٠] الرخيم إذا   تألفابين ألحان من الهزج
وفى مسارح أزهار الخمائل فى
روض الأصائل فى الإصباح والدلج

والنفس ببادىء الرأى ، لاتعرف سبب حنينها . ولاعلة ميلها . ولا داعية استحسانها

لم يدر من أين أصيب قلبه   وإنما الرامى درى كيف رمى

---

(١) فى : ظ . (ويجلى له) تحريف وفى : س وتجل له .
(٢) فى : الأصل ، ظ . بصورته .
(٣) فى الأصول كلها : وكمال صورة الإنسان .
(٤) فى : الأصل . الحيوانات . (٥) فى الأصل : الطاهرة .
(٦) ساقطة من : ظ   (٧) ساقطة من : ط . والفحوس .
(٨) ساقطة من الأصل .
(٩) فى : ظ . عنى على جارحة . خطأ .
(١٠) فى : والصوت .

والكمال الباطن . وهو مختص بالإنسان ، هو اجتماع الصفات الفاضلة على الاعتدال ، ويطبع الموصوف بها على أتم صورها المتوسطة البعيدة من الانحراف ، (١) حسبما يتقرر فى موضعه بحول الله .

والجمال على نوعيه : جمال مطلق ، وجمال مقيد . فالجمال المطلق لايليق إلا بالله ، نور السموات والأرض ، وهو الجمال الإلهى الذى لايعلل ، ولا يكيف ولا يمثل . ولايعرف كنهه إلا هو .

قال لى عنك(٢) رجال ليس للعقل مجال

والجمال المقيد أيضا نوعان . (جمال) كلى . وهو الجمال الإلهى السارى من ذلك الجمال المطلق فيما سوى الله . من عقل ، ونفس وفلك ، وكوكب ، (وملك) (٤) وطبيعة ، وجسم ، وهيولى ، وعنصر ، ومعدن (٥) ، ونبات ، وحيوان قد نال منه كل بقدر احتماله ، ولولا ذلك ما بقى وجوده ، ولا برزت حقيقته ، ولا قامت ذاته . وهو سر الوجود كله . وبه ظهر . ومدده متصل ، ولو قدر عوقه أو امتناعه زمانا فردا ، لم يكن للعالم وجود . ولا فيه موجود ، وهذا السر خفى لكثرة ما ظهر ، فلا شىء أظهر منه . ولا يرتاب فيه أحد . فهو الناطق والمخاطب ، والإدراك والمدرك (٦) ، والعالم والمعلوم ، ولا شىء أخفى منه . بحيث لايحد ولا يشرح ولا يدرك .

النفس أدرك(٧) شىء فى الوجود وما يعوق عن دركها إلا تجليها

---

(١) فى : ظ : يتألفا . تحريف .

(٢) فى الأصل : الإغراق . وفى:س . الأعراف .

(٣) فى : ظ . عند .

(٤) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٥) ساقطة من : ظ .

(٦) فى : ظ ومدعن . تحريف .

(٧) على هامش الأصل : أظهر . من نسخة ثانية .

ماشئت من مدرك فيها ومن درك ... ومن مدركة إن شئته فيها
فكيف تظهر أو تخفى وكيف لنا ... منها سوى حيرة بالفكر تجنيها

ولذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « زدني فيك تحيراً » وقال الصديق : « العجز عن درك الإدراك » .

أنى يرى الشمس خفاش يلاحظها ... والشمس تبهر أبصار الخفافيش

فلا يتجلى حق تجليه إلا لمن صار الحق سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . وبالجملة من صارت ذاته كليه (١) أدرك الجمال الكلى ، أو جزئيه أدرك الجمال الجزئى . ومن أدرك هذا الجمال الكلى ، واستتبعه(٢) وتوصل [٤٠ ب] إليه به أى بالله ، لم ير للأشياء معنى إلا العدم . وأن وجودها إنما هو ذلك النور . وله الإشارة بقوله « فمن رأى الخلق لا فعل لهم(٣) فقد فاز ، ومن رأى الخلق(٤) موتى(٥) فقد جاز ، ومن رآهم عين العدم فقد وصل » وإليه الإشارة بقوله « كان الله ولا شيء (معه) (٦) وهو الآن على ما عليه كان »

عجبت ممن يقول قولا(٧) ... أحواله مفهومة غريبة
عرفت نفسي عرفت ربى ... مسئلة سهلة قريبة

---

(١) الذات الكلية فى عرف التصوف هى التى اعتادت النظر من منطقة بعيدة عن الأسباب الظاهرة حتى صار هذا النظر ملكة من ملكاتها ترى كل شيء فى الوجود لا على أنه مستقل بذاته بل ترده إلى أصله ويسمون صاحب هذا النظر . صاحب مقام الجمع . والذات الجزئية هى التى تعيش فى عالم التفرقة وتنظر الى كل شيء على حده .

(٢) فى : س . واستبقه . وليس لها ملكة النظر الكلى .

(٣) فى : ط ، س موتى .

(٤) فى : ط ، س رآهم .

(٥) فى : ظ ، س هالكى .

(٦) ساقطة من : ظ .

(٧) فى : ظ ، س (تقول مولى) تحريف .

شأوك أصل لكل فضل(١) ما بقيت لاعدمت ريبة

وهذا ما(٢) يسع من الكلام فى هذا الموضع ، ورحم الله القائل :

إنى لأ كنى عنه(٣) خيفة أن يشى واش فأفضح فى الهوى أو يفضحا
فأقول عند الليل يا قمر الدجى وأقول عند الصبح يا شمس الضحى

وجمال جزئى وهو : خفى ، وجلى . فالخفى : جمال فى الشيء معقول عن الحقائق ، (مجرد عن الحواس)(٤) ، ولا يدرك إلا بنور العقل الذى يناسبه ، ويرجع إلى المعنى الأول ، وهو أن يستتبع العقل ذلك الجمال الخفى ، حتى ينتهى به إلى أصله . والجمال الجلى : وهو الذى تعلق(٥) بالجسوم لا على جهة الحلول فيها ، إنما هو إشراق وإنارة ، وهو مدرك الحواس التى لا تدرك شيئاً إلا مع أشكال الجسوم وأوضاعها ، وعلى ما أدركته تؤديه إلى الخيال(٦) ، والذى أدركته إنما هو (مجلى)(٧) الجمال ومظهره لا ذاته . والنفس تجرده من العلائق بعد ذلك بصورة الشبح والجسم الذى أدركت النفس بسببه الجمال ، هو الذى يسمى بالكمال فإن (وجد لها)(٨) وجدت الجمال معه ، إذ لا تدركه إلا مقارنا له ، وإن عدم عدمته . وسبب ذلك أن النفس ليس لها سبيل إلى إدراك العلوم إلا من طريق الحواس (والأشباح . وأكمله ما لاح على الأشكال الإنسانية)(٩) لأنه ليس من طور الألوان(١٠)

---

(١) على هامش الأصل : شأنك . من نسخة ثانية . وفى : ظ تأول أصل ... البيت .
(٢) فى الأصل ، س . مما يسع . وفى : ط . كما يسع .
(٣) ى : ظ . خوفة أن يشى .
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ . وفى : س . جمال فى الشيء معقول عن الحواس.
(٥) فى الأصل : وهو الذى تعلق الجسزم به .
(٦) فى : ط الجمال .
(٧) فى : ظ على الجمال . تحريف والكلمة ساقطة من : س .
(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .
(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س :
(١٠) فى : س . ليس من ظور الأكوان .

ولا الأجرام ، وإنما يدرك بواسطة[1] الكمال الذى هو من محاسن الصفات ، ومن بعد ذلك تجرده .

فقد بان أن الجمال(٢) : خفى ، وجلى . فالجلى ، هو اللائح على الأشكال الإنسانية ، (ولا تدرك الحواس الجمال المجرد)[3] لتناهى القابل ، ولا تدركه الأنفس إلا بتجليه فى مظاهر الكمال .

والخفى : المعنى المجرد من ذلك الجمال ، ولا يدرك بالحواس (لدقة معناه ، وإنما يدرك بالعقل ، الذى هو نور مناسب . وإن الجمال يوصل إلى مشاهدة الجمال الجزئى ، والجمال الجزئى إلى بحر الكمال الكلى ، والكمال الكلى إلى فضاء الجمال المطلق ، ولا ميل للنفس ولا كلف ولا تعشق ولا هيام) (٤) إلا بالجمال ،ولا تعشق بالجمال إلا بالنور ، ولا تعشق بالخير إلا بالوجود . والخير والوجود والنور معروف . وهو بدء كل شىء ونهايته « كما بدأكم تعودون » « وأن مردنا إلى الله » « وأن إلى ربك الرجعى »(٥) .

وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكوتى جواب عندها وخطاب

تنبيـــه :

وعد الناس فى أسباب المحبة محبة المناسبة . وذلك إنما يتصور فى محبة العبد (للعبد)[6] . أما فى هذه المحبة التى فرضنا الكلام فيها ، فلا يتأتى إلا فى هذا الباب . وهى مناسبة الجمال الجزئى للجمال الكلى . ومن هذا الباب

---

(١) فى : س . بوساطة .
(٢) ما بين الحاضرتين . ساقط من : ظ ، س .
(٣) فى الأصل (إلا الجمال) أى بالجمال الجلى . فالجمال الخفى مركوز فى الجلى .
(٤) ما بين حديثه ساقط من : ظ ، س .
(٥) على هامش الأصل (سكوتى بيان) من نسخة ثانية ، وكذا فى . ظ .
(٦) ساقطة من : س ، ط .

رسخ (١) حب الصور ، وعشق الحادث للحادث ، فما كان منه غير مقرون بالشهوات كان أمره أقرب وإن كان من القواطع للنفوس ، فربما كان سلما للحب الحقيقي الموصل للسعادة وما كان مقرونا بالشهوات فلا كلام فيه .

---

(١) على هامش الأصل « رشح من نسخة ثانية » . وكذا في س .

الأصل السادس ، فى التشبه بالمبدأ الاول

وهو الخير (المحض)(١) . وطلب الاتصال [١٤١] (به)(٢) بالفكر ، حتى يقع الاتحاد بالجواهر التى لا تفنى . قال المؤلف (رحمه الله)(٣) : وسبيلها فى التشبه بالمبدأ الأول ، والحصول على السعادة بذلك ، أن تتجرد(٤) النفس عن الشرور والظلمات ، وهى الأوصاف التى لا يتصف بها المبدأ الأول ، مفيض الخيرات ، ومعطى الوجود ، ومفيد الكمالات ، والاتصاف بأوصافه . وذلك يحصل بصلاح(٥) الأخلاق ، وخلع مساوىء الأوصاف ، وقطع موارد الشهوات ، والاقتصاد من شواغل الجسم على ما دون الضرورة ، حتى تضىء النفس وتصفو ، وتذهب(٦) كدوراتها ، ثم يقصر الفكر على(٧) جلال الله حتى يحصل الاستغراق ، ويتصل نور النفس بالأنوار القدسية ، وتتحد بها(٨) . ورسالة العمل فى السلوك والرياضة ، قد تضمن هذا الكتاب كثيرا منها . فلا فائدة فى الإعادة .

---

(١) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٢) ساقطة من : ط .

(٣) فى : س ، ط (رضى الله عنه) .

(٤) فى : ظ (تجرد النفس)

(٥) على هامش الأصل . (بعلاج من نسخة ثانية) .

(٦) فى الأصل . وتصفو كدراتها .

(٧) فى الأصل ، ظ ، عن جلال الله . وهو يفيد ضد المعنى المراد .

(٨) فى الأصل . ويتحد به .

باسط الذكر

وهو الصاعد(١) من أدنى المدرة إلى أعلى الشجرة

وفيه مقدمة ، وثلاث فصول

المقدمة فى الذكر :

الذكر شيخ الشيوخ ، ودليل طريق الله ، وما عون القوم ، وشقيق أنفاس السالكين ، وعليه تعويل من قصد إلى جناب قدس الله ، وهو بضاعة الأنبياء والأولياء . وحده : التخلف من الغفلة والنسيان . وهو على ثلاث درجات :

الأولى : الظاهر . من ثناء أو دعاء .

الثانية : الذكر الخفى . وهو الخلاص من الفتور ، والبقاء مع الشهود ، ولزوم المسامرة .

الثالثة : الذكر الحقيق . وهو شهود ذكر الحق إياك ، والتخلص من شهود ذكرك ، ومعرفة إفراد(٢) الذاكر فى بقائك مع ذكره .

قال بعضهم : أيها الباحث(٣) عن تحصيل كمالك ، عليك(٤) بذكر الله الذى علمك وأرادك ، وعلمك وحكمك من كل الجهات ، وهو بدك اللازم ، ووجودك الثابت ، وهو الذى يسعدك ويحملك إلى حضرته ، وحضرته تحرر(٥) ذاتك من ذل الكون المهلك ، والممكن القابل(٦) المتقلب(٧) ،

---

(١) فى : ظ وهى الصاعد . خطأ .

(٢) فى : ط افترادالذاكر .

(٣) فى . ظ ، س . تحصيل

(٤) فى : ظ عليه . تحريف .

(٥) فى الأصل : تجرد ذاتك . وعلى هامش من الأصل : تحرر من نسخة ثانية ، وكذا فى ظ . وفى : س تحوز ذاتك .

(٦) فى : ظ . القائل .

(٧) فى : س . القابل المتغلب .

ويحكمك فى الرحمة بالوجود(١) المطلق ، ويصرفك فى المقيد ، (ويطلعك على المقدر)(٢) ، ويبلغك إلى أقصى الإنسانية من جهة التخصيص ، بحسب الأمور التى لا من جنس ما يكتسب ، ولا من جهة(٣) العادة والعلوم المألوفة الشرعية ، والأحوال المذكورة .

قالوا : وفضائل الذكر لا تحصى . فمن القرآن كقوله تعالى : «فاذكرونى أذكركم» . «واذكروا الله ذكرا كثيرا» «فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا» . «والذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم» «واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين» . ومن الأخبار «ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم . وكالمقـــاتل فى الفارين» وقال «ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكره . قالوا : ولا الجهاد ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاثا» . وقال «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله ، وذكر فى جملتهم رجلا ذكر الله فى خلاء ففاضت عيناه» .

ومن الآثار قال الفضيل [بن عياض] : بلغنا أن الله قال : ابن آدم اذكرنى بعد الصبح ساعة ، وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما ، وقيل إن الله يقول أيما عبد اطلعت على قلبه ، فرأيت [٤١ ب] الغالب عليه ذكرى ، توليت سياسته ، وكنت جليسه وأنيسه» .

ومن جمهور فضائله : كونه يسهل على الطبائع ، مع كونه يصحبه

---

(١) فى ظ ، س . . الوجود

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٣) ف : س ولا من جنس العادة .

الأنس ، ويمتد مع الأنفاس ، وهو أكثر من الزمان(١) بحسب النية ، ومن فضائله طهارة الوقت مما لا يصلح ، وإهمال السيئات ، وموافقة الملائكة ، قالوا : وهو قياسك مع ربك ، فبقدر ما تجد من نفسك فى الذكر ومع المذكور ، فذلك كذلك فى المقابلة والاغتباط . وهو أول ما يستفتح به الرسل ، ويوجد حتى فى الجنة ، وينفع بعد الموت ، وعليه المعول فى الخاتمة . وذم النبى صلى الله عليه وسلم الزمان بعدمه ، وفضله على الصدقة والجهاد والشهادة ، ويتقدم على الصلوات ، وهو العلامة . ولا يقنع فى دعوى الإسلام بغيره ، وهو العبادة التى لا تتقيد بزمان ويثبت حتى فى دار الجزاء(٢) ، ويتحف به الحبيب حبيبه ، ويفضل الدعاء(٣) وهو فى الحيوان العاقل أصل ، وفى غيره [فرع]: « وإن من شىء إلا يسبح بحمده »(٤) .

---

(١) الذاكر الله فى زمان محدود ، فإذا صحت نيته وصدق عزمه وتوجهه ، ونهضت همته ، صار معنى الذكر ومشهده ملكة من ملكات الذاكر ، تسرى معه فى أحواله كلها . فيكون ذاكرا بالملكة ، وهو فى شئون دينه ومعاشه ، وفى طريقه ونومه . وقد جربه بعض المريدين تلك الملكة فلازمه الذكر فى نومه . ومن هنا كان الذكر أكثر من الزمان الذى يستغرقه .

(٢) ولا خير فى زمان لا يذكر الإنسان فيه ربه ، ومن هنا أيضاً صار الذكر أكبر وأعظم من الزمان ولا يتقيد الذكر بزمان ولا مكان ولا حاله ، وهو مباح فى كل وقت حتى مع الجنابة .

(٣) قال الشيخ أحمد زروق : نورانية الأذكار محرقة لأوصاف العبد ، ومثيرة لحرارة طبعه بانحراف عن طبعها فمن ثم أمر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم معها . لأنها كالماء ، تقوى النفوس ، وتذهب وهج الطباع ، وسر ذلك فى السجود لآدم عند قولهم : ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ، ولهذا أمر المشايخ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند غلبة الوجد . والذوق لذلك شاهد . وقد أشار إلى ذلك الصديق رضى الله عنه ، إذ قال: الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار . . وقد نص فى . مفتاح الفلاح [لابن عطاء الله] . على أن علامة الفتح . ثوران الحرارة فى الباطن [قواعد التصوف قاعدة رقم ١١٥]

(٤) يجوز الأخذ بما اتضح معناه من الدعاء وإن لم يصح رواية إذا استند لأصل شرعى

تنبيـه :

وهو فى كل مقام بالقوة ، فنى التوبة يذكر اللسان وقت النوافل والخلوات ، بحيث يخبر(١) عن عزمه على الفرار . والتوكل بذكر منته (وإرادته)(٢) . والرضى يذكر حكمته وعدله . و [فى] التوحيد بذكر وحدته ، وكونه واحد الوحدة ، ويحضر حاله بقلبه فى قلبه . وهكذا فى كل مقام .

ومن شواهد فضله اتفاق الأنبياء والحكماء والأمم فى التقرب إلى الله به ، وجعله سلما إليه ، فمن الأدعية الكثيرة(٣) منسوب إلى النبى (صلى الله عليه وسلم)(٤) وإلى عائشة، وإلى فاطمة، وإلى أبى بكر، وأبى الدرداء، وأبى بريدة الأسلمى ، وإلى على رضى الله عنهم ، وإلى إبراهيم بن أدهم ، وإلى معروف الكرخى ، وإلى عتبة الغلام ، وإلى أبى المعتمر ، حسبما قص ذلك كتاب الإحياء ، وهو أكثر من أن يحاط به .

ومن الذكر ما ينسب إلى الأنبياء . فكان آدم يقول : اللهم ارحمنى بخشيتك التى لا يتوقف فيها ذكرك ، يا من أسجد الملائكة لعبده وهو يعلم أنه يعصيه بعد ذلك ، يا من كرمه لا يتوقف على الجزاء والمسألة ، ولا يستند إلى ما يقل ويكثر ، يا واسع الخير يا رحمن يا رحيم .

قال عليه السلام لمن دعا . بأنى أسألك بأنك الله الأحد الصمد . . الخ لقد دعوت الله باسمه الأعظم . فكل واضح فى معناه مستحسن فى لفظه خصوصا إذا كان له أصل من الهام أورؤيا صالحة . ومن الأدعية التى تدخل تحت هذا الأصل الأحزاب والأوراد . إلا مافيه مبهمات وموهمات كأحزاب ابن سبعين ، فيجب تجنبها وحله والأدعية والوظائف المجموعة من الأحاديث أكمل وأفضل .

(١) فى الأصل : يخبر عن عزمه

(٢) فى : ظ ، س . منه

(٣) ساقطة من : ظ فى : ظ الكثير

(٤) مابين الحاصرين ساقط من : ظ ، س .

وإدريس يقول : علمت أنك العلى الكبير الشأن ، المنعم على كل ذات حادثة ، العالم بكل الكائنات ، الذى له الملك والحمد ، فأنعم على بما[1] علمتنى ، وخلصنى من ملاحظة غيرك .

ونوح (يقول)[2] : اللهم أنعم علينا بالصبر حتى نعرج فى الدنيا والآخرة بدعوة الحق يا حق يا مدبر الخلق ، ولو فى رجل واحد يا ألله يا ألله يا ألله ، يا رب يارب (يارب)[3] . وقال فى السفينة : اللهم سلم وأنعم علينا بالعافية ، وارفع عنا غضبك لاطاقة لنا عليه ، وانظر بعين رضوانك إلينا يا رحيم يا رءوف . وبعد سلامته : يا وهاب يا محسنا للمذنبين . ثبتنا على طاعتك ، ولا تهملنا وعافنا . وعند موته : سبحان الحى الذى لا يموت .

وإبراهيم : اللهم بحق كلمات الصحف آنسنى بك ، وبلغنى غاياتى فى جوارك ، وارحمنى بحضرة رضوانك ، واجعلنى فى الأرض أسوة حسنة صالحة صادقة ، تجر عبادك إلى رحمتك ، وحدثنى فى سرى بما يكشف عن ملكوت السموات والأرض . [٤٢ ا] .

واسماعيل كان نداؤه : ذكر ربه فى قلبه بصفة الرضى .

ويعقوب قسم ذكره لربه وولده ، فكان عذاب باطنه لذلك[4] .

ويوسف غار الحق لذكر [ه] مذكور [ا] غيره . قالوا : والعتاب على المباح من شواهد الاصطفاء . وهو كال فى حق المعتوب .

وموسى يقول : نذكرك فى القلب مرة ، ثم نبصرك بك ، فأنعم على بالنظر إلى وجهك ، كما أنعمت على المقربين من عبادك .

---

(١) ف : ظ . ماعلمتنى

(٢) ساقطة من : ظ

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) ف : ظ : كذلك .

وهارون : اللهم ارحم عبادك وبلادك[١] .

وداود : الحمد لله على حمده وعلى ما بعده .

وسليمان : كان فى خاتمة من ذكر الله . علمه الله ما لم يعلم ، وملكه ناصية كل مليك[٢] ، وخلص ملكه ، وجمع له بين ملك الدنيا ، ونعيم الآخرة . ومن ذكره بحسب علمه ، زاد له فى ذلك وأيده بروح منه . وذكر الله هو الروح الحافظ .

وزكريا : الحمد لله الذى جعلنى من عباده الصالحين .

ويحيى : مولاى . رحمتنى بالقرب منك ، فارحمنى بجميل اللقاء .

وفى الإنجيل : يا عيسى . اذكرنى كما يذكر الولد الوالد[٣] .

ومحمد خاتم النبيين (صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه)[٤] من بعض ذكره : أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك . وتأمله تأمل المحققين[٥] .

وأبو بكر يذكر فى نفسه ويقول : اسمع من أناجى . وعمر : يذكر جهرا ويحارب الشيطان . (وعثمان يقوم الليل بالقرآن وهو الذكر من كل وجه)[٦] . وعلى ذكره وخطبه معروف[٧] . ورجال الرسالة [القشيرية] الذكر عندهم المقام الكريم .

وأما الأمم . فالهند إذا عزموا على وضع الهياكل ، لابد لهم من أسماء

---

(١) فى : س ، ظ . جاء دعاء هرون بعد دعاء داود عليهما السلام .

(٢) فى : س : (كل ملك)

(٣) فى : ظ للوالد

(٤) مابين الحاضرتين ساقط من : ظ

(٥) فى : ظ . التحقيق

(٦) ما بين الحاضرتين ساقط من : س

(٧) فى : س . (معروفة) .

يذكرونها . شرحها : يا من من أجله أحرق الطبائع بستره(١) وجهه ، وتوجه لبعض مخلوقاته الشريفة ، أنعم علينا بنسبة منك تسرى وتفعل فى أرواحنا (بنسمة)(٢) يا أصل كل شىء ولا أصل له ،(٣) يا من يقوم الأشياء وهو فى كل شىء بمشيئته .

والسودان يكتبون إذا اتخذوا الصور العجيبة ، أسماء الله على وجوههم بلسانهم . وشرحها : من(٤) ذكر الله فر منه كل مفسد ، فإن الله يقدر ولا يقدر عليه .

والإفرنج :(يذكرون(٥) الباب بالباء المعجمة(٦) بلسانهم وبلمواتهم)(٧)

وأما الأقدمون من الحكماء . فكان سقراط يقول : أنا الذليل بالذات ، وأنت العزيز بالذات ، فلا تجعلنى بعزتك من البعداء بالعرض . يا من هو صورة كل شىء ، وقياس هذا العالم ، ووجوده القريب ، احجبنى عن كل ما يقطعنى عن كمالى . وكان يكثر قول : أنت أنت أنت . يعنى نداء الحاضر .

وأفلاطون كان يقول : يا نور(٨) العالم ، يا سبب الكل . يا مبدع المثل والتوابع ، كم ذا نتجرد ونعود إلى هذا الجسم ، ونرجع من عالم العقل ، قربنى بحيث أثبت عندك ولا أعود . فإن صرفتنى إلى هذا الهيكل ، فأسعدنى بك ، وألهمنى الرجوع إلى حالتى التى انصرفت من حضرتها الشريفة . يا غاية العقل والعلم .

---

(١) فى الأصل (بشرة) تحريف . وفى : س (بسره) تحريف أيضا .

(٢) ساقطة من : س .

(٣) فى جميع الأصول : ولا أصل له . فائدة مفهومه . يامن يقوم . . . الخ والعبارة المفترضه لامعنى لها .

(٤) فى الأصل : يامن . خطأ .

(٥) ساقطة من : س .

(٦) فى : س (المفخمة) .

(٧) فى جميع الأصول بلاهوتهم .

(٨) فى : س (ياقدر) .

وأرسطو يقول : يا أول الأول ، يا علة العلل ، يا سببا أول ، ياواهب العقل ، يامن تكرم علينا بالوجود(١) ، لا تهمل نفوسنا فى عالم الطبيعة ، وخصصها(٢) فى حضرة الجود (يا لذة الهمة ، يا أمل الحكمة)(٣) . فهذه المزايا لا تجهل ولا تهمل .

تنبيـــه :

الفرق بين الدعاء والذكر اصطلاحا : أن الدعاء هو الذكر المقرون بالطلب(٤) ، وفى الاصطلاح : يطلق الذكر على ألفاظ مفردات من أسماء الله [٤٢ ب] كقول : الله الله . أو مركبا ، كقول : لا إله إلا الله أو أكثر . ودرجاته أولها(٥) الظاهر . وثانيها الخفى . وثالثها الذكر الحقيق . وهو التخلص من شهود الذكر(٦) .

(١) فى : ط. بالجود .

(٢) فى : ظ ، والأصل : وخصصنا .

(٣) جاء مابين الحاصرتين فى آخر دعاء أفلاطون بعد قوله : باغاية العقل والعلم .

(٤) ويجوز الدعاء بما اتضح معناه وإن لم يصح روايه . ويؤثر الدعاء الجارى على لسان العبد ، والمنبعث من همته . وقد أدخل مالك فى موطئه فى باب دعائه عليه السلام قول أبى الدرداء نامت العيون وهدأت الجفون ولم يبق إلا أنت ، ياحى ياقيوم . وقال عليه السلام للذى دعا : بأنى أسألك بأنك الله الأحد، الفرد الصمد . لقد دعوت الله باسمه الأعظم . فدل ذلك على أن كل واضح فى معناه مستحسن فى ذاته يحسن الأخذ به . كأحزاب الشاذلى والنووى والبكرى أما الأوراد التى جاء فيها مبهمات كأحزاب ابن سبعين فحسن التوقف فيها . [قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق . ٣٧ : ٣٨ بتصرف] .

(٥) فى : ظ . أولاها .

(٦) ذكر الظاهر باللسان ، والذكر الخفى بالقلب ، وقد يكون بالتأمل ، وتلاحظ فيه الخواطر والمشاهد . والذكر الحقيق يغيب الذاكر فيه عن شهود نفسه وذكره وخواطره ومشاهده ولا يشهد إلا ذكر الله إياه . ومن هنا قالوا : إن الذاكر هو المذكور وليس فى هذا القول إيهام الحلول والاتحاد . لأنها عملية تشبه عملية «القصور الذاتى» يندفع الذاكر حتى يعمل وحده بعد انشغال همته ، دون وعى بعمله . فيكون السير من الله ، وفى هذا الحالة تتوارد على الذاكر تفاصيل علوم الذكر بعد السكون والانتهاء ، وعلامة الفتح فى الذاكر اشتغال باطن الهمة .

خاتمـــة :

وهو الأصل الباسط فى الدعوات والأذكار والأسماء ، عددناه سبباً من أسباب المحبة ، إذ من أراد أن يحب شيئاً شغل لسانه بذكره ، ثم تصير فكره عليه ، حتى يستغرق فيه . ولما كان هذا الذكر بعد حصول المحبة يقتضى ملازمة ذكر المحبوب ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره . وهو السلم إلى الوصول لقرب المذكور ، جعلنا الكلام فى الذكر وبعض الأذكار فى الأسباب ، وأخرنا صورة العمل به إلى محله ، ثم نذكر(١) ثمرة الذكر بحول الله .

وبالجملة فالذكر هجيرى ألسن المحبين ، وسلم الواصلين من السالكين إلى حضرة رب العالمين ، والذى يحرس الجوارح ، ويحفظ الوقت ، ويجمل الصحائف ، ويشرد(٢) اللغو(٣)، ويفتح أبواب الأنس ، ويصارف الزمن ببضاعة أشرف ، ويطبع فى النفوس رسوم العبودية ، ثم يمنحها منشور العتق ، ويقطعها جو السعة ، ويضمن الخير بكل حال ، ويستدعى من الله المقاربة، ويحدو قوافل(٤) السائرين إلى الله، وهو العبادة التى ظاهرها أجور ، وباطنها حضور ، وباطن باطنها نور على نور .

---

(١) فى : ظ . ولم نذكر . تحريف .

(٢) فى : ظ . ويسرد.

(٣) فى س (السكفه) ولامعنى لها .

(٤) فى : ط ، س . نوافل.

الفصل الأول

من الباسط ، من جرثومة الأسباب

أصل الدعوات والأذكار :

والمستعمل من الأذكار فى الشرع عشرة أجناس ، وتحت كل جنس نوع وأشخاص ، لا يسعنا حصرها .

فأولها التعوذ وما فى معناه ، مما يستجن به العبد ، كالاستغفار . وله ثلاث درجات : أولها يستعيذ الذاكر فيها من العوارض الجسمانية المنوطة بعالم الجسوم ، يستعمله الصوفى عند النزغات الشيطانية(١) فى الخواطر الجسمانية ، إلى أن تحصل البراءة من ذلك . قال الله تعالى: «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله »(٢) . وفى الثانية يستعيذ به من الخواطر

---

(١) تحدث المؤلف عن الخواطر فى آخر كتابه . وأجود منه ما كتبه الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد الشهير بزروق فى قواعده قال : الخواطر أربعة : ربانى بلا واسطة ، ونفسانى ، وملكى وشيطانى . فالربانى لايتزحزح ولايتزلزل كالنفسانى ويجريان بمحبوب وغيره فما كان فى التوحيد الخاص ، فربانى ، وفى مجارى الشهوات فنفسانى . وماوافق أصلا شرعيا لايدخله هوى ولارخصة فربانى . وغيره نفسانى .

(٢) ويعقب الربانى برودة وانشراح ، والنفسانى يبس وانقباض . والربانى : كالفجر الساطع لايزداد إلا وضوحا ، والنفسانى كعمود قائم ، إن لم ينقص بقى على حاله .
فأما الملكى والشيطانى فترددان ، ولا يأتى إلا بخير ، والشيطانى قد يأتى به فتشكل . ويفرق بأن الملكى تعضده الأدلة الشرعية ، ويصحبه الانشراح ويقوى بالذكر ، فأثره كقبس الصبح ، وله نفاذ بخلاف الشيطانى فإنه يضعف بالذكر ويعمى عن الدليل ، وتعقبه حرارة ، ويصحبه اشتعال وغبار وضيق وكزازة فى الوقت . وربما تبعه كسل . فالشيطانى من يسار القلب ، والملكى من يمينه والنفسانى من خلفه ، والربانى مواجه له . وتحقيق هذا الأمر إنما يتم بالذوق قالوا : من عقل مايدخل فى جوفه ، عرف مايهجس فى نفسه .

[راجع قواعد التصوف . قاعدة . « ١٩١ » ، وباب الخواطر من : التدبيرات الإلهية لسيدى محيى الدين بن عربى] .

الروحانية . وفى الثالثة يستعيذ من الخواطر فيما سوى الله .

والثانى البسملة . وكل ما فى معناها . يستعملها لدفع الدعاوى الظاهرة والباطنة ، والدعاوى فى الوجود ، ومعناها : الخروج عن الحول والقوة ، وأن كل شيء بالله . . واستعمالها فى الدرجة الأولى : فى الأعمال الظاهرة . وفى الثانية : فى الباطنة . وفى الثالثة : فى محاضرة المعبود .

الثالث(١) الاستغفار . [وهو] كذلك على ثلاث درجات : الاستغفار من الكبائر والصغائر ، ثم الاستغفار من الغفلة عن العمل(٢) ، ثم (الاستغفار)(٣) مما سوى الحق .

ورابعها التصلية . وهى فى حق الذاكر وجود الرحمة فى المراتب الثلاث . ففى(٤) الأولى [الرحمة] لأهل الظواهر ، وفى الثانية الرحمة لأهل البواطن ، وفى الثالثة وجود الرحمة للأولياء والأنبياء . وينتج لهم الرحمة لأهل الأرض من حيوان ، ثم بعد ذلك للملائكة وأهل الجنة وأرواح المؤمنين ، ثم الرحمة للأولياء والأنبياء وأهل الحضرة .

والخامس (٥) : التقديس . ففى أولى الدرجات ، التقديس من المطاعم والمشارب ، وفى الثانية التقديس [٤٣ ا] من الجهات والتصورات ، وفى الثالثة التقديس من توهم الاعتبار ، وينتج وجوداً من الصمدانية(٦) .

---

(١) فى : ط . وثالثها .

(٢) فى : ط . عن العلم .

(٣) ساقط من الأصل وزيدت من : ط . وفى : س . والاستغفار من الغفلة عن العمل ، لأنها مما سوى الحق .

(٤) فى : ظ . هى . تحريف .

(٥) فى : ط ، س خامسها .

(٦) فى : ظ .

السادس : التسبيح ، ومعناه التنزيه ، ففى الدرجة الأولى تنزيه الحقيقة عن مشابهة الخليقة ، وفى الدرجة الثانية التنزيه عن مشابهة الأرواح والنفوس ، وفى (الدرجة)(١) الثالثة [التنزيه] عن مشابهة العقول . وينتج تمييز المحدث من القديم(٢) .

والسابع : الحمد لله(٣) . (ولا يكون إلا لحامل)(٤) . ففى الدرجة الأولى : الاتصاف بظواهر أسماء الله الحسنى ، وفى الثانية الاتصاف ببواطنها(٥) . وفى الثالثة : الاتصاف بحقائقها . وينتج النعوت الإلهية(٦) .

والثامن : التهليل . وهو مركب من النفى والإثبات ، ومعناه : إفراد المعبود . ففى الدرجة الأولى يخلص من الشرك الجلى(٧) ، وفى الثانية : من الشرك الخفى(٨) . وفى الثالثة : يخلص من شرك الإثبات(٩) . ونتيجته إفراد المعبود فى كل وجود .

التاسع : التكبير . ومعناه العظمة ، وفائدته فى الدرجة الأولى تحقير الدنيا وما فيها ، وفى الثانية تحقير ما سوى الله حالا . وفى الثالثة تعظيم الله كشفا .

العاشر : الحوقلة . وهى ركن الاعتصام . وفائدتها فى الدرجة الأولى

---

(١) ساقطة من : ط ، س .

(٢) فى الأصل . وينتج تنزيه الحديث من القديم .

(٣) فى : ظ الحمد له .

(٤) مابين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س ، ومعناه . لا يكون الحمد إلا لنافع وحامل عليه

(٥) فى الأصل : بأنوارها .

(٦) أى بالاتصاف بالصفات الإلهية المناسبة للبشرية ، كالعلم والحلم والكرم وغير ذلك . إلا صفة الألوهية ، فلا مجال فيها لعارف من أى نوع كان .

(٧) فى : ظ ، الخفى . خطأ .

(٨) الشرك الخفى : إسناد الأفعال لأسبابها القريبة ، وإثبات الأنانية للنفس : [راجع خمرة ألحان الناسى] .

(٩) إذا اعتقد الموحد أنه أثبت الله سبحانه وتعالى ، ونفى ماعداه . فذاك شرك الإثبات ، =

توحيد الأفعال. وفى الثانية : توحيد الصفات بحسب تعلق الأفعال بها[1] . وفى الثالثة: اضمحلال ماسوى الله . ويفتح[2] الغنى الذى لا ينفد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لاحول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة » . ومعناه : من كان بالله فمدده لا ينقطع من الله أبدا .

= حيث أثبت مثبتا ومثبتاً ،ولا توحيد مع وجود الإثنينية ، وإذا تخلص من شرك الإثبات فقد وحد الله بالله . ومعنى التخلص من شرك الإثبات الفناء عن النفس فى التوحيد . قال أبو يزيد البسطامى : مناى أن أقول مرة لا إله إلا الله بفناء أبى يزيد عن أبى يزيد .

(١) أى ملاحظة صفات الله تعالى فى كل فعل يقع فى الوجود ، لا فاعل فى الوجود إلا الله. أو بمعنى آخر رفع الأسباب ، وعدم اعتبارها فى تحقيق الأفعال . وهذا هو التوحيد المجرد . وملاحظة الأسباب وإسناد الأفعال إليها توحيد مشترك أو متشابه . فمن التوحيد المجرد : يهدى من يشاء . ومن المشترك : آمنو بالله ورسوله .

(٢) ف : ظ يفتح .

الفصل الثاني

من الباسط، في الأسماء

وفيه تسع وتسعون شعبه بعدد الأسماء . ورد : من أحصاها تعلقا ، أو تخلقا ، أو تحققاً ، دخل الجنة . أما إحصاؤها تعلقا ، فبأن يطلب كل واحد منها في نفسه وبدنه ، وجميع قواه ، ومجامع(١) حالاته ، وهياته الجسمانية والنفسانية ، وفي جملة تطوارته وتنوعات(ظهوراته)(٢) ، نوما(٣) ويقظة ، وقياما وقعودا ، وطاعة ومعصية ، وقبضا وبسطا ، وصحة وسقما ، ورضا وغضبا ، ولذة وألما ، وغنى وفقرا ، ونحو ذلك . فيرى جميع ذلك من أحكام هذه الأسماء ، ويضيف كل مايظهر من ذلك إليها [و] إلى آثارها ، فيقابل كل واحد بما يليق به ، من شكر أو صبر ، أو ملق أو عذر ، أو استكانة أو خضوع ، أو استحياء أو تذلل ، أو التجاء أو انكسار ، أو نحو ذلك من أوصاف العبودية .

قالوا: وبمثل هذا الإحصاء وأداء(٤) الواجب يدخل الجنة ، لكن جنة الأعمال . وهي مجلى ستر الأعراض الزائلة ، قولا وفعلا ، (ونية)(٥) ، واعتقادا ، بصور الأعيان الثابتة الباقية ، حورا وقصورا ، وجنانا وولدانا

وأما إحصاؤها تخلقا فبتطلع الروح الروحانية إلى حقائق هذه الأسماء ، ومعانيها وصفاتها ، والتخلق بالاتصاف بحقيقة كل واحد واحد منها بمقتضى

---

(١) ف : ظ . جميع .
(٢) ساقطة من الأصل وزيدت من : ظ . وف : س . طهوراته تصحيف .
(٣) ف : س ندعا . تحريف
(٤) ف ظ . أداء . تحريف .
(٥) ساقطة من الأصل . وزيدت من : ظ . وفي الأصل : قولا أو فعلا ونية .

قوله : تخلقوا بأخلاق الله . فيدخل بهذا الإحصاء المترتب عليه التخلق والاتصاف جنة الميراث ، وهى أعلى من الأولى . وقيل : باطنها المائل إلى طرف الملكوت . وهى المشار إليها بقوله : مامنكم من أحد إلا وله منزل فى الجنة ، ومنزل فى النار . فإذا مات ودخل النار ورث منزله أهل الجنة ، وإن شئتم فاقرأوا : « أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

وأما إحصاؤها [٤٣] تحققا . فيكون بالتقوى ، والانخلاع عن كل ما قام به وظهر فيه من الصور والمعانى ، والآثار المتسمة بسمة الحدوث ، وبالاستتار فى سبحات أعيانها وأسرارها وأنوارها[١] . قالوا : فيدخل عند ذلك جنة[٢] الامتنان ، هى مقام ستر غيب الغيب ، وإليه الإشارة فى قوله : « إن المتقين فى مقام أمين » . المعد فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

فمن ذلك اسم « الله » . وهو أعظم الأسماء لدلالته على الذات الجامعة لصفات الألوهية ، ولا يطلق(٣) على غيره بمجاز ، ولا بحقيقة ، ولا يصح التعلق(٤)،

---

(١) وهذا المشهد هو الانخلاع من مجال الوعى العقلى إلى مجال الوعى الروحى ، فمجال الوعى العقلى لايخلو من آثار الحدوث حتى فى أرقى درجاته فحين ينخلع صاحبه من مجال الوعى النفسى الذى لايعنى إلا بمطالب الجسد ، يحاول حل مشاكله برسم المثل العقلية ، ويجتهد فى سبيل الوصول إلى سعادته عن طريقها ، ويجد العقل نفسه عاجزا عن تحقيق السعادة على هذا السبيل ، لأنه يجد نفسه غارقا فى الجدل والحيرة فى وجوه الخلاف . وتسود السالك حينئذ فترة صمت وسكون ، كالسكون الذى يعقب العواصف المدمرة . فترة استسلام كامل ، لا حس فيه ولا حركة ، ولا نزاع . وفجأة تحدث الولادة الروحية ، المعبر عنها فى عرف الصوفية بالولادة الثانية ، ويجد السالك نفسه غارقا فى سبحات أسرار الأسماء والصفات وأنوارها ، ولا يستطيع التعبير عما يجد من سعادة ولذة لا تعدلها سعادة ولا لذة فى عوالم الوعى العقلى والنفسى .

(٢) فى : ظ حبة . تصحيف .

(٣) فى : ط . ينطلق . تحريف .

(٤) جميع الأسماء الإلهية تصلح للتعلق والتخلق ، إلا اسم « الله » ، فلا يصلح إلا للتعلق فقط ، ولا يجوز التخلق به بحال من الأحوال .

به إلا بعد التخلق بجميع الأسماء، والتقرب به فى احتقار ماسواه حالا، وتعظيم أمره كشفا، وإسقاط الكون شهودا، والفناء فى الجميع استغراقا، وتعلق الهمة به دائما، ومراقبة الأنفاس سرا، وذكره ظاهرا وباطنا، إلى أن يستغرق السر فى وجوده، ثم فى حقيقة شهوده، فلايرى غيره فيحرس عليه أحواله[1]، ويحفظ من الأغيار أسراره.

واسمه «الواحد» وحقيقته الذى لايقبل الكثرة ولا يحتمل القسمة، والتقرب إليه به. بنظر المصنوعات تدبرا، ثم تذكرا، فيحصل سكون الباطن (من خسة الأعراض، ثم الفناء عن الآثار)[2] ثم الغيبة عن الغيبة (ثم الثبوت فى التجلى ثم الغيبة)[3] بالغيبة، والعود إلى الحقيقة الأولى. والأحد والوتر مثله سواء.

واسمه «الصمد» الذى يصمد إليه، أى يقصد. وقيل: الذى لايطعم. والتقرب به (إليه)[4] بالخلوات وتقليل الطعام. ومن صمد لحركة بقصد صحيح غير ملتفت (فيها)[5] لغير الله، أمده الله بأنوار إيمانية، وقوة روحانية.

واسمه «الحى». ومعناه الفاعل المدرك،[6] إذ من عدم الفعل والإدراك فهو موات، والتقرب إليه به بأن يحيي الأنفاس بالذكر، ويحيي الحركات بروح السنة. ويحيي الجسد بالطهارة. إلى أن يحيي القلب بنور الحكمة.

واسمه «القيوم». وهو الذى يقوم به كل موجود. والتقرب به (إليه)[7].

---

(١) فى الأصل: فتحرس وتحفظ. بالبناء للمجهول.

(٢) مابين الحاصرتين: ساقط من الأصل، س.

(٣) مابين الحاصرتين. ساقط من الأصل. وزيد من: ظ. وفى: س. ثم الغيبة فى الغيبة

(٤) ساقطة من: ظ، س

(٥) ساقطة من الأصل.

(٦) فى: ظ أو. تحريف.

(٧) ساقطة من: ظ، س. وفى الأصل والتقرب إلى. تحريف.

بأن تسلم الحركات إليه ، وحقه ألا يذكر إلا مع الحى ، لأنه وحده ليس من طور الموجودات . والحياة لها نسبة فى الإنسان . ولا يتخلق به [١]، ويطلع بالسر على أرواح الموتى ، فيرى السعيد منهم (والشقى)[٢] .

واسمه : «الكبير» . والكبير الكامل الذات. والتقرب به (إليه)[٣] بأن يرى أمره عظيما لا يحمله[٤] إلا به ، ويعامل الخلق بالاستغناء ، ويعود بتعظيم حرمات الله ، ثم بتقوى الله .

واسمه : «العلى» . وهو الذى لا رتبة فوقه . والتقرب به (إليه) بأن يرى (ما عنده)[٥] (أعلى)[٦] من كل شىء فلا يطمح إلا لما عنده ، ويرى [ذلك تحقيقا] ويقرن باسمه الكبير ، وثمرته الرفعة فى الدنيا والآخرة .

واسمه : «العظيم» . وهو مالا يتصور العقل الإحاطة بكنهه[٧] ، والتقرب إليه[٨] به ، بكثرة التعبدات والرياضات ، والتفكر فى أوقات الذكر . وعليه بكل أمر فيه ذل ، وهو يورث الهيبة فى العالم . ويغلب الأوهام ، ويسخر[٩] له الخلق .

---

(١) بل يتخلق به ، لأن كل إنسان قائم على مايليه مما هو مسئول عنه وراع له ، ولكنه تخلق ناقص بالطبع، كتخلق الإنسان بقية الأسماء ماعدا «الله» كما ذكرنا من قبل . والقيومية من طور الموجودات على ذلك كالحياة وغيرها ، مع ملاحظة الأزلى والفانى ، أو العبد والرب ، وعلى هذا يجوز ذكر اسم «القيوم» وحده ، وتعليل المؤلف رجحان ذكره مع الحى غير مستقيم ، لأن اسم الله الذى ليس من طور الموجودات حقا يجوز ذكره وحده .

(٢) ساقطه من : ظ ، س .

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

(٤) أى لايحمل تجليات هذا الاسم إلا به تعالى .

(٥) ساقطة من : ظ ، س .

(٦) ساقطة من الأصل . وجاء مكانها كلمة : أعلاء . وزيدت من : ظ .

(٧) فى : ظ ، س .الا يتصور إحاطة العقل بكنهه .

(٨) فى : ظ ، س إلى الله به .

(٩) فى : ظ :ويستسخر .

واسمه: «العليم». وهو المحيط بكل شيء علما[١]. والمتقرب به (إليه)[٢] يفصل[٣] كل ذرة فى الوجود بلطيف الفكرة، من أى العالم صدر؟ فيعقب ذلك علما يوجد به[٤]، فيه ألسنة الموجودات. ويرى أجزاء العالم مقبلة إليه بأنواع الأسرار، ملقنة[٥] ما أودع فيها.

واسمه: «الحق». وهو الواجب بذاته. والتقرب (إليه)[٦] به أن يرد إليه الأشياء من صوت ونطق وحركة وأخذ[٧]، فيشهد (القدرة فى التصريف، والعلم فى النطق، والإرادة فى اختلاف التركيب. فيشهد)[٨] الكل يخاطبه بحقائقه [٤٤ ا] ويعلمه الله سر العوالم، وليذكر الحق المبين. وشرطه ألا يأكل من الأسباب، ومجاهدته الصمت[٩].

---

(١) فى: ط، س: المحيط علما بكل شيء.

(٢) ساقطة من: ط.

(٣) فى: ظ. يفضل. تصحيف

(٤) أى بتفصيل كل ذرة فى الوجود بلطيف الفكرة.

(٥) فى: ظ، س. ملقية ما أودع فيها.

(٦) ساقطة من: ط.

(٧) فى: ط. واحد. تحريف.

(٨) ما بين الحاصرتين. ساقط من الأصل. وزيد من: ظ.

(٩) مريد التخلق باسم الحق لا يأكل من الأسباب لأن التحقق بالحق يستلزم الثقة بالحق. قال تعالى: إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون: فالثقة بالرزق من الله، هى التحقق بالحق. كما جاء فى الآية الكريمة ـ وثقة الناس بالأسباب تباين الحق وتعارضه، وليس هذا طريقا ملزما لكل السالكين بأن يسيروا عليه. ولا يعترض عليه بأنه يستلزم خراب العالم ودمار العمران، لأن هذا الاعتراض لم ينشأ إلا من وعورة طريق التوكل، وضعف اليقين بالله. فإذا ساق الله السبب للسالك بعد توكله واستسلامه، كان متحققا بالحق، وإذا سعى هو فى الوصول إلى السبب لم يتحقق بالحق. أما التجرد عن حقائق الأسباب فستحيل، لأن التوكل نفسه سبب.

أما لزوم الصمت. فلأن الحق تعالى ينادى يوم الحق: لمن الملك اليوم، فيلزم الجميع الصمت فيجيب سبحانه نفسه بنفسه. لله الواحد القهار. فصار حقا لا موجود سواه. ولزم الصمت تحقيق لهذا المشهد.

واسمه : « المبين » . أى الفاصل فى الحكم . والتقرب إليه به بالخلوة وتدريج الرياضة ، ولا يأكل مما يعتقد جهته ، فلا يخفى عنه نطق النفس والروح والقلب والعقل والهواجس ، ولا يلتبس عليه سماع شىء من العوالم إلا ألهمه الله بيانه .

واسمه « النور » . وهو : الظاهر الذى ظهرت به الأشياء . ومن استقامت نفسه على التزكية بالطاعات من ظلمة الطبائع ، حتى يقابل بنورها نور الروح ، من الله عليه باستغراق الشهود فى المحبة .

واسمه « الملك » . وهو الذى يستغنى عن كل شىء ، ويفتقر إليه كل شىء . ويتقرب إليه به من أشرف على حقائق النهايات ، ورياضته الجوع ، وترك الرسم[2] ، واعتزال الخلق . ويفتح عليه بالثقة بما عند الملك الأعلى .

(واسمه)[3] « المحيط » . ومن تحقق به لزمه الحياء من الله . والمراقبة ظاهراً وباطنا ، والتقرب إليه به لزوم الأمر ، وحفظ الخواطر عن كل شوب[4] يحجب عن الله . ويجعل الله له معقبات من بين يديه ومن خلفه ، يحفظونه من أمر الله .

واسمه « القدير » . والقادر . وهو الذى إن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل .

---

(١) فى : س . الخلوة ، والخلوة أخص من العزلة ، وهى نوع من الاعتكاف لكن لا فى المسجد ، وربما كانت فيه . وأكثرها عند الصوفية لاحد له . لكن السنة تشير إلى الأربعين بمواعدة موسى عليه السلام ، ويرى بعضهم أن أقصاها ثلاثين يوما ، لأنها أصل للمواعدة . وأقلها عشرة أيام رعاية للسنة . وهى للكامل زيادة فى حاله ، ولغيره ترقية . والقصد منها تطهير القلب من أدناس الحياة ، وإفراد القلب لذكر واحد وحقيقة واحدة . وهى بلا مرشد خطر كبير ، ولها فتوح عظيمة ، وقد لا تصلح فى حق الكثيرين [راجع كتاب الخلوة . للشيخ الأكبر . وقواعد التصوف . قاعدة ١١٢] .

(٢) ف : ظ . الرسخ . تحريف .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) ف . ط . شيوب تحريف .

والتقرب (به)[1] (إليه)[2] عسير . بجهد الرياضات ، وأنواع التجرعات ، وترك الكلام ، ومواصلة الخلوة ، والصوم . ويرزقه الله قوة فى باطنه وظاهره .

واسمه « الحكيم » . عبارة عن المعرفة بأفضل الأشياء ، والتقرب به (إليه)[3] بإخلاء المعدة جهد الطاقة ، وملازمة الفكرة[4] ، وتقليل شرب الماء . وترك النظر إلا لما يعتبر فيه[5] ، ويلهم به شهود الحكمة ، وتظهر لبصيرته أنوار المعرفة .

واسمه « الرحمن » . لايسمى به إلا الله . وسره لطيف ، والتقرب إليه (به بلزوم الرحمة)[6] للخلق ، ويظهر عليه آثار الخشوع .

واسمه «الرحيم» . كذلك ، اشتقاقهما واحد . والمتقرب (إليه)[7] به بظهور التواضع لله ، وبعدم رؤية المخلوقين . والتطلع إلى مايقرب إلى الدار الآخرة ، ويذكر بسم الله الرحمن الرحيم .

واسمه « الرءوف » . وهو شدة الرحمة ، والرأفة . باطن[8] الرحيمية ، والتقرب إليه ، (به)[9] أن يرأف على نفسه بترك طلب الدنيا . وبمزاحمتها بالآخرة . ومن عصم من المخالفات والنواهى فقد رئف به .

واسمه «السميع» . هو الذى لايعزب عنه مسموع . والتقرب إليه ، (به)[10]

---

(١) ساقط من الأصل ، س .
(٢) ساقطة من : ظ ، س .
(٣) ساقطة من : ظ ، س .
(٤) فى : ظ ، س . الفكر .
(٥) فى : س وترك النظر الإمام . تحريف
(٦) مابين الحاصرتين . ساقط من الأصل . وفى : ظ . للزوم الرحمة للخلق .
(٧) ساقطة من : ظ ، س .
(٨) فى : ط بباطن .
(٩) ساقطة من : ظ ، س .
(١٠) ساقطة من : ظ ، س .

أن يلزم الفكر فى كل عالم ،وما سره(١) الذى ينطق به ، والتقرب به بالصوم ، وقيام الليل ، ويضاف إليه البصير ، ويظهر (عليه قلة العمل الظاهر ، وكثرة الباطن)(٢) .

واسم « البصير » : الذى لا يخفى عليه شىء ، (والتقرب) (٣) إليه به بأسرار المراقبة فى كل حال . ويظهر له حضور القلب فى حضرة المشهود فى المناجاة(٤) .

واسمه « الخالق» وهو الصانع المخترع للأعيان . والتقرب (إليه) (٥) به التفكر ، ويضاف إليه التسبيح ، ويلزم الطهارة والرياضة ، ويظهر عليه ألا يستحقر(٦) مخلوقا من مخلوقاته .

واسم « البارىء » وهو الذى أوجد الخلق من الثرى ، وهو التراب . والتقرب (إليه)(٧) به مراعاة الباطن وسماعه وحركته ، وبه لايضره مايتعرض(٨) له من ظلمة الأكوان .

واسمه «المصور» . وهو المحيز للشىء(٩) عماسواه، والتقرب (إليه)(١٠) به الاعتبار بأسرار ما أودع الله فى كل صورة ، ورياضته البسط [٤٤ب] فى المعارف الربانية والحقائق ، ولا يستعمل النوم الكثير ، ولا يقطع نباتا لايحتاجه . وبهذا لايتغير عليه حاله .

---

(١) فى الأصل . يسر .
(٢) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٣) ساقطة من : ط ، س .
(٤) فى الأصل . المباحات . تحريف
(٥) ساقطة من : ظ ، س .
(٦) فى: ظ . أن يستحقر . تصحيف .
(٧) ساقطة من : ظ ، س .
(٨) فى : س . من يتعرض إليه .
(٩) فى الأصل . الشىء .
(١٠) ساقطة من : ظ

واسمه «الرزاق» . وهو خالق الرزق والمرزوق ، والمتقرب (إليه)(١) به لايشغل الوقت بشيء(٢) ، ولا يأكل من جهة ، وهذا يرزق من حيث لايحتسب .

واسمه « اللطيف » . [وهو] من الرحمة . والتقرب (إليه)(٣) به بدوام الفكرة فى لطف الله ، وإيصال(٤) الرأفة إلى قلوب العباد ، إلى أن يصح باطنه باللطف .

واسمه «الوكيل» . وهو الذى توكل إليه الأمور ، والتقرب (إليه)(٥) به ألا يجلس فى موضع يعرف فيه ، ولا يأكل من معلوم ، ولا يسأل ، ولا يقبل مازاد على الضرورة ، وهذا تسقط عن ذاته الكلف .

واسمه «الوهاب». والهبة العطية الخالصة. والمتقرب (إليه)(٦) به سبيله الإيثار ، والإغضاء ، وهو أصل فى الفتح . ويفتح عليه بأنواع العلوم .

واسمه «الودود». وهو الذى يريد الخير للخلق. والتقرب (إليه)(٧) به بكثرة الخدمة لأولياء الله ، واستدامة الجوع والخلوة ، وإضافة الرحيم إليه . وينزل الله عليه أنوار الود والرحيمية .

واسمه «القريب » . القرب ضد البعد . والتقرب (إليه)(٨) به يفيد الأسرار والخواطر ، و[سبيله]صون الحركات ، ولزوم الوحدة والتجوع ، إلى أن يشاهد قرب الحق ، وذلك إذا دعا (دعاء)(٨) يجاب له فى الوقت .

---

(١) ساقطة من : ظ ، س .
(٢) ى :ط . شيء .
(٣) ساقطة من : ظ ، س .
(٤) ى : ظ ، س . واتصال .
(٥) ساقطة من : ظ ، س.
(٦) ساقطة من : ظ ، س .
(٧) ساقطة من : ظ ،س .
(٨) ساقطة من : ط ، س .

واسمه «المجيب» . وهو الذى يقابل السؤال بالإجابة . والتقرب (إليه)(١) به بظهور الاضطرار فى كل طور(٢) ، وكثرة الأوراد . وتحقيق(٣) القصد ، ويتجلى عليه وفيه بأنواع(٤) أنوار ومكاشفات .

واسمه « الحسيب » . بمعنى الكافى المحاسب على الخواطر ، والتقرب (إليه)(٥) به بأن يسقط الأكوان من باطنه ، ويفتح الله له باب القناعة والكفاية .

واسمه « البديع » وهو الذى لاعهد بمثله ، والتقرب به (إليه)(٦) أن يشهد مصنوعاته بلطف التدبير ، والتقرب والتلاوة ، ويستكمل به كشف عالم الإبداع .

واسمه « الخبير » . هو الذى لايعزب عنه علم بواطن الأسرار . والتقرب (إليه)(٧)، به المراقبة فى الأنفاس وخطرات القلب ، والتجوع والصمت، وأكل المباح ، ويخبره كل سر بما أسر فيه .

واسمه « القدوس» وهو المنزه عن كل وصف يلحقه حس أو ضمير. والتقرب (إليه)(٨) به أن يلزم الخلوة ، والصوم بغير وصال ، ويأكل من المباح ويذكر مع السبوح (٩) ، والصمت يقرب فيه(١٠) الفتح ، وتتجلى له حقائق التنزيه .

---

(١) ساقطة من : ظ ، س .
(٢) فى الأصل : طوره .
(٣) فى الأصل. وتحقق .
(٤) فى : س . أنواع .
(٥) ساقطة من : ظ ، س .
(٦) ساقطة من : ظ ، س.
(٧) ساقطة من : ظ ، س .
(٨) ساقطة من : ظ ، س.
(٩) فى : ظ . الشيوخ .
(١٠) فى الأصل : يقرب منه الفتح .

واسمه «السلام» . معناه السلامة من سمات الحدوث ، وليس إلا لله والمتقرب (إليه)(١) به يلازم الطهارة من الأوصاف (التى تحجب عن كمال الشهود ، والرياضة بالمفترضات)(٢) وشغل الوقت بالراحة . والعلامة اتساع القلب .

واسمه « المؤمن » . وهو الذى يعزى إليه كل أمن . والمتقرب به يؤمن بكل شىء أنه من الله ، ورياضته شدة الجوع ، واستدامة الذكر ، وعلامته أمارات الفراسه(٣) .

واسمه «المهيمن» . هو القائم(٤) على الخلق ، والمتقرب (إليه)(٥) به يتدرج فى مراقبة الأسرار والأفكار ويضيف إليه المؤمن ، ويطلب علم المكاشفة ، ويقلل الأكل ، ويسهر ، ويحذر المسخ مع الإلتفات لغير الله.

واسمه « العزيز » وهو الذى لا مثل له . والمتقرب به يقتحم مهالك الطاعات ، ويلزم الإعراض [٤٥ ا] عن غير الله ، ويعمر الظاهر بالملابس ، وعلامته تسخير الأكوان ، واستخدام العالم ، بما فيه من الأسرار .

واسمه «الجبار» ، وهو الماضى الحكم جبراً ، والتقرب (إليه به)(٦) بالتواضع ، ولباس الحقير ، وإظهار ذل العبودية ، ولا فائدة فيه للمجاهدة إلا مخالفة الهوى ، ويجبر الله به حقيقته وعقله على الكمال ، وروحه وسره بأنوار المشاهدة والتحقيق .

---

(١) ساقطة من ، ط س

(٢) مابين الحاصرين ساقط من : س

(٣) فى الاصل . المراقبه . وعلى هامش الأصل . الفراسة من نسخة ثانية - وفى : س - وعلامته إذا مات المراقبة.

(٤) فى الأصل: هو القيام على الخلق .

(٥) ساقطة من:ظ ، س

(٦) ساقط من : ط . وفى : س . والتقرب إليه

واسمه «المتكبر» ، وهو الذى كل شىء حقير بالإضافة لذاته ، والتقرب إليه (به)(١) بذل(٢) القلب لكبريائه ، والخشوع ، والمشى هونا ، والتلاوة ، وحضور مجالس العلم ، فيعظم الله فى قلبه الخشوع ، ويظهره على جوارحه .

واسمه «الحفيظ» ، وهو الذى يحفظ جميع المتضادات . والمتقرب به يحفظ آداب الشرع وآداب القلوب ، ويلزم الجوع ، واستدامة الذكر ، وتظهر له الملائكة الذين من بين يديه ومن خلفه .

واسمه «المجيد» ، وهو الرفيع الشريف . والتقرب (إليه)(٣) به أن يعظم حرمات الله فى ظاهره وباطنه ، إلى أن يبدو له قلبه عرشا(٤) تحمله ثمانية أنوار(٥) .

واسمه «الرقيب» ، وهو الذى يراعى سرائر السرائر . والمتقرب به يلازم الخلوة فى الظلمة ، وخلو المعدة إلا بالقليل ، والأذكار ، وعدم الادخار ، وذكر الإسم طرفى النهار ، وتظهر له الخواطر قبل حصولها ، والأسباب قبل وصولها .

واسمه «القوى» . وهو ذو القوة التامة . والتقرب به أخذ أشد الأمور(٦) وخاصيته : ألا يأخذه كبير ألم من الجوع والضعف ، وعلامته حب الدار الآخرة والنقلة إليها .

واسمه «الفاطر» . وهو الذى فتق السموات والأرض . والمتقرب به ،

---

(١) ساقطة من : ط ، س

(٢) فى : ظ ، س . بذلك . تحريف وفى الأصل : يذلل

(٣) ساقطة من : ظ ، س

(٤) فى : ظ . شرعا . تحريف

(٥) على مثال : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية

(٦) فى : ظ . أشد الأمر

يتخذ(١) ما استحسنه الشرع والعقل مطية ، وتلاوة القرآن والعمل ، ولحظ طهارة الأوصاف ، ويقدح الله فى قلبه نورا(٢) تستضىء به آفاق ذاته .

واسمه « القاهر » ، وهو الذى يقصم ظهور الجبابرة من أعدائه ، والمتقرب به يغير شهواته بالمجاهدة ، ويلازم التواضع والرحمة والخمول والذلة ، ومن خواصه : قمع الجبابرة ، وإذهاب الروع ، والجزع ، ورياضته السياحة ، والخلوات .

واسمه « المبدىء والمعيد » . وهو مالم يسبق بمثله . ومعيده ثانية . والتقرب (إليه)(٣) بهما بقطع العلائق الباطنة والظاهرة ، مع صفاء الوقت ، ويفتح له بابا من أبواب القرب يسعد به .

واسمه « القابض ، والباسط » ، وهو الذى يقبض الأرواح عن الأجسام ويبسطها فى الأشباح يوم الرجعة ، والمتقرب بهما يقبض نفسه عن الشهوات ، فيظهر الله عليه نورا من البسط ، ويفتح له بابا من الأنس ، وإن ورد وارد البسط (بقلبه)(٤) (فعليه)(٥) بالأدب(٦) .

واسمه « الهادى » . [وهو] الذى هدى فطر البشر أولا إلى معرفته حتى أجابت(٧) والمتقرب إليه به يلزمه متابعة الأوامر على قبول العمل

---

(١) فى الأصل : يتحمد

(٢) فى : ظ نور . خطأ

(٣) ساقطة من : ظ،س

(٤) ساقطة من : ظ،س

(٥) ساقطة من الأصل

(٦) الأدب فى حال البسط أن يقابله المريد بضده وهو القبض ، لأن الاستسلام لحال البسط يخرج إلى الإدلال، ويوقع فى الألفاظ الموهمة ، والأوهام الباطلة ، وقد نبه «ابن عجيبه» على ذلك فى شرحه للحكم العطائية . ويرى كذلك أن الأدب فى حال القبض هو أن يقابله المريد بضده وهو البسط لئلا يرجع إلى اليأس من الرحمة .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى « وإذا أخذ ربك من بنى آدم ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم . ألست بربكم ؟ قالوا : بلى» وللتوسع فى هذا . [راجع باب التوحيد والتفريد . من كتاب : علم القلوب . لأبى طالب المكى . القاهرة ١٩٦٤]

والانقطاع والخلوة ، ويسير الصوم ، وهداية العباد ، ويهديه الله إلى معرفته . واسم «العفو» وهو الذى يمحو السيئات والمتقرب (إليه)[1] به بالصفح عن عباد الله (وحمل الأذى)[2] .

واسمه «الغفور . والغافر» . وهو الذى يستر ذنوب عباده ، ويغفر الظاهرة منها والباطنة ، والمتقرب (إليه[3]) بهما[4] يعفو عمن ظلمه [٤٥ ن] ويقرن العفو بالغفور . ويطلب العلم النافع والتلاوة ، وعلامته رحمة يوجدها الله فى القلوب ، بشرط سكون الباطن .

واسمه «الواسع» . وهو من السعة . ويضاف إلى العليم ، والمتقرب (إليه[5]) به يترك الأسباب ، ويلزم التقوى ، وميراثه الفتح ، والوسع الخارج عن طور البشر .

واسمه «الكريم» ، وهو الذى إذا قدر عفى ، وإذا وعد وفى ، وإذا أعطى أغنى وكفى ، والمتقرب إليه به لايدخر شيئا ، ويعامل الخلق بكريم الأخلاق ، ولايترك من أعمال البر شيئاً إلا تكرم به على نفسه ، والعلامة : استواء المدح والذم فى العباد والبلاد[6] .

واسمه «الحميد» ، وهو المحمود المثنى عليه بصفات الحمد ، والمتقرب (إليه)[7] به ، يذكر الحمد ، ويجتنب التجاوز فى الكلام ، ويلزم القناعة

---

(١) ساقطة من : ظ ، س

(٢) ساقطة من س

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

(٤) فى الأصل : به . وفى : ط . بها .

(٥) ساقطة من : ط ، س

(٦) من أروع ما كتب فى فلسفة المدح والذم « راجع الباب ٥٦ ، ٥٧ ، من النصائح الدينية والنفحات القدسية للحارث المحاسبي مخطوط رقم « ٤١٦ » تصوف . بدار الكتب المصرية .

(٧) ساقطة من : ظ ، س .

والعلامة : أن ينقلب كل عناء راحة ، وكل ألم نعيما .

واسمه الشهيد ، ومعناه راجع إلى (العلم[١]) والمتقرب (إليه)[٢] به يلزم التجوعات والرياضة ، والخشوع والمراقبة ، وملازمة اسمه[٣] الشهيد ، وتبدو له المحاضرة[٤] ثم المكاشفة[٥] ثم المشاهدة[٦] .

واسمه الأول والآخر . وهو لا يصح مزدوجا إلا لله ، فهو الأول بالإضافة إلى الوجود ، والآخر بالإضافة إلى الصعود[٧] ، والمتقرب بهما ، يتلو سورة الإخلاص ، ويلتزم الغسل كل يوم ، ويبدو له التوحيد ، ثم يثبت لعين الكشف[٨] ولا ينتقل .

واسمه الظاهر والباطن ، وهما كذلك من المضافات[٩] ، والمتقرب بهما ، يعمر الظاهر بالخشوع والتقوى ، ولا يمشى إلا هونا ، ويستقبل القبلة فى هذا السلوك ، ويلزم الخلوة ، والجوع والظلمة .

واسمه المتين ، ومعناه ذو القوة والقدرة ، والمتقرب (إليه)[١٠] به يتخذ من العبادات أشدها ، ويسلم فى مجارى الأحكام ، ويلازم تلاوة القرآن ، وعلامته شدة العمل ، وقوة السرعة للطاعة[١١] .

---

(١) فى : ظ ، س ويلزم تحريف .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) فى الأصل : اسم التشهيد .

(٤) المحاضرة : هى ما يرد على القلب فى مقام الحضور .

(٥) المكاشفة : هى انكشاف أسرار الأسماء الإلهية فى الكون .

(٦) المشاهدة: إدراك المدركات العينية، أى أعيان المدركات وحقائقها، وهى والتحقيق واحد

(٧) أى بالإضافة إلى الصعود من عالم المحسوسات إلى عالم المعقولات ، ثم إلى عالم المثل ثم إلى العماء ، ثم إلى اللانهائى المطلق عن الإطلاق .

(٨) أى الكشف عن حقيقة التوحيد والتجريد ، وهو عين اليقين .

(٩) أى الظاهر بالإضافة إلى الوجود . فآثار أسمائه وصفاته . ظاهرة فى كل شىء . والباطن بالإضافة إلى الأسرار . عمقاً وخفاء [راجع . خمرة الحان . للنابلسى] .

(١٠) ساقطة من : ظ .

(١١) فى س . السرعة الطاعة : تحريف .

واسمه « المحيى » والمميت ، (ويرجع إلى الإيجاد وإذهاب الإيجاد ، والمتقرب إليه به يميت نفسه بأنواع(٥)) المجاهدات والجوع والسهر ، وثقل الأوراد ، وخدمة الصالحين ، ويحيى الله قلبه بنور المعرفة ، ويحقق له المقام النبوى(٦) .

واسمه «الحليم»، وهو الذى لايستفزهالغضب، ولا يعجل(٣) بالعقوبه والمتقرب به (إليه)(٤) يذكر على الدوام من غير جوع ولا خلوة ، وأثره ألا يرى اعتراضا فى باطنه على أحد من خلق الله .

واسمه «البر» ، وهو المحسن ، والمتقرب (به) يبر جسده بالمجاهدة ، وقلبه بالإخلاص والفكر ، ويفتح الله عليه الكشف لأسرار القدرة فى أطوار الوجود .

واسمه « الكافى » ، والكفاية القيام بالأوامر ، والمتقرب (إليه) به يحسن(٥) التوكل ، وينظر ماتقدم فى اسمه الوكيل .

واسمه « المقيت » ، وهو خالق الأقوات ، والمتقرب به لايتصرف لنفسه فى سبب ، ويقلل من الطعام جهده ، وينظر فى الرزاق .

واسمه « ذو الطول » ، والطول الوسع ، والمتقرب به إليه(٦) يؤثر ويبذل ويسعف وينصح ، وينظر فى الكريم .

واسمه « الشاكر » ، والشكور ، وهو الذى يعطى بيسير الطاعة(٧)

---

(١) مابين الحاصرتين . ساقط . من : ط .

(٢) ليس معنى هذا أن يكون السالك بهذين الاسمين نبيا ، بل معناه : أن يتحقق بمقام شهود أسرار النبوة .

(٣) فى : ط . أو لا يعمل .

(٤) ساقطة من : ط ، س .

(٥) فى ط . لا . ثم كلمة مضطربة جدا رسمت هكذا تحبق .

(٦) فى : ط س . إلى الله .

(٧) فى : س على يسير الطاعة .

كثير الدرجات . والمتقرب به يترك الأسباب [بـ]ـا تخاذ التوكل .

واسمه «السريع». معناه سريع الحساب وسريع العقاب . والتقرب به (بمنازعة الخواطر)(١) والمسارعة للخيرات(٢) وتلاوة كتاب الله العظيم، واستكماله [١٤٦] فمتى سمع أمرا يقرب إلى الله، وجد داعية تقيمه إليه .

واسمه «المنان» المن الإحسان من غير جزاء . والمتقرب (إليه)(٣) به يرى تراكم نعم الله فى الوجود، ويتلو ويطلب العلم . من غير جوع ولا تقشف(٤)، وكماله ألا يرى لعمله موقعا، ولا لسره حظا .

واسمه «المولى». وهو المتولى لأعمال عباده. وبمعنى الناصر. والتقرب (إليه)(٥) به بالتقرب إلى عباد الله وأوليائه الذين ينظر(٦) [الله] إلى قلوبهم ويسلم لهم، والتقشف ولزوم الصوم (والصمت)(٧) ولا يتقوت (من معلوم)(٨) ويجد ما تقدم من المعاملات كشفا .

واسمه «القادر والمقتدر». ومعناه ذو القوة. والمتقرب بهما يسلم الظاهر للأحكام، والقلب للتصريف، ويترك الكلام فيما لا يعنى، ويتلو القرآن. والفتح كشف أسرار القدر، حتى يلزم الرضا بالقضاء .

واسمه : «المغيث» وهو مفرج الأزمات . والمتقرب (إليه)(٩) به ينظر فى الاسم المجيب .

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٢) مابين الحاصرتين ساقط من : ظ . وفى الأصل . بمسارعة الخيرات .
(٣) ساقطه من : ط ، س .
(٤) في : ظ ، س . ولا كشف .
(٥) ساقطة من الاصل .
(٦) في : ط . ينظرون . تحريف .
(٧) ساقطة من : ط ، س .
(٨) ساقطة من : الأصل .
(٩) ساقطة من : ط ، س .

واسمه « الباقى » . وهو الواجب وجوده لذاته . والمتقرب به ، يخلص الأعمال من الأغيار ، والفتح فيه بخلاص الأعمال .

واسمه « الصادق » . وهو المتمم حكمه الأول . والمتقرب به يلزم الصدق باطنا وظاهرا ، والطهارة وأكل الحلال ، ولا يتحرك حركة إلا ما برزت عن الكتاب والسنة ، ومدار الذكر سورة الإخلاص .

واسمه « ذو الجلال » . وهو الذى لا جلال ولا بال ولا كرامة إلا له . مطلقة والتقرب (إليه) (١) به أن يكثر المراقبة ، مع الطهارة والتلاوة والخلوة ، ويكره الإثم . والعلامة : الخوف مما يبعد عن الله .

واسمه « الدائم والقائم » ، وهما من معانى الباقى ، والمتقرب (٢) بهما ينظر فى الاسم الباقى .

واسمه « الباعث » . وهو الذى يحيى الخلق للنشور . والتقرب به ، أن يريض النفس بعلوم الآخرة ، والسهر ، واستقبال القبلة ، حتى يميت الله أوصافه الذميمة ، ويحيى القلب بالمواهب الربانية .

واسمه « الوارث » . وهو الذى رجع إليه الأمر والوجود كما كان . والمتقرب به ينظر فى الاسم الباعث .

واسمه « الفتاح » . هو الذى يفتح مغاليق الملكوت والقلوب والفتوحات . والتقرب (إلية)(٣) به بالجوع والخلوة والطهارة ، واستقبال القبلة ، وخاصيته توسعة الرزق ، وتيسير الظاهر ، والعلوم الموهبيات(٤) .

واسمه « الفعال » . وهو الذى يبرز الأكوان من العدم إلى الوجود .

---

(١) ساقطة من : ظ ، س .
(٢) فى : س والقرب .
(٣) ساقطة من : ظ ، س .
(٤) فى : ظ الموهبات .

والتقرب به: شهود حكم، وخطاب معان، يوجب التزهد والترؤس(١). إذ ليس بذكر سلوك .

واسمه «الشديد». ومعناه القوى . وفيه ينظر (فى الاسم القوى)(٢).

واسمه «المتعالى» بمعنى (العلى)(٣) مبالغة. وحظه من هذا الاسم رفع الهمة عن رذائل(٤) العالم البشرى ، ويفتح(٥) الله له محبته، ويطلعه على أسرار القرآن إذا تدبره .

واسمه « القائم » . وهو بمعنى القيوم . والتقرب (إليه)(٦) به القيام بالجوع والقنوت والعبودية ، وينظر فى القيوم .

واسمه «الإله» وقد تقدم فى اسم الله وليس باسم للتخلق(٧) بل هو حقيقة الأسماء . والتقرب به . التوله بذكره فى كل نفس (٨) والذكر به الله . الله (الله) (٩) . واسمه الأحد . الواحد المفتتح العدد . والأحد اسم لنفى ما يذكر معه (منه) (١٠) والمتقرب (إليه) (١١) به . أن يشهد حقائق التوحيد . ويرى الأشياء كلها قامت بسره فيعدم الباطن الاعتراض على [٤٦ ب] الأحكام . وليس فيه رياضة جوع ولا تقشف ، إلا التفكر والتدبر . والموارد التى ترد على الموحدين أعز من أن يحاط بها علما ، أو عبارة .

---

(١) فى : ظ ، س . والتروحن . والأصل أرجح لأن. التروحن . من السلوك وقد قرر أنه ليس بذكر سلوك .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من : س

(٣) ساقطة من : س ا

(٤) فى : ظ ، س رزائل .

(٥) فى الأصل ، ظ . ويوضح الله له .

(٦) ساقطه من : ط ، س .

(٧) فى : ظ ، س . باسم تخلق .

(٨) فى : س فى كل شىء

(٩) ساقطة من : ط ، وس .

(١٠) ساقطه من : ظ ، س .

(١١) ساقطة من : ظ ، س .

واسمه «علام الغيوب». راجع إلى اسمه العليم. ولا يسلك به رياضة(١) ولا تقشف، بل يحقق ذلك اسمه العليم، حتى يظهر الله له علما موهبيا.

واسمه «الغنى». وهو الذى لا تعلق له بغيره. والتقرب به ليس تقرب رياضة، إنما يكون غنيا بالله، وبما فى يده أوثق عما بأيدى الناس، ويراهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فمن استعمل ذلك صحت له حقيقة الغنى. ومفتاح بابه الزهد. ويتصرف فى عوالم الله(٢) كيف شاء(٣).

واسمه «لم يلد ولم يولد». ينظر فى الأحد.

واسمه. «نعم الوكيل». (نعم المولى)(٤). نعم النصير. ينظر فى اسمه الكريم.

واسمه «التواب». وهو الذى يرجع إلى تيسير أسباب التوبة مرة بعد مرة. والمتقرب به يجرد(٥) العزيمة، ويترك المخالفات (عقلا)(٦) وعقدا (وفعلا)(٧) ويتوجه إلى الله سرا وجهرا.

خاتمة: قال الله عز وجل: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها». ومن أحب التخلق باسم من من أسماء الله (تعالى)(٨) نظر فى نفسه، أو نظر فيه الشيخ، وهل بينه وبين ذلك الاسم مناسبة؟ وهل المناسب فى عالم الجسوم، أو فى عالم الأرواح، أو فى عالم العقول؟ ويحركه بحسب كل مرتبة. [و] مثاله:

---

(١) فى: س إلا برياضة خطأ

(٢) فى الاصل: فى عالم الله.

(٣) أى له مايشاء عند ربه. فالتصرف بإذن الله. لا تصرف استقلال. وهو من باب كنت سمعه ويده. ولا حرج على فضل.

(٤) ساقطة من: ظ، س.

(٥) فى الأصل، ط، س. مجرد العزيمة.

(٦) ساقطة من: ظ، س.

(٧) ساقطة من الأصل.

(٨) ساقطة من: ظ، س.

من تخلق باسمه الرحيم . يأخذ نفسه بالإيثار للناس (١) ، والقيام بحوائجهم ، ثم بعد ذلك يرحم نفسه ، بخروجه عن الأخلاق المذمومة ، وإدخاله إياها فى المحمودة . ثم بعد ذلك يرحمها بالانقطاع إلى الله ، والإعراض عما سواه . وعلى هذا الترتيب يجرى الأمر فى الأسماء كلها . حتى يقع القرب من الله (تعالى) (٢) بكل واحد منها . وأن إلى ربك المنتهى . والوصول إليه معناه ومداره على أن يكون السمع والبصر واليد كما هو مذكور .

---

(١) فى الأصول كلها ، . بالإيثار على الناس . وهو عكس المعنى المراد .
(٢) ساقطة من : س .

الفصل الثالث

من الباسط ، [في] السيمياء

وهو الأصل الذي عفن بعضه وبقي الانتفاع ببعضه. قال المؤلف رحمه الله(1): وصاحب هذه الطريقة وجد إلى ذكره وكونه ذاكرا أن أسماء الله التي جعل مظاهرها الصور الروحانية ، وهي الملائكة .. وهي أرواح الأفلاك والكواكب ، وسكان العالم الأعلى ، وعمرة السموات ، وأسباب كل فعل ، وسائط الله في كل أمر وخلق لما يقع في العالم بإذنه وحكمته . وبتنزلاتها أحاطت حكمته العوالم كلها ، وبلغت ماتحت الثرى . أصولها الحروف ، وطبيعتها سارية في تلك الكمالات الأسمائية . وأن الباري جل وعلا أبرز (العالم من العلم القديم ، إلى الكون المحدث، أبرز الأكوان العلوية السفلية، وقدر فيها) (2) الأسرار الحرفية في الإبداع الأول مختلفـ[ـة] باختلاف أطواره ، ومعبرة عن أسرار الحق وأقداره . ولما كان العقل أول خلق صدر عنه ، وعلة كل فعل صدر بعده بأمر الله ، ومنه نشأت الكثرة وإليه ترجع الأشياء ، وفيه توجد ، جعل فيه سر الألف المناسب له بالوحدة التي نشأ منها العدد ، وهو فيها بالقوة ، وليست بعدد ولا معدود ، فهي حقيقة (جميع الحروف ، كما أن العقل حقيقة جميع الموجودات ، ثم سرت الأعداد في العوالم التي سرت حقائقها من حقيقة) (3) العقل ، وانبث فيها بتدبير بديع وسر لطيف [٤٧ ا] وارتباط غريب، شهدت بذلك موافقة أعداد المنازل التي تجري فيها النيرات والكواكب المتميزة ، علة الكون (4) ومعينة الزمان ، بعدد الحروف ، وغير ذلك من الأمور المنتظمة .

---

(1) في : ظ س . رضي الله عنه .

(2) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل . وزيد من : ظ .

(3) مابين الحاصرتين ساقط من : ظ .

(4) في الأصل . وسفينة الزمان .

ثم إنه لما أبدع طينة آدم فى الاختراع الأول غير المسبوق بالمثال ، وهو المعبر عنه بالعماء ، رتب فى جبلته نسبة من تلك الحروف ، وغرسها (١) فيها ليصدر عنه الاستشراف إلى تلك الحضرة العمائية . ولما نقله إلى طور الهباء فى مدارج التكوين ، وهو الاختراع الأول ، رتب فيه أيضا نسبة من تلك الحروف(٢) ليستشرف (بها) (٣) إلى تلك الحضرة الهبائية . ثم لما نقله إلى طور الذرية ، منسوبا إلى عالم الذر ، رتب فيه أيضا نسبة من تلك الحروف، يستشرف بها كما تقدم على تلك الحضرة . ثم لما نقله إلى طور التركيب ، رتب فيه أيضا نسبة من تلك الحروف . وإلى هذا الحد جعل هذه الحروف التى رتب فيها معانى فى العقل ، ولطائف فى الروح ، وصورا(٤) فى النفس ، ونقوشا فى القلب ، وقوة ناطقة فى اللسان ، وتشكيلا فى السمع ، فأكدت المناسبات بين الأشخاص الإنسانية ، والأشخاص الفلكية ، والصور الروحانية، بمشاركتها فى عنايات الكمالات الأسمائية ، التى منها المفاتيح الأول ، وهى أسرار كل رتق وفتق وكون وفعل صدر ، وخلق ظهر ،

فمن تقرب بتلك الأسماء ، أو بأجزائها وهى الحروف ، على مقتضى الأدعية المرتبة إلى الذات الأقدس ، التى عنها تنزلت ، وبسرها سرت ، على شروط مذكورة من التهيؤ لها بأنواع مخصوصة من الرياضة والطهارة ، تعلقا ، ثم تخلقا ، ثم تحققا ، كان جديرا أن يفتح له بحسب استعداده ، ومناسبة سره لسر ما تعلق (به) (٥) ، [و] بما ظهر على خلقه من أخلاق الاسم يكون قرب الفتح أو بعده إذا وافق عناية ربه .

---

(١) ى : ظ . وتحرسها فيها.
(٢) فى : ط . يستشرف .
(٣) : ساقط من الأصل .
(٤) فى : ظ وطوار . تحريف.
(٥) ساقطة من ط .

ومن جعلها وسيلة إلى بعض الذوات العلوية ، المعلوم نسبتها إليها ، فبعد مراعاة أمور فى المتوسل والمتوسل إليه : أما فى الأول فبأن يستعد بينه وبين من توجهت رغبته إليه ، أو إلى الله من أجله بالدعاء ، لباسا وأكلا وهيئة وخلقا وبخورا ، وتعيينا لنوع ما ينتقش فيه . وأما الثانى فبأن يختار كون الكوكب فى بيته أو شرفه أو فى وتد (١) ، وينظر إليه كوكب من بيته ، أو بيت شرفه من الوتد ، كالزهرة فى الميزان ، أو الشمس فى الأسد ، والقمر فى السرطان ، فإن الكوكب إذا كان فى الحيز(٢) ، أو فى البرج(٣) أو الدستورية(٤) ، كان ظاهر الفعل ، قوى التأثير . ثم يدعو ويذكر ، وينجمع للقابلية ، ثم يعمد إلى اتحاد الصورة إن كان يطبع أو ينقش ، ويستعمل الاسم والبخور ، وما يناسب ذلك من (حيث)(٥) الأفعال المذكورة ، وقد ربط الله عادته فى تعظيم ذكره على كل حال ، فيقع لهم التصريف . وكتابنا ليس بكتاب إطالة ، وكتب هذا الشأن متداولة ينظرها من أراد ذلك ، ولا كالأنماط للبونى ، والدعوات التى رتبها على الأيام ، ودس فيها عند تركيبها جميع ما يحتاج إليه بحسب الصناعة ، وقرنها

---

(١) الوتد اصطلاح فلكى .

(٢) الحيز أى السطح الباطن من الحاوى المماس للسطح الظاهر من المحوى [التعريفات ٦٥]

(٣) البرج اصطلاح فلكى .

(٤) الدستورية اصطلاح فلكى ، وسيأتى شرحها كلها .

(٥) ساقطة من : ظ ، س .

راجع « شمس المعارف الكبرى . وشمس المعارف الصغرى للبونى » وليست هذه المسائل من مقاصد الصوفية الأصلاء ، فالكاملون منهم يعتبرون هؤلاء من الخارجين على قواعد الروحية العرفانية . لان الأصل ألا تجعل الأذكار والعبادات سببا فى الأغراض الدنيوية إجلالا لها . ولكن استراق النفوس بما يلائمها طبعا لما فيه نفع دينى مشروع ومن ثم رغب فى أذكار وعبادات لامور دنيوية كقراءة سورة الواقعة لدفع الفاقة وغير ذلك من أذكار صرف الهموم والديون والإعانة على الأسباب ، فإنها إذا أفادت عين ما قصدت له كان ذلك داعيا لحبها ، وحبها داع لحب من جاء بها ومن نسبت له أصلا وفرعا ، وهى مؤدية لحب الله . وإن لم تؤد ما قصدت له فاللطف موجود بها ، ولا أقل من أنس النفس بذكر الحق ودخول ذلك من حيث الطباع أمكن وأيسر . [راجع قواعد التصوف لسيدى أحمد زروق . قاعد ١٢٣] .

الوقت فمن لا يعرف [٤٧ ب] القصد ظن أن الاعتماد منه على الدعاء فقط. ووقع بها التصريف حسبما أخبر به الكثير من معاصر وغيره(١). وأسرار الله فى العالم غير محاط بها .

فهذه الطريقة من جملة طرق الذكر ، من حيث استعمال أسماء الله ، مخالفة للغاية . إذ طالب غير الله بأسمائه محروم الغاية ، موكوس الحظ . [لأنه] إنما يعين محبوبه جاه أو مال أو انتقام ، وهذا كله إذا اعتبر خسار مبين ، جعل الله غايتنا الذات المقدس ، والكمالات المطلقة ، ووسيلتنا المحبة . الموصلة لعين الخبر عند انمحاء الأثر . ولأجل ذلك جعلنا هذا الأصل عفنا بمعنى البعض . وربما كثر مستعمل الذكر جلالا أو جمالا عند استشعار نفسه بأثر أحد المقامين ، من محبة أو قهر(٢) وهما سر الجمال والجلال فصرف وجهه شطر الحق، وسلط نفسه على مدافعة (القوى الجسمانية، واستعان على ذلك ، بالدوران على مركز نفسه ، ونصبها)(٣) متطلعة إلى عالمها . مقابلة لما يرد عليها من تلقائه ، فتتجرد عن الجسمية وتنسلخ(٤) عند ذلك عنها ، فترد عليها الأنوار ، وتطرقها الواردات ، وتستقيم بعد على الجادة فتصل ، وربما صحت الأجسام بالعلل . وهذا ما وسعنا ذكره فى هذا الفصل والإحاطة لله .

---

(١) قصص الدعاء والمستجابه مستفيض بين الخاص والعام « ادعونى أستجب لكم » فلا مانع من حصول المراد بمثل هذه الدعوات من حيث انها دعاء . لا من حيث أنها باب دخل منه المشعوذون الذين لهم فى المجتمع أخطار تجل عن الوصف . وإذا كان الشىء مرتبطا بوقته ولم يكن من مسائل الأصول جاز الاجتهاد فيه . والأولى فى هذه الأيام القضاء على كل لون من هذا السلوك لعموم البلوى باحترافه على أيدى الدجالين والأفاقين .

(٢) على هامش الأصل. أو قهر. من نسخة ثانية، وفى جميع الأصول : أوقصد. والسياق يرجح ما على هامش الأصل تحقيقا للمقابلة بين الجلال والجمال .

(٣) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل : وزيد من : ط .

(٤) ف : ط وينسلم . تحريف .

خاتمـــة :

وهذه الأسباب سابقة على المعرفة التامة ، ثم الاستدلال والتفكر والاعتبار ، ومعرفة منصب النبوة بكل اعتبار ، إذ هى باب الوصول إلى المحبوب ، وملتقى الآداب التى تليق بحضرته ، وموفرة الجملة من أقرب الطرق على بابه . ثم اليقظة ، ثم التوبة ، ولا يحصل المريد هذا القدر(١) إلا وقد لاحت أعلام المحبة بما تقرر من صفات المحبوب :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

ودست عروقها ، وأنبتها الله النبات الحسن ، فانتشرت فى إيالة القلب دعامتها ، وظهر فى أقطار الروح سلطانها ، يقود جنودها التفكر ، ويأخذ ببعثها(٢) الإخلاص ، وترفع جنايتها(٣) المحاسبة ، وتقرر أحكامها العزيمة ، وتشمر لها عن ساعد الجد المجاهدة ، وترتب إلقامها(٤) الرياضة ، وتحفظ حظوتها المعرفة ، ويقرب إليها الشهود ، ويحقق زينتها الفناء ، وتظفر باستخلافها الولاية .

وجميع هذه الأسباب تتقدم المحبة وتساوقها . قالوا : فإذا استحكمت المواجد ، وتمت الأذواق ، وقامت الحرب على ساق ، وكان المشاهد (٥) كما قيل :

إن قلت خذ قال كفى لا تطاوعنى أو قلت قم قال رجلى لا توافينى

وقال المصاحب الملازم ماأنت وربك :

(يا دليل الذليل أنت الدليل بك يا غايتى إليك السبيل)(٦)

---

(١) فى : ظ ، س . المقدار .

(٢) فى : ظ . بعثها . تحريف .

(٣) فى الأصل . حمايتها . خطأ .

(٤) فى : ظ ، س . ألقابها .

(٥) فى : ظ المساعد .

(٦) البيت ساقط من : من ظ ، س .

قال المؤلف (رضى الله عنه)(١) : وعدوا من الأسباب فى المحبة محبة النوال ، ومحبة الجمال ، ومحبة المناسبة ، ومحبة الممازجة . وهذه الأسباب لاحقة . وكثيرا ما يجلب فى محبة المحدث للمحدث . فلذلك لم نبوب عليها ، ولا أغفلناها ، فأدرجناها فى هذه الأسباب المجتلبة لمحبة النوال على اختلافها فى طى الاعتبار(٢) والرجاء . إذا الرجاء إنما هو انتظار نوال من الله مختلف الحظوظ ، من نعيم عاجل وآجل ، وجنات متباينة ، وقرب ، ونظر ومشاهدة ، وعرفان ووصول . ومحبة المناسبة التخلق بصفات المحبوب وأسمائه ، ومحبة الجمال لقسم الجمال ، ومحبة الممازجة نجعلها كناية [٤٨ ا] عن الدؤوب والرياضة ، وإليها الإشارة بقوله : « وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا ، تقربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » (٣) . فقد حصل الغرض من أصناف الأسباب بين مستقل(٤) بنفسه ، ومندرج فى غيره ، ولاحق وسابق ، والحمد لله (رب العالمين)(٥) (الذى بحمده تتم الصالحات)(٦) .

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) ف : ظ الإعسار. تحريف .

(٣) الحديث « أنا عند حسن ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى، إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم وإن تقرب إلى شبراً . . . الحديث » أخرجه الشيخ الأكبر محى الدين عربى فى مشكاه الأنوار ١٩ ط حلب ١٩٢٦ .

(٤) ف : ظ ، س . من مستقل .

(٥) ساقطة من : ظ س .

(٦) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س .

العمود، المشتمل على القشر والعود، والجنى الموعود

وينقسم إلى قشر وخشب، ودر مخشلب
والقشر ينقسم إلى ظاهر يكسو ويحذو، وباطن ينمى ويغذو

الظاهر من القشر الذى يكسو ويحذو

و[هو] الكلام فى المحبة وأقسامها من حيث اللسان، لامن حيث نوع الإنسان. قالوا: أقسامها التى بها تعرف، ومن أبوابها تتصرف: الإرادة والمحبة، والهوى، والصبابة، والتبتل(١)، والعلاقة، والولوع، والكلف، والشغف (والشعف)(٢)، والعشق، والألفة، والغرام، والخلة، والتتيم(٣)، والوله، والتدله، والاصطلام.

والعرب إذا تهممت بشيء، وعظمت عنايتها به، كثر فى لسانها أسماؤه، كالسيف والخمر. قال رجل لأبى العلاء المعرى: ياحمار. فقال: الحمار منا من لا يعرف(٤) للحمار مائة اسم. فأما المحبة فلها معانى كثيرة وكثيرا ما اشتق لفظها من فعل الحبة. واشتق أيضاً من صفاتها. وهى كأنها الاسم العلم لهذه الأقسام، وهى راجعة إليها، معطوفة عليها، وهى أم بناتها(٥)، وبيت القصيد من أبياتها.

واختلف فيها أهل اللغة. فقال قوم: الحب الإناء الذى يحمل فيه الماء، كالخابية وشبهها، واشتقت منه المحبة، لأنه إذا امتلأ بالماء لم يسع فيه غيره، (وكذلك القلب إذا امتلأ بالمحبة لم يسع فيه)(٦) غير محبوبه. وقيل

---

(١) ق: ظ والبتل.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) فى الأصل، ظ. والتيتم. تصحيف.

(٤) ق: ظ. يعلم.

(٥) ق: ظ. أمر بناتها. تحريف.

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من: س.

اشتق اسم المحبة من قولهم : أحب البعير . إذا برك فلم يقدر على القيام . لأن المحب لايبرح بقلبه عن ذكر المحبوب بعد أن وقع فى المحبة ، ولا يقدر على الانفكاك ، قال شاعر :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى   متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة   شوقا لذكرك فليلمنى اللوم

وقيل : هو مشتق من حبة القلب. وهو موضع ينشأ فيه الحب ، فأخذ اسمه من محله وهو سويداء القلب : قال الشاعر :

يا رب خال على خد الحبيب له   فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به   وكان عهدى أن الخال(١) لايرث

وقيل : من الحبة(٢) ، وهو بذر النبات . لأن البذور لباب النبات ، والحب لباب الحياة ، ولأن الحبوب والبذور مادة النبات ، والحب مادة للفضائل والملكات .

وقيل: مشتق من الحب، بكسر الحاء،وهو القرط. سمى به إما لملازمته ملازمة القرط للأذن . فلا يزال سمعه معموراً بمناجاته ، وما يرد عليه ، من أسرار أحاديثه فى سره ، كما يقال : ألزم من طوقه . وإما لاضطراب القلب بالحب ، كاضطرابه وخفقاته(٣) قال الشاعر :

لقد عشقت(٤) أذنى كلاما سمعته   رخيما وقلبى للمليحة أعشق
وكيف التناسى من(٥) حبيب حديثه   بأذنى - وإن غيبت - قرط معلق

وقال الآخر :

سل البرق إذ يلتاح من جانب البلقا   أقرط سليمى أم فؤادى حكى خفقا

---

(١) ق : ظ ، س « الحال » تصحيف .
(٢) ق : ظ « من المحبة » . تحريف .
(٣) أى كاضطراب القرط فى الأذن وخفقانه .
(٤) فى الأصل : « سمعت » وهو خطأ والسياق لايجيزه .
(٥) جاء هذا الشطر فى : ظ هكذا : وكيف تناسى من كان حديثه : وهو ظاهر الخطأ .

وقال الآخر :

غدا جسمي المضنى وشاحك للضنى ... وقرطك أهدى قلبي الخفقانا

وقيل : اشتق من حباب الماء . وهو معظم الماء . لأن المحبة معظم ما فى القلب من المهمات . وقيل : اشتقت من الحباب بفتح الحاء . وهو ما يعلو الماء عند المطر وعند الغليان . لأن القلب يغلى ويهتاج ويظهر عليه مثل الحباب شوقا إلى من يحبه . قال الشاعر :

كأن حبة قلبي ... على الغدير حبابة
تنفش إن لم ينيبوا ... إن الوصال إنابة

وخرج الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يسمع لجوفه أزيز كالمرجل على النار ، وقال عروة بن حزام :

كأن قطاة علقت بجناحها ... على كبدى من شدة الخفقان

وقال بعض ظرفاء المعاصرين :

خليلى دلانى على وجه حيلة ... وما كان سعي مثلها قط مكفورا
بقلبي عصفور يرفرف دائماً ... متى ابتلع الإنسان ياقوم عصفورا

ويحكى : أن إبراهيم عليه السلام ، كان يسمع لقلبه مثل خفقان أجنحة الطير . وأوحى الله إلى داود عليه السلام : ياداود إن لى عبادا تغلى قلوبهم من محبتى ، حتى لو سمع غليان القلوب لسمعها الواردون من مكان بعيد .

وقيل : المحبة مشتق من حب الأسنان . وهو البياض الذى بها والصفاء . سميت بذلك لما يستلزم قلب المحب من الصفاء واللألاء .

وقال فى التاج : الحب : المحبة . وكذلك الحب بالكسر . والحب أيضاً الحبيب . مثل خدن وخدين . يقال أحبه فهو محب . وحبه . يحبه بالكسر فهو محبوب . قال الشاعر :

أحب أبا مروان من أجل تمرة ... وأعلم أن الرفق بالمرء أرفق

وتقول العرب : ماكنت حبيبا . ولقد حببت بالكسر . أى صرت حبيبا . وشربت الإبل حتى تحببت ريا ؛ وتحابوا : أى أحب كل واحد منهم الآخر، وقال (صلى الله عليه وسلم) (١) : «تهادوا تحابوا» . والحباب بالكسر : المحابة والموادة . والحباب بالضم : الحب . وقال أبو عطاء السندى :

ذكرتك والخطى يخطر بيننا ... وقد نهلت منى المثقفة السمر
فوالله ما أدرى وإنى لصادق ... أداء عرانى من حبابك أم سحر
فإن كان سحرا فاعذرينى على الهوى(٢) ... وإن كان داء غيره فلك العذر

واجتلاب الكثير مما قالته العرب فى الحب من أشعار كقول الشاعر :

أبى حبكم إلا ملازمة القلب ... فأهلا به يا حبذا هو من حب
رميت لكم نفسى فهذا زمامها ... خذوه إليكم واحملوها مع الركب
محاسنكم غطت على بصرى فما ... أميل بنفسى نحو لوم ولا عتب

[٤٨ب]

إذا لم يكن ذنبى سوى أنى لكم ... محب(٣) ومشتاق فلا تبت من ذنبى

وكقول الآخر :

أما والذى أبكى وأضحك والذى ... أمات وأحيى والذى أمره أمر
لقد تركتنى أغبط الوحش أن أرى ... أليفين فيها لا يروعهما ذعر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة ... ويا سلوة العشاق موعدك الحشر

وكقول الآخر :

كأن بلاد الله لم يكن بها ... وإن كان فيها الخلق طرا بلاقع
أأمضى نهارى بالحديث وبالمنى ... ويجمعنى والهم بالليل جامع

(١) ساقطة من : ظ .
(٢) فى : (عن الهوى) .
(٣) جاء هذا البيت محرفا فى : ظ — إذا لم يكن ذنبى سوى أنى .. محب لكم البيت

نهارى نهار الناس حتى إذا دجى ... بى الليل(١)هزتنى إليك المضاجع
لقد ثبتت فى القلب منك محبة ... كما ثبتت فى الراحتين الأصابع

وكقول الآخر ، وهو من الضجر المليح بالحب :

ألمت بالحب حتى لودنا أجلى ... لما وجدت لطعم الموت من ألم
وزادنى كربه لما ولعت به ... ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

مما (٢) يخرجنا عن الغرض ، إذ ذلك مما لا يقف عند غاية ، وكثيراً ما يجلب الشعر فى هذا الفصل تملحا ، لا على سبيل الاستشهاد على اللغة ، إذ الشهادة فيه مقصورة على العربى والمخضرم (٣) .

تنبيـــه

المحبة فى لسان العرب كناية عن : الإرادة المؤكدة . تقول : أردت أن أفعل كذا ، وأحببت أن أفعل كذا . والفرق بينهما : أن الإرادة إن تعلقت بصفة أو فعل ، كما تقول : أريد كرمك أو علمك أو قربك ، قيدت بما تعلقت به . وإن تعلقت بالذات ، خصت فى الأكثر بالمحبة . قال الله تعالى : « يحبهم ويحبونه » ، وقال : « يحبونهم كحب الله والذين آمنو أشد حبا لله » . وربما قيل : أردت فلانا . وقد جاء فى كلام الله : « ومنكم من يريد الآخرة » .

وأما الهوى : فهو مشتق « من السقوط » قال الله عـــز وجل : « والنجم إذا هوى » . أى سقط جنح للغروب ، ومعناه : ميل القلب وسرعة تقلبه لأجل المحبة ، كما يسرع الهواء (٤) التغير لشدة صفائه ولطافته .

---

(١) فى ظ : (دجى لى الليل) تحريف .

(٢) خبر لقوله : واجتلاب الكثير مما قالته العرب فى الحب من أشعار كقول الشاعر : أبى حبكم إلا ملازمة القلب . . . إلخ . وقد أطال الفصل بينهما .

(٣) يقصد بالعربى الجاهلى ، وبالمخضرم من عاش فى الجاهلية والإسلام.

(٤) فى : ظ ، س (الهوا ء) تحريف .

ومن التاج : هوى الرجل يهوى هويا ، إذا سقط إلى أسفل . والهوة: الوهدة العميقة ، وتهاوى القوم فى الهوة ، أى سقطوا . وقيل : مشتق من الهوى ، وهو : الوقوع. تقول:هوى الحائط يهوى هويا،إذا سقط، والمحب قد سقط فى هوة الوجد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة ، تقلبها الريح ظهرا إلى بطن » . وقال الشاعر .

هوى القلب فلم نشعر به ... عندما ذاق الهوى حتى هوى
حذر المغرور خيمات النقا ... فثوى [1] بينهما حتى هوى

ومعنى الهوى بين الناس متداول مشهور ، وهو درجة ثانية عن المحبة، وعذابه [2] عذب ، وهو الدليل على أنه محسوب من البدايات .

قال الشاعر :

نفوس رقاق حملت فوق ماتقوى ... إلى الله فيما نابها ترفع الشكوى
وهذا الهوى بلوى ولكن أهله ... يودون ألا تنقضى مدة البلوى

وقال الصوفى :

إن كنت تزعم حبنا وهوانا ... فلتحملن مذلة وهوانا (٤٩ ا)
فاهجر لنفسك إن أردت وصالنا ... واغضب عليها إن أردت رضانا
واخلع فؤادك فى طلاب ودادنا ... واسمح بموتك [3] إن أردت لقانا
فإذا فنيت عن الوجود حقيقة ... وعن الفناء فعند ذاك ترانا
نون الهوان من الهوى مسروقة ... فإذا هويت فقد كفيت [4] هوانا

---

(١) فى الاصول كلها (فثوى ما بينهما وحتى هوى) هو مخل بالوزن ؟

(٢) فى : ظ (وعذاب) .

(٣) أى موت نزعات نفسك وميولها . وقالوا فى تعليل ذلك : هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور . والصلاة على الإنسان شرعاً بعد موته ، وفى حال الحياة بعد موت أهواء نفسه .

(٤) فى الاصل ، س (فقد لقيت) . وهو خطأ لأن الهوان لمن لم يحب عندهم . ومعنى البيت يرجح ما فى : ظ .

وقال الآخر :

أنفس حـــرة ونحن عبيد ... إن رق الهوى لرق رشيد (١)
لى حبيب نـآى به الهجر عنى ... وأشد الهوى القريب البعيد

ولله در الآخر إذ يقول :

قل لمن قال إنمـا هو داء ... ما لعانيه فى العنـاة فداء (٢)
شهد الغيب والعيـان جميعاً ... أن أهل الهوى هم الشهداء

وأما العشق ، فقالوا : هو اسم لمـا فضل عن المقدار المسمى حباً ، وهو الذى لا يقدر صاحبه على كتمه ، ولذلك شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الـكتمان المشهور ، لاستصعابه على الطباع .

وقال فى التاج : العشق فرط الحب ، وقد عشقه عشقا ، مثل علمه ، ورجل عشق ، كثير العشق . والتعشق . تـكلف العشق ، وامرأة محب لزوجها وعاشق . وتستعمله القدماء من الفلاسفة والحـكماء فى المتحركات التى تتحرك بطلب كمال ، وتستعمله الناس فى أشعارهم ، ونحن نقول : « ولا شفانى الله إن دعوت منه بالشفاء » .

وقال أبو الطيب المتنبى :

بعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى ... وللحب مالم يبق منى ومابقى (٣)
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ... ولـكن من يبصر جفونك يعشق

وقال الآخر :

آية من عـــلامة العشاق ... اصفرار الوجوه عند التلاقى
وانقطاع يكون من غير عى ... وولوع بالصمت والإطراق

---

(١) فى : س (إن رق الهوى لرق شديد).
(٢) جاء الشطر الثانى من هذا البيت محرفا فى : ط . هكذا . ما الفنانية من الفناء بداء وفى : س . ما لعانيه فى الفناء بداء . تحريف .
(٣) فى : الاصل : (وللحب ما يبق الفؤاد وما بق) .

وقال بعض الصوفية (١) من شيوخنا :

هل تعلمون مصارع العشاق ... عند الوداع بلوعة الأشواق
والبين يكتب من نجيع دمائهم ... إن الشهيد لمن يمت بفراق
لو كنت شاهد حالهم يوم النوى ... لرأيت ما يلقون غير مطاق
فهم كئيب لا يمل بكاؤه ... قد أحرقته (٢) مدامع الاماق
ومشعل (٣) الأحشاء أشعل نارها ... طول الوجيب بقلبه الخفاق
ومولّه لا يستطيع كلامه ... عما يقاسى فى الهوى ويلاقى
خرس اللسان فما يطيق عبارة ... ألم ألم وماله من راق
ما للمحب من المنون وقاية ... إن لم يجد محبوبه بتلاقى
مولاى : عبدك ذاهب بغرامة ... فادرك بوصلك من دماه الباقى
إنى إليك بذلتى (٤) متوسل (٥) ... فاعطف بلطف منك أو إشفاق

وأما الصبابة فهى فى اللغة ، بمعنى العشق . والصب العاشق المشتاق ويقال صبيت يا رجل بالكسر .

قال الشاعر .

وكنت صبيت إلى الظاعنين ... إذا ما صديقك لم يصبب

وقال الشاعر المتأخر :

أنا صب وماء عينى صب ... وأسير من الضنى فى قيود (٤٩ب)
وشهودى (٦) على الهوى أدمع العيـ ... ـن ولكننى قذفت شهودى

---

(١) فى : ظ ، س (المتصوفة).
(٢) فى الاصل : أحزنته .
(٣) فى : ظ ، س ومحرق .
(٤) فى الاصل (بذمتى) .
(٥) فى : ظ (مستوسل) .
(٦) فى ظ : (وشهود) .

وقال الآخر (١) :

حدث الدمع عن ضميرى فقالوا ... من روى عنه مسنداً قلت خدى

فأجازنى الصبـــابة حتى ... صرت أفتى فى مذهب الحب وحدى (٢)

وقال الآخر :

تشـكى المحبون الصبابة ليتنى ... تلقيت (٣) ما يلقون من بينهم وحدى

فكانت لنفسى لذة الحب وحدها ... ولم يلقها قبلى محب ولا بعدى

وأما العلق والعلاقة . وهو الحب الملازم للقلب . فمشتق من التعلق ، وهو اللزوم . تقول : علق به (وعلقه) (٤) وتعلقه علاقة . وأصله العلق (وقيل)(٥) من العلقة وهو دم القلب الذى يدعى بالمهجة ، إذا انتهى الحب إليها كان علاقة . قال الشاعر :

شوق تعلق بالأحشاء والـكبد ... أصبحت من حمله والله فى كمد

علاقة أورثتها نظرة سلفت (٦) ... واللحظ عادته يفضى إلى اللحد

وقال الآخر :

علق الهوى قبل الهواء علاقة ... ما زال فى نزع بهـا ونزاع

فـكأنمـا سكن الهوى بفؤاده ... من قبل سكنى القلب فى الأضلاع

وقالوا : العلق ، الهوى . ونظرة من ذى علق ، قال الشاعر (٧) .

ولقد أردت الصبر عنك فعاقنى ... علق بقلبى من هواك قديم

---

(١) فى : س . « الشاعر » .

(٢) يروى بمصطلح العلوم . الحديث . وبالإسناد فى الرواية . والإجازة بالرواية والفتوى

(٣) فى : ظ ، س « تحملت » .

(٤) ساقطة من الاصل .

(٥) ساقطة من الاصل .

(٦) فى الاصل ، س « تلفت » .

(٧) فى : ظ ، س « وقال الآخر » .

وقال مؤلفه غفر الله (تعالى) (١) له ، ورضى عنه (٢) .

تعلقته من دوحة الجود والباس ... قضيبا لعوبا بالرجا منه واليأس (٣)
دروبا بتصريف اليراعة (٤) والقنا ... طروبا بحمل المشرفية والكاس
يذكرنيه الصبح عند انصداعه ... جمال رواء فى تآريج (٥) أنفاس
ويبـــدو لعينى شعره وجبينه ... إذا ما سفحت الحبر فى صفح قرطاس (٦)

وقد علقها وعلق حبها (٧) بقلبه ، أى هواها (٨) .

وأما الكلف . وهو شدة الحب الذى لا يقدر صاحبه على التصبر إلا بتكلف . يقال كلفت بهذا الأمر (أى أو لعت به) (٩) وكلفه تكليفا ، أى أمره بما يشق (عليه)(١٠). وتكلفت الشىء تجشمته (١١) . والكلف . ما يتكلفه من نائبة أو حين (١٢) . وحملت الشىء بكلفة إذا لم تطقه (قال الشاعر)

إذا قربت دارى كلفت وإن نأت ... أسفت فلا للقرب (١٣) أسلو ولا البعد
وإن وعدت زاد الهوى بانتظارها ... وإن بخلت بالوعد مت من الوجد

---

(١) ساقطة من الاصل ، س .
(٢) : ظ س « وعفا عنه »
(٣) فى : ظ « بالرجاء وباليأس » . وفى : س ، « بالوجاء وبالناس » تحريف .
(٤) فى : س « بضرب البراغة » تحريف
(٥) فى : ظ ، س « تارىم » تحريف
(٦) فى : ظ « فى طى » .
(٧) فى الاصل : ، س « حبه » خطأ .
(٨) فى الاصل : « أنى هواها » تحريف .
(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من الاصل .
(١٠) ساقط من : ظ ، س .
(١١) فى : ظ « تحمشته » تحريف .
(١٢) فى : ظ ، س « أو حق » .
(١٣) فى : ظ فلا القرب .

وقال الآخر :

كرر على فإنى عاشق كلف   كرر على ففيه المجد والشرف
جردعلى سيوف الشوق محتسبا   واقتل بهن فقتلى بالهوى شرف

وأما الخلة : فهو أن يتخلل الحب (١) جميع الأعضاء واللحم والدم ، وسمى المحبوب خليلا (أى محبوبا)(٢) .

قال الشاعر :

وإن افتقادى واحدا بعد واحد   دليل على ألا يدوم خليل

قال الله عز وجل : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » . وقالت ليلى الأخيلية .

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها   فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا نبتغى (٣) أن نخونه   وأنت لأخرى صاحب وخليل

وأما الشغف : بالغين المعجمة . فيقال شغف الحب أى بلغ شغافه وشغاف القلب (٥٠ ا) جلدة دونه ، وهى الغشاء المحتوى على القلب حسبما يظهر فى الحيوان . قال الله عز وجل : « وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا » أى بلغ شغاف قلبها . قال ابن عباس : دخل تحت شغافها . قال امرؤ القيس .

أيقتلنى (٤) والمشرفى مضاجعى   ومسنونة زرق كأنياب أغوال

يعنى بلغت لذة الطلاء على الجرب شغاف قلبه الناقه . وقرىء بالحرفين ، وقال النابغة .

---

(١) فى : ظ « تتغلل المحبة » .
(٢) ساقطة من الاصل .
(٣) فى : ظ « لا ينى » ، خطأ
(٤) فى : ظ « لاأتبكبى » تحريف

وقد حال هم (١) دون ذلك شاغل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع (٢)

يعنى أصابع الأطباء .

وأما الشعف بالعين المهملة ، فهو إحراق المحبة مع لذة يجدها المحب . ومثله اللوعة . واللاعج والبلبال وقال صاحب التاج : شعفه (٣) الحب أحرق قلبه ، وقال أبو زيد : أمرضه ، وقد شعف بكذا فهو شعوف (٤) .

وقرأ الحسن « قد شعفها حبا » (٥) .

وأما التتيم فهو التعبد . تيمه الحب أى عبده ، فهو متيم قال الشاعر :

تامت (٦) فؤادك لم تخبرك ما صنعت إحدى نساء بنى ذهل ابن شيبانا

وقال الآخر :

ألا يا عبـــاد الله قلبى متيم بأحسن من صلى وأقبحهم فعلا

وأما التتبل (٧) : فهو أن يسقم الرجل الحب . يقال : رجل متبول . تبله الحب . أى أسقمه الحب وأفسده وقطعه (٨) والتبل (٩) القطع . وقال قيس ابن الذريح :

بانت سليمى فأنت اليوم متبول (١٠) وإنك اليوم بعد الحى مخبول

وقال كعب بن زهير فى قصيدته الشهيرة فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فى الأصل « منهلم »
(٢) فى : س « فكان شغاف يبتغيه الأصابع »
(٣) فى : ظ « شقفه » خطأ .
(٤) فى : ظ « شفوف » خطأ .
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الاصل .
(٦) فى الاصل : ظ « قامت »
(٧) فى الاصل « التبتل » .
(٨) فى : ظ « وقطه » تحريف .
(٩) فى الاصل « والتبتل » .
(١٠) فى : ظ « بانت سعاد فأنت اليوم مقبول » وفى : س « بانت سعاد سليمى » الخ » ، خطأ .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... (متيم إثرها لم يفد مكبول)

وأما الولوع والغرام: فهو الذى لازم صاحبه فلا يفارقه ، وهو بمعنى واحد . أغرم بالشيء ، أى ولع به ولوعا . قال الشاعر .

خشيت من الواشين أن يشمتوا بنا ... فأبديت ضحكا والحشا يتقطع
ولم أسكن الأرض التى يسكنونها ... لكيما يقولوا إننى بك مولع

وقال الآخر :

ومضى وخلّف فى فؤادى لوعة ... تركته موقوفا على أوجاعه
لم أستتم عناقه لقدومه ... حتى ابتدأت عناقه لوداعه

وقال الآخر :

قلت له والجفون قرحى ... قد جرح الدمع ما يليها
على لى [1] فى لوعتى شبيه ... قال وأبصرت لى شبيها

أما الهيام والهيوم : وهو أن يذهل على وجهه لغلبة الحب عليه قال صاحب التاج : هام يهيم (هيما) [2] وهيمانا ذهب به [3] العشق أو غيره (والهيام) بالضم أشد العطش . قال الله عز وجل [4] « فشاربون شرب الهيم » ، والهيام كالجنون من العشق ، وهو مأخوذ من داء يصيب الإبل . فتهيم [5] فى الأرض لا ترعى ، يقال ناقة هيمى . قال كثير .

كما دلفت هيماء ثم استبلت [6] .

---

(١) فى : ظ ، « هل أبصرت لى فى لوعتى شبيه » خطأ .
(٢) ساقطة من : ظ.
(٣) فى ظ ، س ، «من العشق»
(٤) فى : ظ « قال تعالى »
(٥) فى : ظ « فهم » تحريف
(٦) فى : ظ « كما وقفت فيها ثم استبات » تحريف وفى س « كلما وقفت » إلخ .

وقال الآخر :

الله يعـــلم أننى بك هائم نفس مفارقة ووجد دائم
أصل السهاد وأنت فى سنة الكرى فإلى متى (أنا ساهر يا نائم) (١)

وأما التدله : فهو ذهاب العقل من الهوى . (ورجل مدله ، قال صاحب اللغة : دله ، ذهب دمه دلها بالتسكين ، أى هدرا ، والتدله ذهاب العقل من الهوى)(٢) يقال دلهه الهوى أى حيره (٥٠ب) وأدهشه ، قال أبو زيد فى كتاب الإبل : الدلوه . الناقة التى لا تكاد تحن (٣) إلى إلف ولا ولد (٤) وقد دلهت عن إلفها ، وعن ولدها تدله . دلوها ، قال الشاعر .

يا نور نور النور من ناظرى ويا محل السر من خاطرى
تراك ترثى للـذى قلبـه معلق فى مخلبى طائر
مدله حيران مستوحش يهرب من قفر إلى آخر

وأما الوله ، يقال : وله الرجل (يله) (٥) فهو واله ، إذا ذهب عقله لفقد حبيبه . ومن الصحاح (٦) الوله : ذهاب العقل ، والتحير من شدة الوجد ، ورجل واله ، وامرأة والهة ، وواله (٧) . وقال الأعشى .

فأقبلت والها ثـكلى على عجل كأن دهاها وكل عندها اجتمعا

وقال الآخر :

قد برانى الوله كل شىء هو هو
شبه يثبت من حدائهن الشبه
وهو لا يشبه شيـ ئا وسواه شبه

---

(١) جاء ما بين الحاصرتين وحده قبل البيتين وسقط من الشطر الأخير للبيت الثانى : ى: ظ.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٣) ى : « تجىء » .

(٤) ى : ظ « ولا وتد » .

(٥) ساقطة من : ظ .

(٦) ى: ظ «الضجاح» تصحيف.

(٧) فى : ظ « ووالهة » خطأ .

وأما الجوى : وهو الهوى الباطن،والحب المتمكن الذى يفتل صاحبه ، وقال فى التاج : والجوى الحرقة ، وشدة الوجد من عشق أوحزن ، تقول: جوى الرجل بالكسر فهو جو ، مثل دو . وقيل للماء المتغير : جو .

قال الشاعر :

ثم كان المزاج ماء سحاب لا جو آجن ولا مطروق

وقال الآخر :

هل من جوى الفرقة من واق أم هل لداء الحب من راق
أم من يداوى زفرات الجوى إذ جلن فى مهجة مشتاق
حتى إذا نفسها ساعة كرت يد البين على الباقى

وأما الألفة : وهو أول مقام من مقامات الحب . وقد عدت فى أسبابه ، وهى الممازجة ، ويستدعيها الأنس ، واستقرار(١) محاسن المحبوب ومعناها (٢) : إيثار جانب المحبوب على كل مطلوب ومصحوب .

وقال (٣) الشاعر :

أقل اشتياقا أيها القلب ربما رأيتك تصفى الود من ليس جازيا
خلقت ألوفا لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

وقال أبو الفرج : كان لقوم جارية ، فأخرجوها إلى النخاس ، فأقامت أياما ، ثم بعثت إلى سادتها تقول .

بحرمة البيت (٤) ردونى فإنى قد ألفتكمو

---

(١) فى : ظ « باستقرار »
(٢) فى :ظ « ومعناه »
(٣) فى : ظ « قال » .
(٤) ظ « بصحبة البيت »

وقالوا : لها تفصيل بحسب الخصوص والعموم . فالعموم تأليف (١) جميع الموجودات لاشتراكها (٢) فى الوجود بجميع معانيه ، والخصوص الذى أوجبه الاشتراك فى أخص وصف للإنسان .

قال الشاعر :

بينى وبينك ذمة مرعية بدأت هناك وكان آخرها هنا

وأما الاصطلام . وهو فى اللغة الاستئصال، وأصله استئصال الأذنين، ومعناه أن يفنى المحب عن جميع المحسوسات لإفراط الغيبة . وهو مقام من المقامات التى عدها الصوفية ويأتى فى محله إن شاء الله ، (وقال الشاعر) (٣)

ليس عنده ألم هل يحس مصطلم
كان يعرف المعنى ثمت اختفى العلم
جف بالذى حكموا من عذابه القلم

وأما الإرادة وهى متقدمة (٤) على الجميع . (٥١ ا) وهى مناسبة تتقدم كل عمل قبل الشروع فيه . وفى الاصطلاح . نهوض القلب إلى طلب الحق . ولهذا يقال . «لوعة تهون كل روعة» وقيل فيها. إجابة لداعى الحقيقة طوعاً . وقال القشيرى . الإرادة بدء طريق السالكين ، وهى اسم لأول منزلة القاصدين إلى الله ، وإنما سميت هذه الصفة إرادة ، لأن الإرادة مقدمة كل أمر . فما لم يرد العبد لم يفعله . فلما كان أول الأمر لمن سلك طريق الله سمى إرادة ، تشبيهاً بالقصد فى الأمور التى مقدمتها . والمريد على سبيل الاشتقاق من الإرادة . إلا أن الاصطلاح فى هذا المقام أن يقال . المريد لمن لا الإرادة (٥) له . ومن كانت له إرادة لا يكون مريداً .

---

(١) ى : ظ «يالف» (٢) ى : ظ « لا متراكما » تحريف.
(٣) ما بين الحاصرتين . ساقط من الأصل (٤) ى : « مقدمة »
(٥) فى الأصل كاها « لمن الإرادة له » وهو خطأ فى اصطلاح الصوفية ، لأن مريد طريقهم يسقط إرادته صور تماما .

وقالت المشايخ . الإرادة ترك ما عليه العادة ، وقال الرئيس أبو علي . أول درجات العارفين ما يسمونه هم الإرادة . وهي . ما يعتري المستبصر باليقين البرهاني ، أو الساكن النفس إلى العقد الإيماني ، من الرغبة في اعتلاق (١) العروة الوثقى ، فيتحرك سره إلى جناب القدس ، لينال من روح الاتصال (٢) ، فما دامت حاله هذه فهو مريد . وقال القشيري . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول . الارادة (لوعة في الفؤاد) (٣) لدغة في القلب . غرام (٤) في الضمير . انزعاج في الباطن . نيران تتأجج في القلوب. قال المؤلف (رحمه الله) (٥) ورضي الله عنه .

أمط عنك مهما اسطعت كل إرادة   وإلا فعني القوم عنك بعيد
تكون مريدا ثم منك إرادة   إذا لم ترد شيئاً فأنت مريد

خاتمة . (المحبة (٦)) اسم جامع لأقسام الحب والعشق ، والفرق بينهما ، أن المحب لا يخلو ، إما أن يستعمل المحبة ، أو تستعمله . فإن استعملها ، وكان له فيها تكسب واختيار سمي محبا اصطلاحا . وإن استعملته المحبة ، بحيث لا يكون فيها اختيار ولا تكسب سمي عشقا ، فالمحب مريد . والعاشق مراد . وقيل العشق بإزاء اللذات . والمحبة بازاء نفسها . ومنعوا من إطلاق العشق على الله ، وهو ما ارتفع فيه اللبس ، وتسامح فيه كثير (٧) .

---

(١) في : ظ « اعتاق » . تحريف .
(٢) في : س « من نور الاتصال »
(٣) ساقطة من : ط ، س :
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٥) ساقطة من : ظ . وفي : س « رضي الله عنه»
(٦) ساقط من : ظ .
(٧) في : « كبير »

باطن القشر الذى ينمو و يغزو

(وفيه الثناء على المحبة طبعاً وعقلا) (١) ونقلا وشرعاً

وأول ذلك من الشرع والنقل الكتاب . قال الله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » وفيها دليل على كمال الإيمان بالمحبة (وأن) عدمها مقابل للكفر . وقال : « إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » وفيها دليل على غفران ذنوب المحبين وقال تعالى : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق » وفيها دليل الخطاب أن المحبوب لا يعذب محبيه . وقال : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » . جاء فى معرض المجازاة على الإيمان بالله ، وقال مثنيا على الكليم بخلع ملابس محبته . « وألقيت عليك محبة منى » . وقال . « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء (١٥ ب) فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .وفيه دليل على وجوب التحاب (٢)، وإذا كان ذلك (٣) كذلك فكيف بمحبة الله جل جلاله .

وفى هذا الغرض البحر كثرت السنة ، (فـ) من الحديث الحسن والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه « اللهم ارزقنى حبك ، وحب من يحبك ، وحب من (٤) يقربنى إلى حبك ، واجعل حبك أحب (٥) إلى من الماء البارد » .

---

(١) ساقط من : ظ وفى : س « ونقلا وعقلا »
(٢) ساقط من : ظ
(٣) فى الأصل : « على وجوب التحاة »
(٤) ساقط من ظ ، س
(٥) فى الأصل س « من يقربنى »
(٦) فى : ظ ، س ، واجعلك إلى أحب.

تنبيه

قال أرباب الإشارة . مثل بالماء البارد لوجوه منها . أن الماء لما كان يطفىء نار الدنيا ، كانت المحبة تطفىء نار الآخرة. قال صلى الله عليه وسلم [١] « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه » وقال . « وأحبونى كحب الله » ، وقال . « تهادوا تحابوا » . وقيل . إن الله يباهى بالمحبين ملائكة السماء .

تنبيه

قالوا . إنما فضلت الملائكة عالم الإنسان بمعان منها. التجرد عن المواد، وقلة تعدد الوسائط بينهم وبين الله ، وقربهم من حضرة التقديس ، وهذا كله يحصل مع غاية المحبة، وقال، « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون» وقال . « يقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين فى الله » .

وقال . « إن حول العرش منابر من نور ، عليها قوم ألباسهم نور ، وجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء، قالوا. صفهم لنا : قال : هم المتحابون فى الله » :

وقال فى مصعب [٢] بن عمير : « انظروا إلى هذا الرجل : قد نور الله قلبه ، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه الطعام ، ويسقيانه ، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون » :

ولعن رجل نعيمان ، فقال : « لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله (٣) » : وقال له أعرابى : يارسول الله ، متى تقوم الساعة ؟ فقال : وما أعددت لها؟

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من:ظ. (٢) حرف الإسم فى ط . « مصعب »

(٣) ساقط من : ظ ونعيمان كان فيه دعابة . وحد مرات فى الشراب . فلعنه بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله . فيه دليل على أن المعصية لاتقدح فى الحب .

فقال والله ما أعددت لها صلاة ولا صياماً ولا كبير عمل . ولكننى أحب الله ورسوله . فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : فإن المرء مع من أحب

وروى زيد بن أسلم قال : « إن الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له آصنع ما شئت فقد غفرت لك » .

وقال : « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكليته فلينظر إلى سالم(١) » وهذا يدل على تفاوت درجات المحبة .

(ومن) الأخبار سئل أبو سعيد الخراز : المحبة أعلى درجة أم المعرفة؟(٢) فقال : المعرفة(٣) خلق من أخلاق المحبة . وقال بعضهم : إنما قال خلق من أخلاق المحبة إشارة (إلى)(٤) الشطح المنسوب إلى أبى يزيد . إذ قال . قال لى الحق(٥) يا أبا يزيد . كل هؤلاء خلق إلا أنت . أنت أنا . وأنا أنت(٦) والشطح لا عبرة به ولا تعويل عليه .

قال بعضهم : رأيت سمنون يتكلم فى المحبة فسقط طائر على الناس فلم يزل يقع من هذا على هذا وله خفقان حتى سقط ميتا وقال . آخر . رأيت

---

(١) هو مولى حذيفة بن اليمان رضى الله عنه
(٢) فى : ظ . (العارف أعلى درجة أم المحب)
(٣) فى : ظ . (العارف)
(٤) ساقطة من : ظ
(٥) فى : ط (الخالق) تحريف
(٦) هذه التعبيرات نتيجة نوع من اليقظة فى قلب العارف ، وظاهرها يوجب الكفر ، وهم منه بعيد [راجع الآداب الشرعية لأبن مفلح ١/٣١٤] . وفى باب الردة من شرح الروض لشيخ الاسلام زكريا الأنصارى . قد يصدر من العارف بالله إذا استغرق فى بحر التوحيد بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ماسواه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان الحالة التى ترقى إليها وليس منها بشىء . ونرى أن الأولى عدم الانسياق وراء هذه العبارات فهى ذريعة يجب سدها لاسيما فى هذا العصر حيث كثرت الدعاوى .

سمنون يتكلم فى المحبة فى المسجد فتكسرت قناديل المسجد(١) كلها .

وقال ذو النون : لقيت فى بعض أسفارى امرأة تشير إلى المحبة . فقالت لا غاية للمحبة قلت وبم ؟ قالت لأنه لا غاية للمحبوب .

وسئل سمنون عن محبة الله فقال لا تستطيع الملائكة أن يسمعوا ذلك وليس لسمنون كلام احسن من قوله : لا يعبر (٥٢ ا) عن شيء إلى بما (هو) (٢) أرق منه ولا شيء أرق من المحبة . فبم يعبر عنها ؟

وقيل أوحى الله إلى عيسى (عليه السلام) (٣) إذا أطلعت على سر عبد ، فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ، ملأته من حبي وتوليته بحفظى .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : من ذاق من خالص حب الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر . وقال الجنيد : سمعت السرى يقول : لا تصح المحبة بين آثنين حتى يقول أحدهما للآخر « يا أنا »

إذا شئت أن أدعوه ناديت يا أنا   وإن يدعنى نادى جميعى بيا إنى
فيخبرنى عنى بمـــا أنا مخبر   إذا شئت عنى بالذى مخبر عنى

وقال الباجى : إن أفضل نعم الله سبحانه على خلقه ، ما ألهمهم من حبه . فلو تقربت إلى الله بكل عمل لم يكن فيه محبة لم يقبل .

سهر العيون لغير وجهك باطل   وبكاؤهن لغـير حبك ضائع

وسئل عيسى : أى العمل أفضل ؟ فقال . الرضا عن الله والحب لله .

---

(١) مثل هــذه الأخبار إن صحت أو لم تصح فهى دلاله على مدى التأثير البالغ لـكلام هؤلاء المحبين فى الناس ، وهى تعبيرات شخصية عن واقع الحب الإلهى الذى امتد منذ عهد الحنفاء قبل الإسلام حتى أنشطه الإسلام .

(٢) ساقطة من : ظ

(٣) ساقطة من الأصل وزيدت من : ظ

(٤) فى الأصل (قلت) تحريف

وثانيه . الطبع والعقل(١) . قال المؤلف رحمه الله(٢). نقل عن سقراط الحكيم من الإلهيين . أنه قال : المحبة أفضل رياضات النفس ، وفيها جلاء العقول ، وصقل الأذهان . وقال معلم الخير أفلاطون الإلهي : روضوا أنفسكم بالمحبة . فإنها خاصية الحي من حيث هو حي ، يعني : أنها لا يتصف بها جماد . إذ النفسي بحر ماهية الحي)(٣) وهو صورته . فالمحبه كذلك . لأنها(٤) لاحق من لواحقه . وقال غيره: إذا نظرت الكواكب بعضها إلى بعض نظر مودة . وطرحت أشعتها بعضها على بعض انحطت منها روحانية فاضلة إلى النفوس الجزئية ، فتعاطفت (بعضها على بعض)(٥) وتحركت حركة مودة ومحبة . وذلك علامة رضى محركها ، وينظر حيث تكلمنا في المناسبات الفلكية والألحان الموسيقية والأسباب الخفية(٦) . وقال سلاوس : المحبة ارتياح الأرواح ، فإذا أفرطت صار عشقا يميت النفس الغضبية ، وتخمد بها حظوظ النفس الشهوانية . وتستجديها(٧) النفس الناطقة . وقال أرسطو : لو لم يكن في المحبة إلا أنها تشجع قلب الجبان ، وتسخي كف البخيل ، وتصفي ذهن الغبي ، وتبعث حزم الغافل(٨) ويخضع لها الملوك، تضرع لها صولة الشجاع ، وينقاد لها كل ممتنع ، لكفى بذلك شرفا . وجميع ماقال يشهد له الحس والتجربة . وقال دير خانس : لا يكون للنفس بقاء بعد الموت إلا بالمحبة والعلم . وعلل ذلك بأن العلم صورتها ، ومتمم وجودها ، والحب حركتها ، ولا حياة لمن لا حركة له . وقال جالينوس : كما أن البدن

---

(١) في : ظ ، س (العقل والطبع)
(٢) في : ظ ، س (رضي الله عنه)
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : الأصل
(٤) في : ظ ، س (فإنها)
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : الأصل وزيد من : ظ
(٦) في : ظ (الحقيقية) وفي : س (والأسباب اللاحنية)
(٧) في الأصل (وتستخدمها النفس الناطقة)
(٨) في . ظ العاقل

يحتاج إلى الرياضة كذلك النفس رياضتها المحبة. وقال ابقراط. من منح المحبة أغنته عن كل رياضة. وعندى أنه عنى رياضة النفس. وقال أنكساغورس المحبة نور من أنوار النفس الكلية يضىء بها الخليط. فإذا أدبرت أظلم الخليط وفسد الكون. وقال الإسكندر: المحبة ملكة إلهية (والله أعلم)(١).

فصل منه فى أن الوجود كله أصله(٢) المحبة والعشق(٣) بإجمال قريب.

قال المؤلف رحمه الله (٤): (٥٢ ب) رأى طائفة كثيرة من الحكماء القدماء أن الوجود كله مبدؤه المحبة والمبغضة وهما علتا الكون والفساد، وأن المبغضة تقابل المحبة، مقابلة(٥) العدم كالنور والظلمة إذ لا معنى للظلمة إلا عدم النور. والعدم لا ذات له. فصار سبب المحبة واحداً فى الحقيقة.

ولما كانت الإرادة جنسا للمحبة حسبما تبين عنه تقرير الحدود، والجنس يتقدم على ما تحته ماتا إليه بالسببية. فالإرادة إذاً علة للمحبات الحادثة، وهى صفة من صفات واجب الوجود. وقد تبين من مذاهبهم أن الصفة لا تزيد على الموصوف فالواجب الوجود عندهم إرادة ومريد، ومحب وحب، كل ذلك راجع إلى شىء واحد. والإرادة إذن عندهم(٦) سبب الوجود كله وعلة ما فيه.

فصل فى أن كل ما فى الكون الوجود: بل الوجود كله محب عشاق بتفصيل غريب.

---

(١) ساقطة من: ط، س

(٢) فى: ط (أصل)

(٣) فى: ظ، س (العشق والمحبة)

(٤) فى: ظ، س (رضى الله عنه)

(٥) فى ط: مقابل

(٦) فى: ظ (عندهم إذن)

يقول مدعى هذا الزعم : العالم يقع على ما سوى الله وأسمائه وصفاته ، فينقسم الكلام على قسمين ، وهما قسم فى العالم . وقسم فيما سوى العالم .

فأما سوى العالم . فقد اتصف بالمحبة سبحانه (وتعالى)(١) بشواهد النقل لأنبيائه وأوليائه ، والتائبين إليه والمتطهرين ، والصابرين ، والمتوكلين ، والمؤمنين ، والمجاهدين ، والمحبين . على ما يليق به وبصفاته ويجب لكماله وكفى (المحبة)(٢) المحبين شرفا عظيما وانتسابا كريما .

هكذا هكذا تكون المعالى   طرق الجد غير طرق المزاح
كفانى فخراً أن يجمعنا وصف   ولا عذر لى إن كان وقتى لا يصفو

وأما العالم فيشتمل على روحانى وجسمانى ، بين عقول مجردة ، وملائكة ، وأفلاك ، وكواكب ، وعناصر ، (ومولدات)(٣) والعقول المجردة غير المسخرة للأجسام متشوقة إلى الله . متعشقة به على الدوام ، ووجودها (العقلى)(٤) بجوهرها بالمبدأ الأول واستهلاك ماهيتها الممكنة فى ماهيته الواجبة ، وهو انغماس عظيم لها فى بحر العشق واللذة ، وحقيقة وجودها رجوعها إلى ذواتها ، بعد ملاحظة الجمال المطلق ، فهى بما يبهرها من العظمة ، ويلوح لها من الافتقار ، وما يغمرها من اللذة ويسبح بها وعليها من النور الحق ، القاهر بين ابتهاج وقهر .

وقد حُدّت المحبة بأنها ابتهاج مشوب بقهر . فهى متصفة بصفة المحبة الذاتية . والملائكة . من المتقرر عند هؤلاء وفى محله . من موضوعاتهم أن الحق لما أشرق نوره الفياض الذى هو سر الجمال والكمال . ومعنى

---

(١) ساقطة من : ظ ، س
(٢) ساقطة من الأصل
(٣) ساقطة من الأصل
(٤) ساقطة من الأصل

الوجود والحياة ، على العالم الكلى ، أول ما تلقاه . وقبله الذوات العاقلة العارفة ، وهم الملائكة المقربون من حضرة الحق ، والحافون بقدس الحق ، وهم وسائط أمر الله ، وحملة أسراره الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . فحصل(١) لها بنوره ابتهاج شديد لا يمكن وصفه ، ولا يتأتى تصور ما حصل لها به من النور والحبور ، والجلال والكمال والظهور ، فتضاعف ابتهاجها(٢) ونظرت إلى ذواتها مع ذلك ، (٥٢ ب) فرأتها عاجزة قاصرة عن الإحاطة بإدراك كمال ذلك النور ، فتلاشت عند مشاهدة جماله (٣). خاضعة لسلطان قهره وعزة أمره ، وعظمة كبريائه ، مستشعرة عدمها عند وجوده ، عالمة بنقصها مع كماله ، فحصل لها بهذين الاعتبارين صفة المحبة . ومقدمات حدودها . التى(٤) هى ابتهاج يشوبه قهر . فالملائكة محبون لله ، وذوات نورية مهيمة فى الله ، بين صافين ومسبحين ، وشاخصين ومستغفرين . شيم الهائمين ، وأوصاف المحبين ، وأحوال المتوسلين المتوصلين .

والأفلاك والكواكب والوجودات(٥) العلوية ، ما تحرك منها أو سكن ، إنما تحرك أو سكن لغاية فيها كماله (فهو محبوبه الأقرب . فهى متصفة بالمحبة والشوق إلى الله)(٦) ومن رأيهم أن حركة كل متحرك منها ، إنما هو لوجود نفس (متحركة)(٧) عاشقة(٨) لمن فوقها معشوقة لمن دونها . وبكونها قاهرة لمن دونها مقهورة لمن فوقها . اتصفت بأوصاف المحبة

---

(١) فى الأصل . (يحصل)
(٢) فى الأصل (فتضاعف عند ابتهاجها) والترجيح من : ظ للسياق
(٣) فى الأصل : (عند مشاهده جلاله)
(٤) فى الأصل (الذى هو)
(٥) فى : س (والموجودات)
(٦) مابين الحاصرتين . ساقط من الأصل
(٧) ساقطة من الأصل ، س
(٨) فى : ظ (شقة) تحريف

ومقدمات حدها ، فهى محبة عاشقة ، متصفة بالمحبة والشوق إلى الله . ومن رأيهم أن حركة كل متحرك منها إنما هو لوجود نفس محركة(١) تتعشق بالعقول وتتشبه بها ، والكل متعشقة متشوقة لله .

(والشرائع تعبر عن ذلك بطاعة الله)(٢) وانقيادها محبة لأمره . قال الله سبحانه « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » . ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين والعناصر التى تركبت منها الأشياء الكائنة الفاسدة . أربعة : نار ، وماء ، وأرض ، وهواء(٣) . جعل الله فيها وإن كانت جسوما ، قوى تقوم مقام الأرواح فى الحى . وهو الصور التى تتم بها ماهيتها ، وبها تفعل بإذن الله فى غيرها ، بتسخين وتبريد ، وترطيب وتيبيس. وهى قسمان ثقيل ، وخفيف ، ثقيلها مشترك بين اثنين (وخفيفها مشترك بين اثنين)(٤) لينجذب بعضها إلى بعض ، ويداخل بعضها بعضا ، بالوسائط المشتركة . فيتحرك إلى ما يناسبه . فالثقيلان : الأرض والماء . ينجذب أحدهما إلى الآخر ، ولا يمنعه مانع غير قاهر ، عن اتصاله وتطارحه عليه ، وملازمته إياه . كالماء إلى الأرض ، والهواء إلى النار . وكل واحد منهما قاهر لصاحبه ، متعشق به . وجزء كل واحد متعشق بكله . فيشق الوعاء المختوم على الهواء عمق البحر لا يرتد(٥) شوقه ولا يتراجع طبعه . حتى يصل بعالم الهواء(٦) أو تنزل القطرة من الغيث، والحصاة من الودق ، من أعلى الجو — غير مقصرة(٧) — إلى الأرض

---

(١) فى الأصل : (محرك)

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من : س

(٣) جاء عقب كلمة الهواء فى : ظ . (وهو أجعل) ولامعنى لها

(٤) مابين الحاصرتين ساقط من : الأصل

(٥) فى : ظ (لايزيد)

(٦) لأن الهواء ليس مقهوراً للماء فلا يمنع الماء من أن يطفو الوعاء المختوم على الهواء على سطح الماء ليتصل بالقاهر له وهو الهواء ، لأن الماء مانع غير قاهر للهواء .

(٧) فى : ظ (غير مقصورة)

ولا(١) تستقر النقطة أن تأتلف مع مثلها ، وتطلب المنحدرات ، حتى تتصل بالأودية ، ويذهب الكل على وجهه إلى البحر لمستقر طبعها ؛ وطينة جبلتها ، ومنتهى كمالها(٢) . فهى كلها عاشقة . وأى حركة عشقية أعظم من هذا ؟ !

والمولدات منها المعدنيات ، ومن تأمل عجائب المعادن فى وثوب الزئبق على الذهب ، وتعشقه به ، والكبريت على الفضة ، والمغناطيس على الحديد أعجبه ، ظهر له المعنى العشقى الذى لا يرتاب فيه .

والنبات وتعشق (٥٣ ا) بعضه ببعض وتألف أرهاطه(٣) وانحياز بعضها إلى بعض فى المسارح والمنابت ، وازدواج أشخاصه وأزهاره ، والتفاف بعضه على بعض، معانقا إياه كالكروم واليقطين والكشوبا(٤) والأفتيمون ، ولا أعجب من وجود ذكوره لا تحمل ، وكذلك إناثه مالم تدن منها الذكور ، كالموز والنخيل ، لقربها من طباع الإنسان . قالوا وإليه الإشارة بقوله : أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من بقية طينة آدم

وكذلك أسرار ذوات الأذكار . وقد زعم بعض المعتنين(٥) بأسرار الطبيعة ، إنه ما من شىء من النبات إلا ولبذره لوحان مزدوجان . فمنه ما يظهر سريع الانفكاك ، كذوات النوى . ومنه ما يخفى . فإذا أغطاه الثرى

---

(١) الأصل : فلا تستقر

(٢) لأن الهواء مانع غير قاهر للماء فلا يستطيع معه عن الائتلاف بمتنه . أو الائتلاف بقاهره الثقيل الثانى وهو الأرض . فالأرض لأجزائها مانع قاهر والماء للارض قاهر والعكس بالعكس والهواء للهواء قاهر والنار للنار قاهرة والهواء والنار كلاهما قاهر لصاحبه

(٣) فى الأصل : أزهاره . والترجيح من : ط

(٤) وفى : ظ ، س (الكشوق)

(٥) فى : ظ (المعنيين)

وزاره مدد النير الأعلى ، تناكح اللوحان ، وبرزت رطوبة من الجانبين ممتزجة هى من النبات التى تلشأ منها، فيظهر النبات وتنجم إبوته(١) . فالنبات عاشق مزدوج ولله در القائل :

هذى الحديقة كاعب أترابها حلل الربيع وحليها الأزهار
وكأن هـذا الجو فيها عاشق قد شفه التعذيب والإضرار
فإذا شـكى فالبرق قلب خافق وإذا بكى فدموعه الأمطار
فلأجل عزة ذاوذلة هذه يبـكى الغمام ويبسم النوار

وقال الآخر فى موضوع ثان (عن النبات)(٢) .

بكأس ترينا آية الصبح والدجا فأولهـا شمس وآخرها بدر
مقطبة إن لم يزرها مزاجهـا فإن زارها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للـكون لم يخل مهجة من العشق حتى المـاء تعشقه الخمر

والحيوان ظـاهرة عليه إشارة (٣) العشق والمحبة ، لحنينه إلى أجناسه ، وانحياز ذكوره إلى إناثه ، وشوقه إلى الإيجاد ، وانجذاب بعضه إلى بعض ويفشو على كثير منه أثر الحب (٤) كالحمام وسائر المطوقات . فيحكى من نياحها وبكائها عند فقد حبائبها ، وحزنها للفراق وانتدابها على أشكالها . واغترابها مفردة تبكى وتندب بعد موت أخلائها ، إلى أن تموت من فوق الغصون صبراً(٥) وغراما الـكثير(٦) . وبين العشاق

(١) فى : ظ (إبرزته) تحريف
(٢) مابين الحاصرتين . ساقط من : ظ
(٣) فى الأصل ، س (آثار العشق)
(٤) فى الأصل . (العجب)
(٥) فى : ظ (ضرا)
(٦) نائب فاعل للفعل : فيحكى من نياحها . وقد جاءت فى الأصول كلها (فـكثير) وهو ركيك .

وشكاة ألم الحزن والفراق محاورات كثيرة (كقول الشاعر)(١) :

زعم النـاس للحمامة حزنا   وأراها(٢)فى الحزن ليست هنالك
خضبت كفها وطوقت الجيد   (بطوق(٣)) وما الحزين كذلك

قال المؤلف (رحمه الله) (٤) ورضى عنه :

حمامة البان ماهذا البكاء على   مر الليالى وهذا الشجو والشجن
لامنزل بنت عنه أنت تندبه   ولا حبيب ولا خل ولا سكن
لوكنت تنعين عن شوق منيت به   يوما(٥) لصار رمادا تحتك الغصن

وقول ابن حصن(٦) يصف قمرياً :

ومارا عنى إلا ابن ورقاء هاتف   على (فنن) (٧) الجزيرة والنهر
مفستق طوق لازوردى كاهل   موشى(٨) الطلا أحوى القوادم والظفر
حديد شبا المنقـار داج كأنه   شبا قلم من فضة مد فى حبر
أدار على الياقوت أجفان لؤلؤ   ومد على المرجان طوقا من التبر
ووسد من فرع الأراك أريكة   ومال على طى الجناح مع النحر
ولما رآى دمعى (٨) مراقا أرابه   بكائى فاستولى على الغصن النضر
وحث جناحيه وصفق طائراً   فطار بقلبى حيث طار ولا أدرى

وقال الآخر :

وخضيبة المنقار تحسب أنهـا   نهلت بمورد دمعى المسـفوح
باحت بما تخفى وناحت فى الدجى   فرأيت فى الآفاق دعوة نوح

---

(١) مابين الحاصرين ساقط من الأصل
(٢) ى : س (وأظنها) وهو مخل بالوزن
(٣) ساقطة من : ظ ، س
(٤) مابين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س
(٥) ساقطة من : ظ ، س
(٦) ى . ط ابن حصين
(٧) ساقطة من : ظ
(٨) ى : ظ . موسوى . وهو مخل بالوزن . ولا معنى له

وقال الآخر :

إنى(١) لأعذر فى الأراك حمامة   الشادى كذلك تفعل العشاق
حكم الغرام الحاجرى بأسرها   فغدت وفى أعناقها الأطواق

وقال الآخر(٢)

لقد عرض الحمام لنا بلحن   إذا أصغى له ركب تلاحا
شجى قلب الخلى فقال غنى   وبرح بالشجى فقلت ناحا

وقال الآخر :

لا تعجبن ليــــكائهن فإنه(٣)   ضحك وإن بكاءك استغرام
هن الحمام فان كسرت عيافة(٤)   من حائهن فإنهن حمـــــام

والـكلام فى الحمـام (٥) يطول . وهو من الأعراض المناسبة للعشق والمحركات له . وقالوا : إن الحمام علم العشق بنى آدم .

فلنرجع إلى ما كنا بسبيله فنقول : وأما الإنسان من جملة الحيوان فإنه أخص الجميع بخصوصية المحبة . والمتأدى ، إلى محبة الله التى فى ضمنها السعادة والبقاء ، والمحبة الموجودة فى العوالم العلوية موجودة فى فطرته، بكونه مثالا منها ونسخة مدبجة من كاتبهما . فتبين أن ماسوى الله أيضا وهو العالم سماؤه وأرضه بما اشتملتا عليه ، محب عاشق (مشتاق)(٦) معترف بمحبة الله، محدود السبب من الله ، موجود بالله ، راجع إلى الله « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر

---

(١) فى الأصل . لأنى
(٢) ساقطة من : ظ
(٣) جاء النطر فى : ظ ، س هكذا : لاتعجبن بها فإن بكاءها .
(٤) العيافة : زجر الطير
(٥) ق : ظ (الحمار) تحريف
(٦) ساقطة من الأصل : وزيدت من : ظ

والدواب وكثير من الناس. وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل مايشاء» . والذى حق عليه العذاب من حرمه نور محبته . والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

وقال بعض أرباب الإشارة : وبالجملة . الحب معنى الوجود المقيد ، فإنـ(ـه) بالحركة الشوقية كانت اليومية، وباليومية كانت الشهور وبالشهور كانت الفصول ، وبالفصول وقع التكوين . فسبحان الذى يجرى الأفلاك ويدبر عالمه بحبه .

وقالوا : لم يقم للوجود قائمة إلا بالمحبة ، بها انشقت السماء وانفطرت وبها زلزلت الأرض والجبال دكت ، واستنارت الشمس وكورت ، وبها النفوس زوجت ، وبها الجحيم سعرت ، وبها الجنة أزلفت . إلى غير ذلك من قائمات الاشهاد وبعث الموتى والمعاد.و(بها)علمت(١) كل نفس ما أحضرت وبها الأرزاق من خزائن السموات والأرض أخرجت وبها عطف الأعلى على الأدنى وطلب الأدنى الأعلى(٢)قال الله تعالى: «والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض(٣) » : . قال تسبيحهم قربة إلى ربهم (١٥٤ا) واستغفارهم لمن فى الأرض شفاعتهم لمن هو غائب بطمأنينة عنهم وعن عالمهم لعلمهم (٤) . أنهم يعادون (يوما) إليهم وقال الشاعر يرثى صد يقاله نصرانيا :

أخى بوداد لا أخى بديانة ... ورب أخ فى الود مثل نسيبى
وقالوا أتبكى اليوم من ليس صاحبا ... غدا إن هذا فعل غير لبيب
ومن أين لا أبكى حبيباً فقدته ... إذا خاب منه فى المعاد نصيبى

---

(١) فى : ظ ، س (وعلمت كل نفس)

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : الأصل . وزيد من : ظ

(٣) فى الأصل (تعلمة أنهم يعادون إليهم) وفى : ظ (لعلمة أنهم يعادون إليهم)

(٤) ساقطة من : س

بارقة أزهار بين أنهار :

تناسب هذا النمط المقرر والدليل المحرر .

ورد فى بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال : « حبب إلى من دنيا كم (ثلاث)(١) . الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وفى قوله «دنيا كم»(٢) واختصاص الصلاة بقرة العين(٣)، وحب الطيب ، وحب النساء(٤) ، مباحث عجيبة . قال أبو بكر الصديق : « وأنا يارسول الله حبب إلى ثلاث » قال : « وماهى يا أبابكر »؟ قال: « جلوسى بين يديك ونظرى إليك ، وإنفاق مالى عليك » . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « وأنا يارسول الله حبب إلى ثلاث : » قال : « وماهى يا عمر » ؟ قال : « الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وإقامة حدود الله إذا وجبت » . قال عثمان رضى الله عنه : « وأنا يارسول الله حبب إلى ثلاث » قال : « وماهى » ؟ قال : « إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل

---

(١) على هامش الأصل . جاءت العبارة التالية : لفظة « ثلاث » ليست من الحديث ، كما أجمع عليه الحفاظ واللفظة ساقطة من : س

(٢) أى دنيا كم التى تهيمون بها بنفوسكم . اختصنى الله بحب ما يشهدنى إياه فى كل حال .

(٣) لأنها انسجام تام بين عالم المادة وعالم الروح لمن استطاع القيام بها على وجهها الظاهر والباطن .

(٤) مجمل ما قاله الشيخ الأكبر فى « الفص المحمدى » من « فصوص الحكم » فى هذا الموضوع أن آدم باعتباره من معلوم الله فانه يحن إلى أصله ويحس بنقص لايجبره إلا الاستغراق فى أصله . فلما خلقت حواء من ضلعه صار ناقصا باعتباره أصلا تفرع منه فرع هو حواء . واعتبرت حواء فرعا ناقصا يحن إلى أصله الذى نشأ منه وهو آدم . ولا يمكن لآدم أن يستغرق فى أصله وهو معلوم الله مع نقصه . لنقص آلة التوجه والإدراك . ولا يمكن أن تتم له آلة التوجه والإدراك إلا إذا اندمج مع فرعه اندماجا كاملا ، ولا يحدث هذا الإندماج إلا عند الاتصال الجنسى . حيث يندمج الجسدان فتتم لهما آلة التوجه والإدراك . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب النساء لأنه فى حال اتصاله بهن كان كلى التوجه والاستغراق . وبالتكرار تحدث الملكة . أما الناس فيحبون فى النساء المادة والظاهر وشتان مابين المشهدين (راجع الفص المحمدى . من شرح الفصوص النابلسى وشرح الفصوص للكاشانى) وشرح الفصوص . بالى افندى) .

والناس نيام » . قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « وأنا يارسول الله حبب إلى ثلاث : إكرام الضيف ، والصيام فى الصيف ، والضرب بين يديك يارسول الله بالسيف(١) . فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من حينه فقال : « يارسول الله . وأنا حبب إلى ثلاث » : فقال وماهى ياجبريل(٢) » ؟ قال : « حب المساكين ، وتبليغ الرسالة للمرسلين ، والتسبيح لرب العالمين » . ثم نزل عليه ثانية فقال : « يامحمد . ربك يقرئك السلام ، ويقول لك : إنه يحب ثلاثاً . فقال : ما هى ياجبريل ؟ . فقال : يقول قلب شاكر ، ولسان ذاكر ، وبدن على بلائى صابر » .

تنبيه :

تناسب هذه الباقة من يسلك(٣) إلى حضرة الحق ، من باب عشق الجمال الجزئى ، (وقد) جعلوه من باب الرياضة ، لحصول المقصود . وقد أشار إليها الرئيس أبو على رحمه الله إذ قال . ويعين عليه العشق العفيف (٤) والحب الظريف ، الذى يؤمن فيه نفس سلطان الشهوة(٥) ، فالفضلاء الذين يستدلون بالأثر على المؤثر(٦) ، وعلى الحق بالخلق ؛ وعلى الصانع بالصنعة ، وهم الذين ركبوا مطايا الأفكار ، وقطعوا مراحل تلك القفار ،

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل وزيد من : ظ

(٢) فى ظ جبرائيل

(٣) فى الأصل ، ط جاءت العبارة مضطربة هكذا (تناسب هذه الباقسة على ماسلك إلى حضرة الحق . . . ألخ) وفى : س (على من سلك)

(٤) فى : س (العنيف)

(٥) لأنه يعمل على رقة الإحساس وشفافية الروح . وهما من العوامل المساعدة على تهيئة الروح للجذب من عالم الفيض عند الصوفية

(٦) فى الأصل (بالمؤثر على الأثر) وفى : ط ، س (على المؤثر بالأثر) وما فى الأصل لا يناسب السياق . لأن الحديث عمن يسلكون سلوكا صعوديا يبدأ من الأثر وينتهى إلى المؤثر ، ومن الخلق إلى الحق والتعديل الذى أجريناه أكثر وضوحا .

فأساحوا(١) وأمعنوا ، وتحركوا حتى سكنوا ، إذا تقيدت مشاعرهم بالجمال الحديث الجزئى ، وأشكاله الحبيبة المشرقة على المواد الحيوانية ، جردتها نفوسهم عن هيولاها ، وصارت تشاهدها فى أنفسها ، وقد انبعثت(٢) فى جواهرها(٣) ، فلم تغب عند مغيب مظاهرها ومجاليها ، ولا تغيرت بتغيرها، ولا انتقلت بانتقال متحملاتها الحسية ، فاستغنت (٤) وزهدت فى الوسائط التى عرفتها من أجلها ، وأدركتها بسببها، وانتقل (٥) محبوبها من خارج الحس إلى داخله ، ومن بصر(٦) الإدراك إلى بصيرته ، فصارت تشاهده — (٥٤ ب) فى مرآة ذاتها .

ثم إن الإدراك السارى(٧) أعاد البصر كرتين إلى الصـــورة المنتقلة المحبوبة ، فحكم بأنها وإن كانت حسنة جميلة ، فائقة معشوقة ، فإنها تعد فى كرَّة الخيال ، وتحت رق الخسة الجسمانية ، ومن وراء حجاب الحسن ، وانها بعد(٨) خيالية متغيرة(٩) ، ومشاهدتها غير خالصة ، وأن الصورة المعقولة(١٠) التى لا تتغير ولاتتبدل ، ولا تنتقل ولا تضمحل أولى بعيده(١١) ، وأحق بمشاهدته ، فحن(١٢) إليها أكثر من حنينه إلى تلك

---

(١) فى : ظ ، س (فأسلفوا)

(٢) فى الأصل (فما انبعثت) وفى : ظ ، س (قد انتعت)

(٣) فى : ظ (فى جوارها) ولعله ىقصد . جوارحها . والمقصود أن السالك يجرد الأشكال الحسية عن هيولاها حتى يشهد الجمال فى الجواهر لا فى الجوارح والاعراض . ويدل عليه ما بعده

(٤) فى : ظ (فامتنعت)

(٥) فى الاصل (فانتقات)

(٦) فى : ظ (ومن آبصر) تحريف

(٧) فى : ط (السارين) تحريف

(٨) فى : س ، ظ (نقد فى كذب الخيال)

(٩) فى : الاصل وأنها نعد . (٢) فى : الاصل .منيرة

(١٠) فى : ظ . المعتدلة

(١١) فى : الاصل أولى بتقيده

(١٢) فى الاصل : يحن إليها ، فى س . تحن إليها

الأشخاص ، وطلبها فيها ، وقد مرنت نفسه على العشق العفيف ، والحنين إلى الجمال المنيف ، فكانت جزئيته إلى الكلى(١) سبباً ، وإلى الصادق سلما ، كما قال الشاعر :

مدحت الورى قبله كاذبا وما صدق الفجر حتى كذب

وعندما اتصل بالصور الكلية ، وأثاره (٢) الرياضة من الحضيض الأوهد ، إلى الجناب الأقدس ، والعز الأنفس ، وانتبهت نفسه انتباهة ثانية ، وهى إحدى الكرتين رأى الصور المعقولة فائضة من واهبها الذى هو أولى بالحب ، وأحق بالاستهلال ، وأنه الجمال على الحقيقة .

بعد ذلك تمحضت النفس إلى الجنة(٣) العليا ، وحنت إلى مبدئها ، وموافقة رفيقها .

قالوا : ولذلك كان يقول صلوات الله وسلامه عليه عند التجلى الحق « الرفيق الأعلى » . لما ضعفت العلاقه بينه وبين المحسوسات ، من النساء والطيب وحظوظه (٤) الضرورية من أداء معارج الترقى البشرى(٥) ، وكانت أحواله فى زيادة الترقى ، ولذلك قال : « كل يوم لا أزداد (فيه)(٦) قربا من الله فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم » . وكلما فارق مقاما ، واتصل بما هو أعلى منه لمح الأول بعين النقص(٧) ، ساريا

---

(١) فى : س (فكان حرؤه إلى الكل سبب)

(٢) فى : ظ حرفت العبارة هكذا : وأنا شبه الرياضة وفى الاصل : وأنى بنسبة الرياضة

(٣) فى الاصل الجنة العليا

(٤) فى : ظ (وخطوطية) تحريف

(٥) فى : ظ ، س (البشرية) وصف للمعارج

(٦) ساقطة من : الاصل

(٧) لانقص فى السلوك الصحيح إلى الله من حيث المقامات ، كما أنه لا نقص فى أقل مظاهر الكون فى الدلالة على الله — لاسيما سلوكه صلى الله عليه وسلم وإنما المسألة مسألة كمال وأكمل وعلم كامل ، وعلم أكثر وقال الصوفية فى قوله صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبى، فأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة وفى رواية مائة مرة وهو موضوع الكلام الذى نحن بصدده — قالوا : إنه غين أنوار لاغين أغيار .

على ظهر المحبة ، ونعمت المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والأحوال والسفر إلى حضرة ذى الجلال ، والاتصال بالمحبوب الحق ، الذى كل شىء هالك إلا وجهه ،[١] وله الحكم وإليه ترجعون ، وحال هذا المحب المحبوب المراد المجذوب[٢] المردود إلى حضرة الإمكان من حضرة الوجود ، لهداية الحائر ودلالة المحبوب أعلى ، وفضله أجلى ، ولله در المؤلف (رضى الله عنه) [٣] إذ يقول :

ففى عالم الأسرار ذاتك تجتلى ملامح نور لاح للطور فانهدّا
وفى عالم الحس اغتديت مبوأ لتشفى من استشفى وتهدى من استهدى
فما كنت لولا أن نبئت هداية من الله مثل الخلق رسما ولا حدا

صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم .

خاتمة فى تنبيه النفوس الصبة على حكم المحبة :

(ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة : قال على رضى الله عنه : « أسرع الناس مبادرة إلى الزحف ، أقلهم حبا للفرار »[٤]) [٥] .

وقال بعضهم : سألت رويما (البغدادى) فقلت : أوصنى فقال : ما هذا الأمر إلا بذل الروح . فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا وإلا فلا تشتغل بترهات[٦] الصوفية ، قال الشاعر :

---

(١) فى : ظ (له الحكم) والمؤلف يقتبس الآية فى أسلوبه : ولا يقصد روايتها .
(٢) فى ظ ، س (الودود) والسياق يقتضى ما فى الأصل .
(٣) مابين الحاصرتين : ساقط من الأصل .
(٤) فى : ظ (حبا من الفرار).
(٥) مابين الحاصرتين : ساقط من الأصل .
(٦) يقصد : ترهات الصوفية فى نظر من لايستطيع الدخول فى هذا الأمر ببذل الروح لا فى رأيه هو . وهو من كبارهم .

لما ملكتم رمتموا أن تهجروا ما بعد فرقة مايعين تخيرو(١) (١٥٥)
زدوا الفؤاد كما عهدت إلى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا

وقال رويم : « قعودك مع كل طائفة من الناس ، أسلم من قعودك مع الصوفية ؛ فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم ، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق » .

وقال تاج الوعاظ (٢) رحمه الله : يا هذا . أول الطريق سهل ، ثم يأتى الحزَن فى البداية . إنفاق السرور(٣) وفى التوسط إنفاق النفس ، فإذا نزل ضيف المحبة تناول القلب فأملق المنفق(٤) ، قلق القوم بلا سكون ، انزعاجهم بلاثبوت ، حلفت جفونهم على جفا النوم ، فلو سمعت ضجيجهم فى دياجى الليل ! :

من لقلب يألف الفكرا ولعين لا تذوق كرى
ولصب بالبعاد قضى ما قضى فى حبكم وطرا

سيما الوجد لا تخفى ، وصحائف الوجوه يقرؤها من لم يكتب : حداء (٥) حديثك فى نفسى مع النفَس . وقال : إذا تمكن الحب استحال السلو ، وتعلقت(٦) يد المحبة بتلابيب القلب ، فلا يمكن التخلص ، فيدور معها فى دار المداراة .

---

(١) جاء هذا الشطر محرفا فى : ظ ، س . هكذا : مابعد فرقة للعين تحروا

(٢) لعله يقصد « أبا الفرج بن الطيب البغدادى » صاحب كتاب السياسة الذى ينقل عليه كثيراً ، والأسلوب ينم عنه .

(٣) فى : ظ ، س (البدر جمع بدرة) وهى الصرة من المال .

(٤) أى افتقر ولم يجد ماينفقه بعد قلبه

(٥) فى : ظ ، س (خذى حديثك)

(٦) فى الأصل (تعلق) وكذا فى . ظ ، س

ليكفكم مافيكم من جوى يلق ... فمهلا بنا مهلا ورفقا بنا رفقا
وحرمة وجدى ماسلوت هواكم ... ولا رمت[١] منه لا فكاكا ولا عتقا

وهل للمحب قلب ؟! هيهات . مزقته فى المحبة ، براثين أسود ، فى سلو ضعيف ، على شدة جذب مع قوادم التقليب .

إن ترحلت أو أقمت فعندى ... فيض دمع يجرى ووجد يهيم[٢]
وفؤادى ذاك الفؤاد المعنى ... ومزامى ذاك الغرام المقيم[٣]

حدث بعض الشيوخ : أنه مر على خانقة[٤] بالمشرق ، فخرج إليه فقراء استدعوه إلى شيخها ، فوجد جمعا . فقال الشيخ : يا مغرب ، حسن الظن بسمتك[٥] . وحكمناك فى هذه الأحدوثة التى اجتمع لها الفقراء . وهى : أن هذا الفقير رقص وغلبه الوجد ، وخطر له تمزيق ثيابه ، فعدل عن جديد قريب على ظاهره ، إلى خلق كان باشر جسده فمزقه ، فطالبه لمكان هذه البقية . قال : فقلت : يا مولانا . هذا الفقير لما طلب قلبه ولم يجده (ليمزقه)[٦] مزق أقرب الأشياء[٧] إليه وأشبهها به فى الأخلاق والرقة ، وفى مثل ذلك يقول الشاعر :

يقُلْ غدا جيش النوى عسكر اللقا ... فرأيك فى سح الدموع موفقا
وخد جرى عن كون جسمى سالما ... وذرعى ، ومن حقيهما أن يشققا
يدى لم تطق تمزيق جسمى لضعفها ... ولم يك قلبى حاضرا فيمزقا

---

(١) و : ظ ، س (ولا اخترت)
(٢) فى : ظ ، س (ووجدى مقيم)
(٣) فى : ظ ، س (الغرام القديم)
(٤) الخانقة والخانقاه مكان يقيم فيه الصوفية وينقطعون فيه للعبادة
(٥) أى حسن الظن بنفسك
(٦) ساقطة من الأصل .
(٧) ى : س : فمزق أقرب الأثواب إليه . والقصة إن صحت فهى تحليل نفسى دقيق لجيشان الروح عند الصوفية وتوضيح صريح للأساس الذى يقوم عليه الوعى الروحى . وهو ثورة الباطن ذلك الحكم المشترك بين جميع الصوفية الأصلاء .

فصاح الشيخ ، وعاد الوجد ، وقاموا إلى رقصهم وتسللت(١) .

فقَرٌ في معنى هذه الخاتمة . فيها حكم تمثال وتجرى مجرى والأمثال:

المحبة بحر بعيد الشط ، وخط والفنا منتهى الخط ، إنا عرضنا الأمانة (على السموات والأرض والجبـــال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات)(٢) .

المحبة مهوى بعيد ، ومجال وعد ووعيد ، مرجل يغلى ، ثم خيال يتدلى ، وليس له حد عليه يعول .

المحبة ظهر لا يركبه من يرى الموت فيتنكبه ولا يعلوه(٣) من يأتى إلى وادى الفنا(٤) فلا يسلوه ، إن الله متبليكم بنهر .

كم قصمت المحبة (٥٥ ب) من ظهر ، وكم سرصيرته إلى جهر ، أولها العسل المشهور ، وآخرها الطى المنشور ، ثم الموت ثم النشور ، وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب .

المحبة أنس يستدرج ، ثم شوق يلجم ويسرج ، ثم فناء يزعج عن الوجود ويخرج ، على قدر أهل العزم تأتى العزائم .

المحبة كاس كم جردت من كاس . وآس من شمه لم يجد من آس .

متى أرتجى يوما شفاى من الضنى　　　إذا كان من يجنى على طبيب

تزاحم أنفاس المحبين على خطرات الصـــبا ، تزاحم الهباء على

(١) فى : ظ وتسلكت ، تحريف

(٢) جاء فى الأصل وظ (إنا عرضنا الأمانة . إلى قوله ليعذب الله ويتوب الله)

(٣) فى : ظ (ولا يعوله)

(٤) فى : ظ (من وادى الغذا)

(٥) فى : ظ (من شمسه)

مطارح شعاع الربا . فلولا بليلها[١] لالتهبت ، وتعليل عليلها[٢] لتلك الأرماق لذهبت .

عليله فى حواشى مرطها بلل تهدى لكل عليل (٣) منه إبلال

المحبة رقة ، ثم فكرة مسترقة ، ثم ذوق يطير به شوق ، ثم وجد لا يبقى منه طوق ، ثم لا تحت ولا فوق .

أينما كنت لا أخلف رحلا[٤] من رآنى فقد رآنى ورحلى

الهوى هوان ، وحمام له ألوان : دمع ساجم ووجد هاجم . وهيام لا يبرح ، ثم وراءه مالا يشرح .

قال بن جن وهل فى الورى ما يبعث الخبل سوى حبه

من اقتحم بحر الهوى هوى . لا تدخل فى بحر الهوى حتى تشاور صبرك ، وتجاور قبرك[٥] . فإن كنت منا أو فرح بسلام .

الهوى طريق ولسلوكه فريق ، الزاد سر مكتوم ، ووفاء معلوم .

وللميادين أبطال لها خلقوا وللدواوين حساب وكتاب

الحب حج ثان[٦] . لا يثنى نفس المريد عنه ثان . طريقه التجريد[٧] . وزاده الذكر . وطوافه المعرفة وإفاضته الفناء . فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين . الغرام صعب المرام ، والدخول فيه حرام ، مالم يكن فيه شروط كرام . من عرف ماأخذ ، هان عليه ماترك . وربك يخلق مايشاء ويختار .

---

(١) فى الأصل (بليتها)
(٢) أى بليل خطرات الصبا وعليلها
(٣) فى : ظ (عليك) تحريف
(٤) فى : ظ (رجلا) تصحيف
(٥) فى الأصل : فقرك
(٦) راجع فى هذا المعنى (الإسرا إلى مقام الأسرا للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى) مخطوط.
(٧) التجريد عند الصوفية عدم النظر إلى الأسباب وشهودها فى منعها (راجع بابه التفريد والتجريد والتوحيد ـ من علم القلوب لأبى طالب المكى ، القاهرة ١٩٦٤) .

ظن الهوى طريقا سهلا فكثر(١) التائهون خبلا
إذا لم يكن عون من الله للفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد

والعكس :

قد يخبأ المحبوب فى مكروهها من يخبأ المحبوب فى المكروه

غيره :

إذا كان عون الله للعبد لم يجد عسيرا من الآمال إلا ميسرا(٢)

وقال الشيخ (ابن الفارض) :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خالياً فالحب راحته عنا وأوله سقم وآخره قتل

(ومنها)(٣) :

نصحتك علما بالهوى والذى أرى مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

(ومنها)(٤) :

فمن لم يمت فى حبه لم يعش به ودون اجتناء النحل ماجنت النحل

طريق القوم مبنية على الموت . وإليه الإشارة بقوله : موتوا قبل أن تموتوا . بيدى لا بيد عمرو . وقال بعضهم : رأيت رب العزة ، فقلت : يارب بم أصل إليك ؟ فقال : فارق نفسك وتعال (٥) .

---

(١) فى الأصل : وكثر . والسياق يقتضى ما أثبتناه .
(٢) البيت ساقط من : ظ ، س .
(٣) ساقطة من : ظ ، س .
(٤) ساقطة من : ظ ، س .
(٥) لأبى يزيد البسطامى . (راجع ترجمته فى : الموارد البهية . و : الحدائق الوردية ، طبقات الشعرانى) .

رفض السوى فرض على العين ... لا تخلطن(١) الحق بالمين
ماالأثر(٢) والكيف سوى ظاهر ... فاستغن عن كيف وعن أين

الخشب الذى يتخذ منه النشب

وينقسم إلى أقسام وأجزاء جسام :

القسم الأول فى الحدود(٥٦ ا) والمعرفات والأسماء الواقعة عليها الصفات

قال المؤلف رحمه الله(٣) : ولما كانت الحدود تأتلف من مقومات الشيء وأجزائه الذاتية وكانت المحبة وجدانا متفاوتا . لاجنس له يؤخذ منه قدره المشترك ، ولا فصل لعدم جنسه ، تعذر هذا المطلوب إلا مع مسامحة كبيرة (فيه)(٤) . فغالب ما نقل عن المتقدمين رسوم وتعريفات منها ما هو مأخوذ من فعل المطلوب ، أو غايته ، أو أعراضه . ومما (أكد)(٥) تعذره اشتمال الحدود(٦) على المحبة القديمة المتوجهة إلى المحدث بدليل السمع . ونحن ننقل من ذلك بعضا من كل وتافها من جم ؛ إذ حصر بعض الواضعين(٧) فى المحبة من الحدود والتعريفات المنقولة عن الأعلام ، ما ينيف على المائة . وقد اقتصرنا منه على عدد يسير (٨) فمن منسوب إلى الفعل ، أو إلى الصفة ، أو إلى الخلق ، أو إلى الذات ، إذ كل يعبر(٩) بمقدار حاله . وكل قاصر(١٠) لعجزه عن الإحاطة بحقيقته .

(١) ى : ط : لا تخلط .
(٢) ى : ظ والأين ، المكان ، والكيف . ماهية الشيء .
(٣) فى : ظ ، س . رضى الله .
(٤) ساقطة من الأصل . وزيدت من : ظ
(٥) فى : ظ (تأكد) . وهى ساقطة من : س .
(٦) فى : س (اشتمال المحدود) .
(٧) فى الأصل : (الواقفين) والسياق يقتضى مافى : س ، ظ .
(٨) فى : ظ (من منسوب) . (٩) فى الأصل (يعتبر) .
(١٠) فى : ظ (ماهر) تحريف .

ومثل بعِميان عرض عليهم الفيل ، فلمس طائفة ظهره ، وأخرى قوائمه وأخرى رأسه . ثم سئلوا عن حقيقته . فقال قوم : هو شيء مستطيل . وقال آخرون : هو عمد أربعة منتصبة . وقال قوم : هو رأس فيه أنياب بارزة . وعبر كل على قدر ذوقه ووسعه وما أدركه ، وشرحه منهم باللفظ الصريح متعذر جداً . وقال آخرون : الحد الحقيقى فيها أن أعمل التقريب فى تحصيل ماهيتها وربما تأتى ذلك فى محبة المحدث للمحدث ، ومحبة المحدث للحق .

وأما محبة القديم للمحدث[١] ، فلا تتأتى إلا بتأويل ومسامحة . وربما تأتى التوفيق والتحقيق إلى إيهام الحلول أو الوحدة اللذين توهمهما ألفاظ هذه الطوائف[٢] (لأنه يوهم ألا يحب إلا نفسه ؛ إذ ظهر من أسباب المحبة الأولى ، أنها عائدة إلى ذات المحب وإن اختلفت)[٣] . ونحن نقدم ما ارتضى من المجلوب .

قال بعض الإشراقيين فى حدها على ما تعطيه العبارات اللفظية : ابتهاج يشوبه قهر يحصل للنفس عن تصور حضرة ما . ويتبين هذا الحد عند ذكر آراء المحبين . وقد جرى فى الفصل قبل هذا .

وقال بعض أصحابنا : عناية من محب ما يصاحبها إيصال نوال ، أو استفادة كمال . وقال فى أخصر من ذلك : عناية قلبية يبعثها التماح جمال على طلب كمال .

---

(١) الأصل: و ظ (محبة المحدث للقديم) والترجيح لنا لاقتضاء القسمة العقلية،ولأن تطبيق التعريف على محبة القديم للمحدث هو الذى يحتاج إلى مسامحة . وأما إيهام الحلول. فيتأتى كذلك فى محبة المحدث للحق ؛ لأن المحبة راجعة إلى ذات المحب ، وفى محبة المحدث للقديم توهم الألفاظ الدالة عليها . الوحدة المطلقة ، والدليل على صحة ترجيحنا ما جاء فى شرح تعريف البوشى للمحبة بعد ذلك

(٢) فى الأصل (الوظائف) . (٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س ،

وقال شيخنا أبو القاسم البوشى : هى إرادة وكيدة ، تميل القلب نحو محبوبه ، لما تحقق من جماله وكمال ، وتقييد المحب بقيد طاعته . ولقد أحسن بيانه . أن المحبة هى المقام الشريف فى مقامات السالكين إلى الله . السائرين فى منازل الرياضات ، أو بأجنحة الجذبة إلى الله . وهى أول المقامات وآخرها .

فمنذ قلنا إنها مقام فالمقام لا شك ينتظم من علم وعمل وحال . كما بينه أهل الحـــديث فيه . وإن العلم بمنزلة الشجرة والحال بمنزلة الطعم والعمل(١) بمنزلة اللب . فالعلم يكسب الحال ، والحال يكسب العمل

والعلم الذى يتقدم المحبة : هو ما يدرك من كمال المحبوب . إن كان خلقاً فمن اعتدال قده ، وحسن مزاجه ، وصفاء بشرته (٥٦ك) وتناسب أعضائه فى الإنسان وغير ذلك . مما يعد كمالا فى المعدنيات والنباتيات والحيوانيات(٢) إذ لكل موجود كمال يخصه ، لا يكمل به غيره ، فالمستحسن فى الفرس غير ما يستحسن فى الإنسان ، وإن كان خالقاً ، فما يوصل إليه العقل من الاعتبار والاستدلال ، وأوصاف الجلال القاهر ، والجمال المطلق ، والكمال المحصن الذى يلتمح من كل كائن ، ويؤخذ من كل شاهد .

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحـــد
عجبت لمن يبغى عليك شهادة وأنت الذى أشهدته كل شاهد

والحال : ما يقع بعد العلم ، من الهيام بالمحبوب ، والوله به ، والتجرد إليه . عن كل ما سواه ، والشوق الشديد إلى لقائه . والقلق لبعده ، والدهش منه . والتهيب له .

والعمل ملازمته لمرضاته ، ومسارعته لطاعته ، واحتمال ما يرد منه ،

---

(١) فى : ظ ، س (الفعل) (٢) فى : ظ (والحيوانية) .

والتلذذ بجميع فعله عند حركاته وسكناته ، بأمره ، والتأنس بذكره المؤدى إلى الغيبة فيه ، ثم الحضور به ، وتولد الحال عن العلم والعمل مما عدوه ضرورياً .

فالعلم مبدأ المقام الفاعلى ، والحال مبدأ المقام الصورى ، والعمل مبدأ المقام الغائى ، فجعل رحمه الله الإرادة للمحبة جنسها القريب ، الذى يبتدأ به فى ترتيب الحدود ، وجعل الوكد فصلالها عن كل إرادة وكيدة أو فاترة(١) وهو فصل مأخوذ من العلة الصورية . وجعل الميل إلى المحبوب فصلا آخر تمت به الصورة . والتحقق بجمال(٢) المحبوب وكماله . فصلا آخر ، مأخوذاً من العلة الفاعلية ، وجعل التقييد بطاعة المحبوب بعد ذلك فصلا آخر . مأخوذاً من العلة(٣)الغائية . فقال : المحبة هى إرادة وكيدة تُميل القلب نحو محبوبه ، لما تحقق من جماله وكماله . وتقيد المحب بقيد طاعته . ولعمرى لقد أحسن . فإن فصول ما يحد ، تؤخذ من المواد والصور والعلل الفاعلية والغائية ، لكن هذا فيما سوى محبة الله للعبد . فلا مشاركة بين المحبتين إلا فى الاسم(٤) . كما أن ذاته تباين جميع الذوات . أو يحتال فيه بتجاوز تسعه المسامحة . وما قدمنا من قول بعض الصوفية(٥) . عناية بأمر ما ، من محب ما ، يبعثها إيصال نوال ، أو استفادة كمال . ربما يشمل المحبة العامة . إذ العناية بالشىء صرف إرادة الخير إليه من محب [ما](٦) كان حادثاً أو قديماً يبثها إيصال نوال . ومحبة الله التى لا علة لها إلا فضله على العبد المحبوب ، وإيصال الخير إليه ، أو استفادة كمال محبة المحدث للقديم ، أو محدث مثله وفى استفادة الكمال الداعية على اختلافها ، من نوال ، أو لذة أو موهبة روحانية أو جسمانية .

---

(١) فى : س (أو فائدة) .

(٢) فى : ظ (لجمال المحبوب)

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، س

(٤) فى : ظ (الأهم) تحريف.

(٥) فى : ظ وس (المعاصرين)

(٦) ساقطة من : ظ ، س

وقال الحسين بن منصور الحلاج(١) « قيامك مع محبوبك ، بخلع أوصافك لأن كلية المحب مطابقة لـكلية المحبوب ، غيبة ووجودا » وقال غيره : المحبة سرور القلب بمطالعة(٢) جمال المحبوب .

وقيل : المحبة محو المحب بصفاته ، وإثبات المحبوب بذاته . وقيل: حقيقتها أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب . وقيل : المحبة نار فى القلب تحرق ماسوى المحبوب . وقيل(٣) : أن تهب كايتك لمحبوبك ، فلا يبقى لك منك شيء ، وقيل : حقيقة المحبة : مالا يصلح إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب .

وقيل : المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب .

وقيل : المحبة أغصان تغرس فى القلب ، فتثمر على قدر العقول .

وقال الشبلى : (٥٧ ا) المحبة دهش فى لذة ، وحيرة فى يقظة . وسئل بعضهم عن المحبة فقال : حديث السر بلطائف البر .

وقال ابن العريف : المحبة لا تظهر على المحب بلفظه ، لـكن بشمائله ولحظه .

وقيل : المحبة : ميلك إلى الشيء بكليتك ، ثم إيثارك له على نفسك، وروحك ، ومالك ، ثم موافقتك له سراً وجهراً ، ثم علمك بعد هذا بتقصيرك .

وقيل : المحبة(٤) دوام ذكر الحبيب على اختلاف أحوال المطلوب .

وقيل : المحبة استهلاك فى لذة ، ومشاهدة فى غيبة .

---

(١) تلميذ الجنيد وابن أخته . قتل فى كلمات صدرت منه توهم الحلول .

(٢) فى الأصل (بمطابقة) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . — أبو بكر الشبلى .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

وقيل : المحبة استيلاء ذكر المحبوب على جميع قلب المحب . وقيل : المحبة دوام الذكر .

وقيل : المحبة كراهة البقاء فى الدنيا وهذا هو الشوق .

وقيل : المحبة أن تمحو آثارك حتى لا يبقى منك شىء .

وقيل : محو الإرادة ، واحتراق جميع الصفات .

وقال بعضهم : محبة الله أن يتجلى بسره ، فيهديه إلى محبته . والأقوال فى المحبة بحر ، وهذا الذى جلبناه يسير منسوب إلى الفعل . أو الوصف . أو الذات . يجتزأ به .

والذى وقع عليه الاختيار ، ماثبت أول الكلام فى هذا الباب . وقال بعضهم : ليس للمحبة صفة يعبر بها عن حقيقة ؛ فإن الغيرة من أوصافها ، والغيرة ترد إلى السر والإخفاء ، وكل من بسط لسانه بالعبارة عنها ، والكشف لسرها ، فليس له منها ذوق . وإنما حركه وجدان رائحة ، ولو ذاق شيئاً لغلبه عن الشرح والوصف .

قال الشاعر :

الحب ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

وقال الآخر :

لم يبق إلا نفس خافت ومقلة إنسانها باهت
(ومغرم تضرم أحشاؤه بالنار إلا أنه ساكت) (١)

وقال الآخر :

شكا بعضنا لما التقينا على النوى بأعيننا ما فى الضمير إلى بعض

---

(١) البيت ساقط من : ظ ، س .

وقال الآخر :

إذا كامتنى بالجفون الفواتر(١) تفهمت عنها بالعيون النواظر
ولم يعرف الواشون مادار بيننا وقد قضيت حاجاتنا فى الضمائر

وقال الآخر :

تشير فأدرى ما تقول بطرفها ويطرق طرفى عند ذاك فتفهم(٢)
تـكلم منا فى الوجوه عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلم

ثم ترفع عن ذلك فقال :

تـكلمنا زمانا بالعيون ولم يقض الأكيد من الديون
فصرنا للقـلوب فعند هـذا أمنـا من مرجمـة الظنون
ومن يستغن عن هـذا وهذا يـكن فى الحب منقطع القرين

وقال بعضهم : كل المقامات من نور الأفعال والصفات ، إلا المحبة، فإنها نور حقيقة الذات . فكل ماصدر من الـكلام فى المحبة إنما صدر عن محب وجد فى نفسه ذوق المحبة ، ولم يساعده لسانه على التعبير عما وجد . ومثلوه بالسكران الذى يطالب بشرح(٣) حقيقة السكر، مع أن السكر قد منعه عن ذلك . فنى حالة السكر ، ليس له حيلة إلى شرحه . وفى حالة الصحو، لايجد العبارة عنه لارتفاع وجدانه الحالى ، فلا يحصل له شرحه ، وكذلك جميع الأحوال الذوقية ،كلذة الوقاع التى (٤) إذا عبرت عنها تقول : هى لذة عظيمة . فمن لم يدرك حقيقتها من نفسه (٥٧ ب) لاينتفع بهذه العبارة .

ومحبة الله لا تحصل بالمحبة(٥) على الـكمال ، إلا بعد معرفته المتممة ، ومعرفته لها غاية لها، ولايعبر اللسان عن حقيقتها، فتعذرت المعرفة كذلك.

---

(١) ق : ظ ، س (النواتر)
(٢) ق : ظ (فيتفهم) تحريف
(٣) ساقطة من : ظ
(٤) فى الأصل (الذى)
(٥) ق : ظ (على المحبة) .

ولأجل ذلك قيل لبشر (الحافى) رحمه الله : أخبرنا عن المحبة أى شيء هى؟ فقال : يا أخى ليست(١) المحبة من تعليم الناس ، المحبة من تعليم الحبيب ، وحسبك من حبيس(٢) غرامات ، وأسير مقامات . إن شكا أنبه(٣)الصبر ، وإن طلب المساعد عاتبه (٤) التوكل ، وإن غاب استعدت عليه الرياضة ، وإن حضر كواه التذكر ، وإن ربع (٥) على نفسه تبرأ منه الزهد ، وإن أدل عبست له الهيبة ، وإن سكن أقلقه الخوف ، وإن فر رده الرجاء ، وإن باح عاقبته الغيرة ، وإن استراح لغير أنكر عليه التوحيد ، فليس لدائه إلا الغناء وبه زوال العناء ، كما قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت　　　إنما الميت ميت الأحيـــاء

وكما قال الآخر :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا　　　وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فأما إن كانت المشاهدة ، فكما قال (الشاعر)(٦) :

إن كنت ترغب(٧)فى بذل النوال لنا　　　فاخلق لنا رغبة أولا فـــلا تنل

لم يبق جودك لى شـــيئا(٨) أؤمله　　　تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

وكما قال الآخر :

حضر الجميع وقيل للبين انصرف　　　لم يبق فى أحيا بنـــا لك مطمع

---

(١) فى الأصل : (ليس المحبة) .　　(٢) فى : ظ (جنس) .
(٣) فى : ظ (أنبه) تصحيف .　　(٤) فى : ظ (غايته) تصحيف .
(٥) فى : ظ (تربع).　　(٦) ساقطة من : ظ ، وفى : س (فكما قيل).
(٧) فى ظ ، س (تطمع)　　(٨) فى الأصل (شيء) : خطأ .

القسم الثانى

في معقول معناها ، وإيضاح سناها ، ومدركاتها التى عليها(١) يقوم مبناها :

قال المؤلف رحمه الله (٢) : لايتصور أن يحب محب من لا تتقدم له به معرفة . وقد قدمنا ذكر المعرفة الاكتسابية وغيرها ، فالمحبة من خواص الأنفس العارفة(٣) ؛ إذ(٤) لم يتصف [بها] (٥) جماد ولا موات . ولما كانت من خواص الأنفس المحبة العارفة المدركة ، فلنتكلم أولا فى الإدراك . فنقول :

الإدراك(٦) ثلاث مراتب :

الأول الحسى : وهو أخذ الصورة بحاسة البصر مثلا دون تشكيل فى الخيال ، وهو أضعف الإدراكات ، وأبعدها عن اللذة الحقيقية .

الثانى الخيالى : وهو وجود صورة الشيء فى الخيال ثابتة .

الثالث العقلى : وهو انتقال صورة الشيء إلى الذات عند التجريد من العوارض وهو الإدراك الحقيقى(٧) والاتصال الكلى والمطلوب الأشرف . إذهو باق ببقاء الذات . فالحواس الخمس لاتدرك الجمال والأمور الروحانية، إلا بعد أخذها من المظاهر الحسية سمعا وبصرا وشما ولمسا وذوقا(٨) .

والإدراكات العقلية تدرك الحس الموجود فى غير المحسوسات ، إذ يحكم على العلم بالحسن والقبح ، وعلى المعانى والأخلاق (٩) .

---

(١) فى ظ (يقوم عليها)
(٢) فى : ظ ، س . (رضى الله عنه)
(٣) فى : س (الأنفس العارية)
(٤) فى : ظ (إن لم)
(٥) ساقطة من : ظ
(٦) فى : ظ (الإدراك الحسى) وما بين الحاصرتين ، ساقط من : س
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ
(٨) فى ظ (وذوقا ولمسا)
(٩) فى : ظ (والأخلاف) تحريف

فمن كانت حواسه أغلب مدركاته ، أو لم يكن له مدرك غير الحواس ، لم يدرك إلا جمال الظاهر . ومن كان الإدراك العقلى عليه أغلب ، كان أغلب مدركاته الأمور الروحانية .

قالوا : ووفور هذه المدارك فى بعض الناس ، وقلتها فى آخرين ، مواهب مرتبطة(١) بتشكيلات فلكية ، اقتضتها الهيآت المرجحة لوجوده . على خلق وخلق ما بتقدير العليم(٢) الحكيم (قالوا) (٣) : فمن كان المستولى عليه فى أصل مولده القمر ، أو الزهرة ، أو زحل ، كان الغالب على نفسه (١٥٨ ا) وطبيعته قوة النفس الشهوانية ، نحو المأكولات والمشروبات والجمع والادخار ، وإن كان المستولى الشمس أو المريخ أو الزهرة ، فإن الغالب على طبيعته شهوة الجماع والمناكح ، وإن كان المستولى الشمس وعطارد ، كان الغالب عليه شهوات النفس الناطقة من المعارف والحكم ، والعدل . والفضائل .

وإذا تقرر(٤) هذا فنقول لما اعتبر ما يدركه الحى المدرك ألفى منقسما قسمة عليا إلى ما يوافقه ويلائمه ، ويسمى محبوبا . وإلى ما يخالفه وينافره ، ويسمى مكروها ، (فكل ما فى إدراكه لذة وراحة وملاءمة ، سمى محبوبا ،)(٥) وكل مافى إدراكه ألم ومخالفة وعناء سمى مبغوضا . فإن قوى حب الشيء الملذ ، سمى عشقا ، وإن قوى بغض الشيء المؤلم ، سمى مقتاً .

وتختلف الملذات ، والملائمات ، والمؤلمات ، والمخالفات ، باختلاف المدركات لها ، وهى آلات النفس : فمنها مدركات القوة الناطقة ، ومدركات القوة الغضبية ، ومدركات القوة الشهوانية .

---

(١) فى : ظ (مرتبة)

(٢) فى الأصل (العزيز) . ورجحنا ما فى : ظ .

(٣) ساقطة من الأصل . وزيدت من : ظ (٤) فى : ظ (هكذا)

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط ، من الأصل . وزيدت من : ظ

فاختصت القوة الناطقة من ذلك بنوعين : محبوب لكمال(١) روحانى مجرد ، يسرى إليها منه كالعلوم النظرية ، التى تستنتج منها المطالب ، ويتوصل بها إلى اليقين ، والأخلاق الحسنة . ومحبوب لكمال جسمانى . كمحبة من يسرى إليها منه كمال روحانى ، كالمشايخ والعلماء ، والهداة والأنبياء ، ومحبة ما يستفيد منه كمال البقاء . كمحبة السادة والمنعمين ، والأمراء والمحسنين ، لأجل النوال الذى يحسن به إليها(٢) وكالأبناء الذين يتوهم بهم البقاء ، وكالإخوان والأقارب والأصدقاء الذين يكمل البقاء بمشاركتهم وإعانانهم ، ومحبة ما يحب لذاته ، كالجمال فى كل شىء ، على اختلاف محال الكمال من الصور ـ نباتها ، ومعدنها وحيوانها ؛ من غير أن يجر كمالا زائدا على التعجب والاستحسان . ومن ذلك ارتباط الصنائع ، وإحكام الموضوعات ، ومعانى الشعر ، واستخدمت فى ذلك من القوى : قوة التخيل ، وقوة التفكر ، وقوة التوهم ، من بعد استخدام الحواس فى أكثرها .

واختصت القوة الغضبية بصنف واحد . وهو حب الغلبة ، والقهر والاستيلاء ، والتشفى والانتقام ، والرياسة والظهور ، والظفر ومحبة المدح . واستخدمت قوة التخيل والتفكر والتوهم .

واختصت القوة الشهوانية من ذلك بمحبوبات من المأكولات والمشروبات والمنكوحات وما يتوصل به الى ذلك ، أو يكون كمالا له ، وقنية(٣) تيسره ، من نبات ومعدن وحيوان ، وكل ذريعة الى السعادة الجسمية ، واستخدمت فى ذلك الحواس الخمس ، السمع والبصر والشم والذوق واللمس .

وانحصرت المحبات لأجل ذلك على اختلافها ، فى محبة نوال ، وهى محبة المواهب(٤) الروحانية ، والجسمانية ، من مال أو جاه أو كمال ، أو

---

(١) فى : ظ (الكمال) تحريف (٢) فى : ظ (يحسن به البقاء) تحريف

(٣) القنية مايقتنيه الإنسان من متاع أومال أوغيره (٤) فى ظ : (المذاهب) .

من يفيده ، أو يكون وسيلة إليه من المنعمين ، والأمراء والعلماء . والهداة والأنبياء ، والآباء والأبناء ، والأصدقاء ومفيدى كمال الوجود من الإعانة والمشاركة .

ومحبة جمال وهو : إما مجردة ، كولوع النفس بالصنائع المنتظمة ، وارتباط الأعمال ، ومحاسن المعانى ، أو غير مجردة ، وهو كاستحسان

الصور (٥٨ك) الجميلة ، والميل إليها ، بسبب البواعث .

وجميع ما يتغير من هذه المواهب الجمالية والنوالية ، وينقطع بانقطاع الجسمانية وتغيرها ، وفناؤها (محبته)(١) منقطعة فانية ، قاطعة للنفس عن الكمال . وما كان منها روحانياً كمحبة المواهب الروحانية من العلوم والصنائع العلمية ، والمواهب العقلية ، فإنها إن كانت لا تنقطع فإنها لا تحجب المحب عن كماله ، وتقيده معها ، وهى من القواطع عن الكمال الأنفس ، وإن لم تتغير فى النفس ، وتغيرت فى الخارج .

ومحبة مناسبة وهى محبة تقع لمناسبة(٢) بين المحب والمحبوب بها حصل الائتلاف ، وبعدمها(٣) حصل الاختلاف ، وهى نسبة موجودة فى الأجسام الخيالية ، والأرواح ، والعقول .

أما فى الأجسام(٤) الخيالية . فكأنواع الحيوان ، وحنين بعضها إلى بعض .

وأما الروحانية . فكمناسبة أرباب الصنائع والعلوم ، وأرباب الأخلاق المتشابهة . فالعالم يناسب العالم ، والمحب المحب ، لارتفاع الضدية التى توجب النفرة .

---

(١) ساقطة من : ظ
(٢) فى : ظ (لمناسب)
(٣) فى : ظ (وبعدها)
(٤) فى : ظ (أما الأجسام)

وأما العقول . فكالاتفاق فى المدركات(١) والفرق بين مناسبة العالم للعالم ، والمناسبة بين مدرك العقليات ومثله . أن العلماء موضوع نظرهم واتفاقهم العام فى التصورات النفسانية ، وأهل المدارك العقلية نظرهم واتفاقهم فى المدركات(٢) العينية . فإدراك العقل المجرد عينى ، وإدراك العلم نائب عن العينى . فما دام فى النائب سمى عالماً ، وإذا وصل إلى العينى سمى مشاهداً ومحققاً .

وربما خفيت المناسبة بين المحبين لوجود شخصين متحابين لا مشاركة بينهما فى وصف جمال ولا إحسان ، لكن فى أمر خفى ليس فى قوة البحث عنه الاطلاع عليه .

وكذلك المناسبة بين الألحان الموسيقية وبين النفوس من ذات ارتياض السمع ، فيؤثر فيها عشقا ونفرة بحيث تحار الأذهان فى علته .

وقد علل ذلك الحكماء بمناسبات عددية لما أخرجوا نسبة الصوت إلى الصوت أو الوتر إلى الوتر ، أو النقرة إلى النقرة ، فى الخرق أو الحدة(٣) ، أو الثقل أو فى الفصل ، بين الأوتار بالدساتين . فوجدوا كل ما وقع من النسب فى الأصوات الملذوذة ، يرجع إلى أبعاده . والبعد ما بين النغمتين الحادات والثقيلات ، وكلها فى نسبة ذى الأضعاف ، أو فى نسبة الجزاء أو فى نسبة الأجزاء . أعنى أن التفاضل الواقع بين النغمتين . إما فى الزمان ، فإن النغم الأطول ، يكون فى زمان أطول . والنغم الأقصر(٤) ، يكون فى زمان أقصر(٥) . أو فى المكان ، إذ المكان هو الذى ينغم به . إما نغم أثقل ، أو نغم أحد . أو فى غير ذلك من الكيفيات . وهى المعبر (عنها) عندهم باللحون . لا بد أن

---

(١) فى ظ : (المدارك)

(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل .

(٣) فى ظ : (والحدة)

(٤) فى ط : (الأصغر)

(٥) فى ظ : (أصغر)]

يكون فى إحدى هذه النسب إما نسبة الجزء ، فنسبة عدد إلى عدد بُعده ، كالثنين إلى ثمانية ، فهى(١) بُعدها . وإذا ضربت ، فى أربعة . كانت ثمانية .

وأما نسبة ذى الأضعاف . فعكس هذه النسبة كنسبة ستة عشر إلى أربعة . فإنها ربعها ، وأربعة(٢) أضعافها .

وأما نسبة الأجزاء ، فهى كنسبة ستة إلى ثلاثة عشر ، فإنها (٥٩ ا) ليست بجزئها ولا بعدها ، فجميع ما وقع من النسب اللحنية فى نسبة الجزء ، أو نسبة ذى الأضعاف ، كان ملائماً عذبا ، يقبله السمع ، وتحن له القوة الناطقة ، وتألفه الطباع ، وتتفاضل فى العذب والأعذب ، ما وقع فى هاتين النسبتين .

فنها البعد المسمى بالذى بالأربع ، وهو من نسبة الجزء ، وهو كل وثلث كل ، كالأربعة إلى الثلاثة ، فإنها فيها من الثلاثة كل وثلث كل . وفيه نغم كل ينتقل عليها اللحن ، ويتركب منها هذا البعد ، وهى طنينان وبقية، وكان الذى بالأربع جنسا لها ، والطنين من نسبة الجزء ، وكل كل وثمن كل، نسبة ثمانية إلى تسعة ، ويسمى بُعد الانفصال .

ويتلو الذى بالأربع ، بعد الذى بالخمس . وهو من نسبة الجزء . وهو كل ونصف كل ، ونسبته(٣) نسبة اثنين إلى ثلاثة ، وإذا زيد على البعد الذى بالأربع ، طنين(٤) كان منها البعد الذى بالخمس ، وهو له جنس أعلى ؛ ثم إذا أضيف البعد الذى بالأربع ، إلى البعد الذى بالخمس ، كان من ذلك البعد المسمى : بالذى بالكل ، وهو أعظم الأبعاد والجموع والاتفاقات اللحنية . وهو من نسبة ذى الأضعاف . وهو نسبة كل ، ومثل كل ، كنسبة ستة

---

(١) أى الاثنين .

(٢) فى ظ : (ربع)

(٣) فى ظ : (والنسبة)

(٤) فى ظ : (طنين)

إلى اثنى عشر ، ثم بعده . البعد المشتمل على الأبعاد كلها ، فمبدؤه الطنين ، ويسمى هذا المبدأ « المعروضة » وهو أثقل النغم، وآخر جواب لها . أحدها ونسبته(١) نسبة الجزء ، ثم يتلوه مبدأ الذى(٢) بالأربع ، ويسمى(٣) رئيسة الرئيسات . ويتلوه نهاية الذى بالأربع ، ويضاف إليها الطنين. فيكون نهاية الذى(٤) بالخمس ويسمى رئيسة الأوساط . ثم يضاف الى ذلك بعد الذى بالأربع ثانياً ، فيكون نهاية الذى بالكل الأول . ويسمى(٥) هذه النغمة :

الوسطى ،لأنها مفروضة بتوسط. فتكون نهاية الذى بالكل الأول ، ومبدأ الذى بالكل الثانى ، ثم يجعلون هذه الوسطى ،مفروضة أولى عند اتحاد (٦) الألحان ، وينسقون بعدها الأبعاد ، فتليها(٧) فى منزل رئيسة الرئيسات ، الحادات (٨) ، ثم حادة المفترقات ، ثم نهاية الحادات ، وبها يتم الذى بالكل مرتين . فما زاد عليها فى الإفراط ، أو على المفروضة الأولى فى التفريط ، فخارج عن مدركات السمع المستلذة فى الجنسين ، إذ لكل شىء مقدار يخصه ، وجميع ما وقع فى هاتين النسبتين ملذوذ ، وكل اصطلاح فى الغناء وطبقاته ، بحسب البلاد والعباد ، فراجع إلى هذه الأجناس ، وبحسب هذه المفروضات .

وأما نسبة الأجزاء فهى نسبة عدد الى عدد ليس بجزئيه ولا بعده ، كنسبة (ستة)(٩) الى ثلاثة عشر ، وأربعة الى أحد عشر ، وما أشبه ذلك. ووجد كل ماوقع فى نسبة الأجزاء ، تنافره القوة الناطقة ، وتشمئز منه . فظهر أن هذا التعشق سببه المناسبة فى الملذوذ الذى بين العددين(١٠)، من التداخل

---

(١) فى ظ : (وبنسبته)
(٢) فى ظ : (التى) (٣) فى ظ : (وتسمى)
(٤) فى ظ : (التى) (٥) فى ظ : (وتسمى)
(٦) فى ظ : (إيجاد) (٧) فى ظ : (قبلها)
(٨) فى ظ : (رئيسات الحادات) (٩) ساقطة من : ظ .
(١٠) فى الأصل : (الذى من العددين) والترجيح من ظ .

والتناسب ، والاندراج فى عالم النفس ، عالم الإنتظام والإبداع والإتقان. وأن النفرة سببها ضد ذلك ، من التباعد(١) وعدم التناسب ، حكمة من الله قدرها ، وعادة فى الوجود عودها لا إله إلا هو العزيز(٢) الحكيم .

وعللوا مايقع من ذلك بين الأشخاص (بالعلل الفلكية القصوى ، يزعمون أن أسباب المحبة بين الأشخاص ،)(٣) لمناسبات فى المدبرات ، لكل محب (٥٩ ب) ومحبوب فى العالم الأعلى ، الذى لايتحرك فى هذا العالم ذرة إلا من أجله ، وذلك على وجهين إما من مناسبات مدبرات للمحبوب فى مولده ، بأن يقتضى محبة الناس إياه ، من سهام الآباء والأجداد ، والإخوة والأبناء ، والقرابة والأصدقاء . والعبيد ، أو من مناسبات(٤) تقع بين مولدى كل واحد من المحب والمحبوب ، وتقع من وجوه أربعة : النظر . والصميم . والمشاكلة أو الشبه . والنقل . والمدبرات وهى خمسة عشر ، صاحب النوبة . والهيلاج(٥) . ورب بيته . وسهم السعادة . وربه والكتخداه(٦) والطالع وربه . وأصحاب مثلثاته . وجزاء الاجتماع . والاستقبال قبل الولادة ورب الجزاء . وسهم الحب ، والإلفة وربه . وسهم الأصدقاء وربه .

فإذا اتفق أن يكون مدبرات أحد الشخصين ، مناسبة لمدبرات أحدهما ، حصل الود والمحبة . ويكون اختلاف المحبة ، بالأشد والأضعف ، باختلاف قوى المناسبات .

فالنظر ينقسم إلى ما يوجب المحبة التامة ، والمحبة الفائقة ، وهو نظر التثليث ، وإلى مايوجب نصف تلك المودة ، وهو التسديس ، وأيمن النظرين.

---

(١) فى : ظ . (من التسبيح)
(٢) فى : ظ (العليم)
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل
(٤) فى : ظ (أو من مناسبة).
(٥) فى : ظ (والسلاح)
(٦) فى : ظ (والكزخزاه)

أقوى من أيسرهما ، واتصاليه أقوى من غير اتصاليه ، والضميم إما أن يكون فى الحظوظ[١] وهو أقوى أولا يكون وهو أضعف . والمشاكلة أوالشبه ، إما أن يكون فى جملة الجوهر والدلالة ، وهو أقوى ، أو فى بعضه وهو أضعف ، والنقل إما أن ينقل سعد ، ويكون الدليلان بعضهما فى حظوظ بعض ، وهو أقوى . أو يكون والناقل سعد ، وهو دونه ، أو الناقل نحس ، وهو دونهما بكثير .

وأما المدبرات فأقواها صاحب النوبة ، ثم الهيلاج ، ثم ربه ، على التتالى. ومناسبات مدبرات الموالد[٢] ، تدل على اختـــلاف مجال المحبات والمودة[٣] . فمودة الأجداد ، تعلم من ارتباط أدلة الجد ، وهى سهم الأجدادوربه . وبهرامه[٤] وصاحب بيته ، وصاحب البرج الرابع ، وشدة الحب وضعفه ، بحسب البعد فى الأطراف من المناسبات الأربع ، وحب الأب ينظر بالنهار من الشمس ، وبالليل من زحل ، ومن البرج الرابع (وربه ، وأصحابه مثلثات الدليل ومثلثات الرابع)[٥] وسهم الأب وربه ، فإن حصلت هذه الأسباب كانت المحبة شديدة . والأم ، وحب الأولاد ، وحب الإخوة ، ومحبة الأصدقاء ، كذلك . ينظر فيه مثل هذه الأمور ، التى تقتضيها صناعة (أحكام)[٦] النجوم . وحب الزوجات والأزواج[٧] ، ينظر من الزهرة . وصاحب السابع وسهم التزويج وربه ، ومن الكواكب الحال فى البرج السابع ، فإن اتفق النظر والصميم والمشاركة والشبه بين هـذه الأدلة ، وأدلة الآخذ ، حصل الحب والعشق ، وبحسب قوته وضعفه توجد قوة الأمر وضعفه ، وكذلك الحكم فى جميع المودات .

---

(١) فى : ظ (الحطوط)
(٢) فى : ظ (المولود)
(٣) فى : ظ (المواداة) ولعلها : المودات .
(٤) فى : ظ (وبهرام)
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .
(٦) ساقطة من الأصل . وزيدت من : ظ
(٧) فى : ظ (والزوح) .

وتضعف المحبة حينا (وتقوى حينـا)(١) وذلك عنـــدهم بحسب الفرداريات(٢) ،والـكتخداه(٣) والأوتاد الأربعة .

وتقريب ذلك مفصلا فى الولد . إن اتفق كون طالعه خامس أبيه ، وكان رب طالعه فى تثليت رب طالع الآخر الأيمن ، ونير النوبة كذلك ، وسهم الحب مثل(٤) طـالع الولد ، واتفقت الأدلة . كانت أنهى المحبة ونقصها ، بحسب ما نقص ، (١٦٠) .

وحب الزوجة بأن يـكون طالعها سابع الزوج ، والزهرة فى سابعها ، وطالعه بالعـكس ، أو بنظر الطالعين نظر المودة ، ويستقصى(٥) ذلك .

وكذلك حب الإخوة والأقارب والملوك وسائر الناس . والمعتمد عليه فى ذلك عندهم ، أن تتفق المناسبة بين أدلة أحدهم ، وأدلة الآخر . فبمقـــدار ذلك يـكون الحب والمودة ، وربما كان ذلك بالسمع من غير رؤية ولا لقاء ، حتى من يحب الخلوة والذكر والوحدة . يعلم ذلك من كون سهم الحب والألفة ، فى غير الصورة(٦) الإنسانية ، وبأن يكون ربه زحل ، أو المشترى ، مع نظر زحل وعطارد . فيدل (ذلك)(٧) على الهم والحسرة ، وكثرة الفكر فى الأمور الباقية الدائمة . وإن كان رب العاشر متصلا بالطالع(٨) دل على الأمور الإلهية ، أو كان المشترى فى الثامن ، وربه متصل به ، دل على الاجتهاد فى أمور الآخرة ، ويعلم المحب(٩) من المحبوب إذا أشكل، بالاتصالات، فإن المتصل بالآخر ، فى النظر أوالصميم أو النقل، هو المحب والآخر المحبوب(وقد خرج بنا القول إلى مالاحاجة

---

(١) ما بين الحاصرتين . ساقط من : ظ .

(٢) فى : ظ (الفهداريات .)

(٣) فى : ظ (والمسالحداى .)

(٤) فى : ظ (بمثل)

(٥) فى : ظ (ويستقرى)

(٦) فى : ظ (الصور) .

(٧) ساقطة من : ظ

(٨) فى : ظ (فالطالع) .

(٩) فى : ظ (الحب) .

لنا به . وتحجبنا بما لا فائدة فى علمه ، ولا ضرر فى هذه الأمور بجهله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لكن لما كان الوقت خاليا عمن يقوم على هاتين الصناعتين ، نبهنا على أننا ممن له مماسة وتطفل فى هذه الأغراض ، والله يسترنا بستره)[١] وهذه أمور ظنية ، وقياس غائب على شاهد ، ولو كان للعقل مجال فى استقصاء أسباب المناسبة ، لوجد ذلك الخفى بسرٍ مربوط ، ومسببا عن حكمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأرواح أجناد مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » ومما ينقل عن محمد بن أبي زيد رحمه الله :

أعجب شيء رأته عينى هذا الذى[٢] تدعى القلوب
تأبى نفوس نفوس قوم وما لها عندها ذنوب
وتصطفى أنفس نفوسا وما لها عندها وجوب
ما ذاك إلا لمضمرات يعلمها الشاهد الرقيب

ويرجع ذلك كله إلى التلاؤم والتضاد ، إذ لا تقع نفرة إلا عن تضاد فى خَلق وخُلق ومزاج ، وروح ومتابعة ، وهذا الفصل كله كتابنا فى غنى عنه[٣] والحمد لله (وحده)[٤] .

خاتمة هذا القسم :

قال مؤلفه رحمه الله[٥] : اختلف الناس : هل المحبة جنس واحد ، يشمل محبة المحدث للمحدث ، ومحبة القديم للمحدث ، ومحبة المحدث للقديم ، ومحبة القديم للقديم . وسبب الاختلاف ملاحظة علل المحبات .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .
(٢) فى الأصل (يدعى القلوب)
(٣) ى : ظ ، س (عنه غنى)
(٤) ساقطة من : ظ ، س .
(٥) ى : ظ س (قال المؤلف رضى الله عنه) .

إذ محبة المحدث تقررت عللها وبواعثها ، من نوال وجمال ، ومناسبة وممازجة ، وكانها لا تخلو من ميل أكيد ، وانجذاب من الطبع ، وجنوح إلى نيل كمال ، وإحراز لذة أو (قنية)(١) أو اتحاد .

ومحبة القديم للمحدث ، لا توصف بكل ذلك حقيقة . فمن رأى بعين الجمع(٢) بحسب دعواهم ، أطلق لفظ الإرادة ، وجعله جنسا ، ورأى المريد والمراد بمعنى واحد ، وجعل محبة المحدث للمحدث محبة فرع لفرع شم عليه رائحة الوصل .

ومحبة المحدث للقديم محبة فرع لأصل ، وحنين جزء لكل ، ومحبة القديم للمحدث ، محبة مؤثر لأثر ، وصانع بصنعة . فإنما أحب صنعته وأثره وذاته ، (٦٠ ب) وفى ذلك حكاية تدرأ عنها حد رائحة خمر الإنكار ، وهى شبيهة تفاح الطرف ، وهى أن مزينا زين صاحب وجه حسن ، ولما فرغ منه قبله ، واستعدى عليه ، فأقسم أنه ما ارتكب نكرا ، ولاقبل إلا صنعته . ونستغفر الله . (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ، قال الشاعر :

لا تنكروا ضربى له من دونه   مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره   مثلا من المشكاة والمصباح)(٣)

ومحبة القديم للقديم ، ثناؤه على نفسه فى علم عينه ، وإطلاق هويته . أنت كما أثنيت على نفسك ، والثناء ثمرة المحبة ، واستحسان خلق أو صفة .

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) الرؤية بعين الجمع ، إرجاع جميع المظاهر الكونية إلى أصلها ، من الأسماء والصفات الإلهية ، ثم إرجاع الأسماء والصفات الإلهية ، إلى الاسم الجامع « الله » ورؤية جميع المظاهر نابعة من أصلها ، ثم نسيانها وعدم اعتبارها وجودا ، من حيث أن وجودها مستعار ، وليس أصيلا ، ومن ثم يقولون : لا موجود إلا الله ، أى لا موجود أصالة إلا الله .

(٣) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ ، س .

ومن كان الله لسانه الذى يحمده ، كان الحمد والحامد والمحمود منه واحداً ، على ما أخبر به إمام العارفين ، صلوات الله وسلامه عليه[١] .

وقال بعضهم : ثناء الذات على نفسها ، هو مواجهة الذات للذات ، وهذه المواجهة ، هى رؤية الذات بالذات فى الذات . هو سبحانه يرى ذاته بذاته فى مرآة هى ذاته ، فهى الناظرة والمنظورة ، ومن استصحب إطلاق الميل على كل محبة ، جعل متعلقاتها متعددة ، وكأنها حسبها من الألفاظ المشتركة ، التى لا يعمها حد واحد ، فخص محبة المخلوق للمخلوق ، بميل يجده فى نفسه إليه ، وانجذاب بطبعه ، وشوق إلى الاتحاد به ، والالتذاذ والتكمل به . يجدها بميل ذات إلى مثلها ، لاستفادة كمال حسى أو معنوى .

وحدّ الأطباء العشق بدوام الفكر فى استحسان بعض الصور والشمائل.

وخص محبة المخلوق للخالق ، والمحدث للقديم ، بحال تنزل بالقلوب المستبصرة ، فتفرغ أشغالها إلى المحبوب الحق . وتقصرها عليه ، وتولعها بالقرب منه ، والتخلق به ، من غير ميل من قلبه إليه[٢] ، كما قيل فى المخلوق ، لأن ميل القلب لا يكون إلا بمجانسة ، وممن استولى عليه خيالا وفكرا واستيعابا وتحصيلا . والله لا جنس له ولا ميل ، ولا يدركه ويستوعبه ويحيط به شىء ، ولا يعرفه إلا هو سبحانه .

وخص محبة الخالق للمخلوق ، بإرادته بنعيمه ، وتنزيهه ، والخير له وتقريبه إليه ، فتكون المحبة هنا راجعة إلى جانسها ، وهى الإرادة وحدها

---

(١) إشارة إلى ما جاء فى الحديث الشريف « سبحانك . لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

(٢) ليس هناك ميل من القلب ، ولكن هناك استغراق القلب بالحب الإلهى حتى لا يملك ميلا ولا حركة ، إلى ذات المحبوب . بل يكون ميل القلب ، لمرادات الرب . وأن يبدأ المحب فى الأمور كلها بأمره ، قبل أمر نفسه (كتاب الصدق . لأبى سعيد الخراز ٨١. تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود) .

بتيسير الله (طلب محبته ، وتوفيقه لهدايته ، فتكون محبة الله)[1] لعبده ، راجعة إلى الإرادة ، وهى صفة من صفات الله ، وقيل مدحه إياه . وثناؤه عليه ، فتكون راجعة إلى كلامه القديم ، وهو أيضا صفة من صفاته .

والرابع[2] ما يختص به من قبيل مالا يتكلم به ، وإن تكلم باعتبار جمع الجمع ، إذا استغرق الحـــادث عين القدم ، وإليه الإشارة بقوله : لا يعرف الله إلا الله . فهذا ما يعطيه الكلام فى حدود المحبة ورسومها وتعريفاتها ، والإحاطة لله سبحانه (لا إله إلا هو)[3] .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . (٢) أى محبة القديم للقديم .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .

القسم الثالث

فى أن كل محبوب ، إنما هو لكل محب ذاته ، من غير زائد عليها وأن كل مفترق ، فراجع بالضرورة إليها[١] .

يا منفـدا ماء الجفو ن وكنت أنفقه عليه
ان لم تكن عينى فأنـ ت أعز من نظرت إليه

قال المؤلف رحمه الله[٢] (٦١ ا) : من المعلوم المتقرر ، أن النفس إنما تحب الملائم على الجملة . وهو معنى الخير . وتكره المنافر . وهو معنى الشر . ولا خير كالوجود ، ولا شر كالعدم ؛ فالوجود أو ما كان سببا فى الوجود ، أو فى كمال الوجود . وما جر إلى شيء منه محبوب ، والعدم وما جر إليه مكروه . فالنفس إنما تحب وجودها بالذات ، وجميع ما انصرف إليه . حبهـا من مال ، أو ولد أو صحة ، أو مفيد مال . أوجاه أو علم ، أو صديق ، إنما هو حبها لذاتها خاصة .

فالمال تراه مفيد بقائها . وصورة حياتها . للاقتيات ومصالح العيش ، والولد تتوسم[٣] به البقاء لها بالنوع . والصديق يتخيل إعانته إياها على البقاء ، والصحة كذلك . وجميع ما يرجع الى القوى كلها ، من العلوم والكمالات ، إما ليحصل لها به البقاء ، أو كمال البقاء . وعلاقتها[٤] المسببة عن الشهوات ، إن كانت طبيعته[٥] . فهى راجعة إلى كمال الوجود ، وإبقاء النوع ، أو منحرفة ، فهى متلبسة بالطبيعة ، ومن أغاليط الطبيعة ، ومتعلقة بالطبيعة ، وبالجملة[٦] ، من التماس الكمالات .

---

(١) أى راجع إلى الذات .
(٢) فى : ظ ، س. (رضى الله عنه) . (٣) فى الأصل ، س. (تتوهم) .
(٤) فى : ظ (وعاقبتها للسبب) . وفى : س . (وعلامتها للسبب) تحريف .
(٥) فى : ظ طبيعة . (٦) فى الأصل ، ظ (وبالحكمة)

فإذاً النفس ما أحبت إلا ذاتها ، إذ لم تجد شيئاً تحبه إلا معدوما ، فأحبت ذاتها ، وأحبت الأشياء المحبوبة لأجل ذاتها . فذاتها المحب (١) ، وذاتها المحبوب ، على ما ظهر ، قال الشاعر :

لا شكر لى إن كنت قد أحببتكم أو أننى استولى علىَّ هواكم
طوعا وكرها ما ترون فإننى طفت البلاد (٢) فما وجدت سواكم

ونزيد هذا الفصل بسطا ، فانه لب هذا الباب ، ولباب هذا الكتاب ، وعليه فليكن تحوين (٣) أولى الألباب . فنقول :

المحبوب الأول عند كل حى (٤) نفسه ، التى بها أحب ، ومن أجلها أحب ، ومن جرائها أنس بالملائم ، ونفر عن المنافر ؛ ومعنى حبه لنفسه ، إيثار الوجود على العدم . وهى سر كراهة الموت ، وحب الحياة ، وعلى كل حال . فبقاء الوجود محبوب ، وكمال الوجود محبوب ، وهو أمر زائد على بقائه . وكل ما نقص من كمال الوجود ، عدم على قدره ، والعدم مكروه ، فالنفس تفر إلى طلب الكمال . فراراً من الإحساس بالعدم . فوجود صفات الكمال لها بالطبع محبوب .

فإذاً المحبوب الأول لكل حى نفسه . ثم سلامة أعضائه . ثم ماله وولده . وعشيرته وأصدقاؤه . وأنواع المحبوبين من الناس . فأعضاؤه محبوبة ، لأن كمال وجوده متوقف عليها ، والمال محبوب ، لأنه سبب فى (٥) دوام الوجود . وكماله من المطاعم والملابس ، والمزيد فى الأفضل من الأحوال ، واستقامة العيش ، بحسب الإرادة ، والولد للانتفاع (به) (٦)

---

(١) ى : ظ ، س (الحب) (٢) فى : ظ ، س (الوجود)
(٣) ى : ظ (تحوم أولى الألباب) . وفى : س (تجوهر أولى الألباب)
(٤) ى : ظ ، س: عند كل شىء . (٥) فى ظ : لأنه من دوام الوجود
(٦) ساقطة من : ظ ، س.

فى أسباب المعاش ، ثم لما تتخيله النفس من البقاء بالنوع ، وإن لم يكن البقاء الحق .

وحب الأصدقاء والأقارب وغيرهم ، حب الكمال ، فإنه يرى (من)[١] نفسه بهم كثيرا[٢] ، وحب المحسن لأجل إحسانه ، راجع لحب المال ، فإن المحسن إذا أمده بالمال أو الجاه[٣] ، أعانه على كمال وجوده ، فحب الملوك والسادة والمنعمين ، والأجواد والكرماء ، من هذا الباب. ومنه حب الهداة والمتعلمين ، والعلماء والمشايخ والفضلاء ، فإنه إحسان روحانى ، يكمل النفس ، ويفيدها معانى تقدر بها على (٦١ ب) اجتلاب ما يحفظ الوجود ويكمله[٤] وينتج[٥] السعادة والخير ، فإذن محبوب الحى نفسه ، وحب كل شيء مندرج فى حب نفسه ، فنفسه[٦] المحب والمحبوب .

وأما حب المناسبة ، وهو حب الحى لما[٧] يناسبه ، فراجع إلى مناسبة جلية ، ومناسبة خفية ، فالجلى ، كحب العالم للعالم ، والجاهل للجاهل ، والصانع للصانع ، والزنجى للزنجى ، ويرجع إلى حب الشيء نفسه ، فإنه إنما أحب شبه الحبيب إليه ، وهو نفسه ، لتخيله[٨] إياها ، والتباس الشيء بها فى بعض الأعراض[٩] والأوصاف ، ومنه حب الجمال ، (والتعجب للجمال)[١٠] الظاهر على صفحات الأشياء ، فلم يوجب الاستحسان إلا مناسبة الجمال المتعجب للجمال المتعجب منه خاصة ، حتى أن تلك الصفحات التى هى مظاهر الجمال ، إذا فارقته ، لم يبق للجمال المتعجب أرب

---

(١) ساقطة من : ظ ، س .
(٢) فى : ظ ، س . (كبيرا)
(٣) فى : ظ ، س (بالجاه أو المال) .
(٤) فى : ظ (اختلاف ما يحيط الوجود ويكمله) تحريف .
(٥) فى : ظ (ويفتح) .
(٦) فى : ظ ، س (ونفسه)
(٧) فى : ظ ، س (لمن يناسبه) .
(٨) فى : ظ (لتجليه) .
(٩) فى الأصل (بعض الأغراض) .
(١٠) ما بين الحاصرين ساقط من : ظ ، س

بل نافـرَها لذهاب نسبته(١) ، كالحـــال فى النبات ، إذا ذبل والحى إذا مات .

وإذا تقرر حب الجمال المجرد عن الأعراض ، فهو أفضل أنواع المحبة وهو حب الشيء لذاته ، أى لجماله المجرد ، قال الشاعر :

إنى أحبك حباً ليس يبلغه | فهمى ولا ينتهى وهمى إلى صفته
أقصى نهاية علمى فيه معرفتى | بالعجز منىَ عن إدراك معرفته

والخفى لا يُعْـرف . فزعم قوم ، أنه أثر من آثار النجوم كما تقدم ، وبالجملة فهو مما يعلم أن له سبباً ، لـكن لم تتصل العقول به . ويحكى أن سليمان عليه السلام ، أنـكر وجود حمامة تلازم غرابا ، وعجب من بعد النسبة بينهما ، فلما تحركتا ، رأى الغراب أعرج ، والحمامة عرجاء ، فقال : علمنا من أين وقعت المناسبة .

---

(١) فى : ظ . س . (نسيبه) .

القسم الرابع

فى أن المولى هو بالحب الأَوْلى[1]

قال المؤلف رحمه الله[2] : فإذن أقسام الحب راجعة فى الإنسان إلى وجود نفسه وكماله وبقائه ، وحب من أحسن إليه ، ويرجع إلى ذلك من باب أولى ، من أفاده وجوده[3] ، وحبه لمن كان فى نفسه محسنا ، وإن لم يحسن إليه ، بل لكونه مظنة للإحسان إليه ، وتعلق أمله به ، وهو يرجع لما قبله . وحبه لمن كان حسنا جميلا فى ذاته ، سواء كان من الصور الباطنة كالمعانى والصفات ، أو من الصور الظاهرة ، كأشخاص الإنسان والحيوان ، وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية فى الباطن .

فلو قدر اجتماع هذه الأمور فى موجود واحد ، بأن يكون قوام نفس المحب ، وميسّر آرائه ، وخالق آلات كماله ، وأعضاء إدراكه ، ثم إمداده بحياته ، وإعطاء وجوده ، وترجيح ذلك على عدمه ، وتقدير بقائه ، ثم الإحسان إليه ، بحيث لا يعرف إحسانا من مطعوم أو مشروب أو غيرهما إلا منه ، وأن يكون كل جمال وإن تعدد وتناهى ، وبهر العقول ، لمحة من لمحات جماله[4] فلا شىء أبهى ، ولا أجمل ولا أكمل ولا أعلى منه ، وأنه قد باين النقص فلا يناله ، واستحق الكمال فلا ينازع فيه ، وأن وصله والقرب منه إذا حصل وتمكن الالتذاذ به مناسب لكماله ، قرب لا يغيره بعد ، وصفاء لا يشوبه كدر ، وخلودا لا يوهنه زمان ، قد ترفع عن الأغيار والأضرار ، والخواطر والملال والسآمة ، لا إله إلا الله[5] .

(١٦٢) يا ماذا خسر المبطون إما أشأم من أضاع حظه من هذا الجمال الفياض ، والكمال المحض ، والوجود المطلق !

---

(١) فى الأصل (هو بالحب أولى) .

(٢) فى : ظ ، س ، (رضى الله عنه) (٣) فى : ظ (ودوام وجوبه) .

(٤) فى الأصل و س : فلمحة من لمحات جماله . ولا داعى للفاء فى خبر يكون ، وقد أثبتنا الأصح .

(٥) فى : ظ (لا إله إلا هو) .

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال آخر :

أرض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه
لو لم ينله من العذاب سوى بعدك عنه لكان يكفيه

أليس من تعين جامعاً لأشرف معانى الحب ، وأسباب الكلف والهيام ، يجب له غاية الحب والاستهلاك ؟ ، وأن تكون قوة الحب له (بعد تحقق جلال كماله) (١) بحسب هذه الخلال(٢) والأوصاف فى أنفسها ؟ فإنها إذا كانت فى أعلى الدرجات (من الكمال ، كان الحب لا محالة فى أعلا الدرجات) (٣).

فإن أحبت النفس جواداً لجوده ، فأين جوده من جود الله ؟ ، وإن أحبت منعماً لنعمته فأين نعمته من نعمة الله ؟ ، وإذا أحبت جميلا لزائد جماله ، وباهر كماله ، فالله جميل يحب الجمال ، ولا جمال إلا من نور الله . وإذا أحبت نبياً أو هادياً لحكمته وطهارته وحميد خلقه ، ومعرفته بالله ، فأين هذا كله من صفات الله ؟ فالله عز وجل ، قد جمع أشتات المحامد والمحبات ، لا إله إلا هو .

فصـــل

ومما هو معهود من أخلاق (٤) النفوس ، وسجايا الذوات ، المذكورة فى فطرها السليمة ، الجنوح إلى الكمال ، والحرص على الفضائل المؤدية

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س (٢) فى الأصل (هذا الخلال) .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س . (٤) فى : ظ (اختلاق) ، تحريف .

إليه ، (و) أنها متى اشتاقت إلى الاتصاف بالعلم ، أو التجوهر [١] بالصنائع ، وتعرفت أن قائماً على ما تخطبه من ذلك ببغداد مثلا ، قد وَقف على بعض آثاره الغريبة ، وموضوعاته البديعة ، (فـ) بإن الشوق [٢] لا بد أن يحركها إليه ، ويهزها إلى لقائه ، والاستفادة منه ، ويسهل عليها الرحلة البعيدة ، وهجر البلاد ، ومفارقة المنشأ والأتراب ، ومجال المتعشقات ، وخوض البحار ، وتجوّب القفار (٣) والأخطار ، والاستهداف للأمراض ، ومكابدة البرد والسموم ، ومعرة البقع الوبيئة ، إلى أن تفوز [٤] بمطلوبها ، من كمال يصاحبها مصاحبة منقطعة غير دائمة ، محدودة بأمد الحياة (٥) ، وربما عاقها عن كمال أعظم ، ومنال (٦) أشرف ، لا نسبة (٧) بينه وبين ما عاق عنه ، وإن كان شريفاً .

فكيف لا يقع الشوق والحنين ، من النفوس الصافية الزكية ، إلى العالم الإلهى ، الذى كل كمال وجمال ، ونور وإدراك ، وإشراق وبهجة ، ولذة باقية خالدة هو معناه ، ومنه استفيد ، ومن تلقائه (٨) قبلته ذات كل شيء ، إلى أن يبلغ القرب منه . والاتصال به ، فينسى الوصف المشاهدة ويربى على الخبر الخبر .

كانت مساءلة الركبان تخبرنى عنكم قبيل التدانى طيب الخبر (٩)
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

---

(١) فى : ظ (أو الجوهر) . خطأ
(٢) فى : س (وموضوعاته البديعة إلى التشوق) ، تحريف .
(٣) فى : ظ (الغبار) . (٤) فى : ظ (إلى أن يفوز) ، تصحيف
(٥) فى : س (محدود بأمد الحياة) . (٦) فى : ظ (و متال) .
(٧) فى : ظ (ولا نسة) . (٨) فى : (من تاقائه) .
(٩) فى : ظ ، س (عن فضلكم وعلاكم أطيب الخبر)

وقال الآخر :

من زار ربعك لم تبرح جوارحه ... تروى لطائف ما أوليت من منن
فالعين عن قرة(١) والكف عن صلة ... والقلب عن جابر والأذن عن حسن

اللهم هب لنا الكمال المحض ، باستغراق ذواتنا فى نور ذاتك ، ووفقنا للاتصاف بصفاتك .

(١) فى ظ (عن قوة) وفى البيت توريات

القسم الخامس

في بيان الجدوى (١) في معرفة الله [٦٢ ب] عاجلا وآجلا :

قال المؤلف رحمه الله : قد تقرر في العقول ، مما لا شك فيه أن الحياة — وهي مدة اشتغال النفس بتدبير البدن — أمد معلوم ، وحد محدود ، والأيام تنقصه (٢) شيئاً فشيئاً ، والزمان يتحيفه جزءاً فجزءاً :

من لم يمت غبطة يمت هرما   الموت كأس والمرء ذائقه

وحال الحياة في هذه البرهة ، وهي زبرج(٣) الدنيا كما تقرر محبوب ، والنفس به شديدة العلاقة ، لا تعرف غيره ، ولا تألف سواه ، ولايستقيم ملكها إلا به . ولا ينتزع إلا كما قال :

وبفك اليدين عنها تخلي

وبقدر العلاقة المرسومة (٤) به تكون الحسرة عند فراقه ، والأسف عليه بين يدي انتزاعه واستلابه ، وعظم السكرات والزفرات لترك صحبته وفقد ألفته ، وبقدر ما يخف من الكلف به ، والرغبة عن صحبته ، تخف الآلام ، ويسهل الفراق ، وتنخفض الحسرة .

ولا يقلع من القلب إلا بمزاحم يزعجه ، وغير يخلفه ، فإذا ارتسم في النفس عوضاً منه حب الحبيب الحق الباقي ، والأنس به ، والاشتياق إلى لقائه ، فهناك لا شك تنقلب الحسرة سروراً ، والألم يتخيل القرب منه لذة . وما ظنك بمحب قد استشعر النعيم بلقاء محبوبه ، من بعد طول شوقه ، والتمكن من مشاهدته أبد الآباد من غير ملل ولا كدر ، ولا رقيب ولا مزاحم ، ولا خوف انقطاع .

---

(١) ق : ظ (الجدود) .
(٢) ق : ظ (ملتقطه) .
(٣) ق ، : ظ ، س (وردح) .
(٤) ق : ظ ؛ س (المشئومة) .

وبحسب تمكن المحبة ، وقوة الكلف بالمحبوب ، والشغل به عن غيره تكون اللذة بقربه ، والابتهاج بالقدوم عليه ، ولا شك أن هذه سعادة عاجلة ، يستدفع بها [كل] (١) مكروه مظنون (٢). ويستسهل [كل] موقف صعب . ولو أن طبيباً انتصب لتخفيض سكرات الموت ، أو كان عنده دواء لصعوبة الحِمام ، لم يبخل عليه [طالبه] بذهب ولا ورِق (٣) ، ولا مال ولا نشب (٤). فهذه سعادة عاجلة لا خفاء فى قدرها ، وأين الزهد من المعرفة ، وأين المعرفة من تمام النظر . والزهاد مع هذا يقول أحدهم : « لو علم الملوك ما نحن فيه ، لقاتلونا عليه بالسيوف » ، و [العارف يقول] : « من عرف ما أخذ هان عليه ما ترك » .

وأما الآجل فقد تقرر أيضاً أن أسعد الخلق يوم القيامة ، وأغبطهم فى الدار الآخرة ، أقواهم حباً لله ، إذ الآخرة معناها القدوم على الله ، وبقدر حبه تكون درجاته فى النعيم ، « وللآخرة أكبر درجات ، وأكبر تفضيلا » .

أما باعتبار الوسائل والأعمال ، أو الرياضات المقربة إلى الله ، فالرياضات من لوازم المعرفة ، والمعرفة من ملازمات المحبة ، والمحبة سبب القرب ، والقرب سبب النعيم المقيم .

وأما من حيث التحقيق فقال أرباب الإشارات : إن الله عز وجل يقول وقوله الحق : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق » . فقد بان أن الذى جنى عليهم العذاب إنما كان فرقتهم وشركهم ، وهو الذى يرتفع جملة عند تناهى المحبة . وشاهده الحديث الذى عليه مدار هذا التأليف : « فإذا أحببته كنت سمعه وبصره » .

---

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٢) ى : س (مكررة مضمون)

(٣) الورق : الفضة .

(٤) فى : ظ (ولا نسب)

والله ما أحببت غيرك منعما (٦٣ ا)
أليـــة بَرٍّ لا يخـــاف فيستثنى
وان لم تـكن عندى كسمعى وناظرى
فلا نظرت عينى ولا سمعت أذنى

خاتمـــة :

وتفاوت الناس فى المحبة ـ مع أن المؤمنين يجمعهم القدر المشترك من محبة الله (بحسب) تفاوتهم فى معرفة الله ، على معنى المعرفة ، فإنه إن جهلت الأولى لم تحصل المحبة ، وإن جهلت الثانية لم تتم المعرفة .

وتفاوتهم فى المعرفة بحسب الشواغل عن الله ، وتفاوتهم فى الشواغل عن الله بحسب تفاوتهم فى حب الدنيا ، إذ النفوس مفطورة على معرفة الله ، صالحة لا كتسابها : « وقد أخذ ميثاقـكم إن كنتم مؤمنين » . إلا أنها لما اغتبطت بصحبة الأجسام ، وطالت مؤالفتها إياها ، وغلب عليها سلطان الحس ، فنازع (الحس) العقل وحجبه ، حتى أن كثيراً منها لا تعقل أن وراء هـــذه الأجسام لذة ، فلا شوق لها إلى عالم غير عالم الأجسام ، ولا تشعر أن لها عالما آخر و (لـكنها) لم تعرفه .

فلذلك رأى الهداة من أنبياء الله وأوليائه ، أن صرفها عن هذه الجنبة التى ولعت بها لا يتـأتى إلا بإحـداث عشق عنيف ، هو أشد من عشقها (للمحسوس) ، إلى معشوق (هو)(١) أتم وأكمل لذة عند من ذاق معرفته ، من لذات المحسوسات ليصرفها (بذلك) (٢) عن عشق لذات الحس ، التى صدتها ، وحجبتها عن سعادتها .

فمن الناس من ليس له(٣) من الله إلا ذكره بلسانه (٤) متى اتفق ، وهو

(١) ساقطة من : ظ ، س .
(٢) ساقطة من : ظ
(٣) فى : س : (فمنهم من ليس له) .
(٤) فى : س (تذكره بلسانه)

معدود ممن سبح بحمد الله من أجزاء العالم الخسيسة ، إلا أنه (مثاب) (١) معاقب سيء العقبى .

ومنهم من ليس له من الله إلا صفاته وأسماؤه ، تلقوها عن غير علم(٢) بحقيقتها ، وآمنوا بها ، وقرنوا ذلك بإيمانهم تصديقاً ، من غير تخيل معنى لا يليق بها ، وهم أصحاب اليمين .

ومنهم من تخيل لها معنى لا يليق بها ، وهم الضالون الذين يحشرون مع ماتوهموه .

ومنهم الذين تلقوها ، وعرفوا حقيقتها ، وهم المقربون. قال الله سبحانه (وتعالى)(٣) : « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم » .

---

(١) ساقطة من الأصل : وزيدت من : ظ . يعني أنه مثاب على ذكر اللسان ، معاقب على غفلته عن مراقبة الله بقلبه .

(٢) في : ظ ، س : من غير علم .

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

القسم السادس

فى لزوم المحبة (للمقامات) (١) واختصاصها بتلك الكرامات :

قال المؤلف رحمه الله(٢) : اتفق أرباب هذا الفن ، المفتوح لهم (٣) .
باب الله إليه أو به أو بعده ، أو كيفما شئت .

ستكفيك من ذاك المسمى إشارة ودعه مصونا بالجمال محجبا
أشرنا بوصف واحد من صفاته تكن مثل من سمى وكنىَّ ولقّبا

(اتفقوا) على أن المحبة أصل وعنصر ، وباب جامع لجميع مقامات(٤) الصوفية ، والأحوال الذوقية ، وأن المقامات مندرجة فيها . وقال (٥) أبو القاسم بن خلصون ، رحمه الله : « كل مقام من المقامات ، إما أن يكون(٦) متقدما (عليها) (٧) كالتوطئة ، أو متأخراً كالفرع ، وأن جميع المقامات مطلوبة من أجلها ، وهى مطلوبة لذاتها » . ونحن نلمع بشىء من ذلك ، مستعينين بمن لا إعانة إلا منه .

أما التوبة : فقد جعلناها (٨) من أسباب المحبة ، (٦٣ ب) ومقدماتها ، وهى علة (٩) فى وجود المحبية والمحبوبية ، بقوله تعالى : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . وهى بمنزلة الاغتسال (١٠) لتلقى الشهـــادتين عند المستفتح باب التوحيد ، وتوبة الخواص تطهير السر عما سوى الله ، ولزوم المحبة لهذا المقام ، وسريان عروقها فيه سابقة ولاحقة لاتخفى .

---

(١) ساقطة من الأصل
(٢) ق : س ، ظ (رضى الله عنه)
(٣) ق : الأصل (المفتوح بهم) .
(٤) ق : ظ ، س (المقامات الصوفية)
(٥) فى : ظ (وقالوا) تحريف .
(٦) ق : الأصل (فإما أن يكون)
(٧) ساقطة من : س
(٨) ق : ظ (جعلها) .
(٩) فى الأصل : (علية ق وجود) .
(١٠) ق : ظ ، اعتسال .

وأما الخوف فهو السوط الذى يسوق متنبذ (١) الركب ، إلى مناخ التوبة (قبل أن تهلكه المفازة)(٢) ، قال الله سبحانه : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وعلاقته بالمحبة غير خافية ، فإن كان سببه تذكر تقصير كان ندما ، أو تألما لفوات محبوب فى الماضى ، أو نزول مرهوب فى الآتى ، تمحض خوفا ، وهو مقام من قسم أضغاث الزمان ، وحالاه عند المحققين عدمان .

وينقلب فى حق المستغرق فى المشاهدة هيبة ، وهى مسببة عن تعظيم المحبوب ، ودائمة بدوامه .

وأما الزهد فمقام بدايته قاصرة ، ونهايته لا تدركها مقلة ناظرة(٣) ، ولا تحصر فضلها فكرة حاصرة(٤) ، فهو مدرج العموم ، ومصرح الهموم ثم مرقى الخصوص إلى المقام المعلوم ، وحقيقته : الخروج عما سوى المحبوب . فان كان مع قدرة عليه ، فهو زهد وإن لم تكن قدرة فهو فقر(٥) ، وحظ الخواص منه الزهد ، حتى فى الزهد . قال الشاعر :

---

(١) فى الأصل : مستبق الركب . (٢) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل . و زيد من : ظ .

(٣) فى : ظ ، س باصرة . (٤) فى : ظ حاضرة .

(٥) ما دام الحديث عن مقامات الصوفية ، فلم يوفق ابن الخطيب هنا ، لأن الفقر هو غاية الزهد . يعنى تجريد القصد لله دون غيره ، وهو مقام شريف من مقامات الصوفية ، ولعل ابن الخطيب أراد من الفقر معناه اللغوى المتعارف .

وقد اختلف الصوفية فى تحديد المراد من الزهد . فقال بعضهم : هو الخروج عن هوى النفس ، وأخذ البلغة من الطعام والشراب وضروريات الحياة . وقال سفيان الثورى ، ووكيع ابن الجراح ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم : إن الزهد فى الدنيا قصر الآمال ، فمن قصر أمله ، لم يتعم ، وكانت الغفلة منه بعيدة . وقالت طائفة : الزاهد فى الدنيا هو الراغب فى الآخرة . وقال بعضهم : الزهد خروج قيمة الأشياء من القلب .

ويرى البدلاء : أن الزاهد الحق هو الذى تستوى عنده الحجارة والذهب . [انظر كتاب الصدق لأبى سعيد الخراز ٤٦ وما بعدها] ويرى سعيد بن المسيب رضى الله عنه : أنه لا خير فيمن لا يجمع من الدنيا ما يصون به دينه وجسمه ، ويصل به رحمه . وعلى هذا =

وقالت ألم أخبر بأنك زاهد فقلت نعم مازلت أزهد فى الزهد
ومن ترك شيئاً ثم رأى أنه تركه ، فقد بقى له الالتفات إليه.
يوم أزمعت عنك قصد البعاد وعدتنى عن الوداع (١) العوادى
قال صحبى وقد أطلت التفاتى أى شىء تركت قلت فؤادى
وقال الآخر :
لففت رأسى بأسمالى وقد ظعنوا كما أعود نفسى عادة اليأس

يعنى لم أنظر الى طريقهم حتى لا أعلم أين ذهبوا . والمحبة فى هذا المقام متلجلجة (٢) جداً .

أما مقام الصبر فقالوا فيه : حبس النفس على البلوى ، وعقل اللسان عن الشكوى ، لمايثق به من حسن العقبى . وهو من لوازم المحبة ، وهو لجام الشوق الذى يكبح عند الطموح، ويكسر سورة الجموح ، وهو فى حق الخواص : التلذذ ببلاء المحبوب ، واستعذاب العذاب عند استغراق أسرار القلوب ، فى هوى المطلوب ، لمشاهدة المسبب فى الأسباب ، ورؤية المعذب فى العذاب (٣)، فهو أيضاً مظهر للمحبة عال (٤) ، ومختص بها من غير زوال .

= أيضا عبد الله بن المبارك . ويرى وكيع بن الجراح أن الزهد لا يكون إلا فى الحلال ، والحلال مفقود ، فكانت الدنيا بمنزلة الميتة شرعا ، وتجرى عليها أحكام الميتة . ويرى الفضيل ابن عياض رضى الله عنه : وغيره ، أن الزهد لا يكون فى الماديات فحسب ، بل فى المعنويات الرياسة والتصدر وغير ذلك (الطبقات الكبرى للشعرانى) .

(١) ق : س (عن البعاد) .

(٢) الزاهد على الحقيقة لا تتلجلج المحبة فى حقه ، وإنما يحدث ذلك فى الزاهد فى شىء دون شىء ، فهو ممن خلط ويرجى له القبول . والمحبة متأكدة فى حق الزاهد . لأنه وافق محبة الله . وكره مكارهه ، وذلك من علامات المحبة . ولا تتحقق المحبة فى حق من زهد فى شىء ونظر إلى زهده فيه .

(٣) والصدق فى الصبر ألا يحس الصابر ضيقاً فى صدره ، ولا يشكو إلى الخلق . وقد نفى الله الإيمان عمن يجد الحرج فى صدره من القضاء « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

(٤) ق : ظ « عال » .

وأما الشكر : فهو السرور بالنعم ، وحسن استعمالها ، والثناء على منيل نوالها . وحظ[١] الخواص منه رؤية المنعم ، والاعتراف بالعجز عن حق المحبوب ، وألا يشتغل عن الواهب بالموهوب ، إذ الشكر نعمة تستدعى شكراً . قال صلى الله عليه وسلم لما أبهظته سلسلة الشكر : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

يامن تعنى فهو فى سوق المنى   بنفاق شيء همه وكساد
رد الأمور إلى وكيل عالم   وتهن نوم العين فوق وساد

وهذا المقام يتأكد فيه وجود المحبة ، إذ الشكر ثمرة الإحسان ، والمحبة أيضاً [١٦٤ ا] كذلك ، فكأنه قدر مشترك لها ، فهما فيه رضيعا لبان ، وفرسا رهان .

وأما التوكل : وهو إلقاء أزمة المحب بيد المحبوب ، وإعلاق ثقته به . وعند خواص المحبين ، فيه بقية شائبة ، وهيبة غائبة[٢] ، ولذلك لم يعلقوا نفوسهم بشيء ، إلا بذات المحبوب الحق . ولما علم منهم صدق التفويض إليه ، والتعويل عليه ، كفاهم كل شيء . ومن شواهد ارتباطه بالمحبة (قوله تعالى) : « إن الله يحب المتوكلين » .

وأما الرضا : فهو ثمرة من ثمرات المحبة ، ومقام كريم من مقاماتها ،

---

(١) فى : ظ « وخص الخواص » .

(٢) يوضح تلك البقية الشائبة ، ما قال ميمون بن مهران ، حين قيل له : إن هاهنا أقواما يقولون : نجلس فى بيوتنا فترد علينا أرزاقنا . قال : هم قوم حمق ، إن كان لهم يقين مثل يقين إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : فليفعلوا . ولإلقاء الروح فى مقام اليقين هيبة عظيمة حقا . قال ممشاد الدينورى « لوجمعت حكمة الأولين والآخرين ، وأدعيت أحوال الأولياء والمقربين ، لم تصل إلى درجة العارفين حتى يسكن سرك إلى الله تعالى . (الطبقات الكبرى للشعرانى) فحقيقة التوكل القيام بالسبب الذى أقامك الله فيه ، فإن نجحت شكرت ، وإن فشلت صبرت .

فالرضا بجميع ما يفعله المحبوب، قدم فى الحب(١) راسخة، وغرة من غرر القوم شادخة.

وأما التوحيد: فهو أخص المقامات بالمحبة، إذ لا يتعين المحبوب إلا به، فهو مبين المجمل، ومعين المهمل، ومميز وجهة الحب، ومخلص القشر من اللب.

عذبت قلبي فى الهوى فقيامه　　فى نار هجرك دائماً وقعوده
ولقد عهدت القلب فيك موحداً　　فعلام تمضى فى العذاب خلوده

وجميع المقامات والأحوال إما وسيلة إلى المحبة كما قررنا، أو ثمرة من ثمراتها، كالإرادة والشوق، والخوف والرجاء، والزهد والصبر، والتوكل والرضا، والتوحيد والمعرفة.

ومن الدليل عليه: أن الإنسان لا يحب محبوباً إلا بعد سبوق العلم بكمال ذاته، ثم يتأكد ذلك فتحصل المعرفة التى تتمم المحبة، ويتبعها الشوق والوجد إلى القرب، ويلزم عن ذلك الصبر، وينبعث فى أثناء ذلك خوف الحجاب(٢)، وفوات الحظ، ويعارضه الرجاء.

ويثمر الحب الرضا بقضاء المحبوب(٣)، والزهد فيما سواه، وتوحيده وتفريده بالجمال والكمال، وأن ما سواه(٤) عدم، ويسند إليه الأمور بالتفويض. ثم يفيد(٥) الغيرة، فيتأكد(٦) الانبساط من الشكر، وتوحش الصحو.

وأما سائر المقامات والأحوال، التابعة للمحبة، من الأنس والهيبة، والبسط والقبض، والفناء والمشاهدة، فنحن نذكر ذلك، فى غصن.

---

(١) فى: ظ «فى المحب».　　(٢) فى الأصل «خوف الحجبات».
(٣) فى: ظ، س «بمراد المحبوب».　　(٤) فى الأصل: «وأن ما سماه عدم».
(٥) فى: ظ، س «ثم تقرير الغيرة».
(٦) فى: ظ «ويتأكد» وفى: س «ويتوكد».

العلامات إن شاء الله تعالى ، وليس مقصود المحب فى الوقوف مع شىء من هذا كله ، فهو حجاب ، كما قال الصوفى :

قـد كان قلبي مهما دعا مقـاما أجابا
حتى إذا صح قصدى صار المقام حجابا

إنما القصد المحبوب خاصة ، كما قال الآخر :

وكل مقام لا تقم فيه إنه حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

خاتمة :

هل تكتسب المحبة أو تدخل تحت الاختيار ، حتى يتعين أجر مكتسبها ، إذا كانت لا تخلو من نسبة إلى محمود أو مذموم ؟ أو المحبة أمر يطرق الإنسان على سبيل الضرورة التى لا اختيار فيها ، كالخجل والحياء ، والجرأة والذعر ، أو كالجوع والعطش . والظاهر أنها لا من قبيل ما يكتسب ، ولا من جلس ما يختار . « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم (٦٤ ب) ولكن الله ألف بينهم » . إلا أن الإنسان ربما تسبب فيها ، واكتسب عللها ، فإذا أكملت أسبابها ، جعلها الله مقارنة لأسبابها(١) مرتبطة بها كما يخلق(٢) [فى] المواد بالاستعداد المقبول للصور التى تستحقها ، فيفيض عليها من عنده ، لحصولها اضطراراً ، والتسبب(بما)(٣) يكتسب فى سبيل النوال ، جسمانية وروحانيـة ، وكذلك الممازجة ، وسائر الأسباب من الجمال والمناسبة مخلوق لله لا يكتسب .

قال يحيى بن معاذ [الرازى] : « لو وليت حساب الخلق يوم القيامة ، لم

(١) فى : ظ ، س : مقارنة بأسبابها . (٢) ساقطة من : س .
(٣) ساقطة من الأصل ، ظ .

أعذب أحداً من العشاق ، لأنهم لا اختيار لهم فى عشقهم . ومنه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمغيث عند بريرة (١) ، وشفاعة الحسن ابن على ونوفل بن مساحق لقيس المجنون ، وهو مما يقوى ماذهب إليه (٢) والحمد لله (مستحق الحمد(٣)) .

---

(١) فى س ، ظ : « فى بريره » تصحيف

(٢) قال إمام العاشقين سيدى عمر بن الفارض فى نظم السلوك :

بدوت لها فى كل صب متيم ... بأى بديع حسنه وبأية
وليسوا بغيرى فى الهوى لتقدم ... على لسبق فى الليالى القديمة
وما القوم غيرى فى هواها وإنما ... ظهرت لهم للبس فى كل هيئة
ففى مرة قيسا وأخرى كثيرا ... وآونة أبدو جميل بثينة

فالعشاق العذريون ماهم إلا عشاق الجمال المطلق فى صورة الجمال المقيد ، فلو تجردوا من تعلقهم بالماديات وسموا مصطحبين إحساسهم بالعشق إلى العالم العلوى الأقدس لسعدوا سعادة لا يحدها وصف .

(٣) مابين الحاصرتين . ساقط من : ظ ، س .

الفرع الصاعد فى الهواء على خط الاستواء

(قال المؤلف رضى الله عنه (١)) ويشتمل على قشر لطيف، وجرم شريف، وأفنان ذوات ألوان، قنوان وغير قنوان، وطلع نضيد، وجنى سعيد.

فالقشر الحدود والرسوم، وخواص العارف الذى هو المعروف بها والموسوم، والفنون التى تقوم عليها والعلوم.

والجرم: ظاهر الخلق المقسوم، وعلاجه كما تعالج الجسوم، وباطنه المجاهدات، التى عليها يقوم.

وقلبه الرياضة.

والغصون المقامات، فيها المقام المعلوم.

ومادتها السلوك الذى بتدريج غذائه تبلغ الأفنان والورقات ما تروم

والزهرات اللوائح.

والطوالع والبواده، التى لها الهجوم.

والواردات التى تدوم أو لا تدوم.

ثم الجنى، وهو الولاية، التى كان الفارس عليها يحوم.

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، وزيد من : ظ.

القشر اللطيف

وفيه فصول (الفصل(١)) الأول ، حدود المعرفة وأوصافها .

الثانى ، وصف العارف .

الثالث ، تفصيل العارف .

الرابع ، علوم العارف .

الخامس ، فى أقسام العارفين بالله (٢) .

القسم الأول : فى ذكر مقامات(٣) المعرفة

قال المؤلف رحمه الله(٤) : هذا الباب هو جمهور الكتاب ، ومهمه ، والعنفوان الذى أوصل إليه نشوء(٥) المحبة ، ومن بابه يشرع إلى حضرة الفتاح العليم .

والمعرفة فى اللغة العلم . وقالوا فى حد العلم : معرفة المعلوم على ما هو عليه ، فكل علم معرفة . وكل معرفة علم ، وكل عالم بالله عارف ، وكل عارف بالله عالم(٦) . ذكره القشيرى إلا أن المعرفة تتعدى إلى الله بنفس لفظها ، بخلاف العلم . قال بعضهم فى قوله تعالى « وما قدروا الله حق قدره » ما عرفوه حق معرفته . وجاء فى الحديث عن عائشة ، رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن دعامة الدين المعرفة بالله ، واليقين ، والعقل النافع » فقلت : « يارسول الله بأبى أنت ما العقل النافع » ؟

---

(١) ساقطة من : س .

(٢) ساقط من الأصل

(٣) فى : ظ ، س « مقام المعرفة »

(٤) فى : ظ ، س : « رضى الله عنه » .

(٥) فى : ظ « نشوء المحبة » .

(٦) يرى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى أن العلم بالله أعظم من المعرفة بالله ، ويستدل بقوله تعالى « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » (راجع أول مواقع النجوم) الشيخ الأكبر .

فقال : « الكف عن معاصي الله ، والحرص على طاعة الله » ، وهذا من تعريف الشيء بغايته .

قال الشيخ أبو القاسم (الجنيد) : المعرفة عندهم ، صفة من عرف الحق بأسمائه ، وصفاته ، ثم صدق الله فى معاملاته ، ثم تنقى من أخلاقه الرديئة ، وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ، ودام بالقلب اعتكافه ، فحظى من الله بجميل إقباله ، وصدّق الله فى جميع أحواله ، (١٦٥) وقطع عنه هواجس نفسه ، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره ، فإذا صار عن الخلق أجنبيا ، ومن آفات نفسه بريئا ، ومن المساكنات والملاحظات نقيا ، وداوم فى السر مع الله مناجاته ، وحقق فى كل لحظة إليه رجوعه ، وصار محدّثا من قبل الحق ، بتعريف أسراره ، بما يحويه من تصاريف أقداره ، تسمى[١] عند ذلك عارفا ، وتسمى حالته معرفة[٢] .

وبالجملة فبمقدار أجنبيته [٣] عن نفسه ، تحصل معرفته بربه . قال ذو النون : « حقيقة المعرفة اطلاع الحق على الأسرار ، بمواصلة لطائف الأنوار . وسئل الشبلي عن المعرفة ، فقال : (أولها الله ، وآخرها مالا نهاية له » . وسئل بعضهم عن المعرفة ، فقال)[٤] : « موهبة من الله ينور بها قلوب العارفين » .

وقيل . وهو الصحيح : المعرفة وراثة النبوة ، والعارف أنموذج مختصر من النبي (صلى الله عليه وسلم)[٥] قال أبو سعيد الخراز : المعرفة تأتى من عين الجود ، وبذل المجهود . وقيل : العارف الواسطة بين الله وبين عباده من بعد النبي[٦] .

---

(١) ى : ظ : « يسمى عند ذلك عارفا »

(٢) وتلك الأوصاف التى عدها الجنيد من علامات المعرفة هى بذاتها دلائل المحبة وعلاماتها فكأنها والحب واحد فى دلائلهما .

(٣) فى : ظ « حقيته » . (٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٦) هذا القول ، مقدم على قول أبى سعيد الخراز فى : ظ ، س .

وقيل : حقيقة المعرفة ، نور طلع فى قلب المؤمن ، وليس فى الخزانة شىء أعز من المعرفة . وقيل : المعرفة حياة القلب ، يحييه الله بها . « أفمن كان ميتا فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » .

شروط المعرفة وعلاماتها :

قال بعضهم : من لاحظ الكون بسره لحظة ، لاتصح له المعرفة ، لأن المعرفة إذا صحت ، أذهلت عما سوى المعروف .

وقال الشبلى : بداية هذا الأمر حيرة ، ونهايته دهش ، كالطفل ، أوله طفولة ، ثم يرد إلى علم ، ثم يرد إلى جهل .

وقال أبو بكر : ثم يرد إلى أرذل العمر . قيل : لكيلا يعلم من بعد علم شيئا . وهو الفناء .

وعن على بن الحسين(١) : من عرف الله بالاسم ، دون المعنى(٢) فهو كافر ، ومن عرفه بالاسم والمعنى ، فهو يعرف إلهين(٣) ، ومن عرفه بالاختيار ، فهو يدل على غائب ، ومن عرفه بحقيقة المعنى ، فقد عرفه .

وقيل لأبى يزيد : بم عرفت الله ؟ قال : ببطن جائع ، وبدن عار(٤) . وقيل المعرفة توجب الحياء والتعظيم ، كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم .

وقال الدقاق : من أمارات المعرفة بالله ، حصول الهيبة من الله ؛ فمن ازدادت معرفته ، ازدادت هيبته ، « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

---

(١) فى : ط . س : على بن الحسن . (٢) لأنه عطل الأفعال والصفات ، بعدم معرفته لها.

(٣) لأن المعروف اثنين : اسم ، ومعنى .

(٤) أى بالفناء عن شهوات النفس وليس المراد حقيقة العرى ، وإن كانت حقيقة الجوع مرادة ، فقد أجمع أهل التربية الصوفية على أن الجوع يفجر ينابيع الحكمة فى قلب السالك .

وقال أبو حفص : مذ عرفت الله ، ما دخل قلبي حق ولا باطل (١) وإليه الإشارة بقول أبي يزيد ، وقد سئل عن المعرفة : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة (٢) وكذلك يفعلون » .

وقال الواسطى : لا تصح المعرفة ، وفى العبد استغناء بالله وافتقار إليه ، ذكره القشيرى ، أراد أن الاستغناء والفقر ، من أمارات الصحو .

وسئل الحسن عن المعرفة بالله ، أهى كسب أوضرورة، (ف)قال : رأيت الأشياء تدرك بشيئين ، فما كان منها حاضرا فبحس ، أو غائبا فبدليل ، ولما كان الله غير باد لصفاتنا وحواسنا (٣) ،كانت معرفته بالدليل والفحص والاستدلال ، إذ كنا لا نعلم الغائب إلا بدليل . والحاضر إلا بحس . وقال : إن شئت ترتيب المعرفة على المقامات ببيان أقرب ، فاعلم أن المعرفة فى المرتبة الأولى ، وهى مرتبة الإسلام ، وهى معرفة أصل الجسوم (٦٥ ب) ومعرفتهم هى الإقرار بأن الرب موجود ، وأنه (٤) الخالق المعبود ، وقربهم قرب ثواب . وفى المرتبة الثانية ، وهى مرتبة الإيمان ، معرفة أهل النفوس . ومعرفتهم ، أن يسلبوا عن معبودهم نقائص السكون ، وقربهم قرب يقين .

وفى المرتبة الثالثة ، مرتبة الإحسان . وهى معرفة أهل العقول القدسية ومعرفتهم أن يشهدوا معروفهم فى جميع المتفرقات كلها ، شيئا واحدا . ويسمعوا نطقا واحدا ، ويشاهدوا تعريفا واحدا .

---

(١) أى أنه لم يعد أهلا للحكم على شىء من خلق الله بأنه حق أو باطل ، لأن تسميته بالباطل كفر، وتسميته بالحق يوهم احتمال كونه ليس حقا قبل المعرفة. فوقف العارف هنا التسليم المطلق وهذا التعبير من رموز الصوفية .

(٢) أى أن ما علك النفس من الشهوات إذا دخل إلى القلب أفسده وأذل صاحبه ، وهو لون من التفسير الإشارى يحتمله اللفظ بصرف النظر عن أسباب التنزيل ، لأن كثيرا من الآيات عام ورد فى خاص ، وقد أفاض الأصوليون فى هذا الباب فليرجع إليه فى باب « العام والخاص » .

(٣) فى : ظ وحواسها . (٤) فى : ظ وأن الخالق المعبود .

فصول فى المعرفة ، نغازل بها عيون الإشارة * ، إذا قصرت عن تمام المعنى ألسن العبارة :

ولله در القائل :

وإذا العقول تقاصرت عن مدرك   لم تتـكل إلا على أذواقهـا

المعرفة اختراق المراتب الحسية ، والنفوس الجنسية ، والعقول القدسية . والبروز إلى فضاء الأزل(١) ، إذا فنى من لم يكن ، وبقى من لم يزل ، مع عمران المراتب ، ورؤية الجائز فى الواجب :

ومن عجب أنى أحن إليهم   وأسأل شـوقا عنهم وهم معى
وتبكيهم عينى وهم فى سوادها   ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

المعرفة : مقام يأتلف من جمع مفروق(٢) ، وأفول وشروق ، وسل عروق ، ورد مسروق ، حتى يذهب الكيف والأين (٣) ، ويتعين العين ، فيجمع العدد ويجمل ، وينحى السوى ومع ذلك لايهمل .

للعـدا منك نصيب   ولك السهم المصيب
إنمـا يومـك يوما   ن خصيب وعصيب(٤)

---

* فى الأصل تتأول بها عيون الإشارة .

(١) فى : ظ فضاء الأجل .

(٢) الجمع : أن يرى السالك جميع المخلوقات عائدة إلى أصلها ، فيشهدها فيه ، ولا يشهد غير الله ، والجمع المفروق : أن ينظر السالك بعد التحقق بمقام الجمع هذا ، إلى الأشياء مرة أخرى بالله ، فيشهده فيها بمعنى شهودها على أنها آثار الأسماء والصفات ، وهى مظاهرها ، فهى خلق بطن فيه الحق ، والحق حق بطن فيه الخلق .

(٣) فى : ظ الأين والكيف .

(٤) فى : ظ ، س وغصيب .

المعرفة مقام سامى المنعرج ، عاطر الأرج ، ينقل إلى السعة من الحرج ؛ ومن الشدة إلى الفرج (١) .

طريقك لا تخفى به إن تتبعت خطاك ولا يخفى مبيتك فيه
متاعك منشور على كل خيمة ورياك أمن لمن توقع تيه

المعرفة عين ، إن لم تبصر أجزاءها ، أحسن الله عزاءها . وحقيقة إن لم يجعل الفرق إزاءها ، كانت العبر جزاءها ، فهى دائرة ، مركزها يجمع ، ومحيطها (٢) فى التفريق يطمع ، ليستقل الملك أجمع ، ويرى من يرى ، ويسمع من يسمع :

بعد المحيط من المحدد واحد والكل فى حق الوجود سواء
والحق تعرف ذاته من ذاته صح الهوى فتلاشت الأهواء

المعرفة صعود ونزول ، ووقوف ووصول ، فلا الوصول عن البداية يقطع ، ولا البداية عن النهاية تمنع ، من له الأمر أجمع ، كل ما شاء يصنع حصل القصد واستقر ، فلم يبق مطمع . العارف فى البداية يشكر الراكع الساجد ، ثم يعذر الواجد المتواجد ، ثم يرحم المنكر الجاحد ، فإذا انمحى ، وَرَدَّ العدد إلى الواحد(٣) ، قال لسان حاله :

من رأى لى نشيدة أو على عينها عثر
فله الحكم قل له ذهب العين والأثر

---

(١) فى : س : تنقل من السعة إلى الحرج ، والسياق لا يقتضيه .
(٢) فى الأصل : ومحيطها .
(٣) إشارة إلى مقام الجمع ، أى رد المظاهر المتفرقة إلى أصلها الواحد ، سبحانه وتعالى .

القسم الثانى فى ذكر العارف

وهو صاحب مقام المعرفة

سئل أبو أتراب (النخشبى) عن العارف ، فقال : الذى لا يكدره شيء ، ويصفو به كل شيء . وقال : تضىء له أنوار العلم ، فيبصر بها عجائب القلب .

وقال شارح المجالس : العارفون قائمون بالله ، قد تولى الله أمرهم (٦٦ ا) ، فإذا ظهرت منهم طاعة ، لم يرجوا عليها ثوابا ، لأنهم لم يروا أنفسهم محالا لها ، وإن ظهرت منهم زلة ، فالدية على العاقلة ، لم يشاهدوا غيره فى الشدة والرخاء ، قيامهم بالله ، ونظرهم إليه ، وخوفهم هيبتهم ، ورجاؤهم الأنس به .

وقال الجنيد : العارف ، من نطق الحق عن سره ، وهو ساكت .

وقال رويم (البغدادى) : العارف مرآة ، إذا نظر فيها تجلى له مولاه .

وقال الشبلى : للخلق أحوال ، ولا حال للعارف ، لأنه محيت آثاره ورسومه ، وفنيت هويته بهوية غيره ، وغيبت آثاره ، بآثار غيره ، والله أعلم .

أوصاف العارف وعلاماته :

قال الرئيس : العارف هش بش بسام ، يبجل(١) الصغير من تواضعه ، مثل ما يبجل(٢) الكبير ، ويبسط من الخامل ، مثل ما يبسط من النبيه ، ثم علل فقال : وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق ، وبكل شىء ، فإنه يرى فيه الحق . إنى لأجد ريح يوسف :

---

(١) فى الأصول : « فيبجل الصغير » .

(٢) فى : ظ « مثل ما يجل الكبير » .

لمحت نارهم وقد إعسعس الليـ ل ومل الحـادى وحار الـدليل
فتأملتهـا وقلت لصـحبى هذه النـار نار ليلى فميـلوا

والعارف شجاع . وكيف لا ؟ وهو بمعزل عن هيبة الموت ، وجواد . وكيف لا ؟ وهو بمعزل عن صحبة الباطل ، وصفاح . وكيف لا ؟ ونفسه أكبر من أن تخرجها زلة بشر . ونساء للأحقاد . وكيف لا ؟ وذكره مشغول بالحق .

وقالوا : من عرف الله ، صفا له العيش ، وطابت له الحياة ، وهابه كل شيء ، وذهب عنه خوف المخلوقين ، وأنس بالله رب العالمين .

وقال الشبلي : ليس لعارف علاقة ، ولا لمحب شكوى ، ولا لعبد دعوى ، من عرف الله انقطع ، بل خرس وانقمع ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وقال (آخر) (١) : قالوا علامات العارف ثلاث : لا يطفيء نور معرفته نور ورعه(٢) ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم (٣) .

وقال آخر : أبى العارف أن يتعلق قلبه إلا بالله فأصبح محبا له ، إن أهانه أو قربه ، كالطفل يلوذ بأمه ، إن طردته من جانب ، جاءها من الجانب الآخر ، وإن شغلته ، لم يشتغل بشيء عنها ، وإن أبعدته ، لا يسكنه عنها شيء . وإن قربته لا يطلب شيئا سواها .

---

(١) ساقط من : ظ ، س .
(٢) أى لا تخرجه المعرفة والتحقيق عن الورع الذى هو أساس من أسس المعرفة
(٣) هذا رد على من يتهم الصوفية بأن بعض علومهم يخالف الكتاب والسنة ، ويلاحظ أنه لم يذكر العلامة الثالثة ؟

قال أبو الفرج : إذا جلست فى ظلام الليل ، بين يدى سيدك ، فاستعمل أخلاق الأطفال ، فإن الطفل إذا طلب من أبيه شيئا فلم يعطه ، بكى عليه . وهذه كلها قشور وأقاويل ، لا تكشف عن حقيقة العارف ، وربما أعطت الفصول المتقدمة دراً من أمره ، وحقيقة العارف ، يظهر ظاهرها من علومه ومعارفه ، المنوطة بمقامه . وباطنها لا تسعها العبارة :

لأبى الحسين جداً يضيق وعاؤه عنه ولو كان الوعاء الأزمنا

القسم الثالث

تفصيل العارف

النصراباذى : الزاهد غريب فى الدنيا ، والعارف غريب فى الجنة ، لأن تاركى الدنيا قليلون ، فهم غرباء ، وكذلك أهل الجنة ، قنعوا بنعيمها . والعارفون ، تعلقت هممهم بالحق ، فلم يشغلهم عنه نعيمها(١) ، فهم فيها غرباء.

قال ذو النون : الزهاد ملوك الآخرة ، وهم فقراء العارفين (٦٦ ب).

وقيل : العارف فوق ما يقول . (والعالم دون ما يقول) (٢) .

وقيل : العالم يقتدى به ، والعارف يهتدى به .

وقال رويم : رياء العارفين ، أفضل من إخلاص المريدين .

وقيل (٣) : الزاهد صيد الشرع من الدنيا ، والعارف صيد الحق من الجنة . حكاه القشيرى

حاله فى الحظوظ وترقيه عنها :

قال الشيخ : غرض غير العارف ، بالرياضة ، أخذ الأجرة فى الدار الآخرة على عمل ، وغرض العارف أن تكون القوى الجسمانية مناسبة للأمر الذى هو مطلوب النفس ، وهو الاستغراق فى الله ، حتى إذا صارت مطيعة لها مسخرة فحينئذ تكون غير مخالفة لها فى أفعالها .

وقال : العارف يريد الحق الأول ، لا لشىء غيره ، ولا يؤثر شيئا على عرفانه ، وتعبده له فقط ، ولأنه مستحق للعبادة ، ولأنها نسبة شريفة إليه

---

(١) ى : ط عنها ، وهو تحريف (٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل: وزيد من : ط

(٣) قد يكون ما ظاهره رياء من العارف للتعليم كأن يصلى أمام تلاميذه نفلا طويلا مثلا ، ولكن قلبه معمور بالإيمان ، وقد يكون إخلاص المريدين منارا لبعض الدسائس النفسية كالفرح بالطاعة ، والوقوف عند هذا الحد . والوقوف ليس من التصوف فى شىء ، لأنه انطلاق لا نهائى فى سبيل المعرفة .

لا لرغبة ولا لرهبة ، وإن كانتا فيكون المرغوب فيه ، والمهروب عنه(١) هو الداعي ، وفيه المطلوب . وتكون (الرغبة والرهبة) (٢) ليسـ(تا) الغاية ، بل الواسطة ، وإليه الإشارة بقوله : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله (٣) لم يعصه » .

ويذكر عن رابعة أنها قالت : والله ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعا فى جنتك ، وهو عنها مشهور . ويستجفى(٤) لأول وهلة . ومن شعرها فى هذا المعنى :

أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذا كا

وقال الحلاج : علامة العارف ، أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة .

وقال يوسف بن على : لا يكون العارف عارفا ، حتى يكون بحيث لو أعطى مثل ملك سليمان ، لم يشغله عن الله طرفة (عين) (٥).

قلت : ويرحم الله القائل :

---

(١) فى : ظ والرهوب عنه

(٢) فى : ظ ويكون الحق ليس الغاية بل الواسطة ، ويدل على صحة ماأثبتناه ، قوله بعده وإليه الإشارة بقوله عن صهيب ...الخ .

(٣) فى : ظ لو لم يطع الله .

(٤) خصص الشيخ أحمد زروق فصلا فى قواعده فى مثل هذه العبارة يرفع الإشكال عنها فقال فى القاعدة (٢١٧) : « تعظيم ما عظم الله متعين ، واحتقار ذلك ربما كان كفرا ، فلايصح منهم قولهم : ماعبدناه خوفا من ناره ، ولا طمعا فى جنته على الإطلاق. إما احتقاراً لهما وقد عظمهما الله تعالى فلا يصح من مسلم ، وإما استغناء عنهما ولاغنى للمؤمن عن بركة مولاه ، نعم لم يقصدوهما بالعبادة ، بل عملوا لله لا لشىء ، وطلبوا منه الجنة والنجاة من النار لا لشىء ، وشاهد ذلك فى قوله : إنما نطعمكم لوجه الله ، إذ جعل علة العمل إرادة وجه الله . ثم ذكروا خوفهم ورجاءهم مجردا عن ذلك . وفى الخبر : لا يكون أحدكم كالعبد السوء ، إن لم يعط الأجرة لم يعمل .

(٥) ساقطة من الأصل ، ط

أتراه لو زيد لفعل ؟ ! لم يشم هذا (القائل) معنى العارف.

ولو قيل للمجنون ليلى أوَصْلها   تريد أم الدنيا وما فى طواياها ؟
لقال غبار من تراب نعالها   أحب إلى نفسى وأشفى لبلواها

وقال آخر :

والله لو أنك توجتنى   بتاج كسرى ملك المشرق
ولو بأموال الورى جدت لى   أموال من مات ومن بقى
وقلت لى لا نلتقى ساعة   لاخترت يا مولاى أن نلتقى

القسم الرابع

فى علوم العارف

قال المؤلف رحمه الله (١) : وعلوم العارف على ضربين : إجمال ، وتفصيل .

فالإجمال من حيث هو ، قد آتاه الله الحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً (٢) » أن يعرف جوهر نفسه ، وكيف تصير عقلا بالفعل ، وتتخلص من كدرات الطبيعة ، وتتجرد عن جميع العلائق القاطعة . عن السبب الأول : ويكمل جوهرها ، كما تحب ، فيستقيم معراجها إلى الأول ، ولا يمتنع عن سروره وفرحه فى وقت من الأوقات ، ولا يعجز عن شىء ويريده ، ويتمم غيره ، ويخلص الفطر الناقصة ، بعلم أجل وأعلى من العلوم المكتسبة والنظرية ، والأعمال البدنية ، والتخلق على ما ينبغى ، وهذه النفس لا تحتاج فى سعادتها ، وتتميمها ، إلى غيرها من النفوس (الجزئية) (٣) ، وجميع النفوس الجزئية محتاجة إليها ، وآخذة منها وتابعة لها ، وهو إذا استكمل بأكثر هذه الخواص(٤) ، فمن حيث هو وارث ، فإن وظيفة الحكيم ، أن يعلم النفس وعللها ، ولا يترك شيئاً من الصنائع العلمية والعملية ، (٦٧ ا) التى تعطى تدبير الإنسان ، إلا نظر فيه وحصله ، واتصف به ، ثم حمل نفسه من المشقات التى تحصل باكتساب الصنائع المذكورة بها ، وبالصبر عليها ، وتمرن وبحث عن حقائق الموجودات ، ووقف على ماهيتها ، وفكر فى الأول الحق(٥) ، ونظر فى الذى يجب عليه ،

---

(١) فى س ، ظ : « رضى الله عنه »

(٢) أروع ما كتب فى تفسير هذه الآية الباب الأول من « علم القلوب » لأبى طالب المكى ، القاهرة ١٩٦٤

(٣) ساقطة من الأصل ، ظ

(٤) فى : ظ : بأكثر عدد الخواطر ، وفى : س : بأكثر هذه الخواطر

(٥) فى : الأو وفكر فى دلائل الحق

يجوز ويستحيل ، وطلب القرب منه ، والوصول إلى المبدع الأول ، بالعلم لا بالتجوهر (١) ، واستقام وبلغ كمال الإنسانية ، وخلص العلم بنفسه وعقله إلى حيث ينبغي ، وبقدر ما ينبغي .

والتفصيل من حيث الوراثة أن يعلم حسبما يعتقده أهل هذا الفن ، أن موروثه الذى لا ينطق عن الهوى ، قد بلغ كل ما أمر به فى تجلياته ، وإسراءاته ، وتنزلاته ، ورأى من آيات ربه الكبرى ، وعلّم تصريحاً كل ما تكمل به الشريعة ، مقنعاً لكل من سمعه ، وكفاية (٢) لكل ذى همة باعثة ، وإشارة لكل ذى نفس مستشرفة . ورمزاً لكل ذى عقل مصيب فهم كل على قدر ما رزق ، فكان[٣] رجال الشريعة من بعده أربعة :

أولها : عامى يختص به من علومها ظاهر ، يقال له علم الرسوم ، وعلم التفسير ، أى تفسير الحدود (الظاهرة) (٤) ويكشف عن الحلال والحرام ، وهذا العلم ينبغى تعلمه وتعليمه ، وإشاعته ، وهو لا يدرك إلا بالتعلم والدراسة ، ويزيد وينقص . وعلم الرسوم ، وهو علم محفوظ ، مسموع ، من لسان الشارع ، (صلى الله عليه وسلم) (٥) وهو الإسلام .

وثانيها خاص ، يختص به من علومها علم باطنها ، بشرط تحصيل علم ظاهرها ، ويسمى علم الباطن ، وعلم التأويل (٦). أى تأويل ما تضمنه الرسم من المعنى ، وتحقيق ما انطوى عليه من الفوائد ، ويسمى الحكمة (٧) وهو الاطلاع على حقيقة المراد من الرسم (٨) ، وهذا العلم كثير لا يوصف

---

(١) فى الأصل ؛ ظ لا بالجوهر ؛ يقصد بلا حلول ولا اتحاد ، وهو حقيقة رأى الصوفية

(٢) فى الأصل : وكفاية لكل ذى همة

(٣) فى : ظ وكان

(٤) ساقطة من : س

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ

(٦) فى الأصل علم التنزيل ؛ والترجيح من : ظ

(٧) فى : ظ ، س وتسمى

(٨) فى : ظ ، س المراد بالرسم

بقلة ، فإنه بحر ، ولا يدرك هذا العلم بدرس ، ولا تعلم ، ولا تعليم . (وهذا العلم) (١) إنما يدرك بهداية (الله) (٢) ، والتعرض لهذه الهداية يتعين(٣). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله فى أيام دهركم (٤) نفحات ، ألا فتعرضوا لها » وهذا التعرض لا يكون إلا بطهارة الظاهر والباطن ، وأداء الحقوق الشرعية ، وامتثال الأوامر ، والتقرب إلى الله بالنوافل ، يتقرب بها العبد حتى يحبه . ويقيد هذا العلم ، بالعلم الإيمانى . فهو علم (٥) الإيمان ، ومن لم يحصل عليه ، فقد فاته خير كثير . و (هو)(٦) نتيجة للتقوى (٧) .

وثالثها : خاصة الخاصة . ويختص به من علوم الشريعة ، علم الحد ، متضمناً لتحصيل ما تقدم ، قال صلى الله عليه وسلم « لكل آية من كتاب الله ظاهر وباطن ، وحد ومطلع » وفى رواية : « لكل كلمة ولكل حرف » وهو علم الإلهام ، والعلم اللدنى ، والموهبي . والإلهى ، وهو فضل من الله ، يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . ويحتوى على معان لا يقدر أن يعبر عنها من اطلع عليها ، إنما هو استشراف واطلاع (٨) على ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وهو بحر لا يوصف بطول ولا عمق ، ولا عرض ولا نقطة ، ولا خط ، إنما هو ذوق تتلون(٩) ، لذاته فى الطعمة الواحدة إلى ما لا ينحصر عدده ، ولا ينتهى

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ؛ س

(٢) ساقطة من : ظ ، س (٣) فى : ظ متعين

(٤) فى : ظ ؛ س فى أيام دهره (٥) فى : ظ فهو عالم الإيمان

(٦) ساقطة من : ظ

(٧) ولا يدرك هذا النوع ولا النوع الذى يليه بالتعلم والدرس ؛ وقد نبغ من الصوفية أميون ونقل عنهم مريدوهم علومهم فكان آية فى السمو والخفاء ، ومنهم الشيخ عبد العزيز الرباغ الذى نقل عنه ابن المبارك كتاب الإبريز ، والشيخ على الخواص روى عنه الشعرانى والسيدة عجم بنت النفيس البغدادية شارحة المشاهد القدسية للشيخ الاكبر ، قال تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » :

(٨) فى : ظ ، س اطلاع واستشراف (٩) فى : س فيكون لذاته .

أمده ، وهو علم النبوة . وحملته هم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « علماء أمتى كأنبياء (٧٦ ب) بنى إسرائيل(١) » قالوا : وهذا العلم هو الذى لا يجوز كشفه ، ولا إذاعته ولا ادعاؤه ، ومن كشفه وأذاعه وجب قتله واستحل دمه (٢) . وينسبون فى ذلك إلى خواص النبوة وخلفائها كثيراً كقوله :

يارب جوهر علم لو أبوح به   لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولا استحل رجال مسلمون دمى   يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وغاية من اطلع عليه ، الحصول فى العجز ، ولذلك قيل : العجز عن درك الإدراك (إدراك)(٣) . وهو المراد بقوله تعالى « ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير » والعلم الذى قبله ، فى جنسه كلا شىء . وهذا هو علم الإحسان .

والرابع من رجال الشريعة ، خواص الله فى أرضه ، ورحمته فى بلاده وعلى عباده(٤) ، وهم الأبدال ، والأقطاب ، والأوتاد ، والعرفاء ، والنجباء ، والنقباء ، وسيدهم الغوث ، ويختص بهم من علوم الشريعة علم المطلع ، متضمنا لما وراءه من العلوم ، وهذا العلم هو العلم العظيم ، المحتوى على جميع العلوم ، وهو علم الرسالة ، ولا يقدر على وصفه من اطلع عليه ، ولايعلم ماهيته ، بل لا (ماهية)(٥) له ، إنما حامله حامل أسرار ، ومعان وأبكار حسان ، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان .

---

(١) ق : ظ ، س . علماء أمتى أنبياء من قبلهم .

(٢) لمافيه من بلبلة لعقائد العامة ، وفتح باب الدعاوى العريضة التى يتشدق بها المرتزقة من مدعى الجذب وغيرهم ، فقتل مثل هؤلاء أمر شرعى لأنهم يفتحون أبواب الزندقة ، وقد شهد الجنيد على الحلاج وأقر قتله .

(٣) ساقطة من : ظ .   (٤) فى الأصل : على عباده . والترجيح من : ظ .

(٥) ساقطة من : ظ . وفى : س لا نعلم ماهيته ماهية بذلا .

(تكملة تتعلق بعلم العارف ، الذى استحق به وصف العرفان)

وهو أن الحق ليس بينه و بين الخلق نسب ، إلا العناية ، ولاسبب إلا الحكم ، ولا وقت إلا الأزل ، بل باين الخلق بمعرفته ، « والله يعلم وأنتم لاتعلمون » وواصلهم(١) بلطفه ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » فتفضل بالإيمان أولا، ثم بالثواب ثانياً ، « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » . ثم لم يكف إنعامه على عبده بالإيجاد ، حتى شرفه بالعقل ، ثم وفقه للهداية ؛ ثم زينه بالعلم ، ثم أكرمه بالتقوى .

فلما وصل إلى هذا الحد ، رقاه من العمل إلى التخلق، باصطفائه لنفسه ، وشغله بذكره ، فلايزال يديمه ، حتى يغلبه ، فإذا غلبه الذكر، فنىَ عن ذكره وإذا فنى عن ذكره ، اصطلمه (٢) حتى(٣) صار كأن لم يكن ، وبقى من لم يزل ، فلا فضل إلا له (لا إله إلا هو)(٤) .

عدم يقلبـــه وجود مطلق كالظل يذهب حيث يذهب صاحبه

فالعارف لاستشرافه على هذه المعارج ، وتعشق نفسه بتلك العوالم المقدسة ، يرتقى من العمل إلى الحال ، حتى يكون همه وهمته الوصول إلى الله ، فلا يلحظ ثوابا ولا غيره ، إنما سعيه فى استفتاح أبواب حضرة الله وإبدال عين ذاته ، فى قدس الله ، مصفقا بجناح الذكر، ومادام يرى ذكره فهو محجوب به .

فإذا فَنِى عن نفسه ، وغاب عن ذكره ، فقد وصل ، فكان الذاكر هو

---

(١) ى : ظ وأوصلهم (٢) سبق تعريفه فى أنواع المحبة
(٣) ى : ظ ، س ، وإذا اصطلمه ، صار كأن لم يكن .
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

المذكور(١)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان الله ولاشيء معه وهو الآن على ماعليه كان » فيكون معه بلا نفس، ثم يرده لنفسه ، ليقيم رسوم(٢) الشريعة ، ويتخلق بآدابها، ويكون(٣) عند ذلك محفوظاً فى نفسه،محفوظاً عليه حاله ، وإلى هذا لا يبقى له من المخبرات إلا خبره عن مَخبَره ، المرتبط بالله ، فخبره عن الله عين(٤) خبره عنه وهو(٥) غيره ، ولا يصح له مع وجود الفناء(٦) . (٧٧ أ) فإذا أخبر عن الله ،ولم يخبر عن مَخبره كان الفناء وتحقق ، وكان المخبر والخبر ، ولم يبق للعبد أثر ، ثم يرده الحق عليه .

قولا لمن سلب العظام لباسها   وسرى إليها العشق من تلقائه
لم يبق منى غير رسم دارس   وأنا الحريص(٧) على ارتفاع بقائه

ثم يرجع من حيث ابتدأ كذلك ، حتى ينتهى فيصير ذلك ديدنا ، فهذا شأن العارف مع الله ، وهذه باكورة(٨) مستعجلة ، وبعدها يقع استيفاء هذا الغرض » بحسب إمداد الله ، الذى لاقوة إلا به .

---

(١) لا يقصد بهذه العبادة وأمثالها مما يتردد كثيرا فى كتب التصوف حلول ولا اتحاد . ولتوضيح ذلك نقول :
يقول الله تعالى « الحمد لله رب العالمين » فهو الحامد وهو المحمود فى هذه الحالة ، فإذا نطق بها العبد لم يكن حامدا على الحقيقة ، بل هو حامد على المجاز ، أما على الحقيقة فالله هو الحامد والمحمود كذلك ، فاذا غاب العبد عن نفسه ، وفنى عن كل حركاتها صار ذكره لله ملكة لايشعر بها ؛ ومن ثم لايشعر بذكره لله . بل يصير مسيرا به، فالله هو الذاكر والمذكور على الحقيقة ، والعبد ذاكر على سبيل المجاز

(٢) فى : ظ ، س « رسم الشريعة »   (٣) فى : ، س « أو يكون »

(٤) فى : ظ . « غير خبر عنه » وفى : س « يخبره عن الله عن خبره عنه »

(٥) أى إن حديث العارف عن الله هو عين حديثه عن إحساسه بتجليات الله . هذا إذا لم يصل العارف إلى درجة الفناء ، فاذا كان فانيا كان أشبه بالمتحدث فى نومه مسيرا بالله فكما أن حديث النائم لاينسب إليه إلا مجازا فكذلك حديث العارف لاينسب إليه إلا مجازا علاقته المحلية فحسب

(٦) فى : الأصل (مع وجود البقاء) .   (٧) فى : ظ ، س (وأنا المريض) .

(٨) فى : ظ ، س (هذه باكورة) .

فمراتب العارف ثلاث : أولها الرجوع عما سوى الله ، وإماطة الحجب ، ويسمى فى هذه الحالة (١) زاهداً ، والحجب المانعة للخلق عن الحق ثلاثة ، حجاب كفر يحجب عن الإيمان ، وحجاب دنيا يحجب عن الآخرة . فطالب الدنيا ، وإن كان مؤمناً ، محجوب بدنياه عن آخرته ، فيكون مجتهداً فى أمر دنياه ، متوكلا فى أمر آخرته :

قياس لعمرى عكسه كان أقيسا

وحجاب عامة أهل الجنة إذا اشتغلوا بنعيمها عن المنعم : « إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون » ، وخواصهم خرقوا هذا الحجاب ، فلم تشغلهم الجنة عن الله طرفة عين ، وورد فى الحديث « اشتاقت الجنة لسلمان وصهيب » كما قال المعرى :

إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت عن الماء فاشتاقت إليها المناهل

ووسطها : الذهاب إلى الله ، فى سبيل الرياضة ، ويسمى فى هذا الحال عابداً .

وآخرها الوصول إلى الله) (٢) ويسمى فى هذا الحال عارفاً بالله ، ولذلك (٣) قال الشيخ : العرفان مبتدأ من تفريق ، ونقض وترك ، ورفض ممعن فى جميع صفات الحق للذات المؤيدة بالصدق ، منتهٍ إلى الواجب (٤) ثم وقوف .

ومن أخبار أبى يزيد ، قال : ركبت مركب المحبة (٥) حتى بلغت سدرة المنتهى ، يشير الى إنتهاء معرفته ، كما أن سدرة المنتهى ينتهى إليها عالم الخلائق (٦)

---

(١) فى : ظ ، س (فى هذه الحال) .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .
(٣) فى : ظ (وكذلك) . (٤) فى : ظ ، س (إلى الواحد) .
(٥) فى : ظ (وكنت مركب المحبة)
(٦) فى : ظ (كما أن سدرة المنتهى إليها ينتهى علم الخلائق) .

كذلك الحب بغير عوض ما وراءه إلا الاصطلام الكلى. قال : فعند ذلك نادانى : يا أبا يزيد ، ما تريد؟ قلت : أريد ألا أريد غيرك ، لأنى أنا المراد ، وأنت المريد ، فاجعلنى أريدك لك ، لا أريدك(١) لنفسى ، ولا تصرفنى عنك لغيرك ، قال : أردتنى لى ، فاصطفيتك لنفسى ، ولم(٢) أكلك إلى غيرى (٣) .

ووراء هذا المقام هو المطلوب ، فصحة الإرادة بذل الوسع ، واستفراغ الطاقة مع ترك الاختيار والسكون تحت مجارى الأقدار ، وثبوت العمل مع سقوط الاختيار ، قالوا : ولا يجتمع هذا إلا لمن يكون حجة على أهل الأرض ، مما جاز المقامات كلها ، وهو مع ذلك يقيم رسم العبادات كلها .

تنبيه (ورفع إشكال يوقع فيه(٤)) :

قالوا : وإذا بلغ العارف درجة العرفان ، وألقت الحرب أوزارها ، وطرح المسافر آلات السفر العنيف من الرياضة الظاهرة ، كما قال :

فأسمت فى أزكى البقاع صوافنى
وضربت فى أعلى البقاع قبابى
وشويت للأضياف لحم ركائبى
فى نار أحلاسى وفى أقعابى (٧٧ ب)

يظهر عليه الفتور لا ، بل الكسل ، لا ، بل ترك ما عدا الواجب ، لأن المقصود ، من الرياضات البدنية ، حصول الرياضة القلبية ، وإذا حصل المقصود(٥) كان الاشتغال بالوسط عبثاً ، بل ربما كان ذلك عائقاً

---

(١) فى : ظ (لا أريد)   (٢) فى : ظ (ولا أكلك) .

(٣) ليست هذه المحادثات على حقيقتها ، وإنما هى حديث نفس متوجهة طاهرة ، فهو هنا يخبر عن الله يخبره عن نفسه ، كما قال المؤلف من قبل ، ولايجوز تعميم الصدق فى مثل هذه الخواطر والإلقاءات ، بل إن العبرة بمن ورد عليه الخاطر والإلقاء ، فان شهد له حاله والكاملون فى عصره باستقامة الخطة ونقاء الروح، وصحة معنى الخاطر، كان حقا وإلا فلا .

(٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .

(٥) فى : ظ ، س المقصد .

فيقتصر على وظائف الواجب فقط ، لئلا تعود النفس إلى الكسل ، وينعكس الأمر فيرصيد عدم الرياضة البدنية ، سبباً لزوال الرياضة القلبية .

فتوهم قوم ، ارتفاع الرسم ، وسقوط التكليف (عنه)(١) وبنى على هذا الرأى شغب كثير(٢) ، أصله عدم الفهم عن العارف ، وقال الجنيد : من رآنى فى بدايتى ، قال صديق ، ومن رآنى فى نهايتى قال زنديق . وقال الشيخ أبو القاسم : وذلك أن أعمالهم قلت فى الظاهر(٣) فصارت قلبية ، وقال الدارانى : إن الله يفتح للعارف على فراشه ، مالا يفتح له وهو قائم يصلى . وقال أبو بكر الرازى : قال رجل للجنيد : من أهل المعرفة أقوام يقولون بترك الحركات من باب البر والتقوى ، فقال الجنيد : إن هؤلاء قوم تكلموا [بإسقاط الأعمال، وهوعندى عظيم . والذى يسرق ويزنى ، أحسن حالا من الذى يقول هذا ، فإن العارفين بالله (٤)] أخذوا الأعمال عن الله ، وإلى الله رجعوا فيها .

---

(١) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .

(٢) حاصل الشغب الذى حدث ، أن بعض الدارسين ، اتهموا الصوفية ، باسقاط حركات العبادة ، عند الوصول إلى درجة المعرفة ، وهو قول الباطنية عامــة ، والاسماعيلية خاصة ، وحقيقة المسألة ، أن أى عبد من العباد يعانى المشقة والثقل ، فى أول سلوكه ، وإذا بحثنا منشأ هذا الثقل نفسيا ، وجدناه التكليف ، فكل ما تكلف به النفس ، ثقيل عليها ، فاذا بلغ السالك درجة المعرفة ، وصار عارفا ، وجد اللذة فى حركات العبادة ، وسقط عنه الثقل الذى ينشأ من التكاليف . فقولهم : إن العارف يسقط عنه التكليف ، من إطلاق السبب وإرادة المسبب ، وليس من المعقول أن يسقطــوا الحركات ، كما توهم بعضهم ، وهم ورثة النبى صلى الله عليه وسلم فى حاله حيث كان يقوم حتى تتورم قدماه ، وهو مسلك لا يشعر فيه صلى الله عليه وسلم بأدنى مشقة ، أما ما يسمع من جهال المتصوفة فى هــذا الباب ، فلا تعويل عليه .

(٣) إنما يقع ذلك أحياناً عند غلبة حال من المحبة والوجد ، ولا تقل عندهم إلا أعمال النوافل ، أما الفرائض فلا يهملونها ألبتة ، وهم حين يتركون نافلة فى هذه الحالة ، يكونون فى عبادة رفيعة الدرجة .

(٤) ما بين الحاصرتين : ساقط من : ظ والعبارة: « أحسن حالا من الذى يقول هذا » و « فإن العارفين بالله » جاءت فى : ظ فى نهاية قول من سأل الجنيد اضطرابا من الناسخ

القسم الخامس

فى أقسام العارفين بالله

قال المؤلف رحمة الله (١) : وحقق الاستقراء ، أن مجموع من يدعى أو تدعى(٢) فيه المعرفة بالله ، ينحصر فى سبع زمر ، تتفرع(٣) منها إحدى وعشرون زمرة .

الأولى منهم : أهل التقليد ، وهم ثلاثة أصناف : الأولى ، قلدوا آباءهم ، والثانية قلدوا علماءهم ، والثالثة قلدوا أنبياءهم ، ومعرفة هؤلاء خبرية(٤) .

والزمرة الثانية : أهل النظر ، وهم ثلاثة أصناف : قوم استدلوا بالصنعة على الصانع ، وقوم استدلوا بالصانع على الصنعة ، وهم(٥) أشرف وأعسر . وقوم جمعوا بين الدلالتين ، وإليه الإشارة بقوله : ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه ، أو معه أو بعده من حججهم الشهيرة ، ومعرفة هؤلاء قياسية نظرية .

الزمرة الثالثة : أهل التنزيه ، وينقسمون إلى ثلاثة أصناف : الأولى ، نزهوا معروفهم عن لواحق الأشباح(٦) ، والثانية نزهوه عن لواحق الأرواح ، والثالثة نزهوه عن لواحق العقول القدسية .

---

(١) ق : س ، ظ . رضى الله عنه .

(٢) ق : ظ أو يدعى فيه المعرفة وتذكير الفعل وتأنيثه جائزان للفصل بين الفعل ونائب الفاعل.

(٣) ق الأصل : فتفرع منها .

(٤) ق : ظ (ومعرفة هؤلاء جبرية) .

(٥) ق : ظ ؛ س (وهو أشرف) .

(٦) ق : ظ ؛ س (عن لواحق الجسوم) .

والزمرة الرابعة ، أهل التشبيه ، وهم ثلاثة أصناف : الأولى ، شبهوه بصفات الجسوم (١) ، وهم الظاهرية ، وحكموا عليه بما حكموا عليها ، من اليد والرجل ، والثانية ، شبهوه بالنفوس ، والثالثة ، شبهوه بالعقول .

والزمرة الخامسه : أهل العجز ، وهم ثلاثة أصناف : الأولى ، عجزوا عن معرفته من غير نظر ولا استبصار ، والثانية عجزوا عنها بعد بحث ونظر ، والثالثة عجزوا عن إدراك إدراكهم ، وخرجوا إلى النور المحض الذى لا تصور فيه ، ولا شوب ، ولا يخلفه غيره .

والزمرة السادسة : أهل الاتحاد ، وهم ثلاثة أصناف : الأولى ، الذين قالوا بالاتحاد فى الظواهر ، والثانية ، الذين قالوا به فى البواطن : والثالثة ، الذين قالوا بالاتحاد المطلق .

الزمرة السابعة : أهل التحقيق ، وهم ثلاثة أصناف : الأولى جمعوا بين الخبر (٢) والنظر (٧٨ أ) ، والثانية ، جمعوا بين التشبيه والتنزيه ، والثالثة ، جمعوا بين العجز والاتحاد المقدس .

(أما) الدلائل ، (فـ) ـأهل الخبر دليلهم الحديث والقرآن « وإلهكم إله واحد » ، « قل هو الله أحد » ، « إنى لأعرفكم بالله وأشدكم خوفاً منه (٣) » وغير ذلك من أخباره عن الله (٤) ، وما يناسبه . (و) أهل النظر ، أدلتهم كثيرة ، « الذين يذكرون الله [قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار] » ، ومثلها قوله (٥) : « أفلم ينظروا فى ملكوت السموات

---

(١) ق : ظ (بصفات الجود)

(٢) ق : ظ (الحيز) تصحيف .

(٣) ق : ظ (وأشدكم خشية منه)

(٤) ق : ظ (من أخباره عن الله)

(٥) ق : ظ (كقوله)

والأرض » وأهل التنزيه ، دليلهم « ليس كمثله شيء » وقوله « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » ، ف(المخالفون ما) وصفوه إلا بما اتصفت به ذواتهم ، وأهل التشبيه ، دليلهم قوله عليه أفضل الصلاة والسلام ، « من عرف نفسه عرف ربه » ، (١) وقوله حاكيا عن ربه : « لم تسعنى أرضى ولاسمائى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن » أى عرفنى ، وقبل صورة معرفتى· وأهل العجز دليلهم من الكتاب « ويحذركم الله نفسه » ومن السنة : « تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى ذات الله ،فإن التفكر فى ذات الله يقدح الشك فى القلب » وقوله « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ». ومن الآثار ، « العجز عن درك الإدراك إدراك » . وأهل الاتحاد دليلهم : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » ، ومن السنة ، ما أخبر به عن ربه ، فى حديث التقرب بالنوافل . ومن أعطى كل شيء حقه ، فى حضرته المعينة ، فهو العارف الحق . والحمد لله (رب العالمين)(٢) .

---

(١) فى هذا الخبر ثلاثة تأويلات . أحدها : أنه بمعرفة النفس يتوصل إلى معرفة الله . كقولك اعرف العربية تعرف الفقه ، وإن كان بينهما وسائط ، والثانى أنه إذا حصلت معرفة النفس حصل بحصولها معرفة الله بلا فاصل ، كقولك : بطلوع الشمس يحصل الضوء ، والثالث أن معرفة الله تعالى ليست تثبت إلا أن تعرف النفس؛ لأنك إذا عرفتها على الحقيقة فقد عرفت العالم ، فإذا عرفت العالم عرفت أنه محدث ، ولا بد له من محدث لا يشبه الحادث بوجه ، وذلك غاية المعرفة ، وعلى هذا دل قول سيدنا على كرم الله وجهه : « إن العقل لإقامة رسم العبودية لا لإدراك الربوبية » .

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من : ظ ، س

الجرم الشريف

من الفرع الباسق المنيف

وينقسم إلى ظاهر وباطن وقلب

القسم الأول — الظاهر(١) :

(فيه(٢)) الكلام فى الأخلاق : فى أصولها وطباعها ، وتفريطها وإفراطها ، وعلاجها ، وهو أساس الارتياض ، وينبوع تلك الحياض .

قال المؤلف رحمه(٣) الله : نقرر فى هذا القسم أولا ، أحكام الأخلاق ، فنقول :

إن الله عز وجل (وعلا)(٤) عرفنا بنفسه ، فقال : « قل هو الله أحد » إلى آخرها ، وقال : « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » إلى آخرها ، وقال : « سبح لله ما فى السموات والأرض » إلى آخر ست آيات منها ، وقال : « إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار » إلى غير ذلك من الآى ، الدالة عليه ، فى كتابه . ولم يعرفنا بنفسه ، حتى هيأنا لذلك ، فجعل لنا جسما ترابيا ، قابلا للرحمة المنزلة ، من المائة رحمة (٥) ، التى هى أول أسباب معرفته ، ومزج ذلك الجسم بالعوالم الروحانية ، التى هى عارفة به(٦) ، وبالعوالم النورانية ، التى هى علل معرفته ، وبالعوالم الفلكية ، التى هى مستقر العارفين (به)(٧) ، وبالعوالم الطبيعية ، التى هى دلالة على معرفته .

---

(١) فى : ظ القسم الأول من الظاهر .

(٢) ساقطة من : ظ .

(٣) فى : س ، ظ . رضى الله عنه .

(٤) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .

(٥) يشير إلى الحديث الشريف « إن لله مائة رحمة ، ادخر منها تسعا وتسعين ، وبث فى الأرض رحمة واحدة .

(٦) فى : س عارية به .

(٧) ساقطة من : ظ .

قالوا : فكان الإنسان لذلك عالما متوسطا ، بين الأزلى والكونى ، بمادته وصورته . فالعوالم الروحانية الأزلية منه ، فى غير محل معروف(١) ولا مستقر ، والعوالم النورانية منه ، فى القلب والدماغ ، والعوالم الفلكية [منه](٢) فى الحواس ، وسائر الجوارح ، والعوالم الطبيعية منه ، فى الأمزجة والأخلاق . فينبغى له ، أن يعرف نفسه ، (٧٨ ن) فمن عرف نفسه ، عرف ربه ، فيعلم أنه مركب من تراب وهواء وماء ونار ، فالتراب والماء صورة ، والهواء والنار متممان(٣) لها .

هذا تركيب ظاهر فيه ، وأما الباطن ، فعقل وروح ، وقلب ونفس ، فالنفس والروح صورة ، والعقل والقلب متممان لها ، فالروح نسبة الماء ، والنفس نسبة التراب ، والقلب نسبة الهواء ، والعقل نسبة النار ، وطبيعة الخير والشر مبثوثة فى هذا التركيب ، بحكمة الله ، فالنفس قابلة للخير والشر ، [والروح خير كله والقلب قابل للخير والشر] (٤) والعقل خير كله . والجسم الترابى ، إن خدمته الجوارح الفلكية ، وأدت إليه الطاعة [من النفس](٥) قهر النفس وملكها ، مصارت فى حزبه ، ووجد الماء متصرفا فى عمله ، فضم الروح إليه ، [بما](٦) بينهما فى ذلك من النسبة ، فتحركت الروح بالخير ، الذى من شأنها إذا اتسع مجالها فى الخير ، وقبل القلب الهوى ، مطية سورة النار ، فتمكن العقل ، واتسع مجاله ، فاستولى الخير ، وانعزل الشر ، واحتشدت الأعمال الصالحة ، فأغارت على بلاد الأعمال الفاسدة ، فانتسفتها ، فاستولت على غنائم العلوم ، وسبت أبكار الحكم ، وحصلت على الفوز العظيم .

---

(١) فى : ظ ، س : معروفة .
(٢) ساقطة من : ظ .
(٣) فى : ظ مقحيان ، تحريف .
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .
(٥) ساقطة من : ظ .
(٦) ساقطة من : ظ .

ويحتمل هذا النمط من(١) بيان مراد الخير والشر ، الذى (كان) الخلق ثمرته ، عجائب . إلا أن الخوف من الإطالة(٢) ، أوجب الاختصار والإلماع ، ويتقرر من شواهد الارتباط ، أن الأفلاك بعد الجوارح : [فلك زحل، ثم المشترى ، ثم المريخ، ثم الشمس ، ثم الزهرة ، ثم عطارد . ثم القمر ، بعدد الجوارح(٣) التى هى مظاهر الحواس ، واليد والرجل ، واللسان ، والسمع ، والبصر والشم واللمس ،(٤) . الأعضاء (ر) (٥) نسبة البروج وكواكبها ، نسبة القوى ، فلكل برج ولكل كوكب نسبة فى كل جارحة . وتلك (٦) النسبة زعموا [أنها] هى الحركة (٧) بالخير من ذى الخير والشر من ذى الشر بإعانة أوفاق . بين الكواكب والأعضاء ، التى عنها يصدر الأمر للجوارح بالحركات الخيرية أو الشرية ، وتلك الأوفاق ، إما بالمواليد ، وإما بالقوى الطارئة بسبب الأوفاق ، من قبل أحوالها فى البروج ، بحدود ، أو مثلثات ، أو وجوه ، أو شرف ، أو بيت ، أو رجوع ، أو استقامة ، أو سقوط(٨) ، أو وبال ، أو سعد ، أو غير ذلك (٩) ، فينحط منها بسبب ذلك إلى الأعضاء المناسبة قوى روحانيات ، فتقتضى مقتضيات ، فيقع العمل بمقتضى ما تأمرها به ، بإذن الله (سبحانه (١٠))

وهذه الأسباب لواحق اقتضتها سوابق ، وتلك السوابق هى : أقبل وأدبر ، وإسلام الطوع والكره (هؤلاء وهؤلاء) (١١) تلقف إسلام الطوع.

---

(١) فى : ظ فى بيان

(٢) فى : ظ ، س إلا أن خوف الإطالة .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س

(٥) فى : ظ بنسبة .

(٦) فى : ظ ، س وذلك النسبة .

(٧) فى : ظ هى المحركة بالخير .

(٨) فى : ظ ، س وسقوط .

(٩) فى : ظ ، س أو غيره .

(١٠) ساقطة من الأصل .

(١١) ما بين الحاصرتين ساقط من : س تشير إلى قوله تعالى : « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك » .

والكره من يدى (١) أقبل وأدبر ، وتلقف هؤلاء وهؤلاء من يدى الطوع والكره ، وتلقف الفطر من يد هؤلاء وهؤلاء ، وأحكمت الفطر المقتضيات ، على مقادير فى العماء الأول ، يوم قضيت القضايا بالكفر والجحود ، والطغيان والإسلام والإيمان والإحسان، وبالمخالفات والطاعات والسيئات والحسنات ، والفلاح والهلاك ، والفوز والارتباك ؛ « ما يبدل القول لدىّ وما أنا بظلام للعبيد » ثم جاءت اللواحق، على مقتضى السوابق لفتق الرتق ؛ وفصل الوصل ، وحكمة (٢) الارتباط ، التى بين (٧٩ أ) ذوات الوجود ، والاتفاق الذى بين دقائق ، والنسب التى بين جزئياته وكلياته ، فما من أمر واقع ، أو حال طارئة ، إلا والسابقة الأولى قد اقتضته .

فصل :

وإذا تقررت هذه الأصول ، وعثرت (تلك(٣)) المدارك على مبدأ حركتى الخير والشر ، فلنتكلم على الأخلاق ، فنقول: إنها عبارة عن هيئة(٤) تصبغ(٥) النفس ، فتصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر ، من غير فكر ولا روية ، فإن كانت حسنة شرعا وعقلا ، سميت خلقا حسنا ، أو العكس سميت خلقا سيئا . ويرجع الجنسان ، فيتوزعان على القوى الثلاث ، تحت رعاية العدل ، وهى قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة .

فقوة العلم ، حسنها أن يصير بحيث يسهل بها(٦) درك الصدق من الكذب فى الأقوال ، والحق من الباطل فى المعتقدات ، والحسن من القبيح

---

(١) فى : ظ مدى أقبل وأدبر . تحريف .
(٢) فى : ظ وحكمته .
(٣) ساقطة من ظ ، س.
(٤) فى : ظ. هيبة .
(٥) فى : ظ نصنع النفس.
(٦) ساقطة من : ظ .

القبح فى الأفعال ، فإذا راعاها العدل ، وحفظ عليها هذا المنصب ، أثمرت الحكمة، ومعناها امتثال مرسوم الشرع والطبع ، والعقل (السليم(١)) والنقل (الصحيح(٢)) .

وأما قوة الغضب والشهوة ، فحسنهما(٣) ، أن يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حد ما تقتضيه الحكمة . ويكون العدل يرعى القوتين ، بحسب إشارة العقل والشرع ، فإذا استوت هذه القوى واعتدلت ، حصل منها (٤) حسن الخلق مطلقاً ، ومن استوى فيه بعضها ، حصل له من حسن الخلق(٥) بقدره ، فحسن (٦) القوة الغضبية يعبر عنها بالشجاعة ، فإن خرجت إلى طرفى الزيادة والنقصان ، سميت فى الزيادة تهوراً ، وفى النقصان جبناً ، وحسن القوة الشهوانية ، يعبر عنه (٧) بالعفة ، فإن خرجت إلى طرفى الزيادة والنقصان ، سميت فى الزيادة شرها ، وفى النقصان جموداً .

والحكمة الحسنة ، كما قال الله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا » ، وإن خرجت إلى طرفى الزيادة فى الأمور الحسية ، سميت حباً وجريرة (٨) ، وفى النقصان سميت بلها .

فإذن أمهات الأخلاق أربعة : الحكمة ، والشجاعة(٩) والعفة ، والعدل. وهو المجموع ، فالحكمة حالة للنفس، تدرك بها الصواب من الخطأ فى الأفعال الاختيارية (١٠) والعدل حالة تسوس الغضب والشهوة ، وتحملها على سبيل العقل والشرع ، استرسالا وانقباضاً ، والشجاعة : انقياد الغضبية

---

(١) ساقطة من : ظ ، س .
(٢) ساقطة من : ظ ، س .
(٣) فى : ظ فجنسهما .
(٤) فى : ظ ، س حصل عنها .
(٥) فى : ظ قدره
(٦) فى ظ حسب القوة الغضبية . تحريف
(٧) فى الأصل : عنها. والترجيح من : ظ (٨) فى : ظ حقا وجوهرة
(٩) راجع : الذريعة للراغب الأصفهانى ، والبدور البازغة لشاه دهلوى)
(١٠) راجع : (باب الحكمة من علم القلوب لأبى طالب المكى ــ القاهرة ١٩٦٤ لمعرفة جميع معانى الحكمة الإسلامية .

للعقل ، إقداماً وإحجاماً ، والعفة : تأدب الشهوة بأدب الشرع والعقل ، فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة ، تصدر الأخلاق (١) الجميلة كلها ، فيتفرع من قوة العقل مع اعتدالها ، حسن الرأى ، وسلامة النظر ، واستقامة التدبير ، والتفطن لدقائق الأشياء ، ومن انحرافها مع الزيادة : المكر ، والخداع ، والجربزة . ومن انحرافها مع النقص : البله ، والغباوة (٢) ، والحمق ، والشجاعة . ومع الاعتدال ، كبر (٣) النفس ، والاحتمال ، والكرم ، والنجدة ، والشهامة ، والحلم ، (والثبات) (٤) ، والوقار ، [ومن انحرافها مع الزيادة : التهور ، والصلف ، والكبر ، والعجب] (٥) ومن انحرافها مع النقصان : المهانة ، والذلة ، والخسة ، وصغر النفس . والعفة(٦)مع الاعتدال :السخاء ، والحياء ، والصبر ، والقناعة والورع ، والمسامحة ، والظرف ، ومن انحرافها مع الزيادة والنقصان : الحرص ، والشدة ، والخبث ، والوقاحة ، والتبذير ، (٧٩ ب) والمجانة ، والحسد ، والملق .

وإذا كانت هذه الأصول أسباب الخلق الحسن وأمهاته ، والله عز وجل يحب الخلق الحسن ، ويثنى به ، فمظاهرها أحب إلى الله ، ومزاياها من عنايته ، بقدر تحليها بحميد هذه الأخلاق ، وتخليها عن ذميمها ، ولذلك (٧) ما بلغ أحد من كمال الاعتدال فيها ، ما بلغ من فاق الخلق فى كمال محبة الله ومحبوبيته ، وهو رسوله الذى تمم مكارم الأخلاق ، صلوات الله وسلامه عليه .

وتتفاضل درجات الخلق فى درج التشبه به ، والتخلق بخلقه ، وبحسب تفاوتهم فى ذلك ، يكون تفاوت ذواتهم من ذاته ، والبعد والقرب من

---

(١) ف : ظ الخلق الجميلة .
(٢) ف : ظ والغبارة .
(٣) ف : ظ ، س كسر النفس .
(٤) ساقطة من الأصل : والزيادة من : ظ
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ.
(٦) فى الأصل: ومع الاعتدال الفقه . تحريف
(٧) ف : ظ . ولذاك .

حقيقته ، ومن حضرة قدس ربه ، الذى جعله دليلا عليه. والعارف الوارث، المتخلق بخلق الله ، وخلق رسوله ، على جادة الخلق الحميد ، والقصد الرشيد(١) ، ومترق إلى تجريد ، ومترام إلى مزيد ، وفان إلى توحيد .

خاتمة فى فضل الخلق الحسن وذم الخلق السىء :

والتعريف من جهة الثمرة . قال الواسطى، فى حسن الخلق : ألا تخاصم ولا تخاصم ، من شدة المعرفة بالله (عز وجل(٢)) . وقال غيره : هو كف الأذى واحتمال المؤن . وقال غيره : أن تكون من الناس قريباً ، وفيما بينهم غريباً . يعنى قريباً بالتجلى غريباً بالتخلى(٣) . وقال غيره : حسن الخلق ، الرضى عن الله . قال الحلاج . هو ألا يؤثر فيك جفاء الناس(٤) ، بعد مطالعتك للحق . وقال الخراز (٥) : ألا تكون لك جهة إلا الله . وفى فضله جاء فى كتاب الله مدح رسوله صلى الله عليه وسلم « وإنك لعلى خلق عظيم » وقال « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : وهو أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . وقال صلى الله عليه وسلم : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . وسئل أى الأعمال أفضل ؟ فقال : حسن الخلق . وعن أنس (رضى الله عنه)(٦) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه ، عظيم درجات الآخرة » وفى ذمه(٧) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سوء الخلق ذنب لا يغفر » وقال : « إن العبد ليبلغ من سوء خلقه ، دركات جهنم » وقيل « يارسول الله . ما الشؤم ؟ قال : سوء الخلق » وفى هذا القدر كفاية ، إن شاء الله .

---

(١) فى : ط ، س والقصد السديد . (٢) ساقط من : ظ ، س .

(٣) أى بالتخلى عما يشغل الناس من شئون الدنيا العائقة عن المعرفة ، فكأنه غريب بين الناس وهو معهم ، لأنه قريب من الله مشغول بذوق تجلياته .

(٤) فى : ظ ، س جفاء الخلق (٥) فى : ظ لا تكون .

(٦) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ط ، س .

(٧) أى ذم سوء الخلق .

الكلام فى علاج الأخلاق :

قال المؤلف ، رحمه الله (١) . وكما أن الأبدان إذا تداعت بطرو العلل استدعيت لها الأطباء ، وبذلت فى علاجها الأموال الخطيرة ، مع أن مرض البدن ، إنما يفوت ، إذا هلكت (٢) الحياة (القصيرة(٣)) الأمد ، المنصرمة بانصرام الأجل ، فأولى أن تكون العناية بمرض النفوس(٤) ، من علل الأخلاق ، التى تفوت الحياة الدائمة . فمن عرف قدر الجوهر المعرف ، والجزء الذى حل به المرض ، ومنتهى أثره فيه ، وما يؤول إليه أمره ، شمر لإزالته ، ولم تشغله الشواغل عن معالجته ، فاذا (٥) تلقن الطبيب الذى أطلعه الله بنور العرفان ؛ على تشريح المنشآت والأطوار والحضرات، إلى طور التركيب ، (١٨٠ ا) وشروطه ، أن يكون مرشداً(٦) فاضلا ، عالماً بالعلوم الثلاثة : الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة (٧) بصيراً ، عارفا بحقائق الأمراض النفسانية ، والأدوية المزيلة لها ، وربما عالج المريض (نفسه) ، إذا كان ممن يغره عرفان كسبى ، ظنه شهودا ، فوضع الدواء فى غير موضعه ، وكان على الهلاك أقوى أسبابه .

والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة المقدار

فينظر الطبيب فى القليل ، فإن رأى الأمر خارجاً عن طور العلاج ،

---

(١) ى : س ، ظ رضى الله عنه . (٢) فى : ظ ، س أهلكت .
(٣) ساقطة من : ظ (٤) فى : ظ ، س النفس .
(٥) فى الأصل فاذا تعين الطبيب (٦) ى : ظ ، س واصلا .
(٧) الشريعة خطاب الله لعباده ، وكلامه الذى أوصله إلى خلقه ، بأمره ونهيه ، ليوضح به المحجة ، ويقيم الحجة • والحقيقة تصريفه فى خلقه ، وإرادته ومشيئته التى يخص بها من اختار من أحبابه ويبعد بها من أبعده عن بابه .. وقد جمع الله تعالى بين الشريعة والحقيقة فى آيات كثيرة منها قوله تعالى « لمن شاء منكم أن يستقيم » فهذه شريعة « وما تشاءون إلا أن يشاء الله الرب العالمين » فهذه حقيقة ، (راجع : الروضة الأنيقة للشيخ عبد العزيز الديرينى المتوفى عام ٦٩٧ ص ٤) ، أما الطريقة فهى السلوك بالشريعة إلى الحقيقة .

مستقراً من وراء خطة اليأس والمرض من بعد المنتهى (مائلا (١)) من(٢) أصله إلى جنبة الإمكان ترك الكد والعناء ، ويئس من الجنى ، وعلل (٣) المريض ، وأنّس مع (٤)القطع بالهلاك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإن رآى بعد إعمال قوة الحدس ، وحكم الفراسة ، أن العلة وإن كانت باطنة المحل مما يقبل العلاج ، وأنها مسببة عن التعويقات (٥) الأسمائية ، بحسب المظاهر الكلية ، والسلطانات(٦) الدوريَّة ، والتنزلات الحبية الأصلية ، وعرف الأسم الخاص ، وأحدية (٧) سيره ، وعدم مقابله ومخالفه ، أو غير ذلك ، بحسب الأحكام الإمكانية ، قدر (٨) الدواء بالنسبة إلى طبع المريض . وقوته من الأقوال والأذكار والأعمال ، بين قلبيها وقالبيها (٩) ، يضع الهناء مواضع النقب(١٠) ، مؤيدا بالشهود(١١) المحقق ، والعلم الغيبي لمراتب الخلق ، وأسماء الحق ، واقفا (بالشهود) (١٢) على أسرار المنازل والمقامات لتحققه بها ، وقابل التشكيلات الاتصالية

---

(١) ساقطة من : ظ (٢) فى : ظ ، س فى أصله

(٣) فى : ظ فعالى المريض

(٤) فى : ظ وأنس من القطع الهلاك

(٥) فى الأصل : التعريفات . والترجيح من : ظ . والفرق بينهما أن التعريفات الأسمائية يعنى تجلياتها قد تنتهى إلى تعويقات ، إذا لم يكن السالك مستعدا لتلقى تعريفات اسم من الأسماء كمن يذكر الأحد قبل الواحد ، فتعريفات الأحدية لا يمكن الاستعداد لتلقيها ، إلا بعد التحقق بتعريفات الواحدية .

(٦) فى : ظ ، س السلطات .

(٧) فى : ظ ، س . وأخذ به سيره .

(٨) جواب إن الشرطية ، وقد طال الفصل بين الشرط والجواب .

(٩) فى : ظ ، س . وقابلها .

(١٠) أى يضع الدواء مكان الداء .

(١١) فى الأصل : بشهود المحقق . والترجيح من :ظ .

(١٢) ساقطة من : س .

الفلكية والكوكبية ، بحركات إنسانية ، هى كالتشكيلات والاتصالات القولية والفعلية ، من حيث أعضاء الإنسان وقواه التى هى أيضاً مظاهر الأسماء الإلهية ، ولها آثار وأحكام فى الأفلاك وما فوقها ، لتبعية حقيقة العوالم للحقيقة الإنسانية فى الأصل و [فى] إزالة التعويقات . (١)

وعلى العموم فبيمارستان الشريعة ، وخزائنه الرفيعة ترياق تلك الأقوال والأفعال ، والحركات والسكنات ، المزيلة للحجب الكثيرة (٢) ، من أحكام تلك التعويقات .

وعلى الخصوص فعند علماء الحقيقة الآخذين عنه وفيه بنفوذ بصائرهم علاج كل مريض (٣)، من عقاقير الرياضة ، ومعاجين الأذكار ، والمجاهدات والمكابدات ، مما يقاوم العلة ، ويضاد السبب ، حتى يرتفع عن القلب الوجدانى الاعتدالى عرضه ، وعن السر أو الروح مرضه ، وعن نفس السالك سببه .

فإذا حصل البرد ، واستقرت حالة الراحة ، اقتصر بالمريض على ما يحفظ الصحة . فاذا حسم الأسباب القصوى ، وقطع المواد بحسب كل شخص شخص ، من مراعاة كم وكيف ، رجع إلى تحليل المستقر ، ومقابلة المزاج بضده . فعالج مرضى الجهل بالتعلم ، ومرضى البخل بالتكرم ، ومرضى الكبرياء بالتواضع ، ومرضى الشرة بالكف عن المشتهيات(٤) ، ويجرى القياس على هذا فى جميع الأمراض .

ولما كان العلاج لا يتم إلا بتأتى الموضوع وهو المريض، إذ لو كان موضوع صانع التجارة . وهى الخشبة . إذا وضع(٥) [النجار] عليها القدوم زاغت.

---

(١) راجع (مواقع النجوم للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربى — ط القاهرة)
(٢) فى : س : لحجب كثير .
(٣) فى ظ ، س كل مرض .
(٤) فى : ظ ، س عن الشبهات .
(٥) فى : س إذا حمل .

والمنشار فرت ، لما تأتى له عمل الكرسى والخزانة ، فيجب على مريض هذه العلل الصبر على مرارة(١) الأدوية وتكلفها ؛ [٨٠ ب] بتحمل(٢) مضض المجاهدة ، وحرافة الرياضة .

وتختلف صور المعالجات ، بحسب الأشخاص كما قلنا ، فإن كان المريض جاهلا فجاً ، ليس له علم بالحدود الشرعية طلبه بفرائض العبادات ، ومالا يتوصل إليها إلا به . أو مستغرق الفكر فى مال حرام أمره بالخروج عنه . أو مقارفاً لمعصية أمره بتركها ، فاذا تزيدبنور الاستقامة ، وتحلى بشذور العمل ، وتطهر من دنس المعاصى ظاهرة وباطنة ، انتقل إلى معالجة ما هو فوق ذلك .

فعالج الكبرياء بالتواضع ، والكدية بالسؤال بمرآى من عيون المنتقصين(٣) .

وعالج شغل القلب بقم(٤) الطرق والنظافة وبالاستخدام فى الأماكن الوسخة ، والقيام بمؤنة المطبخ ، وربما صعب عليه نقله من خلق مذموم إلى ضده دفعة ، فينقله إلى مذموم دونه داخلا تحت غرض المذمة ، كمن ينقل مثلا من شرب الخمر إلى شرب النبيذ ، الذى رخص فيه بعض الناس ، ثم إلى غيره مما لا يتعلق به إلا الكراهة ، ثم الفطام عن الكل .

وعالج الشره إلى الطعام بالصوم ، وتقليل الأغذية ، وتقديم اللذيذ

---

(١) ق : ط . على موادة الأدوية .

(٢) ق : ظ ، س فيتحمل .

(٣) هـذا هو الهدف من شعيرة السؤال ، فى بعض الطرق الصوفية ، كالدرقوية من فروع الشادلية بالمغرب ، وبعض سلوك الملامتية ، وليس الهدف هواحتراف السؤال كما فهم بعض الدارسين ، بل هو القضاء على أمراض القلب مثل الكبر والرئاسة انظر (مدارج السلوك لأبى بكر البنانى) فهو من أروع ما كتب فى هذا الباب .

(٤) ق : ظ ، س . بهم الطرق

منها إلى الغير، مع الإمساك ، حتى تنكسر النفس ، ويتعود الصبر، ويمنع من اللحم والأدم ، حتى تذل النفس .

وعالج الغضب الغالب بالصمت والحلم ، وعدم صحبة سيء الأخلاق ، وبهذه المثل الكلية ، يطرد العلاج فى الأمراض الجزئية ، وعلامة حصول الغرض من العلاج فى العلة التى ذهب إلى علاجها لا تخفى عن الطبيب .

وليقدر العلاج . فإن كانت علة الكبر المبعد عن الله ، عالج بالتواضع إلى حد وسط ، لا يفضى إلى الملق والخسة ، فإن العلاج إذا جمح وخرج عن الحد الصناعى ، أخرج المزاج إلى طرف آخر من المضادة ، ويحوج إلى معالجة أخرى . فلتقع على الوسط المحافظة ، فإنه خفى ، ولا تعرى النفس فيه عن الميول ، وهو العدول عن الصراط (المستقيم[1]) ، ولتفاضل الميل فيه وقعت الإشارة فى اختلاف صفات الصراط وهيآته للعابرين ، وهو سر تكرار الدعاء إلى الله ، بالهداية إلى الصراط المستقيم سبعة عشر مرة فى كل يوم بترداد الفاتحة فى الصلاة .

ولما كان الإنسان تخفى عليه أحوال نفسه فى سلوك الصراط المستقيم ، أو الحيدة عنه ، وجب عليه أن يناصحها ، ويتفقد موازينها (وينفض زواياها)[2] ومتى فقد النصيح ، وعدم المعلم (المرشد)[3] فليعرض نفسه على خلق القرآن ، وليعمد إلى (حسن)[4] مسطورات حسن الخلق ، نظما ونثرا ، كقول أبى العميثل ، فى عبد الله بن طاهر :

---

(١) ساقطة من : ظ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقطمن الأصل

(٣) ساقطة من الأصل

(٤) ساقطة من : ظ

يامن يؤمل أن تكون خصاله كخصال عبد الله أنصت واسمع
فلأقصدنك[١] بالنصيحة والذى حج الحجيج إليه فاقبل أودع
إن كنت تطمع أن تحل محله فى المجد والشرف الأشم الأرفع
فاصدق وعف وبر وانصر[٢] واحتمل
واجمل ودار وكاف واصبر واخشع
والطف ولن وتأن وارفق واتئد
واحزم وجد واحلم[٣] وأحمد وادفع
(هذا الطريق إلى المكانة مهيعا
فاسلك فقد أبصرت قصد المهيع[٤])

وقال الآخر :

يذكرنيك الدين والفضل والحجا وقيل الحيا والحلم والعلم والجهل[٥]
فألقاك عن مذمومها متنزها وألقاك فى محمودها ولك الفضل

فيعتبر حاله ، ويذرع بمقياس الثناء بالأخلاق الجميلة نفسه ، ولا ينصرف عن محل ذلك الغرض إلا عن علم [٦] بما محص[٧] التصحيح ، أو [بما] يجعل [له] عيناً لا تكذب[٨] ، وأميناً لا يغش .

---

(١) فى الأصل (فلاقتضينك) تحريف
(٢) ى : ظ (واقصر)
(٣) ى : ظ (وحام) تحريف
(٤) البيت كله ساقط من الاصل
(٥) لا يريد وصفه بالجهل ، وإنما يريد أنه مع علمه يتظاهر بالجهل
(٦) ى : ظ (من علم)
(٧) ى الاصل (بما محض التصحيح)
(٨) ى : ظ (لا يكون) تحريف

فصـــل

فإذا بلغ إلى هذا [الحد] من العلاج ، وجب عليه أن يعلم أن للقوى المنسوب إليها الاعتدال والانحراف أصول لاتدفعها الحيلة ، ولا تستأصلها المعالجة ، فهى أركان الذات ، ومتمات الصورة ، وبها يقع الاغتـذاء والتوليد والمدافعة ، وإنما تتناول الحيلة تهذيبها وقهرها ، إلى أن يحصل منها المراد ، الذى يسهل به الوصول إلى الله ، وينجى من ورطة البعد عنه ، ويخلص من الحجب المانعة من إشراق نوره ، ونفحات قدسه ، إلا أن تلك الموضوعات الرياضية تختلف بالأشد والأضعف ، فى الانقياد وسرعة الغيبة[1]، فبعضها سريعة التأثير والقبول ، وبعضها عصية الانقياد ، باختلاف العوائد والنشآت والغرائز ، وتأكد الصبغ بكثرة الأعمـال ، وتقليد الأعاظم ، والاقتداء بالآباء والأكابر .

فنهم الغفل[2] الذى لم يقتنص شيئا من اعتبـاره ، ولا ميز الحق من الباطل ببديهته ، واستصحب الخلو[3] من العقـائد من لدن فطرته ، ولم تجمح مع ذلك شهوته[4] ، وهو قريب المرام .

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى   فصـادف قلبـــا فارغا فتمـكنا

ومنهم من عرف قبح القبيح ، إلا أن الشهوة استولت عليه ، ومالت به ، وأرضته بالخسارة ، والرشوة تعمى عين الحكيم ، فكيف عين الجاهل . فعلاجه أصعب ، لافتقاره إلى تطهير المحل ، وعمرانه بما يليق به . وإن وقع التشمير وهبت ريح العزم ، وأخذت العناية بضبع الهمة ، وانطلقت فى ساحته

---

(١) فى الأصل : ظ س . (وسرعة الفتنه) . تحريف

(٢) فى : ظ (العقل) ولعله يريد (الغفل) وفى س (الفعل)

(٣) فى : ظ ـ س (واستصحب الخلق عن العقائد) .

(٤) فى : ظ ، س شهواته :

الغامرة(١) الرياضة ، بدلت الأرض غير الأرض ، وظهر الصلاح ، فأشرقت الأرض بنور ربها (ووضع الكتاب(٢)) .ومنهم من قلب الله عين القبيح فى عينه ، وشكل بصورة الكذب مرآة نفسه ، كما قال الشاعر (فى مثله)(٣).

ونديم بت أعـــذله | ويرى عذلى من العبث
قلت إن الخمر مخبثة | قال حاشاها من الخبث
قلت منها القىء قال نعم | شرفت عن مخرج الخبث(٤)

« أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا » . فعلاجه من قبيل المحال .

ومنهم من زاد على ذلك ، التنساهى فى الشره ، والإعياء فى السبعية . فالأول جاهل فقط ، والثانى جاهل وضال ، والثالث جاهل وضال وفاسق، والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير : «أولئك لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط» . نعوذ بالله من سخط الله(٥).

---

(١) فى الأصل : س (القاهرة) .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل و ظ .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .
(٤) فى : ظ (بمخرج الحديث) . تحريف
(٥) فى : ظ (نعوذبالله من ذلك) .

القسم الثاني

وهو باطن الجرم الشريف

وفيه بيان أن (التمتع) (١) بالنظر إلى الله ـ وهو نهاية السعادة بكل اعتبار ـ إنما يحصل للنفس من هذا العالم، وفيه تكسبه أو تضيعه، وأن ذلك هو معرفته فى هذا الطور من غير زيادة.

قال المؤلف رحمه الله (٢) : اتفق المتكلمون فى [٨١أ] النفس من الحكماء القدماء وغيرهم على أن النفس إنما أهبطها الله إلى هذا العالم بسيطة بريئة من المعارف جملة . وفى الشرع (٣) فيه الإشارة بقوله : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ». والبطون متنزلها (٤) على مراكبها من الأرواح الطبيعية، أو مبدئها المكانى . للتنزل الانتهائى(٥) « ثم جعل لكم السمع والأبصار » إشارة إلى آلات الإدراك التى لا يتوصل لشىء من المحسوسات أو ما تفرع عنها إلا به .

واختلفوا فى علة هبوطها . فقال قوم : بمعنى الابتلاء لها والتمحيص، ولعمران هذا العالم(٦)، عالم الكون . وشأن كليها فى العالم الكلى شأن جزئيها فى العالم الجزئى . وإليه الإشارة بقوله : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » . وإلى إهباط الله إياها . بمعنى الاختبار والابتلاء الإشارة

---

(١) ساقطة من الأصل : ظ .
(٢) فى : س ، ظ (رضى الله عنه) .
(٣) فى : ظ (وفى النوع إليه الإشارة بقوله) . تحريف
(٤) فى : الأصل (منزلتها) .
(٥) فى : ظ (المتنزل الإنتهائى) .
(٦) فى : س (ولعمرى إن عالم الكون) تحريف .

بقوله : « (ليبلوكم فيما آتاكم) » (١) وقوله : « ليبلوكم أيكم أحسن عملا » . وقوله : « لينظر كيف تعملون » .

فإما أن يحصل لها الكمال بمعرفة الله الموصلة إلى محبته ، ثم الموصلة إلى حقيقة معرفته ، وتمام محبته الموصلة إلى القرب منه ، فتحوز بذلك السعادة الباقية .

وإما أن تكسب الأخلاق الرديئة وتنقاد (٢) للشهوات المبعدة عنه ، فينفذ فيها حكمه بطردها عن عالم قدسه ، أو يتداركها برحمة عفوه (٣) ويطهرها من وحلة (٤) سخطه ، وإليه الإشارة بقوله : « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها » .

وجوهر النفس واحد كما أن السرج المشتعلة من السراج ماهيتها واحدة ، وإنما اختلفت بقوابلها واستعداداتها ، وتفاوت عروضات (٥) الأمزجة المتعلقة هي بها .

فأعطى جل وعلا كل مادة نفساً تليق باستعدادها ، فاختلفت بسبب هذا التفاوت أجناس الإدراكات والأذواق والعلوم . وكلما تقارب عرضاً مزاجين (٦) وقوة نفسين ، وأوشك تساوى صفاتهما الذاتية والعرضية ، تقارب (٧) إدراكهما . إلا أن التساوى لا يصح من كل الوجوه ، ولو صح لكانت صورة المدرك فى الحس واحدة ، إلا أنه يتقارب بالمناسبة مقاربة

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .
(٢) فى : ظ ، س (وتنقلد) تحريف .
(٣) فى : ظ ، س (أو تداركها برحمة عفوه)
(٤) فى : س (من وجلة سخطة) تصحيف .
(٥) فى : ظ ، س (عروض الأمزجة) .
(٦) فى : س (تفاوت عرضا مزاجين) .
(٧) فى : س) تفاوت أدراكهما) خطأ.

توهم الاتحاد ، حتى تخفى الأقدار المميزة ، وإلى معنى اكتساب النفس المعارف (١) فى هذا العالم ، وعريها عنها قبله الإشارة بقول الرئيس أبى على لتعود عالمة بما لم تسمع .

قالوا : واكتسابها المعلومات والفضائل وتشكلها بها هو السبب فى تميزها وتعينها بعد مفارقة الجسد ، فهو الذى يسميها (٢) ويخصصها ، ويرسمها (٣) بطابع التمييز ، (ولولا ذلك لم تتعين حقائقها ولا تعينت أشخاصها . وباختلاف ما اكتسبته من المعلومات تكون سعادتها) (٤) فإن صحت علومها ، وعلمت الأمر فى ذات الله ، وصفاته وأفعاله ، على ما يخلص فى ذلك ، واكتسبت الأخلاق الحميدة ، والصفات الإلهية ، (وتقدست ، وعرفت الكمال ، وأحبت الخير المحض ، وتعشقت بالأنوار الروحانية) (٥) ، واعتقلت بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، فهى من بعد المفارقة لآلات الإدراك مشغولة بالحق ، تواقة إلى المزيد من اجتلاء (٦) نوره ، والرقى إلى جانب قدسه ، لا تلوى على ما تعشقت (به) (٧) من لذات الجسم ، واعتادته من قبل آلات الإدراك ، التى تستعملها ونسيتها كما تتدرج المحبوبات الناقصة فى المحبوبات الكاملة ، فنالت السعادة ، التى معناها الحياة الدائمة ، ومشاهدة أنوار حضرة الحق ، [٨١ ب] وبحصول هذه السعادة ، يحصل لها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وإن ارتبكت فى وحل الحواس ، وتعشقت بلذات الأجسام ،

(١) فى : س (اكتاب اليقين المعارف). تحريف
(٢) فى : ظ (فهو الذى يسمها) .
(٣) فى : س (ويرسخها بطابع التمييز)
(٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الاصل وريد من : ظ
(٥) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .
(٦) فى : ظ (اجتلاب) .
(٧) ساقطة من : س .

لقصورها عن لذة أعلا ، وارتسمت بالعلوم الباطلة والشهوات ، بقيت بعد مفارقتها الجسد عمياء ، لا تعرف غير ما تعشقت به - « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » - فلا تزال حزينـــة على مألوفها ، مقصورة الحب عليه ، : ومن لا يلاقى مفلحا كيف يفلح ؟ أو كما قال الآخر :

بلينا[1] بذى نسب سائل قليل الجدا فى أوان الدعة
إذا جاءه الخير لم يرجه[2] وإن صفعوه صُفِعنا معه

وفى النفس التى نسيت الله ، فنسيها من رحمته [قال تعالى] : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » . وقال سبحانه : « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا [3] » . وإليه الإشارة عندهم بقوله : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم » . وقوله : « يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول » . وقوله تعالى : « أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون » . وقوله : « يا حسرتنا على ما فرطنا فيها » . إذ تيقنوا أن السعادة [4] هنالك لا تنال إلا بالمعرفة هنا [5] ، وإنما يتعذر حصولها هنالك لمن فاتته هنا . وإليه الإشارة بقوله : « ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا » .

فقد تقرر أن النفوس لا تتعين بعد هذا الوجود الذى تخصصت به ، وتميزت بمواده ، وتعلقت بأمزجته ، إلا بالمعارف التى تخصصها ، والعلوم التى تنتقش فيها فتميزها ، وأنها لا تجد بعد المفارقة معلوما سواها ، ولا معروفا غيرها ، وأن الطبيعة الإنسانية تحشر على صورة علمها ، والأجسام

---

(١) فى : س (فلسنا الذى نسب) . تحريف
(٢) فى الأصل : (لم نرجه) .
(٣) فى : ظ (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) .
(٤) فى : س (أن الشفاعة) .
(٥) فى : ظ (أن الشفاعة هنا لك لا تنال إلا بالمغفرة هنا) .

تنشر[١] على صور عملها ، من الحسن والقبح ، وهكذا إلى آخر نفس .

فإذا انفصلت من عالم التكليف ، ومواطن المعارج والارتقاءات والاكتسابات ، فحينئذ تجنى ما غرست ، وتجد ما قدمت : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا (وما عملت من سوء تود لو أن بينه وبينها أمدا بعيدا)[٢] » .

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا
غدا توفى النفوس ما عملت ويحصد الزارعون ما زرعوا

وإليه الإشارة بقوله : « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا » . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يموت المرء على ما عاش عليه » . و « أنا عند ظن عبدى بى » . ولا يزيد المدرك فى النشأة الأخرى ، على المدرك فى (النشأة)[٣] الأولى ، إلا زيادة كشف ووضوح خاصية : « (إن وعد الله حق)[٤] فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » . ومثلوا ، ما يدرك من ذلك العالم الباقى ، فى هذا العالم الدائر ، بمنزلة العميان الذين وصفت لهم المدينة بجميع أجزائها ، فتصوروها بمقدار قواهم[٥] ، وأحوال نفوسهم ، ومن كان منهم يمشى ، لمس بعض جدرانها وقد وصل إليها ، وسمع كلام ناسها ، ثم عادت لهم مدركاتهم وجوارحهم ، وجاسوا خلالها ، فما وجدوا شيئاً غير ما وصف لهم ، إلا أنهم استفادوا ظهور أمر كان الوصف لا يطيق على

---

(١) فى : س (تسير) . تحريف
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .
(٣) ساقطة من الأصل ، ظ .
(٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .
(٥) ى : ظ (عقولهم) .

استيفائه :

ولكن للعيان مزيد معنى [١٨٢] لذا (١) طلب المعـــاينة الكليم

[ووجدوا] لذة عظيمة ، وفرحا بحال المعاينة ، وتمام الادراك . فالعميان الخلق، والمقعدون العوام (٢) المقلدون ، والمشاة العلماء ، والواصفون أحوال المدينة الأنبياء والرسل ، ورد الأبصار والجوارح انقطاع العلائق بمفارقة النفس للجسد ، قال الله تعالى : « لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الناس نيام فاذا قاموا استيقظوا» فالمعرفة الحاصلة فى الدنيا تقوم مقام (التخيل)(٣) للمبصرات قبل وقوع الشهود (٤) ، والثانية وهى حال الآخرة تقوم مقام المشاهدة بالإبصار لما كان يتخيل ، وبحسب معرفة الله ، والعلم بصفاته وأسمائه فى الدنيا ، تكون المشاهدة ، والنظر فى الآخرة .

فقوم ينظرون إلى الله بمتخيلاتهم فى الدنيا ، بحسب تفاوتهم فيها ، وهم الضالون .

وقوم ينظرون إلى الله ، لا يضارون فى رؤيته ، كما ورد فى الحديث ، وهم المقربون ، فلا يفوز بالرؤية فى الآخرة إلا العارفون بالله فى الدنيا ، إذ المعرفة بذر ، ينقلب مشاهدة ، كانقلاب الحبه سنبلة ، ولازرع لمن لا بذر له ، ولارؤية لمن لامعرفة له ، ولا كمال نعيم وسعادة لمن لا نظر له .

ثم لما كانت المعرفة تتفاوت درجاتها ، كانت الرؤية التى تثمرها ،

---

(١) فى : ظ (كذا طلب المعاينة الكليم) .

(٢) و، ط العميان المقلدون .

(٣) ساقطة من الأصـــل . وفى : س (الخيل) . تصحيف . انظر تفصيل الموضوع فى كتابنا (الصلاة مدرسة الوعى الحضارى) باب الروح. ط مكتبة القاهرة .

(٤) فى : ط ، س (وقوع الشمس) . تحريف

متفاوتة في درجات التجلي ، ولذلك [١] ، قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة » .ولا نسبة بين إدراك أهل المعرفة إلى ما يدركون من جلال الله ، بما (إذ لا)[٢] يدخل تحت حد ولا مناسبة ، قال الله تعالى : « وما قدرو الله حق قدره » . وإنما النسبة من حيث حظوظهم ونفوسهم ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » . فلما تحقق المستبصرون(٣) من أهل العناية والمعرفة ، وأرباب الفطنة السليمة ، ومقلدى الهداة ، أن كمال نفوسهم هو عين سعادتها ، وأن عدم الكمال هو عين شقوتها ، وأن سعادتها معناها الحياة الدائمة ، ومشاهدة نور حضرة الحق ، ولا يتمكن لها ذلك الكمال بعد مفارقة الجسد ، وإنما يتأتى لها ما دامت مدبرة له ، وأن الكمال المشار(٤) إليه ، لا يحصل إلا بطريق العلم النافع ، والعمل النافع المفضيين بها إلى محبة المعلوم والمعمول له ، والشوق إلى الأنوار الإلهية ، وأن [ه] بهذه السعادة ، تحصل على مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وأنها ليست من جنس مايدرك بالحواس الظاهرة ، إذ مدركاتها منقطعة فانية بفناء مدركاتها وإنما تلتذ بهذه السعادة . وتدركها النفوس الفاضلة الكاملة ، بما أودع الله فيها من الإدراكات الكاملة ، التي خلق لها الأهلية للاتصال بحضرته . ولا يمكنها ذلك مادامت عاشقة للذوات السافلة ، مقبلة عليها . إذ عشق هذه الأجسام الفانية صارف عن اللذات الروحانية الفائقة الباقية ، فهذبوا أنفسهم بالرياضة والسلوك ، فوصلوا إلى حضرة ملك الملوك . قال الشاعر :

---

(١) ق : ظ . وكذلك .

(٢) ساقطة من : ظ .

(٣) ق : ظ (المبصرون) .

(٤) ق : س (المشير إليه) تحريف .

ولما وصلنا[١] ربع من لم يدع لنا   فؤادا العرفان الربوع ولا قلبا[٢]
نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة   لمن بان عنا أن نلم به ركبا[٣]

وتقرر أن النفـــوس إذا صفت من الكدورات لطفت[٤] ، إذ الكدورات إنما اكتسبتها من قربها[٥] من عالم الأجسام ، وبعدها من المبدأ ، بعداً نسبياً لا زمنياً ، كما يحدث فى دنان الراح ، من لطافة أعاليها ، وتفاضلها بعد فى الهبائية والكدرة ، إلى العكر والنفائية[٦] .

وعند صفائها . تتشبه بالملأ الأعلى ، وتنتقش فيها أمثلة الكائنات المتعشقة فيه بنوع ما ، وتشاهد المحجوبات ، وتؤثر فى العوالم السفلية ،[٧] وعند ذلك يصلح لها اسم الكمال الإنسانى ، وهو التشبه بالعالم الأقدس .

وفى هذا الطور يعاين العارف كلى الجمال ، ومعدن جزئيته ، فيهيم به ، ويستعد لقبول نور الحق الفياض من لدنه ، فيتوصل منه إلى الجمال المطلق ، فيتلاشى شهوده ، حتى ينعدم وجوده لذاته فيه ، فيصير من الأرواح المقربة ، والعوالم المهيمة ، ولا يزال يصفو ويتمحض ، فيستعد فيقبل . وكلما أشرق النور على ذاته زادت صفاء ، حتى يصير نوراً قدسياً ، فعند ذلك ترتفع لها الحجب الجلالية ، فتعاين ما لا تحيط به الأوهام ، ولا تنتهى إليه المدارك ، ولا يطمع فى فهم حقيقته طامع .

---

(١) ق : ظ ، س (بصرنا) .
(٢) ق : س (ولا بقا) تحريف .
(٣) أى نزلنا عن ركائبنا كرامة لمن نحب . لئلا نلم به ركبانا .
(٤) فى جميع الأصول . إذا صفت من الكدورات ولطفت . والصحيح ما أثبتناه لعدم وجود جواب إذا مع واو العطف .
(٥) ق : ظ (بقربها) .
(٦) ق : ظ (والنقاية) .
(٧) ق : ظ السفليات .

خضت الأجنة حتى لاح لى قبس فبان بان الحمى من ذلك القبس
فقلت للعين غضى عن محاسنهم وقلت للنطاق هذا موضع الخرس

ويذهلها عن النظر إلى ذاتها(١) . إذ النظر إليها حجـــاب عن كمال الشهود ، فتفنى عن نفسها ، ثم ترى علمها بالفناء شائباً فى صفو الشهود (٢) ، فتفنى عن رؤية فنائها ، فتصل بذلك إلى بقائها السرمدى(٣) .

فإذا جازت هذا المقام وهو فناء الفناء ، وعدم منها الخلق بالـكلية ، وتجلى لهـــا الحق فشهدته موصوفاً بالصفة التى تليق به ، فحينئذ يصح الوصول ، وتـكمل السعادة القصوى .

قالوا : وإذا شهد العارفون الحق على ما هو عليه ، بعدم ذواتهم من غير حجاب ، تجلت لهم جميع الصور الموجودات : « ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه » . قال الشيخ(٤) : فغشيه غاش ، فيكاد يرى الله فى كل شىء ، فرأوا العالم كله بالله ، لـكنهم رأوه عدما محضا ، لا وجود له من ذاته ، إنما هو عارية من الله ، وكل شىء هالك إلا وجهه ، له الحـكم وإليه ترجعون(٥) » .

---

(١) أى عن ذات العارف الصاعد فى سلوكه .

(٢) لأن شهود الفناء وقوف عن السير والسلوك .

(٣) وهو البقاء الذى يشبه بقاء الطفل الوليد مع الفارق ، حيث أن الوليد لا يشعر بشىء ولا يقف عند شىء ، ولذلك قالوا إن الوليد حديث عهد بربه فسخر له الله الـكبار من خلقه .

(٤) هو الشيخ أبو الفرج البغدادى كما ينم عليه أسلوبه .

(٥) ليس هذا حلولا ولا اتحادا ، لأن صاحب هذا المشهد ، يرى الوجود كله عدما ، لأن وجوده عارية من الله ، فليس وجودا حقيقيا ، ثم هو ينظر إلى الشىء بنور الله ، فيشهد الأثر الإلهى من أعمال الصفات والأسماء فى كل شىء ، ثم هى ليست رؤية حسية ، بل هو إحساس وجدانى ، أرأيت من يغشى مكانا مهيبا ليقابل إنسانا مهيبا ، فانه عند المخاطبة يذهل عمن حوله من الخدم وغيرهم . ويراهم لا شىء . وهكذا الصوفى فى حياته تستولى عليه الهيبة فيرى كل شىء بالله ويرده إلى الله . (انظر : منهاج العوارف المنسوب إلى القاضى عياض . مخطوط حديث ، عند الـكلام على حديث الرؤية)

فهمت سر الهوى[١] لما هوت قدمى   لكنه بالنهى فى السر خلقنى[٢]
وخضت فى الحب أهوالا فنيت بها   عن الوجود فأدنانى وقربنى

وربما كانت هذه الحال لوامع تضىء وقتاً وتغيب وقتاً ، وبوارق تومض حيناً ، ثم تصير ملكة مستقرة للعارف .

ومنهم من يرد عن هذا المقام رحمة للخلق ، وسبقة للهداية ، منزلا إلى عالم الكون بالله ، متصرفا فيه بأمر الله ، مختصا بولاية الله ، تشهد له بذلك الخوارق والكرامات ، مع الحفظ من المخالفات ، وتوفر النصيب من حظوظ النبوة(٣) . وهو المخصوص إلى هذا الحد بالقطبية والغوثية ، والمشرف على أولى رتب الملائكة ، إذ حاصلها الخلود فى [٨٢ ب] جوار الله .

---

(١) ق : س (سر الوجود) وهو مخل بالوزن .
(٢) ق : ظ (وحصلنى) . تحريف
(٣) يريد بذلك ميراث النبوه . فالأتقياء من العلماء هم ورثة الأنبياء فى أحوالهم لا فى نبوتهم .

القسم الثالث

من الجرم وهو قلبه

وفيه المجاهدات والرياضات التى عليها يقوم ، ولغصون المقامات بها المقام المعلوم .

قال المؤلف رحمه الله : فيجب على من عقل وتدبر ، وأبصر واستبصر ، واستمع القول فاتبع أحسنه ، ورام مصلحة نفسه ، ولاحظ عاقبة أمره . - إذ « لايستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . « إنما يستجيب الذين يسمعون » - أن يعلم أن كل مخلوق مسافر من وطن الدنيا إلى وطن الآخرة . وأن المكلف لا يحط رحله من وطن الدنيا إلا فى الجنة أو فى النار . وتختلف أحوال المعاد والدارين بحسب رأى المكلف .

فالواجب عليه إن كان من أهل العقل والتمييز أن يعلم أن المسافر راكب ظهر خطر، مُعرّض للمشقات ، متحمل لشظف (العيش)[1] والمحن لا يستقر ولا ينعم ، ولا يسكن إلى راحة ، ولا يحصل له تدبير صحة [2] ولا استكمال لذة ، لاختلاف المياه والأهوية ، وتشتيت [3] سير أرباب المناهل ، وعمرة المنازل ، وافتقاره من المعاملات لما يصلح لكل طائفة [4] إذ هو عندهم قليل اللبث ، منصرف من الغد . فكيف يعقل فيمن حاله هكذا دعة ، أو يتصور فيها[5] نعيم وهدنة ، وقد شهد الحس والعيان ،

---

(١) ساقطة من الأصل ، ظ وفيهما : للشطف والمحن . تحريف

(٢) ف : س (تدبير صحبة) .

(٣) ف : ظ ، س (وشتت) .

(٤) ف : ظ ، س (بكل طائفة) .

(٥) ف : ظ . فيه .

وعرف السلف والخلف ، والعقل والنقل أن المستغرق القلب (١) فى حرث الدنيا ، الساهى عن حرث الآخرة ، لا بد أن يصبح « يقلب كفيه على ما أنفق فيها ، وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا » . « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » . فالدنيا والآخرة كفتان ، تميل إحداهما الثانية(٢) ، وضرتان تعير إحداهما الأخرى ، ومن آثر الفانى عن الباقى فمعتوه ، ومن باع الجوهرة بالخرزة(٣) فمخذول ، وإن الوصول إلى الله مسبب عن السلوك ، والسلوك مسبب عن الإرادة ، والإرادة مسببة عن الإيمان .

فمن ضحت فطرته(٤) وصحت فكرته ، رأى أنه قد اعتورته المتالف ، واستأثرت به الورطة ، فتفقد نفسه من حيث أصيب ، واستبيح حمى عزمه ، وأطى(٥) ميزان عقله ، وصونع أمين تمييزه(٦) ، فيجد إيمانه مدخولا (٧) والحجاب بينه وبين الله كثيفا ، والطريق إلى الله مسدودة ، ويلق (٨) ريح عزمه خافته ـ قيل لبعض العرب : كيف كان هوا كم البارحة ؟ قال : أمسك . كأنه يستمع (٩) ـ وأن الشهوات من مال وجاه ، وعصيان وتقليد ، قد اغتصبت خطة قلبه ، وسرقت حدود إيمانه ، فتاب وصرخ ، ونادى وأعول وعرض عقدة الإيمان على شعيرة الإخلاص ، « ليميز الله الخبيث من الطيب »

---

(١) فى : س (أن المتمرق القلب) .
(٢) فى : ظ ، س (الأخرى) .
(٣) فى : ظ س (بالبعرة) .
(٤) ضحا يضحو : وصح وظهر .
(٥) أى اصطرب واختل .
(٦) فى : ظ ، س (أمير تمييزه) .
(٧) فى : الأصل مدخولا (فيجد إيمانه مخذولا) .
(٨) فى : الأصل ، ظ . (وألقى) .
(٩) وذلك لضعفه حتى لا يكاد يسمع إلا بإصغاء بالغ .

فانتشق (١) نسيم لطائف الإرادة « وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته » . وبادر الحجاب الحائل دون المحبوب ، مواثبا إياه بيد التمزيق ، مواثبة شطار المحبين ، فجعله مزقا .

أما ماله فخبط خضراءه بعضا الصدقة ، وإن أبقى فبقدر الضرورة (٢) وأما جاهه فبنحى نسبه ، عاقدا وثيقة الخمول (٣) ، والإشادة به فى أسواق التواضع . وأما التقليد فبخلع لباس التغالى ، وترك دعوى الجاهلية ، وقتل عدو التعصب والهوى بسلاح الحق . وأما العصيان فبالانغماس فى غدير التوبة ، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين .

ليس عزما ما فكر المرء فيه ليس هما ما عاق عنه الظلام

(آخر) (٤) :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه (٥) ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى أمره غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

وسبيل مجاهدة الهوى رياضة النفس على فك أناملها عن هذه الخدع الأربع (٦) ، من وجوه مكتسبة ، ووجوه غير مكتسبة .

فمنها أن تكون النفس مستعدة لهذا الشأن ، ملائمة له ، قال الشيخ

---

(١) فى : ظ ، س (واستنشق) .

(٢) للحارث المحاسبى رأى متطرف فى مسائل المال . فهو لا يرى جواز اقتناء المال ، وقد ناقش الموضوع مناقشة جيدة انظر : [الباب الثانى والثالث من النصائح] ط . القاهرة . من تحقيقنا

(٣) ليس المراد بالخمول الكسل وعدم العمل . بل المراد به عدم الميل إلى الشهرة . وإيثار العمل فى صمت دون دعاية ولا مزاحمة للغير . وتلك طريقة سلوكية تنقذ المجتمع من أخطار كثيرة يجرها الطمع فى الشهرة .

(٤) ساقطة من : ظ .

(٥) فى : الأصل ، س . أحل الفتى ما بين عينيه عزمه) وجاء الشطر مضطربا بافى : س هكذا (إذا هم الفتى بين عينيه عزمه) .

(٦) هى : المال ، والجاه ، والعصيان ، والتقليد .

الرئيس : جل جناب الحق أن يكون مشرعاً(١) لكل وارد ، أو يصل إليه إلا واحد ، ولذلك كان ما يشتمل عليه هذا الفن من كلامنا ضحكة عند المغفل ، وعبرة عند المحصل ، فمن سمعه فاشمأزت نفسه منه فليتهم نفسه ، فلعلها لا تناسبه ، فكل ميسر لما خلق له . فإن كان غير مستعد ولا قابل لم يكن موضوعاً للرياضة ، لأن تأثير الرياضة ليس إلا فى إزالة الحجب والأستار والعوائق ، ولا يكفى فى ذلك الفاعل ، من غير قابلية فى المنفعل وربما أفادت سلامة(٢) ، لأن عذاب النفس بعد المفارقة يقل بتقليل العلائق التى تتعذب بها النفس [فى الدنيا] بالشوق إلى البدن .

ومنها أن يكون المرتاض يعتمد على شيخ ، يلقى أزمته بيده ، ليهديه(٣) قبل أن تسبقه إليها يد الشيطان .

كن المعزى لا المعزى به إن كان لابد من الواحد

(وبما(٤)) ينقل « من لم يكن له شيخ كان الشيطان شيخه » . وبحسب علم المرتاض أوجهله يكون احتياجه إليه ، وشبهوا المستقل بنفسه من غير مرب بالشجرة النابتة من تلقاء نفسها ، إن أورقت فقل ماتثمر ، وقالوا : « خطؤه مع الدليل ، خير من إصابته دونه » .

ويشترط فيه العلم والتحقق والسلوك كما تقدم . أما العلم فلضرورة معرفة جواد(٥) الطريق ، وبيناته وقواطعه ، من الحلول والاتحاد ، والمغلطة من الأنوار(٦) ، والواردات الشيطانية . وأما التحقيق . فلايصح

---

(١) فى : ظ ، س . شريعة . وهى مورد الماء .
(٢) فى : ظ (ملامة) .
(٣) فى : ظ (لهديه) ، وفى : س (يهديه) .
(٤) ساقطة من الأصل و س .
(٥) جمع جادة . وهى الطريق المستقيم .
(٦) أى المغالطة من الأنوار ، وقد تحدث أنوار غير حقيقية . يعرفها المرشد الخبير راجع هذا الباب فى (الإبريز لسيدى عبد العزيز لدباغ) ويكاد يكون خبراء الطريق معدومين الآن .

الاقتداء بمن حرم قاعدة طريقه ، وعمل بغير ما عين فيه سبب النجاة . وأما السلوك فلأن المجذوب لا يقتدى به ، ومثله كواجد الكنز فى اقتداء طالب المال به ، وهو أمر غير كسبى ، وطريق اكتساب المال سواه .

فالسالك هو الذى يصلح للتربية ، ويعلم طريق(١) الاكتساب ، ويدل ويخبر بأحوال الطريق ، ويشق مع المتبع بعض مفاوزها . ومنها اتفاق الرفقاء والخلطاء والمسافرين فى طريق الرياضة البدنية والنفسانية ، وهو [قائم] على ماينفر عن الدنيا ، ويرغب فى الآخرة ، ثم يركب بحر العمل ، ويقتحم (٢) لج الرياضة البدنية والنفسانية ، وهو من الأعراض المكتسبة ويتسلم من المرشد مفاتيح معاوث (٣) الطريق ومعتصماته ، وهى الخلوة والصمت والجوع والسهر .

فالجوع يرق (به (٤)) دم السويداء ، ويجفف عجرفية القلب ، و [به] ينفسح مجال الروح ، وتومض من ثناياه بروق المكاشفة (٥) . قال فى الإنجيل : معاشر الحواريين ، جوعوا لعل قلوبكم ترى ربكم . وتنوير القلب عن الجوع من ذوائع التجربة ، بعد مراعاة الحذر من إخلاله

---

(١) فى : ظ طريقة الاكتساب . وفى : س . طرق الاكتساب .

(٢) فى : ظ ، س (ويفتح) .

(٣) المعاوث : الصعوبات .

(٤) ساقطة من : ظ .

(٥) للجوع حال ومقام . فحاله الخشوع والخضوع ، والمسكنة والذلة ، والافتقار ، وعدم الفضول ، وسكون الجوارح ، وعدم الخواطر الرديئة . هذا هو حال الجوع فى السالكين . وأما حاله فى المحققين ، فالرقة والصفاء ، والمؤانسة وذهاب الكون ، والتنزل عن أوصاف البشرية ، لعزة الإلهية والسلطان الربانى . ومقامه المقام الصمدانى . [راجع حلية الأبدال لسيدى محيى الدين بن عربى . مخطوط خاص بمكتبة أستاذنا الراحل : سيدى عبد الخالق الشبراوى . وانظر : عضو القلب . من مواقع النجوم لسيدى محيى الدين بن عربى أيضا] .

والمحقق إذا كان فى مقام الأنس قل أكله ؛ وإن كان فى مقام الهيبة كثر أكله ، وكثرة أكل المحقق دليل على صحة سطوات أنوار الحقيقة على قلبه . وقلة أكله دليل على صحة المحادثة بحال المؤانسة (حلية الأبدال) .

بالأعضاء الرئيسية ، وتسبب اليبس المشوش للفكر ، الجالب للاضطراب ، [٨٣ ا] وملاحظة ما ينجد الأرواح ، وترجح فيه الكيفية على الكمية .

وأما السهر (١) . فينشر (٢) الروح ، ويحد الفكر ، ويمكن من غنيمة الفراغ ، ويساعد منادم الجوع على معاقبة (٣) تهذيب السر ، « نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء » . فتتجلى (٤) خبايا الملكوت ، وتجتر (٥) الأفكار عروق حقارة الدنيا ، وتتضاعف معارج الترقى عن حضيض العاجل . والسهر أخو الجوع تلازماً ، وابنه تولداً ، قال الشاعر :

وما السؤدد المكسوب إلا دون ما يومى إليه السؤدد المولود

فإذا هما اجتمعا تكسرت القنا إن نوزعا وتضعضع الجلمود

وورد فى صفة الأبدال « أكلهم فاقة ، ونومهم غلبة » .

وأما الصمت(٦) ـ وإن كان من لوازم الخلوة ، ومن العصمة ألا تجد ـ فهو مطاق وحى الفكرة ، وجالى صدأ العقل ، وبضاعة ربح الورع ، وغلة بذر التقوى .

---

(١) سهر القلب أعلى من سهر العين ، وهو انتباه الهمة فى القلب لطلب المشاهدات ، وقد يسهر القلب مع نوم العين . ومقامه مقام القيومية عند من جوز التحقق والتخلق القيومية ، ومنهم الشيخ الأكبر . (حلية الأبدال) .

(٢) فى : س (فيشير الروح) .

(٣) فى : س . على معاقدة تهذيب السر.

(٤) فى : ظ (فتنجلى) .

(٥) فى : ظ س (وتحترس) . تحريف

(٦) الصمت قسمان ، صمت اللسان عن الحديث لغير الله ، مع غير الله . وصمت القلب ، عن كل خاطر فى النفس فى أى كون من الأكوان ، فمن صمت قلبه ظهر له سره ، وتجلى له ربه ، فإذا لم يصمت معه اللسان ، فهو متكلم بلسان الحكمة ، ومن لم يصمت بلسانه ولا بقلبه كان مملكة للشيطان ومسخرة له . وحال صمت المقربين التأنيس ، لأنهم لاحديث لهم إلا مع ربهم . ومقام الصمت مقام الوحى على ضروبه (حلية الأبدال) .

وأما الخلوة[1] فالحصن الحصين من تسور الشواغل، وقفل الحواس (٢) الحافظ من نشور العوائد ـ والقلب حوض لا يماح أجنه ـ حتى تقطع عنه جداول الحواس، وتصرف عنه ميازيب المشاعر، وهذه وظيفة الخلوة . وربما أعان الدثار والاستغلاق، والتراجع فى الإزرار . وشاهد اقتدائه : « يا أيها المدثر » . « يا أيها المزمل » .

وهذه الأحوال هى مظنات الكشف، ومواعيد الواردات، والخوخات إلى حضرة الحق، بفضله ورحمته .

قال بعض الفضلاء : يلحظ فى السالك ودائع المحسوسات ، من مذوق يزاحم هم استجلابه الوقت، وتغير بطنتة جو الفطنة ، وتطلق يد القسوة على يتيم الرقة[3] ، فيقتصر منه على الضرورة الملائمة ، ومن مرئ ذى ألوان تختار حبيبة للأرواح ، بماسة للنفوس ، فكثيراً ما تكدر أضدادها ، وتثقل عليها وطأة الرياضة .

و [يجب أن] يجتنب النقوش والزخارف ، ويعتمد على البساطة من الخضرة والبياض . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه البياض . ومن مسموع ، وهو إما ألحان مناسبة ، منها مايزيد القلب أشجاناً وهيجاناً، بالمعنى الجائل فى زواياه ، ويجرده بمحضه ، لا سيما إذا قرن به من المشوقات ما يستدعى الحنين ، ويجلب الوجد ، فيلطف السر ، وتتضاعف الرقة ، ومن المسموع وأحواله يزكو (٤) الصمت ، وهو شاق ، إذ الإنسان فعال

---

(١) لصاحب الخلوة نيات ثلاث . نية اتقاء شر الناس ، ونية اتقاء شره المتعدى إلى الغير، وهو أرفع من الأول ، فان فى الأول سوء الظن بالناس ، والثانى سوء ظنه بنفسه ، وسوء الظن بنفسك أولى . لأنك بنفسك أعرف . ونية إيثار صحبة المولى من جانب الملأ الأعلى . ومن آثر صحبة المولى لم يعرف أحد مايعطيه الله تعالى من المواهب والأسرار (حلية الأبدال).

(٢) فى : س (وفعل الحواس) . تحريف

(٣) فى : ظ س (على دل شيم الرقة) .

(٤) فى : ظ د س . نرك الصمت .

بالطبع . ومن مشموم ، وحقه أن يتناول النسيم الصريح ، بالسكنى فى الأماكن الطيبة ، المنتبذة عن الناس. والطيب مد للأرواح(١) ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الطيب . ومن ملموس ، وأهمه المنكوح(٢) . وهو من قواطع الرياضة ، ولا دافع لمضرته كالصوم ، وإلا فالتزويج الذى (لا) (٣) تشغل أغراضه عن القصد .

ما قام خيرك يا زمان بشره   أولى لنا ما قل منك وما كفى

ومنها الملبوسات . والغرض أن يقصد بها ما يدفع ضرر الفصول . وأن يكون نظيفاً ، موافقاً للشرع والطبع (٤) .

وبعد هذا . يشرع فى قطع العقبات المعترضة فى سفر القلب . وهى رسوم العلائق المقطوعة . وجرائم الهوى [٨٣ ب] المستورة (٥) من مال أو جاه ، وحنين(٦) إلى شهوة وتهمة ، واشتغال بغير علم نافع(٧) ، وكلف بمعصية ، حتى إذا وذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، ضربت(٨) على النفس الجزى ، ونوزعت فى الهوى ، وأخذ بحجزها عن المهوى (٩).

والناس فى اختلاف الأحوال ، وطول زمان هذه الأهوال متفاوتون ، وفى درج السير لا يستوون .

---

(١) فى س (غذاء الأرواح)

(٢) فى الأصل . ظ (أوهمة المتلوح) تحريف

(٣) ساقطة من ظ ، س .

(٤) فليست شعائر التصوف لباس مضحك شاذ عن لباس المجتمع كما يفعل الكثيرون من الجهلاء الأدعياء .

(٥) فى : س (المستوردة) . تحريف

(٦) فى : ظ (وحسن إلى شريق) تحريف .

(٧) فى : ظ ، س (بعلم غير نافع) .

(٨) فى : س (صرفت)

(٩) فى : س (وتوزعت وأخذ بحجزها عن الهوى) .

فإذا ضعفت العلائق ، وخمدت بالمجاهدة تلك البوائق(١) ، ونكست رءوس الشهوات ، وخزيت سبال الهوى ، « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى ، وغيض الماء ، وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين » . رتب له قيوم سلوكه فى أرض الفتح رابطة الذكر ، واقتصر على الفرائض ، وصرفه عن طوع حشود المجاهـــدة ، وأفرده بمنتبذ(٢) ، ووكل به من يكفيه شاغل الضرورة ، ولقنه الذكر ، يحرك بريحه ورقة لسانه ، ثم تستمر الحركة مع سكونه ، ثم تنتقل صورته(٣) إلى قلبه ، ثم تمحى الصورة ، وتبقى (فيه) (٤)حقيقته حاضرة غالبة ، وعند ذلك تسد مسالك الخواطر ، وتكافح سرايا الشيطان المغيرة من ثنايا الطاعات (٥) وينادى لسان الحضور : « ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » . فيسمع النداء من كثيب(٦) ، يرفع بهمنجد الشيخ عقيرته « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم. إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » . ثم لا يزال يعرض مواجيده على ربان مركب هـــذا السير ، فتارة يخفض ، وتارة يشجع (٧) ، وأخرى يدمر (٨) ، ويكون أمره بالفكرة (٩) تارة ،

---

(١) البوائق : المهلكات .

(٢) فى : ظ (بجد) . ولعله يريد : بعدد . كما ى ؛ س أى عزله عن إخوان السلوك.

(٣) أى صورة الذكر ، ويصير الذكر قلبيا . وصورة الذكر تكون بانتقاش الاسم المذكور فى القلب ، ونبض القلب به ومحو هذه الصورة يكون باستبقاء الحال الذى أنتجه الذكر ، وإخماد حركه القلب ، ونسيانها .

(٤) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٥) يغير الشيطان على العبد من ثنايا الطـــاعات ، بأن يدفعـــه إلى الإعجاب بها . (انظر باب النية من كتاب علم القلوب ، لأبى طالب المكى . من تحقيقنا)

(٦) فى : ظ (من كشف) وى : س (من كبث) . تحريف

(٧) فى : ظ ، س (يسمع) .

(٨) التدمير طريقة سلوكية تسمى عند الصوفية « بالتخريب » وأشهر من عرف بها العارف بالله سيدى العربى بن أحمد الدرقاوى من شاذلية المغرب . وتتلخص فى إبادة كل شىء يعتز به المريد حتى يتخلص توجهه إلى ربه دون شاغل من الشواغل . فاذا تمت له المعرفة أعيد إلى ما كان عليه .

(٩) ى : ظ ، س « بالفكر تارة .

ورده إلى العقد تارة ، حتى يمن الموفق بقطع بحر الغرور ، والإرساء بمرفأ(١) الشهود ، فحينئذ ينشد :

إذا غاب الوجود وغبت عنه ... فلم تعلم أبعد أم تدانى
وكنت من الزمان بلا زمان ... وكنت من المكان بلا مكان
وقلت فنيت قال الحال باق ... وقلت بقيت قال الحال فان
رأيت الحق فيك وأنت فيه ... فصار العبد حراً فى أمان

الرياضات

وربما خص بعض المدونين المجاهدات بما يرجع إلى الأمور البدنية ، والرياضات بما يرجع إلى الأمور النفسانية ، وعندى أن الكل راجع إلى الأمور النفسانية ، لكن نبهنا على ذلك مع حصول الغرض والحمد لله على كل وجه ، فنقول :

اعلم أن العارف لا بد أن يتخطى المقامات ، التى هى منازل السالكين إلى حضرة الحق مقاماً (مقاما (٢)) ، فكلما عرج عن مقام ، التفت إليه من الذى يليه ، فكمله (٣) حتى يستوعب المنازل ، ويطوى المراحل ، ويتصف بها فى أطوارها الثلاثة ، ودرجاتها المتفاضلة ، إسلاما وإيمانا وإحسانا ، ويكون مع طى سجلاتها ، وحذق صحائفها ، والاجتياز (٤) على رسومها [٨٤ ا] موجوداً فى جميعها ، قائما بصفاتها ، مرتبط البدايات بالنهايات ، والفواتح بالغايات ، لا يحجبه الجمع عن الفرق (٥) ، ولا يقطعه

(١) فى : ظ « بمرق الشهود » .
(٢) ساقطة من : ظ .
(٣) فى الأصل ، س « فكلمه » . وشاهده من السنة قوله عليه السلام : « إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة » . أى إنه كان يشعر بضعف الأنوار التى ترق عنها ، فيكملها حتى يصير نورا كله
(٤) فى : ظ «الاحتياز على رسومها» .
(٥) فى : س . «من الفرق» .

الخلق عن الحق ، نظره مطلق ، وباب الشهود عليه لايغلق . فمقامه هو المقام المحمود ، وذاته المرآة التى يتجلى بها الوجود ، ونحن إن عددنا المقامات ، وترقيه فى معارجها (١) ، وسلوكه على منازلها ، كثرنا الكتاب بمضمنات أوراق ، واصطلاح آفاق . فلنلسع بذلك إلماعا يرفع عن الكتاب معرة الإغفال ، ويشمر أذيال الإطناب والاحتفال ، فنقول :

إن العارف تسمية بالمآل (٢)، لا بد له من بعد اقتحام سفر المجاهدين (٣) البدنية وما معها ، وهى التى تنضى (٤) الظهر ، وتتحيف (٥) الخف ، وتفضى إلى فضاء السلوك ، من استيعاب قسم البدايات ، ثم إتباعها بقسم الأبواب ، ثم تعزيزها (٦) بقسم المعاملات ، ثم تعقيبها بقسم الأخلاق ، ثم إيصالها (٧) بقسم الأصــول ، ثم الإفضاء إلى قسم الأودية ، ثم الانتقال إلى قسم الأحوال ، ثم الدخول إلى قسم الولايات ، ثم التحقق بقسم الحقائق . ثم الانتهاء إلى قسم النهايات . ونحن نخرج فى سطح الجرم الشريف هذه الأقسام غصونا ، ونجعل أقسام كل غصن من الإســلام ، والإيمان ، والإحسان ، فى الغصن فروعا ، ونجعل أقسام كل فرع منها ورقات إن شاء الله (تعالى (٨)) . ونأتم فى تقريرها وإن خالفناه فى الاختصار . وتنويع العبارة . بالجزء المعروف « بمقامات السائرين إلى الحق » إذ مؤلفه هو الإمام

---

(١) ف : ظ «فى معراجها» .

(٢) ف : س. نسمية بالمال .

(٣) فى الأصل : «شعر المجاهدة» تحريف . وفى : ظ «ثغر المجاهدة» وهو صحيح المعنى، أى بعد الوصول إلى الحدود الأخيرة للمجاهدة إن كان الثغر بمعنى حدود الدول ، أو بمعنى خوض بحر المجاهدة واقتحام الثغور المطلة على شاطئة .

(٤) ف : ظ : «تبغى الظهر» ولعلها ، تفنى الظهر .

(٥) ف : ظ ، س « وتخف الخف » . تحريف

(٦) ف : ظ «تقريرها» .

(٧) ف : ظ « إقضالها » . تحريف

(٨) ساقطة من : ظ .

وكتابه الزمام . وإن كان ماجاء به نتائج لاتفيد . وأخبارا لاتبدىء فى صورة السلوك ولا تعيد ، فمن ذلك :

الغصن الأول

غصن فروع البدايات ، وفروعه عشرة

الفرع الأول فرع اليقظة : ويقال القومة ، وهى التنبه من سنة الغفلة ، والنهوض عن ورطة الفترة ، ورقاته ثلاث ، وقد ذكرناه (فى شوارع المحبة) (١) بين يدى التوبة .

الفرع الثانى فرع التوبة : وهو فرع كبير ، ورقاته ثلاث ، وقد ذكرناه فى شوارع المحبة ، فلينظر هنالك .

الفرع الثالث فرع المحاسبة : ورقاته (ثلاث (٢)) ، وهـذا الفرع يجنى بعد العزيمة على عقد التوبة . والسالك فيه فى رقة مقام الإسلام يقتبس (٣) من النعمة والجناية بنور الحكمة ، وسوء الظن بالنفس وتمييز النعمة من الفتنة وفى ورقة الإيمان يميز ما للحق عما له أو منه ، وفى ورقه الإحسان يعرف أن ما رضيه من الطاعات فهى عليه ، وما عير به أخاه من غيرها فهى إليه .

الفرع الرابع فرع الإنابة : وهى الرجوع إلى الله(٤) إصلاحاً ، كما رجع اعتذارا ، ووفاء كما رجع عهدا ، وحالا ، كما رجع إليه إجابة ، وورقاته ثلاث .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٢) ساقطة من : ظ . رأشهر من عرف بالمحاسبة « الحارث بن أسد المحاسبى » شيخ الجنيد . انظر (حلية الأولياء جـ ١٠ ومقدمة كتاب الوصايا . له ، من تحقيقنا)

(٣) فى : ظ يقدس وفى : س يعيش بين النعمة والجناية .

(٤) فى : ظ «إلى الحق» .

الفرع الخامس فرع التفكر ، وهو تلمس البصيرة لاستدراك النعمة وهى فى عين التوحيد ، وفى لطائف الصفة ،وفى معانى الأحوال والأعمال وورقاته ثلاث ، وقد ذكرناه بين يدى المحبة .

الفرع السادس فرع التذكر . وأركانه الانتفاع بالعظة (١) ، والاستبصار بالعبرة ، والظفر بثمرة الفكرة ، وورقاته ثلاث .

الفرع السابع فرع الاعتصام . وهو المحافظة على الطاعة ، مراقبة للأمر (٢)، وأوله ورقة الاعتصام بالجسوم ، [٨٤ ب] ثم ورقة الاعتصام بالانقطاع ، ثم ورقة (الاعتصام) (٣) بالاتصال ،وهو شهود الحق تفريدا وهو الاعتصام بالله .

الفرع الثامن فرع الفرار ، وهو الهرب من الخلق (٤) ، إلى الحق وورقته الأولى فرار من الجهل إلى العلم ، والثانية من الخبر إلى الشهود ، وورقته الثالثة مما دون الحق ، من فرار أو شهود .

الفرع التاسع فرع الرياضة ، وهى تمرين النفس على الصدق ، وورقته الأولى تهذيب الأخلاق بالعلم ، والأعمال بالإخلاص ، والثانية حسم التفرق والالتفات ، مع إتقاء العلم ، والثالثة تجريد (٥) الشهود والصعود إلى الجمع من غير معارضة .

الفرع العاشر فرع السماع . وقد مر ذكره فى الجواذب ، وورقاته ثلاث .

---

(١) فى : ظ « بالغبطة » وفى : س « باليقظة »

(٢) لا مراقبة لحكمة الأمر ؟ انظر (منهاج العوارف) مخطوط فى الحديث ٢١٥ بدار الكتب المصرية ، ومنسوب للقاضى عياض ، الحديث الأول

(٣) ساقطة من : ظ

(٤) فى : ظ ، س « عن الخلق »

(٥) فى : ظ « تحديد الشهود »

الغصن الثـانى

غصن فروع الأبواب ، وهى عشرة فروع

الفرع الأول ، فرع الحزن . وهو مما يذكر فى غصن علامات المحبة وتوابعها من هذا الكتاب ، وورقاته ثلاث .

الفرع الثانى ، فرع الخوف . وقد ذكرناه فى مثال ملازمة المحبة للمقامات ونذكره فى غصن العلامات إن شاء الله .

الفرع الثالث ، فرع الاشفاق . وهو دومة الحذر مقرونا بالترحم ، ورقته الأولى ، إشفاق على النفس من العنـاد ؛ وعلى العمل من الضياع ، وعلى الخليقة من المعاذير ، والثانية على الوقت من التفرقة ، وعلى القلب من العارض . وعلى اليقين من السبب . وفى الثالثة يصون السعى من العجب ويكف عن المخاصمة . ويحمل [النفس] على حفظ الحد .

الفرع الرابع فرع الخشوع(١)وهوخمود لمتعاظم أو مفزع ورقته الأولى التذلل للأمر ، والثانية ترقب آفات النفس والعمل ، ورؤية الفضل للغير وتنسم الفناء . والثالثة حفظ الحرمة عند الكشف ،وتصفية الوقت من الرياء .

الفرع الخامس : فرع الإخبات . وهو من بداوات الطمأنينة وأولى ورقاته(٢)أن تستغرق العصمة الشهوة ، والإراده الغفلة ، والطلب السلوة . والثانية ألا تنقص الإرادة بسبب ، ولا وحش(٣) القلب عارض ، ولا يقطع الطريق فتنة . والثالثة : أن يستوى المدح والذم ، وتدوم اللائمة للنفس وتعمى عن نقصان الخلق .

الفرع السادس : فرع الزهد وقد مر ذكره فى ملازمة المقامات للمحبة .

---

(١) ق : ظ « الجسوم » تحريف

(٢) ق : ظ « وأولى أوراقه »

(٣) ق : ظ « ولايوجس القلب »

الفرع السابع . فرع الورع . وهو آخر مقام الزهد للعوام ، وأوله للمريدين ، وهو تحرج على عظيم . وأوراقه ، أولاها تجنب القبائح ، وتوفير الحسنات ، صونا للإيمان . الثانية ، حفظ الحدود عندما لا بأس به لأجل ما به البأس(١) . الثالثة ، عن كل ما يتعلق بالفرق ، أو يعارض الجمع (٢) .

الفرع الثامن : فرع التبتل . وهو الإنقطاع ، ورقته الأولى تجريد الإنقطاع عن الحظوظ والمبالاة لشهود الحقيقة ، والثانية تجريده عن التعريج على النفس بمجانبة الهوى ، وتنسم الأنس وشم الكشف(٣) . والثالثة : تجريده إلى السبق(٤) ، والنظر إلى أوائل(٥) ، الجمع .

الفرع التاسع : فرع الرجاء . وقد مر [و] ألمعنا به (٦) فيما تقدم ، فلينظر فيه .

الفرع العاشر . فرع الرغبة . وهو فوق الرجاء ، ورقته الأولى ، رغبة (٧) أهل [١٨٥] الخير المتولدة من العلم . الثانية رغبة أهل الحال . الثالثة . رغبة أهل الشهود . وتصحبه بقية(٨) ، وتحمله همة نقية ولا ينبغي معه من التفرقة بقية .

---

(١) أي تحرى الحلال الخالص فى المباح ، لئلا يقع فى المحرم.

(٢) أي الورع عما يجر إليه عالم التفرقة من خطواطر رديئة ، كاعتقاد الملك للانسان ؛ ونسبة الفعل للأسباب ؛ وعدم النظر إلى المسبب ، بل يلزم مقام الجمع ، بأن ينظر إلى الأشياء من أصلها ومنبعها ، ويلازم هذا الشهود ، ويضرب عما يعارضه .

(٣) فى : ظ (وتنسم الاسم رسم الكشف) وفى الأصل (وتنسم الأنس رسم الكف) تحريف

(٤) فى : ظ (إلى الشبق) تحريف .

(٥) فى ظ (إلى أوابد الجنع) .

(٦) فى الأصل : (وقد مر المعنى به) .

(٧) فى ظ : رتبة أهل الخير . تحريف .

(٨) فى الأصل ، س (وتصحبه تقية) ، والمعنى أن هذا المقام فيه بقية من حظ النفس وهى الرغبة ولكن الهمة الصافية القوية تمحو المبقية ، وتقضى على آثار الفرق .

الغصن الثالث

غصن فروع المعاملات ، وفيه عشرة فروع

الفرع الأول : فرع الرعاية : وهو الصون بالعناية . ورقته الأولى : رعاية الأعمال ، والثانية : رعاية الأحوال(١) ، والثالثة : رعاية الأوقات(٢).

الفرع الثانى : فرع المراقبة : وهو دوام ملاحظة المقصود ، وورقاته ثلاث . أولها(٣) ، مراقبة الحق فى السر ، بين تعظيم وسرور ، والثانية : مراقبة الحق برفض المعارضات . الثالثة مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق(٤) ، استقبالا لعين التوحيد ، ثم مراقبة الخلاص من المراقبة .

الفرع الثالث : فرع الحرمة : وهى التحرج (٥) عن المخالفات والمجاسرات . وورقته الاولى : تعظيم الأمر والنهى ، من غير لحظ عقوبة ولا مثوبة ، إذ هى شعب من عبادة النفس . الثانية إجراء الخبر على ظاهره وتبقية(٦) أعلام التوحيد فيه ، لايحمل البحث [فيها] تعسفا ، ولا يتكلف لها تأويلا(٧) . والثالثة : صيانة الانبساط من الجرأة ، والسرور من ، الأمن ، والشهود من السبب .

---

(١) بأن يقابل السالك كل حال بما يناسبه ، صونا له من الانحراف ، فيقابل البسط بالقبض ، والوجد بالسكون ، والاصطلام بسلب الإرادة . لأن السالك مثلا لو لم يقابل البسط بالقبض . فإنه ينحرف إلى الإدلال ، وسوء الأدب ، ولولم يقابل القبض بالبسط فإنه ينحرف إلى اليأس وهكذا .

(٢) وذلك بألا يمر وقت دون فكرة أو ذكر وألا ينظر إلى الأوقات الماضية ولا المستقبلة .

(٣) فى : ظ (أولاها) .

(٤) أى مراقبة الأزل وما صدر عنه ومراقبة أوائل الخلق لا أواخر فمن نظر إلى أوائل الخلق رأى الأشياء وكلها صادرة عن الله ومن نظر إلى أواخر الخلق لم ير سوى الخلق .

(٥) فى : ظ (الحرج عن المخالفات) .

(٦) فى : س ظ (وتبعية أعلام التوحيد فيه) .

(٧) فى الأصل ظ ، س . تأويل . وبناء الفعل للفاعل أرجح رعاية للسياق .

الفرع الرابع : فرع الإخلاص : وهو تصفية العمل مما يشوب . ورقته الأولى إخراج رؤية العمل ، فضلا عن طلب العوض عن العمل . والثانية الخجل من العمل . مع الغاية فيه ، ورؤية العمل من عين الجود المحض . والثالثة إخلاص بالخلاص منه ، والحرية من رق الرسم .

الفرع الخامس : فرع التهذيب : وهو محنة لأهل الرياضة (١) ، ورقته الأولى تهذيب الخدمة من الجهالة والعادة ووقوف الهمة . الثانية تهذيب الحال ، فلا يجنح لعلم (٢) ، ولا لرسم ، ولا لحظ . ثالثها تصفيته من الإكراه والفتور ، ونصرته على منازعة العلم .

الفرع السادس : فرع الإستقامة : وهو روح يحيي الاحوال ، وبرزخ بين التفرقة والجمع . ورقته الأولى الاستقامة على الجهاد . موافقاً نهج السنة ، ورسم العلم . وحد الإخلاص . الثانية . الاستقامة فى الأحوال . برفض الدعوى وشهود الحقيقة ، بغير كسب ، والبقاء مع اليقظة كذلك . والثالثة ترك رؤية الاستقامة .

الفرع السابع : فرع التوكل : وقد ذكر فى ملازمة المحبة للمقامات .

الفرع الثامن : فرع التفويض : وهو فوق التوكل ، ورقته الأولى . نفى الاستطاعة قبل العمل ، فلا يأمن من المكر ، ولا ييأس من المعونة والثانية : معاينة الاضطرار ، فلاالعمل منج ، ولا الذنب مهلك ، ولاالسبب

---

(١) فى : ظ س . لأرباب الرياضات

(٢) ليس المراد عدم طلب العلم بل المراد أن الإنسان عند هجوم الحال عليه لايحاول التعمل الفكرى لاستخلاص علم منه بل يسكن تحت مجاريه وحين ينجلى عنه الحال ويرقى منه إلى المقام تأبه العلوم وحدها.

حامل. الثالثة : شهود انفراد الحق بملك الحركة والسكون ، والمعرفة بتصريف التفرقة والجمع.

الفرع التاسع : فرع الثقة : وهى لباب التوكل ، ورقته الأولى . اليأس من مباراة الأحكام . الثانية ، الأمن من فوت المقدور ، فيظفر بروح الرضى ، أو بعين اليقين(١) ، أو بلطف الصبر . الثالثة ، معاينة أولية الحق ، المخلصة من التعريج عن الوسائل .

الفرع العاشر : فرع التسليم : وهو من أعلى سبل العامة ، ورقته الأولى تسليم لما يزاحم العقول . مما يشق على الأوهام . والثانية ، تسليم العلم والقصد والرسم للكشف والحقيقة . الثالثة ، تسليم ما دون الحق للحق ، [٨٥ ب] والسلامة من رؤية التسليم .

الغصن الرابع

غصن فروع الأخلاق ، وفيه عشرة فروع

الفرع الأول : الصبر : وقد ذكر فى ملازمة المحبة للمقامات ، ويذكر فى غصن العلامات ، إن شاء الله .

الفرع الثانى : فرع الرضا : وقد ذكرناه مع التوكل .

الفرع الثالث : فرع الشكر : وقد ذكرناه كذلك .

الفرع الرابع : فرع الحياء : وهو تعظيم منوط بود ، ورقته الأولى تتولد من علم العبد بنظر الحق . الثانية ، من النظر فى علم القرب . الثالثة ، من شهود الحضرة ، ولا توقف له على غاية .

---

(١) ى : ظ ، س (أو بعين النفس) .

(٢) فى : س (ولا السبب خامل) تصحيف .

(٣) فى : ظ (تولد) .

الفرع الخامس : فرع الصدق : وهو اسم لحقيقة الشيء . ورقته الأولى صدق القصد . الثانية، ألا يتمنى الحياة إلا للحق . الثالثة ، الصدق فى معرفة الصدق (١) .

الفرع السادس : فرع الايثار : وهو التفضيل : ورقته الأولى ، أن يؤثر الخلق على نفسه ، فيما لايحرم . الثانية إيثار رضى الله على غيره ، ولو بلغ ما عسى [أن يبلغ من مقامات] الثالثة إيثار الله ، ثم ترك شهود رؤية الإيثار ، ثم الغيبة عن هذا الترك .

الفرع السابع : فرع الخلق : قالوا : التصوف خلق ، فمن زاد عليك فى الخلق ، زاد عليك فى التصوف ومداره على بذل المعروف ، وكف الأذى ، ورقته الأولى . المعرفة بمقام الخلق . والثانية تحسين الخلق مع الحق ، بعلم أن كل ما من العبد ، موجب عذر ، وما من الرب موجب شكر . والثالثة : التخلق بتصفية الخلق ، ثم الصعود عن تعرفها ، ثم التخلق بمجاوزتها .

الفرع الثامن : فرع التواضع : وهو إذعان العبد لصولة الحق . ورقته الأولى ، لا يعارض المنقول بالمعقول ، ولا يرى سبيلا إلى الخلاف . الثانية ، الرضى بمن رضى الحق من المسلمين ، وعدم الرد للحق ممن كان ، وقبول المعاذير . والثالثة . الاتضاع للحق ، بالتنزل عن الرأى فى الخدمة ، وعن الرسم فى المشاهدة (والفترة) (٢).

الفرع التاسع : فرع الفتوة : وهو ألا تشهد لك فضلا ، ولا لك حقا . ورقته الأولى : ترك الخصومة ، والتغافل عن الزلة والأذية ، الثانية :

---

(١) أنظر أعظم ما كتب فى الصدق (كتاب الصدق) لأبى سعيد الخراز تحقيق د. عبد الحليم محمود .

(٢) ساقطة من : س

تقريب من يقصى(١) وإكرام(٢) من يؤذى ، من غير كظم ، ولامصابرة . الثالثة : ألا يوقف فى الشهود على الرسوم(٣) .

الفرع العاشر : فرع الانبساط : ويذكر فى العلامات ، فينظر معها .

الغصن الخامس

غض الأصول . وفيه عشرة فروع

الفرع الأول : فرع القصد : وهو الإزماع للتجرد ، ورقته الأولى . تبعث على الارتباط ، وتخلص من التردد ، ومصاحبة الأعراض، والثانية . قصد لا يلق سببا إلا قطعه (٤) والثالثة . قصد الإجابة ، وطى الحكم ، والاقتحام فى بحر الفنا .

الفرع الثانى : فرع العزم : والعزم تحقيق القصد . ورقته الأولى ، بناء الحال على العلم ، لشيم برق الكشف . الثانية ، الاستغراق فى المشاهدة. الثالثة ، معرفة علة العزم ، ثم الخلاص من تكاليف ترك العزم .

الفرع الثالث : فرع الإرادة : وقد تقدم الكلام فيها .

الفرع الرابع : فرع الأدب : ورقته الأولى ألا يبلغ الخوف إلى اليأس ، ولا الرجاء إلى الأمن ، ولا السرور إلى الجرأة . والثانية ، الخروج من الخوف إلى القبض ، ومن الرجاء إلى البسط ، ومن السرور [٨٦ أ] إلى المشاهدة. الثالثة ، معرفة الأدب ، ثم القناعة بتأديب الحق ، ثم الخلاص من أعبائه .

---

(١) ق : ظ (يقضى) تحريف .
(٢) ق : ظ (والزام) تحريف
(٣) ق : ظ ، س (على الرسم) .
(٤) ق : ظ (لا يلتق شيئا إلا قطفه) .

الفرع الخامس : فرع اليقين : وهو مركب الآخذ فى الطريق ، وأوله خطوة للخاصة ، ورقته الأولى . علم اليقين . والثانية . عين اليقين والثالثة . حق اليقين . وهو إسفار صبح الكشف ، ثم الخلاص من كلفة النفس، والفناء فى حق النفس .

الفرع السادس : فرع الأنس : يذكر فى العلامات ، إن شاء الله .

الفرع السابع : فرع الذكر : وقد تقدم ، فى جرثومة الشجرة .

الفرع الثامن : فرع الفقر : والفقر البراءة من رؤية الملكات ، ورقته الأولى . نفض اليدين من الدنيا ، ثم اللسان . الثانيه الرجوع إلى السبقية (١) ، وهو يخلص من رؤية العمل ، ويقطع شهود الحال ، ومطالعة المقام . الثالثة ، صحة الاضطرار ، والوقوع فى يد التقطع الوجدانى (٢)، والاحتباس فى قيد التجريد .

الفرع التاسع : فرع الغنى : والغنى الملك على التمام ، ورقته الأولى غنى النفس ، بسلامتها من السبب ، ومسالمتها للحكم ، وخلاصها من الحكومة (٣) . والثانية ، غنى النفس . وهو استقامتها على المرغوب ، وسلامتها من الحظوظ . والثالثة . الغنى بالحق .

الفرع العاشر : فرع مقام المراد : وجعله طائفة فوق مقام المريد وغيره ، ورقته الأولى العصمة فى الاستشراف ، إلى الجفاء(٤) ، بتنغيص الشهوات والملاذ إكراماً . والثانية . وضع عوارض النقص والمعافاة ، من سمة الملاءمة ، وتمليك عواقب(٥) الزلات . والثالثة . اجتباء الحق بخالصته،

---

(١) أى رؤية العمل أنه سابق من الله تعالى للعبد .
(٢) أى قطع الأحاسيس الوجدانية الناتجة عن العلم والعمل .
(٣) أى الاستسلام الكامل دون مناقشة ولا تحكيم .
(٤) أى حينما يجفو المراد شهواته ويخرق عوائده. واعتبار ذلك إكراما من الله تعالى .
(٥) فى : ظ (عوارف الزلات) .

كمن ذهب ليقتبس ناراً فاصطنع(١) .

الغصن السادس

غصن الأودية : وفيه عشرة فروع

الفرع الأول : (فرع(٢)) الإحسان : وهو اسم يجمع أبواب الحقائق. ورقته الأولى ، إحسان فى القصد ، فيهدى (٣) علماً ، ويبرم عزما ، ويصفى حالا . الثانية ، الإحسان فى الأحوال ، بمراعاتها غيرة ، وسيرها(٤) طرقاً وتصحيحها تحقيقاً(٥) ، والثانية . إحسان فى الوقت . بألا تزال المشاهدة أبداً ، ولا تلحظ للهمة مدى ، وتجعل الهجرة إلى الحق سرمدا .

الفرع الثانى : فرع العلم : وهو عندهم ما قام بدليل ، ودفع الجهل . ورقته الأولى . علم جلى ، يقع بعيان أو استفاضة (٦) ، أو تجربة . والثانية علم خفى ينبت فى الأسرار الظاهرة ، بماء الرياضة ، ويظهر فى الأنفاس لأهل الهمة ، ويظهر الغائب ، ويغيب الشاهد ، ويشير للجمع . والثالثة . علم لدنى ، ليس بينه وبين الغيب حجاب(٧) .

الفرع الثالث : فرع الحكمة : وهى وضع الشيء موضعه ، فى كل عالم . ورقته الأولى ألا يعدِّى شيئاً حده وحقه(٨) . وورقته الثانية . أن

---

(١) إشارة لقوله تعالى لموسى حينما ذهب ليقبس النار من جانب الطور : « واصطنعتك لنفسى » .

(٢) ساقطة من : ظ .

(٣) فى : س ، ظ . (فيهديه علما) .

(٤) فى : الأصل (ويسترها طرقا) .

(٥) فى : س (وسيرها طرقا وتصحيحا وتحقيقا) .

(٦) العلم المستفاض نوعان : أولهما العلم اللدنى ، المفاض على المتقى من السالكين ، دون تعمل منه ، وثانيهما العلم المستفاض بالتوجه الكلى من المريد إلى شيخه ، توجها باطنيا بعد غلق فيه الحواس الخمس تماما . أو توجه المريد فى حال الذكر على نفس الحال من التوجه الكلى لكن لا إلى شيء . بل إلى اللانهائى المجهول .

(٧) فى : س (ليس بنيه وبين الغيب سحاب) .

(٨) ساقطة من الأصل .

يشهد نظر الله فى الوعيد ، ويعرف عدله فى الحكم ، وبره فى المنع (١) . الثالثة أن تبلغ البصيرة فى الاستدلال ، والحقيقه فى الإرشاد ، والغاية فى الإشارة .

الفرع الرابع : فرع البصيرة : وهى نظر مخلص من الحيرة . ورقته الأولى أن يغضب للخبر القائم بالشريعة ، لعلمه بصدره عن عين لا يخاف عاقبتها الثانية . أن يشهد العدل فى الهداية والإضلال . والثالثة . بصيرة تفجر عين المعرفة ، وتثبت الإشارة ، وتثمر الفراسة .

الفرع الخامس : فرع الفراسة : وهو القطع بالحكم على غيب من غير شاهد . [٨٦ب] ورقتها الأولى فراسة طارئة ، لم تصدر عن علم ، ولم تشر عن غير(٢) ، تدعمها الموافقة . والثانية فراسة تجنى من غرس الإيمان ، وتلمع من ثنية الكشف . والثالثة فراسة لم تختلجها روية ، عن لسان (٣) مصطنع تصريحاً أو رمزاً .

الفرع السادس : فرع التعظيم : ورقته الأولى . تعظيم الأمر والنهى ، وألا يعارضا بترخيص ولا تشديد . والثانية . تعظيم الحكم عن مدافعة (٤) بعلم أو غرض (٥) والثالثة . تعظيم الحق فلا يجعل من دونه سببا ، أو ينازع حقه (٦) اختياراً أو يرى عليه حقاً .

---

(١) من المعروف صوفيا أن المنع قد يكون برا وعطاء ، وأن العطاء قد يكون منعا وجفاء (انظر: إيقاظ الهمم فى شرح الحكم للعارف أحمد بن عجيبة الحسنى)

(٢) فى الأصل (عن عين)

(٣) فى : ظ (على لسان)

(٤) فى : س . على مدافعه

(٥) فى : س (أو عرض)

(٦) فى : س (أو ينازع منه اختيار)

الفرع السابع : فرع الإلهام : وهو مقام المحدثين ، وفوق الفراسة . ورقته الأولى . إلهام نبوى يقع بالوحى . الثانية . يقع عياناً لا يخطىء ، ولا يخرق الستر (١) . والثالثة . يجلو عين التحقيق ، وينطق عن غيب الأزل .

الفرع الثامن : فرع السكينة : ورقتها الأولى سكينة الخشوع فى العبادة ، والثانية عند المحاسبة ، ومراقبة الحق فى الحق ، الثالثة . ترضى بالقسم ، وتمنع من الشطح .

الفرع التاسع : فرع الطمأنينة : وهو أمن صحيح (٢) ، شبه العيان . ورقته الأولى طمأنينة القلب بذكر الله . الثانية . طمأنينة (شهود (٣)) الروح ، فى القصد إلى المكاشفة (٤) ، وفى الشوق إلى العدة ، والتفرقة للجمع . الثالثة . طمأنينة شهود الحضرة ، والجمع إلى البقاء ، والبقاء إلى نور الأزل .

الفرع العاشر : فرع الهمة : ورقته الأولى . صون القلب من خسة الرغبة (٥) فى الفانى . الثانية . همة تورث أنفة من المبالاة بالعلل ، والثقة بالأمل ، والنزول عن العمل . الثالثة . همة تنحو بالنعوت نحو الذات (٦) .

---

(١) أى لا يتحدث بالأسرار العرفانية لغير المستعدين لتلقيها وذوقها ، لئلا تقع فى خيالاتهم ضلالا وبدعا ، ومن هنا كان لا بد عند الصوفية من الإذن فى الاطلاع على كتب الحقائق الصوفية ، وكان أيضا منع المريدين من قراءة كتب الشيخ الأكبر ابن عربى لوعورتها .

(٢) فى ط (وهذا من صحيح شبه العيان)

(٣) ساقطة من الأصل ، س

(٤) فى : ظ (إلى الكشف)

(٥) فى : ظ (من جنبه الرغبة)

(٦) أى تعيد النعوت إلى الذات ، وتوقف السالك فى مقام جمع الجمع ، أو الجمع الأول ، والجمع الثانى هو إعادة النعوت إلى مقام الألوهية ، فى الاسم « الله »

الغصن السابع

غصن الأحوال ، وفروعه عشرة

الفرع الأول : فرع المحبة : وقد أخذ الكلام فيه مأخذه ، والحمد لله .

الفرع الثانى : فرع الغيرة : يأتى فى العلامات مستوفى ، بحول الله .

الفرع الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع والثامن : فرع الشوق . والقلق ، (والعطش(١)) ، والوجد ، والدهش ، والهيمان . الجميع يأتى إن شاءالله ، فى العلامات . فلينظر هنالك .

الفرع التاسع : فرع البرق : وهو باكورة تلمع ، فتدعو إلى الدخول فى الطريق ، ورقته الأولى . برق يلمع فى عين الرجاء ، من أفق الوعد ، يستكثر به قليل العطا ، ويستقل به كثير العمل ، وتستحلى مرارة القضاء . الثانية برق يلمع من أفق الوعيد ، فى عين الحذر فيقصر الأمل ، ويزهد فى الخلق ، ويطهر السر . الثالثة .[برق يلمع] من جانب اللطف ، فى عين الافتقار ، يجرى نهر الافتخار ، وينشىء سحاب السرور ، ويمطر الطرف .

الفرع العاشر : فرع الذوق : وهو أبقى من الوجد ، ورقته الأولى . ذوق التصديق ، طعم العدة ، والثانية . ذوق الإدارة طعم الأنس ، فلا يشغل معه شاغل ولا تكدره تفرقة ، والثالثة ، ذوق الانقطاع طعم الاتصال ، وذوق الهمة طعم الجمع ، والمشاهد طعم العيان .

الغصن الثامن

غصن الولايات ، وهو عشرة فروع

الفرع الأول : فرع اللحظ : واللحظ لمح مسترق ، ورقته الأولى .

---

(١) ساقطة من : ظ

ملاحظة الفضل ، [٨٧ ا] سبقاً يثبت السرور ، إلا ما يشوبه من حذر المكر ، ويبعث على الشكر(١) إلا ما قام به الحق . الثانية ، ملاحظة نور الكشف . الثالثة ، ملاحظة عين الجمع .

الفرع الثانى : فرع الوقت : وهو اسم لظرف الكون . ورقته الأولى . حين وجد صادق ، لإيناس ضياء فضل ، مجذوب بصفاء(٢) رجاء أو عصمة بصدق خوف ، أو لهيب شوق بإشعال محبة . الورقة الثانية . سالك لطريق ، يسير بين تلون وتمكن (٣) . الثالثة ، حين تتلاشى فيه (الرسوم) (٤) كشف ، لا وجود محضا .

الفرع الثالث : فرع الصفاء : وهو البراءة من الكدر . ورقته الأولى . صفاء علم يهدى (٥) لسلوك الطريق ، ويصحح همة القاصد ، والثانية . صفاء حال تشاهد به شواهد التحقيق ، وتذاق به حلاوة المناجاة ، وينسى الكون . الثالثة ، صفاء اتصال ، يدرج حظ العبودية فى حق الربوبية(٦) ، ويطوى خشية التكاليف (٧) فى عين الأزل .

الفرع الرابع : فرع السرور : وهو استنارة القلب . ورقته الأولى سرور ذوق ، ذهب بحزن خوف الانقطاع ، وحزن ظلمة الجهل ،

---

(١) فى الأصل (ويبعث على السكر)
(٢) فى : ظ (بفضاء رجاء) .
(٣) فى : ظ ، س (بين تمكن وتلون) .
(٤) سقطت من : س : وتلاشى الرسوم هو عدم الإحساس بصور الأكوان ، بما فيها صورة السالك نفسه ، مع وجودها فى الواقع .
(٥) فى : الأصل ، س . (يهذب لسلوك الطريق) .
(٦) أى لا يعتقد السالك أن يعبد ربه بل يعتقد أن يوفيه حقاله عليه .
(٧) أى لا يخشى التكاليف حتى تسقط الكلفة فى أدائها عن قلبه . وتصير ملكة

ووحشه التفريق (وورقته)⁽¹⁾ الثانية . (سرور)⁽²⁾ شهود الحقيقة ، وكشف حجاب العلم ، وفك رق التكليف والاختيار . (وورقته)⁽³⁾ الثالثة . سرور سماع الإجابة .

الفرع الخامس : فرع السر : وأصحابه هم الأخفياء ، ورقته الأولى ذخائر الله عز وجل حيث كانوا ، فتنظر صفتهم . الثانية . الذين أشاروا⁽⁴⁾ عن منزل ، وهم فى غيره (ورأوا بأمر كذلك ، ونادوا على شأن كذلك ، وهم بين غيرة)⁽⁵⁾ علم يسترهم ، وأدب وظرف يصونهم ويهديهم . والثالثة . طائفة أسرهم الحق عنهم ، وألاح لهم لائحا أذهلهم ، عن إدراك ما هم فيه ، وهيمهم عن الشهود ، وضن بحالهم ، فاستتروا عنهم ، مع شواهد بصحة مقامهم ، من قصد وحب ووجد ، وهذا من أرق مقامات أهل الولاية .

الفرع السادس : فرع النفس : والنفس التروح . ورقته الأولى نفس استتار ، مملوء من الكظم ، معلق بالعلم . والثانية نفس فى حال التجلى ، شاخص عن السرور ، إلى المعاينة ، مملوء من نور الوجود ، شاخص لمنقطع الإشارة . الثالثة . نفس مطهر بالقدس⁽⁶⁾ ، قائم بإشارة الأزل ، وهو صدف⁽⁷⁾ النور .

الفرع السابع : فرع الغربة : وهو الانفراد عن الألفاء⁽⁸⁾ . ورقته

---

(١) ساقطة من : ظ ، س .
(٢) ساقطة من الأصل .
(٣) ساقطة من : ظ .
(٤) فى : ظ (امتازوا) .
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٦) فى : ظ (نفس مطهرة القدس) .
(٧) فى : ظ ، س (هو حذف النور) .
(٨) فى : الأصل : عن الأكفاء .

الأولى . الغربة عن الوطن. الثانية غربة الحال (١) ، كالصديق بين المنافقين . والثالثة . غربة الهمة ، وهى غربة طلب الحق [أى] غربة العارف .

الفرع الثامن : فرع الفرق : وهو توسط المقام ، ومجاوزة حد التفرق ورقته الاولى إستغراق العلم فى عين الحال . والثانية إستغراق الإشارة فى الكشف . والثالثة إستغراق الشواهد فى الجمع .

الفرع التاسع : فرع الغيبة : ورقته الأولى . غيبة المريد ، فى تخلص القصد ، عن أيدى العلائق ، ودرك العوائق ، لالتماس الحقائق . الثانية . غيبة السالك ، عن رسوم العلم ، وعلل السعى ، ورخص (٢) الفتور . والثالثة . غيبة العارف (عما سوى المعروف) (٣) .

الفرع العاشر : فرع التمكن : ورقته الأولى . تمكن للمريد يجمع صحة قصد (٤) [٨٧ ب] يسيره (٥) ، وشهود يحمله (٦) ، وسعة تروحه . والثانية . تمكن يجمع له صحة انقطاع : وبرق كشف ، وصفاء حال . والثالثة تمكن العارف .

الغصن التاسع

غصن فروع الحقائق ، وفروعه عشرة

الفرع الأول : فرع المكاشفة : وهى مهاداة السر بين المتباطنين . ورقته الأولى . مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح ، وتكون مستديمة . الثانية . هى الأولى إذا دامت . الثالثة مكاشفة عين ، لامكاشفة علم ، وغايتها المشاهدة .

---

(١) فى الأصل (غربة الجار) .
(٢) فى الأصل : (ودحص الفتور) .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س
(٤) ى : س (بجميع صحة قصد تسيره) .
(٥) فى : ظ يستره .
(٦) و : ظ وشهود عمله .

الفرع الثانى : فرع المشاهدة : وهى سقوط الحجاب فناء (١) . ورقته الأولى . مشاهدة معرفة تجرى ، فوق حدود العلم ، فى لوائح نور الوجد (٢) فيتجه بفناء الجمع . الثانية ، مشاهده معاينة ، تقطع حبال الشواهد ، وتلبس نعوت القدس . والثالثة ، مشاهدة ، تجذب إلى عين الجمع .

الفرع الثالث : فرع المعاينة : ورقته الأولى معاينة الأبصار ، والثانية معاينة عين القلب . والثالثة معاينة عين الروح ، وهى التى تعاين الحق عيانا محضاً .

الفرع الرابع : فرع الحياة : ورقتة الأولى . حياة العلم ، من موت الجهل . الثانية ، حياة . الجمع ، من موت التفرقة . الثالثة ، حياة الوجود وهو حياة الحق .

الفرع الخامس : فرع القبض : ويشار به إلى مقام الضنائن (٣) ورقته الأولى فرقة قبصوا قبض الترق ، فضن بهم عن أعين العالمين ، و [الثانية] فرقه قبصوا افستروا ، فى لباس التلبيس (٤) ، وأخفوا عن عيون العالم (٥) . و [الثالثة] فرقة قبصهم الحق منهم إليه ، فصافاهم مصافاة سر ، فضن بهم عليهم .

الفرع السادس : فرع البسط : وأهل البسط هم أهل التلبيس . ورقته الأولى قوم بسطوا رحمه للخلق يستضيئون بنورهم ، والسرائر مصونة والثانيه [قوم] بسطوا لقوة معانيهم ، وتصميم مناظرهم فلا تخالج الشواهد مشهودهم ، مبسوطون فى قبضة الحق . والثالثة بسطوا أعلاما

---

(١) فى الأصل . سقوط الحجاب بتا .
(٢) فى الأصل : ظ ، س نور الوجود .
(٣) فى : س (ويشاوبه الضنائن) تحريف .
(٤) فى : س (فسيروا فى لباس التلبيس) .
(٥) ومنهم « اللامتية » الذين يخفون حالهم بأعمال منقرة غيرخارجة عن حدودالشرع .

على الطريق ، وأئمة للهدى ، ومصابيح للسالكين .

الفرع السابع : فرع السكر : ينظر فى العلامات .

الفرع الثامن : فرع الصحو : ينظر فى العلامات .

الفرع التاسع : فرع الاتصال : ورقتة الأولى إتصال الاعتصام ، ثم الشهود ، ثم الوجود . الثانية ، الخلاص من الاعتلال والفنا عن الاستدلال . والثالثة اتصال الوجود ، ولا يدرك له (١) نعت .

الفرع العاشر : فرغ الانفصال : ورقتة الاولى إنفصال عن الكونين ، بانفصال النظر إليهما ، وإنفصال يوقف عليهما ، وانفصال المبالاة بهما . والثانية ، انفصال عن رؤية الانفصال . والثالثة ، انفصال عن شهود مزاحمة الاتصال (عن) (٢) عين السبق .

الغصن العاشر

غصن النهايات ، وفيه عشرة فروع(٣)

الفرع الأول : فرع المعرفه : وقد وقع الكلام فيه .

الفرع الثانى : فرع الفناء : وهو اضمحلال ما دون الحق علما ، ثم جحدا ، ثم حقا (٤) ، وورقته الأولى فناء المعرفة . والثانية ،

---

(١) فى : ظ لا يدرك منه نعت.

(٢) ساقطة من : س.

(٣) فى الأصل ، ظ : «وفيه من الفروع فرع المعرفة».

(٤) درجات الفناء ثلاث أولاها ، اضمحلال رسوم المخلوقات من طريق العلم ، بأن يكون كل موجود سوى الحق ، عارية مستردة ، والثانية ، إنكار الموجودات ، وجحد وجودها ، من حيث أنها لا تستقل بوجودها ، فهى غير موجود: والثالثة التحقق بجحدها فناء فى موجدها مع الاعتراف بأنها موجودة ولا موجوده.

فناء شهود الطلب لإسقاطه ، وفناء شهود المعرفة لإسقاطها ، وفناء شهود العيان لإسقاطه ، والثالثة. الفناء عن شهود الفناء .

الفرع الثالث : فرع البقاء : وهو ما بقى قائما بعد الفناء . ورقته الأولى بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علما . والثانية ، بقاء المشهود ، بعد سقوط الشهود ، وجودا لا نعتا . الثالثة ، بقاء من لم يزل حقا ، بإسقاط من لم يكن محقا .

الفرع الرابع : فرع التحقيق : وهو تلخيص المصحوب من الحق . ورقته الأولى ألا يعالج علمك علمه . الثانية ، ألا ينازع شهودك شهوده . الثالثة ، ألا يناسخ (١) رسمك رسمه .

الفرع الخامس : فرع التلبيس : وهو تورية بشاهد معار ، من موجود قائم . ورقته الأولى ، تلبيس الحق بالكون على أهل الفرق ، فى تعليق الكوائن بالأسباب والأمكنة والوسائط الثانية ، تلبيس أهل الغيرة على الأوقات ، بإخفائها ، وعلى الكرامات بكتمانها ومثله . الثالثة، تلبيس أهل التمكين على العالم ، بملابسة الأسباب (٢) ، توسعا على العالم .

الفرع السادس : فرع الوجود : وهو اسم للفوز بحقيقة الشىء . وورقته الأولى وجود علم لدنى ، يقطع علوم الشواهد ، فى صحة مكاشفة الحق . الثانية ، وجود الحق وجود عين ، مقتطعاً عن مساغ

---

(١) فى الأصل «ألا يناسم» وفى : س ألا ينازع .

(٢) كبار العارفين فى كراماتهم ، يستطيعون إظهارها بدون أسباب ، كشفاء المريض بالتوجه والدعاء الخفى ، ولكنهم لا يفعلون ذلك إشفاقا على العقائد ، بل يتخذون الأسباب فى مثل هذه الحالات ، كأن يصف لك دواء هو فى حد ذاته ليس فعالا ، ولكنه سبب ظاهرى فقط ، ويتحقق به الشفاء ، بسر الإذن وفعل الكرامة ، والله هو الفعال على الحقيقة .

الإشارة . الثالثة . وجود مقام يضمحل فيه رسم الوجود بالاستغراق في الأزل .

الفرع السابع ، فرع التجريد : الورقة الأولى تجريد عين الكشف عن كشف اليهين (١) . الثانية تجريد عين الجمع عن درك العلم والثالثة . تجريد الخلاص من شهود التجريد .

الفرع الثامن فرع التفريد : ورقته الأولى تفريد الإشارة إلى الحق . الثانية (تفريد الإشارة بالحق . الثالثة (٢)) تفريد الإشارة عن الحق .

الفرع التاسع ، فرع الجمع : هو ما أسقط التفرقة ، وقطع الإشارة ، وشخص عن الماء والطين ، بعد صحة التمكين ، والبراءة من التلوين ورقته الأولى جمع علم ، وهو تلاشى علوم الشواهد فى العلم اللدنى صرفا . والثانية جمع الوجرد ، وهو تلاشى عين الاتصال فى عين الوجود محقا . الثالثة جمع العين ، وهو تلاشى كل ما نقلته الإشارة فى ذات الحق حقـا ، والجمع غاية (٣) مقامات السالكين ، وطرف بحر التوحيد .

الفرع العاشر ، فرع التوحيد : والتوحيد تنزيه الله عن الحدوث . ورقته الأولى توحيد الجمهور ، وهو الشهادة ، والقصد به نفى الشرك ، وعليه نصبت القبلة ، وبه وجبت الذمة ، وبه حقنت الدماء والأموال . الثانية توحيد الخاصة ، وهو توحيد يثبت بالحقائق ، وهو إسقاط الأسباب

---

(١) فى الأصل ، ظ عن كسب اليقين .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٣) فى : ظ غاياته .

الظاهرة ، والصعود عن منازعات العقول ، والتعلق بالشواهد ، ويصلح بعلم الفناء ، ويصفو فى علم الجمع . والثالثة توحيد اختصه الحق لنفسه ، واستحقه بقدره ، وألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته . وأخرسهم عن نعته ، وأعجزهم عن بثه ، وإليه يشير المشير ، بأنه إسقاط الحدوث ، وإثبات القدم، وهو وراء مايشير إليه كون(١) ، أو يتعاطاه حين ، أو يقله سبب .

قال بعضهم : اعلم أن لطائف التوحيد أرق وألطف من أن تخرج بكثيف العبارة . وسئل الجنيد ، عن التوحيد ، فقال : سمعت قائلا يقول : [٨٨ ا]

وغنى لى منى قلبى وغنيت كما غنى
وكنا حيث ما كانوا وكانوا حيث ما كنا

وقال منصور المغربى : كنت بجامع بغداد ، والحصرى يتكلم فى التوحيد ، فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء ، فقال أحدهما لصاحبه(٢) : هذا علم ، والتوحيد غيره . وقال الشاعر وهو أبو محمد الهروى .

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته تثنية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده ونعت من ينعته لاحد

وكثر كلام الفضلاء فى هذه الأبيات ، لإطلاق القول بجحود كل من وحد ، وإلحاد كل من نعت . وسئل بعض المعاصرين عن ذلك ، فوقع

---

(١) فى : الأصل «مكون» .
(٢) فى : ظ «لصاحب الذى يقول» تحريف .

على ظهر السؤال ما نصه : « وقد استشكل الناس إطلاق لفظ الجحود على كل من وحد الواحد ، والإلحاد على كل من نعته ووصفه ، واستبشعوا هذه(١) الأبيات ، وحملوا على قائلها ، واستقبحوه(٢) ، وتقريب تحريره على رأى هذه الطائفة ، أنهم يقولون : إن معنى التوحيد هو انتفاء عين الحدوث ، بثبوت عين القدم ، وأن الوجود كله حقيقة واحدة ، وآنية واحدة ، وقال بعض كبارهم (وهو أبو سعيد الخراز (٣)) : « إن الحق عين ما ظهر ، وعين ما بطن » . ويرون أن وقوع التعدد فى تلك الحقيقة ، ووجود الإثنينية وهم ، باعتبار حضرات الحس بمنزله صور الظلال ، والصدا ، وصور المرائى ، وأن كل ماسوى عين القدم إذا استتبع فهو عدم ، كان الله ولا شىء معه ، وهو الآن على ما عليه كان ، وقد تفطن لذلك لبيد ، على فجيته ، فقال :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل   [وكل نعيم لامحالة زائل]

قالوا : فمن وحد ونعت ، فقد عين قضية ثلاثية ، من موحد محدث ، هو نفسه ، وموحد قديم ، هو معبوده ، وتوحيد حديث ، هو فعل نفسه ، وقد تقدم أن التوحيد انتفاء عين الحدوث ، وعين الحدوث الآن ثابت متعدد ، والتوحيد مجحود ، والدعوى كاذبة ، كمن يقول لغيره وهما فى بيت (واحد)(٤) : ليس فى البيت غيرك ، فيجيبه الآخر : إنما يصح هذا ، إذا عدمت أنت .

(وقال الحكيم ، فى قولهم : خلق الله الزمان . هذه ألفاظ تناقض أصولها ؛ لأن خلق الزمان وهو فعل ، لابد من وقوعه فى زمان) (٥) وهذا

---

(١) ى : ظ « ثمرة الأبيات » .
(٢) ى : ظ ؛ س « واستخفوه » .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .
(٤) ساقطة من : ظ .
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

اقتضاه ضيق العبارة عنه ، وعدم تأدية اللسان إلى الحق فيه . فإذا تحقق ، فكان الموحِّد هو الموحَّد ، وعدم سواه ، وذهب الحدوث جملة ، صح التوحيد الذاتى ، وهو قولهم : « لا يعرف الله إلا الله » . قال الشاعر :

لا يعرف الحق المبين بثانى

ولا حرج على من وحد الحق مع بقاء الرسوم والآثار ، وإنما هو من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين ، إذ ذلك لازم التقييد [1] ، والعبودية والشفعية ومن ترقى إلى مقام الجمع كان فى حقه نقصا ، مع علمه بمرتبته ، وأنه تلبيس تستلزمه العبودية ، ويرفعه الشهود ، ويطهر من دنس حدوثه عين الجمع ، [٨٨ ب] .

وأعرق الأصناف فى هذا الزعم القائلون بالوحدة المطلقة ، ومدار المعرفة بكل اعتبار على الانتهاء إلى الواحد ، وصدر من الناظم هذا القول على سبيل التحريض والتنبيه والتفطين لمقام أعلى ، ترتفع فيه الشفعية ، ويحصل التوحيد الحق المطلق ، عينا لا خطابا وعبارة ، فمن حظر وسلم استراح . وقال :

فسامح إذا مالم تقدك عبارة وإن أشكلت يوما فخذها كما هيا

ومن نازعته حقيقة أنس بكنت سمعه وبصره ، وإذا عرفت المعانى ، فلا مشاحة فى الألفاظ ، والذى يفيده هذا كله تحقق أمر فوق الطور ، لا نطق فيه ، ولا خبر عنه ، ويشبهه من أمثال البحريين : « إن نوءه يحدث عنها ، ليست بشىء » يعنون : لوكانت كما ينبغى لم يخرج من يحدث (عنها)[2] . وهذا المقدار من الإشارة يكفى ، والتعمق فى مثل هــذا أوقع فى المقالات المعروفة .

---

(١) فى : ظ . لازم العقيدة .

(٢) ساقطة من : ظ .

قيل للشبلي: أخبرنا عن توحيد مفرد ، بلسان حق مجرد . فقال : « من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن أشار إليه فهو ثنوى ، ومن أومأ إليه فهو عابدوثن ، ومن نطق فيه فهو غافل ، ومن سكت [عنه] فهو جاهل ، ومن ظن أنه واصل فليس له حاصل ، ومن ظن أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقد ، وكل ما صورتموه بنفوسكم وعقولكم ، فهو مردود عليكم ، مخلوق مثلكم » . كأنه أراد الخروج عن لواحق الأجسام (١) ، وقد أخذ هذا الفن من الرياضة مأخذه ، فلننتقل إلى صورة السلوك بالذكر ، وكيفية الوصول ، وعلى الله قصد السبيل سبحانه .

خاتمة من كلام أبي الفرج : نختم بها الكلام في الرياضة ، حليا على حسن شكل ، وحلاوة أكل .

قال رحمه الله : ماوصل القوم إلى المنزل إلا بعد طول السرى ، ما نالوا حلاوة الراحة إلا بعد مرارة التعب (٢) .

لو قرب الدار على طلابه	ما لجج الغائص فى طلا به(٣)
ولو أقام لازما أصدافه	لم تكن التيجان فى حسابه
مالؤلؤ البحر ولا مرجانه	إلا وراء الهول من عبا به
من يعشق العلياء يلق عندها	ما لقى المحب من أحبابه

ما حظى الدينار بنقش اسم الملك ، حتى صبرت سبيكته على التردد إلى النار ، فنفت عنها كل كدر ، ثم صبرت على ضربها على السكة ، فحينئذ ظهر عليها شرف النقش : « كتب فى قلوبهم الإيمان » .

(١) ق : ظ . الجسوم .
(٢) ق : ظ . البعث .
(٣) ق : الأصل جلابه تحريف .

كم أحمل فى هواك ذلا وعنا　　كم أصبر منك(تحت)[١] سقم وضنا
لا تطردنى فليس لى عنك غنى　　خذ روحى منى[٢]. إن أردت الثمنا

من طلب الأنفس هجر الألذ ، من اهتم بالجوهر ترك العرض ، ياصفراء ويا بيضاء غرى غيرى .

من أجل هواكم هويت العشقا　　قلبى كلف ودمعتى ما ترقا
فى حبكم يهـــون ما قد ألقى　　لا يظفر بالغنم من لا يشقى

رض مُهر النفس يتأت ركوبه ، أمت زئبق الهوى يمكن استعماله ، تلمح فجر [٨٩ ا] الأجر يهن ظلام التكليف ، أحذر حية الفم فإنها بتراء . إذا خرجت من فم عدوك لفظة سفه ، فلا تلحقها بمثلها تلقحها ، ونسل الخصام مذموم . أوثق غضبك بسلسلة حلمك (٣) فإنه إن أفلت أتلف ، فمتى قمت بحدث الغضب ، انطفأ مصباح الحلم . بحر الهوى إذا مدّ أغرق (وأخوف المنافذ من الغرق فتحة العين ، فلا تشغل زمان الزيادة ، إلا بإحكام الفروج (٤)) .

والمرء ما دام ذاعين يقلبها　　فى أعين العين موقوفا على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته　　لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

قيل لبعض أهل الرياضة : كيف غلبت نفسك ؟ قال : قمت فى صف حربها بسلاح الجد ، فخرج مركب الهوى ، فعلاه العزم بصارم الحزم ، فلم يك إلا ساعة وفتحت خيبر . وقيل لآخر : كيف قدرت على هواك ؟ فقال : خدعته حتى أسرته ، واستلبت عوده فكسرته ، وقيدته بقيد العزلة ، وحفرت له مطمورة الخمول فى بيت التواضع ، وضربته بسياط الجوع ، فلانَ يافلان .

---

(١) ساقطة من : ط .
(٢) فى : ظ . خذ روحى اليوم.
(٣) فى : ظ . علمك .
(٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من: ظ ، س.

القسم الرابع، فى السلوك بالذكر

وفيه شروط استعمال الذكر ، الذى بتدريج غذائه تبلغ الأفنان ما تروم . وصورة التوجه .

قال المؤلف ، رحمه الله : وقد تقرر أن الذكر شيخ الشيوخ ، ومفتاح باب الفتاح العليم ، وعلى السالك بعد تهذيب النفس بالرياضة ، وتلطيف السر ، وتهيئتها إلى نواسم الحضرة ، بتخفيف زكام العلائق ، أن يعتزل عن الناس بعد تحصيل العلم ، الذى تقام به التقربات العينية ، وما هو شرط فيها ، ثم الترقى فى المقامات المذكورة ، وبعد مراعاة أمور قد ألمعنا بيعضها من فطرة فائقة ، وصحبة شيخ مرشد ، وإفراد القصـــد ، فإن النفس لا تقوى على العظائم ، إلا بصفات الأحدية والخلوة ، ولا تقوى على التجريد إلا مع رفع الشواغل البدنية ، وتقليل مادة الجسم بتدريج ، والنفس لا تصفو مع كثرة المواد الجسمانية .

ومداومة الذكر عليه ـ كما قلنا ـ التعويل من كل سالك إلى قدس الله ، وهو بضاعة الأنبياء والأوليـاء . [ولا تقوى النفس عليه إلا مع] تحرير القصد ، فإن المقاصـــد أرواح المقامات ، وبها ينتقل السالك فى أطوار الرياضات .

وشرط القصد أن يكون شرعيا لا عاديا . ويشتغل بذكر الله ، بحسب ما يختاره مناسبا لحاله ، أو باختيار (١) المرشد ، وأعلا الأذكار وأخفها على الألسنة (٢) ، الذكر المفرد ، وهو : الله الله الله ، ويسد أبواب الخيال ، ويجتنب لحوم الحيوان ، ما لم تدع لذلك ضرورة مزاجية ، فإن

---

(١) فى : ط « أو يختاره المرشد »

(٢) فى : « وأحكمها على الأنفاس »

حال المزاج أهم الاشياء ، لتعلق الأرواح به ، بتعلق الذبال بالدهن ، والنار بالذبال .

ومن السالكين من يجب في حقه الجوع والتلطيف ، ومنهم من يجب في حقه التدسيم والترطيب ، وكثيرا ما ملأ بيوت البيمارستان المحالون على السلوك والرياضة من غير نظر إلى أمزجة أشخاصهم ، و [يجب أن] يتنوع الغذاء [٨٩ ب] مع السلوك .

قال الشيخ « محي الدين » : عند الكشف الأول يغذى بما كثرت حرارته ورطوبته ، وعند الكشف الثانى ، بما اعتدلت حرارته ورطوبته وبالجملة فلا بد فى هذه الحالة من الملاحظة ، وهى وظيفة الشيخ (١).

إذا كنت فى حاجة مرسلا   فأرسل حكيما ولا توصه

(فصل (٢))

ومراتب الذكر والذاكرين ثلاث (مراتب) (٣) :

الأولى: ذكر أهل الظاهر ، وهو من جملة العبادات المشروعة ، المختصة بالثواب ، ويتنوع بحسب ما نوعه الشرع من أزمانه وأماكنه ، كالذكر فى الصلوات ، وعقبها ، وأطراف النهار ، والنوم ، (واليقظة (٤)) ، والحج والجهاد ، ومصاف القتال ، والأكل ، والشرب ، وركوب الدابة ، والسفر والقدوم ، وعند الموت ، وغير ذلك . وهذه كلها عبادات مذخورات(٥) إلى وقت الحاجة (٦) إليها . وما دام الذاكر يذكر بالصوت والحرف فهو من أهل هذا المقام .

---

(١) أنظر (كتاب الخلوة للشيخ الأكبر)
(٢) ساقطة من : ظ
(٣) ساقطة من : ظ ، س
(٤) ساقطة من : س
(٥) فى : ظ س « مدخورة »
(٦) يمكن الرجوع إليها فى : (عمل اليوم والليلة لابن السنى ، والأذكار للنووى)

المرتبة الثانية : مرتبة الصوفية . وهم الذين يطلبون الوصول إلى مدلول الذكر ، والصوفية يذكرون الله بأى نوع شاءوا من الأذكار ، حتى تشعر نفوسهم بمدلول ذكرهم ، وتنفعل لذلك انفعالا ما تغيب به عن المحسوسات ، فيحصل لها حظ من المشاهدة بحسب قوة الحال وضعفها ، ويكون الإدراك لذلك ذوقيا ، لا علميا نظريا ، وهؤلاء يستعملون الذكر لتقوية الحال واستدعائها ، كما يجرى اليوم عليه العمل فى أذكار الجمع[1] للتواجد .

وهم ـ أعنى الصوفية ـ على أنحاء ، فالكامل منهم من يقتصر على تلاوة الكتاب العزيز[2] ، وهو الذكر الحكيم ، الذى لا ذكر فوقه ، ولكنه مقام الكمل من العارفين . ومنهم من يقتصر على ترداد بعض آياته ، ويسمونها أسرارا ، وهى مكتومة عندهم ، لما يظهر من قوة الحال (عند تردادها[3]) . والحال: هو الإدراك الذى يحدث فى النفس عند تردادها ، كما تحدث القوى فى الأجسام عند ورود الطعام عليها ، ربطا من الله للأسباب بالمسببات .

فلا يزال الذاكر يردد ذكره الذى يعتمد عليه بلسانه ، ويقيمه بجنانه ، صارفا همته نحو مقصوده[4] ، عاكفا بحواسه ، فإذا ردده المرات الكثيرة الدائمة ، وبحسب القابلية ، جذبه الذكر إلى عالم النور ، وضعف عمل خياله ، وقوى عمل فكره ، فإن الذكر للفكر بمنزلة السراج بين يدى الماشى فى الظلمة حتى يصبح، فيغنيه ضوء الصباح ، وعند ما قوى عمل فكره تجردت نفسه ، فعند ذلك يحصل لها إدراك مقصودها فى نفسها بقدر مقامها ، وبعدها من الصور الخيالية . ثم تعود إلى حسها[5] . وتزول عنها

---

(١) فى : ظ « الجمع »

(٢) فى : ظ « القرآن »

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س

(٤) فى : ظ ، س « المعقود » تحريف

(٥) فى : ظ « جسمها »

تلك الحال(١) عليه فيأخذ فى تجديدها واستدعائها ، إلى أن ترد عليه الحال المذكورة أجلى وأوضح . ويدوم ذلك أكثر مادام فى المدة الأولى . ثم يعود إلى حسه كما حدث فى المرة الأولى . وهذه هى الأنوار النفسانية ، والبروق الإلهية . ولا يزال الأمر يزيد(٢) فى كل مرة ، حتى تغلب الحال عليه (٣) وتتصل . فلا يحتاج إلى استدعائها بذكر ولا غيره . وهذه حال الواصلين من الصوفية . وفى التخلص من التصورات [١٩٠ ا] معظم حال العارفين . وأرباب الهداية . ولكن لابد من السلوك عليها . فإنها من لوازم الطريق . وقيل : إليه الإشارة (بقوله) (٤) : « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حقا مقضيا . ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » .

والمرتبة الثالثة . وهى ذكر العارفين(٥) . والعارف هو الذى فنى عن نفسه ، وعن تصوراته ، إلى عالم النور المحض الذى لا تصور فيه ، ولا يخلفه غيره ، (وهو مقام النظر) (٦) . وهو مقام غير متناه ، لأن المنظور إليه لا غاية له .

على قدر ما يلتاح من ذلك الحسن ... أكابد من شوق إليه ومن حزن

لطائفه أبقت عليه فكلما ... تعديت طورى فيه غيبنى عنى

حنانيك تكفى مهجتى منك نظرة ... ويافوز قدحى إن رضيت بها منى

وهذا المقام الذى لا نهاية لحده ، تبلغ إليه بتحصيل المعرفة التامة ، والسلوك الذى تقدم ، وهو السعادة الكبرى .

---

(١) فى الأصل « العلل »

(٢) ق : ظ « يتزيد »

(٣) ق : ظ « حتى يغلب عليه الحال »

(٤) ساقطة من : ظ ، س

(٥) فى الأصل « وهو ذكر العارفية » تحريف

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ

وقال بعضهم : إن أردت أن تذكر ، فعليك بتطهير المجلس الروحانى والجسمانى ، والقصد الواقع فيهما واستعد للأنس، وكيِّف النفس. ويستحب أن يكون المحل فارغا من الطعام ، إلا أن يكون الذاكر من العارفين أرباب الملكة ، وهو الذى ذكره إخبار عنه ، وينظر الأشياء التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قطب الذاكرين ، وإمام التجليات ، فى حضرة رب العالمين ـ يذكر بها .

وفضل « لا إله إلا الله » بحسب الاعتقادات المتعددة كبير. فإذا وجدت النفس الأنس بالصيغ ، فأصبر عليها ، حتى تجد الأنس بالمدلول ، ثم اصبر عليها ، حتى تجد الأنس مما يجب له ، ثم اصبر عليها ، حتى تجد الأنس بها فى النفس والحال ، لا فى الاعتقاد والخبر ، وإن لم تجد [الأنس] إلا [فى] الصيغ ، فليحض الشيخ الذاكر على الخلوة ، ويأمره بقراءة سورة الواقعة ، وبقطع الصوت والحس (١) ، فإنه يحجبه (ثم ينقله ، يقول ويعتقد : أنه لا فاعل إلا الله) (٢) ثم ينقله . يقول ويعتقد : أنه لا حى إلا الله ، ثم ينقله . يقول ويعتقد : أنه لا موجود إلا الله . فإذا أبصر (أن)(٣) الآنية هى الهوية ، والعالم هو المعلوم ، والميت هو الحى ، والظاهر هو الباطن لا من جهة الدليل ، فوض أمره إلى الله ، ومثاله عندهم ، كما قال : ها أنت وربك .

قالوا : وعلى التلميذ أن يذكر الله بذكر شيخه ، ويستغرق فى مشاهدته ، فيذكر عند ذلك (به)(٤) فيجد ما يجده الشيخ . وعلى الشيخ أن يتكلم فى المواجد ، إذا علمها من القوانين ، وينوع الكلمة ، إذا أبصر الضمير يقف . وينتقل للنفس إذا استقام الذكر فى الله ، قال تاج العارفين

---

(١) فى : ظ ، س (الصوت الحسن) .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٣) ساقطة من : ظ ، س .
(٤) ساقطة من : ظ ، س .

أبو مدين » شعيب بن الحسن ، رضى الله عنه : « من لم يحسن ظنه بشيخه ، لم ينتفع به » ، وهى من خواص النفوس ، فى تعدى الأسرار .

قالوا : وإذا ذكر التلميذ الله ، وتوسل إليه فى فائدة الذكر القريبة بشيخه ، وبما هو عليه من التوجه ، جعل الله له الشيخ مرآة قصده ، ينظر فيها ما شاء (الله . وكما قال : ها أنت وربك)(١) .

وقال بعضهم : اذكر فى نفسك أنه قد ذكرك ، ثم أذكره ، يكن ذكرك من مراقبة علية ، و [من] مقام الإيمان ، [٩٠ ب] وذكرك مشترك ، ثم اذكر أنه ينظر إليك من مقام الإحسان ، ومراقبتك قلبية ، وذكرك فى آخر المشترك ، ثم اذكره من حيث ذكره ، والذى كنت تعلم [أنه] قد كاد أن يكون مشهوداً وأنت تراه تستحضره فى مدرك الغيبة ، المحرك بالعبارة للضمير الفاعل فى النفس بأثر الفعل ، وتقرير الملاحظة ، (وتستحضر الضمير) (٢) كأنك تحدث ، ثم تفرط حتى تحدث ، ويكاد هنا أن يكف [عن] الذكر أدباً مع الحضرة ، كما يحدث فى مجالسة الملك ، إذ مشاهدته فيها الكفاية . ثم التجلد على الذكر ، حتى تعود المشاهدة المنسوبة ذكراً ، لأن أنسها غيب الذاكر ، فلما أفاق وجد الذكر وسبب المشاهدة أقوى من الأول ، والأمر أتم وأقل غيبة . ثم اذكر حتى تغيب قليلا ، وتحضر كثيراً ، ثم أذكر حتى تغيب فيه ، وتحضر عنده ، ثم اذكر حتى تحضر ولا تغيب . ثم اذكر حتى يعود الذكر فى المحل دون قصد وإرادة . والمقصد والإرادة فى التنزيه مشاهدة الجلالة .

قالوا : وبعد هذا الموطن يحرم الذكر على الخاصة لحصول المطلوب ، فإن المطلوب إذا حصل ، واشتُغل بسببه خيف فوات المطلوب ، فينقطع السبب ، ويبقى الطالب الذاكر مع القائد فقط ، وقال المحجوب بذكره :

---

(١) ما بين الحاصرتين . ساقط من : ظ ، س .
(٢) ما بين الحاصرتين . ساقط من : ظ ، س .

بذكر الله تزداد الذنوب وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أحسن منه حالا وشمس الذات ليس لها غروب

وهو من الشطح ، ويرجع إلى معنى حسنات الأبرار ، سيئات المقربين .

تنبيه :

(قالوا (١)) : وإذا كان الذاكر فى هذه المرتبة ، وحصل بهذه المنزلة ، وكان أمره فى الوقت المطلوب على حاله من الأدب المأمور به ، وكما يجب ، فذكره محفوظ ، وإن كان غير ذلك ، مع كونه فى فترة ، وتظهر عليه العلل فهو مخدوع .

قالوا : وإن لم يظهر عليه فى هذه الحال المراد الشرعى على كماله ، مع كونه فى غيبة ، ففيه بين الأولياء وأرباب طريق الحق خلاف كثير ، فمنهم من يسلم له ، لأنه قد خرج بالاصطلام عن حد التكليف ، ومنهم من ينتقص تمكينه ، لأن الإمام الأكبر ، لم يعلم هذا منه(٢) .

(ونرجع إلى ما كنا فيه فنقول)(٣) : وقال بعضهم : اشتغل بالذكر حتى يرتفع عنك(٤) عالم الخيال ، ويتجلى لك عالم المعانى المجردة عن المواد ، فاشتغل بالذكر ، حتى يتجلى لك مذكورك ، فإذا أفناك عن الذكر ، فهى المشاهدة ، ويقال : النومة . وبعدها تعرض على الذاكر مراتب المملكة الإلهية .

فأولا : أسرار المعادن ، فإن تخلص واشتغل عنها بالذكر ، فأسرار

---

(١) ساقطة من : ظ ، س .
(٢) فى : ظ ، س (لم يعلم عنه هذا) . والإمام الأكبر هو النبى صلى الله عليه وسلم
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .
(٤) فى : س . حتى يدفع عنك .

النبات ، ثم إذا تمادى وتخلص ، فأسرار الحياة السارية ، وبعده أسرار اللوح ، والاستحالات الكونية ، فإذا دام على الذكر ، رفعت له أسرار التركيب الكلى ، وعاين آداب الحضرة ، دخولا للحق وخروجاً للخلق ، فإذا تمادى الذاكر ، وعدم الالتفات عن غير شطر(١) الحق ، عرضت مراتب العلوم النظرية ، ومظنات الأغاليط ، وسريان السر الإلهى ، ثم عالم التصوير والجمال والعقول القدسية ، وإن لم يعقب على شيء رفع له [١٩١ أ] عن عالم الغيرة ، وكشف له الحق عن أتم وجوهه ، وشاهد عالماً قد زينه الله بالمعارف القدسية ، وألبسه من البهجة مالا سبيل إلى وصفه ، ويرى الآراء المستقيمة ، والشرائع المنزلة ، وكل يقابل بالتعظيم والتوقير (٢) .

فإن لم يقف مع هذا ، رفع له عن عالم السكينة والوقار والأسرار ، ثم عن عالم الحيرة والقصور والعجز ، (٣) ثم عن خزائن الأعمال ، وهى « عليون » ، ثم عن الجنان ومراتبها ، ثم عن جهنم ودركاتها ، ثم عن الأرواح (المشاهدة (٤)) المستهلكة فى الله ، فان دام ولم يقف رفع له عن نور لا يرى فيه غيره ، يغشاه فيه الوجد العظيم ، واللذات التى لم يكن يعرفها قبل ، ويصغر فى عينه ما رآى . فان لم يقف رفع له عن صور ، ثم سرائر رحمانية ، ولم يبق علم ولا عين إلا شاهده . وعنده يعلم غايته (٥) وحظه ، فان لم يقف فعن أستاذ كل شيء ، ثم عن المحرك ، فإن لم يقف أخذه المحو ، ثم السحق ، ثم المحق(٦) حتى إذا انتهت فيه آثار الماحى أثبت ، ثم أفنى ثم جمع ، ثم غيب ، فخلعت عليه(٦) الملابس التى يقتضيها . ثم رد على

---

(١) ى : ظ ، س (نظار الحق) .

(٢) ى : ظ ، س (والتوفيق) .

(٣) ى جميع الأصول (والمعجزة) .

(٤) ساقطة من ، ظ .

(٥) ى : ظ (غائبه) .

(٦) ى : ظ (خطت عليه) .

مدرجته ، فعاين كل ما عاينه مختلف الصور، حتى يرد إلى عالم حسه المقيد . الأرضى .

قال المؤلف رحمه‌الله : وبالجملة فيقول أدلاء تلك المفازة : إن السالك يقطع أهوالا لا يثبت عليها إلا من كان الله صاحبه فى السفر ، وخليفته فى الأهل . إلى أن ينتهى إلى المشاهدة من (المفازة)(١) بعد العناء(٢) ثم يلجج فى العالم البسيط . الذى لا صورة فيه بوجه ، وهو مقام صعب ، ومن ليس له قدم ثابته أوهم الجحد . ثم يفنى بعد ذلك الفناء الثانى. ثم أبقى بالشريعة ، ويعبر عنه بمقام كنت سمعه وبصره . وكثير من الطوائف تدعى الحلول والاتحاد (٣) ، والكل متفقون على أنه لا يبقى فى ذلك المقام إلا الله ومن كاف الحادثات العبارة عن هـذا المقام فقد ظلمه ، وعرضه للفضيحة الدائرة بين الكفر والحماقة ، وإليه الإشارة بقولى (٤) :

فسامح إذا مالم تفدك عبارة ... وإن أشكلت يوما فخذها كما هيا
وتلخيص ما دندنت بالقول(٥) حوله ... إذا قمت بالباقى فما زلت باقياً

والناس مختلفون إلى هذا الحد . فمنهم من اصطلم . وكانت تلك الأودية (الفنائية)(٦) آخر العهد به ، ومنهم من رد على نفسه بالهداية ، وليندروا

---

(١) ساقطة من : ظ .

(٢) فى : ظ ، س (العناء) .

(٣) فى : ظ (والإلحاد) .

(٤) فى . ظ ، س (يقول المؤلف ، رضى الله عنه) .

(٥) فى الأصل . س (بالحق) . والترجيح من . ظ .

(٦) ساقطة من . ظ ، س . وإليك تفسير ما ورد من المصطلح :

المحو : رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله ،ويحصل منه أفعال وأقوال لادخل لعقله فيها كالسكر من الخمر (تعريفات الجرجانى ١٣٩) .

المحق : فناء وجود العبد فى ذات الحق تعالى ، كما أن المحو فناء أفعاله فى فعل الحق (تعريفات الجرجانى١٣٩) .

الفناء : سقوط الأوصاف المذمومة ، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة ، وهو نوعان، الفناء الأول ،وهو بكثرة الرياضة . والثانى، عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت ، والاستغراق فى عظمة البارى ، ومشاهدة الحق .

قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون . ويصير الوصول والمشاهدة ملكة وديدنا ، وهو حال الأنبياء والأولياء .

وقائلة إذ عدت ويحك ما الخبر فقلت لها نال العظائم من صبر
رحلنا وكابدنا ومن بعد هذه قضينا الذى يقضى ونحن على السفر

ولله در أبى فراس : إذ يقول : فيمن ينظر إلى هذا الرجوع وهيهات ، لقد حكيت ولكن فاتك الشنب :

أجل عينيك فى عينى تجدها مشربة لدى ورد الخدود
وخذ سمعى إليك فإن فيه بقايا من حديث كالعقود
(وصافحنى تجد عبقاً بكفى ينم إليك من ردع النهود)(١)

وتمام الكلام على هذا المقام ـ ولا مقام لصاحبه ـ يأتى فى الولاية ، وهى الثمرة (٢) .

تكميل وتنبيه : أول ما يكشف به العارف ، أن تبدو له أفعال الحق واحدة الظهور (٣) من غير ستر ، ثم يشعر بالمعية التى لا تفارق الموجودات فى حياة ولا فى موت ، ولا فى دنيا ولا فى آخرة . فإن قامت فيها (قامت) (٤) ، وإن قعدت فيها (قعدت) (٥) ، ثم يغيب عن رؤية الأغيار ، وعن نفسه ، ويذهب مع الذاهبين .

وفى هذا المقام قال أبو سعيد الخراز : فالحق عين ما ظهر ، و(عين)(٦)

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط . ظ ، س .
(٢) فى . ظ ، س (الشجرة) . تحريف .
(٣) فى . ظ (وافرة الظهور) .
(٤) ساقطة من . ظ .
(٥) ساقطة من . ظ .
(٦) ساقطة من . ظ .

ما بطن ، وما ثم من يراه ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فالحق هو العين الواحدة ، بل هو العيون الكثيرة ، كما أن كلام الحق واحد من حيث الذات ، وآيات بينات من حيث الأسماء والمسميات ، وكذلك سائر الصفات . وكل مدرك يروم إدراك الذات العلية إنما يدرك ذات نفسه ، فإن كانت نفسه فى مقام النفس الإنسانية ، أدرك العقل الإنسانى ، وإن كانت نفسه فى رتبة النفس الكلية ، أدرك العقل الكلى والأول وهو ذاته ، فما بقى له ذات يعاين بها ذات الله ، وإنما يدرك ذات نفسه فلا يدرك ذات الله على الحقيقة إلا الله ، وفى ذلك قلت (١) :

إن رآى الحق فيك منك بقيه فاتق البعد منه حق التقيه
وإذا لم يكن لذاتك رسم قائم تلك حالة حقيـــه

خاتمة : قال أبو الفرج ، رحمه الله : يا هذا ، حفر النهر إليك ، وإجراء الماء ليس عليك (٢) ، أحفر ساقية فاذكرونى ، إلى جنب بحر أذكركم ، فإذا بلغ إليها معول الفكر ، فاضت عليه مياه البحر ، فبى يسمع ، وبى يبصر(٣). ألق بذر الذكر ، فى أرض الخلوة ، وسق إليه ساقية من ماء الفكر ، لعلها تنبت شجرة : « أنا جليس من ذكرنى » .

يرنحنى إليك الشوق حتى أميل من اليمين إلى الشمال
كما مال المعاقر عاودته حميا الكأس حالا بعد حال
ويأخذنى لذكركم إرتياح كما نشط الأسير من العقال
وأيسر ما ألاقى أن هما يغصصنى بذا الماء الزلال

---

(١) فى . ظ ، س قال المؤلف رضى الله عنه .
(٢) فى . ظ (لين إليك) . تحريف
(٣) فى . ظ (فبى يسمع ويبصر) .

القسم الخامس ، فى الزهرات

وهى الطوالع واللوائح ، التى لها الهجوم

والوردات التى تدوم أولا تدوم

قال المؤلف (١) رحمه الله : ولما كان زهر الغصن ، مقدما على جناه ، جعلنا الواردات زهرات تخبر بالجنى،وكان حق هذه الواردات ، أن تثبت فى تدريج السلوك بالذكر ، لكن راعينا ترتيب الشجرة ، وقنعنا بما جرى من ذكرها حيث يجب ، وأفردنا لها هذا القسم . وإذا عرفت المعانى ، فلا مشاحة فى الألفاظ ، فنقول ونلتمس الإعانة من الله :

إذا استمر المريد فى الرياضة ، فسلك على المقامات المعلومات ، واستعمل الذكر ، واعتمد الشيخ ، وقطع العلائق ، تأكدت النسب بين القوى ، ووقع الانجذاب ، فأومضت البروق ، وطرقت الواردات ، وحصلت الأحوال ، وتختلف أسماؤها ، [١٩٢ ا] من مصطلح طوالع ، ولوامع ، ولوائح ، (وهواجم)(٢)وبواده ، وواردات . وتختلف معانيها، من بوارق ، وأصوات ، (وأنوار) (٣) مختلفة . واقشعرار ، ورعدة ، وبرد ، وكشف ، ورؤيا .

فأما الطوالع واللوامع (واللوائح)(٤) فهى بوارق وأنوار ، وهى من

---

(١) فى . س ، ظ . رضى الله عنه .

(٢) ساقطة من . ظ ، س .

(٣) ساقطة من . ظ .

(٤) ساقطة من جميع الأصول والسياق يقتضيها .

والطوالع . أول ما يبدو من تجليات الاسماء الإلهية على باطن العبد ، فيحسن أخلاقه وصفاته بتنوير باطنه .

واللوامع . أنوار ساطعة تلمع لأهل البدايات من أرباب النفوس الصافية الطاهرة ، فتنعكس من الخيال إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة بالحواس الطاهرة ، فترى لهم أنوار كأنوارا شهب والقمر والشمس ، فتضىء ما حولهم ، فهى إما عن غلبة أنوار القهر والوعيد على النفس فتضرب إلى الحمرة ، وإما عن غلبه أنوار الوعد واللطف فتضرب إلى الخضرة والنصوع .

صفات أصحاب البدايات ، فى الترقى بالقلب ، تكون أولا لوائح ، ثم لوامع ، ثم طوالع ، من جنس واحد ، وتختلف بالأشد والأضعف ، والدوام وغيره .

فاللوامع أظهر من اللوائح ، وليس زوالها بتلك السرعة ، واللوائح ربما ظهرت ، فلم تدم إن استترت . والطوالع أبقى (١) من اللوامع ، وأقوى سلطانا ، وأدوم مكثا ، وأذهب للظلمة.

قال [أبو القاسم] القشيرى : وهذه المعانى تختلف فى القضايا . فمنها ما إذا فات لم يبق منه أثر ، ومنها ما يبقى بعد الأثر .

والبواده : ما يفجأ القلب من الغيب ، على سبيل العدالة (٢) ، إما موجب فرح ، أو موجب ترح .

والهواجم : ما يرد على القلب بقوة الوقت ، من غير تصنع منك ، وتختلف فى الأنواع ، على حسب قوة الوارد وضعفه ، فمنهم من تطيره وتصرفه الهواجم ، ومنهم من يكون فوق ما يفجؤه حالا وقوة ، وهم (٣) البواده ، سادات الوقت .

وأما الواردات : فالوارد عندهم رسول من الحضرة الإلهية ، يخبر ببعد ، وتكون إما روحانية ، وإما نارية ، وهى الملكية والشيطانية ، والفرق بين الوارد الملكى والشيطانى ، أن الملكى يعقب بردا ولذة ، ولا يترك ألما ، ولا يغير صورة ، ويخلف (٤) علما . والشيطانى يعقب حيرة ، وكربا ، وتخبطا . وألما . وثقلا ، وقال بعض الفضلاء : الوارد

---

(١) فى ، ظ (أقوى) .

(٢) فى ، ظ . الوهلة وفى ، س ، الوحلة . تحريف

(٣) فى ، ظ ، س سادة الوقت.

(٤) فى ، ظ ، س ويجلب علما

ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة ، مما لا يكون(١) بعمد العبد ، وكذلك ما يكون من قبل الخواطر ، ويختص بنوع من الخطاب ، أو يتضمن معناه . ويكون وارد سرور ، ووارد حزن ، ووارد قبض ، وارد بسط ، إلى غير ذلك من المعانى . قال الشيخ ، تاج العارفين ، أبومدين : لا ينظر فى الوارد حتى يتكلم [صاحبه] .

وقال بعض الإشراقيين : اعلم أن النفوس إذا دامت عليها الإشراقات العلوية ، تعطيها(٢) مادة العالم ، [العلوى] ، وبسمع(٣) دعاؤها فى العالم الأعلى ، والنور السانح من العالم الأعلى هو إكسير القدرة .

وإخوان التجريد تشرق عليهم أنوار ولها أصناف :

نور بارق ، وأعظم منه [نور] يرد على أهل البدايات ، وينطوى كلمعة(٤) بارق لذيذ ، ويرد على غيرهم أيضا نور أعظم منه ، وأشبه منه بالبرق (٥) إلا أنه برق هائل ، وربما سمع منه كصوت رعد ، ودوى فى الدماغ ، [و] نور وارد لذيذ ، يشبه ورود ماء جار على الرأس ، [و] نور ثابت زمانا طويلا ، شديد (القهر ، يصحبه خدر فى الدماغ ، [و] نور لذيذ جداً ، تصحبه بهجة لطيفة) (٦) حلوة ، يتحرك بقوة المحبة ، [و] نور ، محرك (٧) بقوة العزيمة ، وقد يحصل من سماع طبول وأبواق ، وأمور هائلة للمبتدىء ، أو لتفكر أو تخيل يورث عزا ، [و] نور لامع ، فى خطفة عظيمة ، يظهر مشاهدة وإبصارا ، أظهر من الشمس ، فى لذة مغرقة (٨) ، [و] نور براق ، كأنه متعلق بشعر الإنسان زمانا طويلا ، [و] أنوار سوانح (٩)

---

(١) فى الأصل (مما لا يمكن) وفى ، س مالا يكون العبد وأثبتنا ماق ، ظ لرجحانه
(٢) فى : ظ (تطبق عليها مادة العالم) . وفى س (تطعمها مادة العالم) .
(٣) فى : س (وسمع دعاؤها) .
(٤) فى : س (وينطوى لمعة) .
(٥) فى : ظ ، س (بالبدن) . تحريف
(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من . ظ .
(٧) فى الأصل و ، س (محرق) .
(٨) فى الأصل (لذة مصرفة) .
(٩) فى : ط ؛ س (نور سانح) .

تتنالى وتتراءى(١) كأنها قبضت(٢) شعر رأسه ، [٩٢ ب] وتجره شديدا ، وتؤلمه ألما لذيذا ، [و] نور يشرق من النفس على جميع الروح النفسانى ، فيظهر كأنه تدرع بالبدن شيء ، ويكاد يقيد (٣) روح جميع البدن ، صورته نورية ، وهو لذيذ جداً ؛ [و] نور مبدؤه (٤) صولة ، وعند مبدئه يتخيل الإنسان كأن شيئا ينهدم (٥) ، [و] نور يتخيل معه ثقل لايكاد يطاق [و] نور معه قوة تحرك البدن (٦) حتى [ت] كاد تتقطع (٧) مفاصله . ومعظم هذه الواردات ، مذكورة فى كتاب « حكمة الإشراق » للسهروردى، ورتبها على أسرار حروف أوائل السور، وهى: الم‌را ، (٨) كهيعص ، طاسين ، حاميم ، ق ، ن . فليعلم ذلك ، فإنها من الفوائد المتلقاه.

وقال الشيخ الرئيس ، أبو على ، يصف المريد فى أخذه بالرياضة : ثم إنه إذا بلغت به الرياضة والإرادة (٩) حداما ، عنت له خلسات من اطلاع نور الحق عليه ، لذيذة كأنها بروق تومض إليه ، ثم تخمد عنه ، وهى التى تسمى عندهم أوقاتا ، وكل وقت يكسبه وجدا إليه ، ووجدا عليه، ثم إنه لتكثر منه هذه الغواشى إذا أمعن فى الارتياض ، ثم إنه ليوغل فى ذلك ، حتى يغشاه فى غير الارتياض ، فكلما لمح شيئا عاج منه إلى جناب القدس ، يذكر من أمره أمرا . فغشيه (١٠) غاش ، فيكاد يرى الحق فى كل شيء . وأما الكشف ، فقد مر منه كثير فى القسم قبل هـــذا ، و [فيه] ما يعرض على السالك من العوالم .

وقال الشيخ محيي الدين [بن عربى] : أول ما يفتح عليك ، كشفك

---

(١) فى : ط (يتوالى). وفى : س (متتالى).
(٢) فى . ظ ، س (قبض شعر رأسه).
(٣) فى : ط (يقبل) .
(٤) فى : س (مبتدأه) .
(٥) فى : س : ينهزم.
(٦) فى : س . محرك النفس .
(٧) فى : ظ (يقطع) .
(٨) فى : س . ألف . لام ميم راء .
(٩) فى ط ، س (الإرادة والرياضة) .
(١٠) فى : ظ أمرا يغشيه .

عالم الحس ، الغائب عنك ، فلا تحجبك الجدران ولا الظلمات(١) ، عما يفعله الخلق فى بيوتهم . و [فى] التفرقة بين الكشف الخيالى والحسى ، قالوا : إذا تعلق إدراك البصيرة بمدرك فليغلق السالك عينيه ، فإن بقى له الكشف فهو حقيقى ، وإلا فهو خيالى (٢) .

تحذير: قالوا : وعند تلاشى الخلق ، (وظهور الحق) (٣) وامحاء رسم ، الشفعية (٤) ، [فـ] إن لم تحذقه العلوم ، وتتقدم له علل الطريق ، يقول : أنا الحق وسبحانى ، وما فى الجبة إلا الله . وممن ابتلى بذلك : الحسين بن منصور الحلاج ، قال بعض الشيوخ : لأنه رحل إلى منزل لا يدخل فيه بشفع ، ولا بوجود مقيد ، وحصل شروطه تلك ، ولم يضيع منها شيئا ، وأنسته سكرة الوصول أن يفرق بين المطلق والمقيد ، ووجد الخطاب ، فأطلق الذات (٥) ، وحفظ الشروط ، فما وسعه إلا أن قال : أنا الحق . وإن كان محققا وثابت القدم ، فإن العجز عن درك الإدراك (إدراك) (٦).

ثم قال : فإن الذى يشطح هناك ، ويقول : أنا الحق . إما فى فترة من الفناء ، أوفى قرب منه ، وكأنه آخر الومق ، والقرب من الموت ، أو غلبة مثل ما يحدث للمريض من البرسام ، وبالجملة ، من مات لم يتكلم ، والموت هنا حياة ، والشاطح(٧) غير ميت ، فهو غير حى حياة العارفين، قال الشاعر:

ذاك السراج وساقى القوم يمزجها ... فلاح فى البيت كالمصباح مصباح
كدنا على علمنا والشك تسأله ... أراحنا نارنا أم نارنا الراح

وقال الآخر :

رق الزجاج ور[ا] قت الخمر ... فتشا كلا فتشابه الأمر
فكأنما خمــر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر [٩٣ ا]

---

(١) فى : س (ولا الظلمة) . (٢) ى : س (وإن دهب فهو خيالى) .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .
(٤) ى : ظ . وهم الشفعية . (٥) فى : س . وأطلق الذات .
(٦) ساقطة من الأصل . (٧) فى : ظ ، س (والشطاح) .

القسم السادس

الجنى الذى كان غارس الشجرة يحوم عليه

وهو الولاية

قال المؤلف رحمه الله(١)هذا المقام من هـذه المطالب الإلهية بمنزلة الثمرة من الشجرة ، والفعل من القوة ، والغاية من الأعمال ، وحسبك بها درجة قال الله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

الولاية : أن يتولى الله الواصل إلى حضر قدسه ، بكثير مما تولى به النبي ، من حفظ وتوفيق ، وتمكين واستخلاف وتصريف .

فالولى يساوى (٢) النبي فى أمور ، منها : العلم من غير طريق العلم الكسبي ، والفعل (٣) بمجرد الهمة ، فيما لم تجر به العادة أن يفعل إلا بالجوارح والجسوم ، مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم (٤) .

كان الفضيل [بن عياض] ، على جبل من جبال منى ، فقال : لو أن وليا من أولياء الله أمر هذا الجبل أن يميد لماد ، فتحرك الجبل ، فقال : أسكن . لم أدرك بهذا ، فسكن الجبل .

ويفعل بالهمة فى عالم الخيال وفى الحس ، فإنه يسمع ويرى ، مالا يرى ولا يسمع وهو بين الناس .

ويفارق الولى النبي فى المخاطبة الإلهية ، والمعارج ، فإنهما يجتمعان فى

---

(١) فى : س ، ط . رضى الله عنه .

(٢) ى : ظ يشارك .

(٣) فى : ظ والعقل . تحريف .

(٤) هذا يدخل فى باب الكرامة . وقد أجاز أهل السنة الكرامات للأولياء .

وأثبتن للأوليا الكرامة　　　ومن نفاها فانبذن كلامه

الأصول وهى المقامات ، إلا أن النبي يعرج بالنور الأصلى ، والولى يعرج بما يفيض من ذلك النور الأصلى ، وإن جمعهما مقام اختلفا بالوحدة فى كل مقام ، من فناء وبقاء ، وجمع وفرق . والولى يأخذ المواهب بواسطة روحانية نبيه ، ومن مقامه يشهد ، إلا ما كان من الأولياء المحمديين ، فإنه لما كان نبيهم صلوات الله وسلامه عليه جامعا لمقامات الأنبياء (أورثهم الله مقامات الأنبياء) (١) ، وأوصل إليهم أنوارهم ، من نور نبيهم الوارث ، وبوساطته ، فإنه هو الذى أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم فى عالم الأرواح .

ثم شاركت الأولياء الأنبياء فى الأخذ عنه (٢) ، وإليه الإشارة بقوله: « أولياء أمتى أنبياء من دونهم» . فقد يرث ولى من الأولياء آدم ، أو إدريس، أو إسحاق ، أو إسماعيل ، أو يوسف ، أو موسى (٣) ، أو عيسى ، لكن لا يتوصل إلى نوره ولا حاله إلا من محمد صلوات الله عليه وعليهم (وسلامه)(٤)، إلا القطب وحده ، فإنه على قلب محمد (صلى الله عليه وسلم)(٥) (ولمثل هذا المقام الكريم فليعمل العاملون) (٦) .

بعض ما قيل فى الولى(٧): سئل بعضهم عن الولى، فقال: « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» . يعنى أنه حافظ هذه الرتبة فى العالم ، من بعد النبي.

وسئل آخر ، فقال : « فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها » . يعنى

---

(١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل . وزيد من : ظ .

(٢) أى محمد صلى الله عليه وسلم . راجع [النفحات الأقدسية فى شرح الصلوات الإدريسية للعطار . والفص المحمدى من فصوص الحكم للشيخ الأكبر]

(٣) فى : ظ ، س (أو موسى أو يوسف) .

(٤) ساقطة من : ظ وفى : س صلوات الله وسلامه عليه .

(٥) ساقطة من : ظ ، س :

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . وزيد من : ظ .

(٧) فى : س (بعض ما قيل فى العارف) .

أنه فى الوجود ، الواسطة بين الله وبين عباده والشهيد : « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » .

وقال أبو علي الجورجاني : «الولى هو الفانى فى حاله ، الباقى فى مشاهدة الحق ، تولى الله سياسته ، فتوالت عليه أنوار التولى ، ولم يكن له عن نفسه إخبار ، ولا مع الله قرار » .

قال يحيى بن معاذ [الرازى] : الولى ريحان الله فى الأرض ، يشمه الصديقون ، فتصل رائحته إلى قلوبهم ، فيتشوقون (١) به إلى مولاهم ، ويزدادون عبادة على تفاوت أحوالهم ، كما قال :

تشم أرواح نجد من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدار [٩٣ب]

ومن شروطه : قالوا : من شروط الولى ، أن يكون محفوظا ، كما أن من شروط النبي أن يكون معصوما ، واختلفوا ، هل يعلم ولايته ؟ .

وقالوا : يلاحظ نفسه بعين التصغير ، وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكرا ، فهو يستشعر الخوف دائماً ، من سقوط ما حصل فيه .

وقالوا : الولى قد يكون مشهرا ، ولا يكون مفتونا .

ومن مدارج الولاية : وإن كان ما تقدم كله من مدارج الولاية ، قال إبراهيم بن أدهم لرجل : أتحب أن تكون وليا ؟ قال : نعم . قال له : لا ترغب فى شيء من الدنيا ، ولا فى الآخرة ، وفرغ نفسك لله ، وأقبل بوجهك عليه ، يقبل عليك ويوالك .

---

(١) فى : ظ (يستنشقون) . وفى : س (يستشرفون) .

وقال أبو سعيد [الخراز] : إذا أران الله أن يوالى عبدا من عبيده (فتح له باب ذكره ، فإذا استلذه) (١) ، فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس ، ثم أجلسه على كرسى التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب ، وأدخله دار الفردانية ، وكشف له الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال الحق والعظمة بقى بلا هو . وينظر فى باب الجوائح ما يطرق الولى من الخواطر إن شاء الله .

ومراتب الولاية (على المقامات الثلاثة حسبما يذكر، تكون الولاية) (٢) ، فى مقام الإسلام ، (فى) (٣) عالم الجسوم : قال الله عز وجل : « يا داودا إنا جعلناك خليفة فى الأرض » . وتكون فى مقام الإيمان فى عالم النفوس، قال الله (سبحانه وتعالى) (٤) : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى » . وتكون فى مقام الإحسان فى عالم العقول . قال الله تعالى (٥) : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » . (وتم) (٦) . والحمد لله ، الذى بنعمته تتم الصالحات ، لا إله إلا هو الولى الحميد (سبحانه) (٧) .

---

(١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٣) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

(٥) فى : ظ ، س (قال الله سبحان) .

(٦) ساقطة من : ظ .

(٧) ساقطة من الأصل ، س .

تفرع ضخام الغصون

من (عمود)[1] شجرة السر المصون

وهى التى أفادت الظل الظليل ، وزانت المرآى الجميل ، وتكفلته لمحاسن الشجرة الشماء بالتكميل ، وتتعدد [2] إلى غصن المحبوبات [3] ، وأقسام موضوعاتها المكتوبات ، وغصن المحبين وأصنافهم المرتبين، وغصن علامات المحبة ، وشواهد النفوس الصبة ، وغصن الأخبار المنقوله ، عن ذوى النفوس المصقولة . وعند تعيين هذه الأغصان المقسومة ، كمل شكل الشجرة المرسومة ، والسرحة الموصوفة الموسومة ، ففاءت الظلال ، وكملت [4] الخلال ، فجنى [5] من تفرد وتوحد ، واستظل من استهدى واسترشد ، ووقف الهائم فخاطب وأنشد :

ياسرحة الحى يا مطول   شرح الذى بيننا يطول
عندى مقال فهل مقام   تصغين فيـــه لما أقول
ولى ديون عليك حلت   لو أنه ينفع الحـــلول
ماض من العيش كان فيه   منزلنـا ظلك الظليـــل
زال وماذا عليك ماذا   يا سرح لو لم يكن يزول
حىّ عن المدنف [6] المعنى   منبتك القطر والقبول

---

(١) ساقطة من : س .
(٢) فى : ظ (وتعددت) .
(٣) فى : س (إلى غصون المحبوبات) .
(٤) فى : ظ ، س (وكرمت الخلال) .
(٥) فى : ظ (يجنى من تفرد) .
(٦) فى : ظ ، س (حى عن المذنب) .

الغصن الأول

غصن المحبوبات، وموضوعاتها المكتوبات

وهو أربعة أفنان. فنن الرب المحبوب، (وفنن العبد المحبوب)(١) وفنن الدنيا المحبوبة، وفنن الآخرة المحبوبة، [٩٤ ا] والفننان متداخلان فى المعنى،).

فنن الرب المحبوب

وهو ثلاث ورقات. ورقة محبوبية الأفعال، وورقة محبوبية الصفات، وورقة محبوبية الذات.

قال المؤلف رحمه الله (٢) : وقد جرى من الكلام فى ذلك، فى أقسام المحبة ما فيه كفاية، والنظر فى محبوبية الله تعالى، وهل ينسحب على محبته اسم المحبة، ويتناولها حدها، أو تكون متميزة بنفسها، مختصة بحدودها، إن أمكن حدها.

وإن الذى استقر عليه بحث الكثير من النظار والمتكلمين، واتفق عليه المعتبر من المحققين، أن المحبة جنس عام، تحته أنواع المحبة، من حب العبد للعبد، وحب العبد لله خاصة. وتتفاضل بشرف الموضوع، وتتقاعد بخسته، وأن الأغراض التى تتبع المحبة، من لوازم الشوق والهيام، والوجد والغيرة والاستهلاك، موجودة بنوع أشرف، ولذلك ما كانت سلما إلى المحبة الخاصة بأهل العرفان والسعادة. وعلى [هذا] الاعتبار نظمت الحدود (٣) المختارة.

ومنها أن المحبة إرادة أكيدة، تميل القلب نحو المحبوب، لما تحقق من جماله وكماله، وتقيد المحب بقيد طاعته، وأن السبب الفاعلى معرفة المحبوب،

---

(١) ساقط من الأصل. وزيد من : ظ.

(٢) ق : س، ظ رضى الله عنه.

(٣) فى الأصل : العقود. والترجيح من : ظ.

ويتقدمها نظر البصر إن كان المحبوب ظاهرا ، أو البصيرة إن كان باطنا ، ولحظ البصيرة هو الفكر والاعتبار.

وتحصل منه أن محبة الله مستوعبة لأعظم أقسام المحبة ، وأنها محبة الجمال المجرد من الأجسام ، إذ الجمال المحبوب فى كل مظهر لمحه من نور الله ، لاحت على بعض إبداعه ، ومحبة النوال فى كل مستنال منه لمحة من لمحات نواله ، ومظهر النوال عارية إذا رفعت الوسائط ، وإذا قلنا فى محبة الله إنها محبة الفرع ، وهى أهم من المناسبة : كمحبة الولد لوالده ، إذ حنين الطفل إلى أمه مركوز فى طباعه ، وإن لم يكمل تمييزه . فنقول .

الله عز وجل ، محبوب محبة واحدة تنقسم بانقسام جنس المحبة ، كما أن التوحيد واحد فى الحقيقة ، ولا ينقسم إلا بالنسبة إلى أقسام الموحدين ، من حيث يقول الصوفى (١) ، توحيد الأفعال ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الذات .

ورقة: فالقسم الأول ، الذين تعين الله جل جلاله محبوبهم ، من حيث استغراقهم فى بحر أفعاله ، فهم الذين شاهدوا الحق فى أفعاله من الخلق ، حسبما دلهم الاعتبار بأنه الخلاق العليم ، والفعال لما يريد ، فأحبوه فى رتبة(٢) الأفعال ، إذ لم تنهض أسباب المحبة بهم لغير ذلك ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ، جاذبا إلى المحبة بالتدريج من لا سبيل له إلا من باب الأفعال: « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة ». وروى عن أبى بكر رضى الله عنه، أنه قال: « ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه ، وما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله ، وما رأيت شيئا إلا رأيت الله بعده » . وقد جمع الأقسام الثلاثة بالمشاهدة ، قبل، ومع، وبعد. قبل من حيث الأصل، ومع من حيث الوصل، وبعد من حيث الفصل ، والذين عرقوا فى محبوب الأفعال هم الصالحون .

---

(١) فى : ظ ، س . من حيث تقول الصوفية .

(٢) فى الأصل : فى زينة الأفعال.

هب لى إليك طريقا   من قاصد أو بعيد [٩٤ب]
إن ضامنى فيك صومى   فإن (١) وجهك عيدى

ورقة : والقسم الثانى ، الذين غرقوا فى محبوب الصفات ، وهم جمهور الأولياء ، وهم الذين تقربوا إلى الله بالنوافل حتى أحبهم ، فكان سمعهم وبصرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به . . . » الحديث الشهير ، فلما كان سمعهم وبصرهم ، اندرجت صفاتهم فى صفاته ، وكانت محبتهم محبة الصفات .

ومما قيل فى تعريف المحبة : إنها اندراج صفات المحب ، فى أوصاف المحبوب ، والإندراج لايكون بمناسبة من المندرج للمندرج فيه، كما تندرج النجوم فى نور الشمس ، لكن اندراج الفناء والاستهلاك .

حديثك فى سمعى وذكرك فى فمى   ومرآك فى عينى فأين تغيب

ورقة : والقسم الثالث ، الذين غرقوا فى محبة (٢) الذات ، وهم الخاصة العليا(٣)، الذين شاركوا الأنبياء فى مراتبهم (٤) وإن جلت مراتب الأنبياء فلهم منها نصيب ، إذ ما من نبى ولا رسول إلا وله من هذه الأمة وارث ، على طريق العلم والحكمة ، إذ مقامات الأنبياء جلت أن يلمح حقائقها غيرهم ، وهؤلاء الذين غرقوا فى بحر الذات هم الذين فنوا عن نفوسهم ، بشهود مشهودهم ، فمن غرق فى بحر النور (٥) لا يبصر ما بعد لا ما قرب ، ولا ما غاب ولا ما حضر . والشمس تبهر أبصار الخفافيش .

إذا أبلعتنى ريقى   بنشتك سر تحقيق
وإن غيبتنى عنى   فصاحبنى بتوفيق

---

(١) ى : س (وإن وجهك عيدى) .   (٢) فى : ظ ، س (فى محبوب الذات) .
(٣) فى : الأصل : (الخاصة العلماء) .
(٤) على هامش الأصل : (أى فى العلم المجاور لعلوم الأنبياء) .
(٥) فى الأصل (فى الذات) .

فمن العبد المحبوب

والمحبة المتوجهة من الله إلى عبده ، حتى يكون الله محبا،والعبد محبوبا، لا يقع عليها حد المحبة المتقدم إلا بتسامح كثير ، ومحبة الله عبده إتكون باعتبار أوراق ثلاث ، منها السابقة والعناية ، وهى سارية (١) فى سائر الأقسام ، ومنها محبة آثاره وصنعه ، والثالث (به) حتى يفتح الله به فى عباده تجليا عن وجهه ، أو قابلية لذكره .

الورقة الأولى(٢) : قال فيها (٣) بعض شيوخنا : محبة الحق للخلق، كناية عن نوره الذى هداهم إليه ، وإذا أحب الله عبدا ، اجتذبه إليه ، ولا يجذبه إلا بنوره ، كما تجذب الأجسام النورانية كالكهربا الأجسام الزبيريه من الأرض إليها ، ولنور الله المثل الأعلى ، فمنهم من جعله مثل نوره . وهم الخلفاء ، ومنهم من هداه (٤) لنوره ، وهم الأولياء . ومنهم من هداه لسبله ، وهم الصالحون ، والباقون مندرجون تحت قوله : « ويذرهم فى طغيانهم يعمهون ». ونحن نلمع بشىء ، فى العناية ، وإن تقدم منها كفاية، فنقول :

(من كلام أهل هذه الطريقة)(٥) (علم)(٦) أن النقطة إذا أنزعجت من بين الصلب والترائب ، تلقتها(٧) (قبل حلولها فى الرحم)(٨) يد رحيمة ، ويد غضبية ، فتبلغها (٩) تلك اليدان إلى مستقرها من الرحم (ولا بد لاحدى اليدين أن يكون لها تمكين فى ذلك النقل ، أمكن من اليد الأخرى ، فإذا استقرت فى الرحم)(١٠) بقيت كل يد منهما قابضة عليها ، حسبما أمكنها من التمكين فى القبضة ، وتلزمها الملائكة الموكاون بالنطفة ،

---

(١) فى : ظ ، س (سائرة) .
(٢) فى : ظ (ورقة) .
(٣) فى : ظ ، س (فيه) .
(٤) فى : ظ ، س (لسبيله) .
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٦) ساقطة من : ظ ، س .
(٧) فى : ظ ؛ س (تتلقفها) .
(٨) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل
(٩) فى : ظ ، س (فتنقلها) .
(١٠) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

أربعين يوما ، يطوفون بها فى عالم الأرواح ، بالتسبيح والتقديس والتهليل ؛ المعبر بها عن المفاتيح والأسماء ، إلى أن ينقضى ذلك الطور بانقضاء العدة. وهذا الطور هو نسبة الحضرة العمائية .

ثم تنتقل إلى الطور العقلى وهو الدموى ، فتلزمها الملائكة والأرواح [٩٥ ا] الروحانية الموكلون بذلك الطور أربعين يوما ، يطوفون بها فى عالم الأنوار (بالتسبيح والتقديس) (١) إلى أن ينقضى هذا الطور ، بانقضاء هذا العدد ، وهذا الطور هو نسبة حضرة الهباء .

ثم تنتقل إلى الطور المضغى ، فتلزمها (الملائكة) (٢) الموكلون بالمضغ ، أربعين يوما ، يطوفون بها فى عالم الأفلاك ، بالتسبيح (والتهليل) (٣) والتقديس أربعين يوما ، إلى أن ينقضى هذا العدد . وهذا العدد بينه وبين هذه النفس الإنسانية فى باطن العلم نسبة ، ظهرت فى النشآت والأطوار ، ثم فى أسباب التجرد والرجوع ، ومنه وعد موسى ، والأربعينية الكثير استعمالها فى الرياضة ، إلى أن ينتهى هذا الطور بانقضائها ، وهو نسبة الذر فى الحضرة الذرية .

ثم ينتقل إلى طور التسوية ، فتلزمها ملائكة الصور ، عشرة أيام ، يطوفون بها فى عالم الطبائع ، بالتسبيح والتقديس . (التهليل) إلى أن ينقضى هذا الطور بانقضاء العدد المذكور ، وهذا نسبة الفطر ، وفى هذا الطور يفتح له ديوانا السعادة والشقاوة ؛ فإن رسم اسمه فى ديوان السعادة ، صاحت ملائكة الطبائع ، وملائكة الأفلاك ، وملائكة الأنوار ، بالتهليل والتحميد لله ، تبشر الصورة بالسعادة .

---

(١) فى : س (أربعون) .
(٢) ما بين الحاصرتين . ساقط من : ظ ، س .
(٣) ساقطة من : ظ .
(٤) ساقطة من : ظ ، س .
(٥) فى : س (بانفصالها) .

وعند ذلك تنحل قبضة الغضب،وتخلص بها القبضة الرحيمية ، وينادى مناد : ألا إن هذه النسمة سعدت ، سعادة لا شقاء معها ، ثم تطوف بها الملائكة بالتبشير والتحية . وإن رسم فى ديوان الشقاوة ، تنحت الملائكة ، ودنت منه الشياطين ، وزعقت تبشر الصورة بالشقاوة ، وتحل القبضة الرحيمية ، وتخلص بها القبضة الغضبية ، وينادى مناد : ألا إن هذه النسمة شقيت شقاوة لاسعادة معها .

قال: وإليه الإشارة بقوله فى الحديث المشهور من كتاب مسلم: «إن الله إذا أحب عبدا من عباده ، نادى جبريل:« إنى أحب فلانا فأحبوه » .

ثم ينادى ملائكة السماء ملائكة الأرض . . . الحديث » إلى قوله : « فالسعيد من سعد فى بطن أمه ، والشقى من شقى فى بطن أمه » . قال الله عز وجل :« فنهم شقى وسعيد ». وقال :« لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » .

ثم تنتقل إلى طور النفخ ، وينفخ فيه الروح فيحيى ، ويدفع إلى المقادير فتقبضه ، ويبقى فى أيديهافى الرحم (١) مائة وأربعين يوما ، وفى هذه الأيام تنفذ عليه تصاريف المقادير ، من أول يوم من بروزه ، إلى آخر نفس من عمره ، فيكتب ذلك فى لوح رأسه مفصلا على أوقاته ، مرتبا على أسبابه .

فاذا تمت هذه الأيام ، برز إلى عالم التركيب ، (فتناولته) (٢) يد حكم (عالم) (٣) الكواكب بإذن ربها ، على مقتضى ما قيدت المقادير من تصاريفها فى لوح رأسه ، وتقييد المقادير إنما هو على مقتضى ما قيد فى أحد الديوانين فى طور الفطرة ، وهو طور التسوية. وما قيد فى ذينك الديوانين، إنما هو حكم تمكين القبضتين ، الرحيمية والغضبية ، وتمكين إحدى القبضتين ، إنما هو بمقتضى هؤلاء وهؤلاء ، ومقضى هؤلاء وهؤلاء ، إنما هو

---

(١) فى : ظ ، س فى (الرسم) .
(٢) ساقطة من : ظ .
(٣) ساقطة من : س .

بمقتضى إسلام الطوع والكره ، وإسلام الطوع والكره ، إنما هو بمقتضى أقبل وأدبر ، وأقبل وأدبر ، إنما هو بمقتضى أردت أن أعرف ، وتصريف [٩٥ ب] الكواكب من جهة الطالع حالة الوقوع فى الرحم ، إلى عالم الكون والتغيير (١) وترتيبها فى البيوت الاثنى عشرة ، بحسب الطوالع ومواضعها ، والبيوت ونحوسها . وسعودها ، ومقتضيات (٢) أحوالها التشكيلية وهيأتها ، كما يتقرر فى العلم النجومى تنفذ عليه المقادير أيام عمره . ومقتضى الكواكب ، إنما هو مقتضى طالع مولده (٣) . وطالع مولده ، مقتضى ما قيدت عليه المقادير .

فإذا تحصل هذا ، فلتعلم أنك مطلوب بمقتضى القبضة الرحيمية منذ بروز النطفة ، وإذا علمت هذا ، فاعلم أن المطيع موعود بالخير الدائم ، والمخالف متوعد بالشر الدائم ، فاسأل منه الطاعة لخلاص نفسك ، فاذا حصلت لك الطاعة — وحصولها بعون الله وإلهامه — فاعلم أن الخاتمة أمامك مجهولة النوع ، لأنها على مقتضى الإقبال والإدبار ، يوم مخاطبة العقل ، فى اليوم الذى لم يحضره أحد من المخلوقات غير الله ، ولذلك لا يعلم نوع وقوعها إلا هو . قلت : ويزعم أهل هذا الفن ، أن هذا القول من جملة ستين فنا من مثله ، ولا يسعنا الإسهاب .

ورقة الاعتبار الثانى :

أن يكون الله سبحانه يحب آثاره وصفته وحكمته ، ولا أظهر منها فى الانسان الذى خلقه فى أحسن تقويم ، وجميع فيه (٤) ما أفرده فى غيره ، وأحكمه فى أعدل المظاهر ، وأقبل الصفحات للجمال ، بحيث لا عالم وراءه إلا الملائكة ، وقال رسوله : « إن الله جميل يحب الجمال » . فهو يحب جمال عبده ، ومحاسنه المستعارة من نوره .

---

(١) فى : س (عالم الكون والفساد) .
(٢) فى : س (ومقتضى أحوالها) .
(٣) فى : س . طالع كوكبه .
(٤) فى : ظ ، س (وحتم له) .

ورقة الاعتبار الثالث :

أن يحب سمعه وبصره ، بعد تقربه بالنوافل ، وهذا المقدار يعمر رسم التقسيم[1] ، ولا فائدة فى إيضاحه ، فإن جمع أوهم الاتحاد .

فنن الدنيا المحبوبة

وهو على ثلاثة أوراق . ورقة محبة البقاء فيها مطلقا ، من غير اعتبار نوال ولا لذة . وورقة محبة البقاء لإبقاء النوع ، والاستكثار من لذة القنية والاكتساب . وورقة محبة البقاء للاستكثار من الأعمال الصالحة .

فأما ورقة محبة الدنيا مطلقا :

من غير نظر إلى غير ذلك ، فهو[2] لأجل أن النفس كانت قبل النزول إلى مملكة الحس مقدسة بسيطة ، لا تعرف المآكل ولا المشارب ولا اللذات غنية بربها ، لا تجوع ولا تعرى ، ولا تظمأ ولا تضحى ، فى جنة المأوى ، الفراديس العلا . فلما أنزلها [الله] إلى عالم الجسوم ، وهو عالم الافتقار ، والاحتيـــاج إلى الوسائط والأنساب ، وحجب عنها المدد الواصل من حضرته ، كان أول ما فتح به عليها فى عالم ملكها الذى استخلفها فيه [أن] ملكها (٣) مدركات الحس (٤) ، فصارت بالنسبة إلى عالمها آمرة ناهية ، تتصرف فى ملكها الجزئى على حسب إرادتها ، وتنازع الحق جل جلاله فى أوصافه ، ولذلك(٥) (ورد)(٦) أن الله لما خلق النفس، قال لها :

---

(١) فى : ظ ، س (يعم رسم التقسيم) .
(٢) فى : الأصل (فهى) .
(٣) فى جميع الأصول (وملكها) .
(٤) فى : س (مدركات الحواس) .
(٥) فى : ظ (وكذلك) .
(٦) ساقطة من : ظ .

من أنا ؟ فقالت هي أيضاً : من أنا ؟ فسجنها(١) في بحر الجوع (٢) حتى قالت: أنت الله لا إله إلا أنت . ولذلك بقيت (٣) الرياضة مسلطة على تقويمها .

قال : فعشقت هذا العالم ، وعظم به اغتباطها ، فأحبت البقاء فيه على كل حال ، حتى مع الألم والزمانات (٤) ، والأحوال [٩٦ ا] السيئة .

نظرة منك ويوم بالحريب　　حسب نفسي من زمان وحبيب

يا صبا نجـــد ويا بان النقا　　ارفقا بي في تثنٍ وهبوب

فوصلت (٥) في عشق الدنيا ، وباعت الأعلى بالأدنى ، واعتاضت عما يبقى بما يفنى ، وكثفت بينها الحجب وبين العالم الأعلى ، والسقطة (٦) على قدر المهوى ، وبقدر (٧) الغفلة يكون سوء العقبى ، ووخم المثوى .

على قدر ما أولعت بالشيء حزنه　　ويصعب نزع السهم مهما تمكنا

ولو أن النفس لم يقع لها التعشق إلا بجارحة العين التي تبصر بها المحاسن ، وتدرك إشارات العيون الفواتر ، والانعطاف من القدود الرهيفة ، والهيف من الخصور اللطيفة ، والأشر من الثغور المفلجة ، وبجارحة السمع الذي تلتذ منه بنغم الأصوات ، ونسب الألحان والتمتع بأحاديث السمر ، على الكثبان العفر ، في الليالي القمر ، والتنعم بعتاب الأحبة ، ومناغاة الولدان قطع الأفئدة ، لكان لها شركا لا تفلته ، وورطة يتعذر فيها الخلاص حين تطلبه ، وقد دثر وذهب العين والأثر ، فكيف إذا أضيف إلى ذلك فروع اللذات ، وأذيال الشهوات ، والدنيا بما حملت ، وعليه اشتملت . [قال المتنبي] :

(١) في : ظ (فحبسها) .
(٢) في : س (في سجن الجوع) .
(٣) في الأصل ، ظ : س (ما بقيت الرياضة) .
(٤) الزمانات الجذام خاصة ، والأمراض المزمنة عامة
(٥) في : ظ ، س (فدخلت)
(٦) في : س (واليقظة)
(٧) في : ظ ، س (وبحسب الغفلة)

وكأنا لم نرض فينا بريب الدهر حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء للقناة سنانا

والحق ما قلته من أبيات تناسب ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله :

والله إن لم يداركها وقد وحلت بلمحة أو بلطف من لدنه خفى
ولم يجد بتلا فيها على عجل ما أمرها صائر إلا إلى تلف

فحب الدنيا رأس كل خطيئة (١) ، ولولاه لم تزل النفس صافية على سجيتها الأولية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وقال : « الدنيا دار من لادار له ، ولها يجمع من لاعقل له ، وعليها يعادى من لا علم عنده ، وعليها يجهد من لافقة له (٢) ، ولها يسعى من لا يقين له » . وقال : « من أصبح والدنيا أكبر همه ، فليس من الله فى شيء ، وألزم الله تعالى قلبه أربع خصال : هما لا ينقطع عنه أبداً ، وشغلا لا يتفرع منه أبدا ، فقراً لا يبلغ غناء أبدا ، وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا » .

وقال عيسى صلوات الله على نبينا وعليه (٣) : لا تسجدوا للدنيا [ف] ربما تسخركم عبيدا ، أكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة ، وصاحب كنز الآخرة لايخاف عليه الآفة .

وقال : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار فى إناء واحد . وقيل له : علمنا عملا (٤) واحداً يحبنا الله (عليه) (٥) . قال : أبغضوا الدنيا يحبكم الله .

ولا أوعظ من كلام يبين مثال الدنيا وزوالها ، وسرعة انتقالها

---

(١) فى : ظ ، س (رأس كل بلية)
(٢) ى : ظ (وعليها يحسد من لافاقة له)
(٣) ى : ظ ، (صلوات الله وسلامه عليه)
(٤) فى الأصول (علمنا علما) والتصحيح على هامش ، س
(٥) ساقطة من : ظ ، س

واضمحلالها : « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ». قال بعض الحكماء (٦): الدنيا [٩٦ب] قنطرة ، واستيطان القناطر بله . وقال الشاعر :

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض ... على الماء خانته فروج الأصابع

وقال الآخر (١)، وهو المؤلف رحمه الله (٢) :

دنيا خدعت الذى سفرت له ... عن صفحة لم يُخْـل بها كرم
سرقت حظ الإله من يده ... فهان ما كان منه يحـترم
قا الذى نال منك ليس له ... منقطع دائم ومنصرم
ومن هــو الذى أراد أما ... بين يدين المشيب والهــرم

وقال أبو الفرج : ويحك ! سلطان الشباب قد تولى ، وأمير الضعف قد استولى ، ومحول الكبر (٣) يعرقب (٤) حيطان دار الأجل . وحسبك داء أن تصح وتسقما . وقال : محبة الدنيا محنة ، الدنيا عيونها بابلية ، كم فتحت من باب بلية ، ولا كحيلة من عين كحيلة ، كم أفردت من أردفت (٥) ، كم أخمدت من أحمدت ، كم فللت من ألفت . كم أفقرت من أرفقت ، كم فارقت من رافقت ، كم قطعت من أقطعت ، فعلها كله فى التقرير (٦) كذا . فان آثرت الصفا ، فما فى الزهد أذى ، وإن أردت الأذى ، فالق ذا .

تعجب من صبرى على ألوانها ... فى وصلها طورا وفى هجرانها
ورهاء من كلفها وثيقــة ... كلفها ما ليس فى أديانها
تسلط البلوى على عشاقها ... تسلط الحنث على أيمانهــا

---

(١) فى : س (بعض الفضلاء)
(٢) فى : س ، ظ رضى الله عنه
(٣) فى : ظ (وأمر الضعف) .
(٤) فى الأصل (يعرقل)
(٥) فى : ظ ، س (من أرفدت)
(٦) فى : ظ (فى التقدير)

ثم قال : ماأصعب السباحة فى غدير التمساح ، ما أشق السفر فى الأرض المسبعة ، إن المفروح به هو المحزون عليه ، غير أن عين الهوى عمياء ، وطائر الطمع يرى الحبة ولا يرى الشرك .

وأما رقة محبة الدنيا لبقاء النوع :

فهى لأن هذه النفس ، لما يئست من البقاء فى هذا العالم بالذات والشخص ، قنعت ببقائها بالنوع ، لتعشقها بعالم الحس . قال الشاعر :

أهيم بهند ما حييت فإن أمت أوكل بهند من يهيم بها بعدى

ولذلك حد بعضهم المحبة ، بالحرص على الإيجاد . وهى من المحبة الطبيعية ، إذ يحصل فى النفس لأجل اغتباطها بالبقاء ، وفرارها من الموت تشبث بالولد ، إذ ترى أنها بسببه باقية بنوع من البقاء ، شبيه بالتناسخ . قال المتنبى فى ذلك المعنى .

وقد أرانى الشباب الروح فى بدنى وقد أرانى المشيب الروح فى بدلى

وأنشدت يوما ولدى ، وقد رأيت منه نشاطا ومرحا ، انتقل منى إليه بعد السبق .

سرق الدهر شبابى من يدى ففؤادى مشعر بالكمد
واحتملت الأمر إذا أبصرته باع ما أفقدنى من ولدى

فإذا تعين حب الدنيا لبقاء النسل ، من غير سبب إلا التشبث بها ، والضنانة بصحبتها ، والتمسك منها ولو بخيط العنكبوت ، فهو غرور ظاهر ، وخسران بين ، واغتباط بما لا فائدة فيه فى العاجل ولا فى الآجل ، أما فى العاجل فهم وكيد ، كما [١٩٧] قال الشاعر :

رأيت ابن الفتى ضررا عليه لقد سعد الذى أمسى عقيما
فأما أن يربيـــه عدوا وإما أن يخلفـــه يتيما

وإما أن تصادفه المنايا   فيبكى حرقه (١) أبدا مقيما

وكثيرا ما يقدح (٢) منه زند عداوة، أو تعود منفعته بمضرة ، والله عز وجل يقول : « يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوالكم فاحذروهم » . ومن أصدق من الله قيلا ، ومن أصدق من الله حديثا .

وأما فى الآجل ، فسبب مقطوع ، ووقت مشغول : و « كل نفس بما كسبت رهينة » . « يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . وفصيلته التى تؤويه لكل . امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » .

فصرف الحب والهم ، والشغل والوكد ، واستغراق الفكرة ، وإعمال الكدح فى الفانى الداثر ، الذى لا يجدى فى الدنيا غالبا ، ولا فى الآخرة يقينا ، خروج عن قصد الحق ، وصواب الرأى : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم » .

وإن كان القصد ببقاء النسل ، اتصال الخير، ودوام القربة ، والتزلف إلى الله ، ودعاء الولد الصالح ، كان حميدا ، وقصدا سديدا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث » . فذكر : « صدقة جارية ، وولدا صالحا يدعو له » .

ورقة الدنيا المحبوبة للاستكثار من صالح العمل .

قال : وأما النفوس التى أحبت البقاء فى الدنيا ، للاستكثار من صالح العمل ، وهى نفوس لم تخل من محبة البقاء على الإطلاق ، فإنها (٣) شعرت بكمالها ، وعلمت أن هذه الدار دار اكتساب للفضائل التى تلتمس هيأتها ، فى دار البقاء ، وأنها مزرعة تحصد فى الوجود الثانى ، وحمل يبرز جنينه فى الوجود الآخر ، وبمنزلة التاجر الذى يحرص على المقام بأرض الغربة ، للاستكثار من عائد الربح ، وأنها فى هذه الدار تكتسب العلوم ، وينقطع عنها اكتسابها

---

(١) فى الأصل ، س (فيبكى حزنه)   (٢) فى : ظ ، س (يقتدح)

(٣) فى : ظ (إنما شعرت) وفى : س (إلا أنها شعرت)

بعدها . وقد مر فى ذلك ما فيه كفاية . ولهـــذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحسن الناس حالا من طال عمره وحسن عمله » وقال : « الدنيا مزرعة الآخرة » . وقال : « الدنيا ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها » : وقال الشاعر .

بقيـــة العمر عندى مالها ثمن وإن غدا خير محبوب من الثمن
يستدرك المرء فيها ما أفات ويحـ ـيى ما أمات ويمحو السوء بالحسن

وقيل : أوحى الله إلى موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام(١). يا موسى ـ ما لك ولدار الظالمين ، إنها ليست لك بدار ، أفرغ منها همك ، وفارقها بعقلك ، فبئست الدار هى ، إلا لعامل يعمل فيها، فنعمت الدار هى .

جرى السيل فاستبكانى السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتى غروب
وما ذاك إلا أن تيقنت أنه يمـــر بواد أنت منه قريب
يكون أجاجا دونكم فإذا أتى إليكم تلقى طيبكم فيطيب [٩٧ ب]

وقال رجل لأبى حازم : أشكو إليك حب الدنيا ، وليست لى بدار ، فقال(٢) : أنظر فيما أباحه الله منها(٣) فلا تأخذه إلا من حله ، ولا تضعه إلا فى حقه ، ولا تضرك . قالوا : أراد بذلك أنه (إن)(٤) أخذ نفسه (به)(٥) ، تبرم وطلب الخروج منها

خاتمة : قال الجنيد : بت عند سرى ليلة ، فقال لى : أنائم أنت ؟ قلت: لا . فقال : أوقفنى الحق بين يديه ، فقال : أتدرى لم خلقت الخلق ؟ قلت : لا . قال : خلقتهم فادعوا محبتى ، فخلقت الدنيا ، فاشتغل (بها)(٦) من عشرة آلاف تسعة آلاف ، وبقى ألف ، فخلقت الجنة فاشتغل بها تسعمائة ،

---

(١) فى : ظ ، س عليه السلام (٢) فى : ظ ، س. قال
(٣) فى : الأصل ، ظ، ما أباحه الله فيها
(٤) ساقطة من : ظ (٥) ساقطة من : س
(٦) ساقطة من : ظ

(وبقى مائة) (١) فسلطت عليهم شيئا من بلائى ، فاشتغل تسعون وبقى عشرة ، فقلت لهم : لا الدنيا أردتم . ولا فى الجنة رغبتم ، ولا من البلاء هربتم ، فماذا تريدون ؟ قالوا : إنك لتعلم ما نريد . فقال : سأنزل عليكم من البلاء مالا تطيقه الجبال ، أفتثبتون ؟ قالوا : ألست أنت الفاعل ؟ قد رضينا بذلك . نحمد ذلك بك وفيك ولك . فقال لهم : أنتم عبادى حقا (٢) .

نفس إليك بكلها قد أجمعت ... لو كان فيك هلاكها ما أقلعت

تبكى عليك ببعضها فى بعضها ... حتى يقال من البكاء تقطعت

فانظر إليهـــا نظرة بتعطف ... فلطا لما متعتهـــا فتمتعت

فنن الآخرة المحبوبة

وفيه ثلاث ورقات . ورقة محبة الآخرة للعوض ، وورقة (محبة) (٣) الآخرة للشاهدة ، وورقة محبة الآخرة للشهود .

الورقة الأولى : محبة الآخرة للعوض .

قال المؤلف رحمه الله : وكانت الآخرة محبو بالقوم حسبوها(٤) عوضا من محبوب الدنيا ، وما تركوا من المطاعم والمشارب ، وغير ذلك من اللذات ، وهم عامة العامة ، من محبي الآخرة ، ومنهم الطبقة الأولى من الزهاد ، والذين لم يتعد مقامهم مقام الزهد .

---

(١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل ، وزيد من : ط

(٢) مثل هذه المشاهد فى كتب التصوف إنما هى معان واستعارات وعبارات يمكن أن يكون طريقها الفهم فقط من غير شهود ، ومفهومات ألقيت فى قلوبهم وقت الصفاء عند التجلى ، وحقائق أودعوها عند التسامى ، واختلف العلماء فى رؤية الله فى الدنيا ، فالمحققون من المتكلمين متفقون على الجواز ، كأبى المعالى وأكثر الأشعرية ، وذهب أبوبكر الهذلى وغيره من المتقدمين الى المنع ، وللشيخ أبى الحسن الأشعرى فى ذلك قولان فى كتاب الرؤية ، من تأليفه ، وسئل مالك عن هذه المسألة فقال : لا يرى فى الدنيا ولا يرى الباقى بالفانى . ومال الغزالى وغيره إلى منع الوقوع لا إلى منع الجواز . لأن حقيقة الجواز تأبى الاختصاص (منهاج العوارف فى شرح مشكل الحديث ، مخطوط منسوب للقاض عياض بن موسى اليحصبى)

(٣) ساقطة من الأصل ، ظ

(٤) فى الأصل ، ظ (حسبوابها)

قال الشيخ الرئيس : الزهد عند غير العارف [١] ، معاملة ما ، كأنه يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة ، ثم قال : كذلك من غضّ النقصُ بصره عن مطالعة بهجة الحق ، أعلق يديه بمااديه(٢) من اللذات ، لذات الزور ، فتركها فى دنياه عن كره ، وما تركها إلا ليستأجل الله أضعافها ، وإنما يعبد الله ويطيعه ليخوله فى الآخرة شبعة منها ، فينبعث إلى مطعم شهى ، ومشرب هنى ، ومنكح بهى ، إذا بعثر عنه فلا مطمح لبصره فى أولاه وأخراه إلا إلى لذات قبقبة وذبذبه .

وقيل : إن أبا تراب النخشبى ، رآه بعض أصحابه فى النوم ، فقال له : مافعل الله بك ؟ فقال : غفرلى ، وأعطانى نصف الجنة . وقال لى : كل يامن لم يأكل ، واشرب يا من لم يشرب

تنبيه : فى قوله نصف الجنة . وذلك أن الجنة تنقسم إلى مأكل ومشرب ، ورؤية ومشاهدة ، وكنى بنصف الجنة ، عن تسويغ جنس (٣) المأكل والمشرب .

الورقة الثانية :

ورقة من جعل الآخرة محبوبا لأنها دار مشاهدة . حسبما ورد فى الحديث الشهير ، من الرؤية التى لا يضارون فيها ، وتجاوزت هممهم الحسنى إلى الزيادة . [٩٨ ا] قال الله عز وجل : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » . قالوا الحسنى الجنة . والزيادة النظر إلى وجه الله . ولكون الحق (سبحانه) [٤] يتجلى لهم « كل يوم فى شأن » فيتجدد النعيم مع كل شأن من شئون المشاهدة ، والناس فى هذا الغرض قسمان : فمنهم من طلب المشاهدة قبل الانفصال من هذه الدار ، وإليه الإشارة (بقوله عليه الصلاة

---

(١) فى : ظ ، س : (الزاهد عندهم غير العارف) ولا يستقيم الكلام مع ذلك .

(٢) فى : ظ ، س (أعلق كفيه بما يليه من اللذات) .

(٣) فى : ظ .حسن المأكل وفى : س (تنويع جنس المأكل) .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

والسلام) (١) ، « ما من بنى يقبض، حتى يرى مقعده من الجنة » . وفى معنى طلب المشاهدات قلت (٢) .

إذا لم أشاهد منك قبل ميلتى ... نهاية آمالى وغاية غاياتى
فحسن عزائى حيل بينى وبينه ... وقرة عينى لم تحل بمرآتى
شهودك أمنى من عذاب خواطرى ... وقربك حرزى من توقع آفاتى
فإن لم يكن وصل فيها إشارة ... فياحسن شاراتى بها من إشاراتى

وقال الآخر :

إنى لأذكركم وقد بلغ الظما ... منى فأشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتى عاينتهم ... قبل الممات ولو بيوم واحد

وهذه الدار ، إنما هى موضع العمل ، لكن الدليل على جوازها قوله : « رب أرنى أنظر إليك » . إذ لو كان محالا ماطلبه . ومن الناس من أنف من ذلك فى هذه الدار ، لأنها دار عمل (٣) (لا دار شاهدة) (٤) قال الشيخ محيي الدين رحمه الله ، فى طلب المشاهدة فى هذه الدار . وإنما أوردناه تنبيها

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٢) ى : ظ (وفى معنى هذه المشاهدة قال المؤلف رضى الله عنه) وفى : س (وفى معنى المشاهدة . . .) .

فى صحيح مسلم . عن أبى سعيد الخدرى أن ناسا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله . هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة صحوا ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله. قال ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى إلا كما تضارون فى رؤيتها . . . وساق الحديث بطوله

(٣) ووجه الدلالة فى قوله رب أرنى أنظر إليك . . الآية . غير ما ذكره المؤلف ١ — قوله تعالى : فإن استقر مكانه فسوف ترانى . فعلق الرؤية على استقرار الجبل وهو ممكن ٢ — قوله تعالى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وما تجلى للجبل جاز أن يتجلى لغيره ٣ — قوله تعالى . فسوف ترانى ، نفى لسرعة الرؤية لا لأصل الرؤية حيث لم يستقر الجبل وللمعتزلة اعتراضات ثلاثة . قال الكعبى . إنما طلب علما ضروريا يخلقه الله له متعلقا به فعبر عنه بالرؤية ، وقال أبو على الجبائى إنما طلبها لقومه وأضاف السؤال لنفسه ليكون أولى بالإجابة فإذا منع فغيره بالمنع أولى ، وقال أبو الهذيل العلاف ، كان موسى عالما باستحالة ذلك عقلا وطلبها لترد الدلائل السمعية بالمنع فيتعاضد العقل والسمع

(راجع أروع ما كتب فى هذا الباب ، منهاج العوارف فى شرح مشكل الحديث ، مخطوط منسوب للقاض عياض . . الحديث الرابع) .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

لمن استعجل لذة المشاهدة فى غير موطنها الثابت ، وحالة الفناء فى غير منزلها، والاستهلاك فى الحق بطريق المحق عن الخلق ، فان السادة منا أنفوا من ذلك ، لما فيه من تضييع الوقت ، ونقص المرتبة ، ومعاملة الموطن بما لا يليق به . ثم قال : قد حصلت ما كان ينبغى لك أن تؤخره لموطنه وهو الدار الآخرة ، التى لا عمل فيها ، فإنها زمان مشاهدتك ، ولو كنت صاحب عمل ظاهر ، وتلقى علم باطن ، كان أولى بك ، لأنك تزيد حسنا وجمالا فى روحانيتك الطالبة ربها ، وفى نفسانيتك الطالبة جنتها ، فإذا انفصلت من عالم التكليف ، وموطن المعاريج والارتقاءات ، حينئذ تجنى ثمرة غرسك .

قلت : ولهذا (١) (تحصل المشاهدة(٢)) مع بقاء عالم الأجسام . (حتى تحصل الغيبة) (٣) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الناس يرزقون فى الجنة على قدر عقولهم ، لا على قدر أعمالهم فمن كان أعقل كان أفضل » . بيانه : أن تلك الحضرة ممكنة فى التكوين ، يقول للشيء كن فيكون ، فمن كانت مداركه أعظم ، كانت مطالبه التكوينية أعظم .

الورقة الثالثة :

وأما ورقة من جعلوا المحبوب هو المطلوب من الآخرة (لا) (٤) المشاهدة .

فهم الذين أحبوا الله ، وغابوا به عن سواه ، من دنيا وآخرة ، وهم الذين آثروه على كل مشهود ، وهؤلاء هم الذين يخاطبهم (٥) لسان الشرع بقوله : « المرء مع من أحب » . وقال الشاعر :

فنيت بكم عن قائمات حدودى   وصار إلى الإطلاق قيد وجودى
فلا تطلبونى بالشهود فإننى   فقدت بشهودى مقام شهودى [٩٨ب]

---

(١) فى : ظ ، س (ولأجل هذا) .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٤) ساقطة من : ظ وفى : س للمشاهدة .
(٥) فى : ظ ، س (خاطبهم)

الغصن الثانى

غصن المحبين وأصنافهم المرتبين

ويشتمل على مقدمة بيان ، وستة أفنان .

فأما المقدمة فنقول . أصناف المحبين والعشاق كثير ، وهباء نثير ، وجرد آثارها مثير ، بحيث يشق إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم .

فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى قتيلك قالت أيهم فهمو كثر

من الحكماء القدماء ، والفلاسفة الأول ، الذين لا يذكر التاريخ زمانهم . منهم الفلاسفة المشهورون، والفلسفة الحكمة . والفيلسوف محبها . « فيلو » فى لسانهم . محب . « وسوفى » حكمة . وفيهم الأساطين ، وهم اهل ملطية ، وأهل اصطراخية وقونيـــة ، ومانياتاليس الملطى (٦) ، وانكساغورس (٧) وأنكسا ماليس ، وأنباذ قليس ، ووفيثاغوس وسقراط ، وأفلاطون ، وبعدهم ممن يلحق بهم ، فاوطن . وبقراط ، وديمقراطن ، وسائر المشهورين من الرواقين والمشائين ، وفلاسفة أقديميا ، وفلوطرخيس ، وزينون ، وهرمس الأكبر ، ومقورس ، وأرميوس ، (وأقليدس ، وسولس (٨)) وهرقل الحكيم ، وخمانيس . وأرشلاوش وطبابورش . وفرسطوس . وجورامسيس . وأرسططا ليس الاصطخرى الحكيم ، المبدع الكبير . المعروف الحق . إمام المشائين ، وواضع المنطق وتلميذه الاسكندر الرومى . سلمه إليه والده ، وأوزنيطس وتامسطيوس ، والإسكندر الافرودسى ، وأرشميدش ، ورفش ، وبولس ، وجالينوس ، كلهم فاضل مول وجهه شطر الإله ، متزلف إلى رب ، مرتاض عاشق بين موحد وموسط

---

(١) فى : ظ ، س (الملكى) (٢) ى : ظ (أنكسا غوريس)

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل

ومن الهنود الذى وضع لهم الحكمة المصلحية ، الشلم ، والمهندم ، والبرهمان ، والصولية ، والبردة ، والزهاد ، والعباد ، ورجال الرماد ، وأصحاب الفطرة ، وهم يهجرون اللذات الطبيعية جملة ، ويكثرون الجوع والرياضة ، عشاق فيما ولوا وجوههم شطره

ومنهم التناسخية من النهادورية ، والناسويه ، والباهريه ، والكابلية من يراه فى كل الحيوان أوفى النبات ، ومن عبدة الكواكب ، القائلين بالمثل ، والصور والأشكال الفلكية . ومنهم الهالكية والبدشهلبة والرهبكيه ، والجلهكية ، والأكنواطرنيه .

ومن المجوس الكومرتية ، والزوروانية ، والرمهرمزية ، والزراداشتية والكينوية ، والبياضية ، والمرقوتية ، والصائمية ، والمانوية ، والمزدكية . وأصحاب لاتين ، وأصحاب يزدان ، وهم القائلون بالأصلين ، ومنهم القائلون بالأحكام الصلاحية .

ومن الصابئين أصحاب الروحانية ، وأصحاب الهياكل ، والعباد للأرباب السماوية ، والأصنام الأرضية ، والقائلون بالأصلين الخير والشر ، ومن قال لا بد من الواسطة ، ومن رآى الشمس إله كل إله .

ومن الحنفاء القائلين بنبوة إبراهيم ، ومن يرى انتقال الفاضل فى الدرجات حتى يبلغ درجة لا تقبل الزيادة ولا النقص ، ومنهم الكاظمية والبيدانية ، والقنطارية .

ومن العرب عبدة الأصنام ، وعبدة الشعرى ، وعبدة الشجر والحجر والبيت والركن [١٩٩] والملائكة ، والقائلون بأنهم بنات الله ، وكل هؤلاء محب عاشق مستهلك ، يضل من يشاء ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، يا حسرة على العباد ، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور .

يا حيرة الشيخ الأصم وحسرة الحدث الضرير

آخر :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

وأرباب الملك من أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم ، وأتباعهم من المتمسكين بكتب الله ، ممن رعاها حق رعايتها ، ومن بدلها بعد ما سمعها ، من اليهود القائلين بنبوة موسى بن عمران ، دون عيسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام) [١] ، وغيرهم لهم فيهم نظر ، ولا يجوزون النسخ ، من العنانية ، والعيسوية ، والبودعية ، والسامرية . ومن النصارى القائلون باجتماع اللاهوتية والناسوتية الثلاث ، الوجود ، والعلم ، والحياة ، وأن الله واحد بالجوهر ، وثلاثة بالأقنومية ، ويكنونها بالأب والابن وروح القدس المسيح (وهم الملكانية ، والنسطورية ، واليعقوبية ، وهم القائلون بألوهية المسيح) [٢] . وأن الله لبس الناسوت ليباشر هداية الخلق ، شفقة عليهم ، وأتباع هاتين الملتين ، أهل التوراة والزبور والإنجيل ، من الأحبار والربانيين ، والرهبان ، والحواريين ، وكلهم عشاق ، وإن خاب مرادهم ، وضاع اجتهادهم .

ثم هؤلاء الشهداء على الكل من المسلمين ، أتباع النبي (الكريم) [١] على الله ، الحبيب إلى الله ، الخاتم المكمل ، ومن ورثة من علماء الظاهر والباطن ، كأبي بكر المفضل بالسر الذى وقر فى صدره ، وعمر الفاروق بين الحق والباطل ، وعثمان جامع الكتاب الحكيم ، وعلى باب خزانة علم الدين ، وعبد الله بن عباس (المفقه فى الدين ، وحذيفة) [٢] صاحب الكشف عن صدور المنافقين ، وغيرهم .

ثم أتباعهم من فقهاء الملة ، المتكلمين فى أحكام الشريعة ، وهم قسمان أهل الحجاز ، وأصحاب الرأى أهل العراق ، مالك بن أنس ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وسفيان بن عيينـــة ، والحسن بن راهوية ،

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من ، ظ

(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل وزيد من ، ظ

والأوزاعى ، وابن أبى وزعة ، وأبو حنيفة النعمان ، وأحمد بن حنبل ، وداود بن على الظاهرى .

ومن أصحاب مالك . ابن القاسم ، وأشهب ، وابن الماجشون ، ويحيى بن يحيى ، وابن عبد الحكم . ومن أصحاب الشافعى ، أبو إبراهيم ، والربيع بن سليمان ، ويحيى المزنى ، والبويطى ، ويحيى بن الحكم ، وأحمد بن محمد ، وأبو ثور بن إبراهيم . ومن أصحاب أبى حنيفة . محمد بن الحسن [الشيبانى](١) ، وأبو ثور القاضى ، وأبو يوسف ، وزفر بن هذيل ، والحسن بن زياد(٢) ، وعافية القاضى ، وابو الحسن اللؤلؤى ، وأبو مطيع .

ثم من بعدهم من المتكلمين ، والذابين عن العقائد ، كأبى الحسن الأشعرى ، والحارث بن أسد ، والقلانسى ، والكلابى ، والباقلانى ، وابن فورك ، والاسفراييني ، والشيرازى وأبى حامد الغزالى ، والشهرستانى ، والفخر الرازى ، [١٩٩ ا] وسيف الدين الآمدى(٣) ، والحنابلة ، والداودية ، والمضرية ، والسفيانية ، والكرامية ، وكل من ذكر عشاق محبون أهل علم وعمل وتوحيد وإيمان .

ثم الطوائف المنازعة ، والفرق المخالفة ، من المعتزلة ، القائلين بالعدل والتوحيد ، وأن المعارف كلها عقلية قبل الشرع ، وهم الواصلية ، والحسنية ، والهذلية(٤) ، والنظامية(٥) ، والحائطية(٦) ، والبشرية (٧) ،

---

(١) ساقطة من : ظ . (٢) فى : ط وابن حذيفة . خطأ .

(٣) فى : ظ وسفيان بن سعيد . خطأ .

(٤) أصحاب أبى الهذيل شيخ المعتزلة قالوا بفناء مقدورات الله ، وأن أهل الخلد تنقطع حركاتهم ويصيرون إلى جمود دائم وسكون .

(٥) هم أصحاب إبراهيم النظام ، وهو من شياطين القدرية طالع كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة . قالوا : لا يقدر الله أن يفعل بعباده فى الدنيا ، مالا صلاح لهم فيه ، ولا يقدر أن يزيد فى الآخرة أو ينقص من ثواب وعقاب لأهل الجنة والنار .

(٦) أصحاب ابن حائط . وهو من أصحاب النظام . قالوا : للعالم إلهان قديم هو الله ، ومحدث هو المسيح . والمسيح هو الذى يحاسب الناس فى الآخرة وهو المعنى بقوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا » .

(٧) أصحاب بشر بن المعتمر . كان من أفاضل المعتزله وهو الذى أحدث القول بالتوليد . قالوا : إن الأعراض والطعوم والروائح تقع متولدة فى الجسم من فعل الغير .

والمعمرية(١) ، والمرادية ، والثمامية(٢) ، والهاشمية(٣) ، والجاحظية(٤)
والخياطية(٥) ، والجبائية(٦) ، والجبرية(٧)، والجهمية(٨) والنجارية(٩)،
والضرارية (١٠) ، والصفائية (١١) .

ومن المرجئة(١٢) القائلون بإرجاء على لازم النية ، مرجئة القدرية(١٣)،

---

(١) أصحاب معمر بن عباد السلمى . قالوا : الله تعالى لم يخلق شيئا غير الأجسام وأما الأعراض فتخترعها الأجسام إما طبعا كالنار للاحراق وإما اختيارا كالحيوان للألوان وقالوا: لا يوصف الله تعالى بالقدم، لأنه يدل على التقدم الزمانى وهو تعالى ليس بزمانى . ولا يعلم نفسه وإلا اتحد العالم والمعلوم وهو ممتنع .

(٢) أصحاب ثمامة بن أشرس . قالوا اليهود والنصارى والزنادقة يصيرون فى الآخرة ترابا لا يدخلون جنة ولا نارا .

(٣) أصحاب هشام بن عمرو القوطى . قالوا: الجنة والنار لم تخلقا بعد . وقالوا : لا دلالة فى القرآن على حلال وحرام والأمامة لم تنعقد مع الاختلاف .

(٤) أصحاب عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ . قالوا : يمتنع انعدام الجوهر . والخير والشر من فعل العبد . والقرآن جسد ينقلب تارة رجلا وتارة امرأة .

(٥) أصحاب أبى الحسن بن أبى عمرو الخياط . قالوا : بالقدر وتسمية المعدوم شيئا .

(٦) أصحاب أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى من معتزلة البصرة . قالوا : الله متكلم بكلام مركب من حروف وأصوات يخلقه الله تعالى فى جسم . ولا يرى الله فى الآخرة . والعبد خالق لفعله . ومرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر . وإذا مات بلا توبة يخلد فى النار . ولا كرامات للأولياء .

(٧) من الجبر وهو إسناد فعل العبد إلى الله . والجبرية اثنان . متوسطة تثبت للعبد كسبا فى الفعل كالأشعرية . وخالصة لا تثبت كالجهمية .

(٨) أصحاب جهم بن صفوان . قالوا : لا قدرة للعبد أصلا . لامؤثره ولا كاسبة . بل هو بمنزلة الجمادات . والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى .

(٩) أصحاب محمد بن الحسين النجار . وهم موافقون لأهل السنة فى خلق الأفعال وأن الاستطاعة مع الفعل وأن العبد يكتسب فعله . ويوافقون المعتزلة فى نفى الصفات الوجودية وحدوث الكلام ونفى الرؤية .

(١٠) ينظر فى الملحق .

(١١) ينظر فى الملحق .

(١٢) المرجئة قوم يقولون . لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

(١٣) أسندوا فعل العبد إلى الله ، وهم اثنان : متوسطة تثبت للعبد كسبا كالأشعرية ، وخالصة لا تثبت كالجهمية .

والجبرية ، والخوارج(١) ، والصالحية(٢) ، والتمرية ، واليونسية(٣) ، والعندية(٤)، والغسانية(٥) ، واليونانية(٦) ، أصحاب يونان المرجىء، والتومية (٧) .

ومن الشيعة القائلون بإمامة على وغيرهم ، ممن يتبع رأسهم . الكيسانية (٨) ، المختارية (٩) ، والهاشمية (١٠)، والبنانية (١١) والرزامية (١٢) ، والزيدية ، (١٣)، والإمامية (١٤) ، الباقرية (١٥) ، والناوسية (١٦) ، والأبطحية(١٧) ، والاسماعيلية(١٧) ، والموسوية(١٩) ،

---

(١) هم الذين يأخذون العشر من غير إذن السلطان . وقد أفتوا بكفر على ومعاوية

(٢) قوم جوزوا قيام العلم والقدرة والسمع والبصر مع الميت ، وجوزوا خلو الجوهر عن الأعراض كلها .

(٣) : اليونسية : هم أصحاب يونس بن عبد الرحمن ، قالوا : الله تعالى على العرش تحمله الملائكة .

(٤) العندية : هم الذين يقولون : إن حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات ، حتى إن اعتقدنا الشيء جوهرا فجوهر ، أوعرضافعرض .

(٥) الغسانية :ينظر فى الملحق (٦) اليونانية : أيضاً (٧) التومية : أيضاً

(٨) الكيسانية :ينظر فى الملحق (٩) المختارية : أيضاً (١٠) الهاشمية : أيضاً

(١١) البنانية : أصحاب بنان بن سمعان التيمى ، قال : الله تعالى على صورة إنسان ، وروح الله حلت فى على ثم فى ابنه محمد بن الحنيفة ، ثم فى ابنه أبى هاشم ثم فى بنان .

(١٢) الرزامية : ينظر فى الملحق (١٣) الزيدية : أيضاً

(١٤) الإمامية : هم القائلون بالنص الجلى على إمامة على رضى الله عنه ، وكفروا الصحابة. وهم الذين خرجوا على على عند التحكيم وكفروه ، وهم أثنا عشر ألف رجل كانوا أهل صلاة وصيام وقيام . ولكن إيمانهم لم يجاوز تراقيهم .

(١٥) الباقرية :ينظر فى الملحق (١٦) الناوسية : أيضاً

(١٧) الأبطحية :ينظر فى الملحق

(١٨) الاسماعيلية : هم الذين أثبتوا الأمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق ، يقولون : الله لاموجود ولا معدوم ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك فى جميع الصفات ، لأن الإثبات الحقيق يقتضى المشاركة بينة وبين الموجودات وهو تشبيه ، والنفى المطلق ، يقتضى مشاركته للمعدومات وهو تعطيل .

(١٩) الموسوية :تنظر فى الملحق

والإثنا عشرية (١) ، والغالية (٢) ، والسبئية (٣) ، والكاملية (٤) والعلنانية (٥) ، والنعمانية (٦) ، والنصيرية (٧) ، طوائف برغمهم .

ومن الخوارج على على رضى الله عنه، كعبد الله بن المعلم ، وابن الأعور، وعبد الله بن وهب ، وزيد بن حرقوص ، ورأيهم الخروج على الإمام إذا خالف والتكفير بالذنوب ، والتبرى من الحسن ، والوقوع فى على وعثمان رضى الله عنهما .

و [من] المحكّمة : الذين رجعوا عن على رضى الله عنه يوم صفين الأشعث بن قيس ، ومسعود التيمى ، وزيد الطائى .

ومن الخوارج : الأزارقة والقادرية (٨) والبيهسية (٩) والعجاردة (١٠) والميمونية (١١) والصلتية (١٢). والحمزية (١٣) والأطرافية (١٤) والخلفية (١٥)

---

(١) الاثنا عشرية : ينظر فى الملحق

(٢) الغالية : » » »

(٣) السبئية : أصحاب عبد الله بن سبأ ، قال بألوهية على رضى الله عنه ، وأنه لم يقتل ولم يمت ، بل قتل ابن ملجم شيطانا على صورته ، وأنه فى السحاب والرعد صوته، والبرق سوطه ، ويقولون عند سماع الرعد : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

(٤) الكاملية : أصحاب أبى كامل ، يكفرون الصحابة بترك بيعة على ، ويكفرون عليا بترك طلب الحق .

(٥) العلنانية : ينظر فى الملحق

(٦) النعمانية : » » »

(٧) النصيرية : قالوا : إن الله حل فى على رضى الله عنه :

(٨) فى الأصول الإطرائية تنظر الأزارقة والقادرية فى الملحق

(٩) أصحاب أبى بيهس بن الهيضم بن جابر ، قالوا : الإيمان هو الإقرار والعلم بالله وبما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووافقوا القدرية على إسناد ، أفعال العباد إليهم

(١٠) هم أصحاب عبد الله بن عجرد ، قالوا : أطفال المشركين فى النار

(١١) هم أصحاب ميمون بن عمران ، قالوا بالقدر ، فتكون الاستطاعة قبل الفعل ، وأن الله يريد الخير دون الشر ، وأطفال الكفرة فى الجنة ، ويروى عنهم تجويز نكاح بنات الإنسان لأبنائه ، وأنكروا سورة يوسف

(١٢) أنهم أصحاب عثمان بن أبى الصلت وهم كالعجاردة . لكن قالوا : من أسلم واستجار بنا توليناه ، وبرئنا من أطفاله حتى يبلغوا ، فيدعوا إلى الإسلام فيقبلوا .

(١٣) أصحاب حمزة بن أدرك ، وافقوا الميمونية فيما ذهبوا إليه من البدع . إلا أنهم قالوا : أطفال المشركين فى النار .

(١٤) عذروا أهل الأطراف فيما لم يعرفوه من الشريعة، ووافقوا أهل السنة فى أصولهم .

(١٥) هم أصحاب خلف الخارجى، حكموا بأن أطفال المشركين فى النار بلا عمل ولا شرك .

والجازمية (١) والشعبية (٢) والثعالبية (٣) والأخنسية (٤) والمغيرية (٥) والرشيدية (٦) والفشوية (٧) والشيبانية (٨) والمعلومية (٩) .

ومن الإباضية : الحفصية (١٠) واليزيدية (١١) والحارثية (١٢) والصفرية (١٣) .

الحب حركهم لكل جدال   والحب أقحمهم على الأحوال
والحب قاطع بينهم وأضلهم   عن نيل ما راموه كل ضلال
والحب أنشأ فيهم عصبية   بالقيل أضرم نارها والقال

وإنما استكثرنا من ذكرهم عبرة لمن تأمل حرمان هذا الفراش المختلف الآراء على ذبال الحق ، مبتغون إليه الوسيلة قوم . وقوم بالمعصية .

وما منهم إلا مدعٍ فى المحبة متهالك حريص على السعادة بزعمه : «وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة» . ممن قصد الحق فأخطأه ، أو أراد الصواب فضل منه .

---

(١) أصحاب جازم بن عاصم ، وافقوا الميمونية إلا فى القدر .

(٢) أصحاب شعيب بن عبد الرحمن . وهى فرقة كسابقتها تماما .

(٣) الثعالبية : تنظر فى الملحق

(٤) الأخنسية : » » »

(٥) هم أصحاب مغيره بن سعيد العجلى . قالوا : الله تعالى جسم على صورة إنسان من نور ، وعلى رأسه تاج من نور ، وقلبه منبع الحكمة .

(٦) الرشيدية : تنظر فى الملحق

(٧) الفشوية : » » »

(٨) أصحاب شيبان بن سلمة . قالوا بالجبر ونفى القدر .

(٩) قالوا : المؤمن من عرف الله بجميع صفاته وأسمائه ، ومن لم يعرفه كذلك فهو جاهل لا مؤمن :

(١٠) أصحاب أبى حفص بن أبى المقدام . قالوا : بين الإيمان والشرك معرفة الله ، فإنها خصلة متوسطة بينهما .

(١١) أصحاب يزيد بن أنيسة ، قالوا : سيبعث الله نبيا من العجم ينزل عليه كتاب من السماء جملة واحدة ، وتترك شريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلى ملة الصابئة المذكورة فى القرآن ، وقالوا : أصحاب الحدود مشركون ، وكل ذنب شرك كبيرة كانت أوصغيرة .

(١٢) الحارثية : تنظر فى الملحق

(١٣) الصفرية : » » »

واشتهر بالحكمة بعد فى الملة الإسلامية جماعة بالمشرق . فمن المشارقة أبو الفرج المفسر ، وأبو سليمان الشجرى . وكان عندهما بعض أنواع الحكمة . ويعقوب الكندى ، وحنين بن اسحاق ، ويحيى النحوى ، [٩٩ ا] وثابت بن قرة ، كان عندهم مباشرتها من حيث الترجمة والمزاولة. ويوسف بن محمد النيسابورى ، وأحمد بن سهل البلخى ، وأبو محارب ، وهؤلاء حكماء فى الرياضات . وأحمد بن الطيب السرخسى ، ومحمد بن طلحة ، وأبو حامد الاسفراينى ، وعيسى بن على الوزير ، وأحمد بن مسكوية ، من أهل الحكمة والكلام ، وأبو نصر الفارابى ويحيى الصيمرى ، وأبو الحسن العامرى ، وهم أكبر من ذكر . وأبو على بن سينا ، وقدره معروف . ومن أهل الأندلس منهم . محمد بن مسعدة السرقسطى ، وأحمد بن طاهر الطرطوشى ، ويحيى بن عمران القرطبى ، وطفيل بن عاصم ، وكليب بن همام البياسى ، والحسن بن حرب الدانى ، وابن ميسرة الجبلى ، ومسلمة المجريطى ، وأبو بكر بن الصايغ ، وأبو بكر بن طفيل ، وأبو الوليد بن رشد ، وكل هؤلاء المتقدمين والمتأخرين محب عاشق مستهلك قال الشاعر .

وعلى أن أسعى وليـ س على إدراك النجاح

إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » . « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » .

حيارى يميد بهم شوقهم[1] كأنهم ارتضعوا الخندريسا

آخر :

إذا لم يكن عون من الله للفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد

(« ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد »)[2] . « ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك

---

(١) فى : ظ ، س شجوهم .

(٢) الآية ساقطة من : س .

خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » . « فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة » . « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » . والخلق قدمدوا أبصارهم وآمالهم ، وتحركوا طوعا وكرها يعشون إلى نور الله ، فمن أعمى أصم لا يسمع ولا يبصر ، وأعمى فقط يجتزىء عن العين(١) بالخبر ، وأحول يبصر الشىء شيئين ، كما قال الشاعر :

أحوى الجفون له رقيب أحول　　الشىء فى إدراكه شيئـــان
فيلوح فى عينى منـه واحد　　ويلوح فى عينيــه منه اثنـان
(يا ليتـه ترك الذى أنا مبصر　　وهو المخير فى الحبيب الثـانى(٢)

وضعيف لا يبصر من بعيد ، وأجهر لا يبصر من قريب ، وأعمش تكثر فى عينيه الأشعة ، وربما تندر زرقاء اليمامة . (وأنشد) (٣) .

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا مـلامة
أعمى وأعشى ثم ذو بصر وزرقاء اليمـامة
لولا استقامة من هدا ه لما تبينا العـــلامة
ومجاوز الغرر المخيـــ ــف قد استحق به السلامة

أقام سبحانه الحجة ، وفرق بين الأمر والإرادة ، وأعطى الكفاية ، من القدرة ، فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون . اقتصرنا من هذا البحر على نقطة ، [١٠٠ ا] ومن هذا الودق على قطرة :

ومن يسد طريق العارض الهطل　　عد الحصى والرمل(٤) ليس يرام

وذكرنا الرسل والأنبياء والأتباع ذكراً من غير تبويب ولا تعيين ، لشياع آرائهم والعلم بمقاصد مللهم ، وأغراض دعواهم ومرامى نحلهم (٥)

---

(١) فى : س . (يجتزىء عن العيون) .
(٢) ألبيت كله ساقط من : ط .
(٣) ساقطة من الأصل ، ظ .
(٤) فى : ط ، س . والقطر .
(٥) فى : س (وترامى نحلهم) .

من توحيد الله وتنزيهه ، وتقرير الحق فى صفاته وأسمائه ، وكيف يحشر الناس ليوم لا ريب فيه ، لتجزى كل نفس ما كسبت ، وتعليم طرق النجاة وإيضاح سبيل الله ، والتحذير من الغفلة ، عمن إليه الرجعى ، وله الآخرة والأولى ، والتخويف من كل ما يقطع عنه ، والترغيب فيما يوصل إليه ، وشأن الرياضة والتدريج فى أحوالها ، حتى ينتقل من الظواهر إلى البواطن وتسرى فى الخلف من السلف ، والندب إلى الاقتصار على الضرورة ، والقناعة بالبلاغ ، وتبيين الرسم فيها ، والتعيين لحدودها ، قد تضمنت ذلك كله آيات الكتاب ، التى تكفل (الله)(١) بحفظها ، وسنته التى قيض مناخل الصدق لتصحيح نقلها ، فالمكاتب والمنة لله ماثلة ، والمدارس حافلة ، فما لنا والإطالة فى الموجود الذائع ، والمشهور الشائع .

والشمس تكبر عن حلى وعن حلل تغنى الدرارى عن التقليد بالدرر

ما أغنى الشمس عن مدح المادح ، تحصيل الحاصل عناء : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ». فلنذكر بعض أرباب الآراء من قريب وبعيد ، وخلق جديد ، على صورة المثال المفروض ، والخيال المعروض ، وليكن (٢) كعرض الحبوب التى تجزئ منها الحفنة عن الجفنة ، الغرفة عن الفرقة (٣) ، ونقتصر على اليسير لإقامه الترتيب ، وإحكام التبويت ، وليرى الواقف عليه أننا قد نفضنا الزوايا ، (ورشقنا الروايا ،)(٤) وأمتلكنا (٥) العظام ، واستقصينا النظام ، حرصا على نشيدة الحق أن تغفل . وعلى الطباع أن تنقل ، وعلى المرائى الصدية أن تصقل ، وعلى صورة النجاة أن تُستقَل ونسأل الله هداية توصل إليه ، لا إله إلا هو (الرحمن)(٦) الرحيم .

---

(١) ساقطة من : ظ (٢) فى : س (وليكون) .
(٣) فى : س . الحقيقة عن الحقيقة والقرية عن القرية .
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س .
(٥) فى الأصل ، ظ وامتكنا العظام .
(٦) ساقطة من : س .

فالغصن المذكور يتفرع إلى رأى الفلاسفة المشائين والرواقيين ، ورأى أهل الأنوار من الأقدمين ، ورأى الحكماء المتمللين ، ورأى من بعدهم من المتممين بزعمهم المتكلمين ، ورأى أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين ، والإحالة على طريقة الصوفية سادة الإسلام ، والحق الذى نعول عليه ، ونصل على المهيع القريب إليه ، نفرد له رسالة نعهد عندها عهدا يقتضى اختصاصها ، ويعين أشخاصها ، ونغلظ الألية ألا نؤثر بها (إلا)(١) لولد صريح ولجنى لحكمة البالغة مستبيح ،(٢) فإن الكامل من استوعبت ذاته جميع هذه الآراء المكتوبة ، والنحل المحسوبة ، وما احتصر قبلها من رأى ونظر ، وورد وصدر ، ليتشبه بالعقول الكلية والمبادىء الأولية ، حتى إذا الوحوش من هذه العقائد (حشرت)(٣) والرمم نشرت ، انتفض انتفاضه الطائر ، واهتز اهتزاز الصارم الباتر ، فحق الحق ، ووضع الجمع ، [١٠١ ا] وذهب الفرق ، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » . وفى تلك النقاوة نودع إن شاء الله ما ألهمنا الحق إليه ، من الحق الذى لا جمجمة فيه .

الفن الأول

فى رأى القدماء . من الفلاسفة : من عد إلهيا ، وحائما على السعادة . يتلخص(٤) من رأيهم على خلاف ليس بمخرج عن المعنى ، ولا مفسد للغاية (٥) ، أن الذات (٦) التى هى أولى علل الموجودات ، وأحقها بالوجود ، والاتصاف بالوحدانية ، وأخصها بها ، وأقدمها فيها ، هى المبدأ الذى عنه تنبعث القوى ، المتكثرة نحو غاياتها المختلفة ، وإليها ترجع متصاعدة . وهى العلة الأولى ، التى يتعلق بها ما سواها(٧) من سائر

(١) ساقطة من . ظ ، س .

(٢) لعلها المذكورة فى الخاتمة .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) فى : س (فيتلخص من رأيهم) .

(٥) فى : س . (ولا بفسد الغاية) .

(٦) فى : ظ ، س (الذوات) .

(٧) فى : ظ ، س . (الى بها يتعلق ما سواها) .

الموجودات ، تعلق المعلول بالعلة(١) ، على حسب تواليها إلى أن تتوارد بأجمعها إليها فتكون علة العلل ، وسبب الأسباب ، ومبدأ المبادىء الفائضة بالخير المحض ، والوجود(٢) المطلق ، ومعطية كل ذات من الذوات بقدر ما تحتمله من الوجود (٣) اللائق بها .

وأن هذه العلة لا تحد ، ولا يوجد لها جنس ولا فصل ، لإطلاق أزلها ولأنها علة الأجناس والفصول ، ولا تعرف إلا من جهة السلب . قالوا : وهى الله الواجب وجوده ، النور المحض ، والكمال والجود (٤) (المحض (٥)) ، والغنى المحض ، موجد ما سواه ، ومخترع ما دونه ، والأول الذى لا أول له ، والآخر الذى لا آخر له ، ولما كان عمله الإيجاد وكان كمال وجوده فوق الكمال . وهو العالم بالكائنات قبل كونها ، والقادر على إيجادها متى شاء اقتضت حكمته ألا يحبس تلك الفضائل فى ذاته وعليه من غير أن يجود(٦) بها ولا يفيضها ، فأفاض الجود بموجب الحكمة ، وعلة الكمال ، كما يفيض النور والضياء من عين الشمس .

ودام ذلك الفيض متصلا متواترا ، غير منقطع ولا معوق ، فكان أول ماصدر عنه مما هو مقيد الوجود بوجوده ، مستكمل الخيرات والفضائل به مبرأ من الشوائب(٧) والتغير ، الموجود المبدع الأول . الذى رتب كل موجود مرتبته (٨) ووفاه حقه فى لزوم النظام ، وهو الموسوم بالفعل الصادر عنه وهو العقل ، إذ فعله ذاته ، وهو جوهر بسيط روحانى ، فى غاية

---

(١) فى : س . (ارتباط العلة بالمعلول) .
(٢) فى : ظ ، س . (والجود المطلق) .
(٣) فى : ظ ، س . (من الجود اللائق) .
(٤) فى : ظ (والوجود) .
(٥) ساقطة من : ظ .
(٦) فى : ظ (من غير أن يوجد بها) .
(٧) فى : ظ ، س (من النوائب) .
(٨) فى : ظ ، س . (رتبته) .

التمام والكمال ، وقوة محيطة تحفظ على كل واحـــد واحد من الموجودات(١) وجوده الخاص به وتعلقه به .

فكان أول الموجودات الصادرة عن العلة الأولى من غير واسطة ، وبمنزلة الاثنين من الواحد العددى ، وفيه جميع صور الأشياء المعلومة ، كما تكون صور المعلومات المتعددة فى (نفس)(٢) فكر العالِم .

وهذا(٣) العقل الفعال ، والجوهر الشريف المقدس . النورانى ، مستمد من العلة الأولى ، شاخص إليها ، شديد التشبه بها ، بقدر طاقته عشقا واستهلاكا ، واستكمالا واستمدادا ، ولذلك فاض منه بإمدادها فيض آخر من سنخه(٤) ، دونه فى الرتبة ، وهو العقل المنفعل ، وهى النفس الكلية ، تالية له ، وهى التى تعطى بعض الذوات أفضل أحوالها فى الوجود ، وهى الحياة . وهى النفس المصورة للأجسام أفضل صورها وإذا [١٠١ ا] تصورت بها ، وانطبعت فيها ، حصلت لها بها قوة تتشبث بها الأجسام(٥) ، على قدر اختلافاتها ، فتحصل لكل واحدة منها صورة مباينة للأخرى .

ثم صدرت عن النفس الطبيعية ، وهى الطبيعة ، قوة تنفذ فى الأجسام ، فتعطيها التخلق والتصور بالصور الخاصة بواحد واحد منها ، والطبيعة تتقدم على الجسم ، وتتأخر بالوجود عن النفس ، بمنزلة تأخر الآلة عن الصانع ، وتقدمها على المصنوع .

ثم صدرت عنها الهيولى ، وهى جوهر قابل للصورة ، ثم صدر الجسم.

---

(١) ى : ظ (على كل حال واحد من الموجودات) .
(٢) ساقطة من : ط . وفى : س . (من فكر العالم) .
(٣) فى : ظ ، س . (وهو العقل الفعال) .
(٤) فى : ظ (من سبحه) .
(٥) فى : س . تشبث بها أجسام .

المطلق ، وهو الفلك ، وهو الجسم المحيط بالكل ، ثم سائر الأفلاك ، إلى عالم الكون والطبائع .

(ورقة) (١)

ولما كان العقل يقبل المدد والكلمه من العلة الأولى ، والنفس تقبل من العقل ، وما دونها يقبل منها(٢) ، أعطت النفس جميع الموجودات التى دونها أنفسها الجزئية ، بحسب استعدادها ، فقبلت الجواهر المبرأة من المواد ، وهى الأفلاك والكواكب نفوسا تناسبها ، وهى الصور الروحانية ، وهم الملائكة : وهى: أرواح شريفه باقية مضيئة ، وقبلت الجواهر الجسمانيه المظلمة نفوسا تناسبها ، فالعلة المبدعة الأولى ، وهو العقل ، أكمل الموجودات وأقربها إلى المبدأ الأول ، وهو يعقل نفسه ، ويعقل ما دونه من الذوات ، ولا يزال ما دونها مما صدر بأمر الفاعل الأول ، بعضه على بعض بحكم ما جعل من الوسائط ، يكشف (٣) لبعده عن المبدأ الذى هو عنصر الكمال والبهاء والنور ، إلى أن ينتهى إلى ما بعد الأجسام الفلكية ، وهى مايلى مقعر فلك القمر(٤) من الأجسام العنصرية ، إلى عنصر التراب وهو أكثفها .

ثم اقتضت الأسباب (القصوى (٥)) ، والإمدادات الفائضة من العلة الأولى تشكلات الأجسام المجردة عن المواد ، وقوى أرواحها ، وهى الأفلاك والكواكب ، والصور الروحانية ، ولوازم الحركات من تعيين الأزمنه (٦) امتزاج تلك الأجسام العنصرية المحصورة حشو فلك القمر ، وهى النار والهواء والماء والأرض ، وحدوث أجسام تركيبية ، وهى المولدات الثلاثة ، من معدن ونبات وحيوان ، وأعطتها العلة التى

---

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٢) فى : س . يعقل منها .

(٣) فى : س (فكيف) تحريف .

(٤) فى : ظ ، س (مقعد فلك القمر) .

(٥) ساقطة من : ظ .

(٦) فى :س (من نقس الأزمنة) .

تعطى كل مادة صورتها على حسبها ، من كثيف وأكثف ، ولطيف وألطف ، صورا تستحقها بحسب القابلية منها والاستعداد ، فاختلفت الأشكال والصور ، فكانت فى أكثف المولدات وهو المعدن ، أقصر النفوس التى بها حصلت له حركة النمو ، ثم فى النبات أظهر ، ثم فى الحيوان ، ثم فى الإنسان . على التمام ، وهى النفس الناطقة المدركة العلامة ، وعندما تعينت هذه النفس ، وعقلت ذاتها ، ارتدت تروم الصعود على معراجها الذى تنزلت عليه إلى المواد ، وحنت إلى عالمها الشريف ، فلطفت وتروحنت . فبحسب شوقها إليه وحنينها وتشبهها به فى الصفاء والنورية يكون كمالها ، وبحسب كدورتها وبعدها عن الاتصاف بأوصافه ، يكون بعدها وخستها وضعتها .

فتحصل من هذا القول ، أن الموجودات نوعان : كليات وجزئيات . الكلية منها تسعة ، تبدأ [١٠٢ ا] من الأكمل إلى الأنقص . أولها الله فاعل كل شيء ، (وخالق كل شيء . لا إله إلا هو[١]) . ثم العقل . ثم النفس الكلية ، على خلاف بينهم فيها . ثم الهيولى ، ثم الجسم ، ثم الفلك ، ثم الأركان ، ثم المولدات . والجزئيات تبدأ[٢] من الأنقص إلى الأكمل ، فمن المعدن ، إلى النبات ، إلى الحيوان ، إلى الناطق ، إلى العقل الفعال ، إلى العقول المجردة ، وأن الله عز وجل خلق العقل ، وصدرت عنه النفس ومابعدها بامداده ونوره ، وأعطى كل شيء من القوى والحياة مايستحقه .

ورقة :

ومعراج النفس وسعادتها على هذا الرأى مرتب معروف ، فإن كان اشتغالها بهذه الأجسام الحية لماماً ، وتعلقها يسيراً ، بحيث لا يرسخ عشقها ولا يتمكن الكلف بها ، ولا تنسى اللذات العلوية (بلذاتها[٣]) [السفلية]

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س . (٢) فى : ظ ، س (تبتدىء) .
(٣) ساقطة من : ط ، س .

وكان ترددها على معراجها لاقتباس النور من أصلها متصلا ، بقى المعراج معروفا لها ، نقيا من القواطع ، سهلا على العروج ، خليا من العوائق . فلم تلبث بعد المفارقة أن تقطع مفازته ، لما تقدم من معرفتها به ، وشوقها إلى ما وراءه ، ورقيها عليه فى عالم كمالها [١] . فلحقت بعالمها الذى خلقت وإياه من جوهر واحد ، وهم سكان السموات ، ونفوس العوالم البسيطة النورانية ، واستبدلت من ضيق الجسوم الحرجة المظلمة سعة السموات ، وتنعمت بالأرواح المقدسة ، والأنوار المشرقة ، واللذات الدائمة . وبحسب استعدادها للترقى بما اكتسبته فى محل اغترابها من التقديس والاتصاف بالصفات الحسنة[٢] ، والنزوع إلى العوالم الروحانية ، تكون منزلتها فى هذه الفسحة ، والنعيم الذى أفضت إليه من ضيق الطبيعة ، وظلمات العوالم الكونية . ومراتبها بحسب تعداد الأفلاك والأفضلية أولا . ثم درجات التفضيل لا تحصى . أو يتصل المعراج والترقى ، إلى أن تتصل بالمبدع الأول ، وتتحد به ، وتصير عقلا بالفعل ، وهو عالم البقاء والنور والكمال ، بحيث لا يتعذر فيه شىء ، ولا يغيب عنه شىء ، ولا يقع فيه ألم ولا نقص ، فلذاته لذلك غير مشوبة ولامتنغصة[٣] ، ولا محصورة ولا متناهية ، فهى باقية ببقائه الدائم ، متصلة بالعلة الأولى ، ناظرة إليها ، وهى عندهم أقصى السعادة ، كما قال المشرع[٤] فى مقام النظر .

وقالت طائفة منهم : سعادة النفس ولذتها الوقوف على حقائق الأشياء وماهيتها ، وصلاح الحال فيها ، واتصالها بالعقول الفعالة ، وأن يرجع العالم والعلم والمعلوم منها واحداً . والاتصاف بالكمال الإنسانى ، ورجوعها إلى ذاتها ، وفرحها بجوهرها ، حتى تبصر جميع الموجودات فى ذاتها .

---

(١) فى : ظ ، س . (إلى عالم كما لها) . (٢) فى : ظ ، س . (بالصفات الحقة) .

(٣) فى : ظ ، س . (ولا منتقصة) .

(٤) فى : ظ ، س . (المنشرع) .

وخلاص جوهرها حتى تصير تامة ، لا تحتاج إلى غيرها ، وهى أول لذة من لذات سعادتها .

ثم العلم بالمبدع الأول وشرفه ، وما هو عليه من الفضل والعزة ، والعلو والكمال ، والقرب من الأول الحق ، وكون جوهرها كجوهره ، ثم معرفتها بالحق الواجب وجوده(١) ، ثم السرور به ، والفناء فى حبه ، واستحقاق آنيته لجميع الآنيات ، [١٠٢ ب] وهويته لجميع الهويات ، ثم الغيبة عنها وعن جوهرها والحضور عنده (٢).

ورقة من كلام الحكيم أرسطو

فى كتابه الغريب الذى ضمنه رأيه واختياره

قال فى فصل مخبرا عن نفسه ، وعن بعض شيوخه ، وأئمة رأيه على سذاجة وبعد عن التهذيب ، شأن الأوائل : « إنى ربما خلوت بنفسى كثيراً ، وجعلت بدنى جانبا ، وصرت كأنى مجرداً بلا بدن ، عرى من الملابس الطبيعية ، فأكون داخلا فى ذاتى ، خارجا من سائر الأشياء . فأرى فى ذاتى من الحسن والسناء ، (والبهاء) (٣) والضياء والمحاسن العجيبة ، والمناظر الأنيقة ، ما أبقى له (متعجباً متحيراً)(٤) باهتاً ، فأعلم أنى جزء من أجزاء العالم الأعلى الشريف . فلما أيقنت بذلك ، رقيت بذهنى إلى العلة الإلهية المحيطة بالكل ، فصرت كأنى موضوع متعلق بها . فأكون فوق العالم كله ، فأرانى كأنى واقف فى ذلك الموقف الشريف المقدس الإلهى

(١) فى : س (الواجب الوجود) .

(٢) ليس السلوك الصوفى مقتبسا من مثل هذه المقالات وأمثالها ، وإن كان يتفق معها فى كثير من المبادىء . لأن الاقتباس فى عموم أحواله لايكون إلا فى العلوم النظرية. أما الملكات فهى مباحة لجميع البشر . وإن كانت تختلف بالصحة والخطأ باختلاف القواعد التى أنتجتها . فإذا اتفق الصوفى مع الفيلسوف فى نظرة ما . فذلك أمر طبيعى لا دخل للاقتباس فيه .

(٣) ساقطة من : س .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .

فأرى هنالك من النور والبهاء ، والبهجة والسناء ، مالا تقدر الألسن(١) على صفته ، ولا الأسماع على نعته ، ولا الأوهام [أن] تحيط به ، فإذا استغرقني ذلك النور والبهاء ، لم أطق على احتماله ، ولا الصبر عليه فارتددت عاجزاً عن النظر إليه ، وهبطت من العقل إلى الفكر والروية ، فإذا صرت فى عالم الفكر والروية ، حجبت الفكرة عنى ذلك النور والبهاء ، وحالت بينى وبينه الأوهام ، فأبقى متعجباً كيف انحدرت من ذلك الموضع الشاهق العالى الإلهى ، وصرت سفلا فى موضع الفكر والضيقة ، بعد أن قويت نفسى على التخلف [عن] بدنها ، والرجوع إلى ذاتها ، والترقى إلى العالم العقلى ، ثم العالم الإلهى ، مع العقول فوق العوالم كلها ، حتى صارت فى موضع البهاء والنور والسناء (مجتلية)(٢) الذى هو علة كل نور وبهاء ، وسبب كل دوام وبقاء ،

ومن العجيب . أنى كنت رأيت نفسى ممتلئة نوراً ، وهى فى البدن كهيئتها ، والبدن معها ، وهى خارجة عنه ، على أنى لما أطلت الفكرة ، ومحضت الروية ، وأجلت الرأى ، وصرت كالمتحير المبهوت ، تذكرت الفلطنوس ، فإنه أمر بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريفة(٣) ، والحرص على الصعود إلى ذلك العالم الشريف الأعلى . وقال : إنه من حرص على ذلك ، وارتقى إلى العالم الأعلى ، ولحق بالجواهر الإلهية ، والأسباب الكلية ، يجزى أحسن الجزاء اضطرارا . فلا ينبغى لأحد أن يفتر عن الطلب والحرص ، والجد فى الارتقاء إلى ذلك العالم ، وإن تعب وكد ونصب ، فإن أمامه الراحة التى لا تعب بعدها ، فى حياة دائمة ، وعيشة راضية ، ولذات باقية لايتناهى أمدها ، ولا يقطع(٤) مددها . مخلوقة للإنسان كلها ؛ والإنسان مخلوق لها ، أليس عجزاً أن تمر ساعة

---

(١) فى : ظ ، س . (الألسنة) .
(٢) ساقطة من : ظ ، س .
(٣) فى : ظ ، س (الشريف) . (٤) فى : ظ ، س (لا ينقطع) .

من عمره فى غير ما خلق له من ذلك ؟ أليس من فرط فى السعى لذلك ظالمالنفسه(١) ، ومهلكا ذاته ، وفاعلا بجوهرته النفسية مالم يفعل به أعدى عدوله ، فيندم حين لا ينفعه الندم » . انتهى كلامه . قالوا : وبيان هذه السعادة : من تعرض له ، فقد تعاطى مالا تستقل به نفس ؛ ولا تطمع فيه قوة إنسانية :

ورقه :

واختلف هؤلاء الحكماء ، فى الغاية التى تبلغ إليها النفس [١٠٣ ا] الإنسانية بعد المفارقة ، وتركها تدبير البدن . فنهم من قال : لا تتعدى رتبة العقل الفعال ، (ومنهم من قال : غايتها أن تلحق بالنفس الكلية) (٢). ومنهم من قال : تلحق بالعقل الكلى . ومنهم من قال: تجاوز ذلك ، وتلحق بالسبب الأول . ومنهم من أنكر بعض هذه المبادىء من العقول والنفوس . ومنهم من قال : العقول تسعة ، ولا يخل هذا الخلاف بشىء من طلب السعادة .

ورقه :

وسبيل السعادة عندهم الرياضة ، وعلاج الأخلاق ، حتى يصير شبيها بالخير المحض وهو المبدأ ، وتلطيف السر ، وأن يصرف عن النفس شواغل الجسم ، ويترقى فى معارج المحبة والشوق إلى ذلك الكمال بالفكرة (٣) ، حتى تحس النفس بانجذابها إلى عالمها ، وتفيض عليها عجائبه . وقد أخبر (٤) هؤلاء الإلهيون عن أنفسهم بما ذكرناه آنفا ، من أنهم نزعوا جلابيب الجسمانية فى هذا العالم ، وترقوا إلى العالم العلوى ، فأبصروا من نوره ولذاته (٥) أمورا مذهلة ، ثم عادوا إلى عالم الحس ، ورمزوا ذلك فى كتبهم ، حسبما نقل عن سقراط الدّنّان (٦) ، ومعلم الخير أفلاطون (وإمام المشائين أرسطو) (٧) وإن كانت النفس كدرة

(١) فى : ظ ؛ س (ظالما نفسه) . (٢) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .
(٣) فى : ظ (بالفكر) . (٤) فى : ظ ، س (ولذا أخبر) .
(٥) فى : س : (ولذاتها) .
(٦) والدن مفرد الدنان ، وهو الإناء الذى تعتق فيه الخمر .
(٧) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .

كثيفة ، غير مستعدة لقبول الأنوار ، غريقة فى بحر الهيولى ، متعشقة باللذات الحسية ، الدائرة دائما ، لا تعرف غيرها ، ولا تألف سواها ، ونومها مستغرق فى حجورها (١) ، وشهواتها غالبة مستعلية ، حتى اعشوشب المعراج ، وسدت الطرق ، وخفيت الأنوار ، ودرست الأعلام (٢) ، بقيت(٣) بعد مفارقة البدن ولذاتها (٤) ـ التى كانت لا تعرف غيرها ، ولا تتصل إليها من غيره ـ حائرة حزينة ، تطلبه وتندب عليه ، وتتلهف شوقا إلى عادتها منه ، وتتهالك على رَدِّ فائتها ، وليس لها إلى العروج حيلة ، ولا إلى الخلاص سبيل ، فهى تطلب إلفها سفلا (٥) ، بمنزلة من فقد سمعه وبصره وحركة جوارحه ، وأحاطت به المؤذيات والآلام ، فكانت مع أجناسها من الأرواح المبلسة (٦) ، والنفوس الشقية ، والدخانية الشيطانية ، وهى أيضا حالة بؤس (٧) وشقاء ، لا تعبر عنها الألسنة ، ولا تشرحها فنون العبارة .

وإن كان الأمر متوسطا ، كان المنتهى متوسطا ، وعلى كل حال ، فهى بما جبلت عليه من النورانية قبل ارتباطها بالأجسام ـ إن بقيت (٨) فيها من الخير بقية أو من حالها الأولى (٩) رائحة ـ لا تزال حريصة على الخلاص . فبحسب استعدادها ، ووفور الأجـــزاء الخيرية ، وإمكان انفكاكها من أسر الطبيعة ، والتماس الأرواح المقدسة ، والصور الروحانية ، [يكون] لها الرحمة والنور من العلة الأولى ، [و] يكون خلاصها أو هلاكها . وقد تبين أن هؤلاء محبون مشتاقون إلى نور السموات والأرض ، وأن سعادتهم متسببة عن محبته (١٠).

---

(١) فى : س (جهودها) .

(٢) فى : ظ ، س (وخفيت الآثار) .

(٣) جواب الشرط فى قوله : وإن كانت النفس كدرة .

(٤) فى : ظ (ولذتها) .

(٥) فى : ظ تطالب الفنا سفلا .

(٦) فى : ظ الملتبسة .

(٧) فى : ظ . حال بؤس .

(٨) فى الأصل ، ظ إن بقى .

(٩) فى : الأصل ، ظ . ومن حالها الأولى .

(١٠) فى : س . متعينة عن محبته .

الفن الثانى

فى رأى أهل الأنوار من الأقدمين

ورقة (١) :

قال المؤلف رحمه الله (٢) : رأى معلم الخير ، ومن قبله من زمان والد الحكماء هرمس ، إلى زمانه ، من الأساطين فى طريقة الإشراق ، والكلام فى النور والظلمة ، التى كانت (تراها) (٣) حكماء الفرس ، مثل بزرجمهر وغيره : أنه إن اتفق فى الوقت حكيم متوغل فى التأله ، فله الرياسة . وهو خليفة [١٠٣ ب] الله . فإن لم يتفق ، فالمتوغل فى التأله ، المتوسط فى البحث . ولا رياسة فى أرض الله للباحث المتوغل فى البحث ، الذى لا يتوغل فى التأله ، (فإن المتوغل فى التأله) (٤) لا يخلو عنه العالم ، وهو أحق من الباحث فحسب ، إذ لا بد للخلافة من التلقى ، وليس المقصود بهذه الرياسة رياسة الغلبة ، بل هو المسمى عند الكافة من بعدهم : « بالقطب » . ويدعون :أنه لا ينتظم أمرهم (٥) فى هذه القواعد الإشراقية دون سوانح نورية ، وكما أن المحسوسات بنيت (عليها) (٦) ـ لما شوهدت ـ علوم صحيحة ، كالهيئة وغيرها ، فكذلك يشاهدون من الروحانيات أشياء ، ثم يبنون عليها ، ومن ليس هذا سبيله عندهم ، فليس من الحكمة فى شىء .

وأول ما يؤصلونه أنه إن كان فى الوجود مالا يحتاج إلى تعريف وشرحه (٧) فهو الشىء الظاهر ، ولا شىء أظهر من النور ، فلا شىء أغنى منه عن التعريف . وإن الشىء ينقسم إلى نور وضوء فى حقيقته ،

---

(١) ساقطة من : ظ ، س

(٢) ى : س ، ظ . رضى الله عنه (٣) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ

(٤) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ (٥) فى الأصل ، ظ (أنهم لا ينتظم أمرهم)

(٦) ساقطة من الأصل ، ظ (٧) فى : س . إلى تعرفه وشرحه

وإلى ما ليس بنور ولا ضوء . والنور ينقسم إلى ما هو هيئة لغيره وهو العارض ، وإلى نور ليس بهيئة لغيره (١) ، وهو المحض . أو المجرد وما ليس بنور فى حقيقته ينقسم إلى مستغن عن المحال ، ويسمونه : الجوهر الغاسق . وإلى ما هو هيئة لغيره ، وهى الهيأة الظلمانية . والبرزخ هو الجسم ، ويرسم : بأنه الجوهر الذى يقصد بالإشارة . وكل غير نور . أو غير نورانى مظلم ، والبرزخ إذا انتفى عنه النور لا يحتاج فى كونه مظلما إلى شىء آخر ، ويعنون بذلك ما زال عنه النور ، فإن مالايزول عنه النور، يكون كالشمس وغيرها ، إذ يشاركها فى البرزخية ما يزول عنه الضوء ، وفارقته بالضوء الدائم ، لا أن نورها نور عارض ، وجوهرها جوهر غاسق (٢) .

والنور العارض ليس بغنى فى نفسه ، وإلا لم يفتقر إلى الغاسق . ومعطى الأنوار للبرازخ غير برزخ ، ولا جوهر غاسق ، والنور المحض حى ، والحى هو الدراك الفعال ، والحياة أن يكون الشىء ظاهرا لنفسه ، فالنور المحض حى ، وكل حى فهو نور محض . والنور فى نفسه لا تختلف حقيقته ، لا بالكمال ولا بالنقصان ، فتعددت الأنوار إلى نور مجرد ، (وغير مجرد)(٣) ، وكان الكمال المحض لنور الأنوار ، وهو الحى المدرك بذاته لذاته ، الغنى الواحد ، نور الأنوار ، القاهر لكل شىء ، الذى لا يمكن عليه العدم ، وهو الوحدانى فى ذاته ، من غير شرط . وما سواه مشروط به . ولا تلحقه هيئة ، لا نورانية ولا ظلمانية(٤)، وهو يقهر ما دونه من الأنوار ، ولا تقهره ، إنما حسبها أن تعشقه ، ولا يعشق هو غيره ، لأن كماله وهو أكمل الكمال ظاهر له ، فهو معشوق لذاته وغيره . فانتظم الوجود كله من المحبة والقهر . وأول ما صدر عنه النور الأقرب ، والنور الأقرب مشاهدة

---

(١) فى : س ما ليس تهيئة لغيره .

(٢) فى : ظ ، س . وحامله جوهر غاسق .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٤) فى الأصل ، ظ . ولا نورانية ولا ظلمانية .

لنور الأنوار، وشروق منه عليه. ومحبته له ولنفسه . ومحبته لنفسه مقهورة فى قهر محبة نور الأنوار. ثم تعددت الأنوار القاهرة، والنور الإصفهبذ، وأظنهم يعنون به: النفس، والأنوار المدبرة للكواكب والملائكة. وأطردت عجائب الترتيب والنسب فى عالم الأنوار، عللا [١٣٠ ا] ومعلولات (١)، إلى أقصى درجات عالم الشهادة.

وأما البرازخ وهيآتها فجعلوا كل جسم إما أن يكون قادرا (٢)، وهو مالا يتركب من برزخين، أو ممزوجا. والقادر(٣) إما حاجزا، وهو الذى يمنع النور بالكلية، أو لطيفا ولا يمنعه، أو مقتصدا وهو يمنعه منعا غير تام، وله فى المنع مراتب. فكانت الأفلاك حاجزها مستنير، وغيرها حاجزها لطيف، وما تحتها البرزخ الغاسق. وهو منقسم بالأقسام الثلاثة: حاجز كالأرض، [و] مقتصد كالماء، [و] لطيف كالفضاء. ليس بينها(٤) وبين البرازخ العلوية حاجز ولا مقتصد. وإذا فتشت الأشياء (٥) لم تجد ما يؤثر فى البعيد والقريب غير النور.

ولما كانت المحبة والقهر من النور والحركة والحرارة أيضاً معلولات(٦)، صارت الحرارة لها مدخل فى النزوعات والشهوات والغضب. وقوام الجميع بالحركة. وصارت الأشواق موجبة للحركات، فتنزل (٧) من بعض الأنوار القاهرة، وهو صاحب طلسم النوع الناطق، وهو القريب من عظماء (الجبروت)(٨) والملكوت، دون (٩) روح القدس، واهب العلم والتأييد، معطى الحياة والفضيلة، على المزاج الأتم الإنسانى، نور مجرد، هو النور

(١) فى: س. عللا ومعلولا.
(٢) فى: س. باردا.
(٣) فى: س: والبارد.
(٤) فى: الأصل، ظ. ليس بيننا.
(٥) فى: س. نسبت الأشياء.
(٦) فى: س. معلولاته.
(٧) فى: س. فنقول. تحريف.
(٨) ساقطة من الأصل، ظ. وفى، س. وهو القريب عن عظماء الجبروت والملكوت.
(٩) فى: س. نحسن. ودان محريف. وفى الأصل، ظ. روان يحسن، ولا معنى لها.

المتصرف فى الصياصى الإنسانية ، وهو الإصفهند . المدبر للناسوت ، وهو المشير إلى نفسه بالإنية ، وهذا النور الإصفهند (١) لا يتصرف فى البرزخ إلا بتوسط مناسبة ما ، وهى ماله مع الجرم اللطيف ، الذى سموه بالروح ، ومنبعه التجويف الأيسر من القلب ، إذ فيه (من) (٢) الاعتدال والبعد عن التضاد ما شابه البرازخ العلوية ، وفيه من الاقتصاد ما يظهر عنده الخيال ، ومن الحاجزية مايقبل النور ويحفظه ، وفيه (من) (٣) اللطافة والحرارة والحركة المناسبة للنور .

ولمناسبة النفوس مع النور ، صارت نافرة عن الظلمات ، منبسطة عند مشاهدة الأنوار ، وسبب تعلق النفوس بالذهب والياقوت ، وكونه محبوبا لها(٤)، ماحصل فيه من البرزخ النورى ، الشبيه بالبرازخ العلوية وأنوارها، فاكتسب عزا من جهة كمال شأنه ، وأمرا يناسب المحبة للبصيص النورى . والحيوانات تقصد النور فى الظلم وتعشق النور .

وهذا النور الإصفهند استدعاه المزاج البرزخى ، باستعداد المستدعى لوجوده ، فله إلف مع صيصيته(٥) ، وهو وعاء لآثاره ومعسكر لقواه . ولما عشقته القوى الظلمانية تشبثت به ، وجذبته إلى عالمها عن عوالم النور البحت، الذى لا تشوبه ظلمة برزخية ، فانقطع شوقه عن عالم النور البحت إلى الظلمات . ولذلك قال «برداسف» ، أى خلق يغلب على النور الإصفهند ،(٦) وأى هيئة ظلمانية تتمكن فيه و (ي) ركن إليها ، هو موجب أن يكون بعد فساد صيصيته منتقلة(٧) علاقته إلى صيصية مناسبة لتلك الهيئة الظلمانية،

---

(١) النور الإصفهند : قال المؤلف أظنهم يعنون به النفس .

(٢) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٣) ساقطة من : س . وعليه تكون العبارة : وفيه اللطافة . . . المناسبة للنور .

(٤) فى : ظ : وإن كان محبوبا . وفى : س . وإن كان لها محبوبا .

(٥) الصيصية : البدن .

(٦) فى الأصل ، ظ . يغلب عليه النور الإصفهند .

(٧) فى الأصل ، ظ ، س . منتقلا علاقته .

من الحيوانات المنتكسة. فإن النور الإصفهند إذا فارق الصيصية الإنسانية، وهو مظلم مشتاق إلى الظلمات ، ولم يعلم سنحه وعالم النور ، تمكنت فيه العوالم الردية ، وجذبته الظلمات . والقائلون بالنقل منهم كثير ، وقد ذهب إليه إسلاميون .

فالنور المدبر إذا لم تقهره [١٠٣ ب] شواغل البرزخ ، يكون شوقه إلى عالم النور القدسى أكثر [من شوقه] إلى الغواسق (١) ، فكلما ازداد نورا وضوءا ، ازداد عشقا ومحبة إلى النور القاهر ، وازداد غنى وقربا من نور الأنوار ، والأنوار الإصفهندية ، إذا قهرت الجواهر الغاسقة ، وقوى عشقها وشوقها إلى نور الأنوار ، وحصل لها ملكة الاتصال بعالم النور المحض ، إذا فسدت صياصيها لا تنجذب إلى صياصى أخر ، لكمال قوتها وانجذابها إلى ينابيع النور المتقوى (٢) بالشوارق العظيمة العاشق لسنحه (٣) ، ينبوع الحياة ، فيتخلص إلى عالم النور المحض ، ويصير قدسيا بتقديس نور الأنوار .. والشوق حامل الذوات الدراكة إلى نور الأنوار، فالأتم شوقا أتم انجذابا وارتفاعا إلى النور الأعلى ، ومن لم يلتذ بإشرقات القواهر النورانية ، وأنكر اللذة الحقيقية ، كان كالعنين الذى ينكر لذة الوقاع .

ورقة :

فكمال النور الأصفهند ، إعطاء(٤) قوى قهره ومحبته حقها ، فإن القهر للنور على ماتحته ، والمحبة إلى ما فوقه من شأنه . فينبغى أن يسلط قهره على الصيصية الظلمانية ، ومحبته على عالم النور .

---

(١) فى : س . أكثر منه إلى الفواسق

(٢) فى س . المتعدى بالشوارق

(٣) أى أصله

(٤) فى : س بأعطى

وإذا كتبت عليه الشقاوة تقع محبته وعشقه على الغواسق(١) ، فتقهره الظلمات . وإنما تقع محبته على عالم النور كما ينبغى إذا عرف ذاته ، وعرف عوالم النور وترتيب الوجود والمعاد ، على حسب الطاقة البشرية .

ولما كان تدبير الصيصية والعناية بها أيضاً ضرورياً ، فأجود الأخلاق الاعتدال فى الأمور الشهوانية والغضبية ، وفى صرف الفكر إلى المهمات البدنية ، والإخلاص ، لمن لم يكن أكبر همه (٢) الآخرة ، وأكثر فكره فى عوالم الأنوار . وإذا تجلى النور الإصفهبد بالإطلاع على الحقائق (٣) وعشق ينبوع الحياة والنور ، وتطهر من رجس البرازخ إذا شاهد عالم النور المحض، بعد موت البدن، تخلص من صيصيته(٤) وانعكست عليه إشرقات لا تتناهى من نور الأنوار ، من غير واسطة ، ومع الواسطة ، كما سبقت الإشارة إليه .

وما أشرق عليه من كل واحد مرارا لاتتناهى (فيلتذ لذة لاتتناهى)(٥) فى إشراقات ودوائر عقليه نورية ، يزيد رونقها(٦) فى إشراق جلال نور الأنوار ومشاهده ،(٧) وكما أن النور الأصفهبد لما كان له تعلق بالبرزخ ، وكانت الصيصية مظهره(٨) ،فتوهم أنه فيها ، (فإن لم يكن فيها)(٩) فالأنوار (المدبرة)(١٠) إذا مارقت قربت من الأنوار القاهرة ونور الأنوار ، وكثرت علاقتها العشقية [حتى] يتوهم معها أنها هى(١١)، فتصير الأنوار القاهرة

(١) أى الأجسام
(٢) فى : ظ أكثر همه
(٣) فى الأصل : بالإطلاق على الحقائق
(٤) فى : ظ ، س عن صيصيته
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من من الأصل
(٦) فى : ظ ، س يزيد فى رونقها شراق جلال نور الأنوار . تحريف
(٧) فى : ظ ، س ومشاهدته
(٨) فى : ظ ، س . تطهره
(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س
(١٠) ساقطة من : ظ ، س
(١١) فى : ظ وكثرة علاقتها العشقية معها يتوهم أنها هى

العالية مظاهر للمدبرات ، كما كانت الأبدان(١) مظاهر لها ؛ وبحسب ماتزداد المحبة المشوبة بالغلبة ازدادت اللذة والأنس فى عالمها ، وكذا تعاشق الحيوانات ههنا .

فما قولك فى عالم المحبة الخفية التامة ، والقهر التام الخالص ، الذى كله نور وصفاء وبصيص وحياة ، فيقع فى لذة(٢) وعشق(٣) وقهر ومشاهدة ، لا تقاس بذلك لذة قط .

وقهر العالم الأعلى غير مفسد ، إذا الطبيعة القابلة للعدم منتفية بل يكمل اللذة ، والمدبرات الظاهرة الشبيهة بالقواهر مقدسة بقدس الله ، [١٠٤ ا] « طوبى لهم وحسن ماب » .

وهذه حال السعادة العاليه ، والسعداء المتوسطون والزهاد المتنزهون قد يتخلصون إلى عالم المثل المعلقة ، التى تظهرها بعض البرازخ العالية ، ولها إيجاد المثل والقوة على ذلك ، فتحضر من الأطعمة والصور والسماع وغير ذلك ما تشتهى ، وتلك الصور أتم مما عندنا ، لأن مظاهر هذه ناقصة ، ويخلدون فيها لبقاء علاقتهم مع البرازخ والظلمانية(٤) العالية التى عدم فسادها .

والأشقياء سواء كان النقل حقا أو باطلا ، إذا تخلصوا عن الصياصى البرزخية ، يكون لها ظلال من الصور المعلقة ، على حسب أخلاقها .

تنبيه :

قال المؤلف رحمه الله : وتلخيص المعاد عندهم أن الشقاوة والشر ،

---

(١) فى : ظ ، س . الأنوار
(٢) فى : ظ . فى كره . خطأ
(٣) فى : س • وعين
(٤) فى : ظ ، س والظلمات

إنما لزم فى عالم الظلمات من الحركات ، والحركة لزمت من جهة الفقر إلى الأنوار القاهرة والمدبرة ، والشر لزم بالوسائط ، ونور الأنوار نور يستحيل (عليه) (١) هيآت وجهات ظلمانية ، فلا يصدر عنه شر .

ورقة :

قالوا : وكل لذة برزخية إنما حصلت بأمر نورى، رَشَحَ على البزازخ، حتى أن لذة الوقاع أيضا رشح عن اللذات الحقة(٢) ، فإن الذى يواقع لايشتهى إتيان الميت ، بل يشتهى ذاروح وجمال فيه شوب نورى (٣). وتتم لذته بالحرارة التى هى أحد عشاق النور ومعلولاته ، وتتحرك [بها] قوى محبته وقهره ، حتى يريد الذكر أن يقهر الأنثى(٤)، فوقع فى عالم النور محبة وقهر على الذكر (٥)، ومحبة مع ذل على الأنثى.على نسبة ما فى العلة والمعلول كما سبق . وكل يريد أن يتحد بصاحبه ، بحيث يرتفع الحجاب البرزخى . وإنما ذلك طلب النور الإصفهبد للذات عالم النور ، الذى لا حجاب فيه . والاتحاد بين الأنوار المجردة إنما هو الاتحاد العقلى لا الجرمى . فإذا كان سبب أخس أنواع العشق الحيوانى داعية الوقاع، وكان الباعث عليها تعاشق الأنوار (٦) وحرص النور النفسانى على الاتحاد بنفسه ، والرجوع إلى عالمه والاستهلاك فى طلب كماله ، فما ظنك (بسبب أشرف ، مع بقاء)(٧) تعشق العوالم المنزهة عن المواد والروحانيات (المقدسة) (٨) عن لواحق الأجرام.

---

(١) ساقطة من : ظ ، س
(٢) فى الأصل ، ظ رشح على اللذات
(٣) من هنا يبدأ خرم كبير فى : ظ
(٤) فى : س يريد الذكر قهر الأنثى
(٥) فى : س محبة مع قهر
(٦) فى : س العاشق الأنوار. تحريف
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . وفيه فما ظنك بعشق العوالم
(٨) ساقطة من الأصل

وثبت ألا فعل ولا انفعال ، ولا حركة ولا لذة إلا عن النور .

وقال بعضهم : ما علمت معبوداً فى الوجود إلا الشمس ، يعنى النور . إذ لم يعرف فى الوجود فعلا إلا النور : «ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى» . نور الله بصائرنا بنوره : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

تنبيه :

من أدلتهم على بطلان القول بالاتحاد ، قالوا : ولا تظن أن الأنوار المجردة تصير بعد المفارقة شيئاً واحداً (فإن شيئين لا يصيران شيئاً واحداً)(١) لأنه إن بقى كلاهما فلا اتحاد ، وإن بقى أحدهما وانعدم الآخر فلا اتحاد ، وإن انعدما فلا اتحاد . وليس فى غير الأجسام اتصال وامتزاج ، والمجردات لا تنعدم ، فهى ممتازة امتيازاً عقلياً لشعورها بذاتها ، وشعورها بأنوارها وإشراقاتها . ورأى هؤلاء القوم مرتب مقرر المقدمات(٢)، ولم يسعنا منه إلا هذه الإشارة التى تدل على أنهم عشاق للأنوار ، وملتمسون [١٠٤ ب] [ا] لسعادة من تلقائها ، لقربها من نور الأنوار : «الله» .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل

(٢) فى الأصل مقرر فى المقدمات

الفن الثالث

فى رأى الحكماء المتمللين من الإسلاميين

ومنهم: الرئيس أبو على بن سيناء، وأبو نصر الفارابى، وأبو الوليد ابن رشد، وابن طفيل، وأبو بكر بن الصائغ، إلى مالا يحصى.

ورقة:

قال المؤلف رحمه الله: الموجودات عندهم[1] على قسمين: قسم الواجب، وقسم الممكن. فالواجب الوجود هو الله سبحانه (وتعالى)[2] واعتقادهم فيه من التنزيه والأحدية (٣) والقدم والصفات اعتقاد من تقدم، إذ وجوب الوجود له من ذاته لا من غيره، والممكن الوجود هو ما سواه، إذ وجوده من غيره، كالإنسان وسواه؛ وحقيقة الإنسان مؤلفة من روح ونفس وجسم.

فالروح: جوهر مفارق للمواد، لا يوصف بالاتصال ولا بالانفصال، ولا بالسكون ولا بالحركة، وليس بداخل العالم ولا بخارجه: برىء بالجملة عن لواحق الجسوم، نور إلهى لا واسطة بينه وبين العالم الإلهى.

والنفس: جوهر نورانى شبيه بجوهر الروح، إلا أن فيه صلوحا لتدبير الجسم. فالنفس ظاهر الروح، والروح باطن النفس، والنفس باطن الجسم (والجسم ظاهر النفس)(٤).

والجسم: الجرم المحسوس المشار إليه، وهو قسمان: أثيرى غير فاسد، كالجسم السماوى من الأفلاك، والكواكب [إذهى] لا تقبل الفساد. وعنصرى وهو

---

(١) فى: س. عند أكثر هؤلاء (٢) ساقطة من: س.

(٣) الأحدية مشهد لايتميز فيه اسم ولاصفة. (٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل

المركب من العناصر التى فى حشو فلك القمر ، المتكون مافيه من المولدات معدنا ونباتا وحيواناً . وطريق ارتباط الروح بالجسم أن أول الأجسام الأثيرية وهو الفلك التاسع عن فلك القمر ، وهو أعظم الأفلاك ، ولا جسم وراءه ، ولا كوكب فيه . وهو كلى لما فى حشوه ، غير مقيد بشىء من الأعراض الجسمية ، إلا الحركة وقبول الأبعاد الثلاثة . وليس جسم ألطف ولا أقرب إلى الروحانية منه . ولذلك ما استعد لقبول النور وشروقه عليه من غير مانع يحجبه عن إشراق نور البارى عليه ، فأشرق عليه منه ما يناسبه من النور المشرق على جميع الأشياء ، معطى الصور والحياة والوجود ، بحسب المراتب فى القبول .

وحقيقة الاتصال بين ذلك النور وبينه : أن الجسم المذكور المشار إليه له باطن وظاهر . فظاهره أكثف مافيه ، وباطنه لطيف ذلك الكثيف ، لأن اللطيف يغوص فى الكثيف ، ويبطن فيه ، والكثيف يظهر عليه ، والنور المشار إليه نور باطن وظاهر ، (فظاهره)(١) هو المتصل بباطن ذلك الجسم ، لأجل المشاكلة والمناسبة ، وهو النفس ، وباطن ذلك النور متصل بالبارى ، وهو الروح . وهذه النفس المتصلة بالجسم الكلى الأعظم ، هى النفس الكلية ، أعظم النفوس وأشرفها ، وهى عنصر يجمع النفوس السماوية والأرضية ، وبواسطتها تتصل النفوس بذوات النفوس . فلما اتصلت الروح بهذا الجسم ، صار حيا (٢) مدركا للذات الإلهية . إدراكا يليق به . وهو أكمل الإدراكات وأتمها بالنظر إلى المدركات . ولا تدرك الذات العلية حق إدراكها لحجاب إقبالها على تدبير الجسم ، ولا تحيط بها إحاطة كلية ، لكن [تدركها] إدراكا مناسبا [١٠٥ ا] لحالها . فإن الإدراك الحقيقى للذات إنما هو لله . فنور (٣) الله

---

(١) ساقطة من : س

(٢) فى : س . صار المدرك حيا مدركا (٣) فى : س . بنور الله

هو المدرك لحقيقة ذاته . ومثاله ظهور الشمس المرتسمة (فى المرآة المقابلة ، فإن الصورة المرتسمة) (١) فيها ليست بالشمس ، ولا غير الشمس، وهذا المدرك هو المسمى بالعقل الأول ، وبالعقل الكلى ، وهو عنصر (القبول) (٢) أيضاً لذوى العقول ، وهو المفيض على النفس ، والنفس المفيضة على الجسم . وهذا (٣) العقل هو المعبر عنه بالقلم ، والنفس الكلية هى المعبر عنها باللوح . ولما كان الفلك التالى له الثامن ذو الثوابت أقرب إلى التركيب ، وأقبل للأعراض الجسمية ، اتصل به من ذلك النور أكثف مما اتصل بالأول ، لبعده عن المبدأ (الأول)(٤) واعتراض الوساطة (٥) دونه ، وظاهر النور المتصل بباطن هذا الجسم هو نفسه ، (وباطنه روحه كما قبله . وإذا كان حيا مدركا صلحت نفسه) (٦) لأن تدرك الذات إدراكا يليق به ، دون الإدراك الأول ، لكون هذه النفس فى رتبة ثانية عن الأولى الكلية . فكان هذا المدرك فى هذا المقام (٧) العقل الثانى ، المخصوص بفلك الكواكب ، المفيض على نفسه المعارف والأنوار . ومثاله : صورة الشمس المنعكسة على مرآة مقابلة لمرآة ، ارتسمت فيها صورة الشمس ، وهذا هو الكرسى . وعلى هذا الترتيب عندهم حال باقى الأفلاك ، إلى فلك القمر ، آخر وجود النفس والروح والعقل . وهذه الرتب (٨) تتفاضل فى الشرف واللطافة ، بحسب القرب من العلة الأولى . وجميع هذه الأجسام على تفاضلها فى اقصى درجات الاعتدال ، والشف (٩) والقبول لما يشرق عليها من الأنوار ، بعيدة عن الانحلال (١٠) ، وعقولها مفارقة للمواد بالكلية .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : س

(٢) ساقطة من الأصل

(٣) فى : س وهو العقل . تحريف

(٤) ساقط من الأصل ، ظ .

(٥) فى : س الواسطة

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من : س

(٧) إلى هنا انتهى الخرم ، الواقع فى : ظ

(٨) فى : ظ ، س الرتبة

(٩) فى : ظ ، س واللاطف

(١٠) فى : ظ عن الإنحلاء . تحريف

وما تحت فلك القمر وهو عالم الكون والفساد ، بخلاف الحال (فى (١)) الموجودات العلوية من ابتدائها من الأشرف إلى الأنقص ، فإن هذه ابتداؤها من الأخس إلى الأشرف ، فأولها الهيولى ، المادة لجميع المركبات الكونية ، ثم العناصر ، استقصات المركبات العنصرية ، وهما فاقدتا (٢) الحياة ، إلا أن العناصر تفضلها بالصورة ، ومن العناصر تتكون المولدات . أولها المعدن ، ثم النبات ، وتفضله (٣) النفس النباتية ثم الحيوان ، وتفضله بالحيوانية . ثم الإنسان ، وهو أعدل الحيوان القائم الشكل ، المنتصب المسامت أعلاه للمحيط ، لغلبة الجزء الهوائى ، وروحه تلى (٤) الجواهر السماوية فى الاعتدال ، فاتصل به لأجل ذلك من النور مثل ما اتصل بفلك القمر [الذى هو] أقربها إليه . وتعلق ظاهره بباطن روحه الحيوانى ، وينبوعه القلب . وهذا النور المتصل ظاهره بباطن الروح ، هو المسمى بالنفس الإنسانية ، وباطنها متصل بالبارى جل وعز (٥) على حسب الترتيب المتقدم . وليس بالاتصال الجرمى المكانى ، ويتوسط الأنوار السماوية إلى آخر النظام ، فهذا الروح هو الروح الإلهى الأمرى ، وهذه النفس الإنسانية الناطقة ، المشيرة إلى نفسها بالأنانية .

ورقة :

فلما اتصلت النفس والروح بجسم الإنسان على ما تقرر ، وصار حيا مدركا ، [١٠٥ ب] ذا نفس وروح ، متصلين بالبارى ، شبيها بالأشخاص العالية ، صلحت نفسه لإدراك الذات العلية إدراكا يليق بها . وكان إدراكها دون إدراك نفس فلك القمر (٦) ، وهذا المدرك فى هذا المقام هو العقل

---

(١) ساقطة من : ظ
(٢) فى : الأصل . فاندتا الحياة
(٣) فى : الأصل . وتفضلها
(٤) فى : الأصل . تالى الجواهر
(٥) فى : ظ . عز وجل
(٦) فى : س دلك القمر

الإنسانى ، وهو غاية العقول المجردة . ونسبته إلى العقل الأول الـكلى ، كنسبة النفس الإنسانية إلى النفس الـكلية .

وهذا العقل هو مبدأ النوع الإنسانى ، وهو المفيض على النفوس والأرواح التى لها ، المعارف والعلوم . ولما كانت النفس الإنسانية متلفتة إلى مبدئها النورى ، وإلى الجسم الذى تدبره ، وكان مدبرها كثير التركيب(١) واللواحق والهيآت والاضطراب ، كان إدراكها للذات مضطربا غير مستقر على حال واحدة ، بخلاف إدراك النفوس السماوية . فكان مثالها كصورة (٢) الشمس المنعكسة ، من مرآة انعكست عليها الصورة من مرآة أخرى على الترتيب ، ثم على صفحة ماء مترجرج مضطرب تارة تتبين وتتجلى ، وتارة تحيد وتختفى ، بحسب انصراف الهمة إلى الملأ الأعلى ثم الانغماس(٣) فى ظلمات الجسم الأدنى . وهذا على جهة التقريب ، إذ الممثل لا يقوى قوة للممثل به ، وهذا النور المتصل بالإنسان يكون خلوا من المعارف ، مستعداً لقبولها(٤) ، [و] يسمى أول أمره عقلا هيولانيا ، وعقلا بالقوة . فإذا ارتسمت فيه الأوليات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد يسمى عقلا بالفعل ، فإذا ارتسمت فيه المعقولات ، وفهم الوجود ، وارتباط الأسباب بالمسببات ، سمى عقلا مستفادا ، وهو أشرف رتب العقل . ورتبته متصلة برتبة العقل الفعال ، لا وساطة بينهما ، بل هو مستعد متهيء لقبول ما يشرق عليه من نوره ، وما يفيده من المعارف والعلوم ، وتبلغ هذه الدرجة فى الإنسان الـكامل ، ويكون قد تجردت نفسه عن الجسمانية بعض التجرد(٥) ، وظهرت عليها آثار الروحانية والشوق إلى عالمها ، وسهلت عليها مفارقة العوالم(٦) الجسمانية ، وقل حنينها إليها سرورا بما يشرق عليها من مبدأها من الأنوار العلية .

(١) فى : ظ . كثير التدبير

(٢) ى : ظ . تصوره الشمس

(٣) فى : س . والانغماس

(٤) فى : س . مستقر القبولها

(٥) ى : ظ ، س . بعد التجرد

(٦) فى : س . العلوم الجسمانية

قالوا : والحكمة فى اتصال النفس بالجسم الإنسانى ، لتستفيد المعارف وتكتسب العلوم ، وتتكمل ذاتها ، بارتسامها فيها ، وتقوى على مفارقة الجسم ، فإنها عند مفارقتها الجسم غير منتقشة بشىء ، بل هى نور ساذج(١)، قابل للانتقاش ، والمنتقش فيه بعدصورة لها ، وهى بمنزلة المادة إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر . فكأنه بعد المفارقة يميزها ويصيرها جوهرا معينا بمرتسمه (٢) ، متميزا عن غيره ، وإن كانت نفوس الأطفال والبهائم عندهم تبطل لعدم انتقاشها بشىء من المعانى . فإذا لم ترتسم (٣) أيضا فيها إلا الأمور الحسية الجسمانية المتعلقة (٤) بالجسم بقيت ناقصة ، محتاجة إلى الجسم ، فلم تقو على المفارقة إذا بطل الجسم ، وضلت فى عالم الجسوم ، معذبة بجهلها وبما انتقش فيها (٥) من الأشياء الباطلة ، محجوبة عن عالمها العلوى ، والأنوار العقلية . والطرق المسلوكة إلى تجريد النفس عن عالم الحس وتصفيتها متعددة .

أما طريق الصوفية :

فهى تهذيب الأخلاق ، وتزكية النفس بالجسد [١٠٦ ا] فى احتمال العبادات(٦) المشروعة للجمهور ، وملازمة الأذكار ، حتى تأنس بمدلولها ، ويرتسم فيها معناه ، ويمتحى عنها ما سوى ذلك مما يغايره . وذلك فى زمان طويل . وبقدر قوة الباعث وضعفه والاستعداد . ومنها السلوك بأسرار الحروف ، وإعانتها على التجريد . وثمرتها تقريب مدة المجاهدة ، وتجريدها(٧) دفعة إلى ما يتبع ذلك من اللذة ، وتمام الإدراك ، وصورة السلوك بها

---

(١) فى : ظ بل هو نور ساذج .
(٢) فى : الأصل معتنى بمرتسمه .
(٣) فى : ظ ، س وإذا لم يرتسم .
(٤) فى : الأصل المعلقة بالجسم .
(٥) فى : س وبما انتقس فيها .
(٦) فى : س العبادة
(٧) فى : س وتجريد النفس دفعة .

أن تعمد إلى تحريك قوى عزنه(١) ، أو قوى محبته (٢) ، أيهما مالت نفسه إليه ليحركه(٣) حسبما يذكر

تنبيـــــه :

ونفس الإنسان لها عندهم قوتان(٤) : قوة قهر وعز، وقوة محبة وشوق. وأصل هاتين القوتين هو أن الجواهر العالية المفـارقة للمواد التى هى مبادىء الموجودات ، وأصل المكونات ، لـكل واحد منهما حالتان ، الأولى : (٥) بالنسبة إلى ما فوقه ، والأخرى : بالنسبة إلى ما تحتة ، فالتى بالنسبة إلى مافوقه ، هى الشوق والمحبة والعشق ، لأجل مايشرق على السافل من نور العالى وإحسانه ، ولـكونه أصلا له هو أبدا مشتاق إليه ، مستكمل به. والتى بالنسبة إلى ما تحته القهر والاشتمال والاستيلاء ، لأنه فقير إليه. وسرت معانى هاتين الحالتين فى جميع الموجودات ، وانتظم منهما(٦) العالم انتظام ازدواج ، من مقابلة وأضداد ومتحابات ، فـكان لنفس الإنسان من القوى المزدوجة الغضب والشهوة ، وهما معنى القهر والمحبة ، وتسمى إحدى هاتين القوتين سر الجمال ، والأخرى سر الجلال .

فإذا قصد العارف تحريك هاتين القوتين اللتين لنفسه أشعر (نفسه) (٧) الشيء المناسب لهـا من القبض أو البسط ، وأخـذ فى الأذكار التى تليق بذلك المعنى ، وأجرى جميع هيأته على حسب ذلك ، من تطريب وتحزين ، حتى يتمكن ذلك المعنى من نفسه ، ويظهر أثره ، وتغلب قوته عليه ، وذلك هو الحال المشار إليه عند العارفين . وهو : قوة عظيمة يجدها الإنسان فى نفسه ، بحسب الأمر المستقر ، فإن كانت مقاصد القهر ، وجد القوة على

(١) فى : ظ . عزة . (٢) فى : محبة .
(٣) فى الأصل . فحركه .
(٤) فى : س . وتفس الإنسان عندهم لها قوتان .
(٥) فى الأصل . إحداها .
(٦) فى : س . وأنتظم منه .
(٧) ساقطة من الأصل

المصادمة للأهوال ، أو المحبة فالقدرة (١) على الاتصال بالأمور البعيدة ، ويتوالى الدؤوب ، إلى أن يصير ذلك ملكة يقع بها التصريف .

ثم إن العارف إذا تمكنت من نفسه قهرية(٢) ، سلطها على مدافعة القوى الجسمانية ، وإستعان بالدوران على مركز نفسه ، وهى مع ذلك منطلقه (٣) إلى عالمها ، متأملة لما يرد عليها من تلقائه فتتجرد عن الجسم شيئا (فشيئا)(٤) وتنسلخ وتستغرق فى الأمر المتوجه إليه ، فيرد عليها من الأنوار وارد يغيب ويبدو بقدر تمكن الحال .

وإن كانت محبية ، وصرف شوقه حينئذ وجذبه إلى العالم العلوى ، وقل التفاته إلى ما وراءه من القوى الجسمانية ، وورد عليه الوارد باللذات التى تناسب حاله ثم لايزال يستدعيها ، حتى تصير ملكة لا تحتاج إلى استدعاء ، ويعدم (الالتفات إلى)(٥) الحس ، ويصير فى هذا المقام عقله المستفاد عقلا فعالا ، ويكون شبيها بالأجسام السماوية فى إنصرافها عن الحواس ، وإقبالها على نور الله . فإذا تمكن منه هذا المعنى، اتصلت نفسه بنفس [١٠٦ ب] فلك القمر ، وأدرك الذات(٦) العلية إدراك ذلك الفلك، إذ صارت نفسه فى رتبته ، ويجد فى نفسه إذا رجع إلى حسه روحانية ما ، وقوة على كثير من الأسرار المختصة بذلك العالم ، وشوقا إلى ما فوقه ، وزهدا فيما عاد إليه .

ثم تتوالى المواظبة الفكرية ، حتى ينمحى عن نفسه ما اختص بفلك القمر من الكثافة ، وأثر المحسوسات عما فوقه ، وهو فلك عطارد ، وكذلك فى سائر الأفلاك ، وأعلاها يفضل ما دونه . وكل إدراك يرد عليه يمحو ما قبله ، ولايزال يترقى بصحة التوجه ، وصدق الهمة ، ويدرك فى كل

---

(١) فى : ظ ، س . بالقدرة .
(٢) فى : س . قوة .
(٣) فى : ظ ، س . منطلقة
(٤) ساقطة من : ظ ، س
(٥) ساقطة من : ظ
(٦) فى : ظ ، س . وأدرك اللذات العلية

مقام إدراكا أكمل ، ويطالع به أسرارا وخواص . وتعتريه القواطع والتشويش ، فيستدعى الذكر والحال .

ورقة :

فإذا إنتهى إلى التاسع ، واتصلت نفسه (بنفسه) (١) ، وهو اللوح ، أطلع على الكائنات ، وصارت نفسه نفسا كلية ، وعقله عقلا كليا ، ومن هذا المقام يعرف النبي طوره ، والولى طوره ، وفيه يسمع الكلام(٣) ويدرك الوحى.

ولا بد عندهم أن يكون فى العالم شخص واصل إليه فى كل زمان ، وهو الخليفة(٤) المتلقى عن الله أسرار الموجودات إن ظاهرا فنبى ورسول ، أو باطنا فقطب ، وفى هذا المقام يبقى بين السالك وبين الحق حجاب نفسه ، فإذا تعلقت الهمة بما فوقه ، وواظب الفكر ، تجردت نفسه عنه(٥) ، وهو آخر مقامات الأجسام المطلقة ، وخرجت النفس إلى وجودها الأول المطلق ، ويبطل إدراكها المختص بإقبالها على الجسم ، من نفسانى وعقلى . وهذا هو مقام الفناء الآخر ، وعند ذلك لا يبقى إلا الله ، وهو مقام النظر و [هو] كل مقام يحصله السالك . وهذا المقام لا يتناهى .

وطريق العامة الاعتبار ، وأن الموجودات مرتبطة الوجود بالله ، فلا يزال السالك يعلق همته بالله ويطرح ماسواه ، بما هو معلول عنه . ويواظب على الفكرة التى هى نتيجة(٦) الذكر ، حتى يستغرق فيه بالكلية وتمتحى جميع الموجودات المتغايزة(٧) ، فلا يرى فى الوجود إلا الله ويفنى عما سواه ، ولا يزال يترقى فى مقامات المشاهدة ، حتى يبلغ ماتقتضية فطرته بحسب علمه ، وقوة يقينه ، وما قسم له .

---

(١) ساقطة من : ظ ، س

(٢) ساقط من : ظ ، س .

(٣) فى : س . يتسع الكلام

(٤) فى : س . هو الخلفية .

(٥) أى عن حجاب النفس

(٦) فى : ظ . التى ينتجه الذكر

(٧) فى : ظ ، س . المغايرة .

والسعادة عندهم بحسب مقام النظر درجات ،فيرون الله(١) يبلغ إليه بالعلم والسلوك ، أو بالسلوك وحده ، ويكون مقامه فى الآخرة من ذلك(٢) حيث انتهى إليه فى الدنيا ، وقد يصل إليه فى الآخرة من وصل إليه بعلمه فى الدنيا ، من غير مشاهدة ، بشرط تعلقه به ، وزهده فيما سواه فلا يمحوه من فكره إلا حالة الموت ، من دون شك ولا غفلة . وتتلوه سعادة الصوفية ، الذين يعتقدون فى السعادة نحوا مما أتت به الشريعة . وربما سلكوا (٣) فى التجرد والترقى طريق العارفين (٤) ، لكن العارف يعرف غايته قبل شروعه ، فيصل فى يوم واحد (إلى)(٥) مالا يصل إليه غيره فى المدة الطويلة ، والصوفى ربما عرض له فى السلوك إدراك بعض الصور العقلية ، فوقف عندها(٦) ، مالم يكن له شيخ يرشده لذلك . قيل : الصوفى يسير ، والعارف يطير ، وأين السيار من الطيار .

تكملة :

وافتقر صحيح المشاهدة [١٠٧ ا] إلى العلم والعمل ، فالعمل لتصفية النفس من الكدرات ، وتطهيرها ، ونقلها عن عوائد السوء ، التى هى بمنزلة الصدأ من المرآة ، وأما العلم فلتصحيح اعتقادها ، ومحاذاة سمت الحق ، لئلا يتوجه العمل فى غير سمت . فالعابد (٧) يصفى نفسه لا أزيد ، والعارف يصحح معتقده ، فمهما صفى نفسه بعد إدراك الحق رفعه .

---

(١) فى : س فيرون أنه .
(٢) فى : ظ ، س. ويكون مقامه من ذلك فى الآخرة
(٣) فى : س . وربما سلكوا .
(٤) الواقع أنه لا فرق بين العارف والصوفى ، إلا من حيث أن العارف هو نهاية الصوفى ، فالصوفى يسلك حتى يصير عارفا إذا كان لديه استعداد للوصول إلى مرتبة العرفان ، والمراد بأن العارف يصل فى المدة القصيرة إلى مالا يصل إليه غيره فى سنين طويلة ، المراد بالغير ، غير السالك طريق المعرفة من العباد ، والمراد بالصوفى الذى يسير ، السالك إلى المعرفة كذلك .
(٥) ساقطة من الأصل .
(٦) فى : ظ ، س . فوقف عنده
(٧) فى : س فالعارف خطأ

الفن الرابع

فنن من بعدهم من المتممين بزعمهم (١) المكلمين

مثل ابن الفارض، وسعد الدين الفرغانى(٢)، ومحيي الدين [ابن عربى] الحاتمى، وابن سودكين الدمشق، وأبى بكر بن العريف، وأبى الحكم ابن برجان، وأبى الحسن بن قسى؛ وأبى العباس البونى.(٣)

ورقة:

قال المؤلف رحمه (٤) الله: جادة هذه النحلة، مبنية على حديث: «كنت كنزا مخيفاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفونى». وهو عندهم فى صحة الاستناد(٥) إليه، بمنزلة حديث التواتر عند المجتهد. فقالوا ما معناه: إن الحق لم يدرك من كنهه إلا الإنية والوحدة، وأن تلك الوحدة الأزليه المحيطة نشأت عنها الأحدية والواحدية، فكانت جامعة وبرزخا بينهما، كما كانت المحبة جامعة بين المحبية والمحبوبية، والكل عين واحدة، وهى عين ذات الحق، وتلك الوحدة المرسلة تسمى من حيث سقوط الاعتبارات أحدا، ومتعلقها بطون الذات وإمحاض إطلاقها من حيث ثبوت الاعتبارات غير المتناهية واحدا، ومتعلقها ظهور الذات، وكأن الواحدية للأحدية، بمنزلة المظهر للتجلى(٦)، أو المادة للصورة. والواحدية تصح لها الإضافة، وإلحاق الاعتبارات، ولا يصح شيء من ذلك إلى الأحدية وصفا(٧) ولا حقيقة (٨)، حتى زعم بعضهم أن الواحد الأحد اسم مركب.

---

(١) فى: س بزعم المكملين

(٢) فى: س، الأصل، سعد الحق الفرغانى، والفرغانى سعد الدين صاحب «منتهى المدارك، شرح تائية ابن الفارض»

(٣) فى: س وأبى العباس بن البونى

(٤) فى: س، ظ رضى الله عنه

(٥) فى: ظ، س فى صحة الإسناد إليه

(٦) فى: س المتجلى

(٧) فى: ظ وضعا

(٨) فى: س لا حقيقة

وألفيت الاعتبارات والآثار التابعة للواحدية بمنزلة أجناس عالية ، هي مسمى ألفاظ تدل على حقائق أسماء الذات ، ومنها [ما هو] بمنزلة أنواع ، (ومنها(١)) [ما هو] بمنزلة أشخاص غير متناهية تثبتت فى المراتب الوجودية ، مجملة فى العرش ، مفصلة فى الكرسى دفعة واحدة . ويأتى الكلام فيها .

ثم تفصلت فى السموات والأركان على التعـاقب ، إلى أنهى مراتب الكون (٢) مثالا وحسا . ثم إن الوحدة التى كانت عين التعيين البرزخى الجمعى ، وهو عين الذات ، وهو أيضـا عين قابليتها لحكم البطون والغيب ، وإنتفاء الاعتبارات ولحكم ظهورها وما تضمنت من مثبتة حكم أبديتها لنفسها إجمالا ثم تفصيلا ، تشفع الوتر وتوتر الشفع ، فى عين واحدة . فصارت أصل الكل قابلية ، (٣) وفاعلية ، فكانت بين بطونها وظهورها كالمتحدثة فى نفسها مع نفسها ، وكان الكمال الأسمائى متعلق ذلك الظهور حديثا وإخبارا ، معنويا كليا (٤) . وكان فى القابلية الجامعة ، قابلية إصغاء الذات وملاحظتها نور جمالها وكمالها ، المتعلق بالإصغاء والتأثير بذلك الحديث (٥) أو عنه ، لرفع حجـاب جـلال الغيب والبطون . وأبطنها الذى هو اللاظهور ، إذ كان الظهور واللاظهور فى حكم هذه [١٠٧ ب] القابلية على السواء ، فغلب (٦) بأثر هذا الحديث والمحبة حكم الظهور ، فتجلى الذات الأقدس على نفسه ، بحكم (٧) ذلك ، فظهر لنفسه فى نفسه ؛ وتضمن هذا التجلى من حيث الحديث والإخبار المذكور كما لا مضافا إليه ، وإحساسا بذلك الكمال ، كان أصل الحياة والعلم والقدرة والإرادة ، وحكم تحقيق تفصيل الكمال بحقيقة الجود ، بإفاضة الإيجاد على

---

(١) ساقطة من : ى س

(٢) فى الأصل الذى أنهى مراتب الكون

(٣) فى : ظ ، س فصارت أصل كل قابلية

(٤) فى : س ومعنويا كليا .

(٥) فى الأصل لذلك الحديث .

(٦) فى : س فعلت بأثر هذا الحديث . (٧) فى : ظ فبحكم ذلك .

كل حقيقة . وبرزخية التعيين الأول بحقيقة العدل والإقساط فى القوابل كلها . والكل عين واحدة فى التعيين الأول .

وأول مراتب العلم ، هو عين الذات ، المعبر عنه بحقيقة الحقائق الكلية ، وسريانه فى كل اعتبار . ففى الإلهية إلهيا ، وفى الكونية كونيا ، والكل مظاهره . ويتضمن هذا التجلى حقيقة الكمال ، وهى حصول ما ينبغى (كما ينبغى) (١) وهو قسمان : ذاتى وحدانى (٢) . يلازمه الغنى ، معناه شهود الذات نفسه من حيث الواحدية . التى هى مظهر للأحدية بجميع الاعتبارات والشؤون ، معنويها ومثاليها وحسيها ، دنيا وبرزخا وآخرة ، دفعة واحدة ، (من حيث الكل فى شهود الحق عينا واحدة)(٣) ، كما يشهد المكاشف فى حبة البر السنبل والحبوب . وأسمائى مفصل فى الأسماء والحقائق ، بشرط أشياء : من تعيين ، وغير نسبى (٤) ، وتركيب معنوى ، كما أن تحقق الكمال الذاتى من غير شروط .

وحقيقة الكمال الأسمائى (٥) فى تفاصيل الحقائق ، هو ظهور الذات لنفسها من حيث كلياتها واعتباراتها . شأن كلى جامع أفرادها بالفعل (٦) ، وهو الإنسان الكامل . ولذلك قيل فيه : نسخة وظل ومثال . ويسمى هذا التعيين النفسى بأسماء كثيرة مع توحد (٦)عينه ، فسمى عالم المعانى ، والحضرة العمائية ، وغيرها . ولهذا التعيين وما تعين به وفيه ، وحدة ، وكثرة

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .
(٢) فى : ظ وجدانى .
(٣) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .
(٤) فى : ظ ، س وغير نفسى .
(٥) فى : ظ ، س الأسمائية .
(٦) فى : س بالعقل .
(٧) فى الأصل : توحيد عينه ، والترجيح من : ظ .

(وبرزخ)(١) فمن أعيان كثرته حقيقة القلم واللوح، (ثم)(٢) حقيقة الطبيعة، ثم حقيقة الجسم، إلى أن تنتهى إلى آدم حقيقة ووجودا. وكل واحد مما ذكرنا مشتمل على أنواعه وأشخاصه متميزة مرتبة فى العلم الأزلى.

وأما البرزخ (٣) الذى انتشأ منه الطرفان، فله اعتباران: أحدهما، غلبة حكم الوحدة والإجمال، والثانى: غلبة الكثرة. أما اعتباره الكثرى(٤) التفصيلى، فهو الحضرة العمائية. وهو مشتمل على (الحقائق) (٥) السبعة من الأسماء، وأشملها حقيقة الحياة. وهى مستوعبة جميع الحقائق. وحقائق الكمل أولى العزم مندرجة فيها. وحقائق الكمل من المحمديين مندرجة فى هذه البرزخية، ظاهرة بصورة القطبية. وحقائق السبعة الأبدال، مندرجة فى حقيقة القطب، ومتعينة فى الحضرة العمائية. وحقائق الرسل أيضا متعينة فى الحضرة العمائية، وهى كلها تفصيل الحقيقة المحمدية، المسمى بحقيقة الحقائق، السارية فى الكل سريان الكل فى جزئياته.

ثم تفرع من الحقائق المنتشئة منها حقائق الأشياء، كليات (٦)، وأجناس، وفروع، وفروع فروع، تمشت فى (طرفى) (٧) حضرة العماء المسميين بالوجوب والإمكان. وكل ما كانت نسبته (٨) إلى الوجوب أقوى (٩)، كانت حقيقته علوية فلكية. أو إلى الإمكان كانت سفلية من المولدات. وما مال من الحقائق الإنسانية إلى [١٠٨ ا] الإمكان، فهى

---

(١) ساقطة من: ظ.
(٢) ساقطة من الأصل، وزيدت من: ظ.
(٣) فى: ظ البروح. تحريف.
(٤) فى: س التكثرى.
(٥) ساقطة من: ظ.
(٦) فى: ظ كلها.
(٧) ساقطة من: ظ.
(٨) فى الأصل، ظ نسبة إلى الوجوب.
(٩) فى: س: أقرب.

حقائق الكفار . أو إلى الوجوب ، فهى حقائق المؤمنين والأولياء ، وبحسب الميل يتفاوت الاستعداد والدرجات فى قبول نور الإيمان ، وأثر الهداية .

وفى هذه الحضرة العمائية يظهر الحق(١) بصفات الخلق ، (فيضاف إليه ما يضاف إليه من التعجب وغيره . ويظهر الخلق بصفات الحق)(٢) عند تخلصه من قيود الكثرة ، كإحياء الميت ، وإبراء الأكمه .

والمراتب الكلية وتسمى عوالم وحضرات ، هى مظاهر ومجالى للحقائق المنسوبة إلى الحق ، أو إلى الكون. وتنحصر فى أقسام منسوبة(٣) إلى الحق ، كالإلهية والرحمة والوجوب . ومنسوبة (٤) للكون ، كالفقر والعدمية والإمكان . وللحق بالأصالة ، وللكون بالتتبع، كالعلم والإرادة . ومن الجميع كلية كحقيقة الإنسان والعلم ، وجزئية كحقيقة زيد وعلمه ، (ولوازم)(٥) وأعراض كالنطق والحياة .

ولما كانت مجالى ، كان ما يظهر فيها إما للحق وحده ، أوله وللأشياء . والأول مرتبة الغيب . أو يظهر منه للأشياء الكونية ، فإن ظهر للبسيطة فى ذاتها سمى مرتبة الأرواح ، أو للمركبة الموجودة ، فإن كان اللطيفة التى لا تقبل الخرق والالتئام سمى مرتبة المثال . أو كثيفة ، وتقبل ذلك (بمجلاها) (٦) سمى مرتبة الحس . (وعالم الشهادة) (٧) .

---

(١) فى : س . يحصر الحق .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .
(٣) فى : ظ ، س . منسوب إلى الحق .
(٤) فى : ظ ، س . منسوب للكون .
(٥) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .
(٦) فى ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .
(٧) ما بين الحاصرتين . ساقط من الأصل ، ظ .

ورقة :

وحقائق الأسماء (١) الإلهية القائمة بالذات ليست (٢) أعيان الأسماء الحروف ، إنما هى الألفاظ ، أسماء تلك الأسماء ، وأسماء الله حقيقة نوعان : سلبية ، وثبوتية ، تنحصر فى أسماء ذات ، وأسماء صفات ، وأسماء أفعال .

فمجلى أسماء الذات المرتبة الأولى ، وهو البرزخ الإنسانى ، ومجلى أسماء الصفات ، الحضرة العمائية ، وهى تفصيل البرزخ . ومجلى أسماء الأفعال جميع المراتب الكونية ، بتجلى الحق للخلق ، من جهة الأفعال. ثم لم تبد إلا فى مظاهر كونية روحانية ، أو مثالية ، أو حسية .

وتجليه من جهة الصفات لم يحصل إلا بالتجرد عن جميع أحكام المراتب الكونية . وتجليه من جهة الذات لم تلتمع بارقة من بوارقه إلا بانفراد(٣) عن أحكام التكثيرات.وهذا الانفراد يحصل بالفناء الحقيقى . وجميع التعينات الأسمائية والصفاتية ، مما تعين أو تجلى بصور اسم إلهى أو كونى . فبالمحبة الأصلية(٤) التى كان الذات يحدث بها فى الذات ، وهى السارية فى كل أمر أو حكم(٥) ، ولما كان غاية هذه المحبة ،تمام كل جلاء(٦) واستجلاء ، متعلقه ظهور تفصيل الأسماء والصفات ، فى جميع العوالم ،لم يخل شىء من أثر المحبة والعشق أصلا ، فظهر فى كل شىء بحسب الشىء ، وسرت المحبة الأصلية بمفاتيح الغيب فى هذه الأصول ، [و] امتلأ الوجود

(١) فى : ظ . الأشياء الإلهية
(٢) فى : س جميع الأصول . وليست . والسياق يقتضى ما اخترناه
(٣) فى : س . إلا الانفراد .
(٤) فى : س . فالمحبة الأصلية
(٥) فى الأصل . فى كل أمر وحكم
(٦) فى : س. تمام كمال جلاء .
فى : س تفصيل الأشياء .

والحقائق طلبا وعشقا وتوجها إلى الكمال ، فانتهض الاسم الحق (١) لما يخصه من إظهار التدبير الكلى ، وتقدم الاسم العليم (لتفصيل التدبير ، وتوجه الاسم المدبر لترتيب ما فصله الاسم العليم) (٢) ، وانتدب الاسم القابل(٣) (لإفاضه ما يفيض الاسم [الخالق])(٤) إلى مباشرة ذلك الحكم بكلمة . « كن » ، وشمر الاسم القدير(٥) لإظهار حكم القابل ، وإفاضة (٦) مايفيض. الاسم الجواد من عين الرحمة . وسارع الاسم الجواد إلى إفاضة الوجود [١٠٨ ب] وسبق الاسم المقسط ، إلى تعيين مرتبة مايظهر بها المكوَّن(٧).

فأول ما قبل أمر التكوين بلا واسطة (٨) ، حقيقة العلم الأعلى ، (ثم) (٩) بواسطة القلم واللوح المحفوظ . وكان الإجمال على حقيقة القلم أغلب ، والتفصيل على حقيقة اللوح (أغلب ، وكان لكل من الأصول السبعة (المذكورة)(١٠) (فى اللوح) (١١)مظهر من الأرواح المقدسة قد عينه البارى فى صورة روحانية ، مع حكم اشتمال الباقى (على آثار الباقى)(١٠) (فكان إسرافيل مظهر ركن الحياة ، وجبريل مظهر ركن العلم) وميكائيل مظهر ركن الإراده ، وعزائيل مظهر ركن القدرة ، وجميع الحقائق الإلهية من توابع هذه الحقائق الأربع .

ثم إن النفس الرحمانى الذى هو عين الرحمه السابقة ، لم يوجد شيئا من

---

(١) فى الأصل الاسم الحى ، والترجيح من : ظ ، س لأن التدبير الكلى من خصائص لاسم ، الحق « خلق السموات والأرض بالحق »

(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل

(٣) فى الأصل : القائل .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س.

(٥) فى : س وتسموا الاسم القدير .

(٦) فى : ظ ، س وإضافة

(٧) : ظ ، س إلى نفس مرتبة يظهر بها الكون .

(٨) فى : ظ ، س بالواسطة

(٩) ساقطة من : ظ ، س

(١٠) ساقطة من : ط

(١١) ما بين الحاصرتين ساقط من : س

الممكنات (١) إلا كان كاملا فى ذاته ، لم يفته شيء من كمالاته . وحيث شاء ذلك مد ظل نوره ، بإيجاد العالم ، بحكم الاقتضاء الحبى ، (٢) والتوجهات والاجتماعات ، من الأصوال الأسمائيه . وباشر الأمر الإيجادى فظهر (٣) أثر منه ،وظل مفاض فى مرتبه الأرواح ، التى نسبتها إلى مرتبة الغيب أشد، كما أن الأجسام نسبتها إلى الشهادة أقوى ، فكان ذلك الأثر عين القلم . (ثم ظهر من حيث إجمال القلم) (٤) أثر من النَّفَس المفاض ، صورة اللوح بوجوهه (٥) وأركانه ، وما تضمن من الكلمة القولية والفعلية ، والصور الروحانية ، من ملكوت كل شيء ، فكان أركانه الملائكة الأربعة .

ثم إن أثرا منه بحكم الاقتضـــاء الحبى ، ظهر من باطن اللوح من وجهه الرابع ،وهو وجه تنزله ، (٦) وتصوره بصوره الطبيعة (٧) ظهر بصورة (٨) الهباء ، وهو مادة قابلة لجميع الصور الطبيعية والعنصرية ، مركبة أو بسيطة . فكان أصلا يشتمل على كل جوهر فرد . وله أركان حراره وبرودة ، ورطوبه ويبوسة . وهو أول مظهر تحمل الوجه الرابع من اللوح وأركانه البسائط مظاهر وجودية للأركان المعنوية ، وهى الحياة والعلم ، والإرادة ، والقدرة . فلذلك كانت الحرارة أخص لوازم الحى ، وأثر العلم يوصف بالبرد والثلج ، والرطوبة من لوازمها السيلان وهى مناسبة للإرادة ، واليبوسة والقهر من لوازم القدرة .

فالهباء جملة تفصيل (ملكوت) (٩) كل شيء ، ولارتباطه ومناسبته بالحضرة العمائية (التى نسبتها (١٠) إلى طرفى الوجود والإمكان ، سواء كان

---

(١) فى : ظ فى المحكنات
(٢) فى : س : الاقتصاد الحسى
(٣) فى الأصل ، مظهر
(٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ ، ظ
(٥) فى : س فرجوعه
(٦) فى ظ جهة تنزله
(٧) فى : ظ ، س بصور الطبيعة
(٨) فى : ظ ، س بصورته
(٩) ساقطة من : ط ، س
(١٠) ساقطة من : الأصل، وزيدت من : ظ

أول حصة من الحضرة العمائية (١) وتسمى تلك الحصة بمرتبة المثال ، وكان الفعل إلى مظهرى الإرادة والقدرة ، وهما الرطوبة واليبوسة . وحصل الامتزاج بظهور سريان الاقتضاء الحبى ، كأنه نتيجة اسم الطبيعة (٢) وكانت برزخا جامعا بين الأركان. وانبسطت الطبيعية بالاقتضاء الحبى ، والتوجهات الأسمائية ، إلى كمال الجلاء انبساطا تاما ، وحدانيا (وتصورت بأقرب الصور إلى الوحدة الذى هو الاستدارة ، ولما عين البارى لها هذه الصورة ،كان) (٣) عرشا بسيطا (٤) مستديرا ، محيطا بجميع عالم الصور ، ثم هيأ لها هيأة أخرى دونه بحسب الحكم النزولى ، إلى إنهاء الكثرة ، وأثره الثابت فى الكون الهبائى ، وتلك الهيأة تسمى العرش (باعتبارها فلك الأفلاك ، والأطلس فلك البروج ، وهذا العرش) (٥) مستوى أمر الرب يعطى منه مادته أى صورة شاء ، وهو أعنى [١٠٩ ا] هذا العرش معطى صورة الزمان ، بحركته الدورية (٦) فتم ظهور أمر الوجود ، وبلغ الغاية من حيث هذه الأحوال وتوجه إلى تركيب الجواهر وتفصيل الصور

ثم اقتضت الحقيقة الحبية والاجتماعات الأسمائية . ومظاهرها ، أن يتعين من كون الهباء وأركانه ، صورة قابلة للتفصيل تكون مظهر اللوح فعين لها صورة مستديرة ، قابلة لتفاصيل الصور المعنوية ، تسمى الكرسى وتسمى فلك المنازل . ولما انعمر عالم المثال بهذه الصورة (٧) وبقى من عالم المثال ما يقبل التركيب ، والصور الكثيفة المركبة التى يمكن تجزئتها ، بحكم تركيب هذه الأركان وامتزجها ، حصل منها بحكم الاقتضاء (٨) الحبى والاجتماعات الأسمائية ، من هذا الكون الهبائى وأركانه ، مرتبة الحس التى

---

(١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ

(٢) فى : س كان نتيجته اسم الطبيعة

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ

(٤) فى الأصل : وجدانيا عرشيا

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ءس

(٦) فى : ظ بحركة الدولية . (٧) فى : الأصل ، ظ : الصور .

(٨) فى : س لحكم الاقتضاء .

صار الزمان مظهرا لها من وجه ، بحيث ارتفع التمييز بين هذه الأركان وآثارها ، وهى المادة المرتوقة ، المشار إليها بقوله تعالى : «كانتا رتقا» . ولها أركان أربعة ، هى أركان الطبيعة. وتحرك هذا الفيض الأعظم ، الذى هذه المادة من بعض مظاهره ، بحكم الاقتضاء الحبى ، فمال بها ميلا شوقيا إلى الكمال المتعلق بصورتها ، فأوجب مخضة قوية ، أظهرت أثر (قويا)(١) من الحرارة ، فارتفع ماكان منها ألطف على هيئة بخار أو دخان ، وحدانى النعت ، فكان رتق السموات ، ثم تميزت الأركان فقسم أكثف كان ركن التراب ، وقسم ألطف كان ركن الماء ، وقسم ألطف كان ركن الهواء ، (وقسم ألطف كان ركن) (٢) النار .

ثم لما تعين من الركن الهبائى ، ماكان قابلا للصور الجسمانية ، وصُيرت(٣) منه القوابل اللطيفة الفلكية ، والقوابل للصور الأرضية ، برز المرسوم من اسم الله والرحمن ، إلى الاسم المصور ، أن يعين لحقائق هذه الأصوال الأسمائية مظاهر سماوية ، وصورا فلكية ، ونورانية كوكبية تؤثر باجتماعاتها وتوجهاتها فيما تحتها ، فتحدث الصور المركبة أجناسا وأنواعا من المولدات، فتحركت فى مرتبة الحس حركة دورية ، من حيث نقطة مركزها ، تصورت منها إلى ودائعه ، (٤) وكانت لمظهر صفة (الحياة) (٥) وغلبة الحرارة، وعين الاسم المصور بمرسوم اسم الحى مظهرا نورانيا كان الشمس ، وهى كالنفس لهذه السماء ، ثم عين فوقها ثلاث سموات ، وتحتها كذلك ، ولكل واحدة نفس مدبرة ، وكل كوكب مظهر لاسم متعين لحقيقة كانت تلك السماء مظهرا (لها ، فكانت الرابعة مظهر صفة الحياة ، والثالثة مظهر صفة الإرادة ، والثانية مظهر صفة) (٦) الإقساط ، والأولى مظهر (صفة) (٧)

---

(١) ساقطة من : ظ ، س .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .
(٣) فى : ظ ، س . وحيزت .
(٤) فى الأصل ، ظ . أولى ورابعة .
(٥) ساقطة من : س .
(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .
(٧) ساقطة من : ظ ، س .

العدل ، والخامسة مظهر (صفة) (١) القدرة ، والسادسة مظهر صفة العلم ، والسابعة مظهر (صفة) (٢) الجود . وكل كوكب مظهر الاسم المنسوب إلى تلك الصفة ، وكانت هيآتها وآثارها مظهرة آثارها فى عالم الكون والفساد ، فظهرت فى النشأة الحسية أجناس صور المولدات وأشخاصها ، بحكم الأمر الكلى السارى فى الأعيارن ، ثم بعد هذا الفتق فى الأركان والسموات بحكم المحبة ، تحركت المادة [١٠٩ب] المرتوقة ، فانفتقت فكانت أرضا وصورها الاسم المصور كرية ، وتعين من الحركة المضافة للعرش ، المقدار اليومى . وصارت محكومة للزمان ، ولما ظهر أثر النفس الرحمانى ، بصورة العنصر الأعظم ، وأنفتق رتق الطبيعية البسيطة على أقسام ، وكثيفه المركب على أقسام ، من أركان أربعة ، وأوجه ثلاثة ، وتعينت رتبة الاعتدال المعدنى وقبل من الاسم المصور ، صورة معدنية :

ثم تنزل الأمر فى الأركان إلى التركيب ، فكان الاعتدال النباتى واستدعى من الاسم الحى روحا نباتيا ، ثم تنزل الأمر إلى التركيب ، فتعينت رتبة الاعتدال الحيوانى . فكان قبول صورة الحيوان من الاسم الحى القيوم روحا تدبره وتراعيه . واستدعى إحكام الأمزجة ، ومغالبة الأركان ، تنوع الأنواع . ثم اقتضى تنزل الأمر الإلهى ، والتنفس الرحمانى من كونه مفاضا إلى الركن الترابى ، والتركيب المزاجى ، الذى أصل أجزائه منه تعين فى عين هذا المنتهى الأرضى رتبة الاعتدال الشاملة جميع المراتب(٣) البرزخية السفلية والعلوية ، وهى صورة البرزخ الأول والثانى ، وهما أبطن بواطن الحقيقة الإنسانية ، [وهى] صورة معقولة ، والمزاج التام الاعتدال صورته أيضا محسوسة ، والروح الجامع المنفوخ الإلهى(٤) ، صورة تجلى النفس الرحمانى الظاهرى . فكما أن هذا الروح الجامع بين الوجود والعلم المتعلق بالمعلومات الجبلة ، والأسماء والصفات الإلهية والمزاجية ، صورة

---

(١) ساقطة من : ظ ، س . (٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) فى : س : الشامل جميع المراتب . (٤) فى : ظ ، س . والروح الإلهى المنفوخ

حقيقية البرزخ الجامع بين الأحدية والواحدية الذاتية ، وظل التجلي الأول العيني (١) الحقيقي . فلذلك هذه الرتبة الاعتدالية والمزاج الإنساني الحاصل كانت صورة البرزخ الأولى والتجلي، بما اشتملت عليه من الأسماء والحقائق الباطنة والظاهرة ، كما قال: إن الله خلق آدم على صورته . فكان آدم جامعا كل ماجمعه البرزخ (٢) والتجلي ، من حيث الأسماء والصفات والحقائق الإلهية والكونية ، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم جامعا كل ما جمعه البرزخ الأول جمعية حقيقية أحدية ، وكانت الملائكة ظاهر أوصاف حقيقية آدم ، فلما ظهر أثر حركة المحبة إلى تمام الاستجلاء ، وحركة المفاتيح ، وفي باقي الأصول والفروع الأسمائية ، توجهت المظاهر الروحانية وهي الملائكة ، بحسب رتبهم المثالية والحسية الفلكية الكوكبية ، بعد تحقيق التشكيلات (٣) ، إلى تسوية المزاج الإنساني بعد التطوير الترابي والطيني (٤) والحمئي والصلصالي ، فلما تمت التسوية باستعمال اليد الرحمانية ، المتعلق بها ظهور الحكمة في النشأة الأخرى ، باليمين التي تتعلق بها آثار قدرته ، فنفخ (٥) فيه من روحه ، وهو توجه وجه ظهوره الكلي ، لتوجيه هذا المزاج .

فلما تمت صورة آدم وصار روحا لعالم النشأة (٦) ، وتجلى كاملا لظهور صورة الحق وأسمائه وصفاته ، أخذ الحق في تكميله [١١٠ ا] بعلم الأسماء (٧) ، ولما امتنع عليه علم الذات ، عرفه بذات نفسه ، فعرف ربه . فلما كان ماتركب من الأركان في مراتب الاعتدالات والمولدات ، إنما هو من نتائج (٨) الأسماء والصفات بواسطة (٩) مظاهرها

(١) في : ظ . العيني .
(٢) في : س ، الأصل . الروح .
(٣) في : س . التشكلات .
(٤) في : س . والطبيعي .
(٥) في : ط ، س . فينفخ .
(٦) في : ظ ، س . كساه العالم . تحريف .
(٧) في : ظ . فعلم الأسماء .
(٨) في : ظ ، س . من نتاج الأسماء .
(٩) في : س . بوساطة .

الكوكبية والفلكية ، فلم يوجد شيء غالبا منها لغير سبب ، واقتضى تأثير الأسماء) (١) والصفات الكلية بوساطة(٢) المظاهر [أن يكون كل فلك كلي ، مظهرا لحقيقة اسمية ، من الأصول والأمهات . وكل كوكب (مظهرا لاسم)(٣) كلي منها ، وأن تكون الغلبة والسلطنة(٤) في كل مدة (زمانية لفلك من السبعة ، وكوكب هو نفس ذلك الفلك ؛ حتى يتعين في كل مدة)(٥) ما كان وجوده من نوع ذلك الاسم . فتم حينئذ حكم كمال الجلاء .

ولما كان أخص خواص الصور الإنسانية(٦) النطق ، والقول الظاهري الباطني ، كان مبدأ أدوار المظاهر لهذا الاستجلاء مظهر القول ، واسم القائل. (فاقتضى التجلي من حيث الاسم القائل) (٧) بحكم الحقيقة الحبية ، وتحريكها للمفاتيح الساري فيها التوجه الخاص إلى تخمير طينة آدم ، وكان موقفه في برزخية السماء الدنيا ، مجاور كوكب القمر ، المختص بمظهرية القول ، فكان صورة آدم الخليفة الجامع بين الكمالات (٨) منشأ جميع الصور التخطيطية . كما أن معنى محمد (صلى الله عليه وسلم(٩)) منشأ جمع المعاني والحقائق السبعة ، المسمى كل واحد منها بخليفة وكامل ، وأولي عزم . ومن شأنها الثبات بين الحق(١٠) والخلق ، ولابد لكل خليفة من ميزان كلي يسمى شريعة . وإن كان قوليا كليا مشتملا على كل ما اشتملت عليه حقيقة الكامل ووجوده ، فهو المنزل على الخليفة الكامل . وإن كان جزئيا فهو شرع

---

(١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .
(٢) في : ظ بواسطة .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .
(٤) في : ط ، س والسلطة .
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .
(٦) في : س الصورة الإنسانية .
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .
(٨) في : س من الكمالات .
(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .
(١٠) في : ظ ، س . من الحق .

جزئى . وفى كل دور من أدوار المظاهر الكلية مظهر الخليفة من هؤلاء الكاملين ، ويكمل كل من كان من فروعه (١) .

ويظهر فى مدة سلطنة دَوَرَة كل خليفة ، سبع مظاهر للحقائق السبعة، على منازل الأبدال فى الملة المحمدية ، وكذا الأقطاب ، ولما كان نزول التجلى ومروره على المراتب من إجمال وتفصيل ، وكان ذلك الإجمال اعتبارات الواحدية المدرجة فيه ، والتفصيل الذى جُمع هو عين التجلى الثانى ، ولهذا الجمع والإجمال تفرقة ، هى كثرة المعلومات ، وجملة هذا التفصيل حقيقة القلم ، وتفصيله حقيقة اللوح ، وجمع هذه التفرقة هو العين الهبائى ، وتفصيلها العرش والكرسى ، وجميع الصور المثالية ، وجمع ذلك وجملته العنصر الأعظم ، وتفرقته وتفصيله الأركان والمولدات بصور أجناسها وأنواعها ، وبعض أشخاصها . والجمع الحقيقى الغائى(٢) لهذه التفرقة(٣) والتفصيل صورة آدم ، وتفصيله من حيث كليات ما كان (٤) معناه جامعا له هى حقائق الخلفاء والكمل (٥) ، وجملة تفصيلهم الصورة المحمدية ، وتفرقة هذه الأحدية المحمدية حقائق الكمل والخلفاء والأقطاب والأبدال ، غير أن آدم عليه السلام [١١٠ ب] لكونه صاحب هبوط ونزول ، مظهر لجمع الإلهية فى المرتبة الثانية ، عند تنزل التجلى الباطنى (إليها)(٦) ، وكان النبى جملة لما تفصل من آدم (عليه السلام)(٧) صورة ومعنى ، كما كان آدم جملة لتفصيل العالم صورة ومعنى . وكان النبى مظهرا جامعا للأسماء كلها فى الرتبة الأولى مجملا ، وفى الثانية مفصلا ، فكان اجتماع حقيقة الولاية فيه ،

---

(١) المراد من الفروع . الفروع المعنوية ، أبناء الروح الآخذين عنه بالتلقى والتلقين .
(٢) فى : س القلبى .
(٣) فى جميع الأصول . بهذه التفرقة .
(٤) فى : ظ وتفصيل كليات ما كان معناه جا معاله .
(٥) فى : ط والأقطاب .
(٦) ساقطة من الأصل ، ظ .
(٧) ساقطة من : ظ ، س .

مع حقيقة النبوة على السواء . وكما أن تفرقة جمع صورة آدم(١) ، كانوا خلفاء ورسلا مندرجة فيهم الولاية ، فجمع تفرقة محمد (صلى الله عليه وسلم)(٢) أولياء وأقطاب ، مندرج حكم النبوة فى ولايتهم . ولما كان القرآن أجمع الكتب ، وترجمة أحكام حقيقة الحقائق ، ومتضمنا(٣) وضع الشريعة الكاملة ، [كان] مغنيا بحكم جمعيته عن وضع كتاب آخر ، بالنسبة إلى مظهر اسم كلى ، ولأن كل جمع ومجمل لابد له من تفصيل ، كما أن آدم جملة لتفصيل العالم ، مع أنه جمع لتفرقة الخلفاء والرسل ، وكان محمد (صلى الله عليه وسلم)(٤) جملة ذلك التفصيل ، ختم به لهذا المعنى(٥) .

وجميع ما ينبغى أن يظهر آخر الأمر لهذه التفرقة ، صورة جملة تختم به ولايتهم ، فيتم به حكم الولاية(٦) والخلافة والكمال فى هذه النشأة . وتكون تفرقة جميعته وتفصيله فى النشأة الآخرة .

وقد تقر أن وجود كل اسم فى مرتبة الحس ، محتاج إلى مدد وجودى مرجحٌ جانب بقائه على جانب فنائه ، والأسماء متفاوتة فى الدرجات ، بسبب مظاهرها من الأفلاك والكواكب ، وبحسب سلطنة الأدوار . فإن قدر وجود شخص من حضره اسم(٧) . إن كان ذلك الاسم كليا من الأئمة ، فيمر متنزلا على جميع المراتب بلا توقف ولا تعويق (٨) ، أحدى السير(٩) فيبدو فى صورة غذاء يتناوله الأبوان (١٠) ، ويستحيل نطفة ، ويستقر فى رحم

---

(١) فى الأصل جميع صور آدم .
(٢) ساقطة من : ظ ، س .
(٣) فى الأصل ، ومتضمن .
(٤) ساقطة من : ظ ، س .
(٥) فى : ظ . بهذا المعنى .
(٦) فى : س القطابه . ولعلها . القطبانية .
(٧) فى : ظ ، س . الاسم .
(٨) فى : ظ ، س . ولا تفريق .
(٩) فى : س . أحد فى التسير .
(١٠) فى : ظ ، س . تتناوله الأبدان .

الأم ، إلى أن يولد ويبلغ الكمال ، ويصير مظهرا لما أسند إليه . وإن كان الاسم جزئيا ، تنزل مع تعويقات (١) وتوقيات فى طريق تنزله، ثم تتكون صورة النبات والحيوان ، فيقتضى اسما آخر يقابله فساده ، فيرجعان إلى أصلهما ، ثم يعود . فربما يتفق مرارا (أن يتعوق إلى) (٣) أن يتفق (٤) خلاصه ، وكل واحدة من هذه التعويقات (٥) تحدث فى نفس الشخص غابة أحكام إمكانية ، وآثار طبيعية ، وعلل هى موجب إعراضه وغفلته عن توحيده الحق .

وترتيب فتح السالكين من القرب والبعد ، مبنى على تفاوت تلك الأحكام ، فيختص علاجها بالعلم (٦) الذى يعالج كلا بما يستحقه .

ولما تبين أن أصل انتشاء الأسماء الإلهية ، والحقائق الكونية ، إنما كانت حقيقة الوحدة بباطنها ، وهو عين حقيقة الحقائق فى المرتبه الأولى ، ومظاهرها وهى البرزخية بحكم إجمال وتفصيل ، فالحكم الإجمالى حقيقة كل خليفه كامل، وبجمعه التفصيلى (٧) المسمى بالعماء ، حقائق سائر الأناسى، فما كان مائلا إلى وسطه ، وغلبت [عليه] العدالة ، كانت حقائق الأنبياء والرسل والخلفاء من المتقدمين والمحمديين غير الكمل ، والأولياء والمؤمنين ، متفاضلة [١١١ ا] بحسب القرب من عدالة البرزخية المذكورة ، وبحسب البعد عنها ، ومابين قابل الطرف والإمكان وحكم الكثرة جداً ، كانت حقائق الكفار والمنافقين بالمزاج العنصرى ، الأعدل المحمدى ، صورة البرزخيه الأولى . وقلبه حان وسطية هذه البرزخية ، وأحدية جمعها بين الأحدية والواحدية ، ومزاج سائر الكمل والخلفاء ، وأولى

(١) فى : ظ تعريقات .
(٢) ساقطة من : س .
(٣) ما بين الحاصرتين . ساقط من : ظ .
(٤) فى : ظ . إلى أن يتعرق . وفى : س . إلى أن يتعوق . تحريف .
(٥) فى : ظ التعريفات . تحريف .
(٦) فى : ظ ، س . بالعالم .
(٧) فى : ظ وبجمعه التفصيل .

العزم والأقطاب من المحمديين ، صورةالبرزخية ، لكن من حيث تفصيلها، وهى الحضرة العمائية .

ورقة

وبالجملة فإن أثر النفس الرحمانى ينزل من أعلى المراتب الكونية إلى أقصى الحس ، وهى الأرض، فى(١) كل مرتبة ظهر بلباس مظهر روحانى ، وظهر بخصائصه وأحكامه ، وفى الثانية بلباس مظهر آخر مثالى ، وفى الثالثة حسى ، وبدا بأوصافه فى كل رتبة ، لم يكن (مجلى)(٢) تنزله إلا أثراً من تلك البرزخيه ، التى هى على الحقيقة(٣) قلب تلك الصورة التى تلبس بهاذلك الفيض الرحمانى . ولهذا القلب أيضاً قلب وحدانى ، وهو الذى قامت به الفطرة ، فى كل واحـــد من المظهر ، والظاهر المتلبس بأحكام المراتب والصور الروحانية (٤) والمثالية والحسية .

ولما ورد المدد الوجودى على كل ذرة(٥) ترابية مطيعة مُحِبَّية بتلى(٦) أتينا طائعين ، لتعيين مزاج عنصرى فى عرض الاعتدال الإنسانى ، مارا على المراتب الكونية (٧) مُلتبسا بصورها ، كما قلنا ، من غذاء إلى نطفة ، ثم تطور حتى تمت تسوية مزاج إنسانى ، ثم ظهر من باطن القلب الصنوبرى من أثر الحرارة الغريزية فى سويداه (٨) بخار لطيف ، قابل بنسبة اللطافة (القوة)(٩) الحيوانية ، والمسمى ذلك البخار روحاً حيوانياً ، ثم نفخ عند

---

(١) فى : ظ فى كل مرتبة .
(٢) ساقطة من : ظ .
(٣) فى : س : الذى هو على الحقيقة .
(٤) فى : س : الملتبس بأحكام المراتب والصورة الروحانية .
(٥) فى : ظ على كل دوره .
(٦) فى : ظ محبية يبلى .
(٧) فى : ظ س المراتب الكوكبية .
(٨) فى الأصول ، ظ ى شواهده .
(٩) ساقطة من : ظ .

ذلك من الروح الروحانية: أثر روحانى معنوى تدبيرى فى ذلك، بواسطة أو بغير واسطة، نفخا معنوياً، وكانت نفساً إنسانية حيوانية. وباين بذلك الأمر الروحانى المتعين من العالم العلوى الوحدانى، بأوصاف وحدته وعدالته ونزاهته، فصارت مغلوبة فى آثار هذا البرزخ للروح الحيوانى وأوصافها المتكاثرة الإمكانية، بحكم اقتضاء مرتبة الحس وسلطنة الطبعية فيها. فكان ذلك الأثر الروحانى بتلك الغلبة محجوباً عن أصله ومنشئه (ومبدئه)(١) وربه، وذلك الفيض الرحمانى أيضاً بحكم تلبسه بلباس الأحكام المرتبات، والتركيبات والتعويقات والأطوار، حجب بها عن أصله، و(عن)(٢) أصل روحانيته من الملائكة، فكانت كالنائم المعرض عن المحسوسات، وكان حكم هذه الغفلة شاملا حقيقة الفيض الوجودى، والأثر الروحانى، وحقيقة النفس الإنسانية، فانحرفت أخلاقها بالميل إلى جهة إفراط وتفريط، وخفى بذلك الانحراف أثر القلب الاعتدالى فى النفس(٣) والروح والسر، واندرج حكمه وأثره فيهما: بل استهلك بالنسبة إلى الأشخاص، مثل استهلاك الصور الإنسانية أولا من عين الحضرة العمائية إلى جانب الحقيقة الإمكانية، بحكم الرد لغير مُعلل، المشار إليه فى قولهم: «قبل من قبل لا لعلة، ورد من رد لا لعلة» فنها حكم السابقة [١١١ ب] المعبر عنها بالعناية الأزلية فى شخص إنسانى، بحكم ميل حقيقته من الحضرة البرزخية إلى الحقيقة الإمكانية، أو عدم ميلها أصلا، حتى ظهر من باطنه أثر النور(٤) الفطرى الإيمانى، إما بواسطة سمعه، أو بلا واسطة، وآمن بربه، وانقاد لحكمه، ثم من بعد ذلك انجذب من عين هذه الحجب والأحكام، وتخلص من قيودها سيره الوجودى المفاض على حقيقته. فعند ذلك تنبهت النفس الإنسانية بباطنها وباطن باطنها عن نومها،

---

(١) ساقطة من الأصل، ظ.

(٢) ساقطة من س.

(٣) فى س وخفى بذلك الانحراف القلب الاعتدالى فى أثر النفس.

(٤) فى ظ، س أثر الروح.

وأحست بحجب كثيفة(١) متراكمة ظلمانية ، وقيود طبيعية منتشئة من أحكام عادتها ، ومتابعة شهواتها . وأحست بأنه وجب عليها بحكم هذا التنبيه(٢) والاحساس ثلاثة أمور مهمة .

الأول : الأخـــذ فى السير ، والرجوع من مقار أحكام عادتها الزائلة ، بملازمة الأمر والنهى قولا وفعلا ، وهذا الأمر متعلق بمقام الإسلام .

الثانى : دخوله فى الغربة ، من حيث باطنها ، بالانفصال عن مقارها الحيوانية ، ووطن ظهورها بصور كثرتها ، والاتصال بحضرة باطنها ووحدته من الأوصاف والأخلاق الملكية ، وذلك متعلق بمقام الإيمان .

وثالثها : حصول النفس من حيث سرها على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد ، بطريق الفناء عن الأحكام القيودية(٣) ، ونفض طينتها عن أذيال حقيقتها ، وذلك يتعلق بمقام الإحسان .

ثم يبنون السلوك على الرياضة إلى مقام الجمع ، شأن من قبلهم . وأتقن ترتيباً ، وأكثر معارج ، فلينظر فى أمهات هذا الرأى ، فليست الإحاطة والاستقراء من غرضنا فى هذا الكتاب . وهذا الرأى نبيل ، وحاصله التأليف من رأى الفيلسوف بزائد (٤) من الاسماء والحضرات ، وتعديد الوسائط ، والكلام فى مرتبة النبى ووارثه ، ومستند دعاويه إلى الكشف فى الأغلب ، لضعفها من جهة النقل ، وعدمها من جهة العقل ، فيجلبون من الآيات حججاً على مايذهبون إليه ، الله يعلم هل تتناول ذلك ، إذ لم ينقل فى تفسيرها شىء ، وأحاديث نبوية لم يثبت شىء منها فى الصحيح ، ولا بنى عليها حكم . ولا أقل من أن يعرف متعاطى الأمور الإلهية هذا

---

(١) ق : ظ ، س . كثير .
(٢) ق : س . هذه النسبة .
(٣) ق : س . العبودية تحريف .
(٤) ق : س وبزيادة .

المقدار من مبادىء الصنائع ، ولم يكن فى التوقيف ولا فى ترك الموضوع ضرورة ، وفى قليل الصحيح غنية ، وتأويل القضايا من السجود لآدم والهبوط من الجنة ،والحال فى المعاد ، ربما يدعون فى تأويل ذلك ضرورة ، وكتابنا غير موضوع للشاحة . وهم محبون مستهلكون ، ومن مقرارت(١) أهل العلم : أن الحديث إذا كان له ظاهر وباطن . وللباطن تأويل فالأصل الوقوف مع الحقيقة وهو الظاهر ولا يعدل إلى المجاز وهو الباطن فى القضية ، إلا بعد انعقاد الإجماع على عدم إرادة الحقيقة منه ، هذا فيما يذهبون إلى تأويله من الحديث الصحيح ، وأما الموضوع فلا كلام فيه ، وعلى تقدير صحته والعدول عن الحقيقة فيه ، فهو خبر (من)(٢) آحاد لا تفيد فى العقائد .

---

(١) فى : ظ ، س ومن . القدمات .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

الفن الخامس [١١٢ ا]

فى رأى أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين

وممن اشتهر به (منهم) (١) الشوذى المنسوب إليه القوم ، وابن دهّاق ، وأبو محمد بن سبعين وأصحابه ، مثل أبى الحسن الششترى ، وابن مطرّف الأعمى (٢) ، وابن أحلىَ ، والحاج المغربى(٣) ، والجم الغفير من أهل شرق الأندلس ، وودى رقّوط .

ورقة (٤) :

قال المؤلف رحمه(٥) الله : ارتكبت هذه الطائفة الشوذية والسبعينية وأصحابهم ، مرتكبا غريبا من القول بالوحدة المطلقة ، وهاموا به (وموهوا) (٦) ورمزوه ، واحتقروا الناس من أجله . وتقريره على سبيل الإطالة لا فائدة فيه .

وحاصله بعد الخوض فى الذات وما صدر عن الواحد ، فيما خاض فيه غيرهم : أن البارى جل وعلا هو مجموع ما ظهر وما بطن ، وأنه لاشىء خلاف ذلك ، وأن تعدد هذه الحقيقة المطلقة ، والإنية الجامعة ، التى هى عين كل إنية ، والهوية التى هى عين كل هوية ، إنما وقع بالأوهام، من الزمان والمكان ، والخلاف ، والغيبة والظهور، والألم واللذة ، والوجود والعدم.

قالوا : وهذه إذا حققت إنما هى أوهام ، راجعة إلى أخبار الضمير ، وليس فى الخارج شىء منه ، فإذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره

---

(١) ساقطة من : س

(٢) بياض فى : ظ ، س .

(٣) فى : الأصل العربى .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

(٥) فى : س ، ظ . رضى الله عنه .

(٦) ساقطة من : ظ وفى س . وهوموا .

(٧) فى : س . من المكان والزمان

وما فيه واحدا ، وذلك الواحد هو الحق ، وإنما العبد مؤلف من طرفى حق وباطل . فإذا أسقطت الباطل (١) ، وهو اللازم بالأوهام ، لم يبق إلا الحق . وصرحت بذلك أقوال شيوخهم ، فمنه قول ابن أحلى : « حق أقام باطلا ببعض صفاته» .وقال الحاج المغربى(٢) : « وقد تعرض لما به وقع التعدد وأنه وهم ، فالكل واحد ، وإن كان متفرقا ، فسبحان من هو الكل ولاشيء سواه ، الواحد فى نفسه المتعدد بنفسه » . وقال ابن أحلى من قصيدة

فيا عجبا مـــنى ومنه وإنه   لحق فريد ليس عنه عدول
قضانى فأبدانى وغاب بما قضى   وألزمنى شوقا إليه يطـــول

وقال :

وأتوب من شرك يفرق واحدا   فاحكم بمـــا ترضى على صبّـار

وقال :

فكيف هذا ولم يثبت تفرقنا   إلا بلبس وأنت السر والعلن

وقال :

فلِمْ أكابدُ(٣) وهما عنك يقطعنى   ظلما ويقسم لى ما ليس يفترق

وقال الشيخ عبد الحق ، كبيرهم الذى علمهم السحر :

كم ذا تموه بالشعبين والعـــلم   والأمر أوضح من نار على علم
أصبحت تسأل عن نجد وساكنها   وعن تهامة هذا فعل متهـــم
فى الحى حى سوى ليلى وتسألها   عنها سؤالك أيناً جر للعدم

وقال تلميذه :

كشف المحبوب عن قلبى الغطا   وتجـــلى جهره مـــنى إلى

(١) فى : ظ ، س فإذا سقط الباطل .
(٢) فى الأصل . العربى .
(٣) فى س . . فكم أكابد .

ويقول فيها بعد أبيات :

أى سر ما بدا إلا لمـــن   قد طوى العقل مع الكونين طى
ورآى الأشياء شيئا واحدا   ورآى الواحد فردا دون شى

ورقة :

وقالوا : إن خطاب الله للعالم الجارى على غير هذه القاعدة ، هو تعمية عليهم وتلبيس ، ليتم الملك بذلك ، ولو صرح للعالم بالحق كما هو فى نفسه ، لم يتم الملك . وقد مر تصريحه بهذا فى قوله (١):

عمى مع تلبيس به تم ملـكه   فـــرب ومعبود له ورسول

قالوا : فالحق إنما هى فهمه من قصر نظره على ضميره ، ولم يعرج(٢) على الأغيار ، وجميع ما يتصور فى الضمير ويوجد دائما لا يتبدل، إنما هو قوى أربع : إحاطة ، وهى المشار إليها بأنا ، وإدراك ، وإرادة ، وتفصيل ، وهو الخبر عن المدركات المتخيلات .

قالوا : فهذا ما يجده الإنسان من نفسه ، والثلاثة قوى منها راجعة إلى الإحاطة (وغيره ، وغير مستقلة دونها ، وليسب الإحاطة) (٣) فى الافتقار إليها كذلك ، ومجموع هذه القوى تسمى الـكمال فإذا تقيد (٤) كان عبدا ، وإذا لم يصحبه التقييد (٥) كان الحق . والتقييد(٦) عبارة عندهم عن التزام

---

(١) لم يمر هذا البيت فى هذا الـكتاب ، ولعله نقل من أحد كتبهم ، ولم يفطن الى هذه السقطة .

(٢) فى : س ولم يعرض .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٤) فى : ظ ، س فإذا تعبد .

(٥) فى : ظ ، س التعبد .

(٦) فى : س والتعبد .

الأوهام الواقع بها التعدد ، وأن التعدد وطرق التعدد من قبل العقل .

وقالوا : الألم واللذة راجعان إلى الأخبار والمدركات ، والعالم لا يصح أن يقال فيه قديم ولا محدث ، إذ ذاك مبنى على الزمان ، والزمان وهم ، (إذ هو مقدار الحركة، والحركة وهم)(١) وما ثم إلا خبر مجرد ، لاشيء منه فى الخارج . وبالجملة فالمدركات وتقييدها بالأماكن من لوازم البشر ، وبها كانوا عبيدا لحصول التغاير والتعدد بما يلزم من وهم المكان ، ويمثلون صدور ذلك كله عن(٢) الذات بحديث الراهب الذى استلقى فى بيته ، وله جرة سمن معلقة ، فقال أبيعها بكذا ، وأشترى بقرة فتلد كذا ، وأشترى بثمن ذلك ضيعة ، تغل كذا وكذا فأشترى كذا إلى أن ملأ الأماكن والأحواز مالا وطعاما ، وماشية وعبيدا وأثاثا ، ثم قال : وأتزوج أمرأة تلد لى ولدا ، أعلمه الحكمة ، وأجبره على تحصيل العلوم الإلهية ، وأكلفه كذا وكذا، فإن تمانع أو قصر أضربه بالعصا هكذا ، وأهوى بعصاه فأصاب الجرة فأعدمها، ولم يصح من كل شيء إلا وجود الراهب(٣) (قالوا : وإليه الإشارة بقوله: «يحسبه الظمآن ماء حتى إذ جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده»)(٤) وهم مع ذلك يتحدثون فى الصنائع والعلوم ويستدلون على صحة دعواهم ولهم فى العلوم الشرعية مرتكبات غريبة مع أن هذه كلها عندهم حضرات الوهم ، صحيحة فى أنفسها ، أو ضروريات من حيث عالم التقييد(٥) ، وباطلة فى الأصل .

وينفرد بسر الوجود المكتوم من بلغ درجة العارفين ، وهم أهل التحقيق . والتحقيق يطلقونه على هذا العلم ، وإن العلماء بالله ومن فوقهم

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .

(٢) فى : ظ ، س من الذات .

(٣) على هامش الأصل هذه العبارة (هنا مذهب الحسبانية، وليس مذهب الصوفية) .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .

(٥) فى : س التفسير .

ممن أنبياء الله ورسله وأوليائه علموه ، وخصوا به من رأوه أهلاله ، ودعوا الخلق إلى الله من باب التلبيس والحجب ، لقصر عقولهم عن ذلك ، واختلال السياسة التى تحوطهم وتجمعهم ، ويحملون القرآن والحديث بواطن تدل على صحة رأيهم .

وقال الشيخ عبد الحق [بن سبعين] فى بعض كتبه [١١٢ ب] : « وهذا الذى نريد أن ننبه عليه هو مما لم يسمع فى عصر ، ولا قيل إنه ظهر فى دهر ، ولا مما علم أو دون فى فلاة ولا مصر(١) وهو مأخوذ من كلام الله ورسوله » .

والدرجات عندهم ، أولها : الصوفى ، للتجريد ، ثم المحقق ، لمعرفة الوحدة ثم المقرب ، وهو الذى اجتزأ بالعين من عين عينه(٢) عن الأثر . قال أبو محمد : فلا تكن صوفيا إلا فى الحذف (٣) والتجريد (٤) والسلب خاصة . وقال فى موضع آخر : «ينور بصيرتك بنوره الذى ظهر بنفسه ، وظهر به كل شىء إن صح وجود الشفع فى الوجود ، أو حقيقة لغير القديم الودود (سبحانه لا إله إلا هو ») (٥) وقال أبو الحسن الششترى ، من كبارهم ، هذه القصيدة الشهيرة ، وهى من أمهات أقاويلهم ، فإنها اشتملت على إشارات رأيهم ، وموازين الناس عندهم ، ولها حكاية تخرج عن الغرض ، وهى من باب اللسان خاملة.

أرى طالبا منى الزيادة بالحسنى(٦) بفكر رمى سهما فعدى به عدنا
وطالبنا مطلوبنا من وجودنا نغيب به عنا لدى الصعق إن عنا(٧)

---

(١) ف : س ولا حضر .
(٢) ف : س عن عين عينه .
(٣) ف : ظ ، س إلا فى الحديث .
(٤) ف : ظ ، س والتجرد .
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .
(٦) ف : (لا الحسنا) .
(٧) ف : ظ (إن غنى) .

تركنا حظوظا من حضيض لحوظنـــا
إلى المقصد الأقصى(١) مع المطلب(٢) الأسنى

ولم نلف كنه الكون إلا توهما وليس بشيء ثابت هكذا الفنيا
فرفض السوى فرض علينا لأننا . بملة محو الشك والشرك قددنا
ولكنه كيف السبيل لرفضه ورافضه المرفوض نحن وما كنا
فيا قائلا بالوصل والوقفة التى حجبت بها اسمع وارعوى مثل ماأبنا
تبدت لك الأوهام لمـــا تداخلت عليك ونور الحق أو ردك السجنا
وهمت بأنوار فهمنا أصولهـــا ومنبعها من أين كان(٣) فما همنا
وقد تحجب الأنوار للعبد(٤) مثل ما تبعد من إظلام نفس حوت ضغنا
وأى وصال فى الحقيقة(٥) يدعى وأكل من فى الناس لم يدع الأمنا
فلو كان سر الله يدرك هكذا لقال لنا الجمهور ها نحن ما خبنا
فكم دونه من فتنة وبليـــة وكم مهمه من قبل ذلك قـــد جبنا
وكل مقـــام لا تقم فيه(٦) إنه حجاب فجد السير واستنجد العونا
ولا تلتفت فى السير غيرا فكل(٧) ما سوى الله غيرافا تخذ ذكره حصنا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى ولا طرفه تجنى
وسر نحو أعلام اليمين فإنهـــا سبيل بها يمن فلا تترك اليمنـــا
أمامك هـــول فاستمع لوصيتى عقال من العقل الذى عنه قد تبنا
أتانا الورى بالمشكلات وقبلهم بأوهامه قد أهلك الجن والبنّا
محجتنا قطع الحجا وهو حجنا وحجتنا تتلوه هاء بها همنا

---

(١) فى : س (الأبهى) .
(٢) فى : ظ (مع الطلاق) . تحريف
(٣) فى : س (من حيث كان) .
(٤) فى : س للعقل) .
(٥) فى : س (فى القضية) .
(٦) فى : ظ (لم تقم فيه) وفى : س (لا تم فيه) .
(٧) فى ظ ، س (وكل ما سوى الله).

يثبطنا (١) عند الصعود لأنه يود لوانا للصعيد قد اخلدنا
تلوح لنا الأطوار منه ثلاثة كراء ومرئى ورؤية ماقلنـــا
ويبصر عبداً عند طور بقائه(٢) ويرجع مولى بالفنا وهو لايفنى
ويظهر باسم النفس والسر (٣)مدبراً وعقلا وخيراً مقبلا عند مايدنى
ولوح إذا لاحت سطور كتابة(٤) به فيه وهو النون والقلم الأدنى
(وعرش وكرسى وبرج وكوكب وحشر لجسم الكل فى وصفه حرنا)(٥)
تمد خطوط الذهن عند التفاته إحاطته القصوى الذى فيه أظهرنا(٦)
يقطع بالأزمان للدهر مثلماً يكيف للأجسام من ذاته الأينا(٧)
أقام دوين الدهر سدرة ذاته ونحن ونفس الكل فى بحره عمنا
وفتق للأفلاك جرهره الذى تشكله سر الحروف فخرفنا
يفرق بمجموع الفضية ظاهرا ويجمع فرقا من تداخله فزنا
وعدد شيئاً لم يكن غير واحد بألفاظ أسماء بها شتت المعنى
ويعرج والمعراج منه ذواته لتطويره العلوى (٨) بالوهم أسرينا
ويجعل سفليا ويوهم أنه لسفليه المجعول (٩) بالذات أهبطنا
يقدر فصلا بعد وصل لذاته وفرض مسافات يمدلها(١٠) الذهنا
يجلى لنا طور المعية شكله(١١) وإن لمعت منه فيلحقه المينا(١٢)

---

(١) ى : الأصل ، ط (يثبتنا) .
(٢) ى : س (عند طول بقائه) .
(٣) ى : ظ (باسم السر والنفس) وفى : س (باسم النفس والشر) .
(٤) ى ، ظ ، س (كأننا) .
(٥) البيت ساقط من الأصل .
(٦) ى : ظ ، س (أحصرنا) .
(٧) ى : ظ ، س (أينا) .
(٨) ى : ظ ، س (العلى) .
(٩) ى : ظ ، س (المجهول) .
(١٠) ى : ظ ، س (يجدلها) .
(١١) ى الأصل (شكه).
(١٢) ى : ظ س (الأينا) .

ويلحقها بالشرك (١) من مثنوية يلوح بها وهو الملوح والمثنى
فنحن كدود القز يحصرنا الذى صنعنا لدفع الحصر (٢) سجنا لنا منا
فكم واقف أردى وكم سائر هدى وكم حكمة أبدى وكم علق أغنا
وتيم ألباب (٣) الهرامس كلهم وحسبك من سقراط أسكنه الدنا
وجرد أمثال العوالم كلها . وأبدى لأفلاطون فى المثل الحسنى
وهام أرسطو أو مشى من هيامه وبث الذى ألقى إليه وماضنا
وكان لذى القرنين عوناً على الذى تبدى به وهو الذى طلب العينا
ويفحص عن أسباب ماقد سمعتم وبالبحث غطى (٤) العين إذرده غينا
وذوق للحلاج طعم اتحاده فقال أنا من لايحيط به معنى
فقيل له ارجع عن مقالك قال لا شربت مداما كل من ذاقه غنى
وأنطق للشبلى بالوحدة التى أشار بها لما امحى عنده الكونا
(أقام لدات النفّرى مدلها يخاطب بالتوحيد صيره خدنا) (٥)
وكان خطابا بين ذاتين من يكن فتيرا يرى البحر الذى فيه قدغصنا (٦)
وأصمت (٧) للجنى تجريد خلقه مع الأمر إذا أضحت فصاحته لكنا
تثنى قضيب البان من شرب خمره وكان كمثل الغير لكنه ثنا
وقد شذ بالشوذى عن نوعه فلم يمل نحو أخدان ولا سكن المدنا
وأصبح فيه السهروردى (٨) حائراً يصيح لما يلقى الوجود له أذنا (٩)

---

(١) فى : ظ ، س (بالشرط) تحريف .
(٢) فى : س (يدفع الحصر) .
(٣) فى : ظ ، س (أدباب الهراس) تحريف وهم أتباع هرس
(٤) فى الأصل (غصن)
(٥) البيت كله ساقط من : ظ ، س والنفرى هو « محمد بن عبد الجبار النفرى صاحب المواقف. المطبوعة بدار الكتب المصرية
(٦) فى : ظ ، س (قد عمنا) .
(٧) فى : ظ س (وأعجب للحسى) .
(٨) السهر وردى المقتول ، لا صاحب العوارف .
(٩) بعد هذا البيت فى الأصل ، س . ذكر البيت الذى يتحدث عن ابن الفارض.

ولابن قسى خلع نعلى وجودة ولبس إحاطات من الحَجر قد تبنا
أقام على ساق المسرة نجله لمزن من الأسرار فاستمطر المزنا
[١١٣ ا]
ولاح سنا برق من القرب للنهى لنجل ابن سيناء الذى ظن ماظنا
وقد قلد الطوسى(١) من قد ذكرته ولكنه نحو التصوف قد حنا(٢)
ولابن طفيل وابن رشد يتقظ رسالة يقظان اقتضت فتحه الجفنا
كسى لشعيب ثوب جمع لذاته فجر على حساده الذيل والردنا
وعنه طوى الطائى بسط كيانه بد سكرة الخلاع(٣) إذأذهب الوهنا
تسمى بروح الروح جهرا ولم يبل ولم ير ندأ فى المقام ولا قرنا
به عمر بن الفارض الناظم الذى تجرد للأسفار قد سهل الحزنا(٤)
وباح به نجل الحوارى عندما رأى كتمه ضعفا وتلويحه غبنا
وللأموى النظم والنثر فى الذى ذكرنا وإعراب كما نحن أعربنا (٥)
وأظهر منه الغافقى لما خفى وكشف(٦) عن أطواره الغيم والدجنا
وبين أسرار العبودية التى عن اعرابها لم يرفع اللبس واللحنا
كشفت غطاء من تداخل سرها فأصبح ظهراً مارأيتم له بطنا
هدانا لدين الحق من قد تولهت لعزته ألبابنا وله هدنا
فمن كان يبغى السير للجانب الذى تقدس فليقدم ليأخذه عنا (٧)

ورقة :

وصورة السوك عندهم من بعد الرياضة فى حق المبتدىء الصوفى ، ومن لم يفتح عليه الجذبة والعناية به أن يعتبر نفسه بطريق التحليل ، وتنزل الفيض

(١) يقصد الإمام الغزالى رضى الله عنه .
(٢) هذا يدل على أن الصوفية لسوا من أهل الوحدة المطلقة باعترافهم .
(٣) ى ظ (كذا سكرة الحلاج) ، وفى : س (بد سكرة الحلاح) .
(٤) هذا البيت ذكر مقدما . بعد البيت (وأصبح فيه السهروردى حائرا) .
(٥) ى : س (كما عنه أعربنا) .
(٦) ى : س (وكشط) .
(٧) ى : ظ ، س (نقدس بأتى الآن يأخذه عنا) .

الرحمانى ، من لدن الذات إلى العقل ، إلى النفس ، إلى ذوات العوالم ، إلى الهيــــولى الأولى ، إلى العنصر ، إلى المولدات ، إلى الإنسان . ثم يصعد بالتركيب راجعاً عن سلسلة التنزيل إلى بدء اللازم ، وهو الحق ، فلا يرى إلا رتباً معنوية وهمية ، من غير زيادة على الحق ، فيعلم أن النزول إلى أقصى درجات الحس ظهور الذات ، وتجليها خاصة . والرجوع بطونها ووصفها بالغيبة المطلقه خاصة . ويحتج بقوله : «كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ماعليه كان : «وأن إلى ربك الرجعى» . «وأن مردنا إلى الله» : كما بدأكم تعودون» : «له الآخرة والأولى» : «هو الأول والآخر والظاهر والباطن» . فيرى أن ما بينهما من زمان ومتزمن ، ومتحرك وساكن ، باطل . وينشد قوله لبيد : ألا كل شىء ماخلا الله باطل . ثم يتلو قوله عز وجل : «كل من عليها فان» ثم قوله : «كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون» .

وإنما وقعت الكثرة بالتفصيل ، والأمر فى نفسه حقيقة واحدة . وما ثم غيرها : «الغدير إذا امتلأ عند المطر ملأ جبابا ، ثم لم يكن(١) غير الغدير صبابا» .

ومحصول السعادة عندهم : أن ينكشف الغطاء ، وتظهر للعارف (٢) إنية الحق ، (وأنه عين إنية كل شىء)(٣) ويعقل إنية ذاته ، وما هى عليه ، ومن عرف نفسه عرف ربه ، فبلغ أقصى الكمال والبقاء ، واللذة والابتهاج الذى ليس من باب ما يخبر عنه ، ومن قصر عندهم عن ذلك ، بقى فى عالم العذاب ، والحجب والأوهام ، والظلمات والتغيرات ، إذ العذاب والآلام موضوعها الشفعية ، ولا تتم حقيقتها إلا بمعذب ومعذب وعذاب . فعلى قدر اشتمالها عليه ، وبعده عن المعرفة بالحق ، والتوحد به ، يكون عذابه وخلوده وخلاصه .

---

(١) ق : س (ثم يمكن إلا الغدير) . (٢) ق : ظ (وتظهر المعارف) .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .

قلت :

وظواهر الكثير من هذه الألفاظ ، توهم معارضة الشرائع ، وقال ابن الزبير : منشأ هذا الرأى على الاتحاد ، وقد تعين بطلانه ، وفضلاء نحلتهم يتراوغون عنه ، ويلفقون فى الخروج عن تحمله(١) ما يطول شرحه :

فإذا بدا فاعلم بأنك لسته　　كلا ولا أيضاً تكون سواه
شيئان ما اتحدا ولكن ههنا　　سر يضيق نطاقنا عما هو

ويعتقدون أن مقصود الشرائع ـ ومن عرف الله من أى طريق عرفه ـ إنما يرجع لهذا المعنى ، وأن كل دندنة قديمة أو حديثة ، إنما هى تحويم عليه ، وهذا الرأى قريب من رأى من قبلهم ، لولا تغاليه ، وأشانيع تتبعه ، وأقاويل سوفسطائية تلزمه . وقد حكى بشىء من هذه الأقوال عن قدمائهم من السوفسطائية والله يهدى إلى الحق ، ويرشد إلى قصد السبيل ، وهم محسوبون من المحبين ، فمن طمح إلى شىء وتهالك فى الوصول إليه ، وتأكد إليه ميله ، وفى التوحد به طمعه ، وعظم إليه اشتياقه ، فهو محب من غير نزاع . ميزانه فى المحبة راجح بزعمه ، فإنه متى تفرق أحب ربه ، ومتى اجتمع أحب ذاته ، فأحب ربه ، وأنشد :

أراك تحسس حول الحمى　　وتبحث فى الأرض أو فى السما
ومن حضرة فإلى حضرة　　فسائلها من هيا أو عما
أعد نظرة والتفاتا تجد　　حبيبك فيك ولكنما

---

(١) فى : ظ (عن جمله) وفى : س (عن حمله) .

الفن السادس
فى الصوفيه

ورقة :

قال المؤلف رحمه الله(١) : أما بيـــان أغراض الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فقد قررنا أنها أشهر وأبهر وأجلى وأظهر ، من توحيد الله والدعاء إليه ، وتبيين سبل النجاة ، وأن الأنبياء والرسل قد اندرجوا فى جمعية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، من غير تفرقة عندنا ولا خلاف « لا نفرق بين أحد من رسله » .

فالوحى كلام الله الواحد الأحد ، تنزل به الملك المخصوص بالرسالة والسفارة ، إلا ما غيره الظالمون ، وبدله الجاحدون ، فرسوله الخاتم المكمل العاقب الحاشر الماحى ، صلوات الله وسلامه عليه ، فقد نقل عن جميع أحواله ، من فعل أو قول أو إذن أو إقرار ، وتأدب سيره وأوصافه من جهة الخلق العظيم ، ورياضته ومجاهدته ، وتجليه فى الإسراء إلى حضرة قدس ربه ، وتجلياته التنزيلية الفرقانية ، بعده وقبله . وأحواله فى الرد إلى الخلق ، واتصال روحه المطهرة بالملأ الأعلى ، إلى حين اللحاق بهم ، وحفظه ، وارتباط مبادئه بغاياته . وعمران كل مقـام بما يجب لرتبته ، ولزومه مع الفوز والنجاة ، وكشف الغطاء خشية ربه ، وتورم قدميه فى موقف الشكر(٢) ، [١١٣ ب] لغافر ما تقدم وما تأخر من ذنبه .

(ثم) (٣) كان الناس من بعده على سبيله من العبادة ، ومجاهدة الظاهر والباطن ، والرياضة والتخلق بخلق القرآن ، ولم تزل تظهر عليهم النتائج من الكشف والفراسـة من غير انسام بنحلة ، ولا اختصاص بطريقة ، ولا انتساب إلى غير صحبة النبوة ، والاجتهاد فى الزهد والعبادة ، فكان

---

(١) فى : س ، ظ (رضى الله عنه) .

(٢) فى : ظ (من موقف الشكر) .   (٣) ساقطة س : ظ .

المشار إليهم بذلك حملة ، ثم من بعدهم أعلام دين ، وعلماء سنة ، مثل مالك والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأبي حنيفة ، وسفيان ، والحسن ، والليث والأوزاعي ، وطائفة يشق إحصاؤهم . كما قدمنا . وينقل عنهم من الزهد والعبادة والعمل على الآخرة ، ما يليق بمناصبهم من هداية الخلق . وتشييد أركان الدين ، وصون حرمات الله .

ثم اشتهر خواص من أهل السنة ، المراعين نفوسهم وأنفاسهم مع الله الحافظين قلوبهم من طوارق الغفلة ، باسم التصوف الخلق . ومنهم إبراهيم ابن أدهم ، والفضيل [بن عياض] ومعروف [الكرخي] ، وسري السقطي وبشر [الحافي] ، و [الحارث] المحاسبي ، وداود الطائي ، وشقيق البلخي و [أبو يزيد] طيفور البسطامي ، وسهل التستري ، و (أبو] سليمان الداراني ، و [يحيى] بن معاذ الرازي ، وأبو حامد البلخي ، وأبو تراب النخشبي ، وأحمد بن أبي الحواري ، والحداد ، وأبو بكر الشبلي ، وعسكر بن حصين ، وعبد الله بن المنتصر ، ومنصور بن عمار ، وأحمد عاصم ، وحمدون القصار ، وشيخ الطريقة أبو القاسم الجنيد ، و [أبو] سعيد النيسابوري ، وأبو الحسين النوري ، وأحمد بن يحيي الجلاء ، ورويم [البغدادي] ، وابن الفضل ، وأبو بكر الدقاق ، وعمر بن عثمان ، وسمنون ، وأبو عبد الله البسري ، وأبو الفوارس ، وأبو يوسف بن الحسن ، والترمذي ، وأبو بكر الوراق ، وأبو سعيد الخراز ، ومحمد بن إسماعيل المغربي ، وابن مسروق ، وعلى بن سهل ، و [أبو عثمان] الحريري ، وأحمد بن عطاء ، وإبراهيم الخواص ، وعبد الله القواف ، وبنان الحمال ، وأبو حمزة البغدادي ، وأبو بكر الواسطي ، وأبو الحسن ابن الصائغ ، وإبراهيم الرقي ، وممشاد الدينوري ، والحسين بن منصور [الحلاج] ، وخير النساج ، وأبو حمزة الخراساني ، وأبو محمد المرتعش ، وأبو علي الروذباري ، محمد بن منازل . وأبو علي بن عبد الوهاب ، وأبو الخير الأقطع ، وأبو بكر الكناني ،

واسحق النهرجورى ، وأبو الحسن المزين ، وأبو على بن الكاتب ، ومظفر القرميسينى ، وأبو بكر الأبهرى ، وأبو الحسن بن بنان ، وابراهيم ابن شيبان ، والحسن بن على ، وأبو سعيد [ابن] الأعرابى ، وأبو عمر الزجاجى ، وجعفر بن نصير ، وأبوالعباس السيارى ، وأبو بكر الدينورى ، وأبو محمد الرازى ، وإسماعيل بن محمد ، وأبو الحسن البوسنجى ، ومحمد بن حنيف ، وأبو الحسن بن بندار ، وأبو بكر الطمستانى ، وأبو العباس الدينورى ، وسعيد بن سلام ، وأبو القاسم النصراباذى ، وأبو الحسن الحصرى[١] .

هؤلاء أخص الخلق باسم المحبة ، إقناعاً لمن يرى أنهم من أهل البدايات ، ويسميهم بالصم[٢] والمحبه كذلك (جو) [٣] متسع ، ومقام رحت ونظراً لما ظهر عليهم من [١١٣ب] علامات المحبة ، فى المقامات والأحوال ، وهم سادة المسلمين ، وأهل الجنة تسليما فى تلك الطوائف .

نوالك مضمون لنـــا ونوالهم فشبث فيهم بالضمان ظنـــون
ولاشىء أهنى من هنى محصل ولـكن أغراض الرجال فنون

جلبنا ذكرهم لما جاء من قوله : « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » وتسكيبفا للنفس ، فإنها تنصبغ بألوان مايفيض فيها[٤] ، من ذكر المجان ، أو الشجان ، أو الصالحين . فذكر هؤلاء بركة مضمونة ، ونحن نجتزىء

---

(١) فى : ظ المصرى . والتعريف بهؤلاء الأعلام يأتى فى ملحق خاص فى آخر الـكتاب .

(٢) أى الذين لا يسمعون مكالمات الحق من العالم الأعلى ، ومع ذلك فهم صم عن لغط الحياة ومافيهامن تفرقة ، أماوصف هؤلاء الأعلام بأهل البدايات ففيه من التعنت الشيء الـكثير . ولعل لمن سماهم بهذا الإسم عذرا فى أنه يرى عظمة مقام المحبة ، ويرى أن هؤلاء لم يصلوا إليه ، وبكل أسف لم يطلعنا المنـكر عليهم على مدى معرفته بالمحبة ، ولا على مواجيد المحبين التى داقها ولم يذقها هؤلاء الأعلام المشهود لهم .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) على هامش : ظ توجد عبارة . . مطلب جايل . بخط فارس هو خط الناسخ .

من ذكر سيرهم وأخبارهم ، بكتاب الرسالة للقشيرى[١]، لفشوها وذياعها، وإنما أمعنا القول فيما يعز وجود مظنته ، أو يستطرف من نائلة ، ويذكر فى باب الأخبار عن المحبين بعض الحكايات عنهم . وعن غيرهم ، إن شاء الله ، وفقنا (٢) (الله) (٣) على آثارهم بالجملة من الأولياء ، والمشايخ آباء الرجال ، ومقتدحى زناد العباد ، ومقتعدى كراسى الهداية ، كأبى مدين ، وأبى أحمد ، وأبى العباس الرفاعى . وأبى الحسن الشاذلى ، وعبد القادر الكيلانى ، وأبى العباس المرسى ، وأبى محمد صالح[٤] .

والتابعون لهم بإحسان : ينقسمون إلى : مريدين ، وعباد ، وسالكين ، وذاكرين ، وصوفية ، وفقراء ، ومحققين .

فالمريدون : وبدايتهم عزم ، ونهايتهم صدق ، وهم ثلاثة :

مريد يريد الاستشراف على حقيقة مقامه فى قربه ، ومريد يريد الاستشراف على حقائق قلبه وإيمانه المكتوب فيه ، ومريد يريد الاستشراف(٥) على حقيقة نفسه ، ومعرفته بربه ، ومادام يريد التحقق(٦) (بالأعمال الصالحة ، فهو فى مقام الإسلام ، فإذا أراد التحقق) (٧) بالموعودات الغيبية ، فهو فى مقام الإيمان ، وإذا كان مطلوبه الرب ، كان فى مقام الإحسان .

والعباد : وبدايتهم أوراد ، ونهايتهم أنفاس .

والعابد لابد له من تحصيل أمور ثمانية ، منها ثلاثة راجعة إلى الاعتقاد،

---

(١) ق : ظ القشيرية . وهو أبو القاسم بن هوازن القشيرى ، وكتابه مشهور معروف ولم يتوسع فى ذكر الأخبار والسير كما ظن المؤلف ، فليس هـو بكتاب أخبار وسير ، بل تحدث بعد أن عرض طائفة من الصوفية عن المقامات ، ونقل بعض أقوالهم فيها .

(٢) ق : ظ وقفا .   (٣) ساقطة من : ظ .

(٤) التعريف بهؤلاء الأعلام يأتى فى الملحق آخر الكتاب .

(٥) ق : ظ الاستشراق فى الفقرة السابقة كلها .

(٦) فى الأصل ، ظ التحقيق .   (٧) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

مثل مايجب لمعبوده ، وما يجوز عليه ، وما يستحيل فى حقه . وخمسة فى الأحكام . وهى : معرفة الواجب ، والمندوب ، والحرام ، والمكروه ، والمباح(١) ، وما دام فى الحركات والسكنات ، فهو فى مقام الإسلام ، فإذا انتقل الى التصديق بالثواب والعقاب فهو فى مقام الإيمان ، فإذا انتقل إلى معرفة الرب فهو فى مقام الإحسان .

والسالكون : وبداية السالك ، التحقق بمقام الإسلام العلمى ، ونهايته التحقق بمقام الإحسان العملى .

والسالك إذا خلص عمله من الشوائب ، وكان عمله لمعمول له واحد ، كان فى مقام الإسلام . وإذا خلص عمله من الدعاوى فيه ، كان فى مقام الإيمان وإذا تخلص من التنويه (٢) ، كان فى مقام الإحسان .

والذاكرون : وبدايتهم أجور ، ونهايتهم حضور . وهم يستعملون فى طريقهم الأذكار مطلقاً ، وهى كثيرة كما تقدم ، من تعوذ ، وبسملة ، واستغفار ، وتصلية وتسليم ، وتقديس ، وتسبيح ، والباقيات الصالحات ، سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وقد جمعت أجناس الذكر المركب . (وتستعمل الأذكار فى المنازل المذكورة ، التى يسلك عليها) (٣) وهى منزل التوبة ، ومنزل الاستقامة ، ومنزل التقوى ، ومنزل [١١٤ ا] الإخلاص ، ومنزل الصدق ، ومنزل الطمأنينة ، ومنزل المراقبه ، ومنزل المشاهدة ، ومنزل المعرفة . وهى الأذكار الخمسة الاستغفار ، والتصلية ، والتهليل ، والتنزيه(٤) ،

---

(١) فى : س الواجب والمندوب والمباح والحرام والمكروه .

(٢) أى رؤية عابد ومعبود . بل يشهد العمل من الله تعالى ، مفاضا عليه من باب الجود والمنة .

(٣) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .

(٤) أى سبحان الله .

والإفراد(٢) ، فإذا كان الذاكر فى التوبة ، أخذ [فى] ذكر الاستغفار ، وعلامة التحقق به أن يجد نفسه محفوظاً اضطراراً . وإذا كان فى الاستقامة ، أخذ [فى] التصلية ، وعلامة التحقق بهذا المقام إدراك الصورة المحمدية على الدوام . والمنزل الثالث وهو التقوى ، وهو نتيجة هذين المنزلين . وإذا كان فى الإخلاص أخذ فى التهليل ، وعلامة التحقق به الخروج من رق الأغيار (١) . وإذا كان فى الصدق ، أخذ فى التسبيح . وعلامة التحقق به ، استواء ظاهره وباطنه ، وجميع تصرفاته . وإذا كان فى الطمأنينة ، وهى نتيجة هذين المنزلين ، أخذ فيه وفيما بعده من المنازل ، وهى المراقبة ، والمشاهدة ، والمعرفة ، والإفراد . والعلامه : أن يكون الذاكر المذكور ، والشاهد المشهود (٣) .

وما دام يذكر بلسانه ، فهو فى مقام الإسلام . فإذا انتقل لقلبه ، فهو فى مقام الإيمان . فإذا كان الذاكر هو المذكور ، فهو فى مقام الإحسان .

والصوفية : وبدايتهم تخلق ، ونهايتهم تحقق . ومادام فى التخلقات الجسمانية ، كحمل الأذى وكفه ، ووجود الراحة ، كان فى مقام الإسلام فإذا انتقل إلى الأخلاق الملكية ، من التقديس عن ضروريات الجسوم ، كان فى مقام الإيمان . فإذا اتصف بالنعوت الإلهية ، ففى مقام الإحسان .

والفقراء : وبدايتهم تجريد ، ونهايتهم تفريد . والفقير إذا تجرد من الملكات الدنيوية(٤) ، كان فى مقام الإسلام ، فإذا تجرد من الأخروية كان فى مقام الإيمان ، فإذا تجرد مما سوى الحق كان فى مقام الإحسان .

---

(١) أى ذكر الاسم المفرد . الله .

(٢) فى : س (عن رق الأغيار) .

(٣) يقصد بهذا التعبير فى كتب التصوف أن الإنسان فى مقام المراقبة تتولد عنده ملكة الذكر ، فيصدر عن قلبه ذكر الله دون قصد ولا إرادة منه ، فلا يعتبر ذاكرا بنفسه ، بل يصير ذاكرا بربه ، أى يصير مسيرا فى الذكر ، فالله هو مجرى الذكر على قلب عبده فارتفعت الإثنينية حقيقة وبقيت مجازا . (٤) فى : س (الدنياوية) .

والمحققون: وقالوا: المحقق هو الذى لا يحجبه مقام عن مقام، ولا منزل عن منزل، عند التنقل فى المنازل فهو الذى يعمر المنازل، جُمَلا وتفصيلا(١).

وبيوت الفقراء متعددة: يشق إحصاؤها، كبيت الشاذلية، وبيت الرفاعية، وبيت السعودية. وأشهرها اليوم بالأندلس، والبلاد المشرقية، بيت الشاذلية. ونحن نقدر سلوكهم على جهة المثال فنقول.

الطائفة الشاذلية: يسلكون بكلمة «لا إله إلا الله». وهى مركبة من نفى وإثبات، ومعناها: إفراد المعبود. والشرك: هو الاعتماد على غير الله، فمن اعتمد على غير الله، فى قليل أو كثير، فهو مشرك. إشراك لغة(٢). قال صلى الله عليه وسلم: «الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل» والشرك قليله وكثيره سواء، فأول ما اشتغلت به هذه الطائفة، التحقق بالتوحيد الذى هو لا إله إلا الله(٣). وأصنافهم فى السلوك بهذه الكلمة تسعة، الذين أفردوا الكلمة فى اللسان، بنفى فضول الكلام، إذ يرون أن خلط هذه الكلمة بفضول اللسان شرك فى اللسان. والذين أفردوا الخالق بنفى

---

(١) أى هو المتمكن فى التلوين. بمعنى أن يشهد المنازل والأحوال كلها، ولكنه لا ينفعل بها انفعالا يوقفه عن شهود غيرها، فهو جامع المقامات والأحوال والمنازل، وليس معنى هذا ألا ينفعل فى باطنه. سئل الجنيد: لم لا تتواجد الآن؟ فقال: «وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب» أى إن باطنه يموج بالانفعالات، وإن كان ساكنا فى الظاهر.

(٢) بل شرك حقيقى.

(٣) سلوك الشاذلية نزولى، بعكس سلوك الخلوتية، فهو صعودى. يبدأ الشاذلى سلوكه بمعرفة ربه، كما قالوا: «ها أنت وربك». فإذا أتقن ذوق الحضرات الإلهية، وصدور الأكوان عن حضرات الأسماء فى مقام الجمع، بدأ النزول إلى مقام الفرق على هدى ونور من معرفته الأولى، فيعود إلى الكون بعقل جديد، ووعى جديد. ولذلك كانت هذه الطائفة تظهر بمظهر العزة والجمال منذ أول قدم، أما الخلوتية فيبدأون من مقام العبودية بتجريد النفس عن نزواتها وشهواتها، ويسلكون على مقامات النفس الأمارة، ثم اللوامة، ثم الآمنة، ثم المطمئنة، وحينئذ يصلون إلى ما بدأ منه الشاذلية ولذلك تبدو عليهم مظاهر الذلة لله، ثم ينتهون إلى العزة وإلى مظهر الجمال.

المعين ، إذ إثباته من ملك أو غيره شرك . والذين أفردوا الرازق(١) بنفي الأسباب ، إذ الاعتماد على السبب فى الرزق شرك . والذين أفردوا الحى ، بنفى المواد ، فإن اعتماد الإنسان [١١٤ ب] فى حياته على المطاعم شرك ، والذين أفردوا المعبود ، فإن كل ما شغل عن الله فهو إله فى حق من شغله . والذين أفردوا الفاعل بنفى أفعال من سواه ، فإنه ادعاء العبد فى الأفعال ، وإضافتها إلى نفسه شرك . والذين أفردوا المشهود بنفى المشهودات معه ، فإن من أخذك عن مراقبة معبودك(٢) بحسنه ، فإنه شرك فى حقك . والذين أفردوا الموجود بنفى الموجودات معه ، فإن من أدعى أن مع الله موجودا قائما بنفسه فقد أشرك بالله . وبعد هذا مرتبة الفناء ، ولا يعبر عنه إلا بعد الخروج عنه .

وقد أتينا على ما شرطنا ، من تقرير ما أمكن من هذه الآراء ، وهم ما بين سابق بالخيرات ، ومقتصد ، وظالم لنفسه . وهم مع ذلك عشاق محبون ، وعلى آثار الحبيب مكبون ، وما كل طريق توصل ، ولا كل تجارة على الربح تحصل ، ومن العشاق مهجور ومطرود(٣) ، وموصول وموعود ومغبوط ومحسود ، ومحروم ومجدود ، ومرجوم(٤) ومودود .

يا غايتى ولكل شىء غاية والحب فيه تأخر وتقدم
قل لى بأى وسيلة يحظى بما يرجوه غيرى من رضاك وأحرم

ورقة :

والكل دائرة مفروضة ، وهاله حول قمر الحق معروضة ، تعود الحظوظ من محيطها المتبدد(٥) إلى مركزها المحدد ، فالفيلسوف يروم التشبه بالعلة الأولى ، ويعنى بها ذات الحق ، وأن يتحد بالثانية ، وهى مرآة وجه

---

(١) فى : ظ ، س (الرزاق) .
(٢) فى : س (عن مراقبة مفردك) .
(٣) فى : س (مطرود ومهجور) .
(٤) فى : ظ (ومرحوم) .
(٥) فى : ظ ، س (المسدد) .

الحق . والإشراق يروم التجوهر بنور الأنوار ، المعبر عنه بالحق ، والاتصال به ، إما بواسطة من الحق، أو بغير واسطة من الحق . والحكيم [يروم] أن يؤدى فكره إلى الحق ، ثم يفنى فى الحق ، ثم يبقى بالحق . والمتشرع [يروم] أن يحل فى جنة الحق ، ويحصل على جوار الحق . وينظر إلى وجه الحق . وصاحب الوحدة المطلقة [يروم] . أن يكون المتفرق عين الحق ، فسبحان الحق المحبوب بالحق . الموجود الجمع فى الفرق لا إله إلا هو .

وزبدة هذا المخض الذى كثر فيه الدعداع(١)، وطال على الرؤس به الصداع(٢) ، ما نفرد له المقالة المختصرة ، والغاية الميسرة ، بحول من لاحول ولا قوة إلا به .

---

(١) ق : ط (الذى كثر فى قربه) .
(٢) ق : س (منه الصداع) .

خاتمـــــــة

تشتمل على إشارات ، وتختال من الحق فى شارات

قال بعض من يطأ بمطية السلوك حمى الملوك ، وينفض زوايا الغيوب عن المطلوب ، يبصر بصائر القلوب : شهدت أصناف المحبين والعشاق ، على اختلاف البلاد ، وتباين الآفاق . لا أدرى أقال كشفا أو شهودا ، أو فرضا أو وجودا ، أو يقظة أو هجودا . وقد ركضوا مطايا الأشواق ، وضربوا آباطها بعصى المشارب والأذواق ، وتزودوا أزواد الحقائق ، وودعوا أحباب العوائد والعلائق واستسهلوا(١) فى المحبوب اعتراض العوائق ، وتفاضلوا فى اجتياز الجواد واقتحام المضايق ، والطرق إلى الله عدد أنفاس الخلائق ، فمن خابط عشوا ، (وهاوى(٢)) مسقط أهوى ، يقول :

ياليتنى أوقـد النـــارا إن من يهواك قد حارا

فيجيبه الصدا :

ومن طلب الوصول لدار ليلى بغير طريقها وقع الضـــلال

ومُنبتٌ بحيث لا يبدو عَـلم ، ولا يُقتَصُّ خف ولا قدم ، فى مفازة وجود من حلها عدم ، وهو يصيح :

بأبى وأمى والذى ملـكت يدى أهوى الذى يهدى الطريق اللاحيا

ثم يقول :

ولقد سريت إليك لـكن حين لم تـكن الدليل اختل قصد السالك

ومن طاو نفد زاده ، وفرغ مزاده ، قد استسلم وعجز أن يتـكلم ، ولسان حاله ينشد :

---

(١) فى جميع الأصول : (وتساهلوا) .

(٢) ساقط من : س .

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

وراكض يقطع الدوّ ، ويعرف الجو، يثبت الأعلام الخافية ، ويقصد الموارد الصافية ، والظلال الضافية ، حاديه أمله ، ودليله عليه(١). والراحلة عمله ، ينشد بأعلى صوته :

قرب الرحيل فكيف لاترتاح للقاء سكان الحمى الأرواح

وفريق(٢) يركض البريد ، ويصحب التفريد ، بلغ الطية ، وأناخ المطية ، قبل وصول الرفعة البطية :

سرى سلخ شهر فى براق خلو بَـه فلله ما أنآى سراه وما أدنى

فلو طلعت عليهم لوليت منهم فرار ولملئت منهم رعبا ، وقلت (٣) :

نهضوا وقد جن الدجى وتخالفت سبل السرى فسددون وضُلّل

سلنى عن المنبت حين تقطعت أسبابه فيها ولا من يسأل

قوم سطت بهم السباع وفرقه عطشوا وأين من الظماء المنهل

لفح الهجير وجوههم بزفيره(٤) فتصافقوا بيلالة وتعللوا

وجماعة ركبوا المفاوز ربما عثروا على أثر فشط المنزل

وركائب جعلوا الدليل أمامهم وسروا ففازوا(٥) بالذى قد أملوا

والليل متلفة(٦)ومدرجة الهوى لا تستقل بها المطى الذُّلل

والواصلون هم القليل وكيف لا قفر ومسبعة وليل أليل

يا رحمة للعاشقين تقحموا خطر السرى وعلى الشدائد عولوا

طارت بهم أشواقهم فعقولهم معقولة عن شأنها لا تعقل

عذرا لكم يا أهل عذرة شأنكم سلمت فيه لكم فقولوا وافعلوا

---

(١) فى : ظ (عمله) .
(٢) فى س ، ظ وفرايق تحريف .
(٣) فى ظ ، س: (وقال المصنف رضى الله عنه) .
(٤) فى : ظ ؛ س (بسعيره) .
(٥) فى : س (فعاذوا) .
(٦) فى الأصل (والليك ملتفت) .

حتى إذا خرجوا إلى فضاء القدر المشترك ، وأفلت من أفلت من الشرك ، وسلم فى قتيل المعترك ، وأشرفوا بركائب الآمال ، على ثنية الجمال ، زعقوا بإزاء الباب ، ونادوا من وراء الحجاب :

كل كنى عن شوقه بلغاته ولربما أبكى الفصيح الأعجم

وأوصلوا رقاع شكواهم ، بسرائر هواهم ، وبرزوا صفا ، واستظهروا بشفعائهم التى ظنوا أنها لا تخفى ، ما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى . وقد تعينت الأوصاف وتميزت ، وانتبذت الأصناف وتحيزت ، والعشاق نجت ، وسلست من علمت .

منهم الصفوة والمجان والخرافيش[1] والبهلوان ، ممن يعول على ذراعه (وقراعه ، وملاكمته وصُراعه)[2] ، وطول باعه ، وصلابة طباعه ، وسلاطة لسانه ، وامتزاج إساءته بإحسانه ، شأنه البحث عن المحبوب ، مع الشروق[3] والغروب ، والتوسل إلى وصلة المطلوب ، بالحركة الشوقية[4] واللفظ الخلوب .

ومن اتسم [١١٥ا] بإذاعة الأسرار ، وصحبة الشرار ، واللسان المهذار حسب من الأغيار .

ومنهم بداة ، ليس لهم إلى المنادمة أداة ، تعذر عليهم تمييز المحبوب فغلطوا ، وعطفوا[5] على تنزيهه فأفرطوا :

ربما ضر عاشق معشوقاً ومن البر ما يكون عقوقاً

وغلبت على سجيتهم السلامة ، ولم تنلهم لعدم الموصل والمعرف[6] الملامة ، وليس للقبول عليهم علامة .

---

(١) فى : ظ (والمراقيس).
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ.
(٣) فى الأصل (مع الأفول والغروب) .
(٤) فى : ظ ، س (بالحركة الرشيقة) .
(٥) فى . س (وعكفوا) .
(٦) فى : س (والمقرب) .

ومنهم من شعاره الحشمة ، ولزيمه العفاف والعصمة ، أولو الحيا والوقار ، والكتم للأسرار ، ومخالطة الأبرار ، والتوسل إلى المحبوب بالافتقار ، وصفاء الضمائر من الأكدار ، لاتخالجهم (١) الشواغل ، ولايطرق شرابهم الواغل ، أغنتهم الشواهد عن الدعوى ، وأصمتهم الرضى عن الشكوى ، وتقسمت معاملتهم الآداب ، وصح منهم إلى مراتب المراقبة الانتداب ، والناقد بصير ، وكلام النيات قصير .

ومنهم مغلوب الحال ، المحمول من فوق الرحال ، رقص وشطح ، وسكر فافتضح ، فهو أبلج الرفقة (٢) وملسوع الخرقة (٣) دعنى دعنى وعندى أخ فإنه يضحكنى سبع مرات فى اليوم .

ومنهم من لم يأخذه نعت ، ولا تعين له فوق ولا تحت ، ولا حمد ولا مقت ، ولا حال ولا وقت ، لو نطق لقال : أنا المعدوم الموجود ، والشاهد المشهود : « ألا بعد المدين كما بعدت ثمود » .

قضى وصلها لى وابتلاكم بحبها وهل يأخذ الإنسان غير نصيبه

ولم يكن إلا أن خرجت الرقاع ، وفصلت البقاع ، ووفيت كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون . فكان فى رقعة طائفة .(٤)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء » . قلدتم العقل وله طور ، ورأيتم الحركات لا يتناهى لها دور ، وعالم الجزئيات لا يسبر له غور ، وحور المعاد فى بعض الفروض لا يكون له كور ، ويا شر ما أصبحتم فى المبدأ الأول تعتقدونه ، إن جعلتم التصرف فى عالم الملك(٥) لمن دونه ، قفوا مكانكم ، ولوموا إمكانكم ، وآسوا شأنكم .

---

(١) فى : س (لا تختلجهم) .

(٢) فى جميع الأصول (فهو يلج الرفقة) والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٣) فى الأصل (وملسوع الحرقة) .

(٤) فى الأصل ، ظ . فكان فى أخرى . (٥) فى : ظ . عالم الملك .

وكان فى أخرى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ». أساطين الحكمة المشرقية ، وفراش الأنوار الخفية ، دعونا من الاستكثار للأنوار(١)، واحتشاد الحق نور إرشاد ، لايعين حسن(٢) ذاته ، إلا من ركب ظهر افتيانه ، فارفعوا الكلف ، واجروا مجرى من تقدم وسلف . وكان فى رقعة (٣) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم(٤)». لم تتركوا البراهين على أصلها ، ولا نا سبتم جنس هذه الموضوعات بفصلها (٥) ، وآثرتم(٦) شغبا طويلا ، وأوسعتم المتشابه تأويلا ، ولم تعتمدوا من العقل دليلا ، ولا وقفتم فى مجاراة العقول قليلا ، وهولتم باصطلاح غيركم تهويلا ، وادعيتم الشهود ، ولم يجعل الله (فى الاحتجاج به) (٧) إلا للأنبياء سبيلا ، وبنيتم على قياس ونظر ، من غير عين للعقل (والنقل) (٧) ولا أثر :

رب خل أدار فى إعتقاداً لم أكن قبله عرفت بفنه
حكمت نفسه على علم غيب (٩) جعل الله باطنى عند ظنه

وعسى أن تكونوا ممن أخطأ (باجتهاده) (١٠) فأثيب ، واستغفر فسمع لا تثريب(١١) ، فثمرتكم صحيحة ، والمقاصد من التبعية مريحة ،

---

(١) فى : س من استكثار الأنوار . (٢) فى : س لا يسبق جنس ذاته .
(٣) فى : ظ ، س (وكان فى أخرى) .
(٤) فى : ظ ، س (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) .
(٥) فى : ظ. بفضلها . تصحيف.
(٦) فى : ظ س . ولزمتم .
(٧) ما بين الحاصرتين : ساقط من الأصل ، وزيد من . ظ .
(٨) ساقطة من الأصل ، ظ .
(٩) فى : س. على علم غيبى .
(١٠) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .
(١١) فى : ظ لا تثريب عليكم اليوم . ولم يثبت الزيادة رعاية للفواصل ، جريا على أسلوب المؤلف .

(إذا كانت صريحة) (١) ، ولولا الافتيات لوضحت لكم فى ميدان السبق الشيات (٢) لكن شأنكم الهذيان ، وقلبت منكم بضعفائكم المتأخرين الأعيان ، كابن قسى وابن واطيل ، وابن برجان ، فتبرأوا من أتباعكم المطيفة ، وخرابتكم المخيفة ، وأخلصوا فعل الأنصار (٣) يوم قتال بنى حنيفة ، وحبذا الحكيم (٤) المقتدى ، ومن يهدى الله فهو المهتدى ، واليحوا (٥) الألسن عن طلاقتها (وذلاقتها) (٦) ولا تكلفوا العقول فوق طاقتها ، فلابد من توقيف وتسليم ، وفوق كل ذى علم عليم . وإذا اجتمعتم فاثبتوا ، أو نطق الناس فاسكتوا ، ولا ترضوا أن تكبتوا (٧) مع الذين كبتوا ، ولكم الحظ الأسنى (٨) ، والوصل الأهنى (٩) . وكان فى أخرى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين . ما خلقناهما إلا بالحق ، ذهب بوجودكم العدم ، وابتلع حدوثكم القدم ، ورضيتم بالإسراف فى الاستشراف ، والتوغل لزعيم الانحراف ، ومن جعل الحس وهما ، فقد كابر العيان ظلما ، والعقل الذى غلطتم (١٠) هو آلة حكمكم ، وأداة علمكم ، والعوالم أوثق من أن تكون تمويه راقش ، والوجود المطلق أبسط من أن يصير أبابراقش ثم مالكم والتبجح والتشيع ، والتقعب والتقبيع ، ولم يغن العراك ، ووقع ثمركم الإشراك (١١) ، فالفيلسوف يتحد بالعلة القريبة من الحق ، ثم يتلاشى فى ذات الحق ، والحكيم يجوز إلى عين الحق رتبة الفناء (والمحق) (١٢) والمتشرع قد عضده ونصره ، كنت سمعه وبصره ، وإن كان معظم القول هدر ، ففيكم بُعدَ نظر .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٢) فى ظ : (فى ميدان السبق لكم والشتات) .

(٣) فى : ظ الإنصاف .

(٤) فى : س الحكم .

(٥) فى : ظ وأكفوا الألسن .

(٦) ساقطة من : ظ .

(٧) فى : ظ تكتموا .

(٨) وظ السنى .

(٩) فى الأصل والوصل المبنى .

(١٠) فى : ظ الذى عظتم .

(١١) فى : ظ ، س فى ثمرتكم الاشتراك .

(١٢) ساقطة من : س والمحق فناء وجود العبد فى ذات الحق [تعريفات الجرجانى ١٣٩]

وكان فى أخرى (١) : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » . أنتم الأحباب ، ولكم تفتح من الجنان الأبواب ، ركبتم ظهور الأعمال ، وركب غيركم طيور الآمال (٢) ، وفزتم بسحب الأذيال ، ومن دونكم يحرك عناكيب الخيال ، فبدايتكم الأساس الوثيق ، الذى يبنى عليه التحقيق ، ونهايتكم إليها ينتهى الطريق ، وبها يحط فريق الله ونعم الفريق . أولكم المهذب المدرب ، وأوسطكم المفرد (٣) المغرب ، وآخركم الولى المقرب ، حضرتم بذكر محبوبكم حتى غبتم ، فهنيئاً لكم طبتم ، حواس مسدودة ، وخيوط أفكار ممدودة ، ومشاهد مشهوره ، ومخلطات تتجاوز أحراسها ، وقواطع معترضة تحط أمراسها ، إلى ألا توجد تقية ، ولا تبقى بقية عند تجلى المعالم الحقية ، لو اشتمل العلم على عملكم لكان الكل من هملكم ، بحيث تتعين المراتب وتتحيز ، وتتقرب المشارب وتتميز ، فلا يعترض من قاطع إلا وقد علم شأنه ، وتعين وقته وأوانه (٤) ، ولا تمثل غاية ، إلا ودرجها محدودة ، ومداخلها محدودة . ومشاهدها قبل دخول [١٠٥ب] الطريق مشهودة ، فهنالك تطوى المراحل ، ويلوح فى اللمحة القريبة الساحل . (ويأمن من طول الطريق الواصل) (٥) وكان فى رقعة المحببين الذين قربوا قبل هذا اليوم ، وأدخلوا ، من بعدما تخيروا للاصطفاء ونخلوا . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » أنتم الأحباب ، واللباب ، وبواسطتكم اتصلت بين النفوس وبين الحق

---

(١) لعل هذا ما وعد بن المؤلف فى أوائل الغصن الثانى .

(٢) فى : ظ ، س ظهور الآمال.

(٣) المفرد قد يكون حقيقيا ، وقد يكون اعتباريا ، وقد يقع على جميع الأجناس ، والواحد لا يقع إلا على الواحد الحقيقى [تعريفات الجرجانى ١٥٣) .

(٤) فى : ظ ومكانه .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ.

الأسباب ، ولولا كم لم يفتح البـاب ، فلا يصل إلا من واصلتم ، ولا يحجب إلا من قطعتم وفصلتم ، أنتم الدعاة والخلق الهمل ، وأنتم الرعاة مهدت لـكم سرر القرب تمهيداً ، وبعثتم إلى الناس ليوحدوا الله توحيداً ، ولتـكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليـكم شهيداً، فطوبى لمن أصاخ منـكم إلى ندا ، أو استضاء بنور هدى ، وصلوات الله عليـكم أبداً ، أنتم أولو الألوية المعقودة . والعساكر المحشورة المحشودة ، ورؤساء أهل المحبة ، وأدلاء مبتغى الوسيلة والقربة ، ومسالـكـكم قد بينتها الصحف المنزلة ، والملائكة المرسلة ، ودخلت على العذارى خدورها، وعمت السماء بدورها ، وأغنت عن تقرير نحلها المـكاتب المائجة بالصبيان ، والسنن المعقود لها حلق البيان(١) ، والقواعد المفترضة على الأعيان ، والخزائن المرصوصة بعلوم الأديان ، اليوم أكملت لـكم دينـكم وأتممت عليـكم نعمتى ورضيت لـكم الإسلام دينا ، وقيل لأتباعهم من الجمهور ، وأقطاب فلـكهم المشهور : على قدر أتباعـكم ، مناقل أبو اعـكم ، وبقدر اقتدائـكم (٢) ، يكون سماع ندائـكم ، والمهاد لمن وثره ، ومن يعمل مثقال ذره خيراً يره . وتأخيركم فى هذا التوقيع هو التقـديم ، وساقى القـوم آخرهم شرباً مثل قديم .

قال المخبر : فرأيت وجوه قوم قد تهللت ، ونواسم المسرات نحوهم قد أقبلت ، ومن سواهم من خالص وزائف ، بين راج وخائف ، وسمعت أن طائفة استدعيت بحثٍ حثى ، وأدخلت من باب خفى ، قيل لى : هم أصحـاب الجزاء المـكتوم ، وأرباب المقام غير المعلوم ، جعلنا الله منهم برحمته .

فلولا الحب ماقطعوا الفيـافى ولولا الحب ماركبوا البحارا
فدعهم والذى ركبوا إليـه وبحثا عن خلاصك واختياراً
ولا تشغل بحب ديار ليلى ولـكن حب من سكن الديارا

---

(١) ى : ظ المعقودة لها بحلق البيان .

(٢) ى : س وبحسب اقتدائكم .

الغصن الثـــــالث
فى علامات المحبة

وشواهد (دعوى) (١) النفوس الصبة :

قال (المؤلف رحمه الله)(٢): من الذائع أن شيئين أبيا إلا أن يخرجا (٣) أعناقهما : الدراهم ، والمحبة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أسر سريرة ألبسه الله رداءها » . (وقال الشاعر :)(٢) .

وكم كتمت وأسررت الهوى زمنا   بين الجوانح حتى خانني جلدى
وشيمة النفس إن أخفت سريرتها   بدت شواهدها يوما على الجسد

وقال :

(دلائل الحب لاتخفى على أحد   كحامل المسك لايخفى إذاعبقا) (٥)

فالمحبة دعوى ، مالم يقم دليل لم يثبت بمجردها حق ، فنحن نذكر الدلائل والعلامات . ومنها ذاتية للمحبة ، ولازمة لها . كالرضى بفعل المحبوب ، والشوق إليه ، والوجدية ، والخوف والرجاء المتعاورين فيه ، والغيرة ، والهيبة ، والتعظيم ، والقبض والبسط ، وإدامة ذكر المحبوب . وسائر العلامات عرضية ، تتفاضل وتقل وتكثر ، وتصحب أو تندر . ورأينا أن نجلب (٦) هذه العلامات من كسوة الشجرة ، ومزاين أغصانها (٧) المعتبرة . على أن كل مايذكر فيها من بعد ما أخذت غصون المحبة حقها ، وبينت المعرفة طرقها ، إنما هو خيال لا صورة ، وكمال لاضرورة ، وأن الذى تقدم ذكره

(١) ساقطة من : س .
(٢) ساقطة من : ظ .
(٣) فى : ظ أبيا ألا يخرجا أعناقها . تحريف .
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .
(٥) البيت كله ساقط من : ظ ، س .
(٦) فى ط ، س أن جلب هذه العلامات .
(٧) فى : س ومدائن أغصانها .

فاكهة طبق ، وهذا غطاء حبق. وكثير (ما)(١) بين المشموم والمطعوم ، والأرواح والجسوم ، والساكن والمبنى ، واللفظ والمعنى . وهذا الغصن ينقسم إلى ثلاثة فروع : أولها يرجع لحقوق المحبوب ، والثانى يرجع إلى باطن المحب ، والثالث : يرجع إلى ظاهر المحب .

الفن الأول (٢) من الغصن الثالث

فيما يرجع إلى حقوق المحبوب

وذلك كمثل حب حبيبه ، وعداوة عدوه ، والرضى بجميع أفعاله مع المحب ، ومراقبته وتعظيمه ، وتهيبه وطاعته ، ودوام ذكره ، والعناية بأسمائه ، وصفاته .

ورقة :

حب حبيب الحبيب ومعاداة عدوه . قال السدى : ليس من أعلام المحبة أن تحب من يبغضه حبيبك ، أو تبغض من يحبه . فهو أقوى شواهد المخالفة ، وأدل دلائل عدم الموافقة . وقد تقدم فى حدود المحبة حصول المحب على العوض من أوصاف المحبوب . فإذا كان يتصف بصفاته ، ويرمى بصفات ذاته ، فقد اتصف بحب من أحبه ، وبالعكس . ولهذا كان حبيب المحبوب ، وسيلة إليه (٣). حسبما أشار إليه الشاعر :

---

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٢) ى : ظ ، زيدت عبارة من الغصن الأول خطأ .

(٣) ولذلك كان التوسل بالصالحين إلى الله جائزا فى حصول المحبة للمتوسل ، ببركة المتوسل به ، ومنزلته عند ربه ، وليس فى الأمر شرك كما يتوهم بعض المتعنتين ، فالمتوسل يتوسل إلى الله لا إلى شىء آخر ، أما قياس المتوسلين من الصوفية على الذين قالوا : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » فهو قياس باطل . إذا أن الصوفى لا يعبد المتوسل به ، كما كان يفعل المشركون ، فالمشرك أنكر وجود الله واعتز بأوثان ، بعكس الصوفى .

بعدت همة عين طمعت فى أن تراكا
أو ما يكفى لعينى جعلت نفسى فداكا
أن ترى من قد رآى من رآى من قدرآكا (١)

(وقال الآخر ، وأحسن فى المبالغة :

رآى المجنون فى البيداء ذئباً فجر له من الإحسان ذيلا
(فلاموه على ما كان منه وقالوا لم منحت الذئب نيلا
فقال لهم دعونى إن عينى رأته مرة فى حى ليلى) (٢)

وقال الآخر :

أدعوك يارب مضطراً على ثقة فما وعدت(٣) به المضطر يدعوكا
حان الرحيل وماأعددت من عمل إلا محبـــة أقوام أحبوكا(٤)

وكأنه نظم معنى قوله : [صلى الله عليه وسلم] ما أعددت لها؟ قال : ما أعددت لها كبير صوم ولا صلاة(٥) إلا محبة الله ورسوله. فقال : المرء مع من أحب.

فمن علامة محبة الله ، محبة كل من أحبه الله ، ومن اختصه الله وقربه ، أو نص كتابه على محبته إياه ، من ملك ونبى ، ورسول وولى ، ومؤمن وتائب ، ومتطهر ومحسن ومجاهد . ومثلهم ممن أشاد بمزيته ، وفضل منزلته.

وتتفاضل الوسيلة [١١٦ ا] بحسب منزلة المحبوب الثانى من الحبيب الأول . فلا وسيلة إذاً أعظم ولا أنجح ، من حب حبيب الله ، نبينا الكريم محمد ، عليه صلوات الله وبركاته ورحمته ، والشوق إليه ، فهو معنى الكمال ، وسر الطبيعة ، وحسنة الأدوار ، ونتيجة الدهر ، وأسوة الرسل(٦).

---

(١) الشطر الثانى فى : ظ ، س هكذا ، من قدرآى من قدرآكا . وهو مخالف للوزن.
(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ ، س.
(٣) فى : س : مما وعدت .
(٤) فى : ظ إلا سوى محبة أقدام أحبوكا . خطأ .
(٥) فى : ظ . صلاة ولا صيام .
(٦) فى : ظ . وأسوة المثل .

ومن إليه ينتهى فضل الإنسان الناطق ، وتدبيره كمال الإنسانية : (وحقيقته مادة لحقائق الأنبياء ، وكماله تفصيل إجمال التجلى .) (١) ووجوده علة الوجود الثانى . ورحم الله شيخنا « أبا محمد بن أبى المجد » إذ يقول :

ألا يا محب المصطفى زد صبابة ... وضمخ لسان الذكر منه بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فإنما ... علامة حب الله حب حبيبه (٢)

(ودواعى حبه تجل عن الشرح ، وشمس النهار غنية عن المدح) (٣) وفضله صلى الله عليه وسلم ، واستحقاقه المحبة والتعظيم والتوقير جلى لا يفسر . وقد تضمن كتاب الشفاء (٤) من ذلك مالا إطراف بإعادته ، من حيث الخوارق والمعجزات الشواهد ، والاستيلاء على أقصى مكارم الأخلاق ، وانسحاب العصمة ، ولا شاهد بالفضل ككتاب الله ، من إخباره بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب : « عفى الله عنك لم أذنت لهم » ، وتقديم ذكره على الأنبياء مع التأخر عنهم فى الزمان : « ومنك ومن نوح » ، وإخباره بتمنى أهل النار طاعته : « ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » ، وهذا بحر لا ينفد ، وقطر لا يعد ، (٥) ، والذى يليق بهذا المحل أن يقال : إن أسباب المحبة قد اجتمعت فيه ، أما حب الوجود ، وكمال الوجود ، وهو الحب العام ، وعلاقات النفوس من أجله . فالوجود الحقيق وهو الارتسام بصورة الإيمان ، لم يحصل إلا به ، ولا استفيد إلا منه . قيل لبعضهم : لم تحب معلمك أكثر من حبك لأبيك ؟ فقال : أبى سبب حياتى الفانية ، ومعلمى سبب حياتى الباقية . قال سهل بن عبد الله ، فى قوله : « لهم قدم صدق عند ربهم » . هو مقام لا يناله إلا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وتناله أمته بسببه .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٢) أنظر فى موضوع التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم (شفاء السقام للتقى السبكى ، والصواعق المحرقة للشيخ سليمان بن عبد الوهاب شقيق محمد بن عبد الوهاب) .

(٣) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .

(٤) « الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى » للقاضى عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى .

(٥) فى : س وقطر ممتد .

(وأما حب)(١) النوال ، فإحسانه بالهداية ، ثم بحيطة السياسة ، ثم بعلاج الخلق النافع فى الدنيا والآخرة ، ثم بعموم الشفاعة : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .

وأما حب الجمال ، فلم يكن أحد أجمل ظاهرا منه ، ولم لا ؟ أو مزاجه العنصرى ، وآلات نفسه الفذة كرسى لنور الله ، الذى أشرق على الوجود بوساطته ، وجمال باطنه من الخلق العظيم ، يكفى (فيه) (٢) ثناء الله فى محكم وحيه .

وأما حب المناسبة ، فأى مناسبة أعظم من الإيمان الذى أضاء (مشاكى القلوب من) (٣) مشكاة قلبه الوحدانى الاعتدالى ، فمن كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان (فقد ناسبه بذلك ، وأدركته بذلك القدر المشترك عناية المناسبة ، وبركة المشاركة . أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان) (٤) أو مثقال [١١٦ ب] خردلة ، فوجبت بكل اعتبار ، وثبتت من كل وجه .

ومحبته على أنحاء . قيل معناها (اتباعه)(٥) : « إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » . وقيل : اعتقاد نصره ، والذب عن سنته ، واجتناب مخالفته ، والانقياد لأمره . وقيل : دوام ذكره . وقيل: إيثاره . وقيل: الشوق إليه. وقيل: وجوب مناصحته «إذا نصحوا لله ورسوله» وقيل: توقيره وتعظيمه : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » . وقيل: احترام أهل بيته : « [قل لا أسألكم عليه أجرا] إلا المودة فى القربى » وقيل:رعاية أزواجه : « وأزواجه أمهاتهم» .وقيل :الصلاة عليه : « صلوا

---

(١) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .

(٢) ساقطة من : ظ .

(٣) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٥) ساقطة من : ظ ، س .

عليه وسلموا تسليما » . وقيل : زيارة قبره (١) . قلت : وجمعك بين الحالتين عجيب ، ويرحم الله المؤرخ الرحال أبا الحسن بن سعيد ، من أهل بلدنا . أخبر : أنه لما دخل على صاحب حلب ، وأنشده قصيدته التى أولها :

هب لى بما ألق الخيال من الكرى لابد للطيف الملم من القرى

استظرف تنكيته ، واستطرفه ، ولقبه على عادتهم ، وقال له يداعبه : نحن نعطى خدامنا إذا لقبناهم ، أو سمينا أبناءهم . فاختر إما صلة الشعراء والضيافة التى أشرت إليها ، أو رسم التسمية . فقال له : ياخوند . المملوك مغربى أكول (٢) . ما هو ممن يختنق بعشر لقم ، فكيف بثلاث . فأمر له بالثلاثة (٣) رسوم ، وقربه .

ونحن نستعين الله على ماذكره ، ونمد إليه إلى مزيد من أسباب حبه ، ودواعى تعظيمه ، خلصنا الله برحمته وهدايته ، أو بشفاعته ، والجمع الذى ذهبت عينه بأعيان الفرق ، أتى على الوادى فطم القرى ، قوله الحق : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » . « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » . ويلحق بمحبته من أجل الله ومن أجله ، محبة أصحابه وخلفائه وأهل بيته ومحبيه ، والتحاب فيه . وقد ورد فى ذلك كله من الأحاديث الصحيحة ماهو مشهور ، وما عسى أن يبلغ الوصف ، أو يو فى المدح ، فى ذكر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ويرحم الله الشاعر :

إذا رمت مدح المصطفى شغفا به تبلد ذهنى هيبة لمقامه
فأقطع ليلى ساهر الجفن مطرقاً هوى فيه أحلى من لذيذ منامه
إذا قال فيه الله جل جلاله رءوف رحيم فى سياق كلامه

---

(١) هذا الباب واسع المدى ، وأحسن ما كتب فيه . أنظر (الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى ، للقاضى عياض وشرحه للملا على القارى ، وشرحه الآخر : نسيم الرياض للخفاجى) . ومن أحسن ما كتب فى فضل الصلاة عليه ، صلى الله عليه وسلم . أنظر (القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع . للسخاوى ، والنفحات الأقدسية ، فى شرح الصلوات الإدريسية للعطار) .

(٢) فى : س مغربى الدار ماهو .   (٣) تسمية أبنائه وتلقيبه وصلته .

فمن ذا يجارى الوحى والوحى معجز ... بمُختلفيــه نثره ونظامه

وقلت من قصيدة طويلة(١)

واخجلتا من حلبة الفكر التى ... أغريتها(٢) بغرامى المشروح
قصرت خطاها بعد ما ضمّرتها ... من كل موفور الجمام جموح
مدحتك آيات الكتاب فما عسى ... يثنى على علياك نظم مديحى
وإذا كتاب الله أثنى مفصحا ... كان القصور قصار كل فصيح

ونختم هذا الفصل بقول الشاعر :

أيارب بلغ (من) (٣) سلامى زاكيا(٤) ... يفوق(٥) فتيت المسك فى طيب(٦) نشره
إلى السيد المختار من آل هاشم ... وأكرم من يُومى الجلال لفخره(٧)
إلى السر سر الله فى خلق آدم ... إلى خير من أوحى له روح أمره(٨) [١١٧ أ]
إلى النور نور الله فاض فأشرقت ... به عزتا شمس الإله وبدره
إلى جوهر المجد الذى راق نظمه ... إلى أن توارى طى أصداف قبره

قال المؤلف رحمه الله : وأما عداوة العدو ، وبغضة البغيض ، فلازم منه ما لزم من ضده مع اختلاف قصده . قال الله عز وجل : (« يا أيها الذين

---

(١) فى : ظ . وقال المؤلف من قصيدة طويلة .
(٢) فى : س . أبديتها .
(٣) ساقطة من : ظ .
(٤) فى : ظ ، س . عاطرا .
(٥) فى : ظ يفوت .
(٦) فى : ظ ، س ، فى : طى نشره .
(٧) فى : ظ بفجره .
(٨) فى : ظ ، س : جاء هذا البيت مؤخرا عن الذى يليه .

آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء » .)(١) وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ». وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم » . وقال بعض العراقيين : ألطف آية فى كتاب الله : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » . (٢) قال الشاعر (٣) :

(صديق من يعادى من أعادى   ويرمى بالعداوة من رمانى) (٤)

وقال الآخر :

تود عدوى ثم تزعم أننى   صديقك إن الرأى منك لعازب
وليس أخى من ودّنى رأى عينه   ولكن أخى من ودنى وهو غائب

وقال الآخر :

إنما المخلص عندى   فى ولائى ووادادى
من يوالى من أوالى   ويعادى من أعادى

وقال الآخر :

عدو لمن عادت وسلم لسلمها   ومن قريب ليلى أحب وقربا

وقد أخذ هذا الفصل مأخذه ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ؛ (سبحانه) (٥) .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .

(٢) وتجوز مداراة العدو قياسا على ما حدث من النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ طرق بأبه طارق ، فلما عرفه قال : « بئس أخو العشيرة » فلما دخل أدناه ، وفرش له رداءه ، فسألته عائشة رضى الله عنها عن ذلك فقال : « إنا لنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم » . والمداراة هى مصانعة العدو اتقاء ضرره ، ورجاء هدايته ، ولا يقصد منها جلب منفعة كالنفاق ، فهى غير النفاق تماما أنظر هذا الباب فى (الآداب الشرعية ، لابن مفلح) .

(٣) فى : ظ وقال الآخر .

(٤) البيت كله. ساقط من : ظ . وجاء الشطر الأول فى : س. صديقى من يصافى من أصافى

(٥) ساقطة من : س .

ورقة الرضى بكل ما يفعل المحبوب :

الرضا الوقوف الصادق حيثما وقف العبد ، فلا يلتمس متقدما ولا متأخراً(١) ، وهو من لوازم الحب الصادق ، وتوابع الولوع الراسخ ، قال الله عز وجل يصف أحبابه ومحبيه : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » وشاهد علو مقامه ، قوله : « جنات عدن ورضوان من الله أكبر» . وهو نور يذهب بؤس الحب ، ويخلصه إلى النعيم المحض . قال الشاعر :

فحتى متى نور الرضى لا ينالنى وحتى متى أيام هجرك(٢) لا تمضى
وإنى لأهواه مسيئا ومحسنـا وأقضى على نفسى لها بالذى يقضى

والشىء بالشىء يذكر ، هجر أحد وزراء الدولة العباسية نديما له ، ثم رضى (عنه ، فلما أراد الخروج من عنده ، قال الوزير : يا غلمان . خذوا الشمعة بين يديه) (٣) ، ثم أعتبه ورضى فقال : يا مولاى . دعنى أسير فى ضوء رضاك ، أنار الله ظلم اعتراضنا بنور رضاه . وقال الآخر :

يا من رأى حالى وأن ليس لى فى غير ما يرضيه أوطار
وليس لى ملتحد دونه ولا عليه لى أنصار
حاشا لذاك العز(٥) والفضل أن يهلك من أنت له جار
وإن تشأ هلكى فياحبـذا بكل ما ترضى وتختار

وقد تكرر ذكر(٦) الرضى فى مواضع ، والإسراف فى الخير أولى من عكسه ، بفضل الله (تعالى)(٧) .

---

(١) قال الجرجانى فى تعريفاته : الرضا سرور القلب بمر القضاء . وهو أدق من تعريف المؤلف .

(٢) ف . س . أيام هجرى .

(٣) ما بين الحاصرتين . ساقط من الأصل . وزيد من : ظ .

(٤) ف : س . فأعتبه .

(٥) ف : ظ ، س . حاشا لذاك الفضل والعز أن ... البيت .

(٦) ف : س . وقد تكرر تذكر الرضى .

(٧) ساقطة من : س .

الفن الثانى من الغصن الثالث

فيما يرجع من العلامات إلى باطن المحب

ورقة الشوق للمحبوب : قالوا : الشوق حركة النفس إلى تتميم ابتهاجها ، بتصور حضرة محبوبها ، وهو من لوزام المحبة وذاتياتها ، إذ النفس أبدا تحن إلى من تحب ، ولا يكون إلا لمن علم من طرف وجهل من آخر ، [١١٧ ب] فتحرك المحبَّ لذة ما أدركه ، إلى طلب ما لم يدرك . ولا ينقطع الشوق إلى الاستكمال بالله فى الدنيا ولا فى الآخرة . قال الشاعر :

أ أحبا بناكم تبعدونى وأرتجى دنوكم والشوق يضرم أحشائى
دعونى إذا لم ترتضونى جالساً على بابكم أبكى وأندب أهوائى
فإن قيل من هذا فقولوا خليعنا متيمنا مهجورنا فهى أسمائى

وقال الآخر :

يا منينة النفس ياروح الحياة لها غرقت فى بحر أشواقى فخذبيدى
ما عنك يشغلنى مال ولا ولد نسيت باسمك ذكر المال والولد
فلو سفكت دمى فى الترب لا نكتبت
به حروفك لم تنقص ولم تزد

وقال الآخر :

قلب يقلب بين الشوق والقلق قدصير الجفن رهن الدمع والأرق
لما شكوت(١) لقاضى الدمع فيه له أجابنى أنت فى أمن من الغرق
يامن وهبت له نفسى فعذبها ورمت تخليصها منه فلم أطق
أرحم حشاشة نفس فيك قد تلفت قبل الممات فهذا آخر الرمق
ولو مضى الكل منى لم يكن عجبا وإنما عجبى للبعض كيف بقى

---

(١) فى : ظ شكيت .

وقال الآخر :

نحن الكرام لأوطانها حنين الطيور لأوكارها
ونذكر فيها عهود الصبا فنزداد شوقاً بتذكارها

ورقة الوجد :

وهو لهب يتأجج من شهود عارض مقلق . وقال أبو الفرج : من نافره الوجد نافره النوم . وقال : العارف غائب عند ذكر الدنيا ، حاضر عند ذكر الآخرة ، وطائش عند ذكر الحبيب ، يحضر المجالس(١) موثقاً بقيود الهم ، فإذا ذكر الحب قطع الوجد السلاسل(٢) ، إن مداراة قيس تمكن ، ولكن مع ذكر ليلى فلا .

أين فؤادى أذابه الوجد وأين قلبى أما صحا بعد
ياسعد زدنى جوى بذكرهم بالله قل لى فديت ياسعد

وقال الآخر :

أعندكم يا أهل ودى أننى وجدت عليكم وجد قيس على ليلى
وأغريت فيكم عروة من غرامه(٣) فلم أسل يوما عن هواكم ولا ليلا

وقال الآخر :

إذا قربت دارى كلفت وإن نأت أسفت فلا للقرب أسلو ولا البعد
وإن وعدت زادالهوى بانتظارها وإن بخلت بالوعد مت من الوجد
ففى كل حب لامحالة فرحة وحبك مافيه سوى غاية الجهد

ورقة المراقبة :

والمراقبة : مراعاة السر لملاحظة الحق. وقيل: دوام ملاحظة المقصود .

---

(١) فى : ظ ، س . يحضر المجلس .
(٢) ى : س . فإذا ذكر الوجد قطع الحب السلاسل .
(٣) فى : س عن غرامه .

وسئل ابن عطاء : ما أفضل الطاعات ؟ فقال : المراقبة . والمراقبة أفضل(١) علامات المحبة ، ومن الحكايات فيها ، أن وزيراً من وزراء فارس ، حضر بين (يدى) (٢) الملك وزوجه ، يخير إياها فى عرضين ، من حلى وثياب جعلا بين [١١٨ ا] يديه ، فأرادت من الوزير إرشادها إلى خيرهما بالإشارة ، فغمز لها عينه مشيراً إلى أحدهما ، فاتفق أن نظر الملك إليه فى تلك الحال ، فأما زوجة الملك فاختارت خلاف ماوقعت إليه الإشارة ، وأما الوزير ، فبقى يغمز عينيه عشرين سنة ، إلى آخر عمره ، حتى اعتقد الملك أنها عادته .

وإذا تحقق السالك بمقام المراقبة ، أعرض عن الخلق جملة . ونفر عنهم . ولم ينظر إليهم إلا من جهة السر القائم (بهم) (٣) ، وإن باشرهم فهو غائب عنهم جملة ، (قال الشاعر) (٤) .

وما ذاك زهداً فيهم غير أننى   وجدتك مشهودى بكل مكان

وقال الآخر :

لك منى على البعاد نصيب   لم ينله على الدنو حبيب
وعلى الطرف عن سواك حجاب   وعلى القلب عن سواك(٥) رقيب

وقال الآخر :

كأن رقيباً منك يرعى خواطرى   وآخر يرعى ناظرى ولسانى
فما لحت عينى لغيرك منظراً   يسوءك إلا قلت قد رمقانى

---

(١) فى : ظ ، س . أعظم علامات المحبة . وفى تعريفات الجرجانى : المراقبة استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه فى جميع أحواله . وهو أعم مما ذكره المؤلف لأن مراعاة السر لملاحظة الحق قد توقف الإنسان عند الباطن . أما تعريف الجرجانى فيشمل الظاهر والباطن .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) ساقطة من : س .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

(٥) فى : س . من سواك .

ورقة طاعة المحبوب :

ومن العلامات الذاتية ، الطاعة للمحبوب وإيثار مراده ، لأن ثمرة المحبة الموافقة. وسئل الجنيد عن علامة المحبة ، فقال : « لاتستثقل اتباع أوامره ، واجتناب نواهيه » .

وقال : « المحبة والمخالفة ضدان » .

وقال الشاعر :

هموم رجال فى أمور كثيرة وهمى من الدنيا خليل مساعد
نكون كروح بين جسمين فرقا فجسماهما جسمان والروح واحد
فإن غاب عنى لم أذق طعم سلوة فإن فؤادى نصفه متباعـــد

وقال الآخر :

تعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا محال فى القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وقال الآخر :

قالت لطيف خيال زارنا ومضى بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت ،الوفا فى الحب عادته يابرد ذاك الذى قالت على كبدى

تنبيه :

وإن سئل: هل تدل معصية الله على عدم محبته ؟ فالجواب : أنها تدل على عدم كمال المحبة ، لا على عدمها . وكان نعيمان يؤتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحده ، فلعنه رجل، فقال عليه الصلاة والسلام : لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله(٢) .

---

(٢) ومن ذلك دعاء أبى الحسن الشاذلى ، رضى الله عنه فى حزبه الكبير ، حزب البر إذ يقول : « واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت »

ورقة الهيبة والتعظيم :

والهيبة وجود تعظيم فى القلب ، يمنع من النظر إلى غير المحبوب ، وهو مقام ذاتى للمحبة لا يفارقها ، ويقوى عند تجلى صفات(١) الجلال ، ولا ينقطع إلا مع عدم المشاهدة .

قال الشاعر .

بنفسى من لو مر برد بنانه   على كبدى كانت شفائى أنامله
ومن هابنى فى كل شىء وهبته   فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

ومقام الهيبة فى الخواص ، بمنزلة مقام الخوف فى العوام . ومقابله الأنس ، كما أن الرجاء مقابله الخوف(٢) .

وقال فيه الشاعر :

أما حان أن تشفى المستهام   بزورة وصل وتأوى له
يجمجم عن سؤله هيبة   ويعلم علمك تأويله

[١١٨ ب] وقال :

أشتاقه فإذا بدا   أطرقت من إجلاله
لا خيفة بل هيبة   وضنانة بجماله (٣)
وأصد عنه تجلداً   وأروم طيف خياله

= فالإحسان لا ينفع مع البغض منك ، والإساءة لا تضر مع الحب منك ، وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف ؛ فآمن خوفنا ، ولا تخيب رجاءنا . . . فليس كرمك مخصوصا بمن أطاعك وأقبل عليك ، بل هو مبذول بالسبق منك لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك » .

(١) فى : س . صفة الجلال .

(٢) ترتيب هذه المقامات . صعودا . الخوف والرجاء . وفوقهما القبض والبسط وفوقهما الهيبة والأنس (تعريفات الجرجانى) .

(٣) فى : س. لجماله .

ورقة كتم السر (١) :

وهو من شيم الأحرار ، وخلق الأبرار ، والمحافظة على الأسرار .

قال الشاعر (فى ذلك(٢)) :

لا جزى الله دمع عيني خيراً　　وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيئاً　　ووجدت اللسان ذا كتمان

وقال الآخر :

صبرت ولم أطلع هواك على سرى　　وأخفيت مابى فيك عن موضع السر
مخافة أن يشكو ضميرى صبابة　　إلى أدمعى سراً فتجرى ولا أدرى

وقال الآخر :

ومستودعى سرا كتمت مكانه　　عن الحس(٣) خوفا أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس غيرة　　فأودعته فى حيث لا تبلغ النفس

وقال الآخر :

ومستودع عندى كلاما يخاف من　　إذاعته فى الناس(٤) أن ينفد العمر
فقلت له لا تخش منى فضيحة　　لسر غدا ميتاً وصدرى له قبر
على أن مافى القبر يرجى نشوره　　وسرك لا يرجى له أبداً نشر

وقال الاخر :

صح عند الناس أنى عاشق　　غير أن العشق لا يدرى لمن
فاقطعوا حبلى وإن شئتم صلوا　　كل شىء منكم عندى حسن

---

(١) ق : ظ . كتم المحبوب ، وق : س كتم سر المحبوب .

(٢) ساقطة من ظ ، س . وكتم السر فوق أنه من علامات الحب فإنه يزيد من طاقة الصوفى وقوته الباطنة ، ويقوى همته ، ولا شىء يقضى على قوة الهمة غير التحدث بالمواجيد التى يحسها السالك قبل أن يرقى عن المواجيد إلى المقامات . ومن هنا شرط الصوفية الإذن فى الكلام .

(٣) ق : س . من الحسى .　　(٤) ق : ظ ، س النفس .

ورقة مداومة ذكر المحبوب :

قالوا : من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، فإن اللسان ترجمان القلب ، ومتروح السر.

قال (١) الرازى (٢) : « ماولع المريد بذكر شيء ، إلا استفاد منه محبة ذلك الشيء » وقال : « من علامات حب الله كثرة ذكره ، وقال الجنيد : « سمعت سريا يقول : مكتوب فى بعض كتب الله : إذا كان الغالب على عبدى ذكرى ، عشقنى وعشقته (٣) . وكان قيس يدور فى الأزقة ويقول : أيا ليلى . فلما أفرط كان يقول : ليلى ليلى . دائما لا يخلط مع اسمها شيئاً . وإذا كان هذا ثمرة حب ليلى ، فكيف بمجنون الحب برب ليلى .

ألا عم صباحا أيها الربع واسلم　　ودم فى جوار الله غير مذمم
إذا نسى الناس العهود وأغفلوا　　فعهدك فى قلبى وذكرك فى فمى

وقال (الآخر) (٤)

يا من يذكرنى بعهد أحبتى　　طاب الحديث بذكرهم ويطيب
أعد الحديث على من جنباته　　إن الحديث عن الحبيب حبيب
ملأ الضلوع وفاض عن أجنابها　　قلب إذا ذكر الحبيب يذوب (٥)
ما زال يخفق ضاربا بجناحه　　يا ليت شعرى هل تطير قلوب ؟

وقال الآخر :

خطرات ذكرى تستثير مودتى　　وأحس منها فى الفؤاد دبيبا

---

(١) ساقط من الأصل ، ظ .
(٢) يحيى بن معاذ الرازى .
(٣) والدليل من القرآن الكريم : « اذكر والله ذكرا كثيرا » وقوله : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو اشد ذكرا » . ومن السنة : « اذكرو الله حتى يقولوا مجنون » .
(٤) ساقطة من : ظ .
(٥) فى : ظ . يطيب .

لا عضو لى إلا وفيه صبابة   فكأن أعضائى خلقن قلوبا

وقال الآخر :

فلا أصافح أنسى بعد فرقتكم
حتى تصافح كف اللامس القمرا(١)

ولا أمل مدى الأيام ذكركم   حتى يمل نسيم الروضة السحرا

وقال الآخر :

والله ما طلعت شمس ولا غربت   إلا وأنت منى قلبى ووسواسى
ولا جلست إلى قوم أحدثهم   إلا وأنت حديثى بين جلاسى

[١١٨ ب]

ولا هممت بشرب الماء من ظمأ .   إلا وجدت خيالا منك فى الكاس

وفيما هو من الذكر أشد وأبعد غاية ، وأدل (٢) على تمكن الحب أحوالهم فى ذكرى حبيب ، وهى ما جاء عن الشعراء من ، ذكر (٣) المحبوبين ، بين يدى الأهوال من القتل والقتال ، والشدائد المذهلة لعقول الرجال ، كقوله(٤) .

ذكرتك والخطى يخطر بيننا   وقد نهلت منى المثقفة السمر
فوالله ما أدرى وإنى مفكر   أداء عرانى من حبابك أم سحر

وقال الآخر :

ذكرتك والقرن المدجج زاحف(٥)   إلى وشدق الموت أهرت(٦) فاغر

---

(١) فى الأصل : الحجرا ، والترجيح من : ظ .
(٢) فى الأصل . وأدلهم على تمكين الحب .
(٣) فى : س من ذكرهم المحبوبين .
(٤) فى : س . كقول الشاعر .
(٥) فى ، ظ راجف .
(٦) الشوف الأهرت : الواسع الفخم .

ذكرتك والأسياف من فوق خوذتى كما صفقت فوق السبيك قيون (١)

وأشد منه ، ما حكى أن الحجاج أمر بصلب ماهان العابد ، فرفع على خشبته وهو يسبح ويهلل ، ويعقد بيده ، حتى بلغ تسعا وعشرين ، فبقى شهرا بعد موته ويده على ذلك العقد . (قال الشاعر) (٢) .

لتحشرن عظامى بعدما بليت يوم الحساب وفيها حبكم علق

ورقة الولوع :

ومن شأن المحب (٣) أن يحب اسم حبيبه . وحكى عن بعضهم أنه لقى رقعة مطروحة فى السكة ، توطأ بالأقدام ، ولم يكن له غير درهم واحد ، فاشترى به طيبا وطيب به الرقعة وصانها ، فنودى فى بعض مناجاته يافلان طيبت اسمى فلأطيبن اسمك (٤) . ومازالت المحبون يولعون بأسماء أحبابهم فينقشونها على خواتيمهم . قال الشاعر :

أحب أسمها من أجل (حب) (٥) مسماه ويعى الفتى باللفظ من أجل معناه

ولما بلغ الرشيد هوى بعض محارمه فتى يسمى طلا ، وأنها تكثر قراءة قوله تعالى « فإن لم يصبها وابل فطل » وتوعدها . كانت تقرأ « فإن لم يصبها وابل » فما نهى عنه أمير المؤمنين . وفى الارتياع عند سماعه يقول الشاعر :

وداع دعى إذ نحن بالخيف من منى فهيج أشجان الفؤاد وما يدرى

---

(١) القيون : جمع قين ، وهو الحداد .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) فى : ظ المحبوب .

(٤) روى هذا الخبر لمنصور بن عمار ، وكان يقول : « كل ما أعطانى الله من الحكمة فإنما ببركة رفع تلك الورقة » . أنظر القصة كاملة فى باب الفرق بين العلم والحكمة من (علم القلوب : لأبى طالب المكى ، من تحقيقنا . ط مكتبة القاهرة بالأزهر) .

(٥) ساقطة من : س .

دعى باسم ليلى غيرها فكأنما ... أثار بليلى طائرا كان فى صدرى

وفى العلاقة بالأوصاف يقول الشاعر :

أشبهت أعدائى فصرت أحبهم ... إذ كان حظى منك حظى منهم

وأهنتنى فأهنت نفسى طائعاً (١) ... مامن يهون عليك ممن يكرم

ورقة الغيبة (٢) والذهول :

وكثيراً مايعترى المحب الغيبة والذهول ، قال الشاعر يعتذر عن جنايات الغيبة والذهول بما يظهر منه :

وما كان إنعامى صباحك (٣) مسيا ... بجهل وما استعملت ذاك مزاحاً

ولكننى أبصرت وجهك فى الدجى ... فعاد لى الليل البهيم صباحاً

وقال :

ترى المحبين صرعى فى ديارهم ... كفتية الكهف لايدرون كم لبثوا

والله لو حلف العشاق أنهم ... قتلى (من الحب) (٤) أوموتى لما حنثوا

[١١٩ ا]

ورقة الغيرة :

والغيرة (٥) من لوازم المحبة ، ويتصف بها المحب والمحبوب . فالمحب

---

(١) ى : ظ س . وهجرتنى ، فهجرت نفسى صاغرا.

(٢) الغيبة . هى غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق بل من أحوال نفسه بما يرد عليه من الحق إذا عظم الوارد واستولى عليه سلطان الحقيقة . فهو حاضر بالحق غائب عن نفسه . وربما يشهد على هذا قصة النسوة اللاتى قطعن أيديهن من جمال يوسف .

(٣) فى : ظ صحابك .

(٤) ساقطة من : س . وكان بعض الصوفية حين يسمع المؤذن يقول : أشهد ألا إله الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، يقول : لولا الشريعة ما ذكرت معك غيرك .

(٥) هى كراهة شركة الغير فى حقه ، ومن هنا قال المحققون : إن الله يغار على قلب الولى أن يكون فيه غير ذكره ، فإذا اشتغل الشيخ بحاجة مريده ، أو الولى بحاجة محب من محبيه ، فإن هذا الاشتغال بالحاجة كفيل بقضائها غيرة على قلب العارف ، ليتخلص لله وحده .

فى هذه المحبة إنما يغار على نفسه أن يكون فيه نصيب لغير محبوبه وإن خفى، حتى لا يحب حبيبه لشىء سواه، وأن يتصف بمحبته من ليس من أهلها من أصحاب الدعاوى. وغيرة المحبوب على ذاته، وعلى قلب محبه أن يلتفت إلى سواه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الغيرة من الإيمان» وقال: «إن سعدا لغيور. وإنى أغير منه وإن الله أغير منى [ومنه]» وشاهد (١) غيرة الحق: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» وقوله: «قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن» وقال الشاعر:

وحقك لانظرت إلى سواكا ... بعين مودة حتى أراكا
(وفى الأحباب مختص بوجد ... وآخر يدعى معه اشتراكا) (٢)
إذ اشتبكت دموع فى خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

وقلت:

إن أكن غيركم نظرت بعينى ... بعدكم يا سواد ذاك السواد
أنا والله أجعل الجفن منها ... حبسا دائما لسكنى السهاد

وقال الآخر وهو حسن التورية بالأغيار (٣).

وددناكم صرفاً فلما مزجتم (٤) ... بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب (٥) غيرنا ... فأسكنتم الأغيار ماأنتم منا

وقال الآخر:

أغار عليك من لحظ العيون ... فكيف وبالقبيح من الظنون
وأحسد سيدى أرضا تطأها ... فليتك لا تطا إلا جفونى

وأبلغ منه قول الآخر (٦):

---

(١) فى الأصل وشاهده غيرة الحق.
(٢) البيت ساقط من الأصل.
(٣) فى: ظ. للتورية بالأعيان.
(٤) فى: س. فلما ترحتم.
(٥) فى: ظ، س. لا تسكنوا القلب غيرنا.
(٦) فى: ظ، س. وأبلغ من الجميع.

ومحتجب بين الأسنة معرض   وفى القلب من إعراضه مثل حجبه
أغار إذا آنست فى الحى غيره(١)   حذاراً وخوفا أن يكون لحبه

(وأبلغ منه قول الآخر)(٢).

أغار عليك من نفسى ومنى   ومنك ومن مكانك والزمان

وقالوا : أوحى الله إلى داود عليه السلام : « ياداود . إنى حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيرى » . وقال : « ياداود إن كنت تزعم أنك تحبنى ، فأخرج حب الدنيا من قلبك ، فإن حبها وحبى لا يجتمعان .

ورقة الأنس :

والأنس: سرور القلب بشهود جمال الحبيب ، من غير استشعار رقيب . وهى حالة توجب انتعاش المحب (٣) . وصفاء وقته ، ويخاف فيه غوائل الإدلال ، قال الشاعر :

أفديكم بالقلب إن كان لى   قلب وبالمال وبالنفس
فما سوى وصلكم عدتى   ولا سوى ذكركم أنسى
شغلت قلبي (٤) بمناجاتكم   فقيل هذا عابد الشمس

الطبرى : قال رجل لأبى محمد الجريرى : كنت على بساط الأنس ، ففتح طريق الانبساط ، فزللت زلة حجبت (٥) [بها] عن مقامى (٦) . فكيف السبيل إليه ، فدلنى على الوصول إلى ما كنت عليه ، فبكى أبو محمد . وقال :

---

(١) فى الأصل ، ظ ، س . آنست فى الحى أنه ، ولا يستقيم معه المعنى .
(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ . وجاء مكانها . وأبلغ من الجميع .
(٣) فى : ط انتقاش لحب .
(٤) فى . ظ ، س . شغلت نفسى .
(٥) فى : س . غبت .
(٦) فى : ط من مقامى .

يا أخي ، الكل في هذه الخطية ، وفي أسر هذه الرزية » ثم شهق شهقة عظيمة ،ثم سكت .

قف بالديار فهذه آثارهم تبكى الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل مخبراً عن أهلها أو عاذرا أو مشفقاً
فأجابنى داع الهوى فى رسمها فارقت من أهوى فعز الملتقى

ورقة الحزن :

والحزن توجع لغائب ، أو تأسف على ممتنع ، قالوا : حزن العموم على التفريط فى الحقوق ، وحزن الخصوص على المعارضات فى الأحكام(١) . ويحكى أن داود عليه السلام ،كان إذا أراد النياحة نادى مناديه فى أندية الحزن فيجتمعون فى مأتم الندب ، فيزداد الحرق بالتعاون . وأكثر ماتقوم سوقه عند الإحساس(٢) بسقوط الرتب ، والشعور بذل الطرد. قال عبد الواحد ابن زيد : « لو رأيت الرياشى لقلت مشكل » :

لبس البياض بذات عرق معشر ولبست من حزن ثياب حداد
وصلوا إلى عرفات يبغون الرضا وبقيت منكسراً ببطن الوادى
رفعوا أكفهم وضجوا بالدعا وضممت من كمد يدى لفؤادى

وقال الآخر :

أحزنتم بان العذيب فلم يمس(٣) طربا ، ولا غنى عليه حمام
فرقتم شمل السرور ببينكم فعلى السرور تحية وسلام

(١) أى شعور العارف بأنه يعمل فى حياته ، وربما كان عمله هذا معارضة لحكم الله ، ومحاولة للوقوف ضد القدر . والعارف هنا يعيش فى مشهد ذوقى ينجيه من تلك الورطة ، فهو يسلب إرادته لله ، ويرى كل حركة يقوم بها من الله .

(٢) فى : ظ ، س . فى الإحساس .

(٣) فى : ط فلم يمل .

وقال الآخر :

تعالى نقم مأتما للفراق ونندب إخواننـا الظاعنينا
ونسعدك بالنوح كى تسعدى كذاك الحزين يهيج الحزينا

ومن الغريب ، قول شيخنـا ، أبى البركات ابن الحـاج ، يعلل زرقة عينيه :

حزنت عليك العين يامعنى الهوى فالدمع منها بعد بعدك مارقا
فلذاك(١) ماظهرت بلون أزرق أو ماترى ثوب المآتم أزرقا

ورقة الحياء :

والحياء : انفعال يتولد من تعظيم منوط بود . وهو من شيم المحبين ، ويتبعه الانقطاع والإطراق ، قال ذو النون المصرى : « لو وهبنا الحياء من الله ماذكرنا المحبة ، وقد سكرنا من حب الدنيا » (٢) . قال الشاعر :

ساروا (٣)فصار الجسم من بعدهم لاتبصر العين له فيـا
بأى وجـه أتلقـاهم إن وجدونى بعدهم حيا
واخجلتى منهم ومن قولهم ما ضرك البعد لنا شيأ

وقال الآخر .

تركتك وانصرفت لبعض شأنى ولم أذكرك إلابااللسان
فلو أبصرتنى لقتلت نفسى حياء أن أراك وأن ترانى

وقال الاخر .

أذود سوام(٤)الطرف عنك وماله إلى أحد إلا إليك طريق
تتوق إليك النفس ثم أردها حياء ومثلى بالحياء خليق

---

(١) ق : ظ ، س . ولذاك .
(٢) ومنه ما جاء من صفات النبى صلى الله عليه وسلم : أنه كان أشد حياء من العذراء .
(٣) ق : س . صاروا .
(٤) سوام الطرف : طريق النظر .

ورقة الخوف والرجاء.

وقد ذكرنا أن الهيبة تقوم مقام الخوف ، والأنس مقام الرجاء عند الخواص ، ويتردد ذكر هذين المقامين ، ويلزمان المحب فى أول السلوك ، وكذلك القبض والبسط ، وهما ألطف من الخوف والرجاء ، فإن الخوف يقبض ، والرجاء يبسط،وإذا أفرط الخوف أنتج الوحشة(١)من المحبوب وإذا أفرط الرجاء أوجب الإعجاب والإدلال ، ولله رد القائل [١١٩ب]

أخافك للحق الذى لك فى دمى ... وأرجوك فى الحب الذى لك فى قلبى

وقال الآخر فى الرجاء :

ركابى بأرجاء الرجاء مناخه ... ورائدها علمى بأنك لى رب
وأنك عـــلام بما أنا قائـل ... كما أنت علام بمـا أضمر القلب
وإن آدها ذنب تـوانت بيـابه ... فقد قرعت بابا به (٢) يغفر الذنب

---

(١) وربما أنتج اليأس كذلك ، ويخرج الإنسان من اليأس علمه بأن الله تعالى قد أبهم الأمر على العباد لتشريع الخوف والرجاء ، أما فضل الله فهو فوق كل شىء ، وعلى العبد أن يعمل فى محاب الله تعالى ، ويبتعد عن مكارهه ولا خوف عليه بعد ذلك من أى وجدان من هذه المواجيد .

(٢) ى : س (بابا فيه) تحريف .

الفن الثالث

فيما يرجع من العلامات إلى ظاهر المحبة

ورقة حب الخلوة :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد الخلوات(١)فى بداية أمره والخلوة رياض المحبين ، وبستان المتفكرين وربيع سوائم الذاكرين ، وقالوا : من غلب عليه الأنس لم يكن همه إلا الانفراد والخلوة . وقال الشاعر :

ألا خلوة أشكو إليك صبابة   لها بين لحمى والعظام دبيب

(وقال الآخر) (٢)

وأخرج من بين الديار لعلنى   أحدث عنك النفس فى السر خالياً (٣)

وتتضمن الخلوة الصمت إلا عن ذكر المحبوب ، والإعراض عن غير المحبوب ، وكفى بها مزية على غيرها ، ولذلك ما كانت [إلا] أم الرياضة وإذا زوجت بالذكر ، ولدت حسن المشاهدة (٤) . وقال شيخنا الكاتب أبو عبد الله بن عمر :

بما بيننا من خلوة معنوية   أرق من النجوى وأحلى من السلوى

قفى ساعة فى عرصة الدار وانظرى   إلى عاشق ما يستفيق من البلوى

وكم قد سألت الريح(٥) شوقاً إليكم   فما حن مسراها إلى ولا ألوى

---

(١) فى : س ، ظ . (يقصد الخلوة) وكانت الخلوة فى الصدر الأول قانونا يلتزم جميع الصوفية بلا استثناء فكانوا يلجأون إلى المغارات والصحارى يقتاتون من عشبها ويعيشون فى كنفها ، ولعلها كانت فى ذلك العصر حركة مضادة للترف الذى شاع فى أرجاء الدولة الإسلامية ، وفى قصور الخلفاء .

(٢) ساقطة من : س .

(٣) يروى البيت هكذا على أنه لمجنون ليلى :

وأخرج من بين الديار لعلنى   أحدث عنك النفس بالليل خاليا

(٤) فى : ظ . (ولدت جنين المشاهدة) . ويسميه الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى : « طفل المعانى » .

(٥) فى : ظ (الرياح) . تحريف .

وقال الاخر .

أنست بوحـــدتى حتى لو انى　　أتانى الأنس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لى صـديقا　　أميـل إليـه إلا ملت عنـه

وقال الآخر :

عليك بالعزلة إن الفتى　　من طاب بالقـلة فى العزلة(١)

وقال أبو الفرج : تأملوا الفرس إذا قدم إلى الماء الصافى ، (كيف يضرب بيده حتى يتكدر ، أتدرون لم ؟لأنه يرى) (٢) فيه صورته ، أو صورة غيره ، فيكدره حتى لا يتبين فيه الصورة ، فيهنأ على الشرب(٣) . قال الشاعر :

إذا استحسنت مقلتى غيركم　　أمـرت السهـــاد بتعذيبهـا
وعاقبتهـــا بالبـكا دائمـاً　　كما استحسنت غـير محبـوبها
فما تنظر العين إلا إليـك　　لأنـك غـايـة مطلوبهـا

ورقه امتحان المحبوب محبيه .

ولما كانت المحبة دعوى أمر عظيم ، جرت عادة الله باختبارها ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، قال الله عز وجل : « ولنبلونـكم حتى نعلم المجاهدين منـكم والصابرين(٤) » . قال رجل : يارسول الله . إنى أحب الله

---

(١) فى : ظ ، س (يخشى من الذله فى العزلة) .

(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل

(٣) فى ، ظ فيتهيأ للشرب .

(٤) ليس كل ما ينزل بالعبد من بلايا ومحن هو من باب الابتلاء من المحب للمحبوب ، أو من الله لعبده المحبوب لديه . فالبلاء ثلاثة أنواع : بلاء لتـكفير الذنوب ، وبلاء للانتقام، وبلاء لرفع المنزله ، والترقى فى مقام المعرفة . وأرقى الأنواع هو النوع الثالث ، وهو مناط الصبر الذى يجزى الله صاحبه بغير حساب ، ويليه فى المنزله النوع الأول ، أما النوع الثانى فليس من بلاء الحب فى شىء ، وإنما هو بلاء غضب وطرد والعياذ بالله. وعلامة النوع الأول : أن يصحبه ضيق فى الصدر دون شكاية للخلق ، فإن وجدت نفسك مصابا ولا تشكو للخلق =

« استعد للبلاء » . ولما قال سمنون : « دونك ما شئت فاختبرنى » . اختبر بعسر البول فكان يطوف على المكاتب ، وينادى صبيانها قائلا : « ادعو لعمكم الكذاب » قال الشاعر .

مولاى إن عدت ولم ترض لى   أن أشرب البارد لم أشرب
امتط خدى وانتعل ناظرى   وصد بكفى حمة العقرب [١٢٠ أ]

وقال .

(وطالما أصلى الياقوت جمر غضا   ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت) (١)

وقال :

أمختقرا نفسى بسحر جفونه   لقد بصرت عيناك منها بهاروت
ومختبرا قلبى بنار شجونه   لقد ظفرت عيناك منه بياقوت

فإذا ظهرت صحة الدعوى ، سجل عند الصدق : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ، « وقلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » « وفديناه بذبح عظيم » « اركض برجل هذا مغتسل بارد وشراب » .

ألقنى فى لظى فإن أحرقتنى   فتيقن أن لست بالياقوت
صنع النسج كل من حاك لكن   ليس داود فيه كالعنكبوت

= فأبشر بتكفير الذنوب ، وعلامة الثانى : أن يصحبه ضيق فى الصدر وشكوى للخلق ، فإن وجدت نفسك تشكو ما حل بك من بلاء إلى الناس ، فابك على نفسك ، وجاهد نفسك ، واحرمها من ملذاتها ، والجأ إلى الصلاة والقرآن والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، فلعل الله تعالى يرضى عنك ويعافيك . وعلامة النوع الثالث ألا يصحبه ضيق فى الصدر ، ولا شكوى للخلق ، فإن وجدت نفسك عند البلاء لا تشكو ولا تجزع فأبشر ، فأنت ممن سبقت لهم الحسنى ، وحاذر من الغرور . لأنك حينئذ أصبحت فى مقام الإيمان الخالص ، وأنت ممن قال الله تعالى فيهم : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » . وهذا النوع مصدر عظيم من مصادر المعرفة الصوفية .

(١) ساقط من س ، ظ .

قال أبو الفرج : كلما قوى حامل المحبة زيد فى حمله : « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ، ثم الأمثل فالأمثل » .

شكوت إليه ما ألاقى فقال لى   رويدا فى حكم الهوى أنت مؤتلى(١)
فلو كان حقا ما ادعيت من الهوى   لقل بما تلق إذن أن تموت لى(٢)

ورقة : الصفرة والنحول :

وهذه العلامة معروفة للعشاق ، قد تداولها النظم والنثر ، وكثر فيها القول .

قال السرى يوما فى غيبة طرقته : « لو شئت أن أقول : ما أيبس جلدى على عظمى ، ولا سل جسمى إلا حبه لقلت » .

وعن الجنيد ، قال : « مرض أستاذنا السرى ، رحمه الله ، فلم نعلم لعلته دواء ولا علمنا لها سببا ، فوصف لنا طبيب حاذق ، فأخذنا قارورة من مائه ، فنظر إليه الطبيب وجعل ينظر إلى الماء مليا ، ثم قال : هذا بول عاشق (٣) . قال : فصعقت وغشى على ، ووقعت القارورة ، ثم رجعت إلى السرى فأخبرته ، فتبسم ثم قال : « قاتله الله ما أبصره » . قال أبو الفرج : أول دليل على الحب نحول الجسم واصفرار اللون .

سلبت عظامى لحمها وتركتها   مجردة تحصى لديك وتحصر (٤)
وأخليتها من مخها فكأنها   أنابيب فى أجوافها الريح تصفر

(١) اضطرب الشطر الثانى فى : ظ ، س هكذا . (رويدا أنت فى حكم الهوى مؤمل) :

(٢) اضطرب الشطر الثانى فى: ط ، س هكذا (تعل إذا بما تلقى أن تموت لى) .

(٣) فى : ظ . أراه بول عاسق. وهذا اللون يعكس أن نعرف به الصادق من المدعى، وقد رأيت من العارفين الذين اصفرت ألوانهم صفرة مائلة إلى الخضرة بصفة دائمة : حضرة أستاذنا الراحل سيدى « عبد الخالق الشبراوى » رضى الله عنه ، والعارف بالله شيخ أهل المدينة المنورة « الشيخ أحمد يس الخيارى » رضى الله عنه : وغيرهما . ومما تجب ملاحظته أن تلك الصفرة ليست صفرة علة ومرض ، بل إنما تكون والصحة موفورة . وإنما تنقلب مرضا كما حدث للسرى السقطى إذا أسرب المحب عن مقومات صحتـه اشتغالا بلذة الحب الإلهى التى لا يعرفها إلا من ذاقها وجربها .

(٤) فى : ظ ، س (تضحى إليك وتحضر)

(إذا سمعت باسم الحبيب تقعقعت   مفاصلها من هول ما تتفطر) [١]

خذى بيدى ثم اكشفى الثوب تنظرى[٢]   ضنـــا جسدى لكننى أتستر

ويقول الآخر :

يا من رمانى[٣] بالبعاد وليس لى   ذنب يكون البعد فيـــه عقابى
حملتنى ثقل الهوى ومن الضنـا   والسقم لا أسطيع حمل ثيابى

وقال الآخر :

ولما شكوت الحب قالت كذبتنى   فمالى أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا   وتصمت حتى لا تجيب المناديا
وتنحل حتى ليس يبقى لك الهوى   سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

قال أبو الفرج : يحسبهم الناظر مرضى الأبدان ، وإنما هم سقام الأحزان .

مكتئب ذو كبد حرا   تبـكى عليه مقلة عبرى
يبقى إذا حدثته باهتـا   ونفسه مما به سكرى

وقال الشاعر فى مثله :

ألف السقم جسمه والأنين   وبراه الهوى فما يستبين[٤] [١٢٠]
ما تراه العيون إلا ظنونا   هو أخفى من أن تراه العيون
إن سمعتم[٥] أنينه من بعيد   فاطلبوا الشخص حيث كان الأنين
لم يعش إنه جليد ولكن   ذاب سقما فلم تجده[٦] المنون

---

(١) البيت ساقط من : س .   (٢) فى : س (فانظرى) .

(٣) فى : س ، ظ . أيامن رمانى . وهو مخل بالوزن .

(٤) فى : س . (وبراه الأسى فلا يستبين) .

(٥) فى : س . (قد سمعتم) .   (٦) فى الأصل ، س (فما تراه المنون) .

ومما اشتهر فى هذا الغرض قول (أبى)(١) عمر الرمادى ، يرحمه الله ، من قصيدة :

من حاكم بينى وبين عذولى الشجو شجوى والعويل عويلى
مهلا فما دين الهوى كفر ولا أعتدت عذلك لى من التنزيل
أصبحت فى دين الهوى متشرعا فأنا أخاف عقوبة التعطيل
ولرب قوم لم تكن أكبادهم لجوى ولا أجسامهم لنحول
دقت معانى الحب عن أفهامهم فتأولوها أقبح التأويل

وقال غيره فى الاصفرار :

يزين رباها النرجس الغض مثل ما يزين وجوه العاشقين اصفرارها

آخر :

وما غض من لونى شحوب وصفرة وهل عاب دينار النضار(٢) اصفراره

ورقة البكاء :

وهو قطارة نار الشوق ، وقطر سحاب الزفير ، وعنوان كتاب الوجد ، وألح شفعاء العاشقين [الدموع] . كان (داود عليه السلام)(٣) يقول : « إلهى امدد عينى بالدموع ، وضعفى بالقوة ، حتى أبلغ رضاك عنى »(٤) .

يا من تحجب صبرى فى تحجبه هب لى من الدمع ما أبكى عليك به
حتى متى زفراتى فى تصاعدها إلى الممات ودمعى فى تصببه
ولى فؤاد إذا طال الغرام به هام اشتياقا إلى لقيا معذبه

---

(١) ساقطة من : ظ .

(٢) اصطرب الشطر الثانى فى : ظ هكذا (وهل غاب ويجب التصارى أصفراره) .

(٣) العبارة ساقطة من : ظ .

(٤) ومسوغه من القرآن الكريم قوله تعالى فى صفة المؤمنين الأتقياء : « ويخرون للأذقان يبكون » . وقوله تعالى : « خروا سجدا وبكيا » .

قال أبو الفرج : إن العاشقين كاتبوا الله بدموعهم ، وهم ينتظرون الجواب .

على آثارهم أفنيت(١) دمعي وبعدهم بليت بكل فجع
ولولاهم لما بددت شملي ولولاهم لما فرقت جمعي
هم لا غيرهم أملي وسؤلي على ما كان من وصل وقطع
زماني كله بهم سرور وهم عيشي وهم بصري وسمعي

وقال الشاعر :

قف العيس(٢) نبكى الربع قد ينفع البكا
ونذكر ربعا(٣) ربما ذكر العهد
على طلل كالجفن كانوا به الكرى فلما نأوا عنه أضر به السهد
أحبتنا استبقوا من الدمع(٣) غاية لعل جفون الدهر بالقرب ترتد
بكيتكم حتى فقدت مدامعي فهل سعة في العذر قد نفد الجهد (٥)

وقال الآخر وأبلغ :

لاغرو إن حذرت وصالي وانتأت عن مرقدي في يقظتي وهجوعي
فالنار تخشى وهي دون تنفسي والسيل يحذر وهو دون دموعي

وقال غيره (٦) :

لي حبيب كله حسن فعيون الناس تنهبه
صيغ من ماء ولي نظر ليس يروى حين يشربه
ضاع من عيني فناظرها في بحار الدمع يطلبه

---

(١) في : ظ ، س (أرسلت معي) .
(٢) في : ظ ، س (قف العين) .
(٣) في : ظ ، س (ونذكر عهدا) .
(٤) في : ظ ، س (من البعد) .
(٥) في الأصل : (قد نفذ العهد) .
(٦) في : س ، ظ . وما أغرب عذر الآخر .

وما أغرب عذر الآخر(١) :

وفت لى دموع العين والصبر خانني وجربت طعمى حبك المر والحلو

[١٢١ ا]

وضقت بهذا الحب ذرعا وحيلة فحتى متى أشكو ولا ترحم الشكوى

وقيل لبعض العشاق : (إلى)(٢) كم تبكى ؟ فقال : إذا لم أبك فما أصنع ؟

وقال الشاعر :

قال لى من أحب والبين قد جد(م) ودمعى مواصـــل بشهيـــق
ما الذى فى الطريق تصنع بعـدى قلت أبكى عليك طول الطريق

وقال الآخر :

نزف البكاء دموع عينك فاستعر عينا لغيرك دمعهـــا مدرار
من ذا يعيرك عينه تبكى بهـا أرأيت عينا للبكاء تعـــار ؟

وقال الآخر :

ياحادى الأظعان(٣) عج مترفقاً وانظر دم العشاق كيف يراق
صبروا على مر التهاجر والقلى وتجرعوا كاس الفراق وذاقوا

قال ابن أبى الحوارى : أرتنى أمى موضعا من الدار قد انحفر(٤) ، فقالت : هذا موضع دموع أبيك .

تقول نساء الحى تطمع أن ترى محاسن ليلى مت بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامع

---

(١) ق : ظ (وقال الآخر) وفى : س . (وقال الشاعر) .
(٢) ساقطة من : ظ ، س .
(٣) فى جميع الأصول (الأضعان) تحريف) .
(٤) ق : ظ ، س . (قد انحفر من الدار) .

وكان عمر بن عبد العزيز ، وفتح الموصلى ، يبكيان الدم .

قولا(١) لسكان الحمى   تحـــول الدمع دما
فكل شهـــد بعدكم   قد صار مرا علقـــما

ومنه :

ولما دنا(٢) التوديع ممـــن أحبه   ولم يبق إلا نظـــرة نتنعم
بكيت على الوادى فحرمت ماءه   وكيف يحـــل الماء أكثره دم

قال أبو الفرج : يا هذا ، ليس فى المياه ما يقلع آثار الذنوب من ثوب القلب إلا الدموع ، فإن نضبت ولم يزل الأثر فعليك بالاغتراف ، من بحر الاعتراف .

ورقة الزفير :

والزفير تنفس الصعداء ، وهو : اقتلاع النفس المحترق من القلب ، وإخراجه دفعات ، وهو من توابع الحزن ، ولواحق الأسف وعلامات العشاق ، قال الشاعر :

ولى زفرات لو ظهرن قتلننى   تسوق التى تأتى التى قد تولت
إذا قلت هذى زفرة اليوم قدمضت   فمن لى بأخرى مثلها قد أظلت

وقلت[٣] :

أمستخرجا كنز العقيق بآماقى   أنا شدك الرحمن فى الرمق الباقى
فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى   عليك وضاقت عن زفيرى أطواقى

وقال آخر :

إنى إذا لم أجد يوما مراسلة   وضاق بى منتهى أمرى وملتمسى

---

(١) فى : س . قولوا .   (٢) فى الأصل ، ظ (ولما أتى التوديع) .

(٣) هذان البيتان بينهما وبين البيتين اللذين بعدهما تقديم وتأخير فى س ، ظ .

لمرسل عبرة فى إثرهـا نفسى   ياليت شعرى هل يأتيكم نفسى

وقال آخر :

إن كنت تنكر ما منك ابتليت به   وأن داء غرامى عز مطلبه
أشربعود من الكبريت نحو فمى   وانظر إلى زفراتى كيف تلهبه

ورقة السهر :

والسهر يستلزم الشوق والقلق ، وبه استعانوا على حقوق المحبة، وتمتعوا بتسويق بلد الخلوة(١) ، قال الشاعر :

إذا لم يكن طرف المحب مسهدا   ولا دمعه يجرى فهذا الهوى دعوى
وما الحب إلا أن ترى ألم الهوى   ألذ من المن المنزل والسلوى

وقال (الآخر(٢)) :

يانسيم الشمال بالله بلغ   ما يقول المتيم المستهـام
قل لأحبابنا لديكم محب   ليس يسلو ومقلة لاتنـام
كل أنس ولذة وسرور   دون لقياكم على حـرام

وقال (الآخر(٣))

إذا قدرتم فطرفى دائم الأرق   وإن سكنتم فقلبى دائم الخفق
سرقت فى النوم طيفا من خيالكم   فصار نومى مقطوعا على السرق

وكتبت جارية عمر بن مسعدة ، على عصابتها ،

عين مسهدة فى مائهـا غرقت   ياليتها ذهبت أولم تـكن خلقت
يامقلة سوف أبكيها وياكبدا   بهاأحاط الهوى والشوق فأحترقت
(لم تذهب النفس إلا إثر لحظتها   ولا بكت مقلة إلا لما أرقت)(٤)

---

(١) فى : س. بتسويغ بلد الخلوة .
(٢) ساقطة من : ظ ، س .
(٣) ساقطة من : ظ ، س .
(٤) البيت كله ساقط من الأصل .

وقال الآخر :

وما تطابقت الأجفان عن سنة ... إلا وجدتك بين الجفن والحدق
وهل ينام جريح موجع قلق ... أجفانه وكلت بالسهد والأرق
شغلت نفسى عن الدنيا ولذتها ... فأنت والروح شيء غير مفترق

وقال الآخر .

إن جفانى الكرى وواصل قوما ... فله العذر فى التخلف عنى
لم يُخَلِّ الهوى لجسمى شخصا ... فإذا جاءنى الكرى لم يجدنى

وأحسن الآخر فقال :

أرأيت ماقد قال لى نجم الدجى ... لما رآى طرفى يطيل سهادا
حتام ترمقنى بطرف ساهر ... أقصر فلست حبيبك المفقودا

قال أبو الفرج : إذا ناموا توسدوا أذرعا لهم ، وإن قاموا فعلى أقدام القلق ، لما امتلأت أسماعهم بمعاتبته . كذب من ادعى محبتى ، فإذا جنه الليل نام عنى . حلفت أجفانهم على جفاء النوم .

ودعت قلبى يوم ودعتهم ... وقلت ياقلبى عليك السلام
وصحت بالنوم انصرف راشدا ... فإن عينى بعدهم لاتنام

(وأعلى دوجات هذه الورقة ، ما قال الله عز وجل : « ومايلقاها إلا ذوحظ عظيم »)(١) .

وقائلة هل يحمل النوم مع وصل ... ومثلك محسود على الوصل من مثلى
فقلت وحبى فيك مانمت إنما ... بحسنك والحسنى غلبت على عقلى
وكيف ينام المستهام وعمره ... تقضى انتظاراً يرتجى ليلة الوصل

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

ورقة الذل والانكسار :

فيما أخبر الله سبحانه عن نفسه : «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» . والذل المحبوب من شيم العشاق .

قال أبو الفرج : لا تبرحوا من باب الذل ، فأقرب الخطائين إلى العفو المعترف بالزلل ، ما انتفع آدم (في) (١) بلية ، وعصى بكلام وعلم ، ولا رد عنه ، عز اسجدوا(٢) وإنما خلصه ذل ظلمنا(٣) . وقال : أنجع الوسائل الذل ، وأبلغ الأسباب في العفو البكاء . والعي عن ترتيب العذر بلاغة(٤) المنكسر .

أذل لمن أهوى لأكسب عزه ... وكم عزة قد نالها المرء بالذل
إذا كان من تهوى عزيزا ولم تكن ... ذليلا له فاقرا السلام على الوصل

ورقة الدهش والحيرة :

وهذه العلامة تظهر في استحكام العشق ، ونهاية الحب . والدهش : بهت يأخذ العبد (٥) إذا فجأه ما يغلب عقله أو صبره أو علمه ، قال الشاعر :

اسقني اليوم فقد طال العطش ... إن يومي يوم رش بعد طش (٦)
حب من أهواه قد أدهشني ... لا خلوت الدهر من ذاك الدهش(٧)

[١٢١ ب]

---

(١) ساقطة من : ظ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى على لسان آدم وحواء : « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .

(٤) في : ظ ، س علامة .

(٥) في : ظ . بهتة تأخذ العبد . والحيرة عين المعرفة الصوفية ، ومنه دعاء بعضهم : « رب زدني فيك تحيرا » .

(٦) الطش : دفق الماء بكثرة .

(٧) في : ظ العطش .

ورقة السكر والصحو :

والسكر عندهم عبارة عن : سقوط المتمالك فى الطرب ، وهو من مقامات العشاق ، وزلت فيه أقدام غير أولى التمكين(١) .

أديرت بينهم كأس التجلى فكلهم بنشوتها سكارى
لقد طربوا وما سمعوا غناء كما سكروا وما شربوا عقارا

وذكروا أن معروفا الكرخى ، رحمه (٢) الله رؤى فى النوم كأنه تحت العرش ، فقال الله عز وجل : يا ملائكتى ، من هذا ؟ فقالوا : وأنت أعلم هذا معروف الكرخى سكر بحبك(٣) فلا يفيق إلا بلقائك . وقال الشاعر :

وموسدين على الأكف خدودهم قد غالهم ضوء الصباح وغالنى
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتى سكرت ونالهم ما نالنى
والخمر تحسن كيف تأخذ ثأرها إنى أملت إناءها فأمالنى

وقال (الآخر)(٤) :

يا ربة الدير قومى غير صاغرة إن كان عندك زنار فشدينى
قالت لدى زنانير معتقة من عهد كسرى أعدت للرهابين

وقال الآخر وهو الخليق بالصدق :

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثلا فأبصرا
وأخرس لم ينطق ثمانين حجة أدرنا عليه الراح يوما فأخبرا

والصحو : ارتفاع هذا الحكم . وفيه قالوا :

سكروا فما يدرون بعد إفاقة الراح أعتق والمعاقر أحرص
وتنغصوا لطرو صحو يعترى وبواجب والله أن يتنغصوا

---

(١) ويسمى زلل القدم عند السكر والطرب « الشطح » . ويكون بصدور ألفاظ لاتليق بالحضرة الإلهية ، أى لا تكمل بها المعرفة التى تستوجب وجود عبد ورب ، ومن هذه الألفاظ التى جاءت على ألسنة الشاطحين : سبحانى . ما أعظم شانى . أنا الحق . مافى الجبة إلا الله .
(٢) فى : ظ ، س . رضى الله عنه . (٣) فى : س . سكر من حبك .
(٤) ساقطة من : س .

الغصن الرابع

فى أخبار المحبين وأقسام أصنافهم المرتبين

قال المؤلف رحمه الله(١) ولما كانت المحبة ميدان ائتلاف النفوس وبيعها من الله حيث يقول : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به » . جعلنا هذا الميدان ينقسم أهله إلى ثلاثة .

مجاهد صريح .

وهو الذى يدمن الإمداد ، ويقيم الجهاد ، ويكثر(٢) السهاد ، ويتكلم فى المواجد والمفاجأة ، والحكم والمقامات . وهو واقف بصدد الجراح أو الشهادة فى ميدان الكفاح .

ومثبت جريح .

وهو الذى تواجد ، فكادت نفسه تثبت(٣) العلاقة التى بينه وبين البدن كما يحدث للسراج إذا انفصل عنه النور ، ثم تراجع إلى الفتيلة على سبب الدخان » .

وصريع طريح .

وهو الذى غلبت عليه حال تنحت لأجله النفسُ واليدعن تدبير الجسد جملة ، وانصرفت إلى عالمها ، كما قال الشاعر .

---

(١) فى : س ، ظ رضى الله عنه.
(٢) فى : ظ . وتثر .
(٣) فى : س ثبت تحريف .

ولو أعطى على الزمن اقتراحى لطرت إليك خفـاق الجنـاح

(وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما)[1].

قال بعض الفضلاء ، فى قوله (تعالى)[2] : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ». إذا كان هؤلاء أحياء يرزقون ، فالذى استشهد بسيف المجاهدة الكبرى أولى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد رجعوا من بعض الغزوات: « رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » .

تنبيـه .

ذكر عن الجنيد أنه قال الحكايات : جند من جنود الله تعالى ، تقوم بها أحوال المريدين ، وتحيا بها معالم أسرار العارفين ، وتهيج هواجس مواجد المحبين ، وتجرى دموع عيون المشتاقين ، وقال الشاعر :

قصوا على حديث من قتل الهوى إن التأسى رَوح كل حزين

وإلا فهذه الأنماط من الشعر والحكايات ضعيفة ، وما تقدمها مراتب شريفة ، لكن الشجرات أجزاؤها متفاضلة . وبعضها عن البعض متنازلة فمنها الضروريات وكمال الضروريات ، ولا يتأتى الكمال إلا لله ، بارىء النسمات .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من ظ

(٢) ساقطة من : ظ

الفرع الأول من الغصن الرابع
فى حكايات المجاهد الصريح

ورقة فى المناجاة.

قال أبو بكر الدقاق : «إنما يستعذب الأولياء البلوى للمفاجأة مع المولى» فمن استلذ بمناجاته مع مولاه فى سره ونجواه ، رزقه راحة القصد ، وأشهده جريان أحكامه على وفق اختياره ، وترتيب إرادته . وقال بعض المشايخ كنت بمكة فبت ليلة أنظر إلى الكعبة والطائفين حولها ، وإذا أنا بأنين ، وصوت شجى حزين ، يقول : إلهى دعوتنى فهديتنى ، وإلى منازل رباع محبتك آويتنى ، وعلى بساط أنسك أجلستنى ، وبلطائف كرامتك غذيتنى ، ثم سقيتنى حتى أسكرتنى ، فلما أسكرتنى عذلتنى، فلما عذلتنى حيرتنى، فلما حيرتنى أخذتنى منى. الأمان . الأمان . فوحقك لا أصحو من سكر محبتك ، إلا بمشاهدتك ، والانبساط على بساط مراقبتك .

وقال بعضهم : سمعت عيسى الموسوس يقول بالفارسية كلاما هذا ترجمته : هيمت قلبى وجعلته شوارع غيبك ، وأتعبت جسمى وجعلته مواقع تكليفك ، وأطلعت سرى على لطائف ملكوتك ، ثم فضحتنى على ألسن خلقك ، ثم قرأ : «فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون» . ثم شهق ، وقال : حبيبى زدنى (فى البلاء)(١) فلأ زيدنك فى المحبة .

ورقة الأدب :

كان إبراهيم (بن أدهم) (٢) يصلى قاعدا ، فجلس ومدد رجليه ، فهتف به هاتف : [أ] هكذا يجلس المملوك بين يدى الملوك؟ .وكان الجريرى لا يمد رجليه فى الخلوة ، فقيل له : ليس يراك أحد ، وقد خلوت بنفسك ، فهلا مددت رجليك؟ فقال : حفظ الأدب مع الله أحق .

(١) ساقطة من : س .
(٢) ساقطة من : س .

الجنيد . قال : لقيت شابا في البادية عند شجرة أم غيلان . فقلت : « ما الذى أجلسك هنا يا غلام » ؟ فقال : « حالى (١) فقدتها ها هنا » . فلما انصرفت من الحج ، ألفيته قد تنقل إلى قريب من الموضع ، فسألته فقال « وجدت ما كنت أطلبه هنالك هنا » . فلزمته خشية الحسرة على الفائت . قال : فلم ندر (٢) أيهما أشرف ؟ لزومه لافتقاد حاله ، أم لزومه موضع مراده .

ورقة الخمول (٣) والتواضع والانكسار :

روى أن أبا سعيد وقف بعرفات ، فلما حان وقت الإفاضة ، قال : « إلهى إن حرمت القبول لواحد من خلقك فى هذا الموقف ، وقد قبلت وقفتى ، فاجعل قبول ذلك له ، حتى لا يرجع أحد من بابك خائبا ، منكسر القلب ، مخيب الرجاء غيرى » . فسمع هاتفا يقول : يا أبا سعيد (٤) تتكرم على أضيافى ، وقد غفرت لهم ؟ وهبتك لهم .

ولقى بعض الجند إبراهيم بن أدهم فى البرية ، فقال له : « أين العمران » ؟ فأومأ بيده إلى المقابر . فضربه فشج رأسه ، فقيل له : هو إبراهيم بن أدهم . فرجع يعتذر إليه . فقال إبراهيم : الرأس الذى تعتذر إليه تركته ببلخ » . ومر به رجل وهو يحرس كرما ، فقال : « ناولنى من هذا العنب » . فقال : « ما أذن لى صاحبه » . فحول السوط وضرب رأسه ، فجعل يطأطىء رأسه ، ويقول : « اضرب رأسا طالما عصى الله » .

وكان أويس (٥) رحمه الله يأتى المزابل إذا جاع ، فأتاها فإذا كلب قد نبح عليه ، فقال : يا كلب لا تؤذنى ، (ولا أوذيك) (٦) . كل مما

(١) ى : ظ (حالة فقدتها) . (٢) ف : (فلم يدر) .
(٣) بحث موضوع الخمول يأتى فى الملحق الأول آخر الكتاب بعون الله .
(٤) ى : ظ (أبا سعيد) بحذف ياء النداء .
(٥) هو أويس القرنى . شخصية عجيبة بين رجال التصوف (راجع ترجمته فى . الطبقات الكبرى للشعرانى) .
(٦) ساقطة من : س .

يليك ، وآكل مما يليني . فإن دخلت الجنة فأنا خير منك ، وإن دخلت النار فأنت خير مني (١) .

قال أبو علي الدقاق ، إن المشايخ قالوا : (إن) (٢) طريقنا هذه لا تصلح إلا لأقوام كنسوا (٣) بأرواحهم المزابل .

وذكروا أن بعض المشايخ رأى شابا دخل مكة بعد الموسم ، منقطعا منكسرا محزونا (٤) ، كما يكون المنقطعون . فقال له ذلك الشيخ : أنا حججت كذا وكذا مرة ، فهب لى هذه الكسرة ، وأهب لك الحجات كلها ، .

وقال عبد الله بن مرزوق لغلامه عند الموت : « أحملني فاطرحني على تلك المزبلة ، لعلي أموت عليها فيرى ذلي فيرحمني » .

ووقف قوم على راهب ، فقالوا : « إنا سائلوك أفتجيبنا » ؟ فقال : « اسألوا ولا تكثروا ، فإن النهار لن يرجع ، والعمر لن يعود ، (٥) ، والطالب حثيث » ، قالوا : « فأوصنا » ، قال : تزودوا فإن خير الزاد ما بلغ البغية » .

وعن بشر الحافي ، أن كان يوما يلتقط من الطريق ، فجاء كلب يلتقط معه (٧) ، وكان بشر يلتقط البقل ، والكلب يلتقط العظام (٦) ، فظهرت لقمة (خبز) (٨) ، فأراد بشر أن يأخذها ، فنبح الكلب ، فطرح بشر

---

(١) القصة فى نهايتها صحيحة المعنى ، أما أن عارف من العارفين كان يأكل من المزابل فهذا هراء فارغ نسجته أيدى القصاصين . حقا كانوا يأكلون من عشب الصحراء ، ويكتفون بتمرة فى اليوم ، أما القمامة فلا يمكن أن تتفق مع رقة ذوق القوم .

(٢) ساقطة من : س .

(٣) فى : س ، ظ (كنس الله بأرواحهم المزابل) .

(٤) فى : س (محروقا)

(٥) فى : ظ ، والقمر لن يعود :

(٦) فى : ظ ، فلقط معه ، وفى : س . يلقط .

(٨) فى الأصل : الطعام ، والترجيح من : ظ .

(٨) ساقط من : س .

اللقمة إليه ، وقال : « إن كانت العاقبة لخير فلا يضرنى ما أنا فيه ، وإن كانت على وجه آخر ، فأنت خير منى » .

ورقة الغيرة ، غيرة الحق عليهم :

قال إبراهيم بن شيبان : اشتهيت خبزا وعدسا فأكلته ، فرأيت على باب مسجد قوارير ، فتوهمتها خلا ، فقال لى رجل : « إنها خمر » . فقلت : « لزمنى فرض إراقتها » . فسكبتها دنا دنا ، وأخذت فضربت مائتى مقرعة ، وطرحت فى السجن أربعة أشهر ، حتى سمع أستاذى بالحال ، فشفع فى ، ودخل إلى ، فلما وقعت على عينه ، قال : « أى شىء هذا » ؟ قلت : « شبعة خبز وعدس ، بضرب مائتى خشبة وسجن أربعة أشهر » . فقال لى : « نجوت مجانا » . يعنى وردت العقوبة [١٢٤ ا] على ظاهرك ، ولم تتغير حقيقة سرك . وهو أدب الأفعال .

وقال ابراهيم الخواص : « نزعت الشهوات من باطنى ، إلا الرمان . فاجتزت برجل مريض ، والزنابير تقع عليه ، وتأكل لحمه . وسلمت عليه ، فرد السلام (١) (بالاسم) (٢) من غير معرفة منى ، فقلت : أرى لك حالا مع الله ، فلو دعوته يريحك من هذه الزنابير ، ويصرفها عنك . فقال : وأنت لو دعوته يخلصك من شهوة الرمان ، فلدغ الزنابير على الأجسام (ولا) (٣) لدغ الشهوات على القلوب » . وهذا أدب الأقوال .

وقال أبو تراب النخشبى : « ما تمنت قط نفسى إلا مرة واحدة ، تمنت خبزا وبيضا فى بعض أسفارى ، فعدلت عن الطريق إلى قرية ، فوثب رجل وتعلق بى ، وقال : كان هذا مع اللصوص . فبطحونى ، وضربت سبعين

---

(١) فى : ظ ، ورد السلام .
(٢) ساقطة من الأصل : ظ .
(٣) ساقطة من : ظ ، س .

خشبة ، فوقف علينا رجل ، وصرخ وقال : هـذا أبو تراب . فخلونى ، واعتذروا إلى ، وأدخلنى الرجل منزله ، وقدم إلى خبزا و بيضا . فقلت فى نفسى : كل بعد سبعين مقرعة » .

وقال النهرجورى : رأيت رجلا فى الطواف بعين واحدة ، يقول : « أعوذ بك منك » . فقلت : « ما هذا الدعاء » ؟ فقال : « نظرت إلى رجل فاستحسنته ، فإذا لطمة قد وقعت على بصرى ، فسالت عينى . وسمعت : لطمة بلحظة ، ولو زدت زدنا » .

ابن الجلاء قال : كنت أمشى مع أستاذى فرأيت حدثا جميلا ، فقلت : « يا أستاذى . ترى يعذب الله هذه الصورة ؟ » قال : « أو نظرته ؟ سترى غينه » (١) . فنسيت القرآن بعد عشرين سنة .

وقال رويم : اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ، ببعض السكك وأنا عطشان ، فاستسقيت من دار ، فخرجت صبية بكوز ، فلما رأتنى قالت : « وصوفى يشرب بالنهار » ؟ فما أفطرت بعد ذلك .

ورقة الحكم والإشارات :

قال ذو النون : سمعت خلفى بدجلة تقطقطا (٢) ، والتفت فإذا فتى نحل جسمه ، واصفر لونه ، قد ائتزر بمئزر الحياء ، واتشح بوشاح المراقبة ، فسلمت عليه . فقال : « وعليك (السلام) (٣) ياذا النون » . فقلت « من أين عرفتنى » ؟ قال : « عرف سرى سرك واطلع صفاء ضميرى على صفاء ضميرك ، فعرفنى من أنا وأنت عبده » . فقلت له : « متى يستوجب العبد الولاية » ؟ فقال : « إذا نشرت عليه خلع الهداية ، وقلد سيف الكفاية ، فهى ولاية يا لها من ولاية » .

---

(١) فى : س ، ظ ، (عينه) ولا يستقيم المعنى بها . والغين : ظلام القلب من المعصيه .
(٢) فى : ظ (تطقطقا) .
(٣) ساقطة من : ط ، س .

وقال سمنون : كنت فى بعض أسفارى فدخلت ضيعة فرأيت الصبيان قد أحدقوا بغلام شاب ، عليه خلق أطمار . وعلى وجهه محاسن آثار ، وفى يده قيد ، وفى رجليه سلسلة طويلة ، فوقفت فرفع رأسه وقال : « يا سمنون يا مدعى المحبة ، وتلبس هذه المرقعة المصبوغة ، ما معنى المحبـة » ؟ قلت : « المحبة رؤية العزة فى الذل ، وإن كنت تحت القيد والغل » . قال : « صدقت » . قلت : « فصف لى أنت المحبة » . فقال : « (كيف) (١) أصف شيئـــاً لم أجده حق وجوده ، ولا علمنا منتهاه فى نفس أحد ؟ من قال رويت من المحبة فهو كذاب ، ومن شكى منها فهو مدع ، ومن ذكر فهو مفتر » . يعنى بعد النسيان . وكذلك قالوا فى قوله تعالى : « واذكر ربك إذا نسيت » .

وقال بعضهم : عطفنا مع أبى يزيد إلى مصر ، فلمـا دخلنا الجامـع ، وقف على حلقة فقيه [١٢٤ ب] قد سئل عن تركة ، وكيف يقسم مالها ، فأخذ يضرب الأعداد ، ويعمل طريقـة الفرائض ، فصـاح أبو يزيد : « يا فقيه ، مسألة » . فقال : الفقيه : « سل » . قال : « ما تقول فى رجـل مات وخلف الله » ؟ فنظر القوم إليه وبكوا . فقال أبو يزيد : « العبد لا يملك شيئا ، فاذا مات لا يخلف إلا مولاه ، لأن (٢) آخر العبد يرجع الى أوله ، لأن أوله فرد » .

قال الشبلى : لقيت جارية حبشية ، فقلت : « من أين » ؟ قالت : « من عنـد الحبيب » . قلت : « وإلى أين » ؟ قالت : « إلى الحبيب » . قلت : « وماذا تريدين » ؟ قالت : « الحبيب » . قلت : « كم تذكرين الحبيب » ؟ قالت : « ما يسكن لسانى عن ذكراه ، حتى ألقاه » .

ورقة من الإشارات :

روى أن الشبلى ، كان فى ولهه يوما فى مجلس الجنيد ، فتواجد ، فقال له الجنيـد : « الغيبة حرام » . معنـاه : إن كنت تذكره وهو حاضر

---

(١) ساقطة من الأصل ، ظ .   (٢) فى : س ، (فإن آخر العبد) .

فالتواجد ترك الحرمة ، وإن كنت تذكره وهو غائب (فهى غيبة)(١) والغيبة حرام (٢) .

قال عمر البسطامى : كنت عند أبى يزيد ، فقال : « يأتى الآن (٣) ولى من أولياء الله ، فقم بنا نتلقاه » . فاذا إبراهيم بن شيبة . فسلم عليه أبو يزيد وقال : « علمت أنك تجىء فاستوهبتك له » . فقال : « يا أبا يزيد لو شفعك فى جميع الخلق فإنما شفعك فى قطعة طين » فعجب أبو يزيد ، معناه : أن الطين موات ، وحقيقة الشفاعة إنما هى للأرواح (ولو استوهب روحى ، لقصرت المسافة ، ووقع الاجتماع فى عالم الأرواح) (٤)

قالوا : بعث الخليفة إلى [سفيان] الثورى مالا يفرقه على أصحابه ، فصبه فى البيت ، وقال للفقراء : « ادخلوا ذلك البيت ، فاحملوا منه قدر حاجتكم » ، فدخلوا . فمنهم من أخذ دانقا ، ومنهم من أخذ نصف دانق ، ومنهم من أخذ درهما ، فلما خرجوا . قال لهم : قربكم من الحق ، أو بعدكم أنظروه فى نسبة ما أخذتم » . أراد أن يضيقوا على أنفسهم ، بعدم الالتفات إلى غير الله .

وحكى أن امرأة تصدقت برغيف ، فأخذ السبع ولدها ، فجاءت إلى بعض الصالحين فدعا لها . فألقى السبع ولدها ، ونوديت : لقمة بلقمة ، تصدقت برغيف من أجلنا ، فرددنا ولدك . وإنا لحافظون من استودع إلينا .

روى أن أبا حفص الحداد كان يعمل ، فغلب فى فكره ذكر محبوبه ، ونسى به أن يخرج الحديد من الفرن بالكلبتين ، (وأخرجه بيده ، فبينما الغلام يطرق بين يديه على الحديد ، ناداه : يا أستاذ . الحديد بيدك من

---

(١) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٢) هذا لون من التوحيد السلوكى يؤدى إلى الحضور الدائم مع الله وحسن الأدب فى حضرته وليس المراد منه معنى الغيبة الشرعية .

(٣) فى : (يأتى اليوم) .   (٤) ما بين الحاصرتين . ساقط من الأصل .

غير الكليتين) (١) فرمى به فى الحال . وقام وخرج فى البرارى ، يقول : من شرط المحب الكتمان ، لا الافتضاح والإعلان . يا حبيبى سترتنى كما أردت ، وفضحتنى كيف أردت ، فلك الحمد فى جميع الأحوال .

ورقة فى تسترهم (بالعمل)(٢)

كان أبو أيوب السختيانى إذا وعظ ، فرق (٣) من الرياء ، فيمسح وجهه ويقول : ما أشد الزكام . وكان بعضهم يحيى الليل كله ، فإذا كان عند الصباح ، رفع صوته كأنه قام من تلك الساعة . وكان إبرهيم النخعى ، إذا قرأ فى المصحف فدخل داخل غطاه . وكان ابن أبى ليلى إذا دخل داخل وهو يصلى ، اضطجع (٤) على فراشه . ومرض ابن أدهم فجعل عند رأسه ما يأكله الأصحاء ، لئلا يشبه الشاكين .

ورقة فى ظرفهم :

دخل بعضهم إلى دار قوم ، فرآى حبا وإلى جانبه صبر ، مزدرعين فى الدار ، فتواجد وقال : حب وإلى جانبه صبر . وذكروا أن بعض أرباب المعرفة قد نزل إلى الشط ببغداد ، فقال : يا ملاح احملنى . فقال : إلى أين؟ قال : إلى دار الملك . فقال : معى راكب (٥) إلى القطيعة . فصاح : لا بالله ياملاح . أنا أفر من القطيعة منذ سبعين سنة . والقطيعة موضع معروف .
[١٢٥ ا] ومن هذا قول بعضهم .

لا أحب السواك من أجل أنى ... إن ذكرت السواك قلت سواكا
وأحب الأراك من أجل أنى ... إن ذكرت الأراك قلت أراكا

وقال الآخر :

بالله إن جزت بوادى الأراك ... وقبلت أغصانه الخضر فاك
فاهد إلى عبدك من بعضه (٦) ... فإننى والله مالى سواك

---

(١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل . (٢) ساقطة من : ظ .
(٣) فى : ظ ، س ، إذا وعظ فر من الرياء . ومعنى ما فى الأصل . خاف من الرياء .
(٤) فى : س . نام على فراشه . (٥) فى : ظ ، ركاب .
(٦) فى : س ، فابعث إلى المملوك من بعضه .

الفرع الثانى، من الغصن الرابع

فى [حكايات] المثبت الجريح

ورقة:

روى عن بعضهم من الواجدين الصادقين ، الذين يسمعون ألسن الأكوان ناطقة ، ويرون أعينها مشيرة رامقة ، أنه سمع عتابا بين محبين ، فشهق وغشي عليه ، فلما أفاق بعد حين ، قال : أعجبنى ذل المحب ، وعز المحبوب ، وحسن صبره للبلاء على المطلوب ، فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى . ويرحم الله ابن أبى ربيعة [إذ يقول] :

وذو الشوق القديم وإن تعزى   مشوق حـــين يلق العاشقينا

ورقة :

تكلم الشبلى فى المسجد ، فوقع أحد الحاضرين مغشيا عليه ، فلما أفاق حين (١) فرغ الشبلى من كلامه ، أخذ (٢) بعض الناس يمسح وجه المتغاشى ، ويجفف دمه ، ويزيل التراب من وجهه . فقال الشبلى : « لا تمسح آثار عبادته ، فإنه تائب فى أول صلحه مع الله » . وهى إشارة إلى قوله (صلى الله عليه وسلم) فى الشهداء : « زملوهم بكلومهم ودمائهم » .

قال ابن مجاهد : قدمت رجلا من أصحابى يصلى بنا صلاة الظهر ، فلما كبر غشى عليه ، فلم يفق إلا وقت الظهر من الغد ، فقلت : مالك ؟ قال : (لمـا قد متموتى) (٣) هتف هاتف من قلبى : إن لم يعرفك هؤلاء ، أليس أعرفك أنا ؟ فغشى على وأنا فى مراقبة المحبوب .

---

(١) فى : ظ ، س ، فما أفاق ، حتى فرغ الشبلى .
(٢) ى : ظ . فأخذ .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

ورقة :

حكى أبو فروة السائح ، قال : بينما أنا ببعض الجبال ، إذ سمعت صوتا تتبعه صرخة ، وهو يقول : « يامن آنسنى بذكره ، وأوحشنى من خلقه ، وكان لى عند مسرتى ، ارحم غربتى ، وهب لى من معرفتك ماأزداد (به)(١) تقربا إليك ، يا عظيم الصنيعة (٢) إلى أوليائه ، اجعلنى اليوم من أوليائك » ثم صرخ أخرى ، فأقبلت فإذا شيخ قد سقط مغشيا عليه ، فسترته . ولم أزل حتى أفاق ، فقال : من أنت ؟ قلت : ابن آدم . فقال : عنى . فمنكم هربت ، وهام منطلقا يهرول ، فقلت : دلنى على الطريق يرحمك الله . فأومأ بيده نحو السماء .

ورقة :

عن جعفر الخلدى ، أنه مر بمقبرة ، فرأى امرأة على قبر تندب بحرقة كبينة ، وأشجان حزينة ، فقال لها : مالك ؟ . فقالت « (أنا) (٣) ثكلى (بولدى) (٤) فقال لها : « الثكل ثكل من كان له واحد ، ففرق بينه وبين ذلك الواحد » ثم شهق شهقة عظيمة ، وغشى عليه ، فما أفاق إلا بعد حين .

ورقة :

قال يوسف بن الحسن . كنت أسير فى طريق الشام ، فعدلت عن الطريق ، وتراءت لى صومعة فيها راهب ، فقال لى : « فى هذا الوادى رجل متخل من فتنة الناس (٥) ، أليف للأشجان ، متغرب بالأحزان (٦) ، واشوقاه إلى حديثه ، فأقرئه السلام » . فنهضت فإذا أنا برجل قد اجتمعت إليه الوحوش ، فنظرت إلى رجل منكس رأسه ، [١٢٥ ب] تعلوه هيبة

---

(١) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٢) فى الأصل ، ظ يا عظيم الصنعة .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) ساقطة من : س .

(٥) فى : س ، عن فتنة الأنس.

(٦) فى : س . يتقرب بالأحزان .

عظيمة ، وهو يقول . « لك الحمد على ما وهبتنى من معرفتك ، وخصصتنى من محبتك ، لك الحمد على آلائك ، وعلى جميع بلائك ، اللهم ارفع درجتى ، وادخل قلبى ، وانقلنى إلى رتبة الأبرار » . ثم قال : « من لى بهم » ؟ وصاح صيحة عظيمة ، ثم خر مغشيا عليه ، فلم يتحرك . فانصرفت . فأخبرت ذا النون . فقال : « ذلك بحر من بحور العلم والعمل لم أر مثله » .

ورقة :

قال أبو عاصم : حضرت مع جماعة من أصحاب العلم والحديث ، قد فرغوا من المعارضة والقراءة تشهوا على بعضهم أن يقول لهم أبياتا ، وكان فيهم رجل من الفضلاء ، فأعاد القوال[1] .

لو بماء البحور (٢) تبكيك عينى جف ماء البحور أى جفاف
يا ليالى الوصال أنعشت قلبى أنت عندى من الليالى الشراف

قال : فصرخ وقال : « يا ليالى الوصال » ولم يزل يكررها حتى غشى عليه ، فلما أفاق سحرا ، قال : رحم الله من توضأ وصلى ركعتين ، « الأمر عسير ، والناقد بصير » .

ورقة .

قال بعض الصالحين : لقيت غلاماً فى طريق مكة ، فقلت « أما تستوحش ؟ قال : إن الأنس بالله قطع عنى كل وحشة » فلت : « أين ألقاك » ؟ قال : أما فى الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائى ، وأما فى الآخرة ، فهى[3] بجمع المتقين » قلت : فأين أطلبك فى الآخرة » قال فى زمرة الناظرين إلى الله » . قلت : « وكيف علمت ذلك » قال : « بغضى طرفى (له)[4] عن كل محرم ،

---

(١) فى : ط ، القوال .
(٢) فى : س ، البحار .
(٣) فى : ط ، س ، فإنها .
(٤) ساقطة من الأصل ، ظ .

واجتنابي فيه كل منكر ومأثم ، وقد سألته أن يجعل جنتي النظر إليه » ، ثم صاح وغشى عليه ، فلما أفاق (١) قام يسعى حتى غاب عن بصرى .

ورقة .

قال محمد بن سالم : رأيت فى البادية شيخاً ظاهر المراقبة. دائم المجاهدة فسلمت عليه ، فقال : «عليك السلام يا فلان » فقلت . « وهل سبقت معرفة » ، « فقال نعم » أولها ألست بربكم ، وثانيها أذان الحبيب بالحج ، والثالثة بالأجناد المجندة » . فقلت : كيف الطريق » . فقال : « الحلال بين والحرام بين ، والطريق سالكة » . . فلما خرجت فى وجهتى تلك إلى منى، إذا بحلقة والشيخ يقول : برح الخفاء ، وهان(٢) التهتك ، ثم شهق وغشى عليه فلم يبق طرف إلا بكاه .

ورقة .

قال الشيخ الهروى : اجتمع صوفية فيهم غلام ، وترنم القوال ، بقول القائل :

قطعت جوارحه ولم يتكلم   بهوى مصون فى الفؤاد مكتم ١
فبكى وقال لعينه مستعتبا   من ذا دعاك إلى فضيحة مسلم

وغشى عليه ، ثم أفاق وهو شيخ منكسر ، ولم (تطل) (٣) مدته أن هلك .

الفرع الثالث من الغصن الرابع

فى [حكايات] الصريع الطريح

ورقة .

روى أن بعض المشايخ نزل فى سماوية(٤) ليعبر من الجانب الغربى ، إلى الجانب الشرقى ، وهو يشكو إلى أصحابه من عجزه عن وقت أوراده

---

(١) فى : س ، ولما أفاق .
(٢) فى : ظ ، س ، وحان
(٣) ساقطة من : ظ ، س .
(٤) السماوية : نوع من القوارب تعبر النهر .

وأسفاره . وهو يبكى بكاء شديدا على ما مضى من صفاء أحواله ، فبينما هو فى ذلك ، وقد اجتازت السماوية تحت قصر من قصور الشاطىء ، فسمع قوالا ينشد .

حمام الأراك ألا فاخـبرينا   بمن تهتفين ومن تندبينا
فقد سقت ويحك نوح القلوب   واذريت ويحك دمعا معينا
[١٢٠ ا] تعال نقم مأتما للفرا   ق وتندب إخواننا الظاعنينا
ونسعدك بالنوح كى تسعدى   كذاك الحزين يواسى الحزينا

ـ وتقول المغاربة : لا تحرك من دنا أجله ـ قال : فشهق الشيخ شهقة . ولم يزل يبكى ويكرر . تعال نقم مأتما للفراق . ثم تشهد ومات .

قالوا : فى مشاهدة الربوع ، بجاودة الدموع ، وفى تغريد الحمام (١) ، تجديد الحمام . أحمد بن أبى الحوارى ، قال : (سمعت ببعض الطريق جلبة ورأيت رجلا مغشياً عليه ، وقالوا . سمع)(٢) متكلماً فى المحبة يقول . «ألم يأن لمن بعد عن جنابنا ونآى عن بابنا ، أن يعود بقلبه إلى محبتنا » فغشى عليه . قال أحمد . فأمرت بعض القراء أن يتلو . « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » فأفاق وقال .

ألم يأن للهجران أن يتصرما   وللغصن غصن البان أن يتنعما
وللعاشق المضنى الذى ذاب وانحنى   ألم يأن ان يبكى عليه ويرحما

قال سالم : بينما أنا مع ذى النون بجبل لبنان ، إذ قال قف مكانك . فساح وغاب عنى ثلاثة وعاد متغيرا فقال . دخلت كهفاً فيه شيخ نحيف ، مشتغل بالعبادة . فلما فتر قلت « أوصنى وادع لى ، قال : « يابنى من آنسه الله بقربه أعطاه أربعا . غنى بلا مال ، وأنسا بلا جماعة ، وعزا بلا عشيرة ،

---

(١) فى الأصل : فى تفريد الحمام . تصحيف .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : س ، ظ .

وعلما بلا طلب ، ثم شهق ولم يفق إلا بعد ثلاث ، ولما أفاق سألنى عما فاته فقضاه ، ثم قال .

إن ذكر الحبيب هيج شوقى   إن ذكر الحبيب أذهب عقلى

وقال لى انصرف . فقلت : « وقفت عليك ثلاثة رجاء للإفادة . فقال : أحب مولاك ولا تحب سواه ، ولا ترد بحبه بدلا » . ثم صرخ صرخة ثانية ، ووقع فحركته فإذا هو ميت . وبعد هنيهة نزل جماعة من العباد ، فواروه ، وسألتهم فقالوا : شيبان الموله .

ورقة

قال بعضهم : كنت مع بشر ، وإذا شاب تائب سريع الدمعة قليل الكلام ، كثير التفكير ، قد سأله : « يا أبا نصر ، ما جزاء من خالف محبوبه » . قال : « يقتل بسيوف العقاب ، ثم يحرق بنار الهوى ، ثم يذرى فى هواء الذل ، فإن شاء جمعه ، وإن شاء فجعه » . قال : فشهق ولم يزل يئن (ويشهق) (١) ويرعد إلى أن مات ، فجهزته أنا وبشر ، وواريناه التراب . وفى مثله يقول الشاعر .

البين بين لروح المستهام إذا (٢)   ماقيل قد بان من يهواه وارتحلوا .

ياسائلى كيف مات العاشقون فما   ماتوا ولكن بأسياف الهوى قتلوا

وقال أصحاب أبى بكر الرقاق : لما قربت وفاته ،خشينا ألا نعلم حاله ، ولا نسمع منه شيئا ، فرأيناه (٣) (قهقه) (٤) ثم سكت ، ثم قهقه ، ثم قال . عز على يا صادق الوعد ، يا وفى العهد ، أن وفيت لى ، وما وفيت لك » .

الكتانى قال : كان رجل (منهم) (٥) حاسب نفسه ، فبلغ عمره ستين

---

(١) ساقطة من : س .

(٢) الشطر الأول مضطرب ى : ظ ، س هكذا : أليس من لروح المستهام إذا .

(٣) فى : ظ . س ، واعيناه .   (٤) ساقطة . من : ظ ، س .

(٥) ساقطة من : س .

سنة ، فحسب أيامها فألفاها أحد وعشرين ألفا وخمسمائه ، فقال: « أويلاه . لا أقل من ذنب فى اليوم ، ألقى مولاى بأحد وعشرين ألف ذنب،وخمسمائة ذنب ، واخجلتى منه » ، [١٢٦ ب] ثم شهق شهقة عظيمة ، فحركته فاذا هو ميت .

ورقة :

قالوا : أوحى الله إلى عيسى بن مريم: إن لى أمة ترافقك فى الجنة ، ودله عليها ، فاذا بالمرأة عمياء مشلولة الأطراف ، فعجب منها وسألها ، فقالت . لوكان لى يدان ربما جمعت بهما الحرام ، فشهدتا على . أو رجلان ربما مشيت بهما فى معصية ، أو عينان ربما أبصرت بهما زخارف الدنيا ، وحوسبت لأجلها . قال . فما حاجتك ؟ قالت . المغفرة وليست لك (١) ، ولكن لى ابن يتولى وضوئى وصلاتى ، أسأل الله أن يعطيه أجرى(٢) . قال . فلما انفصل لقى شبابا يبكون ، وقالوا : كان لهذه المرأة المسكينة ابن واحد يخدمها ، فأكله الذئب ، (فرجع إليها عيسى فقال . أحسن الله عزاءك فى ابنك ، فقد أكله الذئب) (٣) فقالت . الحمد لله الذى رفع عنى مؤنة مواراته مع ضعفى عن ذلك (٤) ، فقال : حق لك أن تكونى رفيقتى فى الجنة . قالت . من أين لك هذا ؟ . فأخبرها عن الله . فشهقت شهقة عظيمة ، وخرت ميتة ، فواراها التراب وانصرف .

قال ابن السماك . أتيت الربيع بالبصرة ليدلنى على العباد ، فدق باب عجوز وقال . « ما فعل ابنك» ؟ . قالت. « نسى الدنيا » ، قال « أو أستأذن عليه » ؟. قالت . « بشرط ألا تذكر القيامة » (٥) فدخلنا على شاب عليه

---

(١) فى : س ، وليست إليك .

(٢) فى : س ، أن يعطيه أجره .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س : ط .

(٤) فى الأصل ، ظ : مع صعفى على ذلك .

(٥) فى : الأصل ، ظ القيمة .

مدرعة شعر ، وبعنقه سلسلة مشدودة لسارية فى البيت ، وهو قاعد على شفير قبر حفره ، فقال : « ما أنت قائل يابن السماك » ؟ . فقلت : « يا أخى. للعباد مقامات يوم القيامة » قال : « عند من » ؟ قلت : « عند ملك الملوك » فشهق شهقة عظيمة خرلها ميتا فلم نبرح حتى واريناه . وفى الليلة التالية ، رأيته يتبختر بين يدى العرش ويقول : خروج الروح فى المجاهدة يوجب التبختر على بساط المشاهدة .

ورقة :

كان النخشبي يقول لبعض المريدين : « لو رأيت أبا يزيد لا نهج (١) لك الطريق » ، فيقول (له ، قد)(٢) رأيت الله فأغنانى عن رؤية أبى يزيد ، فقال : « لو رأيت أبا يزيد لكان أنفع لك ، لأنك رأيت الله عندك من حيث أنت » ، وإذا رأيت أبا يزيد ، رأيته من حيث (هو) (١) ، فأجابه ومضى إلى بسطام ، فلما خرج أبو يزيد ، قال له ، « هذا أبو يزيد فانظر إليه » ، فنظر المريد إليه فصعق ، ووقع لحركته فإذا هو ميت ، قال فتعاون هو وأبو يزيد على دفنه ، وقال لأبى زيد « نظرة إليك قتلته » ، فقال : « لا ، ولكنه كان صادقا وكان استكن فى قلبه سر لم ينكشف بالوصف ، فلما رآنى انكشف سر قلبه ، فهاج شوقه ، فضاق عن حمله ذرعه ، إذ كان فى ضعف مقام الإرادة » .

أحن إذا رأيت جمال سعدى ... وأبكى إن سمعت لهـا أنينا

ورقة :

قال ذون النون (المصرى) (٤) : عطشت فى بعض سياحاتى فإذا شيخ قائم يصلى فسلمت فلما فرغ قال : « وعليك (السلام) ياذا النون

---

(١) فى : س ، لكان أنهج لك الطريق. (٢) ساقطة من الأصل ، ظ .
(٣) ساقطة من : ظ . (٤) ساقطة من : ظ ، س .

فقلت : من أين عرفت اسمي . قال : اطلع شعاع أسرار المعرفة من قلبي على ضياء أنوار المحبة من قلبك . فعرفت روحي روحك بحقائق الأسرار . قلت : أراك وحيدا . قال : الأنس بغير الله وحشة ، والتوكل على غيره ذل . ثم ذكر ما فى نفس من العطش ، ودلنى على ماء قريب ، فمضيت وشربت [١٢٦ ب] وعدت وهو يبكى ، بشهيق وأنين فقلت : وما يبكيك ؟ قال : إن لله عبادا إذا سقاهم بكأس محبته شربة أذهبت عنهم ألفة الكرى ، قلت دلنى على أهل الولاية ، قلت وما علاقة المحبة، قال : « المحب لله غريق فى بحر الحرق (١) إلى قرار التجريد ، قلت فما علامة المعرفة ، فقال : « العارف من لم يطلب فى معرفته جنة ولا نارا ، ولم يعظم سواه معه . قال : ثم شهق شهقة عظيمة وخرجت روحه ، فواريناه (٢) فى الموضع وانصرفت .

انظر فإن كان حتفى منك فى النظر   تنظر إلى شبح يخفى عن الفكر (٣)
ما عرس(٤) الواجد فى ربع للوعته   إلا رأيت به دمعى على الأثر
إنى لأخفى اشتياقى وهو مشتهر   من أين يخفى ودمعى صاحب الخبر

قال على بن يحيى : صحبت شيخا من أهل عسقلان ، كامل الأدب ، متهجد الليل ، وكنت أسمع أكثر دعائه الاستغفار والاعتذار ، ودخل بعض كهوف جبل لكام(٥) ورأيت العباد يهرولون إليه ، فلما أصبح يريد الخروج ، قال له أحدهم : « عظنى » . قال له : عليك بالاعتذار ، فإنه إن قبل عذرك ، وفزت بالمغفرة سلك بك الى المقامات ، فوجدت أمانيك » .

(١) فى : ى الأصل : (فى بحر الحزن) .
(٢) فى : ظ (فواريته) .
(٣) ى الأصل (يخفى عن القطر) .
(٤) ى : ظ ، س (ما عرش) وقد جاء هذا البيت مؤخرا عن الذى يليه .
(٥) ى : ظ (جبل لكارم) تحريف . وفى : س (دخل كهوف بعض جبل لكام) .

ثم بكى وشهق ، وخـــرج فلم يلبث أن مات ، فرأيته فى النوم . فقلت : « ما فعل الله بك » ؟ فقال : « الله أكرم من أن يعتذر إليه مذنب فيخيب ظنه ، ولا يقبل عذره . إن الله غفر لى ؟ وشفعنى فى أهل لـكام » .

ورقة :

روى أن صوفيا سمع القارىء فى الحرم يقرأ : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا » فشهق شهقة عظيمة ، وقال : يا أصحاب الدعاوى ، أين المعالى (١) ، هذه أخبارهم ما أطيبها ، هذه آثارهم ما أهيبها ، ثم وقع مغشيا عليه ، فلم يرفع من موضعه إلا ميتا .

وكان بعض الصالحين يتستر بإظهار الجنون ، فتبعه مريد ، فقال : والله لا أبرح حتى تكلمنى بشىء ينفعنى ؛ فإنى عرفت تسترك . فسجد وجعل (٢) يقول : سترك . سترك . ومات .

قال بعض السلف : رأيت شابا فى سفح جبـل ، عليه آثار القلق ، ودموعه تنحدر ، قلت : من أين (٣) ؟ قال : آبق من مولاه . قلت : يعود ويعتذر ، قال : العذر يحتاج إلى حجة . ولا حجة للمفرط ، قلت : فتعلق بشفيع . قال : الشفعاء يخـافون منه ، قلت : ومن هو ؟ قال مولى ربانى صغيرا ، فعصيته كبيرا ، فواحيائى من حسن صنعه ، وقبح فعلى . ثم صاح صيحة وخر ميتا ، فخرجت عجوز فقالت : من أعان على البائس الحيران ؟ فقلت : أقيم عندك أعينك . فقالت : خله ذليلا بين يدى قاتله ، عساه يراه بعين رحمته .

ورقة :

قال فرقد [السنجى] دخل بيت المقـدس خمسمائة عذراء ، لباسهن

---

(١) فى الأصل (أين المعانى) .

(٢) فى : ظ (فجعل يقول) .

(٣) كرر الاستفهام فى : ظ مرتين .

(٤) ساقطة من : س .

الصوف والمسوح . فذكرن عقاب الله وثوابه (١) فمتن جميعا (قال الشاعر) (٢) .

أحبوا فرادى ولكنهم ، على صحبة البين ماتوا جميعا

وقال أبو طارق : شهدت ثلاثين رجلا ماتوا فى مجلس الذكر . يجيئون [١٢٧ ا] بأرجلهم صحاحا إلى المجلس ، وأكبادهم والله قريحه (٣) ، فإذا سمعوا الذكر انصدعت قلوبهم .

ورقة :

حكى عن على بن الفتح . أنه رأى الناس يتقربون فى يوم عيد . فقال : « إلهى . إن الناس يتقربون إليك بقرابينهم ، وأنا أتقرب إليك بروحى » وغشى عليه ، فلما أفاق ، قال : « إلهى كم تردنى فى هذه الدنيا الدنية » . قال : فمات من ساعته (رحمه الله) (٤)

وحكى المحاسبى قال : كنت قاعدا ، ودقت الباب على جارية تسترشد الطريق . فقلت : « طريق المهرب » ، أوطريق النجاة » ؟ فقالت : « يابطال وهل إلى المهرب طريق » ؟ (٥) ثم قالت : اقرأ على شيئا من القرآن . فجرى على لسانى قوله تعالى : « إن لدينا أنكالا وجحيما . وطعاما ذا غصة وعذابا أليما . يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا » . فصاحت وخرت ميتة .

وحكى بعضهم . أن فقيرا [كان] يأتى كل يوم ويقف بحذاء (٦) الكعبة ، بعد أن يطوف ما شاء الله ، ويخرج من جيبه رقعة وينظر إليها .

---

(١) ى : س (ثواب الله وعقاب) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٣) فى الأصل (قرحة) .

(٤) ساقطة من : س .

(٥) فى : ظ ، س (وهل يابطال إلى المهرب طريق ؟) .

(٦) فى الأصل (يأتى كل يوم إلى الكعبة) .

فلما كان بعد أيام ، فعل مثل ذلك . ثم تباعد ومات . فجاء من رمقه ، ونظر فى الرقعة ، (فاذا فيها) (١) : « فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا »

قال بعضهم : كنت عند ممشاد الدينورى ، فقدم فقير وقال(٢) : « سلام عليكم » . فردوا عليه ثم قال : « (ما) (٣) ها هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه » ؟ قال : فأشاروا عليه بمكان ، وكان ثم عين ماء ، فجدد الوضوء ، وركع ما شاء الله ، ثم مضى إلى المكان الذى أشاروا إليه ، فمد رجليه ومات . قلت : هذا ممن انتقض جرحه (٤) ، رحمه الله (٥) .

(١) ساقطة من : س .
(٢) فى : س (فقال) .
(٣) ساقطة من : ظ ، س .
(٤) فى : ظ (حرجه) .
(٥) فى : س (رحمة الله عليه) .

الجوائح التى تطرق الشجرة والجنى

فلا يحصل الفلاح منها إلا على العنا

قال المؤلف رضى الله (تعالى) (١) عنه : وهذه الشجرة المباركة على سمو فروعها ، ورسوخ أصولها ، وإيناع أوراقها ، والتفاف غصونها (٢) ، واعتدال طبعها ، وزكاء ثمرتها ، وطيب رياها (٣) ، وجمال صورتها ، وغرابة شكلها ، وكونها أم الأشجار ، وغريبة الليل والنهار ، ومتمتع الأحداق ، وراحة القلوب ، ومطمح الآمال ، ومجنى ثمرة السعادة . لها جوائح من نسبتها ، وعوائق من قبل هوائها ومائها وتربتها ، قال الشاعر :

واصل أخاك إذا تمكن وصله ... فخلوص أمر قل ما يتمكن
ولكل شىء آفة مرقوبة (٤) ... إن السراج على سناه يدخن

وقال الشاعر :

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت ... عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم (٥)

فإذا عنى الفلاح بصونها ، وخاف الفساد على كونها ، كان الله فى عونها وإذا توسل إلى الله فى علاجها ، وإصلاح سياجها ، أمنت من السموم واهتياجها .

والجوائح صنفان : أحدهما غفلة الفلاح ، والثانى أضرار الرياح .

أما ما يعود على الشجرة من غفلة الفلاح ، فكسور الأرض(٦) ، إذا لم تعاهد بالحرث فى أوقاته المعلومة ، وفصولها المحددة المرسومة (٧)

---

(١) ساقطة من : ظ ، س. (٢) فى الأصل ، ظ ، س : (والتفات غصونها).
(٣) فى : ظ (وطيب ريها). (٤) فى : (آفة موقوفة) .
(٥) فى : ظ (بالرثم).
(٦) فى : ظ ، س (فكبتور الأرض) جمع بتر ، ولعلها تحريف .
(٧) فى : ظ (الموسوعة).

أو تمرجها بكثرة السقى (١) ، وانسياب المياه غير النافعة (٢) (وأصنافها الضارة ، إما بكيفيتها كالمياه المالحة ، والكبريتية والآسنة) (٣) والحمأة أو بكميتها كإرسال الأنهار والجداول الضخام ، التى تخلط الحدود ، وتجلب الرمل (٤) والحجر والغشا ، وتفسد المجارى المعتادة ، أو بعدم الماء الذى يمد مادة الحياة ، ويغذو بطون النبات ، ويتوسط بين عالم الأرض وبين رحمة عالم السماوات ، أو بفساد ما يجاور المنبت ، ويلاصق مسلك الموارد إلى الشجرة ، بسبب العشب المذموم ، والنبات المشئوم ، الذى يذهب ودك (٥) الأرض ، ويشرب (٦) قوة الفلح ، ويحجب عن سطح الأرض نور الشمس ، وينشر مؤذى [١٢٧ ب] الحشائش (٧) لاسيما الأجناس التى تعادى شجرة الحب بطبعها ، وتهلكها بجوهرها ، ولا تستقيم مع مداخلها (٨) وجوارها . وهى الرياء ، والملال ، والسلو ، والتبدل ، والبوح بالأسرار ، وموجبات الغيرة ، واليأس من الوصل .

فهذه العشب المذكورة ، والحشائش المشهورة ، أعدى عدو الشجرة (٩) ، وأضرها بهذه الفلاحة ، وعلى الفلاح المحقق ، والفارس الموفق ، ألا يأمن الفساد من جهاتها ، والمضرة من جرائها ، وانتكاث العقدة ، وإخفاق القصد بسببها ، وأن يصرف إلى التحفظ منها همه ، وإلى مدافعتها وكده وإلى الحذر منها عزمه .

---

(١) ى : ظ ، س (أو تمرجها لكثرة السقى) .

(٢) فى الأصل ، س (غير المياه النافعة) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٤) فى الأصل (وتحلها الرمل) .

(٥) الودك : الدسم .

(٦) فى : ظ ويشرح قوة الفلح .

(٧) الحشاش . هكذا ى الأصل ، س .

(٨) فى : ظ ، مداحلتها .

(٩) ى : ظ أعدى عدو للشجرة .

وأما الرياء . فهو شرك يحبط الأعمال ، ويوجب اختلال التملك ، ويدعو إلى عدم الحق (١) ، ويقسم مجتمع البال .

وأما الملال : فهو فصم فى عروة الوفاء ، وقدح فى حسن العهد ، [وهو] شر [فى] الأخلاق ، [والوفاء] إمام الشيم .

وأما السلو : فهو مطفىء سراج المحبة ، ومكذب دعوى الهوى ، وليل نهار الألفة ورضيع ثدى الغدر .

وأما التبدل . فدليل السخابة (٢) ، وشاهد مزلة القدم ، وعلم نار التلون (٣) ، وقاطع رحم الحياء .

وأما البوح بالأسرار فشاهد ضيق العطن (٤) ، ودليل حرج الصدر ، وعلامة مرض البصيرة (٥) .

وأما موجبات الغيرة : فنتائج النزق وثمرات زمانات المروءة ومصائد بذر الإدلال ، ودلائل سوء العشرة .

وأما اليأس : فخبيئة سوء الظن ، ومحقق وهن التماسك ، ولزيم الطيش ، وعدو الرجاء .

فهذا من جوائح الشجرة ، وعلل معروفة (٦) بإعيائها ، كم أفسدت من عشرة ، وفرقت بين لحاء وقشرة ، وكم ملأت المواقد من أغصان كانت ناعمة ، وشجرات [كانت] فى الخصب قائمة ، يعرف ذلك من بلى بغرس النوى فى أرض الهوى ، وخبر خبر الجوى ، من حيث اختلاف الأرياح والأنواء .

---

(١) فى : ظ ، س . إلى عدم الجد .

(٢) السخابة : الوقاحة .

(٣) فى ، ظ التسكون تحريف .

(٤) فى : ظ . ضيق الوطن .

(٥) فى : الأصل مرض البصر .

(٦) فى : س فهذه من حوائج الشجرة علل معروفة .

وأما ما يرجع إلى الجو ، فالجو على الجميع متآمر ، وفى الكل مؤثر ، وكما أن النجم والشجر يطرقه الفساد ، ويسبق أشواق (١) جنسا الكساد ، بسوء أحواله ، من جهة الطبائع والأهوية ، واختلاف الرياح ، فكذلك لهذا الجو الحسى رياح أربعة (٢) ، بعدد الخواطر .

فمنها ما يغذى ويربى ، ومنها ما ييبس ويهي (٣) ومنها ما يتلقاه الفلاح بالقبول ، ويترجى مع تواليه [أن] تأتى السيول ، وبلوغ المأمول ، ومنها ما يخاف منه على الجنى معرة الإسقـــاط ، وعلى الورق معرة الذبول ، فتدفعها تارة (بالستائر ، وتارة) (٤) ، بالدعاء المتواتر ، وتارة بالعلاج المجرب ، وسؤال المهذب المدرب ، وعرض مشكلاتها على الصوفى ، لا ، بل على المقرب .

---

(١) ى : ظ ويشق أسواق ، وفى الأصل ، ويشيق أشواق ، تحريف .

(٢) ى : الأصل ، أربع .

(٣) ى : الأصل ، يهيأ ، تحريف .

(٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل ، س .

الريح الأولى

ريح الخاطر الرحمانى

وهذا الخاطر متصل بالإرادة القديمة ، ومتعلق (بقول)(١) كن . وواقع الكون . وهو مما (٢) يجهل زمانه ، ويدهش الفلاح عند كونيته (٣) .

وهو ينقسم فى نفسه ، إلى هبة مزعجة ، متى وجدها الفلاح ، أو بجست فى نفسه لا يتمالك ، وهى لا تحرك إلا للخير ، ولا تعقل إلا به .

أو هبة باسطة ، إذا تقدمها خلوة ، أو انفصال من غيبة ، أو وقوع فى كلام على حقيقة ، فلا يتمالك إذا استنشقها أن ينبسط ، كما يجب على ما يجب .

أو هبة قابضة ، إما أن تكسبه إذا هبت عليه كمالا وصعودا إلى أرفع مما كان ، أو تحذره (٤) القواطع أو تجرده ، أو تكون له مقدمة غيبته ، أو يحله سكنا (٥) فى حضرة التعظيم والهيبة ، أو تلهمه الوعيد العلمى ، وتحذره من المنكر ، وتحمله على ابتغاء (٦) الوسائل المنجية .

---

(١) ساقطة من : س .

(٢) فى : ظ وهو ما يجهل الفلاح زمانه .

(٣) فى : ظ : س عند كيفيته .

(٤) فى : ظ أو تحذره .

(٥) فى : ظ ، س أو تحله ساكنا .

(٦) فى الأصل ، على إنبعاث الوسائل المنجيه .

الريح الثانية

ريح الخاطر الملكى

والخاطر الملكى متعلق بالخاطر الرحمانى ، ويتصل به ، ومباين لخاطرى(١) النفس والشيطان ، وهو مما يعرف الفلاح زمانه وأصله ، وأن الهداية (متعلقة بالخاطر) (٢) الرحمانى ، وكأنها فى هذا لا بالذات .

وكل خاطر رحمانى فيه غاية الملكى ، ولا ينعكس ، وهذه الريح توقظ الفلاح نحو الطريق السالكة ، وتأمره بالمعروف ، وتحثه على اكتساب الفضائل ، وتتممه وتكمله ، وكأنها له أستاذ ، وزاجر ومعلم من باطنه .

فمنها هبة تنبهه على (٣) طريقة التصوف ، وترشده إلى غوامضها ، وتقررها حتى يتصور ما لم يكن يتصور ، ويسمع مالم يكن يسمع(٤) أو هبة تعلمه السلوك على الطريق المذكورة ، وتحفظها له وتخلصها من الشوائب وإلى الصعود(٥) إلى منازل الأبرار ، أو هبة تعلمه الوصول ، وكيف البقاء بعده ، والعدم المطلق ، والوجود المطلق ، والخروج عن نفسه ، ثم الخروج عن خروجه ، والرجوع إلى حقه بأدب الحقيقة ، وهنا يبصر الغلط الخفى (٦) ، ويعلم الحياة والموت .

وأنواع الغلط كثيرة ، وأحوج ما يكون الفلاح لهذه الريح عند بدايته أو نهايته ، لعلمه بالغلط ، إذ التوسط بين البداية والنهاية منازل الجمهور ، وأكثر أهل الملة وإن لم يعلم ما ذكر ضل على علم ، كما حدث لكثير من الفلاحين (الذين انقطعوا) (٧) .

---

(١) فى : ظ لخاطر النفس . (٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .

(٣) فى : ظ عن طريق التصوف .

(٤) فى الأصل : على ما يتصور ، مما لم يكن يسمع ، وفى : س متى ينصور ما لم يكن يسمع .

(٥) فى الأصول كلها ، وتخلصها بين الشوائب وبين الصعود .

(٦) فى : س ، ظ تبصرة الغلط الخفى .

(٧) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل . والمراد السالكون إلى الله .

الريح الثالثة

ريح الخاطر النفسانى

والخاطر النفسانى متعلق بالخاطر الشيطانى ، ومتصل بالجسم ، ولواحق الجسوم موادها شيطانية ، وقواطعها جرمية بدنية جسمية ولا ترشد البعيد من حيث طبعه ، بل يقبل الزجر والتأنيب والسلخ ، ويفهم بالخاطر الملكى لكن بالعرض لا بالذات .

وهذا الخاطر يميل الفلاح إلى الشهوات البدنية الملذوذات ، وإن كانت مباحة ويحض على الجاه والصيت. وهذا (١) متداخل مع الخاطر الشيطانى فيطلبه بالتعظيم والظهور ، والتظاهر بالبر ، ويزين له حصوله على مرتبة التبرك ، ويكره الخلق عنده ، ويرى أنهم ممن لا ينبغى أن يخاطبوا ولا يلابسوا على عدم مؤاكلتهم ومشاربتهم (١) ، وعلى الورع اليابس ، الذى ربما رمى فى بدعة (٢) ، وربما أيأسه من الرحمة ، وأغراه بانتظار الكرامة ، وأكسبه الحزن على [عدم] نيلها ، وهون له الرخص ، والشبه القاتلة ، وقربه من التعطيل ، أو شوقه لمرتبة النبوة والاتحاد ،وأعانه على تأويل كل متشابه ، ويلهمه ارتكاب المحرمات ، بالأقيسة ، ويشوقه إلى هوى نفسه ، من باب الإباحة (٣) .

وبالجملة فهذه الريح مستمدة من الريح التى بعدها ، وكأنها مادة لصورتها ، واستعداد لظهورها .

---

(١) تختلط هذه المنزلة ، بمنزلة المعتزل المتحقق بمقام الخلوة ، والفرق بينهما أن العزلة الشيطانية والنفسانية تقترن باحتقار الناس ، واتهامهم بالزندقة ، وحراب الدين ، وأما الخلوة الحقة فتقترن بحسن الظن ورحمة المذنبين .

(٢) وذلك كالظهور بملابس مضحكة ، أو الظهور عاريا أمام الناس ، أو اتخاذ سمت غير مألوف ، أو إلزام الاتباع بذلك .

(٣) هذا ميدان يلعب فيه جهلة المدعين أخطر لعبة فى تاريخ الأديان ويصفق لهم جهلة المعجبين ، مسوقين بحسن النية ، وبالغباء الفاضح ، فكثيرا ما نسمع أن فلانا من المشايخ إذا أمسك بكأس الخمر فى يده تحول إلى شراب مباح ، أو أنه زنى بفلانة العاهرة فتابت إلى الله ، وتلك وسائل بهلوانية ، لا تحتاج إلى رد .

الريح الرابعة

ريح الخاطر الشيطانى

وهى تجذب الفلاح إلى النقص ، وتمنع الكمال الإنسانى ، وهى كما قلنا متعلقة بالهوى ، ومادة له ، وقائمة بصورة النقص ، و [بها] يتراءى (الفلاح) (١) بالوجه المنكوس الأرضى ، وتزين فى عين الفلاح المحرم الظاهر ، وتعلمه العلم الضار (٢) ، وتناسيه العلم النافع ، وتخدمه بالشبه المؤدية إلى ذلك كله ، والألفاظ المعينة على (الشك) (٣) وتسلبه معنى الفلاح والإنسانية ، وتعيده إلى رتبة غير الناطق من الحيوان ، والكفار ، ولا تقنع إلا بالكبير من الهوى والضلالة ، ولا ترشد لشىء من الطاعة ، وبالجملة فهذه الريح هى السبب فى انتكاس الفلاح ، قالوا : وهذه الرياح الأربع تدور فى جو الفلاح ، وذاته مجموع ذلك كله .

كيف الخلاص وهن أربعة عدى   والعقل منفرد يروم عنادها

وعلاج هذه الجوائح إذا طرقت ، بالاستقامة ، والمحافظة على ما تقرر من أصل هذه النحلة (٤) واتباع المعصوم والاقتداء به ، فهو إمام هذا الفلاح ، الذى هو سبيل الله ، وطبيب شجرة محبة الله ، [١٢٨ ا] والمتحدث بالكتاب المتضمن علاج العلل ، وبلوغ الأمل ، وإعطاء صورة العلم والعمل ، وأن يجعل الفلاح الشريعة فى يمينه ، والعقل فى شماله ، فما قبلته الشريعة وسوغه كتاب تلك الفلاحة أمضاه ، وما منعته وأنكرته دفعه واطرحه ، « ما لم يرد عليه أمرنا فهو رد » ، إنما هو مخارق وجنون (٥) وفساد عائد على الفلاحة بالخسار ، ويعرض مافى شماله على مافى يمينه ، وهو العقل ، الذى لا يعارض

---

(١) ساقطة من : س .

(٢) كالنظريات الإلحادية ، وعلوم الأوفاق والأزياج التى تستعمل فى الشرور وغيرها .

(٣) بياض بالأصل .

(٤) فى الأصل ، ظ من أهل هذه النحلة .

(٥) فى : س . وحقوق .

الشرائع ، ولا يخالف سنن السنن ، فإن قبله فهو مقبول عند الله ، وإن لم يقبله فليس بمقبول ، ولا يحسن (١) إلا ما حسنه سبحانه (ورسوله ، فإن الله هو العالم بالشجرة . والفلاح ، قبل أن يتشخص ويتعين ، و [هو] أبصر بحسن العواقب ، سبحانه) (٢) لا إله إلا هو ، ونختم الكلام فى هذه الشجرة ، والاستدلال على شرف هذه الفلاحة بهذه الأبيات .

فلا حتنا لهـــا القدح المعلى ... وسرحتنا (٣) الضمينة للنجاح
ألست ترى منادى الخمس نادى (٤) ... بمختلف الجهات أو النواحى
يردد فى الأذان لكل واع ... على الآذان حى على الفلاح

(١) فى الأصل ولا يحسن .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .
(٣) السرحة الشجرة اليانعة .
(٤) فى الأصل ، ظ وأنا تحريف .

وهذا طائر على الشجرة صادح

ولاحن كادح ، ومعتذر إن قدح قادح ، أو تعرض هاج أو مادح

قال المؤلف رحمه الله : ولا بد لنا من صادح على ذرى هذه الأفنان ، وشاد يهيج أشجان الجنان ، ويشير شجو الرأفة والحنان ، ويبين مجال الضرورات (١) لذوى الإتصاف ، بكرم الأوصاف ، والناظرين إلى الهيئات بعيون الإنصاف ، فيرحم من كان قد شده النقد ، ويعذر من تشوف لا ستصعاب (٥) هذا القصد .

والأعذار التى يقرر عنها هذا الطائر عنا عديدة ، ومبدئه فى الصدق معيدة ، وقريبه من الحق لا بعيدة . فمنها أن هذا الغرض اليوم بالمغرب(٣) ، ميدان عدم فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله من يجيل كما يجب جواداً ، ونفير (٤) لا يجيبه من يكثر سوداً .

قد طمست الأعلام ، وسقط الحمد والملام ، وما لجرح بميت إيلام ، فدلول هذا الفن بهذه التخوم عنقاء مغرب ، وإكسير (٥) ، يحدث عنه غير واصل ولا مجرب ، إنما يرجع فيه إلى كتب مغلقة(٦) (وأغراض مغفلة) (٧) . وما عسى أن يعول [عليه] المسكين مثلى على قاصر إدراكه ، مع اقتسام باله واشتراكه ، فصر العلم والعمل ، فاختلط المرعى والهمل ، وأخفق المسعى وخاب الأمل .

ومنها شواغل الدنيا التى اختطفت من المكاتب ، وموهت بالمراتب ، ولقبت بالوزير والكاتب ، وأقامت العبد الذى لا يملك شيئا عند ذكر

---

(١) فى : س الضرورة .
(٢) فى : الأصل لاستضعاف .
(٣) فى : ظ ، س بأكثر الأرض .
(٤) فى : ظ وفقير .
(٥) فى : الأصل والسير .
(٦) فى : ظ ؛ س مقفلة .
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

الحظوظ مقام العاتب ، ومن كان بهذه المثابة ، وإن عد يقظان حازما ، ونحريراً عالما ، فإنما هو غريق ، وتائه لا يبدو له طريق ، ولا يربع عليه من قُصاد الله فريق (ولا يطفأ ببرد النفس منه حريق) (١) ولا يتساغ له ريق (٢) .

ونسأل الله الذى ألهم لهذه العيوب أن (٣) يتكفل بإصلاح القلوب ، ومكاشفة الغيوب ، وإن كانت النفوس للحق جاحدة ، فما أمره إلا واحدة :

لا تعجبن لطالب نال العلا كهلا وأخفق فى الزمان الأول(٤)
فالخمر تحكم فى العقول مسنة وتداس أول عصرها بالأرجل

ومنها الاشتغال بالهذر عن العلم والنظر منذ أزمان عديدة ، ومدد مديدة . فلم يبق مما حصل ، وإليه فى الزمن الأول (٥) توصل ، إلا رسم بلقع ، وسمل ماله مرقع .

ومنها أنى لم أنتدب إلى هذا الوظيف ، الذى قل من يتعاطاه ، أو يثير قطاه ، أو يقتعد مطاه ، من تلقاء نفس جاهلة (٦) يبعد مداه ، ومطل جداه ، ومطالبة مدعيه منه بما كسبت يداه ، فلا يتجاوز طوره ولا يتعداه وإن طالب الحق من شرط وصوله ، سلب فضوله ، وحالة موته ، وانقطاع حسه ، فضلا عن صوته ، لكننى خضت على عدم السباحة غمرا ، وامتثلت مع سقوط الاستطاعة أمرا ، وجئت بما فى وسعى انقيادا وامتثالا ، ومثلت مثالا ، فضرورتى بفضل الله مشروحة ، والدعوى على كتفى مطروحة .

---

(١) ما بين الحاصرتين : ساقط من الأصل : وزيد من : ظ .
(٢) فى : ظ طريق . جاءت هذه الجملة فى : ظ بعد جملة وتائه لا يبدو له طريق .
(٣) فى : ظ س وتستغفر الله فالذى ألهم لهذه العيوب يتكفل بإصلاح القلوب .
(٤) فى الأصل ، المقبل . (٥) فى : س فى الزمن القديم .
(٦) فى الأصل ، نفسى جامدة .

وعلى ذلك فقد علم الذى يعلم الأسرار ، ويقرب الأبرار ، ويقبل الأعذار ، ويقيل العثار (١) ، أن مدة الاشتغال به لم تتجاوز (٢) شهرين اثنين ، بين كتب وكتم ، وابتداء وختم ، مع ما يتخلل الزمن من حمل لو رمى به رضوى لتدعدع ، أو أنزل على ثبير لخشع من خشية الله وتصدع ، مداراة عدو قد تكالب على الإسلام ، وسياسة سواد صم عن الملام ، وتعدى حدود النهى والأحلام ، وارتقاب هجوم جيش الأجل(٣) وراية الشيب من الأعلام ، وقد أنذر الفجر (٤) بانقشاع الظلام ، وكاد يصعد الخطيب، فينقطع الكلام ، وجعلت لنقله حصة من جنح الظلام الغاسق ، والليل الواسق ، وعاطيت حمياه نديم البارق (٥) ، وتعرضت لاقتناص خياله الطارق ، (قبل فضيحة الشارق (٦)) ، وسرقته من أيدى الشواغل (٧) ، والليل معين السارق . ولم يعمل فيه عبد القيس نظرا معادا ، ولا أنجز من تصحيحه علم الله ميعادا ، إنما هو كراس يفرغ من تسويده رجراج الحبر مختلط التراب بالتبر ، فيدفع ملموم الماسخ إلى يد الناسخ ، وكلفة المتثاقل، إلى كف الناقل ، وتقذف صحيفته من الزبرة إلى الصاقل ، إذ (٨) كان الآمر به أيده الله حريصا على تعجيل المعارضة ، متحريا سبيل النفع (٩) فى هذه المصادفة ، والمقارضة ، والجفن المشرف يعلن بالتبريح ، ويرتقب مساعدة الريح .

فمن وقف عليه من فاضل أنار الله بصيرته ، وجبل على الإنصاف سريرته ، أو من كان من أهل الله الذى يعلم أن ما سوى الله ظل وفىء ،

---

(١) ق : س ويقبل العثار ويقبل الأعذار .
(٢) ق : س لم تجاوز شهرين.
(٣) ق : ظ ، س الآجال .
(٤) ق الأصل : الشيب .
(٥) ق : س نديم الفارق .
(٦) ق : ظ السارق وما بين الحاصرتين ساقط من : س .
(٧) ق الأصل ، ظ من أيدى الشواغب .
(٨) ق الأصل وإذا كان وق : س ، ظ إذا كان.
(٩) ق : س سبيل الشرع .

ويتحقق قوله تعالى : « ليس لك من الأمر شيء » . فقد أوجب الإنصاف أن يمحو اقترافى باعترافى ، ويغطى أوصافى بإنصافى ، والرحماء يرحمهم الرحمن ، وقد عذر القنبرة سليمان ، ومع الاستسلام الأمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولا بأس أن يعرض بتلك الأخونة الخصيبة(١) المشوى ، والمروج(٢) والجمل والفروج ، (وفى السماء البروح ، وفى الأرض الفــروج) (٣) والأعرج يستندر منه العروج ، ونمد الأيدى المستعملة فى التقصير ، إلى الولى النصير ، والناقد البصير .

اللهم استر بسترك فضائحنا المختلفة (٤) ، [١٢٨ب] وقبائحنا المجتمعة (٥) المؤتلفة (٦) ، فهذا كله تحويم حول حماك ، ودندنة ، يا كريم بباب حماك ، وزند أنت قدحته ، وبارق هداية أنت ألحته .

فصــل السبب يا واصل (٧) الأسبــاب ، واجعلنا ممن تذكر فنفعته الذكرى « وما يذكر إلا أولو الألباب .

اللهم قف نفوسنا الحائرة على عين الخبر ، واجذبها إلى (العـلم) (٨) المؤثر بزمام الأثر .

اللهم اجبر الضالة المثقلة . الظهر ، وارفع عنها ملكة القهر ، وحيطة الدهر ، والسفر من بلد السر إلى بلد الجهر .

اللهم أعلق بعروه الحق أيدينا الخابطة ، وأظفر بعدو الهوى عزائمنا المرابطة .

اللهم أوصل سببنا بسببك ، واحملنا إليك بك ، لا إله إلا أنت .

---

(١) فى : الأصل ، س : الخبيصه .
(٢) المختلط غير الصريح .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .
(٤) فى : ظ المعجمة المؤلفة .
(٥) فى : س المخلفة .
(٦) فى : ظ المجمعة المؤلفة .
(٧) فى الأصل ، ظ بأوصال الاسباب .
(٨) ساقطة من : س .

(اللهم صل وسلم على نبينا محمد المقدس المختار ، النبي السلطان ، النور المبين ، الهادى إلى طريقك المستقيم ، الذى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، صلاة وسلاما دائمين بدوامك ، باقيين ببقائك ، عدد خلقك ، ورضا نفسك ، وسلم تسليما كثيرا ، ورضى الله عن كل الصحابة أجمعين ، والتابعين وتابعيهم ، إلى يوم الدين ، وأنت حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (١) .

نجز هذا الكتاب بعون ، الملك الوهاب ، والحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . آمين . ضحوة يوم الخميس ، بالمدينة الشريفة المنورة ، حادى عشر شوال ، من سنة تسع عشرة ومائة وألف ، على يد راقمه ، الفقير الراجى عفو ربه البارى ، محمد بن مصطفى بن محمد بن عمر الأسكدارى ، ثم المدنى ، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه (٢)

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل وزيد من : ظ وفى ، س:

وصل على عبدك ورسولك محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله وصحبه أجمعين ، أحمد الله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(٢) فى : ظ (وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة ، يوم الأحد ، سابع شهر رمضان المعظم قدره ، سنة خمس وخمسين وثمانمئة ، أحسن الله ختامها بمحمد وآله . على يد أضعف عباد الله ؛ وأحوجهم إلى رحمته وعفوه ومغفرته ، الفقير إلى الله تعالى :

عمر بن عبد الله بن محمد المنظراوى ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين آمين . حسبنا الله ونعم الوكيل) .

وفى : س وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة يوم الخميس المبارك عاشر شهر شعبان المكرم سنة أربع وخمسين وثمانمائة على يد أضعف عباد الله تعالى أحمد بن عمر بن عبد القادر الشربينى .

شكر وتقدير وإهداء

إلى الوزير الألمعى ، والصوفى التقى النقى :

إلى الرجل الذى ملك نفسه ، فجعله الله على خزائن الأرض فى مصر .

إلى العبقرى الذى قاد اقتصاد البلاد فى أحرج أوقاتها قيادة الفطن اللبيب .

إلى العلامة العارف الذى أمده الله من نوره ، وحباه بالحسنيين .

إلى الإنسان الكامل الذى أحب الله ورسوله ، فأحب من أجلهما الكون كله ، وتواضع للكون كله فرفع الله قدره من حيث يعلم بما يعلم .

إلى الصوفى الجليل ، والاقتصادى البارع :

الأستاذ حسن عباس زكى

وزير الإقتصاد والتجارة الخارجية ، بالجمهورية العربية المتحدة

أهدى هذا الكتاب أولا .

وأقدم شكرى له ثانيا .

وأقرر عجزى عن تقديره ثالثا .

أهديه إليه وأشكره ، لأنه صاحب يد طولى فى ظهوره .

وأقرر عجزى عن تقديره ، لأن ماقدمه لى من عون يفوق طاقة التقدير .

جزاه الله أبر ما يجزى به العاملين المقربين ، وبلغه ما يحبه له المخلصون ، إنه سميع قريب مجيب .

ولا يفوتنى أن أشكر من كل قلبى الأخ الصالح التقى ، سكرتيره الخاص .

الأستاذ عبد المجيد فتحى

المثل الأعلى للإنسانية والإخلاص والعمل من أجل الله والوطن ، والنموذج الحى للخلق الرفيع ، والروح الصافية .

ومعذرة إن جاء عملى هذا ناقصا ، راجيا ممن يقع على زلة أن . يتداركنى بالدعاء أن يوفقنى الله للكمال فى أعمال لاحقة .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيه ومحبيه وسلم ؟

عبد القادر أحمد عطا

الملحق الأول

دراسات حول بعض موضوعات

فى كتاب

روضـــــــة التعريف

نظرية الخمول نظرية تقدمية

الخمول دعوة وردت فى ثنايا كتاب روضة التعريف ... وهى كلمة يبغضها الناس وينفرون من الصوفية من أجلها . . ويرمون الذين يعتنقونها بالتآمر ضد المجتمع ، ودفعه إلى الهاوية . وقتل مواهب أفراده . لأنهم يؤكدون على طلابهم أن يلتزموا الخمول . ولا يحيدوا عنه . ويقررون فى ثقة أن الإنسان الذى لا يؤمن بجدوى نظرية الخمول هو المعوق لتقـــدم أمته . الهادم لمجدها . القاتل لمواهب أفرادها .

والخلاف بين الناس وبين الصوفية فى هذا الموضوع خلاف لفظى لا حقيقى .

فالخمول بمعنى الكسل والقعود عن العمل بغيض عند الصوفية وعند غيرهم . ومواجهة العمل . واستغلال المواهب وتنميتها أمل الجميع .. ولكن الخلاف يدب بين الصوفية وغيرهم بعد الظفر بنتائج العمل . وبعد تحقيق تلك النتائج فى صور نافعة للمجتمع . دافعة له إلى الامام .

فالناس يعلنون عن أنفسهم بمختلف الوسائل الإعلامية .. ويطالبون لأنفسهم بمزيد من الامتياز والمكافأة . . ويشغلون أجهزة الدولة بمطالبهم . والثورة على أوضاعهم . وكأن لم يخلق أحد من العاملين غيرهم . .

أما الصوفى الحق فلا يعلن عن نفسه . بل يقدم عمله على أنه عمل غيره . ولا يطالب الدولة بأى امتياز لقاء تفوقه . ولا يثور على وضعه حتى ولو كان دون مستواه . . وهو يكبت كل مشاعره إذا نزعت إلى علو أو كبرياء نتيجة لابتكار جديد . أو بروز فى الكم أو الكيف فى عمل مألوف ليس فيه ابتكار الصوفى يعمل لأنه خلق ليعمل . ولا يريد على عمله « جزاء ولا شكورا » . . وإن لم يعمل فإنه محاسب على تعطيل مواهب وهبه الله إياها .. فهو مسئول أمام ربه قبل أن يكون مسئولا أمام رئيسه وحكومة بلاده ..

وإذا تحدث أحد عن عمل الصوفى الحق .. أو منحته الدولة وساما من أوسمة

التشجيع فإنه ينكر كل ما نسب إليه .. ويكتئب إذا عجز عن ذلك ويعتقد أن الله قد حرمه من فضل العمل لوجهه دون شيء سواه ..

وإذا طلب من الصوفي أن يعمل عملا مما يأنف مثله من مزاولته فإنه يجد ذلك ضالته المنشودة .. ويرجو من مخالفة العرف على هذه الصورة رقيا في وجدانه ومشاهداته .. وتصفية لقلبه من كدر الكبر الحاجب عن شهود العوالم الغيبية .. ولطائف أسرار الكون .

وإذا فالخمول كما يفهمه الصوفية .. وكما يصرون عليه .. هو خمول الذكر .. لا خمول المواهب .. حرب النفس الجامحة .. لا إطلاق العنان لها تحت ستار « الطموح » .. الإيجابية في جميع المجالات ، تواضع للكون كله .. لا صلف معوق عن التقدم .. جالب للخراب والدمار .

فهل يظن إنسان أن نظرية الخمول الصوفي بعد هذا البيان لا تتفق مع قانون التقدم .. وطفرة الصعود إلى القمة ؟!!

إنه خداع النفس عند المنكرين لنظرية الخمول . وما أشنع ما يعاني المجتمع من ويلات خداع النفس وجموحها وصلفها . . بل إنه وحده في الحقيقة سبب جوهري . إن لم يكن كل الأسباب المعوقة لنا عن الصعود .

خمول الذكر من سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . فقد كان — وهو القائد الأعلى — يعمل مع أفراد الجيش كفرد من قوة سلاح المهندسين . . يحفر بيده . . ويحمل على كتفه . . ولا يرى لنفسه فضلا على أحد وكان يحمل متاعه بنفسه ويرفض أن يحمله معه أحد . . واشترك مع سلمان الفارسي في زراعة النخيل التي اشترطها عليه سيده ثمنا لإعتاقه من الرق . . وكان يكره أن يقوم له الصحابة إجلالا . .

والصديق ذهب إلى السوق في سبيل كسب عيشه صباح توليته الخلافة .

وعمر كان في ثوبه رقاع إحداها من أدم ، وكان يضع نفسه في صف واحد مع غلمانه وخدمه . حتى إنه كان يسير خلف غلامه وهو راكب .

وعثمان رضي الله عنه رؤي خارجاً من بستان له ، وهو يحمل على ظهره حزمة

كبيرة من الحطب . فلما اعترض عليه بعض أصحابه قال : « أردت أن أجربها . هل تأبى » ؟

وعلى كرم الله وجهه كان يختار الثوب الرخيص ثم يقطع ما فيه من طول بسكين ، ويتركه على حاله .

وعلى هذا النهج القويم سار الصوفية يرفعون فى اعتزاز شعار « الخمول » .. أى شعار إنكار الذات فى أسمى معانيه ، وأروع مثله العليا ، بحيث لا تكون الرئاسة زهواً وكبرياء . . بل مسئولية شاقة . . جعلت عمر بن الخطاب مع عدله المثالى يقول لولده وقد وضع رأسه على فخذه وهو يحتضر : « يا ولدى ، ضع وجهى على الأرض ، فلعل الله يرى ذلى فيرحمنى » .

ولا يترعرع الإخلاص إلا فى ظلال الخمول ، ولا يترعرع النفاق إلا فى ظلال الإعلان عن العمل ، والطموح والتنافس على الشهرة . وقد وضع الصوفية مقياساً دقيقاً يكشف عن العاملين لله والعاملين لذواتهم ، أى عن المخلصين والمنافقين فقالوا : أنظر إلى العمل الذى تريد إنجازه أو الابتكار الذى تريد إهداءه إلى بنى جنسك وماذا يكون شعورك إذا وجدت أن غيرك قد قام فعلا بالعمل الذى كنت تريد إنجازه ، أو اهتدى إلى فكرة الابتكار الذى اهتديت أنت إليه ، فأبرزه للناس قبل أن تنجزه أنت ، أو بعد إنجازه . . فهل تثور لأنه سبقك به ، وتطالب بحقك ، فتقاضيه مطالبا إياه بالتعويض ؟ أو تفرح لأن عملا نافعاً قد أنجز ، أو ابتكارا قد أفادت منه البشرية برز إلى الوجود ؟ إن كانت الأولى فأنت منافق ، وإن كانت الثانية فأنت مخلص منكر لذاتك . . مؤمن بنظرية الخمول الصوفية على أكمل صورها .

فالمخلص المنكر لذاته الخامل الذكر يهمه أن تنجز الأعمال ، وتظهر المبتكرات التى تسعد البشرية حتى ولو كانت من خالص تفكيره ووحى خاطره ، فأى الفريقين هو المخرب إذن ؟

وميزان آخر يمكننا أن نكتشف به المنافقين الهادمين ، والمخلصين البنائين . أو الخاملين والمتنافسين . هو أن تسأل نفسك : هل تعمل لمجرد الأمر ، أو تعمل لحكمة الأمر وجدواه فحسب ؟ فإن كانت الثانية فأنت منافق منافس ، وإن كانت الأولى فأنت مخلص خامل الذكر بناء .

فنحن مأمورون بالصدقة على المحتاج مثلا . ولكن الناس بإزاء هذا الأمر فريقان .

فريق يعمل ولو لم يكن للصدقة ثواب . حتى ولو كان عليها عقاب ما دامت أمراً صادراً من الله القاهر فوق عباده . . يعمل لأنه أمر بالعمل وكفى . تماما كالجندى الذى يطيع دون أن يسأل عن سبب الأمر وجدواه . . فالإنسان الذى لا يعبد الله طمعاً فى جنته ولاخوفاً من ناره بل يعبده لأنه أمره بأن يعبده ولأنه يحبه . ولذلك يطيع أمره . هذا الإنسان مخلص خامل منكر لذاته بناء لمجتمعه . وهو بعينه الإنسان الذى ينفذ قوانين الدولة النافعة . دون حاجة إلى عصا السلطان .

وفريق يعمل بعد أن يطمئن إلى جزاء العمل سواء أكان الجزاء عاجلا أم آجلا . وبعد أن يطمئن إلى حكمة العمل وجدواه . وهذا النوع محب لذاته يفضلها على مجتمعه . هادم لمجد وطنه . منافق مع ربه وهو بعينه الإنسان الذى يوقف ركب الصعود حتى يشبع نزوات نفسه على حساب الملايين . أما الذى لا يعمل لهذا أو لذاك فهو مكذب بالدين . . كافر بالحب .

وجماع ما يفيض به نبع الخمول عند الصوفية هو . . . الحب . . . وهو موضوع كتابنا الذى قدمناه .

لأن الحب هو جماع من إنكار الذات والإخلاص والعمل من أجل خدمة المجموع .

والحب المقيد بتحقيق غرض خاص أو نفع شخصى لا يسمى حبا . لأنه محصور فى نطاق محدود من العواطف البشرية . . . أما الحب الصوفى فهو الحب للكون كله . . جماده وناطقه . . حيوانه وحشراته كواكبه وأجوائه . . لكل شىء فيه . . حتى للعدو الذى أمرتنا الشريعة بالرفق به .

الحب كما وصفه رجال التصوف هو : « ارتياح الأرواح . فإذا أفرطت صار عشقاً يميت النفس الغضبية . وتخمد به حظوظ النفس الشهوانية » .

ولا توجد عاطفة فى الوجود أرق من عاطفة نابعة من روح لا تعيش معها الحظوظ الشهوانية .

الحب مع الكبر أو مع هواية الرياسة والتفوق على الغير . أو مع غير ذلك من حظوظ النفس حب مدخول . هو والنفاق من و د واحد . لا أمل فى تقدم البشرية معه ولا . وخير يرتجى معه . لأنه حب النفس أولا وقبل كل شيء . . هو الفردية التى لا يقرها الإسلام ولا العرف السليم

المؤمن بخمول الذكر قد نفض عن نفسه جميع الأخلاق الرديئة التى تحرمه من البساطة والعودة إلى خلق الطبيعة .. ذلك الخلق الذى انسجمت به الحياة على هذا النحو البديع الذى نلمسه فى كل مظهر من مظاهرها .. البساطة التى ينفر منها المتنافسون .. حيث يحولون مفهوم التقدم إلى مظاهر فارغة .. ورغاء مقلق .

وتعشق مظاهر الوجود بعضها لبعض هو فى الحقيقة حب لله تعالى . ووردت الإشارة إليه فى القرآن الكريم على صورة السجود الذى يعتبر نهاية دلائل الحب ومع خضوع جميع الكائنات للقدس الإلهى . وسجودها له للدلالة على صدقها فى الحب .. فقد نفر عن هذه الظاهرة السامية بعض الناس . وهم الذين تعلقوا بحظوظ أنفسهم . وعملوا من أجلها . ولم ينكروها فى سبيل الكون . وهو ما جاء واضحاً فى القول الكريم : « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وكثير من الناس . وكثير من حق عليه العذاب : ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء »

فالقليل الذى حق عليه العذاب : والذى باء بالمهانة من الله تعالى هو ذلك النوع الذى اعتز بنفسه فى مواجهة ذلك الخلق العظيم الذى تقوم عليه الحضارة القويمة . . . إنكار الذات . . . الخمول . . . الإخلاص . . الحب . فرفض تلك المفاخر التى امتدحها الله ، وتمسك بنفسه ، وردد فى جهل فاضح يدل على تدهور عقلى فى إدراك حقائق المعانى كلمات جوفاء . . . الاعتزاز بالنفس . الكرامة . . وهو لا يدرى ما أول تلك المعانى وما آخرها . ولا يعرف من الكرامة إلا مظهراً مهيباً يخفى وراءه مهانة مخجلة

إنها خدعة النفس الكبرى . وقد اكتشفها الصوفية فقهروها لأنهم وحدهم فقهوا حقائق الأمور .

وقد أشفق « رويم البغدادى » رضى الله عنه : وهو من كبار الصوفية على الناس من مشقة الحب النابع من إنكار الذات فقال : « قعودك مع كل طائفة

من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية فان كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق ».

وقد أشار الشيخ أبو الفرج بن الطيب البغدادى إلى وعورة هذا المسلك فقال: «ياهذا. أول الطريق سهل. ثم يعقبه الحزن. فى البداية إنفاق السرور وفى التوسط انفاق النفس. فاذا نزل ضيف المحبة تناول القلب. فأملق المنفق.. قلق بلا سكون.. انزعاج بلا ثبوت..

فإن كان المحب لا يسكن ولا يثبت، فإنه محب نفسه الذى لم يرق من حبه هذا إلى حب الكون ثم حب الله تعالى مطمئن ثابت لكن إلى ترهات وهوى نفسى كاذب. وهو المعنى المشار إليه فى الآية الكريمة التى تتحدث عن قوم قد أطمأنوا إلى خداع أنفسهم فحسبوا الشر خيرا:

« فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ».

وقديما اعترض دعوة الانبياء أقوام خدعتهم نفوسهم، وارتفعت بهم إلى منزلة لا تقوم على أساس وتبلورت إعراضاتهم هذه فى مجموعة من الخصائص المادية النابعة من روح التنافس الفارغ فقالوا: « لولا أنزل هذا القرآن على رجل القريتين عظيم ».

وقالوا: « ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون »

وقالوا: « لولا أنزل عليه ملك »:

وقالوا: « أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ».

وقالوا: « ما نفقه كثيرا مما تقول، ولولا رهطك لرجمناك ».

وقالوا: « أنؤمن لبشر مثلنا ».

وقالوا: « ما نرى لكم علينا من فضل ».

ووصف الله تعالى هؤلاء الذين اعتزوا بنفوسهم إلى هذا الحد الذى ينكر كل شيء غير مادى بأنهم « الملأ الذين استكبروا ».

وهل الكبر إلا الاستمساك بالنفس وخداعها، والسير معها إلى مداها ؟!!

إنه حب النفس مهما حاول المعتزون بنفوسهم أن يخدعونا بما خدعتهم به نفوسهم .

الإنسان غير السوى يحب الحياة ويكره الموت ، وحب الموت من صفات المؤمنين المؤسسين لأعظم حضارة عرفها التاريخ ، وهو سر انتصاراتهم المذهلة فى الحروب ، وحب الحياة صفة غضب الله من أجلها على الكافرين فقال : ولتجدنهم أحرص الناس على حياة . . وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ،

وهكذا يمكن أن يقال فى كل محبوب فان كالمال والشهرة والرئاسة ، والتفوق على الغير ، والجمال . . . ودليلنا على أن كل هذا من خداع النفس أنه إذا زال السبب زال الحب ، فلا يمكن أن يحب هذا النوع من الناس أحدا إلا إذا كان هذا الأحد يملك أن يرضى ما فى نفس ذلك المحب من ميول ، فإذا فقد القدرة على إرضائه زال الحب ، وإذا زال الجمال المادى زال الحب . . ونظرة فاحصة فى علاقات الافرد بعضهم ببعض تجعلنا نعيد النظر فى علاقتنا هذه، ونحاول تعديلها فى قسوة وشدة حفاظا على تراثنا ، وعلى حضارتنا من الضياع والدمار .

ونحن لا ننكر أن النفس شديدة العلاقة بزخرف الحياة ، شديدة الحسرة لفراقه ، والأسف عليه عند استلابه » .

ولا ننكر أنه بقدر ما يخف الكلف بزخرف الحياة ، وتقل الرغبة فى صحبته تخف الآلام عند فراقه .

ولا يمكن أن تقتلع المادة من القلب إلا إذا حل محلها غير يخلفها ، ومزاحم يزعجها . فإذا استحكم فى القلب حب الكون كله . والعمل من أجله . كان من السهل اليسير أن يرتقى الإنسان من هذا الشعور إلى حب الله . والأنس به . والاشتياق إليه . وهنا تنقلب الحسرة سرورا والألم لذة . . ويصبح الموت فى سبيل الله أفضل من الحياة فى ظل المكافآت المادية . والشهادة فى الحرب كما هو معلوم هى سر تلك الطفرة التى قفز بها العرب على مسرح التاريخ فى سرعة مذهلة لازالت موضوع دراسة العلماء إلى الآن . وكل ما يتصل بالنفس من أنواع الحب فإنما هو سبب الهزائم التى لاحقت حضارة الإسلام منذ العصر الأموى حتى الآن .

هل رأيت يا أخى كيف يكون إنكار الذات . . او الخمول كما يفهمه الصوفية

معنى عميقا له أثره البعيد فى قيام الحضارات وثباتها ، وفى قوة الدولة وسرعة انتشار المبادىء ؟ ! !

وهل رأيت كيف يكون المعارضون مخدوعين بألفاظ غريبة على ثقافتنا وعلى وعينا . . التنافس . المكان المناسب للمؤهل المناسب .. التهالك على الكسب المادى .. الاعتزاز بالنفس ..

والاعتزاز بالنفس لا يؤمن به الإسلام إلا فى مواجهة أعدائه حسب .
أما فى وسط المؤمنين فإن النفس يجب أن تذوب حتى تصبح لا شىء .
« أشداء على الكفار رحماء بينهم »
« واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » .

ومن لوازم الخمول الجرأة على مواجهة الحقيقة .. حتى ولو كانت تمس شعور الإنسان مسا مباشراً .

فقد روى أن الصديق رضى الله عنه التقى بحنظلة الأسدى الصحابى .. فوجده مهموماً .. فسأله عن شأنه .. فقال للصديق : لقد نافق حنظلة . ؟ فقال الصديق : وكيف ذلك ياحنظلة ؟ قال : إنا نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ..فيصف لنا الجنة والنار كأنا نراهما رأى عين .. فاذا انقلبنا إلى أهلينا .. ولا عبنا أبناءنا ونساءنا نسينا . فقال الصديق : والله إنى لأجد مثــــل ذلك .

وذهبا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يستوضحان أمرهما .. وما أحسا به من مشاعر ظنا أنها تطعن إخلاصهما .. فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم : « والله لو دمتم على ماتكونون عندى .. وفى الذكر .. لصافحتكم الملائكة على فرشكم .. ولكن ياحنظلة .. ساعة وساعة .. ساعة وساعة .

فهل يجد المتكر على دعوة الخمول فى نفسه الجرأة على مواجهة الحقيقة التى تمسه مسا مباشراً هكذا ؟

إن الواقع يجيب بالنفى . فليس بين المؤمنين بأنفسهم من يواجه النقد مواجهة البطل الذى لايخجل من الخطأ . بل إنه يدفع عن نفسه دفاعاً هزيلا . ويسدر فى غيه . حتى ولو قضى على المبادىء والمثل . فى سبيل نفسه التى تخادعه .

أما الصوفية فهم أقوى الناس فى مواجهة الواقع . فقد روى أن أحد المريدين ابتلى بحب فتاة . وهو فى السلوك . فذهب إلى شيخه وألقى خرقته بين يديه وقال له : لست منكم الآن . فلما عافاه الله عاد إلى الشيخ ولبس خرقته . وواصل سلوك الطريق .

وقصة الشيخ الذى رآه مريده فى المنام من أهل النار . فانقطع عنه . فذهب إليه شيخه . وقد أحس بسبب انقطاعه ، وقال له : ياولدى . أنا أعلم أنى من أهل النار منذ زمن بعيد . ولكنى أحب الله . وعاد المريد . وبعد مدة رأى شيخه فى المنام وقد رضى الله عنه وصار من أهل الجنة .

ولا يهمنا الصدق فى تفاصيل هذه القصص بقدرما تهمنا دلالتها على مبدأ مقرر عند الصوفية هو : مواجهة الحقيقة مهما كانت مرة .

فهل يمكن أن نقول إن المنكرين على الصوفية فى نظرية الخمول ضعاف فى مواجهة الحق . فكرهوا الصوفية لأنهم فضحوا دخائل نفوسهم — وبضدها تتميز الأشياء — أى إنها حملة من أجل النفوس الهزيلة ضد النفوس القوية .

أغلب الظن أنه كذلك . . والعلم عند الله .

وأغلب الظن أن خمول الذكر هو الطريق إلى المجد . وأن السير وراء خداع النفس هو طريق الهاوية .

ظواهر نفسية ، بين المرض والمعرفة

فى حياة الصوفية

يتطور الطب النفسى اليوم : وتتقدم معه الدرسات النفسية . وتشتد حاجة الناس إليه كلما غام الجو العالمى وأصيب الناس بنوع من السعار والهلع . وحينئذ تزدحم العيادات النفسية بطلاب الشفاء .

ونلمح فى الوقت نفسه ظاهرة شعبيه تواكب الطب النفسى .. وتسير معه فى ركب واحد . وتلك الظاهرة هى تلمس العلاج من الاضطرابات النفسية عند « المشايخ » .

والواقع أن أمثال تلك المشاعر الشعبية ليست كاذبة .. وإنما هى منحرفة .. فما من فكرة تنبع من الوجدان الشعبى إلا ولها نصيب من الصدق يصغر أو يعظم حسب درجة الحاجة إلى تطبيق هذه الفكرة .. وحسب درجة الوعى العقلى عند المحتاجين إلى تطبيق الفكرة .

ولذلك نرى ان المشايخ حسب الوعى الشعبى البسيط هم : المشعوذون من دقاقى طبول « الزار » . وقارئى « البخت » : والمتكلمين من شيوخ الأرض .. عالم الجن . وغيرهم . كما نرى درجة الحاجة إلى هؤلاء المشايخ تتمثل فى الاستسلام الكامل لهؤلاء المشعوذين . وبذل المال لهم : وطاعة تعليماتهم الغامضة : بصورة لايتمتع بها الطبيب النفسى الواسع الثقافة والخبرة .

فاستجابة العامة للمشعوذ فى البحث عن ديك أسود ليس فيه « إشارة » تخالف السواد ، وفى تلطيخ جسد المريض بدمه ، والمبالغة فى إرضاء قرين المريض من عالم الجن . . تفوق استجابتهم للطبيب فى شراء الدواء ، والعناية بتناوله فى مواعيده ، والاستماع للنصح الواجب اتباعه إزاء المريض والتردد على الطبيب فى الموعد الذى يحدده . . ثم لا يلبث هؤلاء العامة أن يرددوا فيما بينهم أن الطبيب لا يعلم من تلك الأمراض الغامضة ما يعلمه الشيخ « فلان » مثــلا ، من أولئك المشعوذين .

وهذه الفكرة الشعبية ليست صادقة ؛ لأن هؤلاء المشعوذين هم الآخرون فى حاجة إلى طبيب نفسى . . بل فى حاجة إلى عدد كبير من الصدمات الكهربية « لتعيد إليهم أتزانهم » ، وتبرئهم من ذلك المضحك الذى يظهرون به فى المجتمع . . ممثلا فى الشعور المرسلة ، والأردية الملونة الخارجة عن حدود اللياقة ، والصرخات التى يقدمونها بين يدى « شمهورش » ، أو « الملك الأحمر » ، وما شابه ذلك . . وليست الفكرة كذلك كاذبة . . . لأن هناك نوعا من المشايخ بالفعل لهم باع طويل فى تخفيف آلام البشرية ، وتعديل انحرافاتها ، وهم « الصوفية » العلماء العاملون المتوجهون إلى الله بكل مداركهم ومواهبهم .. فالطبيب النفسى ، والشيخ المحقق ، هما العمودان الفقريان فى علاج النفس دون نزاع .

وأثر الصوفية فى النفوس المتعبة يبدو واضحا من قول « بشر الحافى » عنهم وهو من كبارهم : « لله قوم تحيا القلوب برؤيتهم » . ووجوب الاستسلام لهم . والطاعة العمياء لتعاليمهم لمن أراد التكامل النفسى واضح من قانون السلوك المشهور عندهم ، والذى ينص على أن المريد يجب أن يكون مستسلما لشيخه « كالميت بين يدى الغاسل » والمريد الذى يمكن أن يقبله الشيخ فى دائرة التربية هو : الإنسان المنحرف ، الراغب فى الكمال بوجه عام ، أو المنحرف الصادق فى سيره نحو الله . لله وفى الله . كما أن الشيخ الصالح للإمامة ، ولتربية المريدين ، هو : العارف الذى لا يبغى من وراء مساعيه كسبا لا من قريب ولا من بعيد .

هذه هى الحقيقة التى لا مراء فيها ، والتى تخرج على هديها كبار العلماء العارفين ، المشهود لهم بالفحولة من مختلف الهيئات العلمية العليا .

ولكن الأمر قد انقلب رأسا على عقب فى أدمغة العامة ، فأصبح الشيخ عندهم هو « مصاص الدماء » ، الأفاق الذى لا يدرى طريق العلاج لنفسه ، ولا يقيم من العلم سوى ألفاظ غامضة لها سحر عجيب على أعصاب العامة . وبقيت ظاهرة الاستسلام لهؤلاء هى بعينها لم تتغير ، وأصبح المريد طالب شفاء لا طالب كمال . . . مضطربا فى طلب الشفاء بقدر اضطراب شيخه فى ملبسه وفى حركاته وسكناته . . وأصبح دم الديك السائل على جسد المريض . أو « المريد الشعبى » ظاهرة تثير الإشفاق والضحك والألم فى وقت واحد .

الشيخ إذن حقيقة وعاها التاريخ، وتواترت عن أهل الحل والعقد من العلماء، وعن الرأى الشعبى العام، ولكنها بقدرة قادر هبطت عند صفوف العامة . . كما هبطت قيمة الإله العلى القدير لدى بنى إسرائيل قديماً لحل محله آلهة شعبية عرفت باسم « البعليم » ، ومفردها « بعل » ، وقد جاء ذكرها فى القرآن الكريم : « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » . وأصبح موقف الشعب من الشيخ المرشد إلى الله مثيرا لغضب الله تعالى ، مهددا بانهيار الحضارة أو توقف سيرها ، كما غضب على « كنعان » قديما لأنهم آمنوا بالسحر والطلسمات ، واحترفوا مخاطبة الارواح ، واستعانوا بها على حل مشاكل الفرد والجماعة . فبادت كنعان إلى الأبد . . بعد أن اكتملت جريمتها على هذه الصورة .

الشيخ الصوفى الكامل المحقق . والطبيب النفسى الواعى المثقف .. قد انعكس مفهومهما فى أدمغة العامة إلى هذا الحد . فالشيخ صار مسخا مشوها كما رأينا . والطبيب النفسى صار جاهلا بالقياس إلى دقاق الزار . وصديق ملوك الجان « الشيخ فلان » ، وأضرابه .

ولكن حقيقة واحدة تثبت من خلال هذا الاضطراب . ولم تقو الأعاصير الشعبية على اجتياحها هى وجود « الشيخ » . وأثره فى تخفيف حدة الحياة . وفى خلق التكامل النفسى الذى عبر عنه العارف « بشر الحافى » بحياة القلب . . وحقيقة أخرى بدأت تأخذ شكلا ثابت الدعائم هى وجود الطبيب النفسى ، وانتصاره على شيخ « الزار » وقارىء « البخت » . . رضارب « الودع » . وقد تتبعت عدة حالات . . من الأوساط العامية فلمست مدى انتصار الطب على الخرافة . ومنها أم لطالب بالثانوية لجأت بابنها إلى أطباء النفس بعد أن « حفيت » قدماها على المشايخ بالمفهوم العامى . وهناك ناظرة بالمدارس الابتدائية سابقا لجأت بزوجها بعد أن « داخت » هى الأخرى . وصنعت عـــددا من « الرضوات » لإخواننا سكان الحمامات وباطن الأرض . وضج الحى من قرع الطبول وكثير غيرهما .

وإذا كان نجم الطبيب النفسى قد أخذ فى الصعود . فليأخذ بيد أخيه شيخ الطريق الصوفى المحقق الذى قطع مفاوز الطريق . وخلص من رق الحس إلى

فضاء والشهود ، وأصبح إنسانا كاملا تحيا القلوب برؤيته . . وليبرز دوره بعقلية متفتحة ناضجة فى درساته وفى قاعات المحاضرات ، لأن هذا الشيخ المحقق هو الآخر قد قل نصيره . . إذ غرق مريدوه فى رواية الكرامات ، وأضافوا إليها ما أخرجها عن قيمتها العلمية السامية ، وانحدر بها فى حضيض الجهل ، وأصبح الواعون من رواد التصوف قلة لا تفى بحاجة التصوف إلى جهد أولى العزم فى سبيل إزاحة ذلك الركام المتحجر فوق مبادئه الرفيعة ، حتى حجبها عن الأفهام المتوسطة والضعيفة . . وابتلى الشيوخ ببعض المثقفين الذين شغلوا أنفسهم بمقارنة المكاشفات والمنازلات الصوفية بنظائرها من الفلسفات القديمة ، وقطعوا الوقت الثمين فى محاولة استنباط السابق منها والسارق من سابقه والحق أن الأمر لا يحتمل القول بالسبق ولا بالسرقة .. ما دام التصوف فنا وملكة كسائر الفنون والملكات . . التى لا يجوز أن يقال فيها بالسبق والسرقة ، وإلا كان الشعر والرسم والرقص كذلك من الأمور التى تخضع للقول بالسبق والسرقة من ناحية الملكة ، لا من ناحية المعانى .

ولكى يستنير الطريق أمام دوائر الطب النفسى لمعاونة طريق التصوف يحسن أن نفتتح بابا للدراسة تأمل أن يحظى بعناية المشتغلين بالطب النفسى بوجه عام .

هناك ظواهر نفسية يعتبرها الطب النفسى مرضا يجب علاجه على الفور . . بينما يباركها شيوخ التصوف . . ويعتبرونها بشير فلاح وخير .. والخلاف بين الفريقين هو الخلاف بين « السيكولوجيا » و « الميتافيزيقيا ». ولكن التقارب الحديث بين المنهجين هو بشير خير وفلاح كذلك ، وقد جاء الكثير من تلك الظواهر فى كتاب « روضة التعريف » .

العزلة إلى درجة الخلوة تحت الإزاء والغطاء . وإلى درجة أن يقول الحارث بن أسد المحاسبى لتلميذه الجنيد البغدادى : « والله لو أن نصف الخلق تآى عنى ما استوحشت لبعدهم . ولو أن نصفه الآخر قرب منى ما أنست بقربهم » . وإلى درجة أن تصنف الكتب لتشجيع المريدين على الخلوة والكشف عما فيها من الأسرار . كما فعل الشيخ الأكبر محي الدين بن عربى ، والعارف الشيخ مصطفى ابن كمال الدين البكرى الصديقى .

والحزن والبكاء إلى حد دفع الشيوخ إلى يهيبوا بالمريدين أن يتباكوا إن لم يبكوا حتى يصير البكاء ملكة من ملكاتهم .

والإقلال من الطعام إلى درجة الجوع وفقدان الشهية .

الأرق والحفاظ عليه ، وتناول الأطعمة القليلة والتى لا تجلب النوم .

وبذالة المظهر ولبس الممزق من الثياب ، والظهور به فى المجتمعات . والمشى بالحفاء والإحتفال بكل ما يسقط المنزلة عند الناس ، كالجلوس فى الطرقات . بل وسؤال الناس بمرآى من البسطاء من الخلق ، ومن المعارف الذين لم يعهدوا فى طالب التصوف هذا المسالك . إلى حد أن صنف الشيخ « أبو بكر البنانى » كتابا فى الحث على هذه الخلال سماه « مدارج السلوك إلى مالك الملوك » وإلى حد أن قامت طائفة من الصوفية أسست سلوكها على هذه الأعمال التى لا يقرها العرف وهم « الملامية » وطائفة أخرى بالمغرب هى « الدرقوية » أسسها الشيخ العربى ابن أحمد الدرقاوى » .

تلك ظواهر نفسية يقرر الطبيب النفسى على الفور أن صاحبها مريض بنوع من « العصاب » من غير شك . كما يقرر الطبيب العقلى أن صاحبها مريض بنوع من « الذهان » من غير شك . فهل هذا التشخيص صحيح بالنسبة للصوفية ؟ ! !

والإجابة على هذا التساؤل تدفعنا إلى تتبع نماذج ممن سلكوا هذا السلوك . أو أصيبوا بهذه العوارض ، وسيكونون هم الجواب الشافى الذى لا حجة بعده لمجادل » .

الحارث بن أسد المحاسبى جاع واعتزل الناس ورفض ميراثه من أبيه وهو فى حاجة إلى ما يدفع عنه ضر الجوع . ولم يكن مصابا بعصاب ولا ذهان ، بل ترك للعالم كتابه الرائع « الرعاية لحقوق الله » والذى قال عنه المستشرق «نيكلسون» إنه أول فتح فى التحليل النفسى فى الآداب العالمية كلها كما ترك كتاب «الوصايا» وكتاب « آداب النفوس » وهما فى مستوى الرعاية العلمى تماماً .

والشيخ : أبو طالب محمد بن على بن عطية المكى تجرد زماناً طويلا وعاش فى الصحراء يقتات بعشبها ولاشىء غيره . حتى روت عنه المراجع أن جلده قد اخضر

من طول ما تناول من عشب الصحراء . ولا يهمنا درجة الصحة فى تلك الظاهرة بقدر ما يهمنا صحة هيكلها الأصلى . ومع ذلك فقد ترك كتابيه «قوت القلوب» و «علم القلوب» ، وهما من أمهات كتب السلوك الدينى القويم. والشيخ محى الدين بن عربى كان يشغل منصباً رفيعاً فى البلاط الأندلسى ، فإذا به يهجر عمله فجأة ويسيح فى الأرض . ويتصدق بداره على سائل ويتركها له ويجلس فى الطريق العام . . وينفى عنه العصاب والذهان كتابه العالمى «الفتوحات المكيه» إذا أضربنا صفحا عن ثلاثمائة كتاب كتبها وهو على هذا الحال . وعن إجماع العلماء والفلاسفة على تسميته «الشيخ الأكبر» .

والعارف الكبير أبو بكر الشبلى كان يسكن الخرائب ولا يلبس ثوباً إلا أتلفه بإحداث تمزيق فيه . وتحداه علماء عصره أن يأتيهم بدليل من القرآن الكريم يبيح له إفساد ما ينتفع به كما يفعل بملابسه فأجاب على الفور قائلا : بنى الله داود قتل الخيل التى شغلته عن الله فترة من الزمن وفى ذلك يقول الله تعالى فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ، أى إنه كان يضرب سيقان الخيل وأعناقها بالسيف بعد شغله بها عن الله زمناً قصيرا .

والعارف الكبير : الشيخ عبد القادر الجيلى عاش متجردا من كل زينة فى الصحراء أكثر من عشر سنين ومع ذلك فهو أحد الأربعة الكبار المؤسسين لطريق التصوف ؛ وعلى طريقته «القادرية» تخرج الفحول من رجال العلم . ولا زال طريقه يضم الملايين من العلماء إلى الآن .

تلك بعض النماذج الحية من رجال أعلام أصيبوا بظواهر نفسية يشجبها الطب النفسى وينسب إلى أصحابها العصاب أو الذهان . والواقع ينفى عنهم المرض ويضعهم فى صفوف الأئمة الذين تمتعوا بتكامل نفسى فريد . وقاموا زمناً طويلا على رعاية المنحرفين ومنحهم التكامل النفسى المنشود وما أزمة الإمام الغزالى النفسية عنا ببعيدة فقد دونها بنفسه فى كتابه «المنقذ من الضلال» ، وما عظمه الغزالى عنا ببعيدة فهو الرجل الذى يدعيه الفلاسفة حتى بعد أن سفه أحلامهم فى كتابه «تهافت الفلاسفة» .

ما هو القول الفصل فى المشكلة إذن ؟ ! .

حينما نجيب عن هذا التساؤل فإننا لن نتقيد بالمصطلحات التى تعارف عليها

الباحثون ولا بالتقسيمات التي درجوا عليها لأننا نتهم هذه المصطلحات وتلك التقسيمات بالانحراف والدعوة إلى الانحراف . هناك النفس والعقل والروح . تتداخل وتفترق ، ولكننا سنتحدث على أساس أنها متفرقة .

فالإنسان بوعيه النفسى الخالص لا يعنيه من شئون الحياه إلا ما يلبى رغبات الجسد ، وكل ما لا يلبى رغبة الجسد ، أو يلبى رغبة أسمى من رغبات الجسد فهو مرفوض لدى أصحاب الوعى النفسى الخالص ، فهم مهما تقدمت بهم السن امتداد للطفولة الرعناء ، التى تبكى حينما يصرخ الجسد طالبا إحدى رغباته ، وهم الذين وصفهم القرآن الكريم بأنهم « يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

إننا نطرب للطفل الصغير يمسك الحلوى بكلتا يديه . ويلوث ملابسه بالطعام أو يحشو به جيبه وفمه ، ولكننا نشمئز إذا وجدنا الكبير يفعل ذلك ، وعلى هذا فالوعى النفسى الخالص لابد أن نترقى عنه فى يوم من الأيام إلى وعى أرقى منه ، يتلاءم مع مطالب الإنسان التى لا تقف عند الطعام والشراب والسفاد ، بل تتعداها إلى أمجاد معنوية كالعلم ، وتقدم الدولة واستقلالها ، وحفظ الكرامة الفردية والجماعية ، وتأصيل السعادة بين البشر . وحينئذ نرتقى إلى الوعى العقلى الذى يعلو عن الوعى النفسى الخالص على أى حال ؟

ونحاول أن نصل بالإنسانية إلى مداها من المجد على ضوء العقل وضوء السلوك العقلى . . ورغم أننا نصل عن طريق العقل إلى حل الكثير من مشكلات البشر فإن السير على هدى العقل وحده قد يوقعنا فى حرج بالغ ، ويلحق بنا عارا شديدا

العقل حرفى ، يؤمن بالمعادلات ، ولا شىء بعدها ، وعلى أحسن الأحوال فإن الإنسان يجد من المعادلات سندا له فى بعض التصرفات الصحيحة ، والتى تؤلم ضمير فريق من الناس . فهو يقنع مثلا بدفع الزكاة إلى الفقير حسب المقدار المنصوص عليه شرعا ، وبلا زيادة ، حتى ولو كان هذا المقدار لا يفى بحاجة المحتاج وحتى إذا شبع منه بطن وجاع بطن ، بينما حقيقة الأمر أن الدين نفسه قبل من دافع الزكاة ما دفعه ، وأبرأ ذمته ، لأنه القدر الأقصى الذى يسمح به العقليون ، وفى الوقت نفسه ترك الباب مفتوحا . لمن يحسون بمشاعر أسمى ، وذلك الباب

المفتوح هو باب الصدقة الحرة . وقد توعد الله ما نعها بعقوبات مؤجلة تجعلها لازمة كالمفروضة تماماً . فالشرعي العقلي يقول : يجب ربع العشر للفقير. والصوفي يقول : بل الكل الله . فالمال مال الله . والعبد عبد الله . وعلى هذا فالوعى الروحي فريضة على مجتمع المسلمين . أجل الله عقوبة الواقفين في سبيلها . بينما عجل عقوبة الواقفين في سبيل الوعي العقلي في الدنيا ثم في الآخرة .

والعقل لا يفي بحاجة الإنسان من المعرفة . بل لقد تكون المعارف العقلية وحدها سببا من أسباب سيطرة الآلم على الإنسان. وذلك حينما يقف العقل عاجزا أمام القضايا الفكرية الكبرى . تلك القضايا الغيبية التي جاءتنا من السماء لتؤمن بها أولا. ثم نحاول الاقتناع بها بطريق غير طريق القلب. ويكون العقل عاملا من عوامل البلبلة . حينما نطالعنا أكداس الفكر العقلي . فتوقعنا في حيرة . لأننا لانستطيع التمييز بينها بسهولة . فالإنسان في حاجة إلى وعى آخر غير الوعى العقلي لفهم القضايا الغيبية . والوصول إلى سعادة حقيقية لا يشوبها كدر .. ولتبسيط الطريق الذي جعله العقل أكثر وعورة . وذلك الوعى وهو وعى الروح .

العقل على هذا وسط بين المادية والروحيه . وهو البرزخ الذي يفصل بين الوعى النفسى والوعى الروحي . فهل يمكن الوصول بسهولة إلى وعى روح يجيب على تساؤل الإنسان الذي لا ينقطع ؟

من المعروف بداهة ومن المقرر في التربية الصوفية أنه كلما ضاقت دائرة الحس في الوعى الإنساني اتسعت دائرة المعنى . أى أنه بقدر ما يتخلى الإنسان عن المحسوسات المادية وتوابعها يستطيع أن يتمتع بقدر من الوعى الروحي . وتلك هي النظرية المعرفة في التصوف « بالتخلي والتحلي » .

المفروض أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بعيدا عن المادة ، مجانبا إياها كل المجانبة ، وإنما يراد منه ألا تأخذ المادة بمجامع قلبه . فلا تدع فيه مكانا لسواها ، أى ألا يتعلق بالمادة حتى يصاب بالقلق إذا فقدها ، بل يستوى عنده وجودها وعدمها ، إذا لم يسعد بفقدها ، وحينئذ تنفسح مدارك الإنسان ، ويجد البديل الذي يسعده ويشهده الحقيقة التي تفنى عندها جميع الإضطرابات النفسية . إذ أن القرآن قد وصف المستجيبين لجميع مطالب هواهم بالأنعام « بل هم أضل سبيلا » .

ولا يمكن الوصول إلى هذا المدى من الإدراك الواعى إلا بما يسمى عند الصوفية بالرياضة ، أى تدريب النفس على التخلى عن المادة . وعدم التعلق بها . وهنا يبرز منهجان من مناهج التربية الصوفية .

أولهما : منهج اختيارى . يضع الشيخ خطوطه . إذ يحرم الطالب من الماديات حرمانا تدريجيا . ويشغله بالذكر وطقوس العبادة الأخرى حتى يجد من وجداناتها ما يجعله مؤمنا بصدق المنهج الذى يسير عليه . ويدور هذا المنهج حول أربعة أشيـــاء قالوا إنها إركان التربية الصوفية . وهى « الجوع . والصمت . والسهر والعزلة » .

وثانيهما منهج اضطرارى ، لا دخل للطالب فيه ، ويكون ذلك حينما يقوى يقينه بجدوى سلوكه الجديد ، ويذوق من الوجدان ما يدفعه إلى حركة سافرة يخوضها مع المادة راغما ودون وعى ، يخوضها وقد فقد الشعور بالألم ، ولم يخش سطوة الحرمان . ولم يبال بشىء من ترهات المجتمع التى توشك أن تشده إلى الحضيض باسم التقاليد إن لم يقهرها .

وهذا اللون من الطلاب هو المعروف فى عرف الصوفية باسم « المجذوب » أو « المأخوذ » أى الذى دفعته قوى عليا سامية إلى سلوك ترتضيه تلك القوى المقدسة . لتحرره به من نفسه ومن تقاليدها ومن خداعها . ولتكشف له حقيقة الحياة خالية من الزيف . واقعية الجوهر . فيسير على هدى تلك القوى منكرا ذاته ساخراً من أهوائه . إلى قمة المعرفة الحقة . والحضارة الصاعدة التى بناها من قبله محمد صلى الله عليه وسلم والذين معه رضوان الله عليهم - بعد أن أنكروا ذواتهم وسخروا من خداع نفوسهم . ونفوس الآخرين . ليس مرضا هذا السلوك — مهما نعق المأخوذون بخداع النفس — رغم أن عوارضه تتفق تماما مع عوارض الأمراض النفسية . لأن هناك فوارق بين المصابين بالعصاب وبين الصوفية .

العصابى ناقم ساخط . حانق على المجتمع وعلى نفسه . والصوفى تغمره السعادة من كل جوانبه . محب لمجتمعه . بل وللحيوان والجماد . وكل مظاهر الوجود . هادىء النفس مهما أصيب أهله بالهستريا من أجله .

العصابى مكتئب لفقد كماليات الحياة . أو لفقد حبيبة حسناء . أو مركز مرموق . أما الصوفى فيعتبر فقد هذه المظاهر هو عين العطاء . وعين السعادة

وعين اليقين . ويكتشب هو الآخر. ولكن لأن سيره نحو المحبوب الأقدس ليس كما ينبغى لمثله من الطامحين إلى المثل الأعلى . فيصاب حينئذ بعوارض الحب التى عرضها لها ابن الخطيب فى كتابه

العصابى يعيش فى مجال الطين . والصوفى يعيش فى مجال الروح .

العصابى يتوارى من القوم من سوء ما أصابه . والصوفى يعلن عما ألم به . ويدعو الناس إليه بكل فخر واعتزاز . ويشفق على من يسخر منه . أو يذرف عليه الدمع الغزير . فى « هستيرية غير مترابطة .

العصابى يردد كلمات الأسى والجزع واليأس . والصوفى يردد مواجيد الوجد والأمل . والرجاء والسعادة فى كلمات هى حقائق العلم الأعلى .. الصوفى يقول : « لو عرف الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف » والعصابى يقول : « لو عرف الناس ما أنا فيه بكوا على بدل الدمع دما » .

الصوفى ينعى على زميله قدرا ضئيلا من عالم المادة نزعت نفسه إليه . كما رأينا فى غصون كتاب « روضة التعريف » . . . والعصابى يهنىء زميله بالعثور على هذا القدر من المادة كما نرى فى أرشيف العيادات النفسية . وبين ثنايا أحاديث من يسمون أنفسهم بالمثقفين .. رواد الجيل .. المربون الأفاضل

من أجل تلك الفوارق لم تكن تلك العوارض — التى تشبه عوارض المرض النفسى — مرضا عند المتصوفة . وإنما هى سلوك إلى المعرفة . وإلى العلم النابع من الذات ، والمفاض من عالم الغيب الأقدس .

فهل اقترب الطب النفسى من التصوف إذن ؟

الواقع أن كلا منهما يعمل فى ميدانه جاهدا نحو بناء إنسانية سعيدة ناعمة البال ، قويمة المسلك ، ولكن التصوف يندفع إلى مداه بمريديه نحو المثل الأعلى نحو الوعى الروحى الذى يسيطر على تصرفات الإنسان ، ويخضعها لمثله وقواعده من حيث يكتفى الطب النفسى بإعادة الثقة إلى المريض ، وتأهيله لمواجهة الحياة كما يواجهها عامة الناس . ومع ذلك فهما قريبان كل القرب ، ويرجى لهما قدر أكبر من التقارب حتى توتى الجهود ثمارها لبناء إنسانية أمثل ، ونحو معرفة أفضل من تلك التى قطعت بين الفريقين زمنا طويلا .

الفقد هو مشكلة الإنسانية منذ هبط الإنسان إلى الأرض ، فحينما تقادم به الزمن نسى الهدف الأسمى الذى نزل من أجله ، وبدأ ينظر إلى ذاته وكأنها هدف أسمى فى الوجود ، ومن هنا انقسم الناس فريقان :

فريق طمست بصيرته ، وران على قلبه ما حجبه عن عالم النور ، وانفعل بمظاهر الحياة ولذاتها انفعالا كليا وطرب لها ، واهتز كيانه لفقدها ، ولم يفطن إلى ما يزيح عن قلبه ذلك الركام من الآلم ، فوقع فريسة المرض النفسى الذى لا ينكره صوفى فى الوجود . وأصبح شفاؤه متوقفا تماما على استعادة ما فقده من المظاهر المادية أو المعنوية . وسخر الطب كل جهوده فى العثور على ما ينسيه آلامه من عقاقير وصدمات كهربية يشفى معها إلى حين ، فإذا ما عادت له الذكريات عاد إلى مرضه ، وبقيت الإنسانية معذبة تجهد نفسها ، وتجهد الطب معها فى سبيل الحصول على خلاص دائم من تلك السقطة الشنعاء . سقطة الإنسان الذى لم يدرب نفسه على الفقد . إذ لا يمكن للطب أن يحصل له على ما فقده من مال أو جاه .

وفريق استنارت بصيرته . وتفتحت مواهبه .. وخاض ما خاضه الفريق الفريق الأول من معارك الحياة . وفقد كما فقدوا . ولكنه كان فطنا فلم يجد فى تلك المظاهر سعادة الأبد . وفقه أنها هشيم تذروه الرياح . وأنها هالكة مع كل شىء . وأنها قد تكون شقاء الأبد . فلم يعول عليها . وحاول التدريب على فقدانها حتى يستوى لديه وجودها وعدمها . وحتى يتحرر من المرض الذى يهدد عقله بالضياع . وكان ميدان التصوف هو تلك المدرسة التى يلجأ إليها فى هذا السبيل .

وكان هناك قانون صوفى لابد من السير عليه هو : « خرق العوائد » . أى مخالفة العادة البشرية إذ أنها رأس كل بلية يصاب بها الإنسان ، وكان لابد من أخذ المريد بهذا القانون . فيدربه شيخه على الفقد الاختيارى . أى على مجانبة زخارف الحياة شيئاً فشيئا وتحت رعاية دقيقة . حتى لا تجمح به عواطفه إلى نوع من الانحراف . فمن استبدال سالكى الطريق بأصدقائه القدامى . إلى استبدال المسكن بغيره مما يكون أعون له على السلوك . إلى التقلل من بعض الأطعمة . إلى

هجران بعضها . . وما إلى ذلك من وسائل السلوك المقررة فى مراجع التربية الصوفية .

ولا يغفل المربى الصوفى طموح النفس إلى الرئاسة وإلى الكبر . فيأخذها بما ينزع عنها تلك العلة التى لا تقل خطرا عن علة الاستمساك بالماديات . حتى أنه إذا استعصى المريد فى هذا المجال . فإن شيخه يرغمه على الوقوف فى مواقف لم تكن تليق بمثله ممن هو فى مستواه الاجتماعى . فيدربه على خدمة إخوانه . وحراسه أمتعتهم. وتقديم الطعام لهم . بل وسؤال الناس فى الطريق كما كان يفعل الشيخ الكبير : العربى بن أحمد الدرقاوى ، فى بلاد المغرب ، حتى تخرج أعلى يديه علماء أجلاء لهم تراثهم الرفيع ، من أمثال : الشيخ أبى بكر البنانى ، والشيخ فتح الله البنانى ، والشيخ محمد الحراق وغيرهم من شاذلية « فارس » . [انظر: شور الهدية فى طريق الصوفية . للشيخ العربى الدرقاوى . ط . مراكش .] .

وما إن يتذوق المريد بديلا عن المحسوسات ، من المواجيد والمعارف التى لاتتهيأ إلا لمن صفت نفوسهم من كدر الحياة ومظاهرها ، حتى يمعن بنفسه فى الترك والفقد ، ويستمرىء هذا المسلك ويستزيد من تلك المعارف بالاستزادة من الفقد . . .

وهنا يتفق المريض مع المريد فى أمرين :

أولهما : مظهره الاختيارى الذى لجأ إليه ، من بزازة المظهر ، وامتهان الجسد .

ثانيهما : الكآبة والعزلة والبكاء وغير ذلك من الظواهر ، ولكنها عند المريد تختلف عنها عند المريض ، فهى عند المريض أسف على المفقود من المادة ، وهى عند المريد أسف على مافات من العمل، أونزوعاً إلى ماهو آت ، أو حرقه وشوقاً إلى المجهول . أو جلاء لنفسه ونزوعاً نحو وعى روحى أفضل . وهى بعد كل ذلك بناء عقلى شامخ . هو الذى قامت على مثله حضارة الإسلام الزاحفة فى ربع قرن من الزمان .

وإلى هنا يتبلور لدينا أن المريض يفقد الهدف الذى يعصمه من الانحراف .

أما المريد فهو شاخص إلى هدف أسمى يستهين من أجله بكل صعب . حتى بالحياة ذاتها .

فلو أن الطب النفسي جهد فى سبيل خلق هذا الهدف الأسمى لدى المريض ، وحاول إثارة الوعى الروحى لدى المرضى بعد شفائهم المؤقت الذى يحصلون عليه أو لدى من يقفون على أبواب المرض ، ولو تعاون علماء الصوفية السالكون مع الأطباء فى هذا السبيل ، ولو جرب لأول مرة فى تاريخ الطب النفسي أن يكون العالم الصوفى والإخصائى الاجتماعى والطبيب النفسي معا فى هذا السبيل ، وكل يعمل فى مجاله بإخلاص ، لو أن ذلك كان ، لكان الخير العميم، والسعادة الدائمة ، والقضاء على هذا المرض اللعين الذى يتركز أساسا فى الاستمساك بتقاليد المجتمع.

وأعتقد بعد هذا البيان أن التقارب وثيق بين الطب النفسي والطب الصوفى الذى مر بنا بعض وسائله فى هذا الكتاب .

وسيكون من تقاربهما قضاء مبرم على شيح الزار ، وعلى المتكلمين من عالم الجن ، وعلى المشعوذين الآخرين ممن على شاكلتهم ، وسيكون تفتح فى الوعى الشعبي وغير الشعبي إلى آفاق عليا من المعرفة ، وإحياء وبعث لتراث عزيز على البشرية يوشك أن يندرس تحت وطأة الجهل به ، أو تحت وطأة جهل بعض القائمين عليه من مدعى الصوفية الذين لا يقلون خطر عن المشعوذين . كما أنه سيخضع . التربية الصوفية لنظام علمى دقيق يستهوى الكثيرين من المثقفين الذين لا يزالون يزونها بمنظار مجانب للحقيقة كل المجانبة .

ولا شك أن هذا التعاون سيفيد منه الطب النفسي كثيرا ، لأن الإخصائى الاجتماعى يقوم ببحوثه فى إخلاص ، ثم يجد نفسه مكتوف اليدين ، لأن شفاء المريض متوقف كل التوقف على عون مادى ، قد يطول الزمن حتى يمكن إسعافه به من الجهات الرسمية ، وقد لا يفى ما تدفعه الجهات الرسمية بإسكات الفزع الذى يصرخ فى أعماق المريض ، والصوفية قد تدربوا بالفعل على البذل — إن كانوا صوفية حقا — وهنا يمكن أن تتساند الجهود الصوفية فى حل تلك الأزمات ، والأخذ بأيدى إخوانهم الذين وقعوا تحت وطأة الفقد .

الطبيب النفسى يهدىء روع المريض الفاقد ، أما المربى الصوفى فيدربه على الفقد ، ولا يرى عارا من الفقد . طريق التصوف يريح المجتمعات من تبعات العلاج ، إذا يجعل من كثير من المتقدمين للعيادات النفسية طلاب كمال ، لا طالبين لجبر ما نقص منهم . وما انهار من شخصياتهم .

وهذه المفارقة العجيبة إنما هى من عجائب النفس البشرية .. إذ أن النفس ليست شيئاً بسيطاً سهلا كما يتصور الدخلاء على هذه الدراسات . بل هى شىء معقد غاية التعقيد . كثير الدروب والمنحنيات والعقبات والعوائق . وقد أشار القرآن الكريم إلى عظمة النفس البشرية . ومدى ماتكنه فى أعماقها من المعرفة . فجعلها نبعاً صافياً للحق فقال الله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

وأشارت السنة إلى تلك العظمة فى النفس فجعلت العارف بها عارفاً بأضخم مشكلة إنسانية . . عارفاً بالله : « من عرف نفسه عرف ربه » .

والعصام لهؤلاء المجهودين فى الحياة هو : التفكر . والتدبر . والتذكر . والتفقه . والتعقل .

وقد زخر القرآن الكريم بالحث على تلك الخلال فى آيات كثيرة يصعب إحصاؤها الآن .

وحدة الوجود

فكرة الحب والسلام والعمل

تمضى القرون الطويلة . ولا يزال الباحثون يشغلون وقتهم وأوقات الطلاب وهواة المعرفة بالطعن على نظرية الوحدة عند الصوفية . ورمى القائلين بها بالعظائم وتجريدهم من الإيمان بالله . وتقليدهم عار الزندقة والإلحاد .

ويتبع الطعن على القول بالوحدة الطعن على القول بالحلول والاتحاد الذى تستلزمه الوحدة فى نظر الطاعنين . ولا تفارقه .

وقد يكون هذا الوقت الضائع سدى فى إقناع المثقفين بانحراف الصوفية فى هذا الصدد مستساغاً لو أنهم صرحوا بأن الله تعالى يحل فى شىء . أو يتحد به . ولكنها عبارات صدرت عن بعضهم . ولم يحاول الباحثون استقصاء الحالة النفسية التى كانوا عليها حين نطقوا بها ، بل أصدروا أحكامهم فى صورة عموميات لا تتفق مع الحق ولا العدالة . ولا مع المعرفة فى شىء .

« الحق عين ماظهر وعين مابطن » . . أبو سعيد الخراز . . وغيره

« مافى الجبة إلا الله » . الحسين بن منصور الحلاج .

« قال لى الحق : « يا أبا يزيد كل الخلق خلقى إلا أنت . أنت أنا . وأنت » . . أبو يزيد البسطامى .

« لاتصح المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر : يا أنا .

إذا شئت أن أدعوه ناديت ياأنا   وإن يدعنى نادى جميعى بيا إنى
فيخبرنى عنى بما أنا مخبر . .   إذا شئت عنى بالذى مخبر عنى

السرى السقطى

تلك هى الأقوال التى امتحن بها الصوفية زماناً طويلا . ولم تجد أقوالهم ردآ على الطاعنين عليهم لوعورة لغتهم وتشبثهم بالمصطلح الصوفى الذى لم يصادف

محلا فى أفهام الباحثين . . وكل ماجاء من أقوالهم التى استبشعها المفكرون غيرما أودنا ، فإنما هو فى معناه لم يخرج عنه .

لقد بقى اتهام الصوفية هذه الأزمان الطويلة . . ولم يجدوا منصفا يستمع إلى دفاعهم عن أنفسهم بعين العدالة . فحرم العالم كله من أعظم فلسفة بناءة دافعة إلى التقدم وإلى قمة المجد هذا الزمن الطويل . ومع ذلك فإنهم سيبقون متسامحين مع الطاعنين عليهم . راجين لهم من الإنصاف مايعودون به إلى الحق . مبشرين للإنسانية كلها بفكرة سنحاول الكشف عما تحمله للعالم من سلام وسعادة وتقدم وصعود بحول الله وقوته .

فمراجع التصوف التى عرضت لهذا الموضوع بالتقرير أو بالدفاع - لاشك - وعرة اللغة . عصية المصطلح . ولاتتلاءم مع طريقة إنسان العصر الحالى فى البحث لأنه يؤثر ماخفت مؤنته على الفهم . ولم يكلف عناء فى الدرس .

وحتى ماسهلت لغته . وخفت مؤنته من هذه الكتب الدفاعية قد أخرج إلى جمهور القراء على طريقة الطباعة القديمة التى يرفضها إنسان العصر الحالى مهما كان فيها من غناء وقول فصل . وهو معذور كذلك . لأن تبعات العصر الحالى هى الأخرى لاتدع جهداً لباحث عن الحق

من أجل ذلك . ومن أجل الحق . ومن أجل الإنسانية التى حرمت من جدوى تراثنا زمنا طويلا سنحاول بحث هذا الموضوع فى أبسط صورة ممكنة . بحثا موضوعياً لانتعرض فيه لأقوال المنكرين . ولعلنا نوافق فى تجليه وجه الحق عن هذا الموضوع الذى نحتاج إليه فى هذا العصر حاجتنا إلى القوة الدافعة . والنظم العادلة . وتخفيف الآلام . والعودة إلى مجد لازال موضع العجب من جمع الباحثين فى العالم .

الوجود وحدة متكاملة . . هذا هو الحق الذى لامراء فيه .

ليس فى الوجود إلا الله . . وكل ماسواه عدم . . هذه حقيقة ثابته لامراء فيها . بل هى ذروة الإيمان بالله . ولتوضيح ذلك نقول :

من المعروف أن الكهرباء مثلا — عبارة عن تيارات خفية لا ترى بالعين ، ولا يتصورها العقل على حقيقتها ، وإنما تدرك آثارها إذا تجمعت وسيرت بعمليات علمية معقدة حتى تصل إلى المصباح فإذا بها نور متوهج يراه كل إنسان . فهل الكهرباء هى هذا الضوء المتوهج فى تلك الأسلاك الدقيقة داخل المصباح الزجاجى المعلق فى السقف ؟!! أم هى شىء غيره ؟!! أم هى عين الضوء . بمعنى حقيقته لا بمعنى مظهره الذى يعتريه الوجود والعدم حسب سلامة الأجهزة أو فسادها وحسب انطلاق التيار فى المصباح أو انقطاعه ؟

يمكننا أن نقول حينئذ : إن هذا الضوء المتوهج فى المصباح هو الكهرباء ، ولكننا إذا دققنا النظر ، وحددنا معانى الألفاظ تماماً . . وجدنا أن الكهرباء فى الحقيقة ليست هى الضوء المتوهج ، وإنما هى تلك التيارات الخفية فى الكون والمكونة من الموجب والسالب ، والتى ينتج عن تلاقيها ضوء متوهج هو فى الحقيقة مظهر من مظاهر الكهرباء ، وليس الكهرباء بعينها .

وعلى هذا فإطلاق الكهرباء على الضوء ليس إطلاقاً حقيقياً ، وإنما هو إطلاق مجازى من باب إطلاق الأثر على المؤثر .

فإذا قلت : إن الكهرباء هى الضوء المتوهج فى الأسلاك كان هذا التعريف صحيحاً على المجاز ، لا على الحقيقة .

وإذا قلت : إن الكهرباء ليست هى ذلك الضوء كان هذا حقاً لا شك فيه

فالكهرباء هى الضوء ، وليست هى الضوء كما عرضنا ، ولا غبار على من يقول بذلك بأى حال .

وننتقل بعد هذا البيان إلى الذات الأقدس . . « الله » سبحانه وتعالى ولله المثل الأعلى .

المخلوقات منها الإنسان ، وقد صرح الله تعالى بأن حياة الإنسان فى أول الأمر ما هى إلا نفخة من روح الله :

« فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » فالإنسان مكون

ن الطين ، ومن نفخة الروح الإلهى الأقدس كما أن الضوء مكون من زجاج وأسلاك وتيار خفى لا يرى . وتلك النفخة هى التى وهبته الوجود والحياة ، فإذا قلنا إن الإنسان موجود بذاته كان هذا القول خطأ ؛ لأن وجوده مستعار من لوجود المطلق . من النفخة الإلهية الأولى ، أى من وجود خالقه سبحانه وتعالى ومن هنا يرجع وجود الإنسان إلى وجود الله تعالى دون شك. وإذا قال الحلاج « أنا الحق » أو ما شابه ذلك ، كان هذا القول مجازا ، كما كان القول بإطلاق الضوء على الكهرباء مجازا كذلك .

وإذا قال : أنا غير الله كان هـــذا القول حقيقة ؛ لأن الله تعالى ليس كمثله شيء .

فالصوفى لا يريد بقوله : « أنا الحق » وما شابهه .. أنه هو الله الخالق الفعال لما يريد ، وانما ينظر الى أصل وجوده ومنبع فيضه ، وينسى عالم الطين تماماً فلا يرى الا النفخة الإلهية السارية فى أجناس الناس ، وهذا المشهد يفسر جميع الأقوال التى ذكرناها فى صدر هذا البحث .

ومن المخلوقات جماد ونبات . وقد صرح الله تعالى بأن للجماد أو النبات حياة موهوبة من لدنه سبحانه بوساطة الماء الذى خلقه سبحانه — لهذا الغرض .

« وجعلنا من الماء كل شيء حى » .

وسجود الشجر والجبال والنجوم والشمس والقمر لله كما جاء فى النص الكريم دليل على أن لها حياة .

فالماء حياة الإنسان والجماد والنبات وكل شيء ، ما نعلم منه وما لا نعلم . فإذا قلنا . إن كل شيء فى الوجود هو الله ، كان هذا حقاً بمعنى أن وجوده مستعار من وجود الله ، والله يستطيع أن يقطع عنه مدد الوجود فى أى لحظه كما نستطيع نحن أن نقطع الضوء المتوهج فى مصابيح الكهرباء بحركة بسيطة . وكان هذا القول تماماً كقول الإنسان « أنا الحق » .

وإذا قلنا إن الموجودات مغايرة لله تعالى وليست هو . كان ذلك حقاً لا مراء فيه .

وهناك وجه آخر لفهم وحدة الوجود عند الصوفية :

فالأسماء والصفات الإلهية — من غير شك — هى الفاعلة فى الكون ، خلقاً وتصويراً ، وعطاء ومنعاً وحياة ، وموتاً ، وملكاً ، وانتقاماً ، ورزقاً ، وفتحا وعلما ، إلى آخر ما هو معلوم من الأسماء والصفات .

والناس إزاء عمل هذه الأسماء والصفات المقدسة فريقان .

فريق ضيق الأفق ، لا يعنيه إلا ما تسلط عليه من الأسماء بصورة ظاهرة فحسب ، فهو يهتم لصفة « الرزاق » أو العليم » مثلا ، ويعيش فى دائرة تجلياتها ، ويعمى عن المنبع الأصلى لتلك الأسماء والصفات ، وهؤلاء هم أهل « الفرق » أى الذين يعيشون فى عالم متفرق ، كل قسم منه مستقل بذاته ، ولا يحاولون الربط بين تلك التجليات الأسمائية ، وجمعها فى منبع واحد . وهؤلاء ينكرون أشد الإنكار كل مشرب عدا مشربهم ، ويرمون غيرهم بالزندقة والإلحاد .

وفريق يعود بكل اسم وبكل صفة إلى أصلها ، وهو اسم جامع لجميع الأسماء « الله » ، وتتسع آفاقهم لكل مظاهر الحياة فيرونها نابعة من المنبع الأصلى للوجود بعد فهم كل اسم وصفة على حدة . وهؤلاء هم أهل « الجمع » . أى الذين يعيدون كل شىء ويجمعونه فى الاسم الجامع . « الله » ، وهم الذين يرون الله — أى أسماء الله — قبل كل شىء وبعده ، فيه وهم أهل المراقبة التى تحدث عنها ابن الخطيب فى كتابه ، فاذا خاطبك أحدهم فكأنما يخاطب الله ؛ لأن الله هو صانع الكلام فيك ، وهو موجهك إلى ما تقول . وهؤلاء أهل حب لجميع الكائنات على هذا الاعتبار . . يغيب أحدهم غيبة كاملة عن كل عالم التفرقة والمظاهر المختلفة ويتكلم من مقام الجمع ومن شهود المنبع الأصلى لكل شىء وهو « الله » فينطق من معين غير معين الفريق الأول ، فينكر هذا الأخير عليه ، وما كان له أن ينكر ، لو علم من أين يمتاح ومن أى معين يستقى .

أى الفريقين يحب الكون كله إذن .

لا شك فى أن أهل « الجمع » الذين لا يغفلون عالم التفرقة هم الذين يحبون الكون كله بما فيه من مظاهر متضادة أو متوافقة ؛ لأنهم يشهدون الله قبل كل

شيء ، وبعد كل شيء ، ولا يغفلون أثر الله سبحانه وتعالى ، أو أثر اسم من من أسمائه أو صفة من صفاته فى أى مظهر من مظاهر الحياة ، حتى ولو كان غير ملائم لأهوائهم النفسية . حتى ولو كان منعا أو موتا . أو عذابا أو كان انتقاما .

لا يشمئزون مما يشمئز منه الناس . لأن هذا المظهر الذى يشمئز منه الناس ما هو إلا عمل اسم أو صفة إلهية مقدسة . فهم يتجاوزون المظهر الخارجى لهذا الشيء الذى يثير الإشمئزاز إلى الحكمة الخفية فيه . وإلى عمل الإسم الإلهى . أى إلى الله تعالى . فيحبون كل شيء . يحبون المرض كما يحبون الصحة يحبون الفقر كما يحبون الغنى . يحبون العدو كما يحبون الصديق . فالكل من الله . أما مخالفة تلك المظاهر لأهواء النفس فهو عين العلم عندهم . وما كان هذا العلم إلا بعد أن تجاوزوا المظاهر إلى الحقيقة . ذوقاً وشهوداً وتحقيقا .

أما أهل الفرق . وهم الفريق الأول . فيحبون ما وافق أهواءهم ويبغضون ما عاكس أهواءهم ويسلكون سلوكا عدائيا نحو كل ما يبغضون . ويغرقون فى الفرح بما يحبون . ومن هنا كان هذا الفريق مركبا للشيطان . مثيراً للفتن مؤولا ومغيراً للحقيقة فى سبيل إشباع الهوى : متكبرا جباراً طاغيا فى الأرض حديد القلب على من يخالفه معاكسا للأسماء الإلهية والصفات .

أهل الوحدة الصوفية إذن هم أصلح الناس للحياة التى يسودها الحب والسلام وهم وحدهم إعلان وضيء لدعوة الإسلام السمحة النقية الطاهرة ، الخالية من الغل والحقد والحسد ، ولذلك كان وجود الصوفية فى جنوب أفريقيا ، وآسيا الوسطى كافيا لدخول الناس فى دين الله أفوجا ، دون حرب ولا إراقة دم ، وكان خلق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتسامحه مع أعدائه داعيا لهم إلى حب الإسلام والدخول فيه ، والتفانى فى نشره والدعوة له ، وكان العدل الإسلامى وحده يفعل ما لا تفعله الجيوش فى الأصقاع التى انتشر فيها الإسلام خارج الجزيرة العربية .

« ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور »

« فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

عشرات الآيات الكريمة تحث على الغفران ، وهى دعوة إلى شهود كل شىء من الله حتى لا يتأثر المؤمن العريق بما يتأثر به هؤلاء الذين يضعون أنفسهم فى مواجهة الأسماء الإلهية ، يرضون عما يرضيهم منها ويسخطون عما يعاكس أهواءهم ، وتلك سمة من سمات المنافقين قررها القرآن الكريم :

« فإن أعطفوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » .

وهى سمة تهدد الحضارات بالفناء :

« فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل » .

فوحدة الوجود الصوفية ، لا وحدة الوجود الفلسفية العقلية ، هى رسالة الحب والسلام من غير شك ، ودعوة الإنكار عليها دعوة التفرقة والبغض والتناحر من غير شك .

ولعله آن الأوان لينزل المنكرون عن هوى النفس ، ويشهدوا كل مظهر فى الحياة من منبعه الأصيل . . « الله » . فيعاملون الله وهم يعاملون الخلق ، ويحبون الله المتجلى فى الخلق ، ويشفقون على الخلق لأنهم جميعا وحدة لا تفرقة بين أجزائها :

« خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . . .

على أننا لا نغفل أن نقرر نقص من يعيش فى عالم الجمع على الوجه الذى شرحناه دون نظر إلى عالم التفرقة . فالذين يعيش على هذا الوجه وحده ربما أغفلوا حكمة التشريع . لأنهم يعيشون فى دوائر الربوبيه وحدها . دون دائرة العبودية . وكمال الوجود ونظامه يستلزم العبودية والربوبية معا . الربوبية من حيث شهود كل شىء من الله . فلا يجزع الإنسان ولا يسخط ولا يرفض ما يخالف هواه . والعبودية من حيث العمل بمقتضى الأمر والنهى . وحراسة حدود الشريعة .

ولذلك كان الكاملون من الصوفية يعودون بعد تلك الغيبة القصيرة التى يعيشون بها فى عالم الجمع إلى عالم التفرقة . فيقضوا ما فاتهم من صلاة إن فاتهم شىء منها . ويخضعون لأحكام العبودية اللازمة لتمام النظام فى الكون .

سيدى عبد الخالق الشبراوى

نموذج فريد لشيخ الطريق

لعل بعض القراء يتساءل ـــ وهو يجوب روضة التعريف ـــ عن الشيخ . وهل كان له وجود بعد عصر الصحابة والتابعين ؟ أو هو بعد هذا العصر شيء مفقود تسجه خيال أولئك الذين تعلقوا بذلك العصر ، وهاموا به ، حفاظا على سعادتهم التى يجدونها بين يدى أولئك الأعلام ؟

والحق الذى لامراء فيه أن الشيخ بصفاته التى وردت فى روضة التعريف حقيقة ماثلة فى كل عصر ولكنه نموذج نادر بين العلماء والسالكين ، وليس بالكثرة التى تدعيها كل طائفة لمرشدها وشيخها . . وأستاذنا الراحل . سيدى عبد الخالق الشبراوى . هو الدليل المادى الذى لا يحتمل الجدال على صحة ما نقول

لم يكن شيخا من شيوخ التصوف الصادقين فحسب، وإنما كان بحق صورة واضحة المعالم لفضل الإنسان الكامل فى عصر التابعين . . شهد له بذلك جميع المنكرين على طريق التصوف وكبار العلماء المحايدين. ورجال العلم الحديث الذين يتنصلون من كل ما هو غيبى وراء المحسوس . قبل أن يشهد له المحبون والمريدون والسالكون .

عمرى النسب من جهة أبيه حسينى من جهة أمه . جده لأبيه العارف الكبير: سيدى عمر جعفر الشبراوى . صاحب شرح ورد السحر . وتنوير الصدر . ومفتاح المريدين وغيرها من الكتب التى تدل على أصالته فى الاستقامه على جادة الشريعة ، وعلى غوره البعيد فى ذوق الحقائق والتحقق بها . وشيخه فى التصوف : العارف المحقق : سيدى منصور هيكل الشرقاوى . الذى انتقاه جده من بين مريديه لريادة الطريق من بعده . وقد شهد له العالم المعمر الشيخ محمد عبد الله الذى جاوز المائة والثلاثين من العمر . ولا يزال على قيد الحياة . بأن سمته وسلوكه فى كبره هو بعينه سمته وسلوكه منذ كان طالباً صغيرا فى الأزهر فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر .

عمل أستاذنا مدرسا فى الجامع الأزهر فى بداية أمره ، ثم رافقته عناية الله فاختير شيخا لمسجد الفتح فى عابدين . وكأن العناية أرادت أن يكون عمله تماماً لسلوكه . إذ كان يقضى بأن يصلى الأوقات الخمسة فى جماعة . ولما قارب شيخه فى الطريق نهاية العمر استخلفه فى حياته من بعده . فلم يزاول إرشاد المريدين فى حياة أستاذه رعاية للأدب معه . . وكان أستاذا فى طريق الخلوتية والشاذلية . والنقشبندية علما وسلوكا وذوقا وتحقيقا .

كان — رضى الله عنه — شغوفا بالعلم إلى أبعد مدى . وكان تجار الكتب يعرفون منه تلك الهواية ، فكانوا يتوافدون على مسجد الفتح بعد الظهر يحملون ما جد لديهم من نوادر الكتب . وأمهات المراجع . وفرائد المخطوطات . وكان جماعا لتلك الكتب من مختلف فروع العلم . لا يضن عليها بمال . شديد العناية بها . وأخيراً لا يدرجها فى خزائن كتبه إلا بعد أن يستوعبها قراءة وفهماً وذوقا .

سئل فى يوم من الايام عن قراءاته فى الأدب والتاريخ فوق قراءاته فى علوم الشريعة وآلاتها ، وعلوم التصوف فقال : « لأعلم فيض الله تعالى على عباده » . وهو جواب يدل على مدى الأفق البعيد الذى يتمتع به . وعلى مدى الدقة والعمق فى عوالم الفكر المختلفة المشارب والأذواق . فلم يكن جافا يقبع على لون . ويتعصب ضد لون من ألوان المعرفة . أليست المعارف فيضا من الله على عباده . إما فيض هدى . وإما فيض إضلال : « يضل به كثيراً ويهدى به كثيرا » . أليس فيض الإضلال فى حاجة إلى دراسة وتعرف لمناهجه والتواءاته وسفسطته؟ وتلك دراسة لازمة لفقه النفس لا يستغنى عنها مرشد أخذ على كاهله تقويم انحراف الإنسان وإقامته على الجادة القويمة . ولا تقل أهمية عن دراسة فيض الهدى . وتعرف وجوه النفاق فيه . والتى أتقنها كثير من الكتاب حتى إنها لتخفى على الكثيرين من الباحثين .

كان مسجد الفتح مدرسة جامعة تعيد إلى الأذهان تلك الصورة الوضيئة للمساجد فى الصدر الأول . كان مدرسة هادفة لا تتقيد بالروتين . ولا تخضع لمقومات السن والمؤهلات . يجتمع فيها أستاذ الجامعة . وعالم الأزهر ورجال

القانون والطب . والطلاب . والتجار والأعيان . وأرباب الحرف . فى مجتمع مثالى من المساواة النابعة من وجدان الطلاب الذى انعكس عليهم من وجدان أستاذهم العارف بالله .

فمن وقت الضحى من كل يوم كان أستاذنا الشبراوى رضى الله عنه يستقبل طلابه ومريديه . ولم يكونوا جمعاً يتحلقون من حوله . ليتصدرهم هو للوعظ والإرشاد فتلك سنة ما أسرع ما يملها المريدون . وما أشد ما يجانبها هو كل المجانبة . يملها المريدون لأنه سماع خطابى لمواعظ ما أكثر ما ينسى بعضها بعضاً . وما أسرع ما يتطرق إليها الجفاف وفقدان الفاعلية لوحدة موضوعاتها غالبا . واتسامها بسمة الأمر الذى تنفر عنه طبيعة الإنسان وصدره . وكان يجانبها رضى الله عنه — لأنها لم تكن من سنة النبى صلى الله عليه وسلم . ولا من مناهج أصحابه الناهجين على سننه فى مساجدهم العريقة الأولى . ولأنها فى الوقت نفسه مظنة التصدر والرياسة التى كان يبغضهما من كل أحاسيسه ووجداناته . ولأن المشارب مختلفة . والثقافات متباينة . والاستعداد بينهم درجات . ولذلك كنت ترى فريقا يعمل فى فحص الكتب الكثيرة التى يريد شراءها.وفريقا يتدارسون فيما بينهم آداب السلوك والمعاملة مع الله . وأفرادا يسرون إلى حضرته مشكلاتهم الخاصة . ويستمعون لإرشاداته إزاءها . ثم ينصرفون لينفرد به السالكون واحدا واحدا وكل منهم يفضى إلى حضرته بخواطره ومواجيده فى الذكر والسلوك . ليصحح له الخطأ ويرشده إلى جديد من أمور القربة إلى الله . أويحد من جموحه ولا يدعه منبتاً لا يبقى ظهرا . ولا يقطع أرضا .

فاذا ما انتهى من تلك الإرشادات الفردية جلس بين يديه جماعة يختارهم ، أو كيفما اتفق . وبالبصيرة الثاقبة.والفراسة الكاشفة يكتشف منهم أو من أحدهم ما يخفيه . فيلقى على المجموع موعظة قصيرة فى قالب قصة من قصص التاريخ الصوفى يعرف منها المنحرف أنه أمام ضوء كاشف قوى .

وعلى هدى روح حضرة الأستاذ الصافية ، ونفسه الحانية تقتلع جذور الشر من تلك القلوب : وتتشبث بحبه . إذ هو الناصح الحق الذى لا يفضح.ولا يشعر الإنسان بأنه يعرف عنه إلا الخير : ثم يؤمهم للصلاة ، ويكون مسجد الفتح قد

غص بالوافدين من مختلف الطبقات . ثم يودعهم واحدا واحدا ويمضى وحده. أو بصحبة إنسان واحد إلى بيته يشارك عامة الناس فى وسائل مواصلاتهم فى. هيبة خارقة لما اعتاده الناس من مظاهر الهيبة . فعلى بساطة مركبه وتواضعه تخشع أمامه جوارح من يرونه وهم لا يعرفونه . فيفسحون له . ويودعونه فى إجلال وإكبار : « صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة » .

كان لكل مستوى من المستويات عنده جواب شاف لما يعتمل فى نفسه من مشاكل العلم أو دسائس النفس أو عقبات السلوك . دون أن يشعر أحد من. النوعين الآخيرين بأى حرج .

زل أحد المريدين زلة كبيرة اكتشفها أستاذنا بنور الكشف والفراسة . وفى هدوء ورحابة صدر تناول كتابا وناوله لأحد الحاضرين طالبا أن يقرأ على الجمع موضوعا حدده له . وكان فى سطور قليلة من الموضوع إرشاد لمن زل. دون أن يفطن أحد إلى المخطىء إلا من وصل إلى مرتبة الكشف والصمت عن الزلات منهم .

وقد لا يعالج خطأ المخطىء من كتاب يقرأه أحد المريدين . بل من قصة قصيرة يقصها على الحاضرين جميعاً . ثم تصادف قلبا تتمكن منه . وتعيده إلى اتزانه . ولذلك لم يكن ينفر من مجلسه صالح ولا صالح . بل كان الكل مقبلا عليه . محباله . متعشقا للقائه مهما كانت العقبات التى تحول بينه وبين أستاذه .

وكان له من شخصيته جاذب قوى لكل من يعرفه . هدوء وطيبة نقية يشعان من كل جوارحه . جمال محمدى مهيب . صوت رزين ينساب فى طبيعته لا تعمل فيه ولا صناعة . نظافة كاملة وجمال هندام فى عدم اصطناع ، تواضع جم يأخذك منه فلا تلبث أن تنقاد إليه بكل أحاسيسك .. وأخيراً . إشعاعات عجيبة تحيط به وتنتقل إلى كل المحيطين به فإذا المهموم مسرور والمريض صحيح. وخامل الهمة عامل جاد . فلكل إنسان فى مجلسه مأرب . وهو من وراء ذلك يستغل كل ذلك فى الدعوة إلى الله ، وهداية الخلق إلى صراط الحق . وترقية السالكين إلى عوالم المعرفة .

وإلى هنا قد يكون هناك من الشيوخ من يشبهه فى عصره . ولكن هناك سمات

قد انفرد بها من بين المتأخرين . فلم يلحقه فيها لاحق . وهى سر تفرده فى العصر بالعلم الأعلى . والسيادة على جميع الصوفية المعروفين آنذاك .

الورع . . وهو مرتبة فوق الزهد . هو : أن تدع ما فيه شك من المباح مهما كانت الحاجة إليه . وكان مسجد الفتح تابعاً للقصر الملكى (سابقا) ومع أن غيره من رجال الدين كانوا يتقربون إلى القصر ولو على حساب ضمائرهم فقد كان أستاذنا — قدس الله سره بعيدا كل البعد عن القصر ومن فيه رغم محاولة الكثيرين من كبار موظفى القصر الاقتراب منه . وتقريبه إلى الملك نفسه . فلم يستجب لتلك الأوهام رغم تاريخه الطويل فى مسجد الفتح . . ودعاه مراد محسن (باشا) فى حفل قران ابنته فرفض رفضا شديداً . فتوسل إليه أن يشرف الحفل بوجوده تبركا به ، ووافق على رغبته فى ألا يتناول طعاما ولا شرابا ، ولا يتخذ مجلسا ، ولا يتوقف لحظة عن المضى فى طريقه لتحية أحد من الحضور وقد كان ما أراده ومر مرورا عابرا وبرفقته أحد مريديه . ولا شىء غير ذلك .

وكان الملك (فؤاد) قد ذهب ليلة القدر إلى مسجد الفتح فى رمضان لصلاة العشاء . وقبل الأذان أسر أحد كبار رجال الدين إلى أستاذنا أن يسرع فى الصلاة من أجل الملك . فلم يطق الدنية فى دينه على هذا الوضع — وهو العامل بالسنة — فغادر المسجد على الفور . وأم الناس أحد مريديه .

وكان من العادة أن يهدى الملك شالا من الكشمير لكل إمام يصلى خلفه الجمعة . فلما كانت نوبة مسجد الفتح اعتذر شيخنا — رضى الله عنه — وأناب أحد طلابه . هربا من كل ما يحيط بالملك من مظاهر وطقوس تختلف تماما مع طبيعته وتعارض الشريعة التى يقوم على حمايتها بين طلابه . . فكان بعيدا كل البعد عما كان يتقرب إليه غيره ولو بذلوا فى سبيل ذلك أغلى ما يملكون .

لم يكن مثل الكثير من شيوخ الطريق الذين يرتادون المآدب بلا تمييز بين ما فيه شبهة ، ولا مالا شبهة فيه . بل إن فكرة ارتياد المآدب نفسها كانت غير حميدة فى رأيه . . ولم يكن فى ذلك مجانبا لسنة النبى صلى الله عليه وسلم إذ قال « ولو دعيت إلى كراع لأجبت » . فقد كان ذلك فى عصر كل مطعمه حلال . . وكان الحرام معدوما . أما فى العصور المتأخرة فالشبهات هى الأصل . والحلال الخالص أندر من الكبريت الأحمر كما يقولون .

ولم يكن — رضى الله عنه — يقبل من الهدية إلا ما يهدى بدلا منه إن كان المهدى قادراً . أما إذا كان رقيق الحال فإنه كان يعطيه ثمن ما أهداه على الفور ويزيد له فيه عونا له على الحياة فى رفق بعد أن يشكر له مشاعره ويرشده إلى أن أبناءه أحق بما يهديه . . ولم يشذ عن منهجه هذا فى مدى حياته كلها . جمعنا الله وإياه فى دار تبقى فيها الصحبة .

كلف أحد طلابه أن يشترى له خليطا سماه له من أنواع (العطارة) كان يتناوله فى الشتاء . فلما عاد به إليه طلب منه أن يعيد على مسمعه الأنواع التى يحتويها هذا الخليط فأعادها كما هى وزاد عليها حبة واحدة من (جوز الطيب) اقترحها العطار نفسه فأبى أن يتناول منها شيئاً ، وأعاد الرجل ليشترى له ماطلب دون أن يزيد عليه شيئاً .

ولما أراد الحج قضى خمسة عشر عاما ينتقى من ماله الحلال الخالص الذى لا شبهة فيه . والذى ناولته إياه يد طاهرة ورعه . حتى طابت نفقته فى الحج واطمأن إليها بقلبة الطاهر الكبير .

النفور عن كل ما يميزه عن الناس . كانت تلك سمة واضحة فى أخلاقه يعرفها منه كل من عرفه ولزمه . كان يرفض أن يتقدم الناس فى الطريق . ويفضل السير بمفرده وإلى جواره أحد مريديه . وكان لا يقبل من إنسان أن ينسب إليه كرامة أو فضلا من بركته الغامرة . بل إنه كان يقاطع من يثرثر بكراماته حتى يعود إلى الصمت المطلق وكان مقياس الناس لديه هو الاستقامه ولا شىء غيرها من جاه أو مال مما يستهوى غيره فتلك أمور لا اعتبار لها عنده بأى حال .

البساطة . هى خلق النبى الكريم صلى الله عليه وسلم . ورثه شيخنا بكل ماله من مقومات . . كان بيته خلف مستشفى روض الفرج للعيون بسيطا لا زخرفة فيه ولاتعقيد . وكان أثاث بيته بسيطا جميلا نظيفا طاهرا تصلح كل قطعة فيه للصلاة عليها . وكان هو فى ملبسه نظيفا بسيطا . لاغلو ولا تعقيد ولا تعمل . . بل إنه كان يكره التعقيد فى الحياة . والتكلف فى المظهر : « وما أنا من المتكلفين » .

الرضا . . فلم ير ولم يسمع ساخطا على أى شىء . بل عاش راضيا عن ربه ، لأن ربه رضى عنه . حتى الأمور التى تزل فيها أقدام العلماء كان ثابت القدم فيها

فكل ما يرتضيه الله له فهو يتقلب فيه عالما سعيدا برضا الله .. وقليل هم الراضون ظاهرا وباطنا .

العمل .. كان يعمل من أجل حياته وحياة أبنائه . ولم يكن يرضى عن المتحلل المنقطع للعبادة . وكثيرا ما كان يردد : إن العمل من أجل العيش هو فى ذاته عبادة ، فلا معنى للانقطاع عن العمل من أجل نافلة أخرى . لأن هذا من تلبيس إبليس على السالكين .

كان أستاذنا رضى الله عنه صاحب ملكة فى الكشف لا تعد لها ملكات المتصدرين للإرشاد فى عصره على الإطلاق . ولم يكن أحد يفطن إلى فراسته هذه إلا من رقى إلى مرتبة الكشف من المريدين . أما هو فلم يكن يعلن — كما قدمنا — عن كشفه ، ولا يفضح إنسانا وإنما كان يشير إشارات خفية يفهمها من هو فى حاجة إلى إرشاد . ثم لا يلبث أن يحدث بها إخوانه . ومن هنا عرف العامة مدى صدق فراسته وكشفه . وكان المريدون يعرفون . كشفه من بعض الأحداث التى لا تتصل بالتربية . فقد أرسل يوما إلى صاحب مكتبة « الخانجى » يطلب منه كتابا فرد بأن الكتاب لا يوجد عنده . فأعاد أستاذنا الرسول ليقول لصاحب المكتبة : إن الكتاب فى الصف الأعلى على يمين الداخل إلى المكتبة . وبالفعل وجد الرجل الكتاب . وعجب أشد العجب ، وكان يردد : إن الشيخ الشبراوى يعلم عن مكتبتى مالا أعلمه .

وكان « محمد حجاج » صاحب المكتبة الأدبية قد أرسل إليه كتبا فى المنزل لفحصها ثم إرسال ثمنها بعد فحصها . وعلى غير العادة ذهب الشيخ رضى الله عنه إليه وسلمه الثمن سريعاً وأشار إليه إشارة عابرة يقول : إنك لو حضرت فى موعدك فلن تجدنى . وكان الشيخ رضى الله عنه قد انتقل إلى جوار ربه فعلا بعد ذلك بيومين .

وكانت آخر خطبة جمعة فى حياته ألقاها على المصلين موضوعها الاستعداد للموت . وكان لونه أخرويا لا دنيويا ، وكذلك جميع حركاته وسكناته . وودع تلاميذه واحدا واحدا ، والألمعى كان يعرف أنه لن يرى شيخه بعد اليوم . ثم قضى ليلته كلها فى مكتبته الكبيرة حيث توفى رضى الله عنه فى ضحى اليوم التالى .

ويستدعى الكلام على ظاهرة الكشف بحث كراماته رضى الله عنه .

والحديث عن الكرامات يستتبع كلمة قصيرة عن الكرامة .

صلة الكرامة بالكشف وثيقة عند المحققين الكبار من رجال التصوف . أو من الرجال السالكين على قدم النبي محمد صلى الله عليه وسلم . فالكرامة الصادقة هى التى تنبنى على كشف صادق . ومن صح كشفه صحت كرامته . ومن حدس وخمن واستعمل الفراسة الفلسفية الشخصية فإن كرامته تتردد بين مصادفة الحق أو مجانبته وهو نوع لا يدخل فى اعتبار الصوفية . بل إنما يدخل فى باب التكهنات التى تقوم على مقارنة أحداث واستنباط نتائج .

والكشف الصادق لا يمكن أن يتحقق إلا لإنسان كنس باطنه من حب الدنيا ومظاهرها ، وإن كان يعيش فيها . أخرج الدنيا من قلبه ووضعها فى يده . واستخدم الدنيا ولم تستخدمه . وقادها ولم تقده . ووجه طاقة الحب النابعة من قلبه وروحه وسره إلى الله ، وخرق عوائد نفسه وعوائد العرف التى تحجب عن توجيه هذا الحب المطلق إلى الله ، وعاش معلق القلب والروح بالله ، والجسد مع الخلق قائما على حراسة شريعة الله فى نفسه وفى غيره بالحكمة والموعظة الحسنة لا يفتر لحظة عن التعلق بربه ، وشهوده فى كل مظهر من مظاهر الحياة ، متعلقا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، مستمدا من روحه العون على الشهود والتحقيق .

وهذا النوع من الرجال — وهم قليل — تصبح روحه مرآة نقية ينطبع فيها ما فى العالم الأعلى من كل ما يجرى فيه وفى عالم الحياة الدنيا . . يصبح جهاز استقبال جيد يفقه كل شيء عن الله . حتى العلم لا يأخذه من الأوراق . وإنما يستمده من لدن الله العلى القدير .

وإذا صدق الكشف على هذه الصورة فإنه يصمت صمتا تاما عن القدر المبرم الذى نفذ حسب الإرادة الإلهية . فلا يحاول أن يرفعه بدعاء ولا يوعد للمريدين برفعه .. وكذلك كان أستاذنا رضوان الله تعالى عليه إذا طلب منه أحد مريديه أن يدعو له فى أمر يهمه . كان يصمت أحيانا ولا يجيب . فاذا ألح المريد قص قصة قصيرة يستطيع أن يفهم منها أن أمره هذا لا أمل فى قضائه . ثم يثبته بالقول الثابت عند ربه لئلا يجزع أو يجمح .

حدث أن ذهبت إليه فى مسجد الفتح قبل امتحانى بيوم أطلب دعاءه فصمت وألححت فقال لى : اسمع ، لقد كان طالب فيما مضى من الزمن خائفا مثلك ، فلما أصبح الصباح يوم الامتحان ذهب إلى مسجد سيدنا الحسين يسأل الله العون فأخذته سنة من النوم أفاق بعدها فوجد أن الزمن قد فات . ولم يستطع دخول الامتحان . وفهمت . ولكنى ذهبت فى الصباح فوجدتنى محروما من امتحان الدور الأول فى الكلية

وكان هناك مسيحى قد اعتنق الإسلام . ولجأ إلى مسجد الفتح . ولم يقابله أستاذنا بما يقابل به مثله بل كان عاديا معه ، مما أثار بعض التساؤلات ، ولما استفسر أحد المريدين عن سر هذا الفتور أشار حضرته إشارة بيده يفهم منها أنه غير صادق ، ومضى الزمن فإذا بالرجل كان قد ضاقت به الحياة فأراد أن يستغل سراة القوم من مريدى العارف الكبير . ولما طولب بإقامة الشعائر كما ينبغى عاد إلى المسيحية ثانيا .

وذهب إليه زميل يطلب الدعاء قبل امتحانه فصمت ، وبعد إلحاح قال له : يجب أن يبحث الإنسان عن مصدر لحياته من المصادر السريعة ، وأخيراً فصل الطالب فى نفس الأسبوع ، وعمل فى عمل آخر سريع يعيش منه .

وأمثال تلك الأحداث كثير يشق إحصاؤه ، وقد تواتر عنه فى أوساط العلماء أنفسهم .

وأما موقف صاحب الكشف الصادق إذا وجد أن القضاء معلق ، ولم يبرم فإنه يدعو ويبتهل ، ويرشد إلى أنواع من القربات ترفع القضاء كما كشفت روحه الصافية . ومع ذلك فإنه يستعمل الأسباب الظاهرة ممثلة فى أى شىء . أصيبت زوجة المرحوم عبد القوى (باشا) احمد بنزيف حار فيه الأطباء لدرجة أنهم أعطوها أمصالا مما يستعمل فى إيقاف نزيف جروح الحرب فلم تجد شيئاً. وقرر الأطباء أنها ستفقد الحياة حتما. ولجأ الزوج إلى أستاذه ، فتناول ورقة صغيرة ووضعها على فمه ، وذكر عليها اسم « الله » مرة واحدة من كل قلبه . وأمره بإعطائها الورقة لتمسك بها فى يدها قليلا . ودعالها . فإذا بالنزيف يتوقف فى الحال عقب تنفيذ الأمر . أما كبار الأطباء فعجزوا عن تعليل تلك الظاهرة ، وانسلك بعضهم فى دائرة أستاذنا كمريدين . وكان بعضهم يقول : إنى لأجد المرض فى جسدى وأعجز عن إيقاف حدته فأحضر إلى مجلس أستاذى فيذهب ما أعانى من المرض على الفور .

هكذا كان أستاذنا رضى الله عنه يدعو أولا يدعو . فإدعا فهو مجاب الدعوة وإن صمت فإنما كان الصمت أدبا مع ربه الذى أبرم ما أراد .

وأم الكرامات على الإطلاق أن يلقاه الفاسق المرتكب الكبائر . فإذا دخل فى هالته الإشعاعية التى لا يمكن التعبير عنها انقلب إلى تائب على الفور . ثم إلى سالك محب غيور على حدود ربه أن تنتهك ،

كان هناك تاجر يعمل قريباً من بيته ، وكان دائم السكر والشجار والأذى للناس ويروى عن نفسه أنه كان يحمل زجاجة من الخمر وبعض الحاجيات وهو فى طريقه إلى مجلس سكر . فرأى شيخنا رضى الله عنه يتخذ طريقه إلى الترام ليذهب إلى مسجد الفتح . وكان يراه دائما فلا يعبأ به . ويقول : إنه فى هذه المرة أحس رغبة شديدة فى السلام عليه . ولكنه خجل مما يحمله معه . ومع ذلك فقد حمل ما معه بشماله . وذهب للسلام عليه بيمينه . فتلقاه شيخنا رضى الله عنه بعطف بالغ وحنو أبوى شديد مرحبا به ، وقبل رأسه ونظر إليه مليا . ثم استأذن فى الانصراف . . ويقول الرجل : إنه ذهب إلى دكانه وحطم زجاجة الخمر وأتلف توابعها ثم ذهب إلى نهر النيل وكان قريبا من دكانه فاغتسل ، وبدأ يصلى فى مصلى أقيم على النيل وتجمع عارفوه حوله يسخرون منه . ولكنه لم يعبأ بهم وتاب وحسنت توبته إلى الآن . وله نظائر كثيرون بين أعضاء الطريق الشبراوى .

فالإنسان الذى يكفى لقاؤه والحديث معه للعودة إلى الله . والتوبة من الذنب هو إنسان كامل أكرمه الله بأعظم كرامه تظهر على يديه . وهو من النماذج المفردة التى لا يجود بها الزمن إلا على آماد متباعدة .

ومن عجيب أمر الكاملين من الأولياء ما يحدث منهم بعد انتقالهم للرفيق الأعلى .

فقد ولد لى ولد مشوه . وآذانى عذابه فى الرضاع حتى كدت أجزع . وكان أستاذى قد انتقل إلى جوار ربه ، فذهبت إلى مسجده . وصليت ما شاء الله ، ثم توسلت أن يوفقنى الله لعلاجه إن كان فى علاجه أمل . أو يريحه من آلام الحياة إن عصى العلاج . وفى نفس الليلة رأيته فى المنام يقول لى : إن ولدك سيموت يوم النصف من شعبان. وكان اليوم هو السابع من نفس الشهر. وأشهدت

من حولى على رؤياى حتى. يحين النصف من شعبان . وما حان حتى مات الولد كما قال لى مناما .

لم يخلف أستاذنا كتبا ألفها كما يفعل العلماء . وهو الذى كان يستطيع أن يملأ الدنيا علماً مكتوبا. إذ أنه قرأ مكتبته التى حوت جميع المراجع الكبرى والمتوسطة والصغيرة من كتب اللغة والفقه والتفسير والتوحيد والحديث والتاريخ والخطط والأدب والتصوف وغيرها من فروع المعرفة . كما حوت عددا ضخما من المخطوطات النادرة التى لم تطبع . والكتب التى طبعت فى الخارج ولم تطبع فى مصر وهو الذى كان يشغل وقته كله فى الصلاة وهداية الخلق وترقيتهم وليس فى وقته فراغ لغير ذلك . فلماذا ؟

هناك أسباب كثيرة جدا تبرر ألا يكتب كبار المحققين من الصوفية كتبا فى العصر الحديث . فالكتب : إما كتب سلوك وهى وفيرة لا تحتاج إلى مزيد ، على أن تلقى الآداب السلوكية تلقينا وتدريبا عمليا أفضل من حشد الكتب التى قد تفقد قيمتها الفعلية. وتصبح ميدانا للجدل الذى حذرنا منه الإسلام أشد التحذير.

وإما كتب منازلات وأذواق تحفز الهمة ، وتشف الذوق . وتلك كذلك تحفل بها المكتبات وخزائن المخطوطات . فلا داعى للمزيد منها .

وإما كتب تحقيق . وهى التى تتحدث عن حقيقة الكون . ومكان الإنسان منه . وعن صدور الكائنات عن منبعها الأول . وعن أسرار الكون . وهذا باب لا يحتمله العصر الحديث الذى أصيب بمرض الجدل ، ولم يحفل بدراسة الحق للحق .

العصر إذن لا يحتمل المزيد من فكر جديد ، فقد تكدست الأفكار ، ولم يستوعبها العلماء ، ومن خاض فى تحصيل هذا الباب من العلم فإنما يخوضه الآن غالبا ليقيم حول موضوعاته جلبة فارغة ، وقل من يحصلها للعمل بهـا والتحقق بحقائقها . فضلا عن أن التصوف بمفهومه الفنى لا يرى فى القراءة والتحصيل كل كل شىء . بل إنه تأنيس فحسب ، يلقى الضوء على الطريق فينير ماغمض من دروبه المتعددة . وفى القديم المكدس فى خزائن المخطوطات وفى المطبوع الوفير غنية .

على أن شيخنا رضى الله عنه لم يهمل هذا الباب . وإنما خاض فيه بعقلية فيلسوف الإسلام الحق ، الذى يستمد بساطة فلسفته وفاعليتها الحاسمة من بساطة

العقيدة ، وبساطة القرآن . وبساطة السنة . تلك البساطة الممتعة الفعالة إلى أبعد الحدود .

ما الذى يحتاج إليه المسلم الحق ؟

يحتاج المسلم الحق إلى وضوح طريقه ، وإلى الاقتناع بألوان العبادات التى تخرجه عن نطاق المسلم الشكلى الذى يكتفى بالفرائض على أى وجه كان ، وببعض السنن يؤديها على صورة مقبولة أو غير مقبولة ، وصحة تلك العبادات تسلكه فى نطاق العامل لله وفى الله ، لا يغفل البسيط كالا يغفل الخطير .

والمسلم محتاج فوق ذلك إلى إثارة وجدانه نحو دينه ليعانقه فى حب وشغف ، لا كما يفعل الكثيرون الذى يعبدون الله عادة لا وجدانا . ويحتاج كذلك إلى توثيق الروابط بإخوانه من المؤمنين ، حتى يكون عضوا نافعا فى المجتمع الذى يريده الله ، لا فى المجتمع الذى يخضع لأهواء نفسه .إذن عناصر العمل هى..الوجدان الدافع إلى العمل . . الرابطة مع المؤمنين بدافع من الوجدان . تلك هى الأسس التى يكتمل بها إيمان المؤمن . . فيصبح صوفيا كاملا . لا مسلما شكليا . وقد أسهم أستاذنا فى هذا السبيل إسهاما جادا نافعا لا يحفل بالكم بقدر مايحفل بالكيف، ولا يحفل بالعلم إلا قبل أن يحفل بالعمل . فليس الخير إلا أن تعلم ما تعمل به . ولا خير يرجى من غير هذا الطريق .

عمل على نشر كتاب جده أستاذ العارفين سيدى عمر الشبراوى : « مفتاح المريدين » .

ومفتاح المريدين على بساطته طاقة هائلة من طاقات الروح والعقل تدل على مدى عمق البساطة فى فلسفة الإسلام . . فهو يقنعك إقناعا تاما بأداء الفرائض والسنن لدرجة تبعث همة القلب الصلب الجامد إلى آفاق الوجدان الصافى السليم . وترفع همة المريد إلى قيام الليل وإلى الأذكار المقررة شرعا بعد الصلاة ، والأدعية المأثورة فى أوقات الليل والنهار . ولا يستغرق وقت الإنسان فيعوقه عن أعماله التى تتصل بعيشة وعيش من حوله .

معلومات هى أسس بناء الإيمان فى قلب الإنسان . تصحبها الطاقة الدافعة إلى العمل . وكفى . ثم نشر كتابا عجيبا لسيدى مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى هو : « تسلية الأحزان . وتصلية الأشجان » ، وموضوع الكتاب واضح من

عنوانه . . إثارة لأحاسيس مختلفه لا يمكن أن يستغنى عنها مسلم . . الحب الإلهى حب النبى صلى الله عليه وسلم .. حب الصالحين .. وما شابه ذلك من الموضوعات التى تناولها الكتاب لا من حيث سرد الأوامر . بل من حيث إشعال الأشجان نحوها . وربط المسلم بها . وقل من يبدأ فى قراءة الكتاب ثم يدعه حتى ينتهى منه . فهو فن وأدب وعلم وذوق ووجدان فى آن واحد .

ونشر كذلك كتاب « الصحبة لسيدى مصطفى البكرى » . وهو العنصر الثالث من العناصر التى أوضحناها وقررنا لزومها للمسلم الكامل . وهو تقرير لحقوق الصحبة وتبعاتها المتبادلة بين المسلمين عامة وفى مجتمع الصوفية خاصة .

بقى سؤال أخير ؟

هل نشر أستاذنا هذه الكتب كما نفعل الآن ؟ : بمعنى أنه أعلن عن نفسه كعالم يسهم فى نشر التراث ؟ إنك لو اطلعت على هذه الكتب فلن تجد على وجوهها ما يشير إلى حضرته من قريب ولا من بعيد . اللهم الا فى نهايتها اذ أشار إشارة عابرة الى أنه قام بتصحيحها فى عبارة قصيرة متواضعة . وهو ما لايقبله أى محقق حديث بأى حال من الأحوال .

والغريب أنه كان يوزع هذه الكتب بلا ثمن على مريديه ومحبيه من غير مريديه فى الطريق . ولذلك كان عمله لله حقا ، لم يرد من ورائه جزاء ولاشكورا إلا وجه الله حسب . حتى الشهرة . لم ينلها ولم يقبلها من وراء عمله المجيد هذا .

وأشار على أحد مريديه بطبع كتاب « السيوف الحداد » لسيدى مصطفى البكرى وهو كتاب لازم لحماية المسلم من أقاويل الزنادقة والملحدين عن الإسلام .

ووجه آخر من أعماله العلمية. ذلك أن التصوف يقرر أن تلاميذ الصوفى هم كتبه وليست البراعه من الصوفى مقصورة على أن يكثر العاملون لله فى دائرته فقط. بل إن البراعة أن تمسك بالقصبة المرضوضة فتجعل منها سيفا باترا .

كان المرحوم محمود (بك) سامى رجلا مثقفا عالى الثقافة . ولكن ثقافته الإسلامية كانت لاشىء حتى أنه كان يحتفظ بنسخة من القرآن مترجمة إلى الإنجليزية . أما النسخة العربية فلم يكن يقرأ فيها شيئا . أى إن ثقافته كانت أجنبية بحتة .

وشاء الله أن ينسلك محمود (بك) فى دائرة أستاذنا كمريد . وبدأ معه الدرس والتعلم من أبجدية الإسلام التى لا يعرف الرجل عن تفاصيلها شيئا . علمه كيف يقرأ كتب الشريعة .

فعلم وعمل . وتفـــانى فى العمل . وأخلص فيه . وتواضع وجالس الفقراء من المريدين قبل الأغنياء وسار على قدميه وترك سيارته ، ثم دربه على قراءة كتب الشمائل المحمدية ، وعلمه كيف يختصر مطولاتها فى كتاب ينتفع به أكبر عدد من الناس ، وأخيرا ألف الرجل الغريب عن هذا الباب كتابا فى الشمائل ونشرته مكتبة الحلبى . وكتابا آخر فى السلوك . نشرته المكتبة كذلك . وأصبح لأستاذنا كتاب لا يقوى على تأليفه عالم من العلماء ولا فيلسوف من الفلاسفة . وهو أحد مريدين كثيرين من هذا الباب .

عرفت أستاذى وأنا طالب منهوم بالقراءة حقا . ولم أكن أقرأ عن الإسلام إلا لأعترض على كثير من طقوسه ، ولا عن الصوفية إلا لأسفه بلسان حديد كل مشاربهم . وكنت مولعا بالفلسفة والفرق الإسلامية الضالة . وبدراسة الجماعات السرية كالماسونية والبهائية وشهود يهوه وأشباهها . وبدراسة الأدب بذوق الأديب الحر الذى لا يقيد الأدب بقانون الأخلاق . أى أننى كنت مسلما إسميا لا يحفل بالعمل .

وذهبت إلى مجلس أستاذى بعد أن بلغتنى عظمته فى الولاية الكبرى . . ذهبت لأناقشه وأثبت زيف التصوف من أساسه ، وأقرر ضلال الكشف والكرامة وما إلى ذلك .

وأعددت الأسئلة . وافترضت الإجابة ، وبنيت عليها تعقيبات . وجمعت عددا من آراء الفلاسفة الملحدين القدامى والمحدثين . أى أننى أعددت نفسى لمعركة علمية لم أشك وقتها فى أننى كاسبها .

ووقع بصرى على رجل مهيب . تراه العين فتهابه . ويعتقد القلب أنه سيف قاطع . ملامح هادئة فى قوة ولكنها خفية تنبع من أغوار بعيدة . وجه مضىء يتلألأ نورا يتعشقه البصر والقلب والروح . إشعاع هادىء جارف ينساب من كيانه كله إلى القلب لا إلى العين وحدها . قوام محمدى لا إفراط فيه ولا تفريط . صمت أبلغ من كل مقال .

وتقدمت إليه فى هدوء . وقبلت يده فقبل رأسى وحيانى بصوت هادىء يختلف تماما عما كان يوحى به مظهره المهيب .

وفتشت عقلى لأبدأ مناقشتى فلم أجد شيئا . وفتشته مرة أخرى لأبحث عن طاقة الكراهية للصوفية فلم أجدها . ولم أجد شيئا إلا الرغبة الجامحة فى أن يطول مقامى فى مجلسه . ولإطالة مقامى هذا أبديت رغبة فى سلوك الطريق على يديه .. فأبدى رغبة فى أن أقابله بعد ثلاثة أيام بمسجد الفتح . وقطع على رغبتى فى طول المقام بين يديه داعيالى بالتوفيق فى أدب وتواضع مهيب رهيب لم أعهده فى أى عالم شرعى من قبل .

وكان بمسلكه هذا مربيا حقا . أحس ما فى نفسى ، فأراد أن يشعله ويمده بطاقة أكبر .. ولذلك قضيت الأيام الثلاثة متحرقا إلى لقائه .. فكنت أذهب لأراه من بعيد ثم أعود دون أن أكلمه حفاظا على تنفيذ رغبته .

ولكن سؤالا كان يجول فى صدرى : أين المكاشفة بأسرارى . . هو رجل وضىء حقا . . وأدبه الرفيع يدفع الإنسان فى سرعة نحو عصر السلف والصحابة له هالة من الإشعاع توحى بأنه من غير طينة علماء الشريعة المثرثرين . ولكن أين المكاشفة ؟

وأخيرا ذهبت إلى مسجد الفتح فى اليوم المحدد . فسلم على وكأن لم يعرفنى من قبل . وأنهارت كل آمالى فجأة ، وبدت سمات اللهفة على كل حركاتى . وهو يسبر غورى فى صمت كامل . . وذكرت حضرته بالموعد مرارا . . وأخيرا . لقننى الطريق . وكاشفنى بأسرار لا يعلمها إلا الله . وفى إشارات لا فى تصريحات وأصبحت بعد هذه الجلسة نائيا عن كل ما كنت أعيش فيه من أجواء الثقافة قاصرا همتى كلها على دراسة التصوف ورجاله إلى الآن .

قد يستطيع أحد المربين من غير الصوفية أن يحول اتجاه الطالب فى دراسته ، ولكن فى سنين طويلة . . أما بمجرد النظر . . وفى لحظات . . فهذا مالايستطيعه إلا فحول العلماء الصوفية . . الأولياء الكبار الذين يدعون إلى الله على هدى البصيرة لا على منطق العقل . وصدق القانون الصوفى القائل :

« تصل بالشيخ فى لحظة إلى مالا تصل إليه فى سنين » .

ألست كتابا من كتب حضرة أستاذى رضى الله عنه ؟ . كتابا قل من يستطيع أن يكتبه إلا صوفى محقق من أهل النور والحضور ؟

كتب من المريدين لا تعد ولا تحصى تركها أستاذنا الكبير رضى الله عنه . حتى التف حوله سراة الناس وعلماؤهم وكبار مثقفيهم وطلاب العلم من كل لون . بصورة تسرع بالعجب والزهو إلى أى قلب غير قلب أستاذنا الذى كان يموج بمثل عليا فوق الزهو والعجب . .

التف حوله شيوخه فى الأزهر ، وزملاؤه فى طلب العلم وجلسوا منه مجلس المريد من شيخه . . ولم يشعرنى أى وقت بعجب . ولم يتحدث إلا بأنهم شيوخه. ولم تنل من قلبه مظاهر الإجلال التى كان المريدون يحيطونه بها . بل كان يهرب منها جهد طاقته . ويغضب من أجلها فى دخلية نفسه . وإن كان لا يعلن عن هذا الغضب ، إذ أن الإعلان عنه إعلان عن النفس من طريق خفى .

كان سلوكه مع الناس واحداً لا يتغير . . فالكل سادته كما كان يدعوهم فى أدب جم . وصوت خفيض نفاذ ينبع من طبيعة صافية . :

كان شيخا يلتف حوله المريدون بعد إلحاح أستاذه .. ومع ذلك كان يحفظ له فى الطريق حقه كمريد .

حدثنى فضيلة الأستاذ عبد السلام الشبراوى ابن أستاذنا أن مولانا العارف بالله سيدى منصور هيكل الشرقاوى شيخ أستاذنا فى الطريق . نزل ضيفا عليه فى القاهرة وهو متقدم فى السن قد جاوز الثمانين . وعاد شيخنا من مسجد الفتح فوجد شيخه فى فترة من فترات الراحة التى يقتضيها السن : فوقف على باب الحجرة . ولم يدخل واستمر على ذلك زمنا حتى استيقظ الشيخ الكبير . فدخل عليه بكل أدب ، وأدى له حق الشيخ على المريد . وعجب محدثى الذى كان صغير السن . فسأل والده عن هذا المظهر الذى رآه . فقال له : « يا ولدى هذا شيخى.. ». فهل حدث ذلك من أستاذ جامعى إزاء أستاذه القديم ؟ قد يحدث . ولكن لا بهذه الصورة الوضيئة الصافية التى تعيد إلى القلوب أمجاد العلم والعلماء فى عصر التابعين.

وهناك ناحية هامة لا سند لها يقنع العقليين ، وإن كانت النظريات النفسية الحديثة تدعمها تلك هى المخاطبات على البعد ، واتخاذ التلاميذ وتربيتهم على البعد.

وسندنا فى الرواية التى نرويها هو أن راويها ثقة كامل الوعى والعقل ، علامة فى المنقول والمعقول من الشريعة ، أستاذ فى علوم القرآن ذلك هو العلامة المرحوم الشيخ أحمد يس الخيارى شيخ العلماء فى المدينة المنورة ، والذى كان رائدا للطريقة الدندراوية هناك ، وله إذن بالمشيخة فى الطريقة النقشبندية . وكانت لى معه جلسات فى مكتبته النادرة ، وحول موضوعات التصوف الغامضة ، وعرف صلتى بسيدى عبد الخالق الشبراوى ولم يكن قد رآه ، قال لى فى عام ١٩٦٠ من الميلاد:

فى موسم الحج منذ عشرين عاما جاءنى أحد المصريين ، ولم أكن أعرفه ، وسلمنى كتابا هو « تسلية الأحزان ، وتصلية الأشجان » لسيدى مصطفى البكرى الصديقى ، وفى داخله ورقة مكتوبة بخط أستاذنا رضى الله عنه يأمرنى فيها بقراءة ورد السحر ، والحزب الكبير للشيخ أبى الحسن الشاذلى

وفهمت الإشارة من الكتاب ، وبدأت على الفور قراءة ماأمرنى به ، وكنت فى تلك الأيام معرضا للمحاكمة بتهمة ترويج مذهب الصوفية ، ولم يعين المفتى الأكبر قاضيا يتولى هذه المحاكمة ، وكان الجو كله ملتهبا ضدى ، وقبل أن يعود الأخ المصرى من الحج رأيت الشيخ عبد الخالق الشبراوى يمسك بيد أحد القضاة ، ويجلسه فى صدر المحكمة ، ويجلسنى أمامه ، وكان هذا القاضى الذى أعرفه تماما مريدا لى فى طريق التصوف سرا . وفى اليوم التالى عين هذا القاضى بعينه لنظر التهمة الموجهة إلى ، وبالطبع كانت النتيجة معروفة مقدما .

ولما أراد الأخ المصرى السفر أعطيته مسبحة من حجر (البنزهير) ، ونسخة من الشفاء للقاضى عياض مخطوطة بخط هو آية فى الجمال ، ومجدولة بالذهب . وفى العام التالى عاد المصرى يبلغنى سلام الشيخ ، ويقول : إن حضرته قال لى أول ما رآنى : أين الكتاب الذى أعطاك إياه أحمد ؟ ومنذ هذا التاريخ ، وأنا أتلقى من الشيخ إرشادات الطريق إلقاء فى اليقظة ، أو فى رؤيا منامية ، ولقنت المريدين طريق الخلوتية بأمره مناما .

هذا حادث لا يشك فى صحته فى مجال الدرسات الصوفية ، إذ أنه يعتبر من الأحداث الصغيرة عند الكبار منهم ، وإن شك فيه العقليون فإن العقل وحده

كما قررنا فى مقال سابق يعجز عن فهم النفس البشرية ذاتها ، ولا زال إلى الآن يتخبط فيما انتهى الصوفية من اليقين به منذ قرون .

وروى لى شيخ الأغوات ، خدم المقصورة النبوية الشريفة ، وكان رجلا قد أضناه حب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إنه التقى بسيدى عبد الخالق الشبراوى أثناء زيارته للنبي صلى الله عليه وسلم فى موسم الحج . وكان مستغرقا طول الوقت، لا يفيق من استغراقه إلا قليلا ، وكان كلامه نادرا بقدر الحاجة القصوى ، وقد حاولت فى ثلاثة أيام أن أظفر منه بدعوة صالحة ، فدعا لى . وكان بعض السراة فى المدينة المنورة يريدون أن يلقتهم الطريق فأبى حفظا لمقام النبوة المقدس ، وكان يرفض أن يركب سيارة بالمدينة ، مع أن الكثيرين كانوا قد جعلوا سياراتهم رهن الإشارة .

كان الله تعالى يغار على قلبه ، فيجيب مطلبه الذى كان فى الواقع حراسة للشريعة.

كانت هناك سيدة تقية فاضلة ، قريبة له ، قد تزوجت رجلا سكيرا ماجنا ، لا يعرف لله ولا لدينه حرمة ، فكان يريد منها أن تعاقر الخمر . وتفطر فى رمضان ، وتترك الصلاة ، وتسلك طريق التبرج بالزينة ، ولكنها كانت تأبى ، وكانت تهجر منزل الزوجية فرارا بدينها ، وفى ليلة من الليالى هددها بإطلاق الرصاص عليها لتشرب الخمر ، فصانعته ولم تشرب حتى ابتلج الصباح وهجرت المنزل ، وعرضت الأمر على أستاذنا رضى الله عنه ، فأمرها بالمقام حيث هى حتى يتبين الأمر ، ولما عرف صدق قولها ، وإصراره على مسلكه إزاءها طلب منه أن يطلقها فأبى ، ورفع عليها دعوى بوجوب دخولها فى طاعته ، وكان غنيا يستطيع إعداد ما تطلب فى منزل الطاعة ، وأجل القاضى الدعوى مرارا برجاء أستاذنا ، وأخيرا قال القاضى : إنه لا يستطيع بحكم القانون إلا أن يفصل فى الدعوى فى الجلسة القادمة ويحكم بدخولها فى الطاعة ، لأن الإجراءات القانونية قد تمت تماما.

وقبل الجلسة بثلاثة أيام جاءته السيدة مكتئبة غاية الاكتئاب ، فاستغرق طويلا ثم أفاق وهو يقول بكيانه كل : « الله هو الفعال » ثلاث مرات ، وفى صباح اليوم التالى نعى إليهم الزوج الذى مات فجأة .. كان كتابا بليغا فى جميع أحوال التصوف ، تنظر إليه وهو مستغرق ، فتحدث عن الاستغراق الصوفى

وكأنك أستاذ قديم فيه ، وتسترق النظرات إلى وجهه . فتتحدث عن أنوار الصوفية وكأنك من أرباب المنازلات .

قال لى يوما وأنا فى أول إرادتى له: هل تدرسون الفلسفة ؟ قلت : نعم يا سيدى . قال : وما نوعها ؟ قلت : الفلسفة القديمة وبعض الإسلامية . قال : والأفلاطونية الحديثة ؟ قلت : نعم . قال : لا داعى لمذاكرتها .

وعجبت أول الأمر . ثم تذكرت الطاعة لمجرد الأمر . فنحيت محاضرات الفلسفة جانبا . واعتمدت على قراءات سابقة من باب الاحتياط .

وكنت أذهب بعد ذلك إلى مسجد الفتح فى الساعة الحادية عشرة صباحا . فأجـــد سيدى عبد الخالق مستغرقا فى جلسته . والمريدون ينتظرون بعيدا . ولا يقربون منه وهو على هذا الحال يتحدثون فى شئون الطريق . أو فى مصالح الحياة وكنت أتامله بعمق شديد . وأحس على وجهه تلونات هى فى حاجة إلى درس آخر . واستمر الحال هكذا زمنا استطعت فيه أن أتلقف من بعيد كل مظاهر الاستغراق ودلالاتها بعقلية الطالب الجامعى المولع بالدرس .

وكان امتحان الفلسفة . وجاء سؤالان . والإجابة على واحد منهما فحسب . وكان أحدهما يتطلب كتابه مقال ضاف عن نظرية الاستغراق القديمة ومقارنتها بالاستغراق الصوفى . فكنت أكتب من كتاب شهدته بمسجد الفتح . وكررت الإطلاع على أبوابه وفصوله فى تجربة عملية لم تتيسر لأى طالب . بل ولأى أستاذ فى الكلية آنذاك . . ثم حاولت المقارنة على أساس أن الإسلام عقيده سليمه . والفلسفة القديمة لم تكن قائمة على عقيدة ثابتة يجمع عيها . ومن هنا تأتى الفروق فى صدق الاستغراق . أوفى روحانيته وعقليته . وكانت النتيجة أنى منحت امتيازا فى الفلسفة . بل منحنى إياه أستاذى وكتابى . وكاشفت أستاذ الفلسفة لما سألنى عن مراجعى فى الفلسفة الإسلامية . فأبدى رغبة فى لقاء سيدى عبد الخالق . ولكنه لم يوفق . فقـــد وجدت من أستاذى صدودا عنه لما أبلغته الرغبة .

وكانت له خلوة سنوية فى بيته ، لا يتصل فيها بأحد على الإطلاق ولا يجالسه وروى أخوه المرحوم الشيخ عبد السلام الشبراوى أن إحدى كريماته

مرضت وهو فى خلوته . وامتنعت عن الطعام . وفشل الأطباء فى علاجها . وقرروا أنها لن تعيش .

ويروى أخوه أن الرغبة كانت قد اتجهت إلى أن يدعو لها أبوها . ولكن : من الذى يدخل عليه أو يكلمه من وراء حجاب ؟ وجرؤ الأخ على أخيه وطرق الباب وكاشفه بأمر ابنته واعتذر عن إزعاجه . وقال الشيخ العظيم لأخيه : أغلق على بابى، وأغلق عليها بابها إلى المغرب وكان الوقت ضحى: ونفذوا الأمر، وفى المغرب كانت دهشتهم بالغة حينما طرقت المريضة بابها من الداخل. وخرجت تطلب طعاما ، وأكلت ونامت حتى الصباح : وسارت فى طريق الشفاء سريعا :

وروى أحد تجار الكتب فى باب الخلق أن حضرة أستاذنا مر يوما فى طريقه إلى الترام قبل الحرب الثانية برجل يجمع حوله خمسة أطفال وهم فى منظر يثير الألم ، ويبيع بعض الحلوى الرديئة ليكسب قوتا لهؤلاء الجياع ،وأرسل أستاذنا من يستدعى الرجل ، وكانت المحلات التجارية آنذاك رخيصة الأجر وفيرة الوجود ، وأرسل معه من يستأجر له دكانا ، وتم ذلك فى ساعة من الزمن ؛ فقد استأجر للرجل دكانا بسبعين قرشا فى الشهر دفعها له حضرة أستاذنا ، لخمسة شهور قادمة وأعطاه عشرة جنيهات وأرسل معه من يشترى له بها بضاعة يتجر فيها، وكان مبلغاً يساوى الآن تسعين جنيهاً . وحسنت حال الرجل ، وكان كثيراً ما يمر عليه ليطمئن عليه وعلى أبنائه الصغار .

وهذا مثال واحد من عشرات من مثله فى هذا الباب ، فكم أعان رضى الله عنه محتاجا ، وكم أعمر من بيوت ، وكم وصل من منقطع ، وكم ستر من عورات ، رضى الله عنه .

ولا يستطيع كل من رآه أن يعطينا صورة صادقة لشيخنا وهو يبتهل إلى الله بحرارة وهمة متوقدة ، لأنه فى مجتمعه التربوى كان مجموعة من الحركات الهادئة الفعالة. ولكنى سمعته ورأيته وهو يبتهل بحرارة وهمة متوقدة ، وكان هذا المشهد بمثابة درس عملى لى أستطيع به أن أميز الانفعالات الصوفية الحقة من الزائفة التى يصنعها الكثيرون .

ذهبت إلى مسجد الفتح فى أول أمرى ، فوجدت سيدى وحده ، وليس فى

المسجد غيره ، ووجدت فرصة طالما تمنيتها ، وسلمت عليه وجلست بين يديه وسألني عن بعض أقربائي ، ومنهم طالب تخرج من كلية الطب ، فأخبرته بأنه سافر إلى لندن لإتمام دراسته ، فتألم وقال : قلت له :لا تسافر دون أن تخبرني . وسكتّ عن الإجابة . ولكني لا أدري لماذا قلت لحضرته : إن كل الأسرة وجميع البلاد المجاورة لبلدنا تكون في سعادة غامرة لو شرفتموها بزيارة كريمة ورد فضيلته قائلا : كان يسرني لولا أن الروماتزم يعوقني . . وقطع كلامه فجأة وبدت عليه سمات لا يستطيع أبرع الأقلام تصويرها على حقيقتها

شخص ببصره إلى السماء ، وعلت وجهه صفرة ، واختلجت أعضاؤه ، ثم كبت هذه الخلجات في باطنه ، فكانت تبدو في ألوان على ملامحه ، وطرقت بياض عينيه حمرة مفاجئة وقال : « اللهم إني استغفرك يارب » . قالها بصوت مرتفع ولحن شجي يبكي أقسى القلوب ، وسرت منه رعده شديدة في جميع جسدي وأحسست بغيبوبة واتجاه إلى الله بكليتي ، وأنا أقول : آمين .

لقد عد البوح بمرضه هذا شكوى يجب الاستغفار منها وهو العارف الكبير كان ابتهاله صادقا لأنه أثر فيمن معه وجذبني إلى دائرته في سرعة خاطفة .

وما أكثر ما يبتهل المبتهلون فلا يتأثر بهم أحد . أما الصدق في الابتهالات والواردات فلابد أن يؤثر في المشاهدين أو السامعين ، وذلك درس عملي في كتاب جليل القدر هو أستاذنا المترجم له . أما الطبيب الذي سافر بلا إذن فقد عادمن لندن بعد ستة شهور دون شهادة ولا دراسة . وتلك إحدى كراماته وكشوفاته .

كان ذا نظر فاحص وهو يستمع إلى العلم من أي لو كان . وكثيرا ماأشار إلى عبارات جاءت في كتب الشعراني بأنها ليست من كلامه ، أو إلى أن الموضوع الذي بحثه الشيخ لم يكتمل بعد .

وأسمعه بعض المريدين قصيدة الإمام البوصيري التي أولها .

كيف ترقى رقيك الأنبياء   يا سماء ما طاولتها سماء

فقال : لو قال الشيخ .

كيف ترقى رقيك الأنبياء   يا سماء من فوقها أسماء

لكان أليق وأحق بالمقام وهو حق كل الحق إذ أن الحقيقة المحمدية من فوقها سماء الأسماء مثله فى الأحدية للذات الأقدس . سبحانه وتعالى . أما ألا تطاولها سماء فذلك مبالغة لا يقبلها المحقق ، ويعتذر عن صاحبها بشدة الحب ، ومن أخذ ما وهب أسقط ما وجب .

كنت أول ما عرفت أستاذى أتردد عليه كل يوم وكنت فى ذلك الوقت بعيدا عن العقيدة السليمة ، وسألنى رضى الله عنه يوما هل تقرأ لأبى العلاء المعرى ؟ قلت : نعم ، قال : ما رأيك فى عقيدته قلت : يغلب على ظنى أنه زنديق . قال : لا ، بل هو متحير . ثم قال : هل تقرأ للعقاد ؟ قلت : نعم ، قال : ما رأيك فى علمه ؟ قلت : علم غزير .

قال : وعقيدته ؟ وكان الأستاذ العقاد فى ذلك الوقت بعيدا عن سنن العقيدة السليمة ؟ قلت ليس مسلما حقا قال : إنه شريف ، ولن ينصر الإسلام مثله من كتاب العصر ، ولن ينصر التصوف غيره من أقرانه .

ومضى الزمن ، وخرج الأستاذ العقاد بعبقرياته التى تعتبر فتحا فى عالم الجهاد الفكرى الإسلامى ، ثم بمقالاته التى أنصف فيها التصوف ، وهدم خصومه فلم يدع لهم مقالا .

ما سئل أستاذنا عن إنسان مذموم وذمه ، وما صمت صمتا من ذلك النوع الذى يعتبر أبلغ من الذم ، وما دعا له دعاء هو أشنع من الذم كما يفعل بعض المدعين إذ يقول بعضهم فى نفاق ظاهر : غفر الله لناوله .

ما كان هذا من صنيع أستاذنا ، ولم يقل إلا حقا فى الوقت نفسه . كان فى منتهى اللباقة التى تعبر عن الرأى الحق حينما يحول مجرى الحديث موصولا بالحديث الذى كان من قبل ، مضربا عن الموضوع الذى أثاره شيطان يريد أن يثير سخط الله بغيبة مسلم . وما كان هو الرجل الذى تثيره نخوة العلم فيقتحم بها الحدود .

كان أعداء التصوف فى عصره يهابونه ، ويقولون عنه : إنه صوفى معتدل . ولكنه لم يسلم من تطفلهم اللئيم . ففى أرض الحجاز لقية جماعة منهم ، وبدأ أحدهم

يثير مشكلة علمية تتصل بالتصوف بإيعاز من الشيخ حامد الفقي رحمه الله، ولم يكن موجودا معهم ، إذ لم يكن يستطيع الثبات أمامه ، فقال لهم . قال الله تعالى : « لارفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » وقولوا للشيخ حامد يقابلنى بعد أن نعود إلى مصر للتفاهم فى تلك المسألة . فانفعل أحدهم مأخوذا بأدب الشيخ رضى الله عنه قائلا : هذا هو الصوفى الحق .

كانوا يريدون من أستاذنا أن يناقشهم فيقولون : هذا هو المحقق الكبير يجادل فى الحج . وكانوا يريدون أن يردهم فى شدة فيقولون : أين الرحمة الموروثة وكان رده عليهم قد انتزع منهم شهادة حق للتصوف والصوفية ، فهو الحارس لحدود الله ، والمتقلب فى علمه ونوره . رضى الله عنه .

كان شيخا لطريق مقرر القواعد والطقوس ، ولكنه لم يكن طريقا يجمع الطبول والمزامير ، ويحفل بالمواكب والضوضاء . لم يكن فى طريقة شىء من ذلك على الإطلاق ، ولم يكن لهم دار معروفة يجتمعون فيها كل مساء بل كان مسجد الفتح هو مدرسة الطريق، وكانت أسسه :العلم ، والعمل. والعون لمن لم يعلم. فعليه أن يسأل العلماء وهم كثيرون بين المريدين، وأولا وأخيرا الأدب .الأدب فى الحديث وفى السير وفى الحركات . ولذلك عرف أبناء الشبراوى برزانتهم وهدوء ملامحهم .

ومن أسس الطريق الشبراوى المحافظة على الأوراد ، وعلى زيارة آل البيت وحبهم ، وحب المسلمين جميعاً . والأوراد التى كان يقررها حضرته على المبتدئين حزب النووى وورد الستار ، وختم الصلاة . فإذا تقدم فى الطريق رتب له ورد السحر ، ثم حزب البر والبحر والنصر والشكوى . إذا ارتقى إلى الطريقة الشاذلية فاذا وجد فى المريد قوة لقنه النقشبندية كذلك .

كان له مجالس ذكر ، ولكنها لم تكن على الصورة البشعة التى نراها أحيانا من التهريج وسوء الأدب ، كانت مجالس أدب كامل لا لغط فيها ولا صخب ، وكان القوال الذى يعيش إلى الآن « الشيخ العوضى » ينتزع الدموع من العيون الجامدة وكان شيخنا يجلس وسط الحلقة صامتا مراقبا متوجها لا يتحرك ، وكان الشيخ العوضى هو الذى تأخذه موجة عارمة من الانفعال المكبوت وهو ينشد التائية الكبرى لابن الفارض ، أو قصيدة : أنتم فروضى ونفلى . أو ما أشبه ذلك ، إذ لم تكن الأناشيد العامية من سنة شيخنا .

وكان يتوخى فى مجالس الذكر أن تكون فى أوقات تكشف الكسول من صاحب الهمة ، كانت تبدأ فى الثامنة صباحا يوم الجمعة بمسجد الشيخ عبد الله الشرقاوى فى قرافة المجاورين . وكان حضرته فى مقدمة الذاهبين إلى هناك ، وكان يؤكد على المريدين ألا يتخلفوا إلا الضرورة العمل المعاشى أو المرض العائق عن الحضور . فالعمل المعاشى بشروطه من الرضا بالقسم ، وعدم الجزع من القلة ، والتوكل على الله فى السبب عبادة لا تقل على أعظم العبادات فى القدر والجزاء . هكذا كان يؤكد على المريدين الذين يتركون أعمالهم فى صباح الجمعة لحضور مجلس الذكر. بل إنه يسمو فوق المشاعر البشرية ، فيذهب أحيانا وهو فى طريقه إلى المسجد أو فى طريق العودة منه إلى بعض مريديه مباركا أعمالهم مشجعا لهم على مواصلة السعى ، إن كانوا من أهل الشوق والحب الذين تضربهم مفارقة شيخهم زمنا طويلا .

كان أستاذنا يخطب الجمعة فى مسجد الفتح ، ويؤم الناس للصلاة ولكنه لم يكن كالخطباء الذين يجهدون أصواتهم ويصدعون أدمغة الناس بصراخهم الذى لا يجاوز الآذان ، لأنه لم يجاوز اللسان ولم يكن كأولئك الأثريين الذى يحفلون بالأسجاع ويمدون أواخر الفقرات فى لحن حزين ، ولم يكن من أولئك الذين يقصرون خطبهم على التنفير من الله ، وإشاعة اليأس فى قلوب الناس ، وإثارة الدخان الجهنمى فى عيونهم .

لم يكن من هؤلاء بل كان نموذجا فريدا بين خطباء المساجد كما كان نموذجا للصوفى الكامل المحقق . كان مجرد جلوسه على المنبر عاملا من علامل الخشوع والتوجه الكامل نحو الله ، يسيطر على كل الحاضرين فلا تسمع همسا ولاهمهمة ، فإذا أبدأ الحديث بصوته الحانى الهادىء الذى ينساب من قلبه باشر القلوب ، ومس الأرواح ، وقمع النفوس ، وصمت الكل لله وكأنهم فى صلاة .

ومن أجل هذا كانت صلاة الجمعة خلفه تدريبا ناجحا على الصلاة بمعناها العميق ، يفهمه المريدون ، ويتدرب عليه غير المريدين وكانوا قلة بمسجد الفتح - ولذلك كان الجميع يحرص على الجمعة ، وكان يفد إلى المسجد من أعيان الناس وكبار العلماء من ليسوا من المريدين تدريبا لنفوسهم على الانضواء تحت لواء الاستغراق وهى تتوجه إلى الله .وكانت موضوعات خطبه حية تنزع نحو تجديد العلم أو تعليم

جديد من أخلاق الإسلام التى تخفى على الكثيرين ، وكانت تنزع نحو تحبيب الله إلى الخلق ، وتصوير السياسة الإلهية بالصورة الرحيمة التى تفتح الدائرة لكل طالب ، لكل منيب ، ولكل مسرف على نفسه .

كانت البيئة التى عاشها سيدى عبد الخالق الشبراوى بيئة علم ، فقد فتح عينيه على مآثر جده ، وعلى كتبه ورأى العلماء يتوافدون إليه طلاب علم ، ورأى أثر جده فى أسرته ، كان صغيرا ولكنه وكان مستعدا لنماء الوعى الروحى ، فكان أول ما طرق قلبه من أخلاق الإسلام هو « الإخلاص » .

كانت كل أعماله تفسر بالإخلاص ، فاذا فتح قلبه الكبير للناس ، أو استغرق فى توجهه نحو الله ، أوسعى إلى طالب يأخذ بيده ، أو سعى إلى بذر الرحمة الإلهية فى القلوب ، فإنما كان ذلك كله إخلاصا فى أسمى معانيه .

وكانت البيئة المحيطة به من غير أهله ، تنزع نحو المادة ، منهومة بها ، ومن أجل ذلك كان إخلاصه دافعا إياه إلى الزهد فى الدنيا ، مكللا كل مساعيه بالنجاح .

بدأ الشيخ محمود خطاب جولة فى بعض القرى ، وكان فى تلك القرى مريدون لأستاذنا ، وحبس نفسه زمنا على تلك القرى ينفر أهلها من التصوف وأهله ، ويسفه مسلكه . وأعقبه أستاذنا فى زيارة عابرة لتلك القرى ، ولم تستغرق زيارة القرية أكثر من ساعات قليلة ، فاذا المريدون يتضاعفون وإذا صيحات الخطابية تصبح هى والنعيق سواء . ويقابل الشيخ محمود خطاب أستاذنا ويقول له فى مرارة : « يا مولانا ، هدمت ما تعبت فى بنائه فى طرفة عين » . ومن هنا يكون فعل الصمت فى الإخلاص أبلغ من فعل الصراخ والنهاق فى غير إخلاص .

أنجب أستاذنا من الرجال رجلين ، هما: أستاذنا رائد الطريق الشبراوى بعد والده الكريم : الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الخالق الشبراوى ، وشقيقه العلامة الذائق : سيدى الأستاذ الشيخ عبد السلام عبد الخالق الشبراوى . وكان والدهما يستطيع أن يعلمهما فى الخارج فضلا عن جامعات مصر ، ولكنه أبى إلا أن يتجها اتجاها دينيا خالصا ، فتخرج خليفته وأستاذنا من قسم القضاء الشرعى بكلية الشريعة ، وتخرج سيدى عبد السلام من كلية أصول الدين . ثم رباهما على

طريقته وعلى منهج أدبه الرفيع فسكانا نماذج فذة بين العلماء في الآدب والسلوك والعلم معا .

عاش أستاذنا ثلاثا وستين عاما ، وتوفى فى عام ١٩٤٧ م . ودفن بمسجده أمام بلوكات نظام الأقاليم ، حيث يتوافد المريدون أفواجا لأداء الصلاة وإقامة مجالس العبادة .

رضى الله عنه رضوان الصديقين ، ونفعنا به ، وحفظ طريقه عاليا إلى يوم الدين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الملحق الثانى

التعريف بأعلام الصوفية

الذين ورد ذكرهم فى كتاب

روضة التعريف

أبو بكر الشبلى

قيل اسمه : جحدر بن دلف . وقيل : دلف بن جعبرة . وقيل جعفر بن يونس أصله من خراسان . من قرية « شبلية » . ولد بسر من رآى . وكان حاجبا للموفق. وكان أبوه حاجب الحجاب .

حضر أبو بكر يوما مجلس خير النساج فتاب فيه . وكان يقول : « خلف أبي ستين ألف دينار غير الضياع . فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء » .

وقال : « مجاهدة النفس بالنفس خير من مجاهدة النفوس بالنفس » .

وكان يقول : « ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور » . ويقول : « إذا وجدت قلبك مع الله فاحذر من نفسك . وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله » ويقول: « أحبك الخلق لنعمائك ، وأنا أحبك لبلوائك » .

صحب الجنيد وطبقته . وتفقه على مذهب مالك . وكتب الحديث الكثير . ولم يعلم له إلا حديث واحد . قال صلى الله عليه وسلم لبلال : « الق الله فقيراً ولا تلقه غنياً فتهلك » . قال : يا رسول الله ، كيف لى بذلك ؟ قال : « ماسئلت فلا تمنع . وما رزقت فلا تخبأ » . قال : يا رسول الله ، كيف لى بذلك ؟قال : « هو ذاك وإلا فالنار » عاش ٨٧ سنة ومات سنة ٣٣٤ هـ

أبو حازم

هو سلمة بن دينار الأعرج . قال عنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « ما رأيت أحد الحكمة أقرب إلى فيه من أبى حازم » . وهو القائل : « ما مضى من الدنيا فحلم ، وما بقى فأمانى » وروى عنه ابن مطرف : « لا يحسن العبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين عباده ، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها . إنك إذ صانعت هذا الوجه مالت إليك الوجوه كلها وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنئتك الوجوه كلها » .

خير النساج

أصله من سر من رآى . ونزل بغداد . مات فى مجلسه ابراهيم الخواص والشبلى . عن جعفر الخلدى : سألت خيرا ، هل كان النسج حرفتك ؟ قال : لا . قلت

فمن أين سميت ؟ قال : كنت عاهدت الله ألا آ كل الرطب يوما ، فغلبتني نفسي فأكلت ، فإذا رجل نظر إلى وقال : يا خير ، يا آبق هربت مني ؟ وكان له غلام اسمه خير قد هرب منه فوقع على شبهه . فاجتمع الناس وقالوا : هذا غلامك خير. فحملني إلى حانوته فقال الغلمان : يا عبد السوء ، تهرب من مولاك ؟ ادخل فاعمل ، وأمرني بنسج الكرباس ، فدليت رجلي فكأني كنت أعمل من سنين . وقمت ليلة فسجدت ، وقلت في سجودي : « إلهي ، لا أعود إلى ما فعلت » . فأصبحت فإذا الشبه قد ذهب عني وعادت إلى صورتي

بشر الحافي

ولد عام ١٥٠ هـ ويكنى أبا نصر . كان يقول : « لقد شهرني ربي في الدنيا فلعله لا يفضحني في الآخرة » وقال له رجل: مالي أراك مغموماً ؟ فقال : « مالي لا أكون مغموما وأنا مطلوب » . وقال : « ليس من المودة أن تحب ما يبغض حبيبك » وقال : « يكون الرجل مرائيا في حياته وبعد موته » فقيل له : كيف يكون مرائيا بعد موته ؟ قال : « يحب أن يكثر الناس في جنازته » . وقال : « الصدقة أفضل من الحج » . وقال : « ما أقبح أن يطلب العالم فيقال : هو بباب الأمير » .

بنان الحمال

هو بنان بن محمد بن حمدان أصله من واسط . ونشأ ببغداد . ثم انتقل إلى مصر ومات بها عام ٣١٦ هـ سمع من الحسن بن عرفة وحميد بن الربيع والحسن الزعفراني . وبكار بن قتيبة . وغيرهم . وأسند الحديث . قال أبو علي الروذباري : كان سبب دخولي مصر حكاية بنان . وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف فأمر بأن يلقى بين يدي السبع فجعل السبع يشمه ولايضره فلما أخرج من بين يديه قيل له : ما الذي كان في قلبك حين شمك السبع ؟ قال : كنت أتفكر في سؤر السباع ولعابها وحكم طهارتها .

أحمد السبتي

ابن الخليفة هرون الرشيد . كان قد تزوج أمه سرا فأولدها هذا الغلام ، وأحدرها إلى البصرة . وماتا ولم يرهما . وقصته طويلة في صفوة الصفوة

لابن الجوزى ٢/١٨٧ ، ١٨٨ . وكان يأتى السوق كل سبت فيعمل بدرهم ودانق يتقوت بهما . قال أبو الفرج العابد : فلم أصادفه يوما فإذا هو مريض فى بيت عجوز . فسألتها فقالت : عليل منذ أيام . فوجدت تحت رأسه لبنة . فقلت : ألك حاجة ؟ قال : إذا أنا مت فبع هذا المر واغسل جبتى وهذا المئزر وكفنى بهما وافتق حبيب الجبة فإن فيها خاتما . فأره لهرون الرشيد . فإنه سيدعوك ، فسلمه إليه ، ولا يكن هذا إلا بعد دفنى . ففعلت ، فقال الرشيد : « هذا ولدى . تركنى لما وليت الخلافة ، ولم ينل من دنياى شيئا .

أبو بكر الرقاق

اسمه : محمد بن عبد الله . روى عن ابن سراج عن الجنيد : رأيت إبليس فى منامى وكأنه عريان فقلت : أما تستحى من الناس ؟ قال : بالله هؤلاء عندك من الناس ؟ لو كانوا من الناس لما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس غير هؤلاء. قلت له : ومن هم ؟ قال فى مسجد الشونيزى . قد أضنوا قلبى . وانحلوا جسمى . كلما هممت بهم أشاروا إلى الله فأكاد أحترق . قال جنيد فانتبهت ، وذهبت إلى مسجد الشونيزى ، فإذا بثلاثة جلوس ورؤوسهم فى مرقباتهم . فلما أحسوا بى أخرج أحدهم رأسه وقال : يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شىء تقبل ؟ وهم أبو حمزة ، وأبو الحسن النورى ، وأبو بكر الرقاق .

أبو بكر الكتانى

بغدادى الأصل . أقام بمكة ومات بها عام ٣٢٨ هـ . كان يقول : إن الله نظر إلى عبيد من عبيده فلم يرهم أهلا لمعرفته ، فشغلهم بخدمته » . وقال أبو جعفر الأصفهانى : صحبت الكتانى سنين ، فكان يزداد على الأيام ارتفاعا . وفى نفسه اتضاعا . ويقول : « روعة عبد عند انتباه من غفلة وارتعاد من خطيئة . أعود على المريد من عبادة الثقلين » . صحب الجنيد والخراز والنورى . وله مسند فى الحديث .

أبو القاسم الجنيد

هو أبو القاسم الخزاز القواريرى . جنيد بن محمد بن جنيد البغدادى كان أبوه يبيع القوارير . وكان هو خزازا . أصله من نهاوند . ومنشؤه بغداد .

قال الخلدى : « لم نر شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبى القاسم الجنيد وإلا فأكثرهم يكون له علم كثير . ولا يكون له حال . وآخر يكون له حال كثير وعلم يسير . والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير . فإذا رأيت حاله رجحته على علمه ، وإذا رأيت علمه رجحته على حاله . وعن أبى محمد المرتعش قال : قال لى الجنيد : كنت ألعب بين يدى سرى وأنا ابن سبع سنين . وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر : فقال لى . يا غلام ، ما الشكر ؟ قلت : ألا تعصى الله بنعمة . قال : أخشى أن يكون حظك من الله لسانك . قال الجنيد : فلا أزال أبكى على هذه الكلمة إلى الآن . كان يقول : إحذر أن تكون ثناء منشورا ، وعيبا مستورا » . ويقول : » « المروءة احتمال زلل الإخوان » . لقى خلقا من العلماء ودرس على أبى ثور . وأفتى فى حضرته وهو ابن عشرين سنة . وصحب كثيرا من العلماء واشتهر بصحبة الحارث المحاسبى وخاله سرى السقطى . مات عام ٢٩٠ ه . وقيل عام ٢٩٧ . وصلى عليه نحو ستين ألفا .

الحارث المحاسبى

هو الحارث بن أسد المحاسبى . سمى المحاسبى لكثرة محاسبته لنفسه . ودقته فى هذا الباب . كان يأخذ نفسه بالرياضة الشاقة . حتى أنه لم يقبل ميراثه من أبيه وهو فى حاجة إلى دانق يدفع عنه ضر الجوع . وكان يقول : والله لو أن نصفه الخلق قربوا منى ما أنست بقربهم . ولو أن نصفه الآخر بعد عنى ما استوحشت لبعدهم . أنكر عليه أحمد بن حنبل خوضه فى علم الكلام فلما استمع إليه يتكلم مع أصحابه فى دار اسماعيل السراج بكى حتى غشى عليه . وقال : والله ماسمعت فى الحقائق مثل هذا الرجل . ومع ذلك فلا أرى لكم صحبته » كان آية فى العمل بالعلم والخبرة بالنفس وآفاقها . له كتاب « الرعاية لحقوق الله » الذى يعتبر أولى فتح فى التحليل النفسى وقد أخرجنا له كتاب « الوصايا » ، وفى صدد إخراج كتابه الرائع « آداب النفوس »

فضيل بن عياض

فضيل بن عياض التميمي : أحدبني يربوع ، يكنى أبا على . ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير وسمع بها الحديث . ثم تعبد وانتقل إلى مكة ومات بها كان من أفاضل الزهاد قال : لو أن الدنيا كلها بحذافيرها كانت لى لكنت اتقذرها . وكان صاحب ملكة فى محاسبته نفسه . قال : « أصلح ما أكون أنقر ما أكون وإنى لأعصى الله فأعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى » . وقال : « إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك » وقال لرجل : « لأعلمنك كلمة هى خير من الدنيا وما فيها : والله لو علم منك إخراج الآدميين من قلبك . حتى لا يكون فيك مكان لغيره . لم تسأله شيئاً إلا أعطاك » .

معروف الكرخى

يكنى : أبا محفوط ، وينسب إلى كرخ بغداد كان من دعائه : « اللهم لا تجعلنا بثناء الناس مغرورين ولا بالستر منك مفتونين ، اجعلنا ممن يؤمن بلقائك ، ويقنع بعطائك ويخشاك حق خشيتك ، اللهم أوف ظنون المسلمين فينا ووفقنا لوفاء ظنونهم واجعلنا خير مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون أنت تعلم وهم لا يعلمون . وكان يؤذن ويقيم الصلاة ويقدم غيره فقال له أحدهم : إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم صلاة أخرى فقال معروف : أعوذ بالله من طول الأمل وأنت تحدث نفسك أن تصلى صلاة أخرى . وقال رجل المعروف : أوصنى قال : « توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك وأكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك حديث غيره . واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه . وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك » .

منصور بن عمار

أصله من خراسان . وقال السلمى : من أهل مرو . وقيل : من بوشنج

سكن بغداد : وكان عجيبا بين الحكماء أسند عن معروف أبى الخطاب صاحب وائلة بر الأسقع . وروى عن الليث وابن لهيعة . وتوفى ببغداد . قال السعدانى : رأيت منصور بن عمار فى المنام فقلت له . ما فعل الله بك ؟ قال : وقفت بين يديه فقال لى : أنت الذى كنت تزهد الناس فى الدنيا ؟ قلت قد كان ذاك ، ولكن ما اتخذت مجلسا إلا وبدأت بالثناء عليك . وثنيت بالصلاة على نبيك صلى الله عليه وسلم . وثلثت بالنصيحة لعبادك . قال . صدقت. ضعوا له كرسيا فى سمائى فليمجدنى سمائى كما مجدنى فى أرضى بين عبادى

أبو على الروذبارى

قال السلمى : اسمه . أحمد بن القاسم . وقال أبو بكر الخطيب اسمه : محمد ابن أحمد . أصله من بغداد . وسكن مصر وتقدم بها وكانت له معرفة بالحديث وكان يقول : أستاذى فى الحديث : ابرهيم الحربى ، وفى الفقه أبو العباس بن سريج وفى النحو ثعلب . وفى التصوف الجنيد ويقول : « أنفقت على الفقراء كذا وكذا ألفا ، فما وضعت شيئاً فى يد فقير فيأخذه من يدى ، حتى تكون يدى تحت أيديهم صحب الجنيد والنورى وابن الجلاء والمسوحى . وأسند الحديث . مات عام ٣٢٢ هـ .

رويم البغدادى

رويم بن أحمد أو ابن محمد البغدادى . من بنى شيبان . وكان يتفقه لداود الأصفانى . كان يقول : « الفقر له حرمة ، وحرمته ستره وإخفاؤه ، والغيرة عليه ، والضن به ، فمن كشفه وأظهره وبذله فليس هو من أهله » . ويقول : « منذ عشر سنين لا يخطر بقلبى ذكر الطعام حتى يحضر » . ويقول « الإخلاص ارتفاع رؤيتك عز فعلك . والفتوه أن تعذر إخوانك فى زللهم . ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار لهم » . ويقول : « الصبر ترك الشكوى ، والرضا استلذاذ البلوى ، والتوكل إسقاط الوسائط » .

سرى السقطى

خال الجنيد وأستاذه . اسمه سرى بن المغلس السقطى كان يقول : « كل الدنيا فضول إلا خمسة : خبز يشبعه وماء يرويه ، وثوب يستره ، وبيت يسكنه ، وعلم يستعمله » . ويقول : « من عرف مايطلب هان عليه مايبذل » ويقول « إن فى النفس لشغلا عن الناس » . ويقول : « لولا الجمعة والجماعة لسددت الباب على نفسى ولم أخرج » وكان يقول لإخوانه : « الدهر ثلاثة أيام ، يوم مضى بؤسه وشدته وغمه لم يبق منه شىء . واليوم الذى أنت فيه صديق مودع ، طويل الغيبة عنك ، سريع الرحلة عنك وغدا فى يدك تأميله ، ولعلك من غير أهله » .

سمنون المجنون

سمنون بن حمزة أصله من البصرة وسكن بغداد ، كان يقول : « أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد للحق وصله لنفسه » صحب سريا السقطى ، وأبا أحمد القلانسى ، ومحمد بن على القصاب وآخرين وكان قد أصيب بالوسوسة ، وسمى بالمجنون . كان ورده كل يوم خمسمائة ركعة . وكان رجل قد فرق ببغداد على الفقراء أربعين ألف درهم . فذهب سمنون إلى أبى أحمد القلانسى وقال : يا أبا أحمد ، ما لنا مال نفرقه ، فامض بنا إلى موضع نصلى فيه بكل درهم ركعة فذهبنا إلى المدائن وصلينا أربعين ألف ركعة ، وزرنا قبر سليمان وانصرفنا .

أبو الحسين النورى

أسمه : أحمد بن محمد . بغدادى المولد والمنشأ . خرسانى الأصل . من قرية بين هراة ومرو يقال لها « بغشور » مرض فبعث إليه الجنيد بصرة فيها دراهم ، فردها النورى . ثم اعتل الجنيد فعاده النورى ، وقعد عند رأسه، ووضع يده على جبهته فعوفى من ساعته ، وقال للجنيد : إذا عدت إخوانك فارفق بهم بمثل هذا البر . سئل عن الرضا فقال : « عن وجدى تسألون ،

أو عن وجد الخلق »؟ فقالوا : بل عن وجدك ، فقال : « لو كنت فى الدرك الأسفل من النار لـكنت أرضى بمن هو فى الفردوس » . أسند عن سرى حديثا واحدا . وتوفى عام ٢٩٥ هـ .

أبو سعيد الخراز

اسمه : أحمد بن عيسى . قال عنه الجنيد : « لو طالبنا الحق بحقيقة ماعليه أبو سعيد لهلـكنا » . قيل : وأى شىء كان حاله ؟ قال : « أقام كذا وكذا سنة يخرز ، ما فاته الحق بين الخرزتين » . يقول : « العافية ستر البر والفاجر فإذا جاءت البلوى يتبين عندها الرجال » . وذكر أبو الفضـل بن العباس الشاعر عن تلميذة لأبى سعيد ، قالت : كنت أسأله مسألة والستر بينى وبينه فاستفزتنى حلاوة كلامه ، فنظرت فى ثقب من الإزار فرأيت شفته ، فلما وقعت عينى عليه سكت ، وقال : جرى ها هنا حدث ، فأخبرينى . فعرفته أنى نظرت إليه ، فقال : أما علمت أن نظرك إلى معصية ، وهذا العلم لايحتمل التخليط . أسند عن عبد الله إبراهيم الغفارى ، وابراهيم بن بشار . وصحب بشر بن الحارث الحافى ، وسرى القسطى ، وذالنون المصرى ، وأباعبدالله البسرى .

ابراهيم النخعى

من كبار الزهاد العلماء بالله . كان يقول : « كفى بالمرء إثما أن يشار عليه بالأصابع فى دين أو دنيا إلا من حفظه الله » . وكان دقيقا فى ورعه فيقول « إن المرء ليتكلم بالـكلمة من العلم ليصرف وجوه الناس إليه يهوى بهـا فى جهنم . فكيف بمن كانت نيته ذلك من أول جلوسه » . وبلغ من توقيه للشهرة أنه لم يجلس قط إلى اسطوانة كشأن علماء عصره . ويقول : « أدركنا الناس وهم يهابون أن يفسروا القرآن . والآن قد صـار كل من أراد أن يفسره جلس إليه » . وكان يلبس الثوب المصبوغ بالزعفران أو العصفر فلا يدرى من رآه أمن القراء هو أم من الفتيان . توفى عام ٩٥ هـ .

ماهان العابد

هو ماهان بن قيس . كان مثلا أعلى فى سلامة القلب وكثرة العبادة وكان يحث الناس على الذكر فيقول : « أما يستحى أحدكم أن تكون دابته أكثر ذكرا لله منه » . صلبه الحجاج بن يوسف على بابه فكان يسبح ويكبر على الخشبة فطعنوه على تلك الحال . وبقى شهراً مصلوبا . وكان يقول عن الصوفية : « أعمالهم قليلة وقلوبهم سليمة »

عبد الواحد بن زيد

أدرك الحسن البصرى وغيره . كان يقول : « مثل المؤمن مثل الولد فى الرحم لا يحب الخروج . فإذا خرج لم يحب أن يرجع فكذلك المؤمن إذا خرج من الدنيا » . ويقول : « ما من أحد أعطى من الدنيا شيئا فابتغى إليه شيئاً ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة ، وبدله بعد القرب بعدا ، وبعد الأنس وحشة » . كان ذا حال عظيم فى مقام العبودية . فقد روى عنه أنه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة . وله فرائد تحتاج إلى بحث على حديث لبحث مدى صدقها — ولا أظنها إلا صادقة كغيرها مما تم بحثه ، كشهود الشيخ الأكبر لعوالم الذرة وما فيها من خير وشر . قال فى هذا الصدد : « عليكم بالخبز والملح فإنه يذيب شحم الكلى ، ويزيد فى اليقين » .

عتبة الغــــلام

هو عتبة بن أبان الغلام . سمى غلاما لأنه كان فى العبادة كأنه غلام رهبان لصغر سنه . كان مثلا عجيبا فى الزهد . قال : جاءنى عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه فقال : ما زال فلان يصف من قلبه منزلة لا أعرفها فقلت : لأنك تأكل مع خبزك تمرا . قال : فاذا تركت التمر وصلت إليها ؟ قلت : نعم . فأخذ عبد الواحد يبكى . وكان له حال غريب مع الله على علمه وجلالة قدره . كان يأوى إلى المقابر والصحارى . فاذا كان يوم الجمعة دخل البصرة ولبس ثوبين أغبرين . وسلم على أصحابه . ولقى مريديه . وكانوا يشبهونه

بالحسن البصرى فى الحزن . وكان له بيت مقفل فلما مات فتحوه فوجدوا فيه قبرا محفورا وغلا من حديد ومع ذلك فقد كان آية فى المعرفة . روى الإمام الشعرانى أنه مات شهيدا فى قتال الروم .

سفيـــان الثورى

كان علامة فى الحديث حتى لقب بأمير المؤمنين ولد سنة ٩٧ هـ. فى الكوفة . وخرج إلى البصرة عام ١٦١ وكان عالم الأمة وعابدها وزاهدها ويقول : « لا ينبغى للرجل أن يطلب العلم حتى يعمل فى الأدب عشرين سنة » ويقول : « إذا فسد العلماء فمن يصلحهم ؟ وفسادهم بميلهم إلى الدنيا . وإذا جر الطبيب الداء إلى نفسه فكيف يداوى غيره ؟ ويقول : « من تصدر للعلم قبل أن يحتاج إليه أورثه ذلك الذل » . وكان مجتهدا عظيما إذ يقول : « لأن أترك عشرة آلاف دينار أحاسب عليها أحب من أن أحتاج إلى الناس . فان المال كان فيما مضى يكره . أما اليوم فهو ترس المؤمن . يصونه من سؤال الملوك » . وحدد معنى الزهد الحقيقى فقال : « إن الرجل ليكون عنده المال وهو زاهد فى الدنيا . ويكون فقيرا وهو راغب فيها » . ووصفته المراجع فى حال تفكيره . بأن كان يرى كأنه مجنون لا يعى كلام أحد . ولما خرج أبو جعفر المنصور سار أمامه الخشابون . وقد أمرهم بصلب سفيان . فوصلوا مكة ونصبوا الخشب ، وجاءوا إليه فوجدوه نائما ورأسه حجر الفضيل بن عياض . ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة . فقالوا : يا أبا عبد الله . اتق الله ولا تشمت بنا الأعداء . فتقدم إلى أستار الكعبة فتعلق بها وقال : برئت منه إن دخلها أبو جعفر . فمات قبل أن يدخل مكة . يقول : « إذا رأيتم قارىء القرآن يحب جيرانه فاعلموا أنه مداهن .

ابراهيم بن أدهم

كان من أولاد الملوك فى بلخ . رسم صورة للحياة الاجتماعية فى عصره

تبدو من قوله : « إنى لأتمنى المرض حتى لا تجب على الجماعة فلاأرى الناس ولايرونى ». وكان يغلق بابه من خارج فيأتى الناس ويعودون من حيث أتوا وكان يكشف عن علل النفس ويحذر منها . فيقول : « ما صدق الله عبدا أحب الشهرة بعلم أو عمل أو كرم » . وكان ضعيف الجسد لتقلله الشديد من الطعام ، لأنه لم يكن يثق فى حله . ويقول : « اطلبوا العلم للعمل ، فإن أكثر الناس قد غلطوا حتى صار علمهم كالجبال ، وعملهم كالذر » . كتب إليه الإمام الأوزاعى قائلا : إنى أريد أن أصحبك يا إبراهيم ، فكتب إليه قائلا : « الطير إذا طار مع غير شكله طارالطير وتركه » . وكان يقول : « أثقل الأعمال فى الميزان أثقلها على الأبدان » .

ذوالنون المصرى

اسمه : ثوبان بن ابراهيم . كان أبوه نوبيا . كان نحيل الجسد تعلوه حمرة ولحيته ليست بيضاء . توفى بالجيزة فحمل فى قارب مخافة أن ينهار الجسر من كثرة مشيعيه . له فرائد فى الحكمة والسلوك . منها قوله : « من القلوب قلب يستغفر قبل أن يعصى فيثاب قبل أن يطيع » . وكانمربيا فاضلا سمع الفقراء عنده يتذاكرون فى المحبه . فقال لهم : « كفوا عن هذه المسألة ، لئلا تسمعها النفوس فتدعيها » . ويقول : تواضع لكل الخلق . وإياك أن تتواضع لمن يطلب منك التواضع له فان سؤاله إياك يدل على تكبره فى الباطن . وتواضعك له عون له على التكبر » . وسئل : لم لا تشتغل بالحديث فقال . « للحديث رجال . وشغلى بنفسى استغرق وقتى . والحديث من أركان الدين . ولولا نقص دخل على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضل الناس فى زمانهم . ألا تراهم بذلوا علمهم لأهل الدنيا يستجلبون دنياهم . فحجبوهم واستكبروا عليهم وافتتنوا بالدنيا لما رأوا حرص أهل العلم والمتفقهين عليها . فخانوا الله ورسوله وصار إثم كل من تبعهم فى عنقهم جعلوا العلم فخا للدنيا وسلاحا يكسبونها به بعد أن كان سراجا للدين يستضاء به » .

شقيق البلخى

من مشايخ خراسان . كان إما ما فى التوكل . وهو أول من تكلم عن الأحوال فى خراسان . صحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه طريقه وهو أستاذ حاتم الأصم. يقول : « الزاهد هو الذى يقيم زهده بفعله . والمتزهد يقيم زهده بلسانه » . ويقول : « اتق الأغنياء . فإنك إذا عقدت قلبك معهم وطمعك فيهم فقد اتخذتهم أربابا من دون الله » . سئل : بأى شىء يعرف العبد أن نفسه اختارت الفقر على الغنى ؟ قال : « إذا صار يخاف من حصول الغنى كما كان يخاف من حصول الفقر » . وسئل : ما علامة صدق الزاهد ؟ قال : « إذا صار يفرح بكل شىء فاته من الدنيا ويغتم لكل شىء حصل منها » . وكان يقول : « مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وخاف أن تثمر شوكا . ومثل المنافق كمثل رجل غرس شوكا وهو يطمع أن يحصد رطبا » .

أبو يزيد البسطامى

طيفور بن عيسى . كان من كبار المرشدين أهل الحال ، شديد الصحو شديد السكر . بحرا فى العلم والشهود . كتب إليه يحيى بن معاذ الرازى : « إننى سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبة » . فكتب إليه أبو يزيد « غيرك شرب من بحور السموات والأرض وما روى بعد ، ولسانه خارج يقول : هل من مزيد » . ودخل عليه فقيه بلده وعالمها يوما فقال له « يا أبا يزيد علمك هذا عمن وممن ومن أين ؟ فقال : « علمى من عطاء الله وعن الله ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم » فسكت العالم . صدرت عنه ألفاظ فى حال سكره أوهمت الحلول . وسئل عنها أبو على الجوزجانى فقال : « يسلم له حاله ، ولعله تكلم بها على حد غلبة أو سكر . ومن أراد أن يرتقى إلى مقام أبى يزيد ، فليجاهد نفسه كما جاهدها أبو يزيد ، فهناك يفهم كلام أبى يزيد » .

سهل التسترى

أحد أئمة القوم ، ومن أكابر علمائهم المتكلمين فى علوم الإخلاص والرياضات وغيوب الأفعال . لقى ذا النون المصرى وهو خارج إلى مكه . حدد معالم السلوك فى أقوال كثيرة أثرت عنه . منها : « الفتنة على ثلاثه أقسام ، فتنة العامة دخلت عليهم من صناعة العلم . وفتنة الخاصة دخلت عليهم من الرخص والتأويلات ، وفتنة العارفين دخلت عليهم من تأخير الحق الواجب إلى وقت آخر » : ومنها « أيس العلماء فى زماننا هذا من هذه الثلاث خصال : ملازمة التوبة ، ومتابعة السنة ، وترك أذى الخلق » ويقول : « ما عمل عبد بما أمره الله تعالى عند فساد الأمور وتشويش الزمان ، واختلاف الناس فى الرأى إلا جعله الله إما مايقتدى به ، هاديا مهديا ، وكان غريبا فى زمانه » . وقال : « مادامت النفس تطلبكم بالمعصيه فأدبوها بالجوع والعطش ، فإذا لم ترد منكم المعصية فأطعموها ماشاءت وأتركوها تنام من الليل ما أرادت .

يحيى بن معاذ الرازى

كان وحيد وقته فى زمانه . تحدث فى الرجاء والمعرفه ، وأقام فى بلخ ، ثم عاد إلى نيسابور ، ومات بها عام ٢٥٠ هـ . كان يقول : « على قدر شغلك بالله يشتغل فى أمرك الخلق » . ويقول : الجوع نور والشبع نار والشهوة الحطب يتولد منه الإحراق فلا تنطفىء ناره حتى يحرق صاحبه » . ويقول: « الولى لا يرائى ولا ينافق ، وما أقل صديقا هذا خلقه » . ويقول : « العامة يحتاجون إلى أهل العلم فى الجنة كما فى الدنيا . فقيل له : كيف ؟ . فقال : يقال للعامة فى الجنة تمنوا ، فلا يدرون ما يقولون ، فيقولون : نرجع لأهل العلم فنسألهم ، فيكون ذلك تمام مكرمة لأهل العلم » . وكان من دعائه : « إلهى ، لا أقوى على شروط التوبة فاغفر لى بلا توبة » .

أبو تراب النخشبي

صحب حاتم الأصم ، وأباحاتم العطار . وهو من كبار مشايخ خراسان المشهورين بالعلم والفتوة والزهد والتوكل والورع . مات بالبادية عام ٢٤٥ ه . فنهشته السباع . كان يقول : « من شغل مشغولا بالله أدركه المقت من ساعته » . ويقول : « : لقيت رجلا بالبادية ، فقلت له : من أنت ؟ قال : أنا الخضر ، الموكل بأولياء ، أرد قلوبهم إذا شردت عن الله ، يا أبا تراب . التلف فى أول قدم ، والنجاة فى آخر قدم » .

أبو محمد بن حنيف

صحب يوسف بن أسباط وهو من كبار الزهاد والأكياس الورعين كوفى الأصل ، وطريقه فى التصوف طريق سفيان الثورى ، إذ أنه صحب أصحابه . كان يقول : « إذا دنا القارىء من المعصية ناداه القرآن من صدره والله ما لهذا حملتنى ، فلو أنه سمع ذلك الصوت لمات حياء من الله » .

أبو حمزة الخراسانى

أصله من نيسابور . صحب مشايخ بغداد ، وكان من أقران الجنيد . وسافر مع أبى تراب النخشبي وأبى سعيد الخراز ، وكان ذا دين وورع . وكان الإمام أحمد يستفيد منه فى بعض المسائل . وكان منيبا إلى ربه كثير التوبة والعبادة رضى الله عنه .

أبو محمد المرتعش

كانوا يقولون : عجائب بغداد فى التصوف ثلاثة : الشبلى فى الإشارات والمرتعش فى المكاشفات ، وجعفر الخلدى فى الحكايات . كان مقيما بمسجد الشونيزى ومات ببغداد عام ٣٢٨ ه . كان يقول : « سكون القلب إلى غير الله عقوبة عجلها الله للعبد فى الدنيا » . ويقول : « ذهبت حقائق الأشياء ، وبقيت أسماؤها ، فالأسماء موجودة ، والحقائق مفقودة ،

والدعاوى فى السرائر مكنونة ، والألسنة بها فصيحة ، وعن قريب تفقد هذه الألسن وهذه الدعاوى فلا يوجد لسان ناطق ، ولا مدع صائب ».
اعتكف مرة فى العشر الأواخر من رمضان. فرأى المتعبدين يتهجدون والقراء يقرأون فقطع الاعتكاف وخرج ، فسئل عن ذلك فقال : لما رأيت تعظيمهم لطاعتهم واعتمادهم على عبادتهم لم يسعنى إلا الخروج خوفا من نزول البلاء عليهم.

الحسين بن منصور الحلاج

يكنى : أبا مغيث. صحب الجنيد ، والثورى ، وعمرو بن عثمان وغيرهم. والمشايخ فى أمره مختلفون. رده كثيرون وأبوا أن يعترفوا بقدمه فى التصوف ، وقبله آخرون منهم أبو العباس بن عطاء ، ومحمد بن حنيف وأبو القاسم النصراباذى ، وكان ابن حنيف يقول : الحلاج عالم ربانى.
قتل بباب الطاق يوم الثلاثاء فى آخر ذى القعدة ، عام ٣٠٩. قال ابن خلكان : لم يثبت عليه ما يوجب القتل. وزكاه أبو القاسم القشيرى وذكر عقيدته مع عقائد أهل السنة. ومن كلامه : « علامة العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة » وكان يقول : « ما انفصلت عنه ولا اتصلت به ». ويقول : « المحقق الحق لا يأكل وفى البلد من هو أحق منه بذلك الأكل ». خرج إلى الموت يتبختر فى قيده ويقول :

نديمى غير منسوب ... إلى شىء من الحيف
سقانى مثل ما يشرب ... كفعل الضيف للضيف
فلما دارت الكاسات ... دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح ... مع التنين فى الصيف

أبو الخير الأقطع

أصله من المغرب وكان من أهل الكرامات. صحب أبا عبد الله بن الجلاء وغيره ، كان وحيدا فى التوكل ، وروى أن السباع كانت تأنس

به . وكانت له فراسة حادة . مات بمصر عام نيف وأربعين وثلاثمائة ودفن بجانب الديلمية بالقرافة الصغرى . كتب إلى جعفر الخلدى : « قد جهل الفقراء عليكم فى هذا الزمان وأصل ذلك منكم ، لأنكم تصدرتم للمشيخة قبل التمام فاشتغلتم بتأديب نفوسكم عن تأديبهم » . ويقول : « إياك أن تطلب من الله أن يصبرك ، ولكن اطلب منه أن يلطف بك فهو أولى ؛ لأن تجرع مرارات الصبر شديدة على أمثالنا .

اسحاق النهرجورى

يكنى : أبا يعقوب . صحب الجنيد ، وعمرو بن عثمان المكى ، وأبا يعقوب السوسى ، توفى عام ٣٣٠ ﻫ . كان يقول فى معنى قولهم : « احترسوا من الناس بسوء الظن » أى سوء الظن بأنفسكم لا بالناس . ويقول : « أعرف الناس بالله أشدهم فيه تحيرا » . سئل عن التصوف فقال : « آه . آه . تلك أمة قد خلت . ثم قال للسائل : يا أخى زفرات القلوب بودائع الحضور ، من حيث خاطبها الحق وهى فى صورة الذرة فأخبر عنها بقوله : ألست بربكم قالوا بلى . وكان يقول : ما رأته العيون ينسب إلى العلم ، وما رأته القلوب ينسب إلى اليقين » . وسئل عن الطريق إلى الله فقال : « اجتنب الجهلاء ، واصحب العلماء ، واستعمل العلم ، وداوم على الذكر وأنت إذن من أهل الطريق » .

على بن محمد المزين

صحب سهل بن عبد الله ، والجنيد ، ومن فى طبقتيهما من البغداديين . أقام مجاورا بمكة ، ومات بها . عام ٣٢٨ﻫ : كان من أورع المشايخ وأحسنهم حالا . سئل عن التوحيد فقال : « أن توحد الله بالمعرفة ، وتوحده بالعبادة وتوحده بالرجوع إليه فى كل مالك وعليك ، وتعلم أن ما خطر بقلبك أو أمكنك الإشارة إليه فالله بخلاف ذلك ، وتعلم أن أوصافه سبحانه وتعالى مباينة لأوصاف خلقه ، باينهم بصفاته قدما ، كما باينوه بصفاتهم

حدثا » . وكان يقول : « المعجب بعمله مستدرج ، والمستحسن لأحواله السيئة ممكور به ، ومن ظن أنه موصول فهو مغرور . وأحسن العبيد حالا من كان مجهولا فى أحواله لا يشاهد غير واحد ، ولا يستأنس إلا به ، ولا يشتاق إلا إليه » .

أبو على الكاتب

من كبار مشايخ مصر . صحب أبا بكر المصرى ، وأبا على الروذبارى وغيرهما ، قال فيه أبو عثمان المغربى : « أبو على الكاتب من السالكين » . كان يقول : « المعتزلة نزهوا الله من حيث العقل فأخطأوا ، والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا » . ويقول : « روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها ، وتظهر عليهم وإن أخفوها ، وتدل عليهم وإن ستروها » . ويقول : « الهمة مقدمة الأشياء فمن صحت همته أتت عليه توابعه على الصدق والصحة ، فإن الفروع تتبع الأصول ، ومن أهمل همته أتت توابعه مهملة ، والمهمل من الأحوال والأفعال لا يصلح لبساط الحق » . ويقول : « يرزق العبد حلاوة الذكر فإن شكره وفرح به آنسه بقربه ، وإن قصر فى الشكر أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته » .

مظفر القرميسينى

من كبار مشايخ الجبل ، ومن الفقراء الصادقين . صحب عبدالله الخراز ومن فوقه ، وكان واحدا فى طريقته . كان يقول : « الصوم على ثلاثة أوجه صوم الروح بقصر الأمل ، وصوم العقل بخلاف الهوى ، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والشراب والمحرمات » . ويقول : « خير الأرزاق ما فتح الله لك به من وجه حلال ، بلا طلب ولا سعى » . ويقول : « الفقير هو الذى لا تكون له إلى الله حاجة » . ويقول : « من لم يأخذ الآداب عن حكيم لا يتأدب به مريد » .

إبراهيم بن شيبان القرميسينى

كان شيخ وقته . عظيما فى مقامات الورع والتقوى . صحب أبا عبد الله المغربى ، وإبراهيم الخواص ، وكان شديدا على المدعين . قال فيه إبراهيم بن منازل : « إبراهيم بن شيبان حجة الله على الفقراء وأهل الأدب فى المعاملات » . وكان يقول : « علم البقاء والفناء يدور على الإخلاص للوحدانية ، وصحة طريق العبودية ، وما كان غيرهما فهو المغاليط والزندقة » ويقول : « سفلة الناس من يخطر بقلبه العطاء على وجه المنة به » . ويقول: « من تكلم على الإخلاص ولم يطالب نفسه به ابتلاه الله بهتك الستر » .

محمد بن أحمد بن سالم البصرى

صاحب سهل التسترى ، وراوى كلامه ، لا ينتمى إلى غيره . وطريقته طريقة أستاذه . وله بالبصرة أصحاب ينتمون إليه . كان يقول : « من أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بأى حال ، إلا على وجه المعاونة ، دون الاعتماد عليه ، فإن التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتكسب سنته ، ومن ضعف عن حال التوكل فليتكسب لئلا يسقط عن درجة سنة النبي صلى الله عليه وسلم كما سقط عن درجة حاله » . قيل له : بم تعرف الأولياء ؟ قال : بلطف لسانهم ، وقبول عذر من اعتذر إليهم ، وكمال الشفقة على جميع الخلق برهم وفاجرهم » . وقال : « من أراد أن عورته تستر ولا تهتك فلينعم على من جنى عليه ، وليتكرم على الناس بما فى يده » .

جعفر الخواص الخلدى

بغدادى المولد والمنشأ ، صحب الجنيد وإليه كان ينتسب ، وصحب الثورى وروى عنه البغدادى ، وميمونا ، والجريرى . كان المرجع إليه فى كتب القوم وحكاياتهم وسيرهم ، حتى قال يوما : « عندى مائة ونيف وثلاثون ديوانا من دواوين الصوفية » . وضع أسئلة قال عنها الشيخ محيى الدين

بن عربى : لا يعرف جوابها إلا الختم . وعده القشيرى ممن عليه مدار الطريق حج ستين حجة ، ومات ببغداد عام ٣٤٨ هـ . وقبره بالشونيزية ، بجوار قبر السرى السقطى والجنيد . كان يقول : « سعى الأحرار فى الدنيا يكون لإخوانهم لا لأنفسهم » . ويقول : « إذا رأيت الفقير يأكل فاعلم أنه لا يخلو من إحدى ثلاث ، لوقت قد مضى عليه ، أو لوقت يريد أن يستقبله أو للوقت الذى هو فيه » .

أبو سليمان الدارانى

عربى من بنى عبس ، نشأ بقرية « داريا » من قرى دمشق . وكان كبير الشأن فى علوم الحقائق والورع . مات عام ٢١٠ هـ . كان يقول لمريديه : « لا ينبغى لفقير أن يزيد فى نظافة ثيابه على نظافة قلبه ، بل يشا كل ظاهره باطنه » . ويقول : « الدنيا تهرب من طالبها ، وتطلب الهارب منها ، فإن أدركت الهارب منها صرعته ، وإن أدركها الطالب لها قتلته » . ويقول : « إنما يعجب بعمله القدرية الذين يزعمون أنهم يعملون أعمالهم . أما الذى يرى أنه مستعمل فبأى شىء يعجب » . وكان يقول : « إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فعليك بالجوع ثم أسألها » .

ممشـــاد الدينورى

كان عظيم الحال ظاهر الفتوة . صحب ابن الجلاء ومن فوقه من المشايخ كان يقول : « من يكن الله همته لم تستطعه الأقدار . ولم تملكه الأخطار » ويقول : « ما دخلت على فقير قط إلا وأنا خال من جميع النسب والعلوم والمعارف . أنتظر بركات ما يرد على من رؤيته أو كلامه . وذلك لأن من دخل على شيخ بحظ انقطع بحظه عن بركات رؤيته ومجالسته وأدبه وكلامه وقال : رأيت فى بعض سياحتى شيخا توسمت فيه الخير : فقلت له : عظنى بكلمة ، فقال : همتك احفظها فإن الهمة مقدمة الأشياء ، فمن صلحت همته وصدق فيها صلح له ما وراء ذلك من الأعمال والأحوال .

أحمد بن عاصم الأنطاكى

من أقران بشر الحافى والسرى السقطى والحارث المحاسبى . وكان أبو سليمان الدارانى يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته. قال : « ما كنت أظن أنى أدرك زمانا يعود الإسلام فيه غريبا . ترغب إلى عالم فتجده مفتونا بالدنيا ، يحب الرياسة والتعظيم ، ويأكل الدنيا بعلمه ، ويقول : أنا أولى بها من غيرى . وإن ترغب إلى عابد تجده مفتونا جاهلا فى عبادته مخدوعا لنفسه صعد إلى أعلا درجات العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف بأعلاها فقد صارت العلماء والعباد سباعا ضارية ، وذئابا مختلسة » .

حمدون القصار

شيخ الملامتية فى نيسابور ، ومنه انتشر المذهب . صحب أبا تراب النخشبى والنصراباذى . وكان فقيها يذهب مذهب الثورى . وطريقته لم يأخذها أحد من أصحابه كأخذ محمد بن منازل . مات عام ٢٧١ هـ . فى نيسابور . كان يقول : « من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر » . وقيل له : ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ فقال : « لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن . ونحن نتكلم لعز النفوس ، وطلب الدنيا ، واعتقاد الخلائق » ويقول : « جمال الفقير فى تواضعه ، فاذا تكبر فقد زاد على الأغنياء فى كبره » .

أحمد بن يحيى الجلاء

وقيل اسمه محمد . بغدادى الأصل . أقام بالرملة ودمشق . صحب ذالنون المصرى وأبا عبد الله البسرى . وهو أستاذ محمد بن داود الرقى . كان يقول : « من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد . ومن حافظ على الفرائض فى أول وقتها فهو عابد . ومن رأى الأفعال كلها من الله فهو موحد » ويقول : « من علت همته على الأكوان وصل إلى مكونها . ومن وقف نفسه على شيء سوى الحق فاته الحق . لأنه أعز من أن يرضى معه شريكا »

أبو عبد الله البسرى

من قدماء المشايخ الأجلاء . صحب أبا تراب النخشبي . كان يقول : « لا تدخل الغفلة إلا من الأمن . ولا يوجد المزيد إلا من الحذر . حذر أقوام فسلموا وأمن أقوام فعطبوا وكان يرى أن ذكر الله باللسان دون القلب من الرياء .

يوسف بن الحسين الرازى

شيخ الرى والجبل في وقته . كان عالما أديبا وطريقته مبنية على إسقاط الجاه ، وترك التصنع ، واستعمال الإخلاص . صحب ذالنون المصرى وأبا تراب النخشبي . مات عام ٣٣٤ هـ . كان يقول : « أرغب الناس فى الدنيا أكثرهم ذما لها عند أبنائها . لأن مذمتهم لها عندهم حرفة وما أقبحها حرفة . يزهدهم فيها ثم يأخذها منهم فى المجلس » . ويقول : « إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص وفواضل العلم ، فاعلم أنه لا يجيء منه شيء » . وكان إذا سمع القرآن لم تقطر له دمعة . وإذا سمع شعرا قامت قيامته ثم التفت إلى الحاضرين وقال : أتلومون أهل الرى فى قولهم : يوسف بن الحسين زنديق ؟ هم معذورون

أحمد بن مسروق

من أفضل أهل طوس . سكن بغداد ومات بها عام ٢٩٩ هـ . صحب الحارث المحاسبي ، والسرى السقطى وغيرهما . كان يقول : « المؤمن يقوى بذكر الله ، كما حدث لسيدتنا فاطمة الزهراء . حينما طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم غلاما يخدمها فدلها على التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقال : هن لك أحسن من خادم . وأما المنافق فلا يتقوى إلا بالطعام والشراب » . وكان دائما يأمر تلاميذه بالجوع ويقول لهم كنت أول أمرى ألبس المسوح والليف وكانت رؤية شيوخي هي زادى من الجمعة إلى الجمعة » .

أحمد بن عطاء الآدمى

كان من ظراف المشايخ . له فهم خاص فى القرآن . صحب الجنيد وإبراهيم المارستانى ، وكان أبو سعيد الخراز يقول : « التصوف خلق ، وما رأيت من أهله إلا الجنيد وابن عطاء » . مات عام ٣١١ هـ . سئل عن معنى الطهارة فقال : « الطهارة بالنفوس ، والصلاة بالقلوب ، فبغسل الوجه يعرضُ عن الدنيا . وبغسل يديه يكفى الخلق يمنة ويسرة . وبمسح الرأس يبرأ عن نفسه . وبغسل القدمين يقوم لمناجاة ربه . فإذا كبر للصلاة خرج من جميع كليته لتصح له مناجاة ربه » . وكان يقول : « ابتلى الخلق بالفراق لئلا يكون لأحد مع غير الله سكون » .

إبراهيم الخواص

من عظماء رجال التوكل . ومن أقران الجنيد والثورى . وله فى الرياضات والسياحات مقام عظيم . مات عام ٢٩٠ هـ . كان يقول : « من دواعى المقت ذم الدنيا فى العلانية واعتناقها فى السر » . ويقول : « يجب على المريد الاجتماع بمن يكشف له عن عيوبه ، ويدله على مواضع الزيادة ويكون نظره إليه قوة على تهييج حاله » . وكان إذا دعى إلى وليمة فرأى فيها خبزا يابسا أمسك يده ولم يأكل ، ويقول : هذا خبز قد منع حق الله تعالى منه إذ يبيت ولم يخرج من يومه » .

أبو بكر الواسطى

أصله من فرغانة . ومن قدماء أصحاب الجنيد والثورى . لم يتكلم أحد فى أصول التصوف مثله . وكان عالما بأصول الدين ، دخل خراسان واستوطن بها . كان يقول : « الذاكر فى ذكره أشد غفلة من الناسى لذكره ، لأن ذكره سواه » . ويقول : « التقوى أن يتقى العبد من تقواه ، ثم يتقى من رؤية تقواه » . ويقول : « إذا ظهر الحق على السرائر لم يبق فيها فضله خوف ولا رجاء» . ويقول :«احذروا لذة العطاء فإنها غطاء لأهل الصفاء» . ويقول

عن الصوفية : « كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ، ثم لم يبق إلا حسرات » . ويقول : « من عرف الله انقطع ، بل خرس وانقمع ، ولا تصح المعرفة وفى العبد استغناء بالله ، أو افتقار إليه » .

أبو حمزة البغدادى

صحب سريا السقطى ، والمسوحى . كان فقيها عالما بالقرآن . وكان يتكلم بمسجد الرصافة ببغداد قبل أن يتكلم فى مسجد المدينة . تكلم يوما فى مسجد المدينة فتغير عليه حاله ، وسقط عن كرسيه ومات فى الجمعة الثانية . كان الإمام أحمد بن حنبل إذا جرى فى مجلسه شىء من كلام القوم يقول لأبى حمزة : ما تقول فى هذا يا صوفى ؟ . ودخل البصرة وصحب بشرا الحافى ومات عام ٢٨٩ هـ . كان يقول : « إذا فتح الله لك طريقا من الخير فالزمه وإياك أن تنظر إليه أو تفتخر به . واشتغل بشكر من وفقك لذلك ، فإن نظرك إليه يسقطك من مقامك ، واشتغالك بالشكر يوجب لك فيه المزيد : « لئن شكرتم لأزيدنكم » .

أبو بكر الترمذى

من أجل مشايخ خراسان وأطهرهم خلقا وأحسنهم سياسة . وله أصحاب ينتمون إليه . كان يقول : « إذا مكثت الأنوار فى السر نطقت الجوارح بالبر » . ويقول : « إنكار الآيات للأولياء فى قلوب الجهال من ضيق صدورهم عن المصادر وبعد علومهم عن موارد الحكمة والقدرة » . ويقول : « ما استصغرت أحدا من المسلمين إلا وجدت نقصا فى إيمانى ومعرفتى » . ويقول : « ما منع القوم من الوصول إلا الاستدلال بغير الدليل ، والركض فى الطريق على حد الشهوة . وأكل الحرام والشبهات » . ويقول : « الولى دائما فى ستر حاله . والكون كله ناطق عن ولايته والمدعى ناطق بولايته والكون كله ينكر عليه » .

أبو الحسن بن الصائغ الدينورى

من كبار القوم . أقام بمصر . ومات بها عام ٣٣٠ هـ . كان كبير الهمة مهيبا بين الخلق . كان يقول : « من تعرض لمحبة الله تعالى جاءته المحن والبلايا والآفات من سائر الأقطار » . ويقول : « محبتك لنفسك هى التى تهلكها » ويقول : « اترك الدنيا مرتين . مرة بتركها بنضارتها ونعيمها ثم إذا عرف العبد بتركها وبجل وأكرم لذلك ينبغى له أن يقبل على أهلها سترا لحاله . لئلا يكون تركه للدنيا أعظم من الإقبال عليها » .

أبو بكر الدينورى

أقام بدمشق ، وهو من أقران أبى على الروذبارى ، عمر أكثر من مائة سنة ، كان ينتمى إلى ابن الجلاء ، وصحب الرقاق ، وأبا بكر المصرى . سئل عن الفرق بين الفقر والتصوف ، فقال : « الفقر حال من أحوال التصوف ؟ فقيل له : ما علامة التصوف ؟ قال : « أن يكون المرء مشغولا بما هو أولى فى كل وقت » ، وقال : « إذا انحط الفقراء عن حقيقة العلم إلى ظاهر العلم أساءوا الأدب مع الله بخلاف غيرهم » .

أبو الحسن البوسنجى

كان أوحد فتيان خراسان . لقى أبا عثمان ، وصحب بالعراق ابن عطاء والجريرى ، وبالشام طاهر المقدسى ، وأباعمرو الدمشقى ، وتكلم مع الشبلى ، وهو علامة وقته فى التوحيد والمعاملات . ومن أحسنهم كلاما فى الفتوة والتجريد . توفى عام ٣٤٨ هـ . سئل عن التصوف فقال : « هو اليوم اسم لا حقيقة ، وقد كان حقيقة ولا اسم » . وكان يقول : « من كان باطنه أفضل من ظاهره فهو الولى ، ومن استوى ظاهره وباطنه فهو العالم ، ومن كان ظاهره أفضل من باطنه فهو الجاهل ، ولذلك لا ينصف من نفسه ، ويطلب الإنصاف من غيره » .

أبو الحسين بن بندار

سكن أذربيجان ، وكان عالما بالأصول ، وله لسان مشهور فى علم الحقائق ، وكان الشبلى يعظمه ، مات عام ٣٥٣ ﻫ . سئل عن الفرق بين الصوفية والمتصوفة ، فقال : « الصوفى من اختاره الله لنفسه ، فصافاه من غير تكلف ، والمتصوف هو المتكلف بنفسه ، المظهر لزهده ، مع كون رغبته فى الدنيا » . وكان يقول : « من أقبل على الآخرة وركن إليها أحرقته بنورها وصار سبيكة ذهب ينتفع به ، ومن أقبل على الله أحرقه بنور التوحيد ، فصار جوهرا لا قيمة له » . وسئل ، ما هى الدنيا ؟ فقال : « هى ما دنا من القلب ، وشغل عن الحق » .

الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربى

أجمع المحققون على جلالته فى سائر العلوم ، وعلى تسميته بالشيخ الأكبر ، وتشهد كتبه على ذلك ، وقد أنكر عليه قوم لدقة كلامه ، وحظر الشيوخ قراءة كتبه من غير سلوك طريق الرياضة . كان كاتب إنشاء بديوان ملك المغرب ، ثم تعبد وتزهد وساح ، ودخل مصر والشام والحجاز وبلاد الروم ، وله فى كل بلد دخلها مؤلفات ، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام ينكر عليه فى مصر ، فلما صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلى وعرف أحوال القوم كان يترجمه بالولاية الكبرى والقطبية والعرفان ، وترجمه ابن أسعد اليافى بالعرفان والولاية ، ولقبه أبو مدين شعيب بسلطان العارفين . ألف نحو أربعمائة كتاب . طبع منها الفتوحات المكية والفصوص والرسائل وغيرها . وقد أفرده كثير من المفكرين بالتأليف فى الشرق والغرب . وقد حققنا له كتاب « العبادلة » وفى صدد إخراجه .

داود الطائى

كان عظيم الشأن فى الزهد والورع ، دخلوا عليه فى مرض موته فوجدوا متاع بيته دنا صغيرا فيه خبز يابس ، ومطهرة ، ولبنة هى وسادته . وكا

يؤكد طريقته على أصحابه فيقول لهم : « إياكم أن يتخذ أحدكم فى داره أكثر من زاد الراكب إلى البلاد البعيدة » . مكث أربعا وستين سنة أعزب فقيل له : كيف صبرت عن النساء ؟ فقال : « قاسيت شهوتى عند إدراكى سنة ، ثم ذهبت شهوتى من قلبى » . وكان لا يسأل الجنة حياء من الله ، ويقول : « وددت أن أنجو من النار فأصير رمادا » . ويقول : « لقد مللنا الحياة لكثرة ما نفعل من الذنوب » .

محمد بن اسماعيل المغربى

كان أستاذ ابراهيم الخواص ، وابراهيم بن شيبان . صحب على بن رزين وعاش مائة وعشرين سنة . ودفن مع أستاذه ابن رزين على جبل الطور . عام ٢٧٠ هـ . كان زاهدا شديد المسلك . إذ كان يأكل أصول الحشائش دون ما تصل إليه أيدى بنى آدم . كان يمجد عمل أهل التجريد فيقول : « الفقير المجرد من الدنيا إن لم يعمل شيئاً من أعمال الفضائل أفضل من هؤلاء المتعبدين ومعهم الدنيا . بل ذرة من أعمال الفقير المجرد أفضل من أعمال أهل الدنيا . وكان يعتقد الخمول فيقول : « لله عباد أسبغ عليهم باطن العلم وظاهره ، وأخمل ذكرهم فلا يعدون قط مع العلماء . أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

أبو الحسن بنان الجمال

أصله من واسط ، ثم سكن مصر ومات بها . قال الشعرانى : دفن بالقرافة ، بالقرب من الجبل ، تجاه جامع محمود عام ٣١٦ هـ . صحب الجنيد وهو أستاذ النورى . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : يا بنان . قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : من أكل بشره نفس أعمى الله عين قلبه ، فانتبهت وعقدت عهدا ألا أشبع بعدها أبدا ، وكنت قد أكلت فى تلك الليلة رغيفين وطبقا من العدس . وقال : اجتمعت بأبى جعفر الحداد الفرجى بمصر ، فقلت له : اختصر لى من العلم كلمة

انتفع بها ، فقال : « عليك بأخذ الأقل من الدنيا ، وارض فيها بالذل » فقلت : حسبي حسبي .

على بن سهل الأصفهانى

من قدماء مشايخ أصفهان . كان يراسل الجنيد ، لقى أبا تراب النخشبي وكان إذا بلغه أن أحدا من المسلمين عليه دين ، يرسل فيوفى عنه الدين بغير علمه ، فيأتى صاحب الدين فيقول له : قد وفى الله عنك ، ولم يعلم أحد بذلك إلا بعد موته . وكان يقول . « الناس من وقت آدم إلى الآن يقولون : القلب ، القلب . وأنا أريد رجلا يصف لى أى شيء هو القلب فلا أرى » وكان يقول : لما استولى على الشوق فى بدايتى ألهانى ذلك عن الأكل والشرب والنوم .

أبو بكر الطمستانى

روى المؤرخون أنه كان منفردا بحاله لا يشاركه فيه أحد . صحب ابراهيم الخواص وغيره من مشايخ الفرس ، ورد نيسابور ، ومات بها عام ٣٤٠ هـ . كان يقول : « خير الناس من رآى الحق فى غيره ، وعلم أن السبيل إلى الله غير السبيل الذى هو عليه ولو ارتفع فى المرتبة ، وذلك ليرى تقصير نفسه عما كاف به » . ويقول : « اليقظة لأهل اليقظة لعمارة الآخرة ، والغفلة لأهل الغفلة لعمارة الدنيا » . ويقول : « النفس كالنار إذا أطفئت فى موضع تأججت فى موضع ، كذلك النفس إذا هدمت من جانب تأثرت من جانب آخر » .

أبو العباس الدينورى

صحب يوسف بن الحسين ، وعبد الله الخراز ، وأبا محمد الجريرى ، وابن عطاء ، ورويما . دخل نيسابور وأقام بها مدة ، وكان يعظ الناس ، ويتكلم بلسان المعرفة ، ثم رحل إلى سمرقند ، ومات بها . كان يقول :

« العلماء متفاوتون ، فقوم رجعوا من الأشياء إلى الله ، فشاهدوا الأشياء من حيث الأشياء ، ثم رجعوا عنها إلى الله ، وقوم رجعوا من الله إلى الأشياء من غير غيبتهم عنه ، فلم يروا شيئاً إلا رأوا الحق قبله ، وقوم بقوا مع الأشياء لأنهم لم يكن لهم طريق منهم إلى الله » . وكان يقول عن أهل زمانه : « نقضوا أركان التصوف ، وهدموا سبيلها ، وغيروا معالمها بأسماء أحدثوها ، سموا الطمع زيادة ، وسوء الأدب إخلاصا ؛ والخروج عن الحق شطحا ، والتلذذ بالمذموم طيبة ، واتباع الهوى ابتلاء ، والرجوع إلى الدنيا وصولا ، وسوء الخلق صولة ، والبخل حلاوة ، والسؤال عملا ، وبذاءة اللسان سلامة ، وما كان هذا طريق القوم ، إنما درجوا على الحياء والأدب والزهد فى الحظوظ » .

سعيد بن سلام المغربى

يكنى : أبا عثمان ، من قرية « كوكب » بالقيراون ، أقام بمكة زمنا ، وشيخه أبو على بن الكاتب . صحب حبيبا المصرى ، وأبا عمر الزجاجى ولقى النهرجورى ، وغيره . كان يقول : « العاصى خير من المدعى ، لأن العاصى يطلب طريق التوبة ، والمدعى يتخبط فى خبال دعواه » . وكان يقول فى معنى حديث : « أكثر أهل الجنة البله » : الأبله فى دنياه ، الفقيه فى دينه » . ويقول : من آثر صحبة الأغنياء على الفقراء ابتلاه الله بموت القلب . ويقول : « من لم يسمع من نهيق الحمار مثل ما يسمع من صوت العود فهو كذاب » .

أبو القاسم النصراباذى

شيخ خراسان فى وقته . نيسابورى الأصل والمنشأ . كان مرجعا فى حفظ السنن وجمعها ، والتاريخ ، والحقائق ، صحب الشبلى والمرتعش والروذبارى وغيرهم ، كتب الحديث ورواه ، وكان ثقة ، كان يقول : إذا بدا لك شىء من بوادى الحق ، فلا تلتفت معه إلى جنة ولا نار ، ولا

تخطر هما بقلبك ، فإذا رجعت عن ذلك الحال فعظم ماعظم الله ». وقيل له : إن بعض الناس يجالس النسوان ، وأنا معصوم فى رؤيتهن ، فقال . « مادامت الأشباح قائمة فالأمر والنهى قائمين » . وكان يقول : « نهايات الأولياء بدايات الأنبياء » . ويقول : « الزاهد غريب فى الدنيا ، والعارف غريب فى الآخرة » .

أبو الحسن الحصرى

سكن بغداد ، ومات بها عام ٣٧١ هـ . وكان شيخ العراق فى وقته ، كان شيخا فى التوحيد والتجريد والتفريد ، كان يقول : « عرضوا ولا تصرحوا ، فالتعريض أستر » . صحب الشبلى ، وإليه كان ينتمى . وهو أستاذ العراقيين . وبه تأدب كثير من الشيوخ رضى الله عنه ،

أبو الحسن بن بندار الصوفى

من عظماء مشايخ نيسابور ومقدميهم ، كتب الحديث الكثير ، وكان ثقة . وكان يقول لمن يدخل بلده ، ويبدأ بالمحدثين والعلماء قبله : « شغلتك السنة عن الفريضة لأن الصوفية ينظفون محل العلم من قلبك ، ليصلح قلبك لإقامة العلم فيه » . وكان ذا حال عظيم فى الأدب ، فإذا لقى أحدا ممن لقى من المشايخ من لم يلقه هو يقبل يده ، ولا يمشى إلا وراءه ، ويقول : إنك لقيت فلانا ولم ألقه » .

عبد القادر الجيلانى

حسنى النسب ، وقد أفرده العلماء بالتآليف ، وهو من الأربعة المؤسسين للطريق . تجرد زمانا ولكنه كان فى آخر أمره يتطيلس ويلبس لباس العلماء ، ويركب البغلة ، ويتكلم على كرسى عال ، ويروى أنه كان يخطر خطوات فى الهواء على رءوس الناس ثم يرجع إلى كرسيه . سئل عن صفة الواردات الإلهية والطوارق الشيطانية ، فقال : « الوارد الإلهى لا يأتى

باستدعاء ، ولا يذهب بسبب ، ولا يأتى على نمط واحد ، ولا فى وقت مخصوص ، والطارق الشيطانى بخلاف ذلك غالبا » . وسئل عن الهمة فقال « هى أن يتعرى العبد بنفسه عن حب الدنيا ، وبروحه عن التعلق بالعقبى ، وبقلبه عن إرادته مع مولاه ، ويتجرد بسره عن أن يلمح الكون ، أو يخطر على سره » . أقام فى صحراء العراق وخرائبها خمسا وعشرين سنة مجردا سائحا لا يعرف الخلق ، ولا يعرفونه ، وقال عن نفسه فى تلك الفترة : كانت تأتينى طوائف من رجال الغيب والجن أعلمهم الطريق . وهو أشهر من التعريف به رضى الله عنه وطريقته « القادرية » مشهورة بالمغرب وغيره من الأقطار .

أبو العباس الرفاعى

هو سيدى أحمد الرفاعى شيخ الرفاعية . سكن « أم عبيدة » بأرض البطائح إلى أن توفى بها ، وانتهت إليه الرئاسة فى علوم القوم وشرح أحوال القوم ، وكشف مشكلات منازلاتهم . وتتلمذ له خلق لا يحصون . قال عن نفسه : لما مررت وأنا صغير على العارف عبد الملك الحرنوتى أوصانى وقال : يا أحمد « احفظ ما أقول لك ، ملتفت لا يصل ، ومتسلل لا يفلح ، ومن لم يعرف من نفسه النقصان فكل أوقاته نقصان » فخرجت من عنده وجعلت أكررها سنة ، ثم رجعت إليه ، وقلت : أوصنى ، فقال : « ما أقبح الجهل بالألباء ، والعلة بالأطباء والجفاء بالأحباء » . فجعلت أكررها سنة وانتفعت بموعظته . قال خادمه يعقوب : نظر سيدى أحمد إلى النخلة ثم قال : يا يعقوب ، أنظر إلى النخلة لما رفعت رأسها جعل الله حملها عليها ولو حملت مهما حملت ، وانظر إلى شجرة اليقطين لما وضعت نفسها ، وألقت خدها على الأرض جعل الله ثقل حملها على غيرها ، ولو حملت ما حملت لا تحس به ، وكان يقول : « طريقنا مبنية على ثلاثة أشياء : لا نسأل ، ولا نرد ، ولا ندخر » . كان يخرج إلى الطريق يتلقى العميان ليرشدهم إلى الطريق وإذا سمع بشيخ كبير يذهب إلى جيرانه ويوصيهم به خيرا . وإذا قدم من

سفر وقرب من أم عبيدة يشد وسطه ، ويجمع حطبا ويحمله على رأسه ، فيفعل أصحابه كلهم هكذا ، فإذا دخل فرق الحطب على الفقراء والزمنى والأرامل والمساكين . أفسد المحدثون جوهر طريقه الصافى بما أحدثوه من تهريج .

أبو مدين المغربى

اسمه : شعيب ، وهو من أعيان شيوخ المغرب ، وولده مدين هو المدفون بجامع الدشطوطى فى مصر كما يروى الشعرانى ، أما هو فدفن بتلمسان فى جبانة العبادلة . وكان سبب دخوله تلمسان أن أمير المؤمنين لما بلغه خبره ، أمر بإحضاره من بجاية ليتبرك به . فلما وصل إلى تلمسان قال : مالنا وللسلطان ، الليلة نزور الإخوان . ثم نزل وتوضأ واستقبل القبلة وقال : ها قد جئت وعجلت إليك رب لترضى ، ففاضت روحه . أجمع المشايخ على تعظيمه ، وكان ظريفا جميلا متواضعا زاهدا محققا . ومن كلامه : « ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها » . و : « ما وصل إلى صريح الحرية من بقى عليه من نفسه بقية » . و : « من عرف أحدا لم يعرف الأحد ، والحق ما بان عنه أحد » .

الحسن البصرى

كان من أهل مقام الخوف ، وهو أشهر من التعريف . من أقواله قوله « ذهبت المعارف وبقيت المناكر » ، وقوله : « شر الناس للميت أهله ، يبكون عليه ، ولا يهون عليهم قضاء دينه » ، وقوله : « لا تشتروا مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد » ، قيل له مرة : إن الفقهاء يقولون كذا . فقال : وهل رأيتم فقيها قط ، إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، البصير بذنبه ، المداوم على عبادة ربه » . وقال : « إذا أردت عداوة رجل فانظر فإن كان مطيعا فإياك وإياه ، فإن الله لا يسلمه إليك أبدا وإن كان عاصيا فقد كفيت مؤنته ، فلا تتعب نفسك بعداوته » . وقال : « ما رأيت أحدا طلب الدنيا فأدرك بها الآخرة أبدا » .

أبو بكر الوراق

أصله من ترمذة ، وأقام ببلخ ، له تصانيف مشهورة فى المعامـلات والرياضات ، قال : « لو قيل للطمع : من أبوك ؟ لقال : الشك فى المقدور ولو قيل له : ما حرفتك ؟ لقال اكتساب الذل . ولو قيل له : ما غايتك ؟ لقال : الحرمان » وقال : « الناس ثلاثة : العلماء والفقراء والأمراء . فإذا فسد الأمراء فسد المعاش ، وإذا فسد الفقراء فسدت الأخلاق ، وإذا فسد العلماء فسدت الطاعات » . وقال : « خضوع الفاسقين أفضـل من صولة المطيعين » . وقال : « إذا فسد العلماء غلب الفساق على أهـل الصلاح ، والـكفار على المسلمين ، والـكذبة على الصادقين ، والمراءون على المخلصين وتلف الدين كله ، لأن العلماء هم الزمام » .

محمد بن منازل النيسابورى

شيخ الملامتية فى نيسابور . صحب حمدون القصار وتلقى عنه طريقته وكان متفوقا فى علوم الظاهر ، وكتب الحديث كان صاحب مذهب فكرى عبر عنه بقوله : « عبر بلسانك عن حالك ، ولا تـكن حاكيا لأحوال غيرك » . وكان يقول : « من رفع ظل نفسه عن نفسه عاش الناس فى ظله » ويقول : « من التزم شيئاً لا يحتاج إليه ضيع من أحواله ما يحتاج إليه » . ويقول : « لم يضيع أحد من الفقراء فريضة إلا ابتلاه الله بتضييـع السنن . ولم يبتل أحد من الفقراء بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع » .

أبو بكر الأبهرى

من كبار مشايخ الجبل ، ومن أقران الشبلى . صحب يوسف الرازى . ومظفر القرميسينى . قال : إن الله أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون بعده فى أمته من الخلاف وما يصيبهم فى إلا الدنيا ، فـكان إذا ذكر ذلك وجد غانة فى قلبه فاستغفر لأمته » . وقيل له : ما بال الإنسان يحتمل من

معلمه مالا يحتمل من أبويه ؟ فقال : لأن أبويه سبب حياته الفانية ، ومعلمه سبب حياته الباقية .

أبو حفص الحداد

عمر بن سالم الحداد النيسابورى . من قرية يقال لها «كورذباذ» فى باب نيسابور على طريق بخارى ، من كبار المشايخ المشار إليهم ، قيل له : إن فلانا من أتباعك يدور حول السماع فاذا سمع بكى وصاح ومزق ثيابه. فقال : «ماذا يعمل . الغريق يتعلق بكل شىء يظن فيه نجاته» . وقال : «فساد الأحوال دخل من ثلاثة أشياء : فسق العارفين ، وخيانة المحبين ، وكذب المريدين» . وفسر أبو عثمان الحيرى فسق العارفين بإطلاق الطرف واللسان والسمع لأسباب الدنيا ومنافعها ، وخيانة المحبين اختيار أهوائهم على رضا الله فيما يستقبلهم وقال : «إذا رأيتم ضوء الفقير فى ملابسه فلا ترجو خيره» .

أبو الفواس الكرمانى

هو شاه بن شجاع كان من أولاد الملوك . صحب أبا تراب النخشبى وأبا عبد الله البسرى . قال : «من صحبك ورافقك على ما يحب وخالفك فيما يكره فانما صحبك لراحة الدنيا لا غير» . وقال : «لأهل الفضل فضل ما لم يروه ، فإذا رأوه فلا فضل لهم ، ولأهل الولاية ولاية ما لم يروها فإذا رأوها فلاولاية لهم» . وقال «ما تعبدمتعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى ، فإذا أحب الأولياء أحب الله تعالى ، وإذا أحبه الأولياء أحبه الله تعالى» . وقال : «إذا كان العالم فى هذا الزمان قد صار فى ظلمة علمه فكيف بالجاهل المقيم فى ظلمة جهله . مع أن ظلمة العلم أشد ، لكونها غلبت نور العلم» .

أحمد بن أبى الحوارى

من أهل دمشق . قال عنة الجنيد : إنه ريحانة الشـــام . كان يقول :

«الدنيا مزبلة ، وطلابها أقل من الكلاب . من علق همتة بها ، وخاصم أصحابه من أجلها ، فإن الكلب يأخذ منها حاجته وينصرف ، والمحب لها لا يتركها بحال ، وكلما بلغ منها مبلغا طلب ما بعده » . وقال : علمني الخضر رقية للوجع فقال : « إذا أصابك وجع فضع يدك عليه وقل : وبالحق أنزلناه وبالحق نزل . فلم أزل أقرأها على الوجع فيذهب لساعتة .

أبو العباس المرسى

قيل إنه لم يرث علم الشيخ أبى الحسن الشاذلى غيره . سار على منهجه فلم يؤلف كتبا . وكان يقول : « علوم هذه الطائفة علوم تحقيق ، وعلوم التحقيق لا تحتملها عقول الخلق » . توفى عام ٦٨٦ هـ . قال عنه شيخه أبو الحسن : « عليكم بالشيخ أبى العباس ، فوالله إنه ليأتيه البدوى يبول على ساقيه فلا يمشى إلا وقد أوصله إلى الله . ووالله ما من ولى كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه وعلى اسمه ونسبه وحسبه وحظه من الله تعالى » . قدم إليه رجل طعاما فيه شبهة ليمتحنه . فامتنع وقال : « كان للشيخ المحاسبى عرق يضرب فى إصبعه إذا مد يده إلى طعام فيه شبهه ، وأنا فى يدى ستون عرقا تضرب » ، فتاب الرجل على يديه . وقال : « والله ما رأيت العز إلا فى رفع الهمة عن الخلق ، ولقد رأيت يوما كلبا ومعى شىء من الخبز فوضعته بين يديه ، فأبى ، ولم يلتفت إليه ، فقربته من فيه فلم يلتفت إليه ، فأبى لمن يكون الكلب أزهد منه » كان يكره من الأشياخ أن يأتيهم المريد فيقال لهم : قفوا ساعة ، ويقول : « المريد يأتى إلى الشيخ بهمته المتوقدة ، فإذا قيل له : قف ساعة انطفأت همته »

فرقد السنجى

كوفى ، ومات بالبصرة ، وكان من كبار المشايخ فى عصره . قال : رأيت فى المنام مناديا يقول : يا أشباه اليهود كونوا على حياء من الله عز وجل . فإنكم لم تشكروا إذ أعطاكم ، ولم تصبروا حين ابتلاكم » . وقال : إن

عابدا من بنى إسرائيل مر على كثيب من الرمل ، وقد أصابت بنى إسرائيل مجاعة ، فتمنى أن يكون هذا الرمل دقيقا يتصدق به ، فأوحى الله إلى نبى ذلك الزمان : قل للعابد : قد أوجبت لك من الأجر ما لو كان الرمل دقيقا فتصدقت به .

محمد بن واسع

كان يلبس الصوف ، فدخل يوما على قتيبة بن مسلم ، فقال له قتيبة : ما دعاك إلى لبس الصوف ؟ فسكت ، فقال : أكلمك فلا تجيبنى ؟ فقال : أكره أن أقول : زاهد فأزكى نفسى ، أو فقير فأشكو ربى . وكان يقول : من زهد فى الدنيا فهو مالك الدنيا والآخرة » . ويقول : « من أقبل بقلبه على الله تعالى أقبل بقلوب العباد إليه » . وقال : « أدركت ناسا ينامون مع زوجاتهم على وسادة واحدة ، ويبكون حتى تبتل الوسادة من دموعهم ولا تشعر نساؤهم بذلك .

مراجع التحقيق والتعليق والملاحق

١ ـ القرآن الكريم ٠ ٢ ـ صحيح البخاري ٠ ٣ ـ صحيح مسلم .

٤ ـ جلال الدين السيوطي . اللآلىء المصنوعة .

٥ ـ الفتني . تذكرة الموضوعات .

٦ ـ الشعراني (عبد الوهاب) . الطبقات الكبرى .

٧ ـ عبد الرحمن بن الجوزي . صفوة الصفوة (ط . حيدر أباد) .

٨ ـ أبو نعيم الأصفهاني . حيلة الأولياء .

٩ ـ سراج الدين بن الملقن . طبقات الأولياء . (مخطوط . مصر) .

١٠ ـ سراج الدين بن الملقن . خصائص النبي ﷺ (مخطوط) . تحت الطبع لنا .

١١ ـ الحارث المحاسبي . الوصايا . تحقيق : عبد القادر أحمد عطا .

١٢ ـ الحارث المحاسبي . آداب النفوس . (مخطوط) تحت الطبع لنا

١٣ ـ الحارث المحاسبي . الرعاية لحقوق الله .

١٤ ـ علي وفا السكندري . نفائس العرفان (مخطوط) تحت الطبع لنا .

١٥ ـ أحمد بن عجيبة الحسني . إيقاظ الهمم في شرح الحكم .

١٦ ـ محيي الدين بن عربي . الفتوحات المكية .

١٧ ـ محيي الدين بن عربي . الفتوحات المدنية . (مخطوط) بمكتبة الشيخ أحمد الخياري بالمدينة المنورة .

١٨ ـ محيي الدين بن عربي . حلية الأبدال (مخطوط . مصر) .

١٩ ـ محيي الدين بن عربي . الخلوة (مخطوط . مصر)

٢٠ ـ محيي الدين بن عربي . الروح (مخطوط . مصر)

٢١ ـ محيي الدين بن عربي . التدبيرات الإلهية (ليدن)

٢٢ ـ محيي الدين بن عربي . مواقع النجوم .

٢٣ — سيدى مصطفى البكرى . شرح وردالسحر . (مخطوط مصر)
٢٤ — سيدى مصطفى البكرى . تصلية الأحزان . نشر : سيدى عبد الخالق الشبراوى .
٢٥ — سيدى مصطفى البكرى السيوف الحداد .
٢٦ — سيدى مصطفى البكرى . العرائس القدسية ، المفصحة عن الدسائس النفسية (مخطوط . مصر)
٢٧ — سعد الدين الفرغانى منتهى المدارك .
٢٨ — عبد الغنى النابلسى خمرة الحان . ورنة الألحان .
٢٩ — عبد الغنى النابلسى . الرد المتين على منتقص العارف محي الدين (مخطوط . مصر)
٣٠ — محمد بن عبد الجبار النفرى . المواقف والمخاطبات .
٣١ — عبد الكريم الجيلى . الإنسان الكامل .
٣٢ — أبو القاسم القشيرى . مدارك التنزيل (مخطوط . مصر)
٣٣ — أبو العباس أحمد زروق . قواعد التصوف .
٣٤ — عبد العزيز الدرينى . الروضة الأنيقة .
٣٥ — أبو حامد الغزالى . أحوال القرآن . (مخطوط . الأزهرية)
٣٦ — عبد الغفار القوصى . الوحيد ، فى سلوك أهل التوحيد (مخطوط . مصر)
٣٧ — القاضى عياض . الشفاء ، فى التعريف بحقوق المصطفى .
٣٨ — القاضى عياض . منهاج العوارف (مخطوط . مصر)
٣٩ — ملا على القارى . شرح الشفاء .
٤٠ — ملا على القارى . عين العلم ، وزين الحلم .
٤١ — الشهاب الخفاجى . نسيم الرياض .
٤٢ — أبو بكر البنانى . مدارج السلوك ، إلى مالك الملوك .

٤٣ ــ العربى بن أحمد الدرقاوى . شور الهدية . (مخطوط . مصر)
٤٤ ــ الشهرستانى . الملل والنحل . ٤٥ ــ ابن حزم . الفصل .
٤٦ ــ التنبكتى كفاية المحتاج (مخطوط . عارف حكمت بالمدينة المنورة)
٤٧ ــ ابن خلدون . التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً
٤٨ ــ ابن خلدون . المقدمة ــ ٤٩ ــ ابن أسعد اليافعى . مرآة الجنان .
٥٠ ــ ابن خلكان . وفيات الأعيان .
٥١ ــ الخطيب البغدادى . تاريخ بغداد .
٥٢ ــ ابن عساكر . تاريخ دمشق .
٥٣ ــ ابن إياس . بدائع الزهور ، فى وقائع الدهور .
٥٤ ــ الزبيدى . شرح الرسالة القشيرية .
٥٥ ــ السراج الطوسى . اللمع .
٥٦ ــ الذهبى . سير أعلام النبلاء . (مخطوط مصر)
٥٧ ــ الذهبى . تاريخ الإسلام . (مخطوط مصر)
٥٨ ــ ابن فورك . مشكل الحديث .
٥٩ ــ الهجويرى . كشف المحجوب .
٦٠ ــ ابن عباد النفرى . مجموع الرسائل . ط . بيروت .
٦١ ــ أحمد الرفاعى . قلائد الجواهر . ط . الشام .
٦٢ ــ أحمد الرفاعى . النظام الخاص .
٦٣ ــ عبد القادر أحمد عطا . الصلاة مدرسة الوعى الحضارى .
نشر : بمكتبة القاهرة بالأزهر .
٦٤ ــ عبد القادر أحمد عطا . الوحدة العالمية (تحت الطبع)
٦٥ ــ عبد القادر أحمد عطا . تحرير الإنسان (تحت الطبع)
٦٦ ــ أبو طالب المكى . علم القلوب . تحقيق عبد القادر أحمد عطا .
٦٧ ــ عباس محمود العقاد . الله .
٦٨ ــ مجلة الإسلام والتصوف . القاهرة
٦٩ ــ نجم بنت النفيس البغدادية شرح المشاهد (مخطوط مصر)

٧٠ ــ أبو طالب المكى . قوت القلوب
٧١ ــ البيرونى . ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة
٧٢ ــ صدر الدين القونوى . تفسير الفاتحة (مخطوط . مصر)
٧٣ ــ المقرى . نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب
٧٤ ــ ابن طرخان السنوبى . حياة القلوب (مخطوط . مصر)
٧٥ ــ أبو حنيفة النعمان . الفقه الأكبر
٧٦ ــ أبو حنيفة النعمان . العالم والمتعلم
٧٧ ــ سيدى عمر الشبراوى . تنوير الصدر
٧٨ ــ سيدى عمر الشبراوى . مفتاح المريدين
٧٩ ــ محمد أبو زهرة (الأستاذ) . الإمام زيد
٨٠ ــ أبو سعيد الخراز . الصدق . تحقيق . د . عبد الحليم محمود
٨١ ــ ابن قتيبة الدينورى . المعارف
٨٢ ــ ابن القيم . الروح
٨٣ ــ ابن مفلح المقدسى . الآداب الشرعية
٨٤ ــ أحمد بن زينى دحلان . تاريخ مكة
٨٥ ــ الحسين بن منصور الحلاج . الطواسين
٨٦ ــ الطبرسى . مكارم الأخلاق
٨٧ ــ أبو الحسن الأشعرى : مقالات الإسلاميين
٨٨ ــ الهروى . منازل السائرين
٨٩ ــ التقى السبكى . شفاء السقام
٩٠ ــ عمر بن الفارض . الديوان

الفهرس

الصفحة	الموضوع

الصفحة | الموضوع

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع

الصفحة — الموضوع

الملاحق